تاريخ

ابن خلدون

المسمى

بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي

المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية

المجلد السابع

منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

تاريخ ابن خلدون

المسمّى

بكتاب العبر، وديوان المبتدإ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

لوحيد عصره العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي
المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية

المجلد السابع

مؤسسة جمال للطباعة والنشر
المصيطبة - شارع حبيب أبي شهلا - سابه الشكن
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر عن زناتة من قبائل البربر وما كان بين أجيالهم من العز والظهور وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة

هذا الجيل فى المغرب جيل قديم العهد معروف العين والاثر وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب فى سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتغلب فى الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية عن الانقياد للنصفة وشعارهم بين البربر اللغة التى يتراطنون بها وهى مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ومواطنهم فى سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب فنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى ان عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم كما نذكره ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحى افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد واذعنوا لحكمهم والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناته ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخرى وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين وكانت لهم فيه دول أخرى فى القديم ولم يزل الملك يتداول فى شعوبهم حسبما نذكره بعد لكل شعب منهم ان شاء الله تعالى

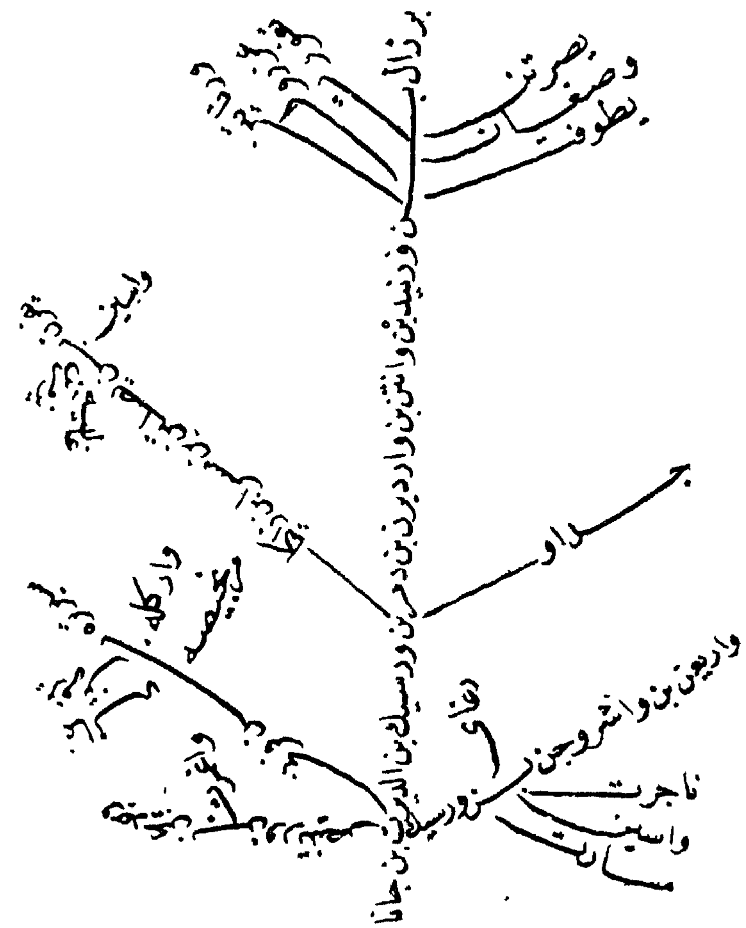
(الخبر عن نسبة زناتة وذكر الخلاف الواقع فيه وتعديد شعوبهم)

أمّا نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نسابتهم أنهم من ولد شانا وإليه نسبهم وأمّا شانا فقال أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة قال بعضهم هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورماك بن ضرى بن رحيك بن مادغيس بن بربر وقال أيضا في كتاب الجمهرة ذكر لي يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد يعني حين وفد على قرطبة عن أبيه الثائر بافريقية أيام الناصر قال هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورساك بن ضرى بن مقبو بن قروال بن يملا بن مادغيس بن رحيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هراك بن هرك بن برا بن بربر بن كنعان بن حام هذا ما ذكره ابن حزم ويظهر منه انّ مادغيس ليس نسبة الى البربر وقد قدّمنا ما في ذلك من الخلاف وهو أصح ما ينقل في هذا لانّ ابن حزم موثوق ولا يعدل به غيره (ونقل) عن ابن أبي زيد وهو كبير زناتة ويكون البربر على هذا من نسل برنس فقط والبتر الذين هم بنو مادغيس الابتر ليسوا من البربر ومنهم زناتة وغيرهم كما قدّمنا لكنهم اخوة البربر لرجوعهم كلهم الى كنعان بن حام كما يظهر من هذا النسب (ونقل) عن أبي محمد بن قتيبة في نسب زناتة هؤلاء انهم من ولد جالوت في رواية ان زناتة هو جانا ابن يحيى بن ضريس بن جالوت وجالوت هو ونور بن جريسل بن جديلان بن جالد بن ديلان بن حصى بن باد بن رحيك بن مادغيس الابتر بن قيس بن عيلان (وفي) رواية أخرى عنه انّ جالوت بن جالود بن بردنال بن قحطان ابن فارس وفارس مشهور (وفي) رواية أخرى عنه انه بن هربال بن بالود بن دبال بن برنس بن سفك وسفك أبو البربر كلهم ونسابة الجيل نفسه من زناتة يزعمون انهم من حمير ثم من التبابعة منهم وبعضهم يقول انهم من العمالقة ويزعمون انّ جالوت جدّهم من العمالقة والحق فيهم ما ذكره أبو محمد ابن حزم أوّلا وما بعد ذلك فليس شئ منه بصحيح فأمّا الرواية الاولى عن أبي محمد بن قتيبة فمختلطة وفيها أنساب متداخلة وأمّا نسب مادغيس الى قيس عيلان فقد تقدّم في أوّل كتاب البربر عند ذكر أنسابهم وان أبناء قيس معروفون عند النسابة وأمّا نسب جالوت الى قيس فأمر بعيد عن القياس ويشهد لذلك انّ معد بن عدنان الخامس من آباء قيس انما كان معاصر البختنصر كما ذكرناه أوّل الكتاب وانه لما سلط على العرب أوحى الله الى ارمياء نبي بني اسرائيل أن يخلص معدّا ويسير به الى أرضه وبختنصر كان بعد داود بما يناهز أربعمائة وخمسين من السنين فانه خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسليمان له بمثل هذه المدة فمعدّ متأخر عن داود بمثلها سواء فقيس الخامس من أبنائه متأخر عن داود بأكثر من ذلك فجالوت على ما ذكره من أبناء قيس متأخر عن داود بأضعاف ذلك الزمن وكيف يكون ذلك مع انّ داود هو الذى قتل جالوت بنص القرآن

(وأمّا) ادخاله جالوت فى نسب البربر وانه من ولد مادغيس أو سفك فخطأ وكذلك من نسبه من العمالقة والحق انّ جالوت من بنى فلسطين بن كسلوحيم بن مصرايم بن حام أحد شعوب حام بن نوح وهم اخوة القبط والبربر والحبشة والنوبة كما ذكرناه فى نسب أبناء حام وكان بين بنى فلسطين هؤلاء وبين بنى اسرائيل حروب كثيرة وكان بالشام كثير من البربر اخوانهم ومن سائر أولاد كنعان يضاهونهم فيها ودثرت أمّة فلسطين وكنعان وشعوبهما لهذا العهد ولم يبق الا البربر واختص اسم فلسطين بالوطن الذى كان لهم فاعتقد سامع اسم البربر مع ذكر جالوت انه منهم وليس كذلك (وأمّا) ما رأى نسابة زناتة انهم من حمير فقد أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البرّ وأبو محمد بن حزم وقالا ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى أكاذيب مؤرخى اليمن وانما حمل نسابة زناتة على الانتساب فى حمير الترفع عن النسب البربرى لما يرونهم فى هذا العهد خولا وعبيدا للجباية وعوامل الخراج وهذا وهم فقد كان فى شعوب البربر من هم مكافؤن لزناتة فى العصبية أو أشدّ منهم مثل هوّارة ومكناسة وكان فيهم من غلب العرب على ملكهم مثل كتامة وصنهاجة ومن تلقف الملك من يد صنهاجة مثل المصامدة مدّة كل هؤلاء كانوا أشدّ قوّة وأكثر جمعا من زناتة فلما فنيت أجيالهم أصبحوا مغلبين فنالهم ضرّ المغرم وصار اسم البربر مختصا لهذا العهد بأهل المغرم فأنف زناتة منه فرارا من الهضيمة وأعجبوا بالدخول فى النسب العربى لصراحته وما فيه من المزية بتعدد الانبياء ولا سيما نسب مضر وأنهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم بن نوح بن شيث بن آدم خمسة من الانبياء ليس للبربر اذا نسبوا الى حام مثلها مع خروجهم عن نسب ابراهيم الذى هو الاب الثالث للخليقة اذ الاكثر من اجيال العالم لهذا العهد من نسله ولم يخرج عنه لهذا العهد الا الاقل مع ما فى العربية أيضا من عز التوحش والسلامة من مذمومات الخلق بانفرادهم فى البيداء فأعجب زناتة نسبهم وزينه لهم نسابتهم والحق بمعزل عنه وكونهم من البربر بعموم النسب لا ينافى شعارهم من الغلب والعز فقد كان الكثير من شعوب البربر مثل ذلك وأعظم منه وأيضا فقد تميزت الخليقة وتباينوا بغير واحد من الاوصاف والكل بنو آدم ونوح من بعده وكذلك تميزت العرب وتباينت شعوبها والكل لسام ولاسمعيل بعده (وأمّا) تعدّد الانبياء فى النسب فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يضرك الاشتراك مع الجيل فى النسب العام اذا وقعت المباينة لهم فى الاحوال التى ترفع عنهم مع انّ المذلة للبربر انما هى حادثة بالقلة ودثور اجيالهم بالملك الذى حصل لهم ونفقوا فى سبله وترفه كما تقدّم لك فى الكتاب الاوّل من تأليفنا والا فقد كان لهم من الكثرة والعز والملك والدولة ما هو معروف (وأمّا) ان جيل

زناتة من العمالقة الذين كانوا بالشام فقول مرجوح وبعيد من الصواب لان العمالقة الذين كانوا بالشام صنفان عمالقة من ولد عيصو بن اسحق ولم تكن لهم كثرة ولا ملك ولا نقل ان أحدا منهم انتقل الى المغرب بل كانوا القليلهم ودثور اجيالهم أخفى من الخفاء والعمالقة الاخرى كانوا من أهل الملك والدولة بالشام قبل بنى اسرائيل وكانت أريحاء دار ملكهم وغلب عليهم بنو اسرائيل وابتزوهم ملكهم بالشام والحجاز وأصبحوا حصائد سيوفهم فكيف يكون هذا الجيل من أولئك العمالقة الذين دثرت اجيالهم وهذا لو نقل لوقع به الاسترابة فكيف وهو لم ينقل هذا بعيد فى العادة والله أعلم بخلقه (وأما) شعوب زناتة وبطونهم فكثير ولنذكر المشاهير منها (فنقول) اتفق نساب زناتة على ان بطونهم كلها ترجع الى ثلاثة من ولد جانا وهم ورسيك وفرنى والديرت هكذا فى كتب انساب زناتة (وذكر) أبو محمد بن حزم فى كتاب الجمهرة له من ولد ورسيك عند نسابتهم مسارت ورغاى وواشروجن ومن واشروجن وار يعن بن واشروجن وقال أبو محمد بن حزم فى ولد ورسيك انهم مسارت وناجرت وواسين (وأما) فرنى بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة يزمرتن ومرنجيصة ووركلة وغمالة وسبرترة ولم يذكر أبو محمد بن حزم سبرتره وذكر الاربعة الباقية (وأما) الديرت بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة جدا و بن الديرت ولم يذكره ابن حزم وانما قال عند ذكر الديرت ومن شعوبه بنو ورسيك بن الديرت وهم بطنان دمر بن ورسيك قال ودمر لقب واسمه العانا قال فمن ولد زاكيا بنو مغراو وبنو يفرن وبنو واسين قال وأمهم واسين مملوكة لام مغراو وهم ثلاثتهم بنو يصلتن بن مسرا بن زاكيا ويزيد نسابة زناتة فى هؤلاء يرنيان بن يصلتن أخا لمغراو ويفرن وواسين ولم يذكره ابن حزم قال ومن ولد دمر بنو ورنيد بن وانتن بن وارديرن بن دمر وذكر لبنى دمر أفخاذا سبعة وهم عرازول ولفورة وزناتين وهؤلاء الثلاثة مختصون بنسب دمر وبرزال ويصدر بن وصغان وبطوفت هكذا ذكر أبو محمد بن حزم وزعم انه من املاء أبى بكر بن يكنى البرزالى الاباضى وقال فيه كان ناسكا عالما بانسابهم وذكر أن بنى واسين وبنى برزال كانوا أباضية وأن بنى يفرن ومغراوة كانوا سنية وعند نسابة البربر مثل سابق بن سليمان المطماطى وهانئ بن يصدور الكومى وكهلان بن أبى لوا وهو مسطر فى كتبهم ان بنى ورسيك بن الديرت بن جانا ثلاثة بطون وهم بنو زاكيا وبنو دمر وآنشة بنو آنش وكلهم بنو وارديرن بن ورسيك فمن زاكيا وارديرن أربعة بطون مغراوة وبنو يفرن وبنو يرنيان وبنو واسين كلهم بنو اسلتن بن مسر بن زاكيا بن آنش بن وارديرن ومن دمر وارديرن ثلاثة بطون بنو تغورت وبنو عزرول وبنو ورتاتين كلهم بنو وتيد بن دمر هذا

الذى ذكره نسابة البربر وهو خلاف ماذكره ابن حزم ويذكر نسابة زناته آخرين من
شعوبهم ولا ينسبونهم مثل يحفش وهم أهل جبل قازاز قريب مكناسة وسجاسن
وربعان وتحليلة وتسات وواغمرت وبنو فراش ووجديجن وبنو بلومو وبنو وماني وبنو
توجين على أن بنى توجين ينتسبون فى بنى واسين نسبا ظاهرا صحيحا بلا شك على مايذكر
فى أخبارهم وبعضهم يقول فى وجديجن وواغمرت بنوورتنيص انهم من البرانس
من بطون البربر على ماقدمناه وذكر ابن عبد الحكم فى كتابه فتح مصر خالد بن حميد
الزناتى وقال فيه هو من شورة احدى بطون زناتة ولم تره لغيره هذا ملخص الكلام فى
شعوب زناتة وأنسابهم بما لا يوجد فى كتاب والله الهادى الى مسالك التحقيق لا رب غيره



* (فصل فى تسمية زناتة ومبنى هذه الكلمة) *

(اعلم) ان كثيرا من الناس يبحثون عن مبنى هذه الكلمة واشتقاقها على ماليس معروفا للعرب ولالاهل الجيل أنفسهم فيقال هو اسم وضعته العرب على هذا الجيل ويقال بل الجيل وضعوه لانفسهم أو اصطلحوا عليه ويقال هو زانا بن جانا فيزيدون فى النسب شيأ لم تذكره النسابة وقد يقال انه مشتق ولا يعلم فى لسان العرب أصل مستعمل من الاسماء يشتمل على حروفه المادية وربما يحاول بعض الجهلة اشتقاقه من لفظ الزنا ويعضده بحكاية خسيسة يدفعها الحق وهذه الاقوال كلها ذهاب الى أن العرب وضعت لكل شئ اسما وأن استعمالها انما هو لاوضاعها التى من لغتها ارتجالا واشتقاقا وهذا انما هو فى الاكثر والا فالعرب قد استعملت كثيرا من غير لغتها فى مسماه امّا لكونه علما فلا يغير مثل ابراهيم ويوسف واسحق من اللغة العبرانية وامّا استعانة وتخفيفا لتداوله بين الالسنة كاللجام والديباج والزنجبيل والنيروز والياسمين والآجر فتصير باستعمال العرب كأنها من أوضاعهم ويسمونها المعربة وقد يغيرونها بعض التغيير فى الحركات أو فى الحروف وهو شائع لهم لانه بمنزلة وضع جديد وقد يكون الحرف من الكلمة ليس من حروف لغتهم فيبدلونه بما يقرب منه فى المخرج فان مخارج الحروف كثيرة منضبطة وانما نطقت العرب منها بالثمانية والعشرين حروف أبجد وبين كل مخرجين منها حروف أكثر من واحد فمنها مانطقت به الامم ومنها مالم تنطق به ومنها مانطق به بعض العرب كما هو مذكور فى كتب أهل اللسان واذا تقرر ذلك فاعلم ان أصل هذه اللفظة التى هى زناتة من صيغة جانا التى هى اسم ابى الجيل كله وهو جانا بن يحيى المذكور فى نسبهم وهم اذا أرادوا الجنس فى التعميم الحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات واذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل الى السين ويقرب للسمع منها بعض الصفير فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاى بالسين فصارت زانات لفظا مفردا دالا على الجنس ثم الحقوا به هاء النسبة وحذفوا الالف التى بعد الزاى تخفيفا لكثرة دورانه على الالسنة والله أعلم

* (فصل فى أولية هذا الجيل وطبقاته) *

أمّا أولية هذا الجيل بافريقية والمغرب فهى مساوية لاولية البربر منذ أحقاب متطاولة لايعلم مبدأها الا الله تعالى ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبنى يفرن وجراوة وبنى يرسان ووجديجن وغمرة وبنى ورسيفان وورتنيد وبنى زنداك وغيرهم وفى كل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات

طرابلس الى جبل أوراس والزاب الى قبلة تلمسان ثم الى وادى ملوية وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الاسلام لجراوة ثم لمغراوة و بنى يفرن (ولما) ملك الافرنجة بلاد البربر فى ضواحيهم صاروا يؤدون لهم طاعة معروفة وخراجا معروفا موقتا و يعسكرون معهم فى حروبهم و يمتنعون عليهم فيما سوى ذلك حتى جاء الله بالاسلام وزحف المسلمون الى افريقية وملك الافرنجة بها يومئذ جرجير فظاهره زناتة والبربر على شأنه مع المسلمين وانفضوا جميعا وقتل جرجير وأصبحت أموالهم مغانم ونساؤهم سبايا وافتتحت سبيطلة ثم عاود المسلمون غزو افريقية وافتتحوا جلولاء وغيرها من الامصار ورجع الافرنجة الذين كانوا ملكوتهم على اعقابهم الى مواطنهم وراء البحر وظن البربر بأنفسهم مقاومة العرب فاجتمعوا وتمسكوا بحصون الجبال واجتمعت زناتة الى الكاهنة وقومها جراوة بجبل أوراس حسبما نذكره فأثخن العرب فيهم واتبعوهم فى الضواحى والجبال والقفار حتى دخلوا فى دين الاسلام طوعا وكرها وانقادوا الى ايالة مصر وتولوا من أمرهم ما كان الافرنجة يتولونه حتى اذا انحلت بالمغرب عرى الملك العربى وأخرجهم من افريقية البربر من كتامة وغيرهم قدح هذا الجيل الزناتى زناد الملك فأورى لهم وتداول فيهم الملك جيلا بعد جيل فى طبقتين حسبما نقصه عليك ان شاء الله تعالى

(الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناتة وشأنهم مع المسلمين عند الفتح)

كانت هذه الامة من البربر بافريقية والمغرب فى قوة وكثرة وعديد وجموع وكانوا يعطون الافرنجة بامصارهم طاعة معروفة وملك الضواحى كلها لهم وعليهم مظاهرة الافرنجة مهما احتاجوا اليهم ولما أظل المسلمون فى عساكرهم على افريقية للفتح ظاهروا جرجير فى زحفه اليهم حتى قتله المسلمون وانفضت جموعهم وافترقت رياستهم ولم يكن بعدها بافريقية موضع للقاء المسلمين يجمعهم لما كانت غزواتهم لكل أمة من البربر فى ناحيتها وموطنها مع من تحيز اليهم من قبل الافرنجة (ولما) اشتغل المسلمون فى حرب على ومعاوية اغفلوا أمر افريقية ثم ولاها معاوية بعد عام الجامعة عقبة بن نافع الفهرى فأثخن فى المغرب فى ولايته الثانية وبلغ الى السوس وقتل بالزاب فى مرجعه واجتمعت البربر على كسيلة كبير اوربة وزحف اليه بعد ذلك زهير بن قيس البلوى أيام عبد الملك بن مروان فهزمه وملك القيروان وأخرج المسلمين من افريقية (وبعث) عبد الملك حسان بن النعمان فى عساكر المسلمين فهزموا البربر وقتلوا كسيلة واسترجعوا القيروان وقرطاجنة وافريقية والافرنجة والروم الى صقلية والاندلس وافترقت رياسة البربر فى شعوبهم وكانت زناتة أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعا

وبطونا وكان موطن جراوة منهم بجبل أوراس وهم ولد كراو بن الديرت بن جانا وكانت رياستهم للكاهنة دهيا بنت بن نيعان بن بارو بن مصكسري بن أفرد بن وصلا بن جراو وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم وعلى قومهم بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم قال هانى بن بكور الضريسي ملكت عليهم خمسا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط قبلة جبل أوراس باغرائها برابرة عليه وكان المسلمون يعرفون ذلك منها فلما انقضى جمع البربر وقتل كسيلة رجعوا الى هذه الكاهنة بمعتصمها من جبل أوراس وقد ضوى اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر البتر فلقيتهم بالبسيط أمام جبلها وانهزم المسلمون واتبعت آثارهم في جموعها حتى أخرجتهم من افريقية وانتهى حسان الى برقة فأقام بها حتى جاءه المدد من عبد الملك فزحف اليهم سنة أربع وسبعين وفض جموعهم وأوقع بهم وقتل الكاهنة واقتحم جبل أوراس عنوة واستلحم فيه زهاء مائة ألف وكان للكاهنة ابنان قد لحقا بحسان وحسن اسلامهما واستقامت طاعتهما وعقد لهما على قومهما جراوة ومن انضوى اليهم بجبل أوراس ثم افترق فلهم من بعد ذلك وانقرض أمرهم وافترق جراوة أوزاعا بين قبائل البربر وكان منهم قوم بسواحل مليلة وكان لهم آثار بين جيرانهم هنالك واليهم نزع بن أبي العيش لما غلبه موسى بن أبي العافية على سلطانه بتلمسان أول المائة الرابعة حسبما نذكره فنزل عليهم وبنى القلعة بينهم الى ان خربت من بعد ذلك والفل منهم بذلك الوطن الى الآن لهذا العهد مندرجون في بطونه ومن اليهم من قبائل غمارة والله وارث الارض ومن عليها

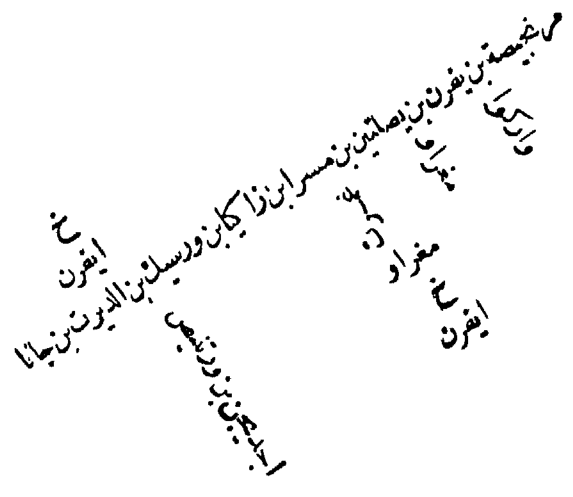
(الخبر عن مبتدا دول زناتة في الاسلام ومصير الملك اليهم بالمغرب وافريقية)

لما فرغ شأن الردة من افريقية والمغرب وأذعن البربر لحكم الاسلام وملكت العرب واستقل بالخلافة ورياسة العرب بنو أمية اقتعدوا كرسي الملك بدمشق واستولوا على سائر على الامم والاقطار وأثخنوا في القاصية من لدن الهند والصين في المشرق وفرغانة في الشمال والحبشة في الجنوب والبربر في المغرب وبلاد الجلالقة والافرنجة في الاندلس وضرب الاسلام بجرانه وألقت دولة العرب بكلكلها على الامم ثم جدع بنو أمية أنوف بني هاشم مقاسميهم في نسب عبد مناف والمدعين استحقاق الامر بالوصية وتكرر خروجهم عليهم فأثخنوا فيهم بالقتل والاسر حتى توغرت الصدور واستحكمت الاوتار وتعددت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من علي الى من بعده من بني

هاشم فقوم ساقوها الى آل العباس وقوم الى آل الحسن وآخرون الى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام بها اليمنية فكانت الدولة العظيمة الحائزة للخلافة ونزلوا بغداد واستباحوا الامويين قتلا وسبيا وخلص من جاليتهم الى الاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد بها دعوة الامويين واقتطع ماوراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تحقق لهم به راية (ثم نفس) آل أبى طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فخرج المهدى محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية فى بنى أبى طالب على أبى جعفر المنصور وكان من أمرهم ماهو مذكور واستلحمتهم جيوش بنى العباس فى وقائع عديدة وفر ادريس بن عبد الله أخو المهدى من بعض وقائعهم الى المغرب الاقصى فأجاره البرابرة من أوربة ومغيلة وقاموا بدعوته ودعوة بنيه من بعده ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الاقصى والاوسط وبثوا دعوة ادريس وبنيه من أهله بعده فى أهله من زناتة مثل بنى يفرن ومغراوة وقطعوه من ممالك بنى العباس واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون أثناء ذلك بالمشرق ينزعون الى الخلافة ويبثون دعاتهم بالقاصية الى ان دعا أبو عبد الله المحتسب بافريقية الى المهدى ولد اسمعيل الامام بن جعفر الصادق فقام برابرة كتامة ومن اليهم من صنهاجة وملكوا افريقية من يد الاغالبة ورجع العرب الى مركز ملكهم بالمشرق ولم يبق لهم فى نواحى المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم واستيقنوا بوعد الصادق أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلم تنسلخ الملة بانسلاخ الدولة ولا تقوضت مبانى الدين بتقويض معالم الملك وعدا من الله ان يخلفه فى تمام أمره واظهار دينه على الدين كله فتنافس حينئذ البربر فى طلب الملك والقيام بدعوة الاعياص من بنى عبد مناف يسدون منها حسدا فى ارتقاء الى ان ظفروا من ذلك بحظ مثل كتامة بافريقية ومكناسة بالمغرب ونافسهم فى ذلك زناتة وكانوا من أكثرهم جمعا وأشدهم قوة فشمروا له حتى ضربوا معهم بسهم فكان لبنى يفرن بالمغرب وافريقية على يد صاحب الحمار ثم على يد يعلى بن محمد وبنيه ملك ضخم ثم كان لمغراوة على يد بنى خزر دولة أخرى تنازعوها مع بنى يفرن وصنهاجة ثم انقرضت تلك الاجيال وتجرد الملك بالمغرب بعدهم فى جيل آخر منهم فكان لبنى مرين بالمغرب الاقصى ملك ولبنى عبد الواد بالمغرب الاوسط ملك آخر تقاسمهم فيه بنو توجين والفل من مغراوة حسبما نذكر ونستوفى شرحه ونجلب أيامهم وبطونهم على الطريقة التى سلكناها فى أخبار البربر والله المعين سبحانه لا رب سواه ولا معبود الا اياه

﴿الطبقة الاولى من زناتة ونبدأ منها بالخبر عن بنى يفرن وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول بافريقية والمغرب﴾

وبنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة وأوسع بطونهم وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا واخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين والكل بنو يصلتين ويفرن فى لغة البربر هو القار وبعض نسابتهم يقولون ان يفرن هو ابن ورتنيذ بن جانا واخوته مغراوة وغمرت ووجديجن وبعضهم يقول يفرن بن مرة بن ورسيك بن جانا وبعضهم يقول هو ابن جانا لصلبه والصحيح مانقلناه عن أبى محمد بن حزم (وأمّا) شعوبهم فكثير ومن أشهرهم بنو واركوا ومرنجيصة وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة وكان منهم بافريقية وجبل أوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب فلما كان الفتح غشى افريقية ومن بها من البربر جنود الله المسلمون من العرب فتطامنوا لبأسهم حتى ضرب الدين بجرانه وحسن اسلامهم ولما فشا دين الخارجية فى العرب وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم فى البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤس الخارجية فى أحكامهم من أباضية وصفرية وغيرهما كما ذكرناه فى بابه ففشا فى البربر وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه وكان أول من جمع لذلك منهم أبو قرة من أهل المغرب الاوسط ثم من بعده أبو يزيد صاحب الحمار وقومه بنو واركوا ومرنجيصة ثم كان لهم بالمغرب الاقصى من بعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلى بن محمد صالح وبنيه حسبما نذكر ذلك مفسرا ان شاء الله تعالى



* (الخبر عن أبي قرة وما كان لقومه من الملك بتلمسان ومبدإ ذلك ومصائره) *

كان من بني يفرن بالمغرب الاوسط بطون كثيرة بنواحي تلمسان الى جبل بني راشد المعروف بهم لهذا العهد وهم الذين اختطوا تلمسان كما نذكره في أخبارها وكان رئيسهم لعهد انتقال الخلافة من بني أمية الى بني العباس أبو قرة ولا نعرف من نسبه أكثر من أنه منهم ولما انتقض البرابرة بالمغرب الاقصى وقام ميسرة وقومه بدعوة الخارجية وقتله البرابرة قدموا على انفسهم مكانه خالد بن حميد من زناتة فكان من حروبه مع كلثوم بن عياض وقتله اياه ما هو معروف ورأس على زناتة من بعده أبو قرة هذا ولما استأثلت دولة بني أمية كثرت الخارجية في البربر وملك ورفجومة القيروان وهوارة وزناتة طرابلس ومكناسة سجلماسة وابن رستم تاهرت وقدم ابن الاشعث افريقية من قبل أبي جعفر المنصور وخافه البربر فحسم العلل وسكن الحروب ثم انتقض بنو يفرن بنواحي تلمسان ودعوا الى الخارجية وبايعوا أبا قرة كبيرهم بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة وسرح اليهم ابن الاشعث الاغلب بن سوادة التميمي فانتهى الى الزاب وفر أبو قرة الى المغرب الاقصى ثم راجع موطنه بعد رجوع الاغلب (ولما انتقض البرابرة على عمر بن حفص بن أبي صفرة الملقب هزارمرد عام خمسين ومائة وحاصروه بطبنة كان فيمن حاصره أبو قرة اليفرني في أربعين ألفا صفرية من قومه وغيرهم حتى اشتد عليه الحصار وداخل أبا قرة في الافراج عنه على يد ابنه على أن يعطيه أربعين ألفا ولابنه أربعة آلاف فارتحل بقومه وانفض البرابرة عن طبنة ثم حاصروه بعد ذلك القيروان واجتمعوا عليه وأبو قرة معهم بثلثمائة وخمسين ألفا الخيالة منها خمسة وثمانون ألفا وهلك عمر بن حفص في ذلك الحصار وقدم يزيد بن حاتم واليا على افريقية ففض جموعهم وفرق كلمتهم ولحق أبو قرة وبنو يفرن أصحابه بمواطنهم من تلمسان بعد أن قتل صاحبه أبو حاتم الكندي رأس الخوارج واستلحم بني يفرن وتوغل يزيد بن حاتم في المغرب ونواحيه وأثخن في أهله الى ان استكانوا واستقاموا ولم يكن لبني يفرن من بعدها انتقاض حتى كان شأن أبي يزيد بافريقية في بني واركوا ومرنجيصة منهم حسبما نذكره ان شاء الله تعالى الكريم وبعض المؤرخين ينسب ابا قرة هذا الى مغيلة ولم أظفر بصحيح في ذلك والطرائق متساوية في الجانبين فان نواحي تلمسان وان كانت موطنا لبني يفرن فهي أيضا موطن لمغيلة والقبيلتان متجاورتان لكن بنو يفرن كانوا أشد قوة وأكثر جمعا ومغيلة أيضا كانوا أشهر بالخارجية من بني يفرن لانهم كانوا صفرية وكثير من الناس يقولون ان بني يفرن كانوا على مذهب أهل السنة كما ذكره ابن حزم وغيره والله أعلم

(الخبر عن أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار من بني يفرن ومبدأ أمره مع الشيعة ومصائره)

هذا الرجل من بني واركوا اخوة مرنجيصة وكلهم من بطون بني يفرن وكنيته أبو يزيد واسمه مخلد بن كيداد لا يعلم من نسبه فيهم غير هذا وقال أبو محمد بن حزم ذكر لي أبو يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد ان اسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورغت بن حويفر بن سميران بن يفرن بن جانا وهو زناتة قال وقد أخبرني بعض البربر بأسماء زائدة بين يفرن وجانا اه كلام ابن حزم ونسبه بن الرقيق أيضا في بني واسين بن ورسيك بن جانا وقد تقدم نسبهم أول الفصل وكان كيداد أبوه يختلف الى بلاد السودان في التجارة فولد له أبو يزيد بكركوا من بلادهم وأمه أم ولد اسمها سبيكة ورجع به الى قيطون زناتة ببلاد قصطيلة ونزل توزر مترددا بينها و بين تقيوس وتعلم القرآن وتأدب وخالط النكارية فمال الى مذاهبهم وأخذها عنهم ورأس فيها ورحل الى مشيختهم بتيهرت وأخذ عن أبي عبيدة منهم أيام اعتقال عبيد الله المهدي بسجلماسة ومات أبوه كيداد وتركه على حال من الخصاصة والفقر فكان أهل القيطون يصلونه بفضل أموالهم وكان يعلم صبيانهم القرآن ومذاهب النكارية واشتهر عنه تكفير اهل الملة وسب علي فخاف وانتقل الى تقيوس وكان يختلف بينها و بين توزر وأخذ نفسه بالتغيير على الولاة ونمى عنه اعتقاد الخروج عن السلطان فنذر الولاة بقصطيلة دمه فخرج الى الحج سنة عشر وثلثمائة وأرهقه الطلب فرجع من نواحي طرابلس الى تقيوس ولما هلك عبيد الله أوعز القائم الى أهل قصطيلة في القبض عليه فلحق بالمشرق وقضى الغرض وانصرف الى موطنه ودخل توزر سنة خمس وعشرين مستترا وسعى به ابن فرقان عند والي البلد فتقبض عليه واعتقله وأقبل سرعان زناتة الى البلد ومعهم أبو عمار الاعمى رأس النكارية واسمه كما سبق عبد الحميد وكان ممن أخذ عنه أبو يزيد فتعرضوا للوالي في اطلاقه فتغالى عليهم بطلبه في الخراج فاجتمعوا الى فضل و يزيد ابني أبي يزيد وعمدوا الى السجن فقتلوا الحرس وأخرجوه فلحق ببلد بني واركلا وأقام بها سنة يختلف الى جبل أوراس والى بني برزال في مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة والى بني زنداك من مغراوة الى أن أجابوه فوصل الى أوراس ومعه أبو عمار الاعمى في اثني عشر من الراحلة ونزلوا على النكارية بالنوالات واجتمع اليه القرابة وسائر الخوارج وأخذ له البيعة عليهم أبو عمار صاحبه على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسبي وعلى أنهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى وذلك سنة احدى وثلاثين وترصد واغتبة

صاحب باغية فى بعض وجوهه فضربوا على بسيطها. واستباح بعض القصور بها سنة ثنتين وثلاثين وغمس بذلك أيدى البربر فى الفتنة ثم زحف بهم الى باغية واستولت عليه وعلى أصحابه الهزيمة فلحقوا بالجبل وزحف اليهم صاحب باغية فانهزم ورجع الى بلده فحاصره أبو يزيد وأوعز أبو القاسم القائم الى كتامة فى امداد كانون صاحب باغية فتلاحقت به العساكر فبيتهم أبو يزيد وأصحابه فقتلوهم وامتنعت عليه باغية وكاتب أبو يزيد البربر الذين حول قسطيلة من بنى واسين وغيرهم فحاصروا توزر سنة ثلاث وستين ورحل الى تبسة فدخلها صلحا ثم الى بجاية كذلك ثم الى مرماجنة كذلك وأهدوا له حمارا أشهب فلزم ركوبه حتى اشتهر به وبلغ خبره عساكر كتامة بالاربس فانفضوا وملك الاربس وقتل امام الصلاة بها وبعث عسكرا الى تبسة فملكوها وقتلوا عاملها وبلغ الخبر القائم وهو بالمهدية فهاله وسرح العساكر لضبط المدن والثغور وسرح مولاه بشرى الصقلى الى باجة وعقد لميسور على الجيوش فعسكر بناحية المهدية وسرح خليل بن اسحق الى القيروان فعسكر بها وزحف أبو يزيد الى بشرى بباجة واشتدت الحرب بينهم وركب أبو يزيد حماره وأمسك عصاه فاستمالت النكارية وخالفوا البشرى الى معسكره فانهزم الى تونس واقتحم أبو يزيد باجة واستباحها ودخل بشرى الى تونس وارتدت البرابر من كل ناحية فأسلم تونس ولحق بسوسة واستأمن أهل تونس الى أبى يزيد فأمنهم وولى عليهم وانتهى الى وادى مجردة فعسكر بها ووافته الحشود هنالك ورعب الناس منه فاجفلوا الى القيروان وكثرت الاراجيف وسرب أبو يزيد جيوشه فى نواحى افريقية فشنوا الغارات وأكثروا السبى والقتل والاسر ثم زحف الى رقادة فانفض كتامة الذين كانوا بها ولحقوا بالمهدية ونزل أبو يزيد رقادة فى مائة ألف ثم زحف الى القيروان فانحصر بها خليل بن اسحق ثم أخذه بعد مراوضة فى الصلح وهم بقتله فأشار عليه أبو عمار باستبقائه فلم يطعه وقتله ودخلوا القيروان فاستباحوها ولقيه مشيخة الفقهاء فأمنهم بعد التقريع والعتب وعلى أن يقتلوا أولياء الشيعة وبعث رسله فى وفد من أهل القيروان الى الناصر الاموى صاحب قرطبة ملتزما لطاعته والقيام لدعوته وطالبا لمدده فرجعوا اليه بالقبول والوعد ولم يزل يردد ذلك سائر أيام الفتنة حتى أوفد ابنه أيوب فى آخرها سنة خمس وثلاثين فكان له اتصال بالناصر سائر أيامه وزحف ميسور من المهدية بالعساكر وفر عنه بنو كملان من هوارة ولحقوا بأبى يزيد وحرضوه على لقاء ميسور فزحف اليه واستوى اللقاء واستمات أبو يزيد والنكارية فانهزم ميسور وقتله أبو كملان وبعث برأسه الى القيروان ثم الى المغرب واستبيح معسكره وسرح أبو يزيد

عساكره الى مدينة فاقتحموها عنوة وأكثروا من القتل والمثلة وعظم القتل بضواحي افريقية وخلت القرى والمنازل ومن أفلته السيف أهلكه الجوع واستخف أبو يزيد بالناس بعد قتل ميسور فلبس الحرير وركب الفاره ونكر عليه أصحابه ذلك وكاتبه به رؤساؤهم من البلاد والقائم خلال ذلك بالمهدية يخندق على نفسه ويستنفر كتامة وصنهاجة للحصار معه وزحف أبو يزيد حتى نزل المهدية وناوش عساكرها الحرب فلم يزل الظهور عليهم وملك زويلة ولما وقف بالمصلى قال القائم لاصحابه من ههنا يرجع واتصل حصاره للمهدية واجتمع اليه البربر من قابس وطرابلس ونفوسة وزحف اليهم ثلاث مرات فانهزم في الثالثة ولم يقلع وكذلك في الرابعة واشتد الحصار على المهدية ونزل الجوع بهم واجتمعت كتامة بقسنطينة وعسكروا بها لامداد القائم فسرح اليهم أبو يزيد بكموس المزاتي ورفجومة فانفض معسكر كتامة من قسنطينة ويئس القائم من مددهم وتفرقت عساكر أبي يزيد في الغارات والنهب نخف المعسكر ولم يبق به الا هوارة وراس بني كملان وكثرت مراسلات القائم للبربر واستراب بهم أبو يزيد وهرب بعضهم الى المهدية ورحل آخرون الى مواطنهم فأشار عليه أصحابه بالافراج عن المهدية فأسلموا معسكرهم ولحقوا بالقيروان سنة أربع وثلاثين ودبر أهل القيروان في القبض عليه فلم يتهيأ لهم وعذله أبو عمار فيما أتاه من الاستكثار من الدنيا فتاب وأقلع وعاود لبس الصوف والتقشف وشاع خبر اجفاله عن المهدية فقتل النكارية في كل بلد وبعث عساكره فعاثوا في النواحي وأوقعوا بأهل الامصار وخربوا كثيرا منها وبعث ابنه أيوب الى باجة فعسكر بها ينتظر وصول المدد من البربر وسائر النواحي فلم يفجأه الا وصول علي بن حمدون الاندلسي صاحب المسيلة في حشد كتامة وزواوة وقد مر بقسنطينة والاربص وسقنبارية واستصحب منها العساكر فبيته أيوب وانفض معسكره وتردى به فرسه في بعض الاوعار فهلك ثم زحف أيوب في عسكره الى تونس وقائدها حسن بن علي من دعاة الشيعة فانهزم ثم أتيحت له الكرة ولحق حسن بن علي ببلد كتامة فعسكر بهم على قسنطينة وسرح أبو يزيد جموع البربر لحربه ثم اجتمعت لابي يزيد حشود البربر من كل ناحية وثابت اليه قوته وارتحل الى سوسة فحاصرها ونصب عليها المجانيق وهلك القائم سنة أربع وثلاثين في شوال وصارت الخلافة لابنه اسمعيل المنصور فبعث بالمدد الى سوسة بعد أن اعتزم على الخروج اليها بنفسه فمنعه أصحابه ووصل المدد الى سوسة فقاتلوا أبا يزيد فانهزم ولحق بالقيروان فامتنعت عليه فاستخلص صاحبه أبا عمار من أيديهم وارتحل عنهم وخرج المنصور من المهدية الى سوسة ثم الى القيروان فملكها وعفا

عن أهلها وأمّنهم وأحسن في مخلف أبي يزيد وعياله ووافى المدد الى أبي يزيد ثالثة فاعتزم على صاحب القيروان وزحف الى عسكر المنصور بساحتها فبيتهم واشتدّ الحرب واستمات الاولياء وافترقوا آخر نهارهم وعاودوا الزحف مرّات ووصل المدد الى المنصور من الجهات حتى اذا كان منتصف المحرّم كان الفتح وانهزم أبو يزيد وعظم القتل في البربر ورحل المنصور في اتباعه فرّ
حتى انتهى
الى باغاية ووافاه بها كتاب محمد بن خزر بالطاعة والولاية والاستعداد للمظاهرة فكتب اليه بترصد أبي يزيد والقبض عليه ووعده في ذلك بعشرين حملا من المال ثم رحل الى طبنة فوافاه بها جعفر بن علي عامل المسيلة بالهدايا والاموال وبلغه أنّ أبا يزيد نزل بسكرة وانه كاتب محمد بن خزر يسأله النصرة فلم يجد عنده ما يرضيه فارتحل المنصور الى بسكرة فتلقاه اهلها وفرّ أبو يزيد الى بني برزال بجبل سالات ثم الى جبل كتامة وهو جبل عياض لهذا العهد وارتحل المنصور في أثره الى ومرة وبيّته أبو يزيد هنالك فانهزم ولم يظفر وانحاز الى جبل سالات ثم لحق بالرمال ورجع عنه بنو كملان وأمّنهم المنصور على يد محمد بن خزر وسار المنصور في التبعية حتى نزل جبل سالات وارتحل وراءه الى الرمال ثم رجع ودخل بلاد صنهاجة وبلغه رجوع أبي يزيد الى جبل كتامة فرجع اليه ونزل عليه المنصور في كتامة وعجيسة وزواوة وحشد بني زنداك ومزاتة ومكناسة ومكلاتة وتقدّم المنصور اليه فقاتلوا أبا يزيد وجموع النكارية فهزموهم واعتصموا بجبل كتامة ورحل المنصور الى المسيلة وانحصر أبو يزيد في قلعة الجبل وعسكر المنصور ازاءها واشتدّ الحصار وزحف اليها مرات ثم اقتحمها عليهم فاعتصم أبو يزيد بقصر في ذروة القلعة فأحيط به واقتحم وقتل أبو عمار الاعمى ويكموس المزاتي ونجا أبو يزيد مثخنا بالجراحة محمولا بين ثلاثة من أصحابه فسقط في مهواة من الاوعار فوهن وسيق من الغداة الى المنصور فأمر بمداواته ثم أحضره ووبّخه وأقام الحجة عليه وتجافى عن دمه وبعثه الى المهدية وفرض له بها الجراية فجزاه خيرا وحمل في القفص فمات من جراحته سنة خمس وثلاثين وأمر به فسلخ وحشي جلده بالتبن وطيف به في القيروان وهرب الفلّ من أصحابه الى ابنه فضل وكان مع معبد بن خزر فأغاروا على ساقة المنصور وكمن لهم زيري بن مناد أمير صنهاجة فأوقع بهم ولم يزل المنصور في اتباعه الى أن نزل المسيلة وانقطع أثر معبد ووافاه بعسكره هنالك انتقاض حميد بن يصل عامل تيهرت من أوليائهم وانه ركب البحر من تنس الى العدوة فارتحل الى تيهرت وولى عليها وعلى تنس ثم قصد لواتة فهربوا الى الرمال ورجع الى افريقية سنة خمس وثلاثين ثم بلغه ان فضل بن أبي يزيد أغار على جهات قصطيلة فرحل من سنته في طلبه وانتهى الى قفصة

ثم ارتحل الى   من أعمال الزاب وفتح حصن ماداس مما يليه وهرب فضل فى الرمال فأعجزه ورجع الى القيروان سنة ست وثلاثين ومضى فضل الى جبل أوراس ثم سار منه الى باغاية فحصرها وغدر به ماطيط بن يعلى من أصحابه وجاء برأسه الى المنصور وانقرض أمر ابى يزيد وبنيه وافترقت جموعهم واغتال عبد الله بن بكار من رؤساء مغراوة بعد ذلك أيوب بن أبى يزيد وجاء برأسه الى المنصور متقربا اليه وتتبع المنصور قبائل بنى يفرن بعدها الى أن انقطع أثر الدعوة والبقاء لله تعالى وحده

الخبر عن الدولة الاولى لبنى يفرن بالمغرب الاوسط والاقصى ومبادى أمورهم ومصايرها

كان لبنى يفرن من زناتة بطون كثيرة وكانوا متفرقين بالمواطن فكان منهم بافريقية بنو واركو ومرنجيصة وغيرهم كما قدمناه وكان منهم بنواحى تلمسان ما بينها وبين تاهرت أمم كثير عددهم وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان كما نذكره بعد ومنهم أبو قرة المنترى بتلك الناحية لاول الدولة العباسية وهو الذى حاصر عمر بن حفص بطبنة كما تقدم ولما انقرض أمر أبى يزيد وأثخن المنصور فيمن كان بافريقية من بنى يفرن أقام هؤلاء الذين كانوا بنواحى تلمسان على وفودهم وكان رئيسهم لعهد أبى يزيد محمد بن صالح ولما ولى المنصور محمد بن خزر قومه مغراوة وكان بينه وبين بنى يفرن هؤلاء فتنة هلك فيها محمد بن صالح على يد عبد الله بن بكار من بنى يفرن كان متحيزا الى مغراوة وولى أمره فى بنى يفرن من بعده ابنه يعلى فعظم صيته واختط مدينة ايفكان ولما خطب عبد الرحمن الناصر طاعة الاموية من زناتة أهل العدوة واستألف ملوكهم سارع يعلى لاجابته واجتمع عليها مع الخير بن محمد بن خزر وقومه مغراوة وأجلب على وهران فملكها سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة من يد محمد بن عون وكان ولاه عليها صولات اللميطى أحد رجالات كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين فدخلها يعلى عنوة على بنيه وخربها وكان يعلى قد زحف مع الخير ابن محمد الى تاهرت وبرز اليه ميسور الخصى فى شيعته من لماية فهزموهم وملكوا تاهرت وتقبض على ميسور وعبد الله بن بكار فبعث به الخير الى يعلى بن محمد ليثار به فلم يرضه كفؤا لدمه ودفعه الى من أثار به من بنى يفرن واستفحل سلطان يعلى فى ناحية المغرب وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهرت الى طنجة واستدعى من الناصر تولية رجال بيته على امصار المغرب فعقد على فاس محمد بن الخير بن محمد بن عشيرة ونسك محمد لسنة من ولايته واستأذن فى الجهاد والرباط بالاندلس فأجاز لذلك واستخلف على عمله ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد وهو الذى اختط مأذنة القرويين سنة أربع وأربعين كما ذكرناه ولم يزل سلطان يعلى بن محمد بالمغرب عظيما الى أن أغزى بعد المعز لدين الله كاتبه جوهر الصقلى من القيروان الى المغرب سنة

سبع وأربعين فلما فصل جوهر بالجنود بادر امير زناتة بالمغرب يعلى بن محمد اليفرنى الى لقائه والاذعان لطاعته والانحياش اليه ونبذ عهد البيعة عن قومه بنى يفرن وزناتة فتقبلها جوهر وأضمر الفتك به وتخير لذلك يوم فصوله من بلده وأسر الى بعض مستخلصيه من الاتباع فأوقعوا نفرة فى أعقاب العسكر طار اليها الزعماء من كتامة وصنهاجة وزناتة وتقبض على يعلى فهلك فى وطيس تلك الهيعة فغص بالرماح على أيدى رجالات كتامة وصنهاجة وذهب دمه هدرا فى القبائل وخرب جوهر مدينة ايفكان وفرت زناتة أمامه وكشف القناع فى مطالبتهم (وقد ذكر) بعض المؤرخين ان يعلى انما لقى جوهرا عند منصرفه من الغزاة بمدينة تاهرت وهنالك كان فتكه به بناحية شلف فتفرقت بعدها جماعة بنى يفرن وذهب ملكهم فلم يجتمعوا الا بعد حين على ابنه بدوى بالمغرب كما نذكره ولحق الكثير منهم بالاندلس كما يأتى خبرهم فى موضعه وانقرضت دولة بنى يفرن هؤلاء الى أن عادت بعد مدة على يد يعلى بفاس ثم استقرت آخرا بسلا وتعاقب فيهم هنالك الى آخرها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن الدولة الثانية لبنى يفرن بسلا من المغرب الاقصى وأولية ذلك وتصاريفه)

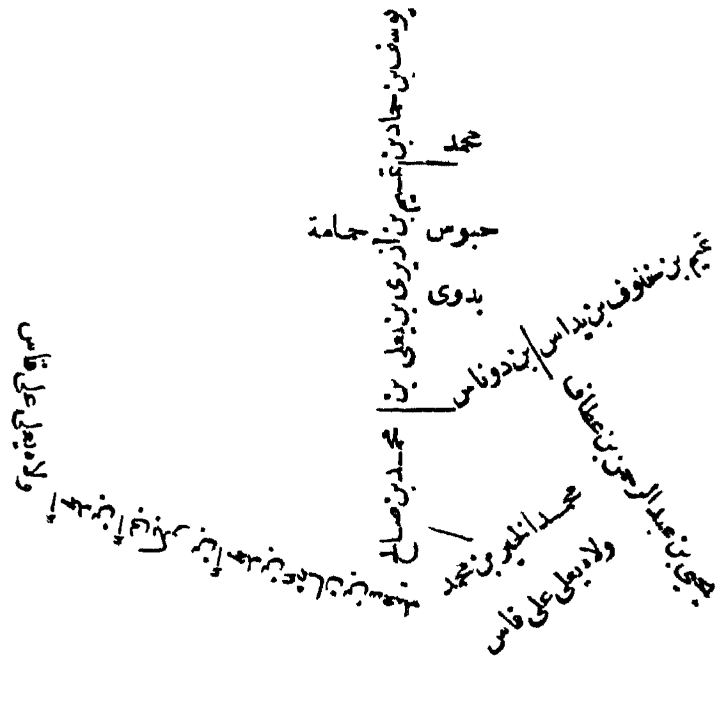
لما أوقع جوهر الكاتب قائد المعز بيعلى بن محمد أمير بنى يفرن وملك المغرب سنة سبع وأربعين كما ذكرناه وتفرقت جموع بنى يفرن لحق ابنه بدوى بن يعلى بالمغرب الاقصى وأحس بجوهر من ورائه فأبعد المفر وأصحر الى أن رجع جوهر من المغرب ويقال ان جوهرا انقبض عليه واحتمله أسيرا فاعتقل الى ان فر من معتقله بعد حين واجتمع عليه قومه من بنى يفرن وكان جوهر عند منصرفه من المغرب ولى على الادارسة المتحيزين الى الريف وبلاد غمارة الحسن بن كنون شيخ بنى محمد منهم فنزل وأجاز الحكم المستنصر لاول ولايته سنة خمس وثلثمائة وزيره محمد بن قاسم بن طملس فى العساكر لتدويخ المغرب واقتلاع جرثومة الادارسة فأجاز فى العساكر وغلبهم على بلادهم وأزعجهم جميعا عن المغرب الى الاندلس سنة خمس وستين كما ذكرناه ومهد دعوة الاموية بالمغرب وأقبل الحكم مولاه غالبا وورده الى الثغر لسده وعقد على المغرب ليحيى بن محمد بن هاشم التجيبى صاحب الثغر الاعلى وكان أجازه مدد الغالب فى رجال العرب وجند الثغور حتى اذا انغمس الحكم فى علة الفالج وركدت ريح المروانية بالمغرب واحتاجت الدولة الى رجالها لسد الثغور ودفاع العدو واستدعى يحيى بن محمد بن هاشم من العدوة وادالة الحاجب المصحفى بجعفر بن على بن حمدون أمير الزاب والمسيلة النازع اليهم من دعوة الشيعة وجمعوا بين الانتفاع به فى العدوة والراحة عما يتوقع منه على الدولة ومن البرابرة فى النيات الخلابية لما كانوا أصاروا اليه من النكبة وطوقوه

من المحنة ولما كان اجتمع بقرطبة من جموع البرابرة فعقدوا له ولاخيه يحيى على المغرب وخلعوا عليهما وأمكنوهما من مال دثر وكسى فاخرة للخلع على ملوك العدوة فنهض جعفر الى المغرب سنة خمس وستين وضبطه واجتمع اليه ملوك زناتة مثل بدوى بن يعلى أمير بنى يفرن وابن عمه أبو بخت بن عبد الله بن بكار ومحمد بن الخير بن خزر وابن عمه بكساس ابن سيد الناس وزيرى بن خزروز يرى ومقاتل ابنا عطية بن تبادها وخزرون بن ابن سعيد أمير مغراوة واسمعيل بن البورى أمير مكاسة ومحمد بن ابن محمد الازداجى وكان بدوى بن يعلى من أشدهم قوة وأحسنهم طاعة الحكم وولى مكانه هشام المؤيد وانفرد محمد ابن أبى عامر بحجابته اقتصر من العدوة لاول قيامه على مدينة سبتة فضبطها بجند السلطان ورجال الدولة وقلدها الصنائع من أرباب السيوف والاقلام وعول فى ضبط ماوراء ذلك على ملوك زناتة وتعهدهم بالجوائز والخلع وصار الى اكرام وفودهم واثبات من رغب فى الاثبات فى ديوان السلطان منهم فجدوا فى ولاية الدولة وبث الدعوة وفسد ما بين أميرى العدوة جعفر بن على وأخيه يحيى واقتطع يحيى مدينة لنفسه وذهب بأكثر الرجال ثم كانت على جعفر النكبة التى نكبه برغواطة فى غزاته اياهم واستدعاه محمد بن أبى عامر لاول أمره لما رآه من استقامته اليه وشد ازره وتلوى عليه كراهية لما يلقى بالاندلس من الحكم ثم وتخلى لاخيه عن عمل المغرب وأجاز البحر الى ابن أبى عامر فحل منه بالمكان الاثير وتناغت زناتة فى التزلف الى الدولة بقرب الطاعات فزحف خزرون بن فلفول سنة ست وستين الى مدينة سجلماسة فاقتحمها ومحى دولة آل مدرار منها وعقد له المنصور عليها كما ذكرنا ذلك قبل وزحف عقب هذا الفتح بلكين بن زيرى قائد افريقية للشيعة الى المغرب سنة تسع وستين زحفه المشهور وخرج محمد بن أبى عامر من قرطبة الى الجزيرة لمدافعته بنفسه واحتمل من بيت المال مائة حمل ومن العساكر ما لا يحصى عده وأجاز جعفر بن على بن حمدون الى سبتة وانضمت اليه ملوك زناتة ورجع بلكين عنهم الى غزو برغواطة الى أن هلك سنة ثلاث وسبعين كما ذكرناه ورجع جعفر الى مكانه الى ابن أبى عامر لم يسمح بمقامه عنه ووصل حسن بن كنون خلال ذلك من القاهرة بكتاب عبد العزيز بن نزار بن معد الى بلكين صاحب افريقية فى اعانته الى ملك المغرب وامداده بالمال والعساكر فأمضاه بلكين لسبيله وأعطاه مالا ووعده باضعافه ونهض الى المغرب فوجد طاعة المروانية قد استحكمت فيه وهلك بلكين أثر ذلك وشغل ابنه المنصور عن شأنه فدعا الحسن بن كنون الى نفسه وأنفذ أبو محمد بن أبى عامر بن عمه محمد بن عبد الله و يلقب عسكلاجة

لحرب سنة خمس وسبعين وجاء أثره الى الجزيرة كما يشارف القصة وأحيط بالحسن بن كنون فسأل الامان وعقد له مقارعه عمرو عسكلاجة وأشخصه الى الحضرة فلم يمض ابن أبي عامر امامه ورأى ان لا ذمة له لكثرة نكثه فبعث من ثقاته من أتاه برأسه وانقرض أمر الادارسة وانمحى أثرهم فأغضب عمرو عسكلاجة لذلك واستراح الى الجند بأقوال نميت عنه الى المنصور فاستدعاه من العدوة وألحقه بمقتوله ابن كنون وعقد على العدوة للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى واكثف عدده وأطلق فى المال يده ونفذ الى عمله سنة ست وسبعين فضبط المغرب أحسن ضبط وهابته البرابرة ونزل فاس من العدوة فعز سلطانه وكثر جمعه وانضم اليه ملوك النواحى حتى حذر ابن أبي عامر مغبة استقلاله واستدعاه ليبلو صحة طاعته فاسرع اللحاق به فضاعف تكرمته وأعاده الى عمله وكان بدوى بن يعلى هذا من بين ملوك زناتة كثير الاضطراب على الاموية والمراوغة لهم بالطاعة وكان المنصور بن أبي عامر يضرب بينه وبين قرينه زيرى بن عطية ويقرن كلا منهما بمناغاة صاحبه فى الاستقامة وكان الى زيرى أميل وبطاعته أوثق لخلوصه وصدق طويته وانحياشه فكان يرجوان يتمكن من قياد بدوى بن يعلى بمناغاته فاستدعى بزيرى بن عطية الى الحضرة سنة سبع وسبعين فبادر الى القدوم عليه وتلقاه وأكبر موصله وأحسن مقامه ومنقلبه وأعظم جائزته وسام بدوى مثلها فامتنع وقال لرسوله قل لابن أبي عامر متى عهد حمر الوحش تنقاد للبيطارة وأرسل عنانه فى العيث والفساد ونهض اليه صاحب المغرب الوزير حسن بن عبد الودود فى عساكره وجموعه من جند الاندلس وملوك العدوة مظاهرا عليه لعدوه زيرى بن عطية وجمع لهم بدوى ولقيهم سنة احدى وثمانين فكان الظهور له وانهزم عسكر السلطان وجموع مغراوة واستلحموا وجرح الوزير حسن بن عبد الودود جراحات كان فيها الليال مهالكه وطار الخبر الى ابن أبي عامر فاغتم لذلك وكتب الى زيرى بضبط فاس ومكاتفة أصحاب حسن وعقد له على المغرب كما نستوفى ذكره عند ذكر دولتهم وغالبه بدوى عليها مرة بعد أخرى ونزع ابو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى عن قومه ولحق بسواحل تلمسان ناقضا الطاعة الشيعة وخارجا عن أخيه المنصور بن بلكين صاحب القيروان وخاطب ابن أبي عامر من وراء البحر وأوفد عليه ابن أخيه ووجوه قومه فسرب اليه الاموال والصلاة بفاس مع زيرى حسبما نذكره وجمع أيديهما على مدافعة بدوى فساء أمره فيهما جميعا الى أن راجع أبو البهار ولاية منصور بن أخيه كما نذكره بعد وحاربه زيرى فكان له الظهور عليه ولحق أبو البهار بسبتة ثم عاد الى قومه واستفحل زيرى من بعد ذلك وكانت بينه وبين بدوى وقعة اكتسح زيرى من ماله ومعسكره مالا كفوله وسبى حرمه واستلحم من قومه

زهاء ثلاثة آلاف فارس وخرج الى الصحراء شريدا سنة ثلاث وثمانين وهلك هنالك فولى أمره فى قومه حبوس ابن أخيه زيرى بن يعلى ووثب به ابن عمه أبو يداس بن دوناس فقتله طمعا فى الرياسة من بعده واختلف عليه قومه فأخفق أمله وعبر البحر الى الاندلس فى جمع عظيم من قومه وولى أمر بنى يفرن من بعده حمامة بن زيرى بن يعلى أخو حبوس المذكور فاستقام عليه أمر بنى يفرن وقد مرّ ذكره فى خبر بدوى غير مرّة وانه كانت الحرب بينه وبين زيرى بن عطية سجالا وكانا يتعاقبان ملك فاس يتناول الغلب وانه لما وفد زيرى على المنصور خالفه بدوى الى فاس فملكها وقتل بها خلقا من مغراوة وانه لما رجع زيرى اعتصم بدوى بفاس فنازله زيرى وعلك من مغراوة وبنى يفرن فى ذلك الحصار خلق ثم اقتحمها زيرى عليهم عنوة فقتله وبعث برأسه الى سدّة الخلافة بقرطبة سنة ثلاث وثمانين والله أعلم (ولما) اجتمع بنو يفرن على حمامة تحيز بهم الى ناحية شالة من المغرب فملكها وما اليها من تادلا واقتطعها من زيرى ولم يزل عميد بنى يفرن فى تلك العمالة والحرب بينه وبين زيرى ومغراوة متصلة وكانت بينه وبين المنصور صاحب القيروان مهاداة فأهدى اليه وهو محاصر لعمه حماد بالقلعة سنة ست وأربعمائة وأوفد بهديته أخاه زاوى بن زيرى فلقيه بالطبول والبنود ولما هلك حمامة قام بأمر بنى يفرن من بعده أخوه الامير أبو الكمال تميم بن زيرى بن يعلى فاستبد بملكهم وكان مستقيما فى دينه مولعا بالجهاد فانصرف الى جهاد برغواطة وسالم مغراوة وأعرض عن فتنتهم (ولما) كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة تجددت العداوة بين هذين الحيين بنى يفرن ومغراوة وثارت الاحن القديمة وزحف أبو الكمال صاحب شالة وتادلا وما الى ذلك فى جموع يفرن وبرز اليه حمامة بن المعز فى قبائل مغراوة ودارت بينهم حروب شديدة وانكشفت مغراوة وفرّ حمامة الى وجدة واستولى الامير أبو الكمال تميم وقومه على فاس وغلبوا مغراوة على عمل المغرب واكتسح تميم اليهود بمدينة فاس واصطلم نعمهم واستباح حرمهم ثم احتشد حمامة من وجدة سائر قبائل مغراوة وزناتة وبعث الحاشدين فى قياطينهم بجميع بلاد المغرب الاوسط ووصل الى تنس صريخا لزعمائهم وكاتب من بعد عنه من رجالاتهم وزحف الى فاس سنة تسع وعشرين فأفرج عنها أبو الكمال تميم ولحق ببلده ومقر ملكه من شالة وأقام بمكان عمله وموطن امارته منها الى أن هلك سنة ست وأربعين وولى ابنه حماد الى أن هلك سنة تسع وأربعين وولى بعده ابنه يوسف الى أن توفى سنة ثمان وخمسين فولى بعده عمه محمد بن الامير أبى تميم الى أن هلك فى حروب لمتونة حين غلبوهم على المغرب أجمع حسبما نذكره والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (وأمّا) أبو يداس بن دوناس قاتل

حبوس بن زيري بن يعلى بن محمد فانه لما اختلف عليه بنو يفرن وأخفق أمله في
اجتماعهم له أجاز البحر الى الاندلس سنة ثنتين وثمانين فرفعه اخوانه أبو قرة
وأبو زيد وعطاف فحل كلهم من المنصور بمحل التكرمة والايثار ونظمه في جملة
الرؤساء والامراء واسنى له الجراية والاقطاع وأثبت رجاله في الديوان ومن أجاز من
قومه فبعد صيته وعلا في الدولة كعبه (ولما) افترقت الجماعة واسترسلت الخلافة
كان له في حروب البربر مع جند الاندلس آثار بعيدة وأخبار غريبة ولما ملك المستعين
قرطبة سنة أربعمائة واجتمع اليه من كان بالاندلس من البرابرة لحق المهدي بالثغور
واستجاش طاغية الجلالقة فزحف معه الى غرناطة وخرج المستعين في جموعه من
البرابرة الى الساحل واتبعهم المهدي في جموعه فتواقعوا بوادي ارة فكانت بين
الفريقين جولة عظم بلاء البرابرة وطار لابي يداس فيما ذكروا وانهزم المهدي والطاغية
وجموعهم بعد أن تضايقت المعركة وأصابت أبا يداس بن دوناس جراحة كان فيها
مهلكه ودفن هنالك وكان لابنه خلوف وحافده تميم بن خلوف من رجالات زناتة
بالاندلس شجاعة ورياسة وكان يحيى بن عبد الرحمن بن أخيه عطاف من رجالاتهم
وكان له اختصاص ببني حمود ثم بالقاسم منهم ولاه على قرطبة أيام خلافته والبقاء لله
وحده



(الخبر عن أبي نور بن أبي قرة وما كان لهم من الملك بالاندلس أيام الطوائف)

هذا الرجل اسمه أبو نور بن أبي قرة بن أبي يفرن من رجالات البربر الذين استظهر بهم قومهم أيام الفتنة تغلب على رندة أزمان تلك الفتن وأخرج منها عامر بن فتوح من موالى الاموية سنة خمس وأربعمائة فملكها واستحدث بها لنفسه سلطانا ولما استفحل أمر ابن عباد باشبيلية واشتد على تملك أجوره من الاعمال والثغور نشأت الفتنة بينه وبين أبي نور هذا واختلف حاله معه في الولاية والانحراف وحصل له سنة ثلاث وأربعين برندة وأعمالها فيمن حصل لهم من البربر واستدعاه بعدها سنة خمسين لبعض ولائمه وكاده بكتاب أوقفه عليه على لسان جارية بقصره تشكو اليه ما نال منها ما نال ابنه من المحرم فانطلق الى بلده وقتل ابنه وشعر بالمكيدة فمات أسفا وولى ابنه الآخر أبو نصر الى سنة سبع وخمسين فغدر به بعض جنده وخرج هاربا فسقط من السور ومات وتسلم المعتمد رنده من يده ذلك ويقال ان ذلك كان عند كائنة الحمام سنة خمس وأربعين وان أبا نور هلك فيها ولما بلغ الخبر ابنه أبا نصر وقع ما وقع والله أعلم

(الخبر عن مرنجيصة من بطون بني يفرن وشرح أحوالهم)

كان هذا البطن من بني يفرن بضواحي افريقية وكانت لهم كثرة وقوة ولما خرج أبو يزيد على الشيعة وكان من أخوالهم بنو واركوا ظاهروه على أمره بما كان لهم معهم من العصبية ثم انقرض أمره وأخذتهم دولة الشيعة وأولياؤهم صنهاجة وولاتهم على افريقية بالسطوة والقهر وانزال العقوبات بالانفس والاموال الى أن تلاشوا وأصبحوا في عداد القبائل الغارمة وبقيت منهم احياء نزلوا ما بين القيروان وتونس أهل شاء وبقر وخيام يظعنون في نواحيها وينتحلون الفلح في معاشهم وملك الموحدون افريقية وهم بهذا الحال وضربت عليهم المغارم والضرائب والعسكرة مع السلطان في غزواته بعدة مفروضة يحضرون بها متى استقروا (ولما تغلب) الكعوب من بني سليم على ضواحي افريقية وأخرجوا منها الزواودة من الرياح أعداء الدولة لذلك العهد واستظهر بهم السلطان عليهم اتخذوا افريقية وطنا من قابس الى باجة ثم اشتدت ولايتهم للدولة وعظم الاستظهار بهم وأقطعهم ملك الدولة ما شاؤه من الاعمال والخراج فكان في اقطاعهم خراج مرنجيصة ولما وقعت بنو مرين على القيروان وكان بعدها في الفترة ما كان من طغيان الفتنة التي اعترفها العرب على السلطان والدولة كان لهؤلاء الكعوب المتغلبين مدد قوي من احياء مرنجيصة هؤلاء من الخيل للحملان والخيالة للاستظهار باعدادهم في الحروب فصار والهم لحمة وخولة وتملكوهم تملك العبيد حتى اذا ذهب الله بحمى الفتنة وأقام مائل الخلافة والدولة

بثراة هـذا الملك الحفصي الى الاحق به مولانا السلطان أبى العباس أحمد فانقشع الجو وأضاء الافق ودفع المتغلبين من العرب عن أعماله وقبض أيديهم عن رعاياه وأصار من تحيصة هؤلاء من صفاياه بعد انزال العقوبة بهم على لياذهم بالعرب وظعنهم معهم فراجعوا الحق وأخلصوا فى الانحياش ورجعوا الى ما ألفوه من الغرامة وقوانين الخراج وهم على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها

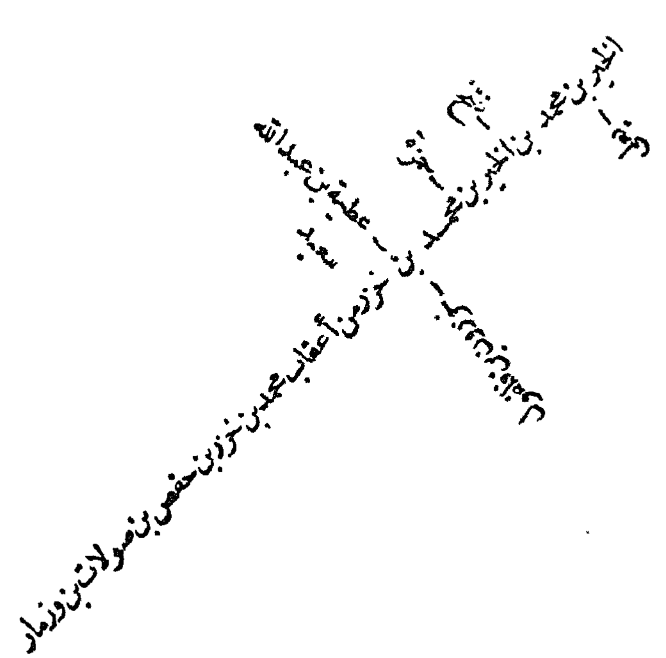
الخبر عن مغراوة من أهل الطبقة الاولى من زناتة وما كان لهم من الدول بالمغرب ومبدأ ذلك وتصاريفه

هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب منهم ونسبهم الى مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن أديرت بن جانا اخوة بنى يفرن وبنى يرنيان وقد تقدم الخلاف فى نسبهم عند ذكر بنى يفرن وأماشعوبهم وبطونهم فكثير مثل بنى يلنث وبنى زنداك وبنى رواو وورتزمير وبنى أبى سعيد وبنى ورسيعان والاعواط وبنى ريقة وغيرهم ممن لم يحضرنى أسماؤهم وكانت محلاتهم بأرض المغرب الاوسط من شلف الى تلمسان الى جبل مديونة وما اليها ولهم مع اخوانهم بنى يفرن اجتماع وافتراق ومناغاة فى أحوال البدو وكان لمغراوة هؤلاء فى بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الاسلام فأقره لهم وحسن اسلامهم وهاجر أميرهم صولات بن وزمار الى المدينة ووفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلقاه برا وقبولا لهجرته وعقد له على قومه ووطنه وانصرف الى بلاده محبوا محبورا مغتبطا بالدين مظاهر القبائل مضر فلم يزل هذا دأبه وقيل انه تقبض عليه أسيرا لاول الفتح فى بعض حروب العرب مع البربر قبل أن يدينوا بالدين فأشخصوه الى عثمان لمكانه من قومه فمن عليه وأسلم فحسن اسلامه وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بنى أمية وكانوا خاصة لهم دون قريش وظاهروا دعوة المروانية بالاندلس رعيا لهذا الولاء على ما نراه بعد فى أخبارهم ولما هلك صولات قام بأمره فى مغراوة وسائر زناتة من بعده ابنه حفص وكان من أعظم ملوكهم ثم لما هلك قام بأمره ابنه خزر وعندما تقلص ظل الخلافة عن المغرب الاقصى بعض الشئ وأطلت فتنة ميسرة المقبر ومنظغره فاعتز خزر وقومه على أمر المضرية بالقيروان واستفحل ملكهم وعظم شأن سلطانهم على البدو من زناتة بالمغرب الاوسط ثم انتقض أمر بنى أمية بالمشرق فكانت الفتنة بالمغرب فازدادوا اعتزازا وعتوا وهلك خلال ذلك خزر وقام بملكه ابنه محمد وخلص الى المغرب ادريس الاكبر بن عبد الله بن حسن بن الحسن سنة سبعين ومائة فى خلافة الهادى وقام برابرة المغرب من

أروبة وصدينة ومقيلة بأمره واستوثق لها الملك واقتطع المغرب عن طاعة بنى العباس سائر الايام ثم نهض الى المغرب الاوسط سنة أربع وسبعين فتلقاه محمد بن خزر هذا وألقى اليه المقادة وبايع له عن قومه وأمكنه من تلمسان بعد ان غلب عليها بنى يفرن أهلها وانتظم لادريس بن ادريس الامر وغلب على جميع اعمال أبيه وملك تلمسان وقام بنو خزر هؤلاء بدعوته كما كانوا لابيه وكان قد نزل تلمسان لعهد ادريس الاكبر أخوه سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن القادم اليه من المشرق وجعل له ولاية تلمسان من بعده ابنه ادريس لمحمد ابن عمه سليمان من بعده فكانت ولاية تلمسان وأمصارها في عقبه واقتسموا ولاية ثغورها الساحلية فكانت تلمسان لولد ادريس بن محمد بن سليمان وأرشكول لولد عيسى بن محمد وتنس لولد ابراهيم بن محمد بن محمد وسائر الضواحي من اعمال تلمسان لبنى يفرن ومغراوة ولم يزل الملك بضواحي المغرب الاوسط لمحمد بن خزر كما قلناه الى ان كانت دولة الشيعة واستوثق لهم ملك افريقية وسرح عبيد الله المهدى الى المغرب عروبة بن يوسف الكتامي في عساكر كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين فدوخ المغرب الادنى ورجع ثم سرح بعده مصالة بن حبوس الى المغرب في عساكر كتامة فاستولى على اعمال الادارسة واقتضى طاعتهم لعبيد الله وعقد على فاس ليحيى بن ادريس بن عمر آخر ملوك الادارسة وخلع نفسه ودان بطاعتهم وعقد له مصالة على فاس وعقد لموسى بن أبى العافية أمير مكناسة وصاحب تازة واستولى على ضواحي المغرب وقفل الى القيروان وانتقض عمر بن خزر من أعقاب محمد بن خزر الداعية لادريس الاكبر وحمل زناتة وأهل المغرب الاوسط على البرابرة من الشيعة وسرح عبيد الله المهدى مصالة قائد المغرب في عساكر كتامة سنة تسع ولقيه محمد ابن خزر في جموع مغراوة وسائر زناتة فغل عساكر مصالة وخلص اليه فقتله وسرح عبيد الله ابنه أبا القاسم في العساكر الى المغرب سنة عشر وعقد له على حرب محمد بن خزر وقومه فأجفلوا الى الصحراء واتبع آثارهم الى ملوية فلحقوا بسجلماسة وعطف أبو القاسم على المغرب فدوخ أقطاره وجال في نواحيه وجدد لابن أبى العافية على عمله ورجع ولم يلق كيدا (ثم ان الناصر) صاحب قرطبة سما له أمل في ملك العدوة فخاطب ملوك الادارسة وزناتة وبعث اليهم خالصته محمد بن عبد الله بن أبى عيسى سنة ست عشر فبادر محمد بن خزر الى اجابته وطرد أولياء الشيعة من الزاب وملك شلب وتنس من أيديهم وملك وهران وولى عليها ابنه المنير وبث دعوة الاموية في اعمال المغرب الاوسط ما عدا تاهرت في القيام بدعوة الاموية ادريس بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول ثم فتح الناصر سبتة سنة سبع عشرة من يد الادارسة وأجار موسى بن أبى العافية على طاعته واتصلت يده بمحمد بن خزر

وتظاهروا على الشيعة وخالف فلفول بن خزر أخاه محمدا الى طاعة الشيعة وعقدله عبد الله على مغراوة وزحف الى المغرب حميد بن يصل سنة احدى وعشرين في عساكر كتامة الى عبد الله على تاهرت فانتهى الى فاس وأجفلت أمامه ظواعن زناتة ومكناسة ودوّخ المغرب وزحف من بعده ميسور الخصي سنة ثنتين وعشرين لحاصر فاسا وامتنعت عليه ورجع ثم انتقض حميد بن يصل سنة ثمان وعشرين وتحيز الى محمد بن خزر ثم أجاز الى الناصر وولاه على المغرب الاوسط ثم شغل الشيعة بفتنة أبي يزيد وعظمت آثار محمد بن خزر وقومه من مغراوة وزحفوا الى تاهرت مع حميد بن يصل قائد الاموية سنة ثلاث وثلاثين وزحف معه الخير بن محمد وأخوه حمزة وعمه عبد الله بن خزر ومعهم يعلى بن محمد في قومه بني يفرن وأخذوا تاهرت عنوة وقتلوا عبد الله بن بكار وأسروا قائدها ميسورا الخصي بعد ان قتل حمزة بن محمد بن خزر في حروبها وكان محمد بن خزر وقومه زحفوا قبل ذلك الى بسكرة ففتحوا وقتلوا زيدان الخصي ولما خرج اسمعيل من حصار أبي يزيد وزحف الى المغرب في اتباعه خشية محمد ابن خزر على نفسه لما سلف منه في نقض دعوتهم وقتل أتباعهم فبعث اليه بطاعة معروفة وأوعز اليه اسمعيل بطلب أبي يزيد ووعده في ذلك بعشرين حملا من المال وكان أخوه معبد بن خزر في موالاة أبي يزيد الى ان هلك وتقبض اسمعيل بعد ذلك على على معبد سنة أربعين وقتله ونصب رأسه بالقيروان ولم يزل محمد بن خزر وابنه الخير متغلبا على المغرب الاوسط ومقاسما فيه ليعلى بن محمد ووفد فتوح بن الخير سنة أربعين على الناصر مع مشيخة تاهرت ووهران فأجازهم وصرفهم الى اعمالهم ثم حدثت الفتنة بين مغراوة وصنهاجة وشغل محمد بن الخير وابنه خزر بحروبهم وتغلب يعلى بن محمد على وهران وخربها وعقد الناصر لمحمد بن يصل على تلمسان واعمالها وليعلى بن محمد على المغرب واعماله فراجع محمد بن خزر طاعة الشيعة من أجل قريعه يعلى بن محمد ووفد على المعز بعد مهلك أبيه اسمعيل سنة ثنتين وأربعين فأولاه تكرمة وتم على طاعتهم الى ان حضر مع جوهر في غزاته الى المغرب باعوام سبع أو ثمان وأربعين ثم وفد على المعز بعد ذلك سنة خمسين وهلك بالقيروان وقد نيف على المائة من السنين وهلك الناصر المرواني عامئذ على حين انتشرت دعوة الشيعة بالمغرب وانقبض أولياء الاموية الى اعمال سبتة وطنجة فقام بعده ابنه الحكم المستنصر واستأنف مخاطبة ملوك العدوة فأجابه محمد بن الخير بن محمد بن خزر بما كان من أبيه الخير وجده محمد في ولاية الناصر والولاية التي لبني أمية على آل خزر بوصية عثمان بن عفان لصولات بن وزمار جدهم كما ذكرناه فاثخن في الشيعة ودوّخ بلادهم ورماه معد بقرينه زيري بن مناد أمير صنهاجة فعقدله

على حرب زناتة وسوّغه ما غلب عليه من أعمالهم وجمعوا للحرب سنة ستين ومائتين فلقي بلكين بن زيري جموعهم بدسيسة من بعض أولياء محمد بن الخير قبل أن يستكمل تعبيتهم فابلى منهم ناسا صبرا واشتدت الحرب بينهم وانهزمت زناتة حتى اذا رأى محمد بن الخير ان قد أحيط به انتبذ الى ناحية من العسكر وذبح نفسه واستمرت الهزيمة على قومه ووجد منهم في المعركة سبعة عشر أميرا سوى الاتباع وتحيز كل الى فريقه وولى بعد محمد في مغراوة ابنه الخير وأغرى بلكين بن زيري الخليفة معدا الجعفر بن علي ابن حمدون صاحب المسيلة والزاب بموالاة محمد بن الخير فاستراب جعفر وبعث عنه معد لولاية افريقية حتى اعتزم على الرحيل الى القاهرة فاشتدت استرابته ولحق بالخير ابن محمد وقومه وزحفوا الى صنهاجة فأثخنت لهم الكرة وأصيب زيري بن مناد كبير العصابة وبعثوا برأسه الى قرطبة في وفد من وجوه بني خزر مع يحيى بن علي أخي جعفر ثم استراب بعدها جعفر من زناتة ولحق بأخيه يحيى ونزلوا على الحكم وعقد معد لبلكين ابن زيري على حرب زناتة وامده بالاموال والعساكر وسوغه ما تغلب عليه من أعمالهم فنهض الى المغرب سنة احدى وستين وأوغر بالبرابرة منهم وتعرى أعمال وباغاية والمسيلة وبسكرة وأجفلت زناتة امامه وتقدم الى تاهرت فمحا من المغرب الاوسط آثار زناتة ولحق بالمغرب الاقصى واتبع بلكين آثار الخير بن محمد وقومه الى سجلماسة فأوقع بهم وتقبض عليهم فقتله صبرا ونفض جموعهم ودوّخ المغرب وانكفأ راجعا ومرّ بالمغرب الاوسط فاكتسح وادي زناتة ومن اليهم من المصامدين ورفع الامان على كل من ركب فرسا أو أنتج خيلا من سائر البربر ونذر دماءهم فأقفر المغرب الاوسط من زناتة وصار الى ماوراء ملوية من بلاد المغرب الاقصى الى ان كان من رجوع بني يعلى بن محمد الى تلمسان وملكهم اياها ثم ملك بنو خزر بسجلماسة وطرابلس وملك بني زيري بن عطية بفاس ما نحن ذاكروه ان شاء الله تعالى



الخبر عن آل زيري بن عطية ملوك فاس وأعمالها من الطبقة الاولى من مغراوة وما كان لهم بالمغرب الاقصى من الملك والدولة ومبادى ذلك وتصاريفه

كان زيري هذا أمير آل خزر في وقته ووارث ملكهم البدوي وهو الذي مهد الدولة بفاس والمغرب الاقصى وأورثها بنيه الى عهد لمتونة حسبما نستوفي شرحه واسمه زيري بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر وجده عبد الله أخو محمد داعية الناصر الذي هلك بالقيروان كما ذكرناه وكانوا أربعة اخوة محمد ومعبد الذي قتله اسمعيل وفلفول الذي خالف محمدا الى ولاية الشيعة وعبد الله هذا وكان يعرف بأمه واسمها تبادلت وقد قيل ان عبد الله هذا هو ابن محمد بن خزر وأخوه حمزة بن محمد الهالك في حربه مع ميسور عند فتح تاهرت ولما هلك الخير بن محمد كما قلناه بيد بلكين سنة احدى وستين وارتحلت زناتة الى ماوراء ملوية من المغرب الاقصى وصار المغرب الاوسط كله لصنهاجة واجتمع مغراوة الى بقية آل خزر وأمراؤهم يومئذ محمد بن خير المذكور ومقاتل وزيري ابنا مقاتل بن عطية بن عبد الله وخزرون بن فلفول ثم كان ما ذكرناه من ولاية بلكين بن زيري على افريقية وزحف الى المغرب الاقصى زحفه المشهور سنة تسع وستين وأجفلت أمامه ملوك زناتة من بني خزر وبني محمد بن صالح وانحازوا جميعا الى سبتة وأجاز محمد بن الخير البحر الى المنصور بن أبي عامر صريخا فخرج المنصور

فى عساكره الى الجزيرة ممدّا لهم بنفسه وعقد لجعفر بن على على حرب بلكين وأجازه البحر وأمدّه بمائة حمل من المال فاجتمعت اليه ملوك زناتة وضربوا مصافهم بساحة سبتة واظل عليهم بلكين من جبل تطاون فرأى مالا قبل له به فارتحل عنهم وأشغل نفسه بجهاد برغواطة الى ان هلك منصرفا من المغرب سنة ثنتين وسبعين كما ذكرناه وعاد جعفر بن على الى مكانه من الحضرة وساهمه المنصور فى حمل الرياسة وبقى المغرب غفلا من الولاية واقتصر المنصور على ضبط سبتة ووكل الى ملوك زناتة دفاع صنهاجة وسائر أولياء الشيعة وقام يلو طاعتهم الى أن قام بالمغرب الحسن بن كنون من الادارسة بعثه العزيز نزار من مصر لاسترجاع ملكه بالمغرب وأمده بلكين بعسكر من صنهاجة وهلك على   ذلك بلكين ودعا الحسن الى أمره بالمغرب وانضم اليه بدوى بن يعلى بن محمد اليفرنى وأخوه زيرى وابن عمه أبو بداس فيمن اليهم من بنى يفرن فسرّح المنصور لحربه ابن عمه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبى عامر الملقب عسكلاجه وبعثه بالعساكر والاموال فأجاز البحر وانحاش اليه ملوك آل خزر محمد بن الخير ومقاتل وزيرى ابنا عطية وخزرون بن فلفول فى جميع مغراوة وظاهروه على شانه وزحف بهم أبو الحكم بن أبى عامر الى الحسن بن كنون حتى الجؤه الى الطاعة وسأل الامان على نفسه فعقد له عمرو بن أبى عامر مارضيه من ذلك وأمكن به من قياده وأشخصه الى الحضرة فكان من قتله واخفار ذمة أبى الحكم بن أبى عامر وقتله بعده ماتقدم حسبما ذكرناه ذلك من قبل وكان مقاتل وزيرى ابنا عطية من بين ملوك زناتة أشدّ الناس انحياشا للمنصور وقياما بطاعة المروانية وكان بدوى بن يعلى وقومه بنو يفرن منحرفين عن طاعتهم ولما انصرف أبو الحكم بن أبى عامر من المغرب عقد المنصور عليه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى وأطلق يده فى انتقاء الرجال والاموال فأنفذه الى عمله سنة ست وسبعين وأوصاه بملوك مغراوة من زناتة واستبلغ بمقاتل وزيرى من بينهم لحسن انحياشهم وطاعتهم وأغراه ببدوى بن يعلى المضطرب الطاعة الشديد المراوغة فنفذ لعمله ونزل بفاس وضبط أعمال المغرب واجتمعت اليه ملوك زناتة وهلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين واستقل برياسة الظواعن البدو من مغراوة اخوة زيرى بن عطية وحسنت مخالته لابن عبد الودود صاحب المغرب والمحاشه بقومه اليه واستدعاه المنصور من محله بفاس سنة احدى وثمانين اشادة بتكريمه واغراء ببدوى بن يعلى بمنافسته فى الحظ وايثار الطاعة فبادر الى اجابته بعد ان استخلف على المغرب ابنه المعز وأنزله بتلمسان ثغر المغرب وولى على عدوة القرويين من فاس على بن محمود بن أبى على قشوش وعلى عدوة الاندلسيين عبد الرحمن بن عبد

الكريم بن ثعلبة وقدّم بين يديه هدية الى المنصور ووفد عليه فاستقبله بالجيوش والعدة واحتفل للقائه وأوسع نزله وجرايته ونوه باسمه فى الوزارة وأقطعه رزقها وأثبت رجاله فى الديوان ووصله بقيمة هديته وأسنى فيها وأعظم جائزته وجائزة وفده وعجل تسريحه الى عمله فقفل الى امارته من المغرب ونمى عنه خلاف ما احتسب فيه من حط المعروف وانكار الصنيع والاستنكاف من لقب الوزارة الذى نوه به حتى انه قال لبعض حشمه وقد دعاه بالوزير وزير من يا لكع فلا والله الا أمير ابن أمير واعجبا من ابن أبى عامر ومخرقته والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله وان له منا ليوما والله لقد تاجرنى فيما أهديت اليه حط القيم ثم غالطنى بما بذله ثمينا للكرم الا أن يحتسب بثمن الوزارة التى حطنى بها من رتبتى ونمى ذلك الى ابن أبى عامر فصرّ عليها أذنه وزاد فى اصطناعه وبعث بدوى بن يعلى اليفرنى قريعه فى ملك زناتة يدعوه الى الوفادة فأساء اجابته وقال متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبياطرة وأخذ فى افساد السابلة والاجلاب على الاحياء والعيث فى العمالة فأوعز المنصور الى عامله بالمغرب الوزير حسن بن عبد الودود بنبذ العهد اليه ومظاهرة عدوه زيرى بن عطية عليه فجمعوا له سنة احدى وثمانين ولقوه فكانت الدائرة عليهم وتحزم العسكر وأثبت الوزير بن عبد الودود جراحة كان فيها حتفه وبلغ الخبر الى المنصور فشق عليه وأهمه شأن المغرب وعقد عليه لوقته لزيرى بن عطية وكتب اليه بعهده وأمر بضبط المغرب ومكانفة جند السلطان وأصحاب حسن بن عبد الودود فاطلع باعبائه وأحسن الغناء فى عمله واستفحل شأن بدوى بن يعلى وبنى يفرن واستغلظوا على زيرى بن عطية وأصلوه نار الفتنة وكانت حروبهم سجالا وسئمت الرعايا بفاس كثرة تعاقبهم عليها وانتزاؤهم على عملها وبعث الله لزيرى بن عطية ومغراوة مددا من أبى البهار بن زيرى بن مناد بما كان انتقض على ابن أخيه منصور بن بلكين صاحب القيروان ونزع عن دعوة الشيعة الى المروانية واقتفى أثره فى ذلك خلوف بن أبى بكر صاحب تاهرت وأخوه عطية لصهر كان بينهما وبين فاقتسموا أعمال المغرب الاوسط ما بين الزاب وأنشريس وهدان وخطبوا فى سائر منابرها باسم هشام المؤيد وخاطب أبو البهار من وراء البحر محمد بن أبى عامر وأوفد عليه أبا بكر بن أخيه حبوس بن زيرى فى طائفة من أهل بيته ووجوه قومه فاستقبلوا ابا الحسن مائة قطعة من صنوف الثياب الخز والعبيد وما قيمته عشرة آلاف درهم من الآنية والحلى وبخمسة وعشرين ألفا من الدنانير ودعاه الى مظاهرة زيرى بن عطية على بدوى بن يعلى وقسم بينهما أعمال المغرب شق الابلة حتى لقد اقتسما مدينة فاس عدوة بعدوة فلم يرع ذلك بدوى ولا وزعه عن

شأنه من الفتنة والاجلاب على البدو والحاضرة وشق عصا الجماعة وانتقض خلوف بن أبي بكر على المنصور لوقته وراجع ولاية المنصور بن بلكين ومرض أبو البهار في المظاهرة عليه للوصلة التي بينهما وقعد عما قام له زيري بن عطية من حرب خلوف بن أبي بكر وأوقع به زيري في رمضان سنة احدى وثمانين واستلحمه وكثيرا من أوليائه واستولى على عسكره وانحاش اليه عامة أصحابه وفر عطية شريدا الى الصحراء ثم نهض على اثرها البدوي بن يعلى وقومه فكانت بينهم لقاآت انكشف فيها أصحاب بدوي واستلحم منهم زهاء ثلاثة آلاف واكتسح معسكره وسبيت حرمه التي كانت منهن أمه وأخته وتحيز سائر أصحابه الى فئة زيري وخرج شريدا الى الصحراء الى ان اغتاله ابن عمه أبو يداس بن دوناس كما ذكرناه وورد خبر الفتحين متعاقبين على المنصور فعظم موقعهما لديه وقد قيل ان مقتل بدوي انما كان عند اياب زيري من الوفادة وذلك أنه لما استقدمه المنصور ووفد عليه كما ذكرناه خالفه بدوي الى فاس فملكها وقتل من مغراوة خلقا واستمكن بها أمره فلما رجع زيري من وفادته امتنع بها بدوي فنازله زيري وطال الحصار وهلك من الفريقين خلق ثم اقتحمها عليه عنوة وبعث برأسه الى سدة الخلافة بقرطبة الا أن راوي هذا الخبر يجعل وفادة زيري على المنصور وقتله لبدوي سنة ثلاث وثمانين فالله أعلم أي ذلك كان (ثم ان زيري) فسد ما بينه وبين أبي البهار الصنهاجي وتزاحفا فأوقع به زيري وانهزم أبو البهار الى سبتة مورّيا بالعبور فبادر بكاتبه عيسى بن سعيد بن القطاع في قطعة من الجند الى تلقيه فخادعن لقائه وصاعد الى قلعة جراوة وقد قدم الرسل الى ابن أخيه المنصور صاحب القيروان مستميلا الى أن التحم ذات بينهما ثم تحيز اليه وعاد الى مكانه من عمله وخلع ما تمسك به من طاعة الاموية وراجع طاعة الشيعة فجمع المنصور لزيري بن عطية أعمال المغرب واستكفى به في سد الثغور وعوّل عليه من بين ملوك المغرب في الذب عن الدعوة وعهد اليه بمناجزة أبي البهار وزحف اليه زيري في أمم عديدة من قبائل زناتة وحشود البربر وفر أمامه ولحق بالقيروان واستولى زيري على تلمسان وسائر أعمال أبي البهار وملك ما بين السوس الاقصى والزاب فاتسع ملكه وانبسط سلطانه واشتدت شوكته وكتب بالفتح الى المنصور بمائتين من الخيل وخمسين جملا من المهاري السبق وألف درقة من جلود اللمط وأحمال من قسي الزاب وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره وألف حمل من التمر وأحمال من ثياب الصوف الرفيعة كثيرة فجدد له عهده على المغرب سنة احدى وثمانين وأنزل أحياءه بانحاء فاس في قياطينهم واستفحل أمر زيري بالمغرب ودفع بني يفرن عن فاس الى نواحي سلا واختط

مدينة وجدة سنة أربع وثمانين وأنزلها عساكره وحشمه واستعمل عليها ذويه ونقل اليها ذخيرته وأعدها معتصما وكانت ثغرا للعمالتين المغرب الاقصى والاوسط (ثم فسد) ما بينه وبين المنصور بما نمي عنه من التألف لهشام باستبداد المنصور عليه فسامه المنصور الهضيمة وأبى منها وبعث كاتبه ابن القطاع في العساكر فاستعصى عليه وأمكنه صاحب قلعة حجر النسر منها فأشخصه الى الحضرة وأحسن اليه المنصور وسماه الناصح وكشف زيري وجهه في عداوة ابن أبي عامر والاغراء به والتشيع للمؤيد والامتعاض له من هضيمته وحجره فسخطه عند ابن أبي عامر وقطع عنه رزق الوزارة ومحى اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه وعقد لواضح مولاه على المغرب وعلى حرب زيري بن عطية الحامات من سائر الطبقات وأزاح عللهم وأمكنه من الاموال للنفقات واحمال السلاح والكسى وأصحبه طائفة من ملوك العدوة كانوا بالحضرة منهم محمد بن الخير وزيري بن خزرون وابن عمهما بكساس بن سيد الناس ومن بني يفرن أبو بخت بن عبد الله بن مدين ومن ازداجة خزرون بن محمد وأمره بوجوه الجند وفصل من الحضرة سنة سبع وثمانين وسار في التعبية وأجاز البحر الى طنجة فعسكر بوادي ردات وزحف زيري بن عطية في قومه فعسكر ازاءه وتواقفا ثلاثة أشهر وأتهم واضح رجالات بني مرزال بالادهان فأشخصهم الى الحضرة وأغرى بهم المنصور فوبخهم وتنصلوا فصفح عنهم وبعثهم في غير ذلك الوجه ثم تناول واضح أصيلا ونكور فضبطهما واتصلت الوقائع بينه وبين زيري وبيت واضح معسكر زيري بنواحي أصيلا وهم غارون فأوقع بهم وخرج ابن أبي عامر من الحضرة لاستشراف أحوال واضح وامداده فسار في التعبية واحتل بالجزيرة عند فرصة المجاز ثم بعث عن ابنه المظفر من مكان استخلافه بالزاهرة وأجاز الى العدوة واستكمل معه أكابر أهل الخدمة وجلة القواد وقفل المنصور الى قرطبة واستراع خبر عبد الملك بالمغرب ورجع اليه عامة أصحاب زيري من ملوك البربر وتناولهم من احسانه وبره مالم يعهد وامثاله وزحف عبد الملك الى طنجة واجتمع مع واضح وتلوم هنالك مزيحا العلل العسكر فلما استتم تدبيره زحف في جمع لا كفاء له فلقيه زيري بوادي مني من احواز طنجة في شوال سنة ثمان وثمانين فدارت بينهم حروب شديدة وهم فيها أصحاب عبد الملك وثبت هو وبينما هم في حومة الحرب اذ طعن زيري بعض المتوزين من أتباعه اهتبل الغرة في ذلك الموقف فطعنه ثلاثا في نحره وأشواه بها ومر يشتد نحو المظفر وبشره فاستكذبه لثبوت رؤيته ثم سقط اليه الصحيح فشد عليهم فاستوت الهزيمة وأثخن فيهم بالقتل واستولى على ما كان في عسكرهم مما يذهب فيه الوصف ولحق زيري بفاس جريحا في قلة فامتنع عليه

أهلها ودافعوه بحرمه فاحتملهن وفر أمام العساكر الى الصحراء وأسلم جميع أعماله وطير
عبد الملك بالفتح الى أبيه فعظم موقعه عنده وأعلن بالشكر لله والدعاء وبث الصدقات
وأعتق الموالى وكتب الى ابنه عبد الملك بعهده على المغرب فأصلح نواحيه وسد ثغوره
وبعث العمال فى جهاته فأنفذ محمد بن الحسن بن عبد الودود فى جند كثيف الى تادلا
واستعمل حميد بن يصل المكناسى على سجلماسة فخرج كل لوجهه واقتضوا الطاعة
وحملوا اليه الخراج وأقفل المنصور ابنه عبد الملك فى جمادى من سنة تسع وثمانين
وعقد على المغرب لواضح فضبطه واستقام على تدبيره ثم عزله فى رمضان من سنته
بعبيد الله بن أخيه يحيى ثم ولى عليه من بعده اسمعيل بن البورى من بعد
بالاخوص معن بن عبد العزيز التجيبى الى أن هلك المنصور وأعاد المظفر بن المعز بن
زيرى من منتبذه بالمغرب الاوسط لولاية أبيه بالمغرب فنزل فاس وكان من خبر زيرى أنه
لما استقل من نكبته وهزيمة عبد الملك اياه واجتمع اليه بالصحراء فل مغراوة وبلغه
اضطراب صنهاجة واختلافهم على باديس بن المنصور بعد مهلك أبيه وأنه خرج عليه بعد
عمومته مع ماكس بن زيرى فصرف وجهه حينئذ الى أعمال صنهاجة ينتهز فيها الفرصة
واقتحم المغرب الاوسط ونازل تاهرت وحاصر بها يطوفة بن بلكين وخرج باديس من
القيروان صريخا له فلما مر بطبنة امتنع عليه فلفول بن خزرون وخالفه الى افريقية
فشغل بحربه وكان أبو سعيد بن خزرون لحق بافريقية وولاه المنصور على طبنة كما ذكره
فلما انتقض سار اليه باديس ودفع حماد بن بلكين فى عساكر صنهاجة الى مدافعة زيرى
ابن عطية فالتقيا بوادى ميناس قرب تاهرت فكانت الدائرة على صنهاجة واحتوى
زيرى على معسكرهم واستلحم ألوفا منهم وفتح مدينة تاهرت وتلمسان وشلف وتنس
وأقام الدعوة فيها كلها للمؤيد هشام ولحاجبه المنصور من بعده ثم اتبع آثار صنهاجة
الى أشير قاعدة ملكهم فأناخ عليها واستأمن اليه زاوى بن زيرى ومن معه من أكابر
أهل بيته المنازعين لباديس فأعطاهم منه ما سأل وكتب الى المنصور بذلك يسترضيه
ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان أعيد الى ولايته ويستأذنه فى قدوم زاوى
وأخيه علال فأذن لهما وقدما سنة تسعين وسأل أخوهما أبو البهار مثل ذلك وأنفذ
رسله بذكر تقديمه فسوّفه المنصور لما سبق من نكثه واعتل زيرى بن عطية وهو بمكانه
من حصار أشير فأفرج عنها وهلك فى منصرفه سنة احدى وتسعين واجتمع آل خزر
وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيرى فبايعوه وضبط أمرهم وأقصر عن محاربة
صنهاجة ثم استجدى للمنصور واعتلق بالدعوة العامرية وصلحت حاله عندهم وهلك
المنصور خلال ذلك ورغب المعز من ابنه عبد الملك المظفر أن يعيده الى عمله على مال يحمله

اليه وعلى أن يكون ولده معنصر رهينة بقرطبة فأجابه الى ذلك وكتب له عهدا وأنفذ به وزيره أبا على بن خديم (ونسخته) بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله من الحاجب المظفر سيف الدولة دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الى كافة مدني فاس وكافة أهل المغرب سلمهم الله أما بعد أصلح الله شانكم وسلم أنفسكم وأديانكم فالحمد لله علام الغيوب وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذى البطش الشديد المبدئ المعيد الفعال لما يريد لاراد لامره ولا معقب لحكمه بل له الملك والامر وبيده الخير والشر اياه نعبد واياه نستعين واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع الانبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وان المعز بن زيرى بن عطية أكرمه الله تابع رسله الينا وكتبه متنصلا من هنات دفعته اليها ضرورات ومستغفرا من سيآت حططناها من توبته حسنات والتوبة محاء الذنب والاستغفار منقذ من العيب واذا أذن الله بشئ يسره وعسى أن تكرهوا شيأ ولكم فيه خير وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة وحسن المعونة وخفة المؤنة فوليناه ما قبلكم وعهدنا اليه أن يعمل بالعدل فيكم وأن يرفع أعمال الجور عنكم وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم الا فى حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك وكفى بالله شهيدا وقد وجهنا الوزير أبا على بن خديم أكرمه الله وهو من ثقاتنا ووجوه رجالنا ليأخذ بشأنه ويؤكد العهد فيه عليه بذلك وأمرناه باشراككم فيه ونحن بأمركم معتنون وأحوالكم مطالعون وأن يقضى على الاعلى للادنى ولا يرضى فيكم بشئ من الادنى فثقوا بذلك واسكنوا اليه وليمض القاضى أبو عبد الله أحكامه مشدودا ظهره بنا معقودا سلطانه بسلطاننا ولا تأخذه فى الله لومة لائم فذلك ظننا به اذ وليناه وأملنا فيه اذ قلدناه والله المستعان وعليه التكلان لا اله الا هو ولتبلغوا منا سلاما طيبا جزيلا ورحمة الله وبركاته (ولما وصل) الى المعز بن زيرى عهد المظفر بولايته على المغرب ماعدا كورة سجلماسة فانه واضحا مولى المنصور عهد فى ولايته على المغرب بها لواندين بن خزرون بن فلفول حسبما ذكره فلم تدخل فى ولاية المعز هذه فلما وصله عهد المظفر ضم نشره وثاب اليه نشاطه وبث عماله فى جميع كور المغرب وجبى خراجها ولم تزل ولايته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة (ولما) افترق أمر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة وصار الامر فيها طوائف استحدث المعز فى التغلب على سجلماسة وانتزاعها من أيدى بنى واندين بن خزرون فأجمع لذلك ونهض

اليه سنة سبع وأربعمائة وبرزوا اليه فى جموعهم فهزموه ورجع الى فاس فى فل من قومه وأقام على الاضطراب من أمره الى أن هلك سنة سبع عشرة وولى من بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية وليس كما يزعم بعض المؤرخين انه ابنه وانما هو اتفاق فى الاسماء أوجب هذا الغلط فاستولى حمامة هذا على عملهم واستفحل ملكه وقصده الامراء والعلماء وأتته الوفود ومدحه الشعراء ثم نازعه الامر أبو الكمال تميم بن زيرى ابن يعلى اليفرنى سنة أربع وعشرين من بنى يدوى بن يعلى المتغلبين على نواحى سلا وزحف الى فاس فى قبائل بنى يفرن ومن انضاف اليهم من زناتة وبرز اليه حمامة فى جموع مغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حروب شديدة أجلت عن هزيمة حمامة ومات من مغراوة أمم واستولى تميم على فاس وأعمال المغرب ولما دخل فاس استباح يهود وسبى حرمهم واصطلم نعمتهم ولحق حمامة بوجدة فاستمد من هنالك من قبائل مغراوة من انجاد مديونة وملوية وزحف الى فاس فدخلها سنة تسع وعشرين وتحيز تميم الى موضع امارته من سلا وأقام حمامة فى سلطان المغرب وزحف اليه سنة ثلاثين وأربعمائة القائد بن حماد صاحب القلعة فى جموع صنهاجة وخرج اليه مجمعا حربه وبث القائد عطاءه فى زناتة واستعبدهم على صاحبهم حمامة فأقصر عن لقائه ولما دفعه بالسلم والطاعة رجع القائد عنه ورجع هو الى فاس وهلك سنة احدى وثلاثين فولى بعده ابنه دوناس ويكنى أبا العطاف واستولى على فاس وسائر عمل أبيه وخرج عليه لأول أمره حماد بن عمه معنصر بن المعز فكانت له معه حروب ووقائع وكثرت جموع حماد فغلب دوناس على الضواحى وأحجره بمدينة فاس وخندق دوناس على نفسه الخندق المعروف بسياج حماد وقطع حماد جرية الوادى عن عدوة القرويين الى أن هلك محاصرا لها سنة خمس وثلاثين فاستقامت دولة دوناس وانفسحت أيامه وكثر العمران ببلده واحتفل فى تشييد المصانع وأدار السور على أرباضها وبنى بها الحمامات والفنادق فاستبحر عمرانها ورحل التجار اليها بالبضائع وهلك دوناس سنة احدى وخمسين وولى بعده ابنه الفتوح ونزل بعدوة الاندلس ونازعه الامر أخوه الاصغر عجيسة وامتنع بعدوة القرويين وافترق أمرهم بافتراقهما وكانت الحرب بينهما سجالا ومجالها بين المدينتين حيث يفضى باب النقبة بعدوة القرويين لهذا العهد وشيد الفتوح باب عدوة الاندلس وهو مسمى به الى الآن واختط عجيسة باب الجيسة وهو أيضا مسمى به وانما حذفت عينه لكثرة الاستعمال وأقاموا على ذلك الى أن غدر الفتوح بعجيسة أخيه سنة ثلاث وخمسين وبيته فظفر به وقتله ودهم المغرب اثر ذلك ما دهمه من أمر المرابطين من لمتونة وخشى الفتوح مغبة أحوالهم فأفرج عن فاس وزحف

صاحب القلعة بلكين بن محمد بن حماد الى المغرب سنة أربع وخمسين على عادتهم فى غزوه ودخل فاس واحتمل من أكابرهم وأشرافهم رهنا على الطاعة وقفل الى قلعته وولى على المغرب بعد الفتوح معنصر بن حماد بن معنصر وشغل بحروب لمتونة وكانت له عليهم الوقعة المشهورة سنة خمس وخمسين ولحق بضريبة وملك يوسف بن تاشفين والمرابطون فاس وخلف عليها عامله وارتحل الى غمارة فخالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل العامل ومن معه من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب ثم زحف الى مهدى ابن يوسف الكزنائى صاحب مدينة مكناسة وقد كان دخل فى دعوة المرابطين فهزمه وقتله وبعث برأسه الى سكوت البرغواطى صاحب سبتة وقد بلغ الخبر الى يوسف بن تاشفين فسرح عساكر المرابطين لحصار فاس فأخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق عنها حتى اشتد بأهلها الحصار ومسهم الجهد وبرز معنصر لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وفقد فى الملحمة ذلك اليوم سنة ستين وبايع أهل فاس من بعده لابنه تميم بن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وفتنة وجهد وغلاء وشغل يوسف ابن تاشفين عنهم بفتح بلاد غمارة حتى اذا كان سنة ثنتين وستين وفرغ من فتح غمارة صمد الى فاس فحاصرها أياما ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وقبائل زناتة وهلك تميم فى جملتهم حتى أعوزت مواراتهم فرادى فاتخذت لهم الاخاديد وقبروا جماعات وخلص من نجا من القتل منهم الى تلمسان وأمر يوسف بن تاشفين بهدم الاسوار التى كانت فاصلة بين العدوتين وصيرهما مصرا وأدار عليهما سورا واحدا وانقرض أمر مغراوة من فاس والبقاء لله سبحانه وتعالى

أولاده القديد بن حماد صاحب القلعة

خزر بن عبد الله بن عطية بن زيري بن المعز بن معنصر بن حماد بن معنصر بن

الفتوح بن دوناس حمامة بن المعز

الخبر عن بني خزرون ملوك سجلماسة من الطبقة الاولى من مغراوة وأولية ملكهم ومصائره

كان خزرون بن فلفول من أمراء مغراوة واعيان بني خزر ولما غلبهم بلكين بن زيرى على المغرب الاوسط تحيزوا الى المغرب الاقصى وراء ملوية وكان بنو خزر يدينون بالدعوة المروانية كما ذكرناه وكان المنصور بن أبي عامر القائم بدولة المؤيد قد اقتصر لاول حجابته من أحوال العدوة على ضبط سبتة برجال الدولة ووجوه القواد وطبقات العسكر ودفع ماوراءها الى أمراء زناتة من مغراوة وبني يفرن ومكناسة وعول في ضبط كوره وسداد ثغوره عليهم وتعهدهم بالعطاء وأفاض فيهم الاحسان فازدلفوا اليه بوجوه التقربات وأسباب الوسائل وكان خزرون بن فلفول هذا زحف يومئذ الى سجلماسة وبها المعتز من أعقاب آل مدرار فانتزى بها أخوه المنتصر بعد قفول جوهر من المغرب وظفر بأميرهم الشاكر لله محمد بن الفتح فوثب المنتصر من أعقابهم بعده على سجلماسة وتملكها ثم وثب به أخوه أبو محمد سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة فقتله وقام بأمر سجلماسة وأعاد بها ملك بني مدرار وتلقب المعتز بالله فزحف اليه خزرون بن فلفول سنة

سبع وستين فى جموع مغراوة وبرز اليه المعتز فهزمه خزرون واستولى على مدينة سجلماسة ومحا دولة آل مدرار والخوارج منها آخر الدهر وأقام الدعوة بها للمؤيد هشام فكانت أول دولة أقيمت للمروانيين بذلك الصقع ووجد للمعتز ما لا وسلاحا فاحتقنها وكتب بالفتح الى هشام وأنفذ رأس المعتز فنصب بباب سدته ونسب الاثر فى ذلك الفتح لصنايعة محمد بن أبى عامر وبين طائره وعقد لخزرون على سجلماسة ومن بعده ابنه وانودين ثم كان زحف زيرى بن مناد الى المغرب الاقصى سنة تسع وستين وفرت زناتة أمامه الى سبتة وملك أعمال المغرب وولى عليها من قبله وحاصر سبتة ثم أفرج عنها وشغل بجهاد برغواطة وبلغه أن وانودين بن خزرون أغار على نواحى سجلماسة وأنه دخلها عنوة وأخذ عامله وما كان معه من الاموال والذخيرة فدخل اليها سنة ثلاث وتسعين وفصل عنها فهلك فى طريقه ورجع وانودين بن خزرون الى سجلماسة وفى اثناء ذلك كان استيلاء زيرى بن عطية بن عبد الله بن خزر على المغرب وملك فاس بعهد هشام ثم انتقض على المنصور آخرا وأجاز ابنه عبد الملك فى العساكر الى العدوة سنة ثمان وثمانين فغلب عليها بنى خزرون ونزل فاس وبث العمال فى سائر نواحى المغرب لسد الثغور وجباية الخراج وعقد فيما عقد على سجلماسة لحميد بن يصل المكناسى النازع اليهم من أولياء الشيعة فعقد له على سجلماسة حين فر عنها بنو خزرون فملكها وأقام فيها الدعوة ولما قفل عبد الملك الى العدوة وأعادوا ضحا الى عمله بفاس استأمن اليه كثير من بنى خزر كان منهم وانودين بن خزرون صاحب سجلماسة وابن عمه فلفول بن سعيد فأمنهم ثم رجع وانودين الى عمله بسجلماسة بعد أن تضمن وانودين وفلفول بن سعيد على مال مفروض وعدة من الخيل والدرق يحملان اليه ذلك كل سنة وأعطيا فى ذلك أبناءهما رهنا فعقد لهما واضح بذلك واستقل وانودين بعد ذلك بملك سجلماسة منذ اول سنة تسعين مقيما فيها الدعوة المروانية ورجع المعز بن زيرى الى ولاية المغرب بعهد المظفر ابن أبى عامر سنة ست وتسعين واستثنى عليه فيها أمر سجلماسة لمكان وانودين بها ولما انتثر سلك الخلافة بقرطبة وكان أمر الجماعة والطوائف واستبد أمراء الانصار والثغور وولاة الاعمال بما فى أيديهم استبد وانودين هذا بأعمال سجلماسة وتغلب على عمل درعة واستضافه اليه ونهض المعز بن زيرى صاحب فاس سنة سبع وأربعمائة مع جموع من مغراوة يحاول انتزاع هذه الاعمال من يد وانودين فبرز اليه فى جموعه وهزموه وكان ذلك سببا فى اضطراب أمر المعز الى أن هلك واستفحل ملك وانودين واستولى على صبرون من أعمال فاس وعلى جميع قصور ملوية وولى عليها من أهل بيته ثم هلك وولى أمره من بعده ابنه مسعود بن وانودين ولم أقف على تاريخ ولايته ومهلك أبيه (ولما

ظهر عبد الله بن ياسين واجتمع اليه المرابطون من لمتونة ومسوفة وسائر الملثمين وافتحوا أمرهم بغزو درعة سنة خمس وأربعين فاغاروا على ابل كانت هنالك في حمى لمسعود بن وانودين وقتل كما ذكرناه في أخبار لمتونة ثم عاودوا الغزو الى سجلماسة فدخلوها من العام المقبل وقتلوا من كان بها من فل مغراوة ثم تتبعوا من بعد ذلك أعمال المغرب وبلاد سوس وجبال المصامدة وافتتحوا اصفروى سنة خمس وخمسين وقتلوا من كان بها من أولاد وانودين وبقية مغراوة ثم افتتحوا حصون ملوية سنة ثلاث وستين وانقرض أمر بنى وانودين كأن لم يكن والبقاء لله وحده وكل شيء هالك الا وجهه سبحانه وتعالى لا رب سواه ولا معبود الا اياه وهو على كل شيء قدير

مسعود بن وانودين بن خزرون بن فلفول بن خزر

- مسعود — قتله عبد الله بن ياسين والمرابطون
- خزرون — ملك سجلماسة من يد المعتز بن محمد بن مدرار وعقد له عليها هشام المؤيد
- فلفول — فلفول بن سعيد

الخبر عن ملوك طرابلس من بنى خزرون بن فلفول من الطبقة الاولى وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان مغراوة وبنو خزر ملوكهم قد تحيزوا الى المغرب الاقصى أمام بلكين ثم اتبعهم سنة تسع وستين فى زحفه المشهور وأجحرهم بساحل سبتة حتى بعثوا صريخهم الى المنصور وجاءهم الى الجزيرة مشارفا لاحوالهم وأمدهم بجعفر بن يحيى ومن كان معه من ملوك البربر وزناتة فامتنعوا على بلكين ورجع عنهم فتقرى أعمال المغرب وهلك فى منصرفه سنة ثنتين وسبعين ورجع أحياء مغراوة وبنو يفرن الى مكانهم منه وبعث المنصور الوزير حسن بن عبد الودود عاملا على المغرب وقدم سنة ست وسبعين واختص مقاتلا وزيرى ابنى عطية بن عبد الله بن خزر بمزيد التكرمة ولحق نظراءهما من أهل بيتهما الغيرة من ذلك فنزع سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر الى صنهاجة سنة سبع وسبعين منحرفا عن طاعة الاموية ووافى المنصور بن بلكين باشير منصرفه من احدى

غزواته فتلقاه بالقبول والمساهمة وبالغ فى تكرمته وعقدله على عمل طبنة سنة احدى وثمانين وخرج للقائه واحتفل فى تكرمته ونزله وأدركه الموت بالقيروان فهلك لسنته ووفد ابنه فلفول من مكان عمله فعقدله على عمل أبيه وخلع عليه وزف اليه بنته وسوغه ثلاثين حملا من المال وثلاثين تختا من الثياب وقرب اليه مراكب بسروج مثقلة وأعطاه عشرة من البنود مذهبة وانصرف الى عمله وهلك المنصور بن بلكين سنة خمس وثمانين وولى ابنه باديس فعقد لفلفول على عمله بطبنة ولما انتقض زيرى بن عطية على المنصور بن أبى عامر وسرح اليه ابنه المظفر كما قلناه فغلبه على أعمال المغرب ولحق زيرى بالقفر ثم عاج على المغرب الاوسط ونازل ثغور صنهاجة وحاصر تيهرت وبها يطوفت بن بلكين وزحف اليه حماد بن بلكين من أشير فى العساكر من تلكاتة ومحمد بن أبى العرب قائد باديس بعثه فى عساكر صنهاجة من القيروان مددا ليطوفت وأوعز الى فلفول وهو باشيران يكون معهم ولقيهم زيرى بن عطية ففض جموعهم واستولى على معسكرهم واضطربت افريقية فتنة وتنكرت صنهاجة لمن كان بجهاتها من قبائل زناتة وخرج باديس بن المنصور من رقادة فى العساكر الى المغرب ولما مر بطبنة استقدم فلفول بن سعيد بن خزون ليستظهر به على حربه فاستراب واعتذر عن الوصول وسأل تجديد العهد الى مقدم السلطان فأسعف ثم اشتدت استرابته ومن كان معه من مغراوة فارتحلوا عن طبنة وتركوها ولما أبعد باديس رجع فلفول الى طبنة فعاث فى نواحيها ثم فعل فى تيجن كذلك ثم حاصر باغاية وانتهى باديس الى أشير وفر زيرى بن عطية الى صحراء المغرب ورجع على باديس بعد أن ولى على تاهرت وأشير عمه يطوفت بن بلكين وانتهى الى المسيلة فبلغه خروج عمومته ماكسن وزاوى وعرم ومقنين فخاف أبو لبهار زيرى ولحق بهم من معسكره وبعث باديس فى أثرهم عمه حماد بن بلكين ورحل هو الى فلفول بن سعيد بعد ان كان سرح عساكره اليه وهو محاصر باغاية فهزمهم وقتل قائدهم أبا رعبل ثم بلغه وصول باديس فأفرج عنها واتبعه باديس الى مرماجنة فتزاحفوا وقد اجتمع لفلفول من قبائل زناتة والبربر أمم فلم يثبتوا اللقاء وانكشفوا عنه وانهزم الى جبل الحناش ونزل القيطون بمافيه وكتب باديس بالفتح الى القيروان وقد كان الارجاف أخذ منهم المأخذ وفر كثير منهم الى المهدية وشرعوا فى عمل الدروب بما كانوا يتوقعون من فلفول بن سعيد حين قتل أبا رعبل وهزم جيوش صنهاجة وكانت الواقعة آخر سنة تسع وثمانين وانصرف باديس الى القيروان ثم بلغه ان أولاد زيرى اجتمعوا مع فلفول بن سعيد وعاقدوه ونزلوا جميعا لحصر واتبسة فخرج باديس من القيروان اليهم فافترقوا ولحق العمومة بزيرى بن عطية ماخلا ماكسا وابنه

حسنا فانهما أقاما مع فلفول ورجع باديس فى أثره سنة احدى وتسعين وانتهى الى بسكرة ففر فلفول الى الرمال وكان زيرى بن عطية محاصر الاشير أثناء هذه الفتنة فأفرج عنها ورجع عنها أبو البهار الى باديس وقفل معه الى القيروان وتقدم فلفول بن سعيد الى نواحى قابس وطرابلس فاجتمع اليه من هنالك من زناتة وملك طرابلس على مانذكره (وذلك) أن طرابلس كانت من أعمال مصر وكان العامل عليها بعد رحيل معد الى القاهرة عبد الله بن يخلف الكتامى ولما هلك معد رغب بلكين من نزار العزيز اضافتها الى عمله فأسعفه بها وولى عليها تصولة بن بكار من خواص مواليه نقله اليها من ولاية بونة فلم يزل عليها الى أن أرسل الى الحاكم بمصر يرغب فى الكون فى حضرته وان يتسلم منه عمل طرابلس وكان برجوان الصقلى يستبد على الدولة وكان يغص بمكان يانس الصقلى منها فأبعده عن الحضرة لولاية برقة ثم لما تتابعت رغبة تصولة صاحب طرابلس أشار برجوان ببعث يانس اليها فعقد له الحاكم عليها وأمره بالنهوض الى عملها فوصلها سنة تسعين ولحق تصولة بمصر وبلغ الخبر الى باديس فسرح القائد جعفر بن حبيب فى العساكر لصده عنها وزحف اليه يانس فكانت عليه الهزيمة وقتل ولحق فتوح بن على من قواده بطرابلس فامتنع بها ونازله جعفر بن حبيب وأقام عليها مدة وبينما هو محاصر لها اذ وصله كتاب يوسف بن عامر عامل قابس يذكر ان فلفول بن سعيد نزل على قابس وانه قاصد الى طرابلس فرحل جعفر عن البلد الى ناحية الجبل وجاء فلفول بن سعيد فنزل بمكانه وضاقت الحال بجعفر وأصحابه فارتحلوا مصممين على المناجزة وقاصدين قابس فتخلى فلفول عن طريقهم وانصرفوا الى قابس وقدم فلفول مدينة طرابلس فتلقاه أهلها ونزل له فتوح بن على عن امارتها فملكها وأوطنها من يومئذ وذلك سنة احدى وتسعين وبعث بطاعته الى الحاكم فسرح الحاكم يحيى بن على بن حمدون وعقد له على أعمال طرابلس وقابس فوصل الى طرابلس وارتحل معه فلفول وفتوح بن على بن غفيان فى عساكر زناتة الى حصار قابس فحاصروها مدة ورجعوا الى طرابلس ثم رجع يحيى بن على الى مصر واستبد فلفول بعمل طرابلس وطالت الفتنة بينه وبين باديس ويئس من صريخ مصر فبعث بطاعته الى المهدى محمد بن عبد الجبار بقرطبة وأوفد اليه رسله فى الصريخ والمدد وهلك فلفول قبل رجوعهم اليه سنة أربعمائة واجتمعت زناتة الى أخيه ورو بن سعيد وزحف باديس الى طرابلس وأجفل ورو ومن معه من زناتة عنها ولحق باديس من كان بها من الجند فلقوه فى طريقه وتمادى الى طرابلس فدخلها ونزل قصر فلفول وبعث اليه ورو بن سعيد يسأل الامان له ولقومه فبعث اليه

محمد بن حسن من صنائعه فاستقدم وفدهم بامانه فوصلهم وولى وروا على نفزاوة والنعيم بن كنون على قسطينة وشرط عليهم أن يرحلوا بقومهم على أعمال طرابلس فرجعوا الى أصحابهم وارتحل باديس الى القيروان وولى على طرابلس محمد بن الحسن ونزل وروا بنفزاوة والنعيم قسطيلة (ثم انتقض) وروا سنة احدى وأربعمائة ولحق بجبال ايدمر فتعاقدوا على الخلاف واستضاف النعيم بن كنون نفزاوة الى عمله ورجع خزرون بن سعيد عن أخيه وروا الى السلطان باديس وقدم عليه بالقيروان سنة ثنتين وأربعمائة فتقبله ووصله وولاه عمل أخيه نفزاوة وولى بنى محلية من قومه على قفصه وصارت مدن لزناتة وزحف وروا بن سعيد فيمن معه من زناتة الى طرابلس وبرز اليه عاملها محمد بن حسن فتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها وروا وهلك الكثير من قومه ثم راجع حصارها وضيق على أهلها فبعث باديس الى خزرون وأخيه وا النعيم بن كنون وأمراء الجريد من زناتة بأن يخرجوا الحرب صاحبهم فخرجوا اليه وتواقعوا بعبرة ما بين قابس وطرابلس ثم اتفقوا ولحق أصحاب خزرون بأخيه وروا ورجع خزرون الى عمله واتهمه السلطان بالمداهنة فى شأن أخيه وروا فاستقدمه من نفزاوة فاستراب وأظهر الخلاف وسرح السلطان اليه فتوح بن أحمد فى العساكر فأجفل عن عمله واتبعه النعيم وسائر زناتة ولحقوا جميعا بوروا بن سعيد سنة أربع وتظاهروا على الخلاف ونصبوا الحرب على مدينة طرابلس واشتد فساد زناتة فقتل السلطان من كان عنده من رهن زناتة واتفق وصول مقاتل بن سعيد نازعا عن أخيه وروا فى طائفة من أبنائه وأخواله فقتلوا معهم جميعا وشغل السلطان بحرب عمه حماد ولما غلبه بثلاث سنته وانصرف الى القيروان بعث اليه وروا بطاعته ثم كان مهلك وروا سنة خمس وأربعمائة واقسم قومه على ابنه خليفة وأخيه خزرون بن سعيد واختلفت كلمتهم ودس حسن بن محمد عامل طرابلس فى التصريف بينهم ثم صار أكثر زناتة الى خليفة وناجز عمه خزرون الحرب فغلبه على القيطون وضبط زناتة وقام فيهم بأمر أبيه وبعث بطاعته الى السلطان باديس بمكانه من حصار القلعة فتقبلها ثم هلك باديس وولى ابنه المعز سنة ست وانتقض خليفة بن وروا عليه وكان أخوه حماد بن وروا يضرب على أعمال طرابلس وقابس ويواصل عليها الغارة والنهب الى سنة ثلاث عشرة فانتقض عبد الله بن حسن صاحب طرابلس على السلطان وأمكنه من طرابلس وكان سبب ذلك ان المعز بن باديس لاول ولايته استقدم محمد بن حسن من عمله واستخلف عليه أخاه عبد الله بن حسن وقدم على المعز وفوض اليه أمر مملكته وأقام على ذلك سبعا وتمكنت

حاله عند السلطان وكثرت السعاية به فنكب وقتله وبلغ الخبر الى أخيه فانتقض كما قلناه وامكن خليفة بن وروا وقومه من مدينة طرابلس فقتلوا الصنهاجيين واستولوا عليها ونزل خليفة بقصر عبد الله وأخرجه عنه واستصفى أمواله وحرمه واتصل ملك خليفة ابن وروا وقومه بنى خزرون بطرابلس وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحكم سنة سبع عشرة بالطاعة وضمان السابلة وتشييع الرفاق ويحفظ عهده على طرابلس فأجابه الى ذلك وانتظم فى عمله وأوفد فى هذه السنة أخاه حمادا على المعز بهدية نتقبلها وكافأه عليها (هذا آخر ما حدث به) ابن الرقيق من أخبارهم ونقل ابن حماد وغيره أن المعز زحف أعوام ثلاثين وأربعمائة الى زناتة بجهات طرابلس فبرزوا اليه وهزموه وقتلوا عبد الله ابن حماد وسبوا أخته أم العلو بنت باديس ومنوا عليها بعد حين وأطلقوها الى أخيها ثم زحف اليهم ثانية فهزموه ثم أتيحت له الكرة عليهم فغلبهم وأذعنوا السلطانه واتقوه بالمهادنة فاستقام أمرهم على ذلك وكان خزرون بن سعيد لما غلبه خليفة بن وروا على امارة زناتة لحق بمصر فأقام فيها بدار الخلافة ونشأ بنوه بها وكان منهم المنتصر بن خزرون وأخوه سعيد ولما وقعت الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر وغلبهم الترك وأجلوهم عنها لحق المنتصر وسعيد بطرابلس وأقاما فى نواحيها ثم ولى سعيد أمر طرابلس ولم يزل واليا عليها الى أن هلك سنة تسع وعشرين (وقال أبو محمد) التيجانى فى رحلته عند ذكر طرابلس ولما قتلت زغبة سعيد بن خزرون سنة تسع وعشرين قدم خليفة بن خزرون من القيطون الى ولايتها فأمكنه منها رئيس الشورى بها يومئذ من الفقهاء أبو الحسن بن المنتصر المشتهر بعلم الفرائض وبايع له وقام بها خزرون الى سنة ثلاثين بعدها فقام المنتصر بن خزرون فى ربيع الاول منها ومعه عساكر زناتة ففر خزرون بن خليفة من طرابلس مختفيا وملكها المنتصر بن خزرون وأوقع بابن المنتصر ونفاه واتصلت بها امارته انتهى ما نقله التيجانى (وهذا الخبر) مشكل من جهة أن زغبة من العرب الهلاليين وانما جاؤا الى افريقية من مصر بعد الاربعين من تلك المائة فلا يكون وجودهم بطرابلس سنة تسع وعشرين الا ان كان تقدم بعض أحيائهم الى افريقية من قبل ذلك فقد كان بنو مرة ببرقة بعثهم الحاكم مع يحيى بن على بن حمدون الا أن ذلك لم ينقله أحد ولم تزل طرابلس بأيدى بنى خزرون الزناتيين ولما وصل العرب الهلاليون وغلبوا المعز بن باديس على أعمال افريقية واقتسموها كانت قابس وطرابلس فى قسمة زغبة والبلد لبنى خزرون ثم استولى بنو سليم على الضاحية وغلبوا عليها زغبة ورحلوهم عن تلك المواطن ولم تزل البلد لبنى خزرون وزحف المنتصر بن خزرون مع بنى عدى من قبائل هلال مجلبا على بنى حماد حتى نزل المسيلة ونزل أشير ثم

خرج اليهم الناصر ففر أمامه الى الصحراء ورجع الى القلعة فرجعوا الى الاحلاف على اعمالهم فراسله الناصر على الصلح وأقطعه ضواحى الزاب وريغة وأوعز الى عروس ابن سندى رئيس بسكرة لعهده أن يمكر به فلما وصل المنتصر الى بسكرة أنزله عروس ثم قتله غيلة أعوام ستين وأربعمائة وولى طرابلس آخر من بنى خزرون لم يحضرنى اسمه واختل ملك صنهاجة واتصل فيهم ملك تلك الاعمال الى سنة أربعين وخمسمائة ثم نزل بطرابلس ونواحيها فى هذا العام مجاعة وأصابهم منها شدة هلك فيها الناس وفروا عنها وظهر اختلال أحوالها وفناء حاميتها فوجه اليها الطاغية صقلية اسطولا لحصارها بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولايته فيهما ووقع بين أهل طرابلس الخلاف فغلب عليهم جرجى بن ميخايل قائد الاسطول وملكها وأخرج منها بنى خزرون وولى على البلد شيخهم أبا يحيى بن مطروح التميمى فانقرض أمر بنى خزرون منها وبقى منهم من بقى بالضاحية الى ان افتتح الموحدون افريقية آخر الدولة الصنهاجية والملك لله وحده يؤتيه من يشاء من عباده سبحانه لا اله غيره

خزرون بن خليفة بن وروان بن سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر

سعيد بن خزرون — المنتصر

زروال

{الخبر عن بنى يعلى ملوك تلمسان من آل خزر من أهل}
{الطبقة الاولى والالمام ببعض دولهم ومصائرها}

قد ذكرنا فى أخبار محمد بن خزر وبنيه أن محمد بن الخير الذى قتل نفسه فى معركة بلكين كان من ولده الخير ويعلى وأنهما اللذان ثأرا منه بأبيهما زيرى فقتلوه واتبعهم بلكين من بعد ذلك وأجلاهم الى المغرب الاقصى حتى قتل منهم محمد صبرا أعوام ستين

وثلثمائة بنواحي سجلماسة قبل وصول معدّ الى القاهرة وولاية بلكين على افريقية وقام بأمر زناتة بعد الخير محمد وعمه يعلى بن محمد وتكررت اجازة محمد بن الخير هذا وعمه يعلى الى المنصور بن أبي عامر كما ذكرنا ذلك من قبل وغلبهم ابنا عطية بن عبد الله بن خزر وهما مقاتل وزيرى على رياسة مغراوة وهلك مقاتل واختص المنصور زيرى بن عطية باثرته وولاه على المغرب كما ذكرناه وقارن ذلك مهلك بلكين وانتقاض أبي البهار ابن زيرى صاحب المغرب الاوسط على باديس فكان من شأنه مع زيرى ويدوى بن يعلى ما قدمناه ثم استقل زيرى وغلبهم جميعا على المغرب ثم انتقض على المنصور فأجاز اليه ابنه المظفر وأخرج زناتة من المغرب الاوسط فتوغل زيرى في المغرب الاوسط ونازل أمصاره وانتهى الى المسيلة واشير وكان سعيد بن خزرون قد نزع الى زناتة وملكوا طبنة واجتمع زناتة بافريقية عليه وعلى ابنه فلفول من بعده وانتقض فلفول على باديس عند زحف زيرى الى المسيلة واشير وشغل باديس ثم ابنه المنصور على المغرب الاوسط بحروب فلفول وقومه ودفعوا اليه حماد بن بلكين فكانت بينه وبين زناتة حروب سجال وهلك زيرى بن عطية واستقل المعز ابنه بملك المغرب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وغلب صنهاجة على تلمسان وما اليها واختط مدينة وجدة كما ذكرنا ذلك كله من قبل ونزل يعلى بن محمد مدينة تلمسان فكانت خالصة له وبقي ملكها وسائر ضواحيها في عقبه ثم هلك حماد بعد استبداده ببلاد صنهاجة على آل بلكين وشغل بنوه بحرب بني باديس فاستوسق ملك بني يعلى خلال ذلك بتلمسان واختلفت أيامهم مع آل حماد سلما وحربا ولما دخل العرب الهلاليون افريقية وغلبوا المعز وقومه عليها واقتسموا سائر أعمالها ثم تخطوا الى اعمال بني حماد فأجحروهم بالقلعة وغلبوهم على الضواحي فرجعوا الى استئلافهم واستخلصوا الاثبج منهم وزغبة فاستظهروا بهم على زناتة المغرب الاوسط وأنزلوهم بالزاب وأقطعوهم الكثير من أعماله فكانت بينهم وبين بني يعلى أمراء تلمسان حروب ووقائع وكان زغب أقرب اليهم بالمواطن وكان أمير تلمسان لعهدهم يحيى من ولد يعلى وكان وزيره وقائد حروبه أبا سعيد بن خليفة بن اليفرني فكان كثيرا ما يخرج بالعساكر من تلمسان لقتال عرب الاثبج وزغبة ويحتشد من اليها من زناتة من أهل المغرب الاوسط مثل مغراوة وبني يفرن وبني يلومي وبني عبد الواد وتوجين وبني مرين وهلك في بعض تلك الملاحم هذا الوزير أبو سعيد أعوام خمسين وأربعمائة (ثم ملك) المرابطون أعمال المغرب الاقصى بعد مهلك يحيى وولاية ابنه العباس بن يحيى بتلمسان وسرّح يوسف بن تاشفين قائده مزدلي بن في عساكر لمتونة لحربه من بقي بتلمسان من مغراوة ومن لحق بهم

من قبل بنى زيرى وقومهم فدوّخ المغرب الاوسط وظفر بمعلى بن العباس بن بختى برز لمدافعتهم فهزمه وقتله وانكفأ راجعا الى المغرب ثم نهض يوسف بن تاشفين بنفسه فى جموع المرابطين سنة ثلاث وسبعين فافتتح تلمسان واستلحم بنى يعلى ومن كان بها من مغراوة وقتل العباس بن بختى أميرها من بنى يعلى ثم افتتح وهران وتنس وملك جبل وانشريس وشلف الى الجزائر وانكفأ راجعا وقد محى أثر مغراوة من المغرب الاوسط وأنزل محمد بن تينعمر المسوفى فى عسكر من المرابطين بتلمسان واختط مدينة تاكرارت بمكان معسكره وهو اسم المحلة بلسان البربر وهى التى صارت اليوم مع تلمسان القديمة التى تسمى أكادير بلدا واحدا وانقرض أمر مغراوة من جميع المغرب كان لم يكن والبقاء والله وحده سبحانه

معلى بن العباس بن بختى بن   بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر

(الخبر عن أمراء اغمات من مغراوة)

لم أقف على أسماء هؤلاء الا انهم أمراء باغمات آخر دولة بنى زيرى بفاس وبنى يعلى اليفرنى بسلا وتادلا فى جوار المصامدة وبرغواطة وكان لقوط بن يوسف بن على آخرهم فى سنى الخمسين وأربعمائة وكانت امرأته زينب بنت اسحق النفزاوية من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة ولما غلب المرابطون على اغمات سنة تسع وأربعين فرّ لقوط هذا الى تادلا سنة احدى وخمسين وقتل الامير محمد واستلحم بنى يفرن فكان فيمن استلحم وخلفه أبو بكر بن عمر أمير المرابطين على زينب بنت اسحق حتى اذا ارتحل الى الصحراء سنة ثلاث وخمسين واستعمل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب نزل له عن زوجه زينب هذه فكان لها رياسة أمره وسلطانه وما أشارت اليه عند مرجع أبى بكر من الصحراء فى اظهار الاستبداد حتى تجافى عن منازعته وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه كما ذكرناه فى أخبارهم ولم نقف من لقوط بن يوسف وقومه على غير هذا الذى كتبناه والله ولى العون سبحانه

(الخبر عن بنى سنجاس وريغة والاغواط وبنى ورا من قبائل مغراوة من أهل الطبقة الاولى وتصاريف أحوالهم)

هذه البطون الاربعة من بطون مغراوة وقد زعم بعض الناس أنهم من بطون زناتة غير مغراوة أخبرنى بذلك الثقة عن ابراهيم بن عبد الله التمزوغتى قال وهو نسابة زناتة لعهده ولم تزل هذه البطون الاربعة من أوسع بطون مغراوة (فأما) بنو سنجاس فلهم مواطن فى كل عمل من افريقية والمغرب بينهم قبلة المغرب الاوسط بجبل راشد وجبل كريكرة وبعمل الزاب وببلاد شلب ومن بطونهم بنو عبار ببلاد شلب أيضا وبنو عبار

بأعمال قسنطينة وكان بنو سنجاس هؤلاء من أوسع القبائل وأكثرهم عددا وكان لهم في فتنة زناتة وصنهاجة آثار بافريقية والمغرب وأكثرها في افساد السبيل والعيث في المدن ونازلوا قفصة سنة أربع عشرة وخمسمائة بعد ان عاثوا بجهات القصر وقتلوا من وجدوا هنالك من عسكر تلكاتة وخرجت اليهم حامية قفصة فأثخنوا فيهم ثم كثر فسادهم وسرّح السلطان قائده محمد بن أبي العرب في العساكر الى بلاد الجريد فشرّدهم عنها وأصلح السابلة ثم عادوا الى مثلها سنة خمس عشرة فأوقع بهم قائد بلاد الجريد وأثخن فيهم بالقتل وحمل رؤسهم الى القيروان فعظم الفتح ولم تزل الدولة فيهم بالقتل والاثخان الى أن كسروا من شوكتهم وجاء العرب الهلاليون وغلبوا على الضواحي كل من كان بها من صنهاجة وزناتة وتحيزفلهم الى الحصون والمعاقل وضربت عليهم المغارم الا ما كان ببلاد المغرب القفر مثل جبل راشد فانهم لبعدهم عن منازل الملك لا يعطون مغرما الا أنه غلب عليهم العمور من بطون الهلاليين ونزلوا معهم وملكوا عليهم أمرهم وصاروا لهم فيه ومن بني سنجاس من نزل الزاب وهم لهذا العهد أهل مغارم لمن غلب على ثغورهم من مشايخهم وأما من نزل منهم ببلاد شلب ونواحي قسنطينة فهم لهذا العهد أهل مغارم للدول وكان دينهم جميعا الخارجية على سنن زناتة في الطبقة الاولى ومن بقي منهم اليوم بالزاب فعلى ذلك ومن بني سنجاس هؤلاء بأرض المشيل من جبل بني راشد وطنوا جبلا في جواره غمرة وصاروا عند تغلب الهلاليين في ملكهم يقبضون الاتاوة منهم ونزل منهم لهذا العهد العصاري من بطون عروة من زغبة وغلبوهم على أمرهم وأصاروهم خولا (وأما بنو ريغة) فكانوا أحياء متعددة ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم الى جبل عياض وما اليه من البسيط الى تعاوس وأقاموا في قياطينهم فمن كان بجبل عياض منهم أهل مغارم لامراء عياض يقبضونها للدولة الغالبة ببجاية وأما من كان ببسيط تعاوس فهم في اقطاع العرب لهذا العهد ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارگلا فاختطوا قصورا كثيرة في عدوتي واد ينحدر من المغرب الى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة والاطم قد رف عليها الشجر ونضدت حفافيها النخيل وانساحت خلالها المياه وزهت بنابعها الصحراء وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء وبهم تعرف لهذا العهد وهم أكثرها ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة وتفرقت جماعتهم للتنازع في الرياسة فاستقلت كل طائفة منهم بقصور منها أو بواحد ولقد كانت فيما يقال أكثر من هذا العدد أضعافا وان ابن غانية المسوفي حين كان يجلب على بلاد افريقية والمغرب في فتنته مع الموحدين خرّب عمرانها واجتث شجرها وغوّر مياهها ويشهد لذلك آثار

العمران بها فى اطلال الديار ورسوم البناء واعجاز النخل المنقعر وكان هذا العمل يرجع فى أول الدولة الحفصية لعامل الزاب وكان من الموحدين ونزل بسكرة ما بينها وبين مغرة وكان من اعماله قصور واركلا أيضا ولما فتك المنتصر بمشيخة الزواودة كما قلناه فى أخباره وقتلوا بعد ذلك عامل الزاب بن عتو ادن مشيخة الموحدين وغلبوا على ضواحى الزاب وواركلا وأقطعتهم اياها الدول بعد ذلك فصارت فى اقطاعهم ثم عقد صاحب بجاية بعد ذلك على العمل كله لمنصور بن مزنى واستقر فى عقبه فربما يسومون بعض الاحيان أهل تلك القصور المغرم للسلطان بما كان من الامر القديم ويعسكر عليهم فى ذلك كتائب رجل الزاب وخيالة العرب ويبرز عليها بأمر الزواودة ثم يقاسمهم فيما يعتريه منهم وأكبر هذه الامصار يسمى تقرت مصر مستبحر العمران بدوى الاحوال كثير المياه والنخل ورياسته فى بنى يوسف بن عبد الله وتغلب على واركلا من يد أبى بكر بن موسى ازمان حداثته وأضافها الى عمله ثم هلك وصار أمر تقرت لاخيه مسعود ابن عبيد الله ثم لابنه حسن بن مسعود ثم لابنه أحمد بن حسن شيخها لهذا العهد وبنو يوسف بن عبد الله هؤلاء من ريغة ويقال انهم من سنجاس وفى أهل تلك الامصار من المذاهب الخوارج وفرقهم كثير وأكثرهم على دين العزابية ومنهم النكارية أقاموا على انتحال هذه الخارجية لبعدهم عن منال الاحكام ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين وهى دونها فى العمران والخطة ورياسته لبنى ابراهيم بن من ريغة وسائر أمصارهم كذلك كل مصر منها مستبد بأمره وحرب لجاره (وأما القواط) وهم فخذ من مغراوة أيضا فهم فى نواحى الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد ولهم هنالك قصر مشهور بهم فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغلهم فى القفر وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب وبينهم وبين الروس أقصى عمل الزاب مرحلتان وتختلف قصودهم اليهم لتحصيل المرافق منهم والله يخلق ما يشاء ويختار (وأما بنو وررا) فهم فخذ من مغراوة أيضا ويقال من زناتة وهم متشعبون ومفترقون بنواحى المغرب منهم بناحية مراكش والسوس ومنهم ببلاد شلب ومنهم بناحية قسنطينة ولم يزالوا على حالهم منذ انقراض زناتة الاولين وهم لهذا العهد أهل مغارم وعسكرة مع الدول وأكثر الذين كانوا بمراكش قد انتقل رؤساؤهم الى ناحية شلب نقلهم يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين فى أول هذه المائة الثامنة لما ارتاب بأمرهم فى تلك الناحية وخشى من افسادهم وعيثهم فنقلهم فى عسكر الى موطن شلب لحمايته فنزلوا به ولما ارتحل بنو مرين من بعد مهلك يوسف بن يعقوب أقاموا ببلاد شلب فأعقابهم بها لهذا العهد وأحوالهم جميعا فى كل قطر متقاربة فى المغرم والعسكرة

مع السلطان ولله الخلق والامر جميعا سبحانه لا اله الا هو الملك العظيم

(الخبر عن بنى يرنيان اخوة مغراوة وتصاريف احوالهم)

وهم منبثون كثيرا بين زناتة فى المواطن وأما الجمهور منهم فوطنهم بملوية من المغرب الاقصى ما بين سجلماسة وكرسيف كانوا هنالك مجاورين لمكناسة فى مواطنهم واختطوا حفافى وادى ملوية قصورا كثيرة متقاربة الخطة ونزلوها وتعددت بطونهم وأفخاذهم فى تلك الجهات ومنهم بنو وطاط متوطنون لهذا العهد بالجبال المطلة على وادى ملوية من جهة القبلة ما بينه وبين تازى وفاس وبهم تعرف تلك القصور لهذا العهد وكان لبنى يرنيان هؤلاء صولة واعتزاز وأجاز الحكم المستنصر منهم والمنصور بن أبى عامر من بعده فيمن أجازوه من زناتة فى المائة الرابعة وكانوا من أخل جند الاندلس وأشدهم شوكة وبقى أهل المواطن منهم فى مواطنهم مع مكناسة أيام ملكهم بالمغرب الاقصى ولما ملك لمتونة والموحدون من بعدهم لحق الطواعن منهم بالقفر فاختلطوا بأحياء بنى مرين الموالين لتلول المغرب من زناتة أقاموا معهم فى أحيائهم وبقى من عجز عن الظعن منهم بمواطنهم مثل بنى وطاط وغيرهم ففرضت عليهم المغارم والجبايات ولما دخل بنو مرين للمغرب ساهموهم فى اقتسام أعماله وأقطعوهم البلد الطيب من ضواحى سلا والمعمورة زيادة الى وطنهم الاول بملوية وأنزلوهم بنواحى سلا بعد أن كان منهم انحراف عنهم فى سبيل المدافعة عن أوطانهم الاولى ثم اصطلحوا ورعى لهم بنو عبد الحق سابقتهم معهم فاصطفوهم للوزارة والتقدم فى الحرب ودفعوهم الى المهمات وخلطوهم بانفسهم وكان من أكابر رجالاتهم لعهد السلطان أبى يعقوب وأخيه أبى سعيد الوزير ابراهيم بن عيسى استخلصوه للوزارة مرة بعد أخرى واستعمله السلطان أبو سعيد على وزارة ابنه أبى على ثم لوزارته واستعمل ابنه السلطان أبو الحسن ابناء ابراهيم هذا فى أكابر الخدمة فعقد لمسعود بن ابراهيم على أعمال السوس عند ما فتحها أعوام الثلاثين والسبعمائة ثم عزله بأخيه حسون وعقد لحسون على بلاد الجريد من افريقية عند فتحه اياها سنة ثمان وأربعين وكان فيها مهلكه ونظم أخاهما موسى فى طبقة الوزارة ثم أفرده بها أيام نكبته والحاقه بجبل هنتاتة واستعمله السلطان ابو عنان بعد فى العظيمات وعقد له على أعمال ندرومة بنواحى قسنطينة ورشح ابنه محمد السبيع لوزارته الى ان هلك وتقلبت بهم الايام بعده وقلد عبد الحميد المعروف بحلى بن السلطان أبى على وزارته محمد بن السبيع بعد هذا أيام حصاره لدار ملكهم سنة ثنتين وستين كما نذكره فى أخبارهم فلم يقدر لهم الظفر ثم راجع السبيع بعدها الى محله من دار السلطان وطبقة الوزارة وما زال يتصرف فى الخدم الجليلة والاعمال

الواسعة ما بين سجلماسة ومراكش وأعمال تازى وتادة وغمارة وهو على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها سبحانه لا اله غيره

* (الخبر عن وجديجن واوغمرت من قبائل زناتة ومبادى أحوالهم وتصاريفهم) *

قد تقدم أن هذين البطنين من بطون زناتة من ولد ورتنيص بن جانا وكان لهم عدد وقوة ومواطنهم مفترقة فى بلاد زناتة فأما وجديجن فكان جمهورهم بالمغرب الاوسط ومواطنهم منه منداس ما بين بنى يفرن من جانب المغرب ولواتة من جانب القبلة فى السرسو ومطماطة فى جانب الشرق فى وانشريس وكان أميرهم لعهد يحيى بن محمد اليفرنى رجل منهم اسمه عنان وكان بينهم وبين لواتة الموطنين بالسرسو فتنة متصلة يذكر أنها بسبب امرأة من وجديجن نكحت فى لواتة وتلاحا معها نساء قيطونهم فعيرنها بالفقر فكتبت بذلك الى عنان تدمّره فغضب واستجاش أهل عصبته من زناتة وجيرانه فزحف معه يعلى فى بنى يفرن وكلمام بن حياتى فى مغيلة وغرابة فى مطماطة ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا ثم علموا لواتة على بلاد السرسو وانتهوا بهم الى كدية لعابد من آخرها وهلك عنان شيخ وجديجن فى بعض تلك الوقائع بملاكوا من جهات السرسو ثم لجأت زناتة الى جبل كريرة قبلة السرسو وكان يسكنه أحياء من مغراوة يعرف شيخهم لذلك العهد علاهم ربيب شيخهم عمر بن تامصا الهالك قبله ومعنى تامصا بلسان البربر الغول ولما لجأت لواتة اليه غدر بهم وأغرى قومه فوضعوا أيديهم فيهم قتلا وسلبا فلاذوا بالفرار ولحقوا بجبل معود وجبل درالك فاستقروا هنالك آخر الدهر وورثت وجديجن مواطنهم بمنداس الى ان غلبهم عليها بنو يلومين وبنو ومانو كل من جهته ثم غلب الآخرين عليها بنو عبد الواد وبنو توجين الى هذا العهد والله وارث الارض ومن عليها (وأمّا أوغمرت) ويسمى لهذا العهد غمرت وهم اخوة وجديجن من ولد ورتنيص بن جانا كما قلناه فكانوا من أوفر القبائل عددا ومواطنهم متفرقة وجمهورهم بالجبال الى قبلة بلاد صنهاجة من المسيلة الى الدونس وكان لهم مع أبى يزيد صاحب الحمار فى الشيعة آثار وأوقع بهم اسمعيل القائم عند ظهوره على أبى يزيد وأثخن فيهم وكذلك بلكين وصنهاجة من بعده ولما افترق أمر صنهاجة لحماد وبنيه كانوا شيعا لهم على باكين ونزع عن حماد أيام فتنته ابن أبى حلى من مشيختهم وكان مختصا بهم الى باديس فوصله وحمل أصحابه وعقد له على طبنة وأعمالها حتى اذا جاء العرب الهلاليون وغلبوهم على الضواحى اعتصموا بتلك الجبال قبلة المسيلة وبلاد صنهاجة وقعدوا بها عن الظعن وتركوا القيطون الى سكنى المدن ولما تغلب الزواودة على ضواحى الزاب وما اليها أقطعتهم الدولة مغارم هذه الجبال التى تعمرت وهم لهذا العهد

فى سهمان أولاد يحيى بن على بن سباع من بطونهم وكان فى القديم من غمرث هؤلاء كاهن زناتة موسى بن صالح مشهور عندهم حتى الآن ويتناقلون بينهم كلماته برطانتهم على طريق الرجز فيها أخبار بالحدثان فيما يكون لهذا الجيل الزناتى من الملك والدولة والتغلب على الاحياء والقبائل والبلدان شهد كثير من الواقعات على وفقها بعضها حتى لقد نقلوا من بعض كلماته ما معناه باللسان العربى ان تلمسان مآلها الخراب وتصير دورها فدانا حتى يثير أرضها حراث أسود بثور أسود أعور وذكر الثقات انهم عاينوا ذلك بعد انتشار كلماته هذه أيام لحقها الخراب فى دولة بنى مرين الثانية سنة ستين وسبعمائة وأفرط الخلاف بين هذا الجيل الزناتى فى التشيع له أو الحمل عليه فمنهم من يزعم انه نبى أو ولى وآخرون يقولون كاهن شيطان ولم توقفنا الاخبار الصحيحة على الجلى من أمره والله سبحانه وتعالى أعلم لا رب غيره

الخبر عن بنى واركلا من بطون زناتة والمصر المنسوب اليهم بصحراء افريقية وتصاريف أحوالهم

بنو واركلا هؤلاء احدى بطون زناتة كما تقدم من ولد فرنى بن جانا وقد مر ذكرهم وان اخوتهم الديرت ومرنجيصه وسبرترة وغمالة والمعروفون لهذا العهد منهم بنو واركلا وكانت فئتهم قليلة وكانت مواطنهم قبلة الزاب واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة فى القبلة عنها ميامنة الى المغرب بنوها قصورا متقاربة متقاربة الخطة ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا وكان معهم هنالك جماعة من بنى زنداك من مغراوة واليهم كان هرب أبى يزيد النكارى عند فراره من الاعتقال سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مقامه بينهم سنة يختلف الى بنى برزال قبلة المسيلة بسالات والى قبائل البربر بجبل أوراس يدعوهم جميعا الى مذهب النكارية الى أن ارتحل الى أوراس واستبحر عمران هذا المصر واعتصم به بنو واركلا هؤلاء والكثير من ظواعن زناتة عند غلب الهلاليين اياهم على الضواحى واختصاص الاثبج بضواحى القلعة والزاب وما اليها ولما استبد الامير أبو زكريا بن أبى حفص بملك افريقية وجال فى نواحيها فى اتباع بن غانية مر بهذا المصر فأعجبه وكلف بالزيادة فى تمصيره فاختط مسجده العتيق ومأذنته المرتفعة وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا فى الحجر وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب الى المفازة الصحراوية المفضية الى بلاد السودان يسلكها التجار الداخلون اليها بالبضائع وسكانه لهذا العهد من بنى واركلا واعقاب اخوانهم من بنى يفرن ومغراوة ويعرف رئيسه باسم السلطان شهرة غير نكيرة بينهم ورياسته لهذه الاعصار مخصوصة ببنى أبى عبدل ويزعمون انهم

من بني واكين احدى بيوت بني واركلا ولهذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي عبدل ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب وعلى عشرين مرحلة من هذا في القبلة منحرفا الى المغرب بيسير بلد تكرت قاعدة وطن الملثمين وركاب الحجاج من السودان اختطه الملثمون من صنهاجه وهم سكانه لهذا العهد وصاحبه أمير من بيوتاتهم يعرفونه باسم السلطان وبينه وبين أمير الزاب مراسلة ومهاداة (ولقد) قدمت على بسكرة سنة أربع وخمسين أيام السلطان أبي عنان في بعض الاغراض السلطانية ولقيت رسول صاحب تكرت عند يوسف بن مزني أمير بسكرة وأخبرني عن استبحار هذا المصر في العمارة ومرور السابلة وقال لي اجتاز بنا هذا العام سفر من تجار المشرق الى بلد مالي كانت ركابهم اثني عشر ألف راحلة وذكر لي غيره أن ذلك هو الشأن في كل سنة وهذا البلد في طاعة سلطان مالي من السودان كما في سائر الصحراوية المعروفة بالملثمين لهذا العهد والله غالب على أمره سبحانه

(الخبر عن دمر من بطون زناتة ومن ولي منهم بالاندلس وأولية ذلك ومصائره)

بنو دمر هؤلاء من زناتة وقد تقدم أنهم من ولد ورسيك بن الديرت بن جانا وشعوبهم كثيرة وكانت مواطنهم بافريقية في نواحي طرابلس وجبالها وكان منهم آخرون ظواعن من عرب افريقية ومن بطون بني دمر هؤلاء بنو ورغمة وهم لهذا العهد مع قومهم بجبال طرابلس ومن بطونهم أيضا بطن متسع كثير الشعوب وهم بنو ورنيدين ابن وانتن بن واردين بن دمر وان من شعوبهم بني ورتاتين وبني عزرول وبني تغورت وربما يقال ان هؤلاء الشعوب لا ينتسبون الى بني ورنيدين كما تقدم وبقايا بني ورنيدين لهذا العهد بالجبل المطل على تلمسان بعد ان كانوا في البسيط قبلته فزاحمهم بنو راشد حين أجلوهم من بلادهم بالصحراء الى التل وغلبوهم على تلك البسائط فانزاحوا الى الجبل المعروف بهم لهذا العهد وهو المطل على تلمسان وكان قد أجاز الى الاندلس من بني دمر هؤلاء أعيان ورجالات حرب فيمن أجاز اليها من زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بدعوة المنتصر فضمهم السلطان الى عسكره واستظهر بهم المنصور بن أبي عامر من بعد ذلك على شأنه وقوي بهم المستعين أديم دولته ولما اعصوصب البربر على المستعين وبني حمود من بعده وغالبوا جنود الاندلس من العرب وكانت الفتنة الطويلة بينهم التي نثرت سلك الخلافة وفرقت شمل الجماعة واقتسموا خطط الملك وولايات الاعمال وكان من رجالاتهم نوح الدمري وكان من عظماء أصحاب المنصور وولاه المستعين أعمال مورور واركش فاستبد بها سنة أربع في عمار الفتنة وأقام بها سلطانا لنفسه الى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين فولي ابنه أبا مناد محمد بن نوح وتلقب بالحاجب عز الدولة في قرن شأن ملوك الطوائف وكانت بينه وبين ابن عباد شأن

غرب الاندلس ومر المعتضد في بعض أسفاره بحصن أركش ونطوف به مختفيا فقبض عليه بعض أصحاب بن نوح وساقه اليه فخلى سبيله وأولاه كرامة احتسبها عنده يدا وذلك سنة ثلاث وأربعين فانطلق الى دار ملكه ورجع بعدها الى ولاية الملوك الذين حوله من البربر وأسجل لابن نوح هذا على عمل اركش ومورور وفيمن أسجل له منهم فصاروا الى مخالصته الى أن استدعاهم سنة خمس وأربعين بعدها الى صنع ودعا اليه الحفلى من أهل أعماله واختصه بدخول حمام أعده لهم استبلاغا في تكريمهم وتخلف ابن نوح عنده من بينهم فلما حصلوا داخل الحمام أطبقه عليهم وسد المنافس للهوى دونهم الى أن هلكوا ونجا منهم ابن نوح لسالفة يده وطير في الحين من تسلم معاقلهم وحصونهم فانتظمها في أعماله وكان منها رندة وشريش وسائر أعمالها وهلك من بعد ذلك الحاجب أبو مناد بن نوح سنة ‌ ‌ ‌ ‌ وولى ابنه أبو عبد الله ولم يزل المعتضد يضايقه الى أن انخلع سنة ثمان وخمسين فانتظمها في أعماله وسار اليه محمد أبي مناد الى أن هلك سنة ثمان وستين وانقرض ملك بني نوح والبقاء لله وحده سبحانه

أبو عبد الله بن الحاجب أبي مناد محمد بن نوح الدمري

الخبر عن بني برزال احدى بطون دمر وما كان لهم من الحال بقرمونة وأعمالها من الاندلس أيام الطوائف وأولية ذلك ومصائره

قد تقدم لنا ان بني برزال هؤلاء من ولد ورنيد بن بن واتن بن واردين بن دمر كما ذكره ابن حزم وان اخوتهم بنو يصدرين وبنو صغان وبنو يطوفت وكان بنو برزال هؤلاء بافريقية وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما اليها من أعمال المسيلة وكان لهم ظهور ووفور عدد وكانوا نكارية من فرق الخوارج ولما فر أبو زيد أمام اسمعيل المنصور وبلغه ان محمد بن خزر يترصد له أجمع الاعتصام بسالات وصعد اليه وأرهقته عساكر المنصور فانتقل عنه الى كتانة وكان من أمره ما قدمناه ثم استقام بنو برزال على طاعة الشيعة وموالاة جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة والزاب حتى صاروا له شيعا (ولما انتقض) جعفر بن معد سنة ستين وثلثمائة كان بنو برزال هؤلاء في جملته من أهل خصوصيته فأجازوا معه البحر الى الاندلس أيام الحكم المستنصر فاستخدمهم ونظمهم في طبقات جنده الى من كان به من قبائل زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بالدعوة الاموية ومحاربتهم عليها للادارسة فاستقروا جميعا بالاندلس وكان لبني برزال من بينهم ظهور وغنى مشهور (ولما أراد) المنصور بن أبي عامر الاستبداد على خليفته هشام وتوقع النكير من رجالات الدولة وموالي الحكم استكثر بني برزال وغيرهم من البربر وأفاض فيهم الاحسان فاعتز امره واشتد أزره حتى أسقط رجال الدولة ومحى رسومها

وأثبت أركان سلطانه ثم قتل صاحبهم جعفر بن يحيى كما ذكرناه خشية عصبيته بهم واستمالهم من بعده فأصبحوا له عصبية وكان يستعملهم في الولايات النبيهة والاعمال الرفيعة وكان من أعيان بني برزال هؤلاء اسحق بن فولاه قرمونة وأعمالها فلم يزل عليها أيام بني عامر وجدد له العقد عليها المستعين في فتنة البرابرة ووليها من بعده ابنه عبد الله (ولما انقرض) ملك بني حمود من قرطبة ودفع أهلها القاسم المأمون عنهم سنة أربع عشرة أراد اللحاق بأشبيلية وبها ابنه محمد بن أبي زيري من وجوه البربر وبقرمونة عبد الله بن اسحق البرزالي فداخلهما القاضي ابن عباد في خلع طاعة القاسم وصده عن العملين فأجابا الى ذلك ثم دس للقاسم بالتحذير من عبد الله بن اسحق فعدل القاسم عنهما جميعا الى شريش واستبد كل منهم بعمله ثم هلك عبد الله من بعد ذلك وولي ابنه محمد سنة وكانت بينه وبين المعتمد بن عباد حرب وظاهر عليه يحيى بن علي بن حمود في منازلة أشبيلية سنة ثمان عشرة ثم اتفق مع ابن عباد بعدها وظاهره على عبد الله الافطس وكانت بينهما حرب كانت الدائرة فيها على ابن الافطس وحصل ابنه المظفر قائد العسكر في قبضة محمد بن عبد الله بن اسحق الى أن من عليه بعد ذلك وأطلقه ثم كانت الفتنة بين محمد بن اسحق وبين المعتضد وأغار اسمعيل بن المعتضد على قرمونة في بعض الايام بعد ان كمن الكمين من الخيالة والرجل وركب اليه محمد في قومه فاستطرد له اسمعيل الى أن بلغوا الكمائن فثاروا بهم وقتلوا محمدا البرزالي وذلك سنة أربع وثلاثين وولي ابنه العزيز بن محمد وتلقب بالمستظهر مناغيا للملوك الطوائف لعهده ولم يزل المعتضد يستولي على غرب الاندلس شيأ فشيأ الى ان ضايقه في عمل قرمونة واقتطع منه اسجه والمورور ثم انخلع له العزيز عن قرمونة سنة تسع وخمسين ونظمها المعتضد في ممالكه وانقرض ملك بني برزال من الاندلس ثم انقرض من بعد ذلك حيهم من جبل سالات وأصبحوا في الغابرين والبقاء لله وحده سبحانه

العزير محمد بن عبد الله بن اسحق البرزالي

﴿الخبر عن بني ومانو وبني يلومي من الطبقة الاولى وما كان لهم من الملك والدولة بأعمال المغرب الاوسط ومبدا ذلك وتصاريفه﴾

هاتان القبيلتان من قبائل زناتة ومن توابع الطبقة الاولى ولم نقف على نسبهما الى جانا الا أن نسابتهما متفقون على أن يلومي ورتاجن الذي هو أبو مرين اخوان وان مديون أخوهما للام ذكر ذلك غير واحد من نسابتهم وبنو مرين لهذا العهد يعرفون لهم هذا النسب ويوجبون لهم العصبية له وكانت هاتان القبيلتان من أوفر بطون زناتة

وأشدهم شوكة ومواطنهم جميعا بالمغرب الاوسط وبنو وماتوا منهم الى جهة المشرق عن وادى ميناس ومرات وما اليهما من أسافل شلب وبنو يلومين بالعدوة الغربية منه بالجعبات والبطحاء وسبدو وسيرات وجبل هوارة وبنى راشد (وكان لمغراوة) وبنى يفرن التقدم عليهم فى الكثرة والقوة ولما غلب بلكين بن زيرى مغراوة وبنى يفرن على المغرب الاوسط وأزاحهم الى المغرب الاقصى بقيت هاتان القبيلتان بمواطنهما واستعملهم صنهاجه فى حروبهم حتى اذا تقلص ملك صنهاجه عن المغرب الاوسط واعتزوا عليهم واختص الناصر بن علناس صاحب القلعة ومختط بجاية بنى وماتوا هؤلاء بالولاية فكانوا اشيعا لقومه دون يلومى وكانت رياسة بنى وماتوا فى بيت منهم يعرفون ببنى ماخوخ وأصهر المنصور بن الناصر الى ماخوخ منهم فى أخته فزوجها اليه فكان لهم بذلك مزيد ولاية فى الدولة ولما ملك المرابطون تلمسان أعوام سبعين وأربعمائة وأنزل يوسف بن تاشفين بها عامله محمد بن تينعمر المسوفى ودوخ أعمال المنصور وملك أمصارها الى أن نازل الجزائر وهلك فولى أخاه تاشفين على عمله فغزا أشير وافتتحها ومدها وكان لهذين الحيين فى مظاهرته وامداده أحقد عليهم المنصور بعدها وأغرى بنى وماتوا فى عساكر صنهاجة له ماخوخ فهزمه وأتبعه منهزما الى بجاية وقتل لدخله الى قصره قتلته زوجه أخت ماخوخ تشفيا وضعفا ثم نهض الى تلمسان فى العساكر واحتشد العرب من الاثبج ورياح وزغبة ومن لحق به من زناتة وكانت الغزاة المشهورة سنة ست وثمانين أبقى فيها ابن تينعمر المسوفى بعد استمكانه من البلد كما ذكرناه فى أخبار صنهاجة ثم هلك المنصور وولى ابنه العزيز وراجع ماخوخ ولايته وأصهر اليه العزيز أيضا فى ابنته فزوجها اياه واعتز البدو فى نواحى المغرب الاوسط واشتعلت نار الفتنة بين هذين الحيين من بنى وماتوا وبنى يلومى فكانت بينهم حروب ومشاهد وهلك ماخوخ فقام بأمره فى قومه بنوه تاشفين وعلى وأبو بكر وكان أحياء زناتة الثانية من بنى عبد الواد وتوجين وبنى راشد وبنى ورسفان من مغراوة مددا ور بما ماد بنو مرين اخوانهم بنى يلومى لقرب مواطنهم منهم الا أن زناتة الثانية لذلك العهد مغلوبون لهذين الحيين وأمرهم تبع لهم الى أن ظهر أمر الموحدين وزحف عبد المؤمن الى المغرب الاوسط فى اتباع تاشفين بن على وتقدم أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن زيد من بنى وماتوا الى طاعته ولحقوه بمكانه من أرض الريف فسرح معهم عسكر الموحدين لنظر بن واندين بن بن يغمور فاثخنوا فى بلاد بنى يلومى وبنى عبد الواد ولحق صريخهم بتاشفين بن على بن يوسف فأمدهم بالعساكر ونزلوا منداس واجتمع لبنى يلومى بنو ورسفان من مغراوة

وبنى توجين من بنى بادين وبنو عبد الواد منهم ايضا وشيخهم حامة بن مظهر وبنو يكناس من بنى مرين وأوقعوا ببنى وماتوا وقتلوا أبا بكر فى ستمائة منهم واستنقذوا غنائمهم وتحصن الموحدون وفل بنى وماتوا بجبل سيرات ولحق تاشفين بن ماخوخ صريخا بعبد المؤمن وجاء فى جملته حتى نزل تاشفين بن على بتلمسان ولما ارتحل فى أثره الى وهران كما قدمناه سرح الشيخ أبو حفص فى عساكر الموحدين الى بلاد زناتة فنزلوا منداس وسط بلادهم وأثخنوا فيهم حتى أذعنوا الطاعته ودخلوا فى الدعوة ووفد على عبد المؤمن بمكانه من حصار وهران مقدمهم سيد الناس بن أمير الناس شيخ بنى يلومى وحامة بن مطهر شيخ بنى عبد الواد وعطية الحيو شيخ بنى توجين وغيرهم فتلقاهم بالقبول ثم انتقضت زناتة بعدها وامتنع بنو يلومى بحصنهم الجعبات ومعهم شيخهم سيد الناس ومدرج ابناسيد الناس فحاصرتهم عساكر الموحدين وغلبوهم عليها وأشخصوهم الى المغرب ونزل سيد الناس بمراكش وبها كان مهلكه أيام عبد المؤمن وهلك بعد ذلك بنو ماخوخ (ولما) أخذ أمر هذين الحيين فى الانتقاض جاذب بنو يلومى فى تلك الاعمال بنو توجين وشاجروهم فى أحواله ثم واقعوهم الحرب فى جوانبه وتولى ذلك فيهم عطية الحيو شيخ بنى توجين وصلى بنارها معه منهم بنو منكوش من قومه حتى غلبوهم على مواطنهم وأذلوهم واصاروهم جيرانا لهم فى قياطينهم واستعلى بنو عبد الواد وتوجين على هذين الحيين وغيرهم بولايتهم للموحدين ومخالطتهم اياهم فذهب شأنهم وافترق قبطونهم أوزاعا فى زناتة الوارثين أوطانهم من عبد الواد وتوجين والبقاء لله سبحانه

(ومن بطون بنى وماتوا هؤلاء بنو يامدس) وقد يزعم زاعمون انهم من مغراوة ومواطنهم متصلة قبلة المغرب الاقصى والاوسط وراء العرق المحيط بعمرانها المذكور قبل واختطوا فى المواطن القصور والاطم واتخذوا بها الجنات من النخيل والاعناب وسائر الفواكه فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة ويسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين أخذت من المشرق الى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر فى العمران وهو محط ركاب التجر المترددين من المغرب الى بلد مالى من السودان لهذا العهد ومن بلد مالى اليه وبينه وبين ثغر بلاد مالى المسمى غا المفازة المجهلة لا يهتدى فيها للسبيل ولا يمر الوارد الا بالدليل الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفر يستأجره التجار على الدرية بهم فيها باوفر الشروط وكانت بلد بودى وهى أعلى تلك القصور بناحية المغرب من بادية السوس هى الركاب الى والاتن الثغر الآخر من أعمال مالى ثم أهملت لما صارت الاعراب بادية السوس يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقها فتركوا تلك ونهجوا الطريق الى

بلد السودان من أعلى تمنطيت ومن هذه القصور قبلة تلمسان وعلى عشر مراحل منها قصور تيكارين وهى كثيرة تقارب المائة فى بسيط واد منحدر من المغرب الى المشرق واستبحرت فى العمران وغصت بالساكن وأكثر سكان هذه القصور الغريبة فى الصحراء بنو يامدس هؤلاء ومعهم من سائر قبائل البربر مثل وتطغير ومصاب وبنى عبد الواد وبنى مرين وهم أهل عدد وعدة وبعد عن هضمة الاحكام وذل المغارم وفيهم الرجالة والخيالة وأكثر معاشهم من بلح النخل وفيهم التجار الى بلاد السودان وضواحيهم كلها مشاة للعرب ومختصة بعبيد الله من المعقل عينتها لهم قسمة الرحلة وربما شاركهم بنو عامر بن زغبة فى تيكرارين فتصل اليها ناجعتهم بعض السنين وأما عبيد الله فلا بد لهم فى كل سنة من رحلة الشتاء الى قصور توات وبلد تمنطيت ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الامصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيت ثم يبذرقون منها الى بلاد السودان وفى هذه البلاد الصحراوية غريبة فى استنباط المياه الجارية لا توجد فى تلول المغرب وذلك ان البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها الى أن يوصل بالحفر الى حجارة صلدة فتنحت بالمعاول والفؤس الى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها على الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر على وجه الارض واديا ويزعمون ان الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شئ وهذه الغريبة موجودة فى قصور توات وتيكرارين وواركلا وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العليم وهذا آخر الكلام فى الطبقة الاولى من زناتة فلنرجع الى أخبار الطبقة الثانية وهم الذين اتصلت دولتهم الى هذا العهد

(أخبار الطبقة الثانية من زناتة وذكر أنسابهم وشعوبهم وأوليتهم ومصائر ذلك)

قد تقدم لنا فى أضعاف الكلام قبل انقراض الملك من الطبقة من زناتة ما كان على يد صنهاجة والمرابطين من بعدهم وأن عصبية أجيالهم افترقت بانقراض ملكهم ودولهم وبقى منهم بطون لم يمارسوا الملك ولا أخلقهم ترفه فأقاموا فى قياطينهم بأطراف المغربين ينتجعون جانبى القفر والتل ويعطون الدول حق الطاعة وغلبوا على بقايا الاجيال الاولى من زناتة بعد أن كانوا مغلوبين لهم فأصبحت لهم السورة والعزة وصارت الحاجة من الدول الى مظاهرتهم ومسالمتهم حتى انقرضت دولة الموحدين فتطاولوا الى الملك وضربوا فيه مع أهله بسهم وكانت لهم دول نذكرها ان شاء الله تعالى وكان أكثر هذه الطبقة من بنى واسين بن يصليتن اخوة مغراوة وبنى يفرن ويقال انهم من بنى وانتن بن ورسيك بن جانا اخوة منسارة وناجدة وقد تقدم ذكر هذه الانساب وكان من بنى واسين هؤلاء بلد قصطيلة وذكر ابن الرقيق ان أبا يزيد النكارى لما ظهر

بجبل أوراس كتب اليهم بمكانهم حول توزر (١) يأمرهم بحصارها فحاصروها سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وربما كان منهم ببلد الحامة لهذا العهد ويعرفون ببني ورتاجن احدى بطونهم وأمّا جمهورهم فلم يزالوا بالمغرب الاقصى بين ملوية الى جبل راشد (وذكر موسى) بن أبي العافية في كتابه الى الناصر الاموي يعرفه بحربه مع ميسور مولى أبي القاسم الشيعي ومن سار اليه من قبائل زناتة فذكر فيمن ذكر ملوية وسار من قبائل بني واسين وبني يفرن وبني برناتن وبني ورنغت ومطماطة فذكر منهم بني واسين لانّ تلك المواطن من مواطنهم قبل الملك (وفي هذه الطبقة منهم بطون) فمنهم بنو مرين وهم أكثرهم عددا وأقواهم سلطانا وملكا وأعظمهم دولة (ومنهم) بنو عبد الواد تلوهم في الكثرة والقوة وبنو توجين من بعدهم كذلك هؤلاء أهل الملك من هذه الطبقة وفيها غير أهل الملك بنو راشد اخوة بني بادين كما نذكره وفيها أهل الملك أيضا من غير نسبهم بقية من مغراوة بمواطنهم الاولى من وادي شلب فنضت فيهم عروق الملك بعد انقراض جيلهم الاول فتجاذبوا حبله مع أهل هذا الجيل وكانت لهم في مواطنهم دولة كما نذكره (ومن أهل هذه الطبقة) كثير من بطونهم ليس لهم ملك نذكرهم الآن عند تفصيل شعوبهم وذلك أنّ احياءهم جميعا تشعبت من زرجيك بن واسين فكان منهم بنو بادين ابن محمد وبنو مرين بن ورتاجن فأمّا بنو ورتاجن فهم من ولد ورتاجن بن ماخوخ ابن جريح بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن رجيك (وأمّا بنو مرين) بن ورتاجن فتعددت أفخاذهم وبطونهم كما نذكر بعد حتى كثروا سائر شعوب بني ورتاجن وصار بنو ورتاجن معدودين في جملة أفخاذهم وشعوبهم (وأما بنو بادين) بن محمد من ولد زرجيك ولا أذكر الآن كيف يتصل نسبهم به وتشعبوا الى شعوب كثيرة فكان منهم بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو مصاب وبنو زردال يجمعهم كلهم نسب بادين بن محمد وفي محمد هذا يجتمع بادين وبنو راشد ثم يجتمع محمد مع ورتاجن في زرجيك بن واسين وكانوا كلهم معروفين بين زناتة الاولى ببني واسين قبل أن تعظم هذه البطون والافخاذ وتتشعب مع الايام وبأرض افريقية وصحراء برقة وبلاد الزاب منهم طوائف من بقايا زناتة الاولى قبل انسياحهم الى المغرب فنهم بقصور غدامس على عشرة مراحل قبلة سرت وكانت مختطة منذ عهد الاسلام وهي خطة مشتملة على قصور وآطام عديدة وبعضها لبني ورتاجن وبعضها لبني واطاس من أحياء بني مرين يزعمون أنّ أوليتهم اختطوها وهي لهذا العهد قد استبحرت في العمارة واتسعة في التمدن بما صارت محطا لركاب الحاج من السودان وقفل التجار الى مصر والاسكندرية عند اراحتهم من قطع المفازة ذات الرمال المعترضة أمام طريقهم دون

الارياف والتلول وبابالولوج تلك المفازة والحاج والتجر فى موضعهم ومنهم ببلد الحامة غربى قابس أمة عظيمة من بنى ورتاجن وفرت منهم حاميتها واشتدت شوكتها ورحل اليها التجر بالبضائع لنفاق أسواقها وتبحر عمرانها وامتنعت لهذا العهد على مرين وبها من يجاربها فهم لا يؤدون خراجا ولا يسامون بغرم حتى كأنهم لا يعرفونه عزة جناب وفضل باس ومنعته ويزعمون أن سلفهم من بنى ورتاجن اختطوها ورياستهم فى بيت منهم يعرفون ببنى وشاح ولربما طال على رؤسائهم عهد الخلافة ووطأة الدولة فيتطاولون الى التى تنكر على السوقة من اتخاذ الآلة ويبرزون فى زى السلطان أيام الزينة تهاونا بشعار الملك ونسيانا للمألوف الانقياد شأن جيرانهم رؤساء توزر ونفطة وسابق الغاية فى هذه الضحكة هو يملول مقدم توزر (ومن بنى واسين) هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطر فى القبلة لما دون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بنى ريغة فى المغرب وهذا الاسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بنى بادين حسبما ذكرناهم الآن وضعوها فى أرض حرة على احكام وضراب ممتنعة فى مساربها بين الارض المحجرة المعروفة بالحمادة فى سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد على فراسخ فى ناحية القبلة وسكانها لهذا العهد شعوب بنى بادين من بنى عبد الواد وبنى توجين ومصاب وبنى رزدال فمن انضاف اليهم من شعوب زناتة وان كان شهرتها مختصة بمصاب وحالها فى المبانى والاغتراس وتفرق الجماعات بتفرق الرياسة شبيهة بحال بنى ريغة والزاب ومنهم بجبل أوراس بافريقية طائفة من بنى عبد الواد موطونة منذ العهد القديم لاول الفتح معروفون بين ساكنيه (وقد ذكر) بعض الاخباريين أن بنى عبد الواد حضروا مع عقبة بن نافع فى فتح المغرب عند ايغاله فى ديار المغرب وانتهائه الى البحر المحيط بالسوس فى ولايته الثانية وهى الغزاة التى هلك فيها فى منصرفه منها وانهم أبلوا البلاء الحسن فدعا لهم وأذن فى رجوعهم قبل استتمام الغزاة ولما تحيزت زناتة أمام كتامة وصنهاجة اجتمع شعوب بنى واسين هؤلاء كلهم ما بين ملوية كما ذكرناه وتشعبت أحياؤهم وبطونهم وانبسطوا فى صحراء المغرب الاقصى والاوسط الى بلاد الزاب وما اليها من صحارى افريقية اذ لم يكن للعرب فى تلك المجالات كلها مذهب ولا مسلك الى المائة الخامسة كما سبق ذكره ولم يزالوا بتلك البلاد مشتملين لبوس العز مشمرين للانفة وكانت مكاسبهم الانعام والماشية وابتغاؤهم الرزق من تخيف السابلة (١) وفى ظل الرماح المشرعة وكانت لهم فى محاربة الاحياء والقبائل ومنافسة الامم والدول ومغالبة الملوك أيام ووقائع نلم بها ولم تعظم العناية باستيعابها فنأتى به والسبب فى ذلك أن اللسان العربى كان غالبا لغلبة دولة العرب وظهور الملة العربية فالكتاب والخط

بلغة الدولة ولسان الملك واللسان العجمي مستتر بجناحه مندرج في غماده ولم يكن لهذا الجيل من زناته في الاحقاب القديمة ملك يحمل أهل الكتاب على العناية بتقييد أيامهم وتدوين أخبارهم ولم تكن مخالطة بينهم وبين أهل الارياف والحضر حتى يشهدوا آثارهم لابعادهم في القفر كما رأيت في مواطنهم وتوحشهم عن الانقياد فبقوا غفلا الى ان درس منهم الكثير ولم يصل الينا بعد ملكهم الا الشارد القليل يتبعه المؤرخ المطلع في مسالكه ويتقراه في شعابه ويسبره من مكامنه وأقاموا بتلك القفار الى ان تسموا منها هضبات الملك على ما نصفه

مصاب بن ـــــــن بادين بن محمد بن رزجيك بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن اديدت بن جانا

(الخبر عن أحوال هذه الطبقة قبل الملك وكيف كانت تصاريف أحوالهم الى ان غلبوا على الملك والدول)

وذلك أنّ أهل هذه الطبقة من بنى واسين وشعوبهم التى سميناها كانوا أتباعاً لزناتة الاولى ولما انزاحت زناتة الى المغرب الاقصى أمام كتامة وصنهاجة خرج بنو واسين هؤلاء الى القفر ما بين وصا فكانوا يرجعون الى ملك المغرب لذلك العهد مكناسة أولاً ثم مغراوة من بعدهم ثم حسر تيار بنى صنهاجة عن المغرب وتقلص ملكهم بعض الشئ وصاروا الى الاستجاشة على القاصية بقبائل زناتة فأومضت بروقهم ورفت فى ممالك زناتة منابتهم كما قدمناه واقتسم أعمالها بنو ومانو وبنو يلومى ناحيتين وكانت ملوك صنهاجة أهل القلعة اذا عسكروا للغرب يستنفرونهم لغزوه ويجمعون حشدهم للتوغل فيه وكان بنو واسين هؤلاء ومن تشعب معهم من القبائل الشهيرة الذكر مثل بنى مرين وبنى عبد الواد وبنى توجين ومصاب قد ملكوا القفر ما بين ملوية وأرض الزاب وامتنعت عليهم المغربان ممن ملكهما من زناتة الذين ذكرناهم (وكان) أهل الرياسة بتلك الارياف والضواحى من زناتة مثل بنى ومانوا وبنى يلومى بالمغرب الاوسط وبنى يفرن ومغراوة بتلمسان يستجيشون بنى واسين هؤلاء وشعوبهم ويستظهرون بجموعهم على من زاحمهم أو نازعهم من ملوك صنهاجة وزناتة وغيرهم يحاجون بهم عن مواطنهم لذلك ويقرضونهم القرض الحسن من المال والسلاح والحبوب المعوزة لديهم بالقفار فيتأثلون منهم ويرتاشون وعظمت حاجة بنى حماد اليهم فى ذلك عندما عصفت بهم ريح العرب الضوالع من بنى هلال بن عامر وصرعوا دولة المعز وصنهاجة بالقيروان والمهدية والابواء عن مدهم وزحفوا الى المغرب الاوسط فدافعوا بنى حماد عن حوزته وأوعزوا الى زناتة بمدافعتهم أيضاً فاجتمع لذلك بنو يعلى ملوك تلمسان من مغراوة وجمعوا من كان اليهم من بنى واسين هؤلاء من بنى مرين وعبد الواد وتوجين وبنى راشد وعقدوا على حرب الهلاليين لوزيرهم أبى سعدى خليفة بن اليفرنى فكان له مقامات فى حروبهم ودفاعهم عن ضواحى الزاب وما اليه من بلاد افريقية والمغرب الاوسط الى أن هلك فى بعض أيامه معهم وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحى وأزاحوهم عن الزاب وما اليه من بلاد افريقية وانشمر بنو واسين هؤلاء من بنى مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب الى مواطنهم بصحراء المغرب الاوسط من مصاب وجبل راشد الى ملوية وفيكيك ثم الى سجلماسة ولاذوا ببنى ومانوا وبنو يلومى ملوك الضواحى بالمغرب الاوسط وتفيؤا ظللهم واقتسموا ذلك القفر بالمواطن فكان لبنى مرين الناحية الغربية منها قبلة المغرب الاقصى بتيكوارين ودبروا الى ملوية

وبجلماسة وبعدوا عن بنى يلومى الا فى الاحايين وعند الصريخ وكان لبنى يادين منها الناحية الشرقية قبلة المغرب الاوسط ما بين فيكيك ومديونة الى جبل راشد ومصاب وكان بينهم و بين بنى مرين فتن متصلة باتصال أيامهم فى تلك المواضع بسبل القبائل الجيران فى مواطنهم وكان الغلب فى حروبهم أكثر ما يكون لبنى يادين لما كانت شعوبهم أكثر وعددهم أوفر فانهم كانوا أربعة شعوب بنى عبد الواد وبنى توجين وبنى زردال وبنى مصاب كان معهم شعب آخر وهم اخوانهم بنو راشد لانا قدمنا أن راشدا أخو يادين وكان موطن بنى راشد الجبل المشهور بهم بالصحراء ولم يزالوا على هذه الحال الى أن ظهر أمر الموحدين فكان لبنى عبد الواد وتوجين ومغراوة من المظاهرة لبنى يلومى على الموحدين ما هو مذكور فى أخبارهم ثم غلب الموحدون على المغرب الاوسط وقبائله من زناتة فأطاعوا وانقادوا وتحيز بنو عبد الواد و بنو توجين الى الموحدين وازدلفوا اليهم وأمحضوا النصيحة للموحدين فاصطنعوهم دون بنى مرين كما نذكر فى أخبارهم وترك الموحدون ضواحى المغرب الاوسط كما كانت لبنى يلومى وبنى ومانو افملكوها وتفرد بنو مرين بعد مدخل بنى يادين الى المغرب الاوسط بتلك الصحراء لما اختار الله لهم من وفور قسمهم فى الملك واستيلائهم على سلطان المغرب الذى غلبوا به الدول واشتملوا الاقطار ونظموا المشارق الى المغارب واقتعدوا كراسى الدول المسامتة لهم بأجمعها ما بين السوس الاقصى الى افريقية والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده فأخذ بنو مرين وبنو عبد الواد من شعوب بنى واسين بحظ من الملك أعادوا فيه لزناتة دولة وسلطانا فى الارض واقتادوا الامم برسن الغلب وناغاهم فى ذلك الملك البدوى اخوانهم بنو توجين وكان فى هذه الطبقة الثانية بقية أخرى مما ترك آل خزر من قبائل مغراوة الاول كانوا موطنين بقرار عزهم ومنشا جيلهم بوادى شلب فجاذبوا هؤلاء القبائل حبل الملك وناغوهم فى أطوار الرياسة واستطالوا بعن وصل جناحهم من هذه العشائر فتطاولوا الى مقاسمتهم فى الماء ومساهمتهم فى الامر ومازال بنو عبد الواد فى الغض من عنانهم وجدع أنوف عصبيتهم حتى أوهنوا من بأسهم وخصت الدولة العبد الوادية ثم المرينية بسمة الملك المجمة من جناح تطاولهم وتمخض ذلك كله عن استبداد بنى مرين واستتباعهم لجميع هؤلاء العصائب كما نذكر لك الآن دولهم واحدة بعد أخرى ومصائر هؤلاء القبائل الاربعة التى هى رؤس هذه الطبقة الثانية من زناتة والملك لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين (ولنبدأ منها بذكر مغراوة) بقية الطبقة الاولى وما كان لرؤسائهم أولاد منديل من الملك فى هذه الطبقة الثانية كما ستراه ان شاء الله تعالى

الخبر عن أولاد منديل من الطبقة الثانية وما أعادوا القوم هم مغراوة من الملك بموطنهم الاول من شلب وما اليه من نواحي المغرب الاوسط

لما ذهب الملك من مغراوة بانقراض ملوكهم آل خزر واضمحلت دولتهم بتلمسان وسجلماسة وفاس وطرابلس وبقيت قبائل مغراوة متفرقة في مواطنها الاولى بنواحي المغربين وافريقية بالصحراء والتلول والكثير منهم بعنصرهم ومركزهم الاول بوطن شلب وما اليه فكان به بنو ورسيفان وبنو يرنار وبنو يلنت ويقال انهم من وترمار وبنو سعيد وبنو زحالك وبنو سنجاس وورعا يقال انهم من زناتة وليسوا من مغراوة وكان بنو خزرون الملوك بطرابلس لما انقرض أمرهم وافترقوا في البلاد ولحق منهم عبد الصمد بن محمد بن خزرون بجبل أوراس فرارا من أهل بيته هنالك الذين استولوا على الامر وجده خزرون بن خليفة السادس من ملوكهم بطرابلس فأقام بينهم أعواما ثم ارتحل عنهم فنزل على بقايا قومه مغراوة بشلب من بني ورسيفان وبني ورتزمير وبني بو سعيد وغيرهم فتلقوهم بالمبرة والكرامة وأوجبوا له حق البيت الذي ينسب اليه فيهم وأصهر اليهم فأنكحوه وكثر ولده وعرفوا بينهم ببني محمد ثم بالخزرية نسبة الى سلفه الاول وكان من ولده الملقب أبو ناس بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد وكان منتحلا للعبادة والخيرية وأصهر اليه بعض ولد ماخوخ ملوك بني وماتوا بابنته فأنكحه اياها فعظم أمره عندهم بقومه ونسبه وصهره وجاءت دولة الموحدين على اثر ذلك فرعوه بعين التجلة لما كان عليه من طرق الخير فأقطعوه بوادي شلب وأقام على ذلك وكان له من الولد ورجيع وهو كبيرهم وغربي ولغريات وماكور ومن بنت ماخوخ عبد الرحمن وكان أجلهم شأنا عنده وعند قومه عبد الرحمن هذا المايوجبون له بولادة ماخوخ لاته ويتفرسون فيه أن له ولعقبه ملكا وزعموا أنه لما ولد خرجت به أمه الى الصحراء فألقته الى شجرة وذهبت في بعض حاجاتها فأطاف به يعسوب من النحل متواقعين عليه وبصرت به على البعد فجاءت فعد ولما أدركها من الشفقة فقال لها بعض العارفين خفضي عنك فوالله ليكونن لهذا شأن ونشأ عبد الرحمن هذا في جو هذه التجلة مدة بنسبه وبأسه وكثرت عشيرته من بني أبيه واعصوصب عليه قبائل مغراوة فكان له بذلك شوكة وفي دولة الموحدين تقدمة لما كان يوجب لهم على نفسه من الانحياش والمخالطة والتقدم في مذاهب الطاعة وكان السادة منهم يمرون به في غزواتهم الى افريقية ذاهبين وجائين فينزلون منه خير نزل وينقلبون بحمده والشكر لمذهبه فيزيد خلفاءهم اغتباطا به وأدرك بعض السادة وهو بأرض قومه الخبر بهلاك الخليفة بمراكش فخلف الذخيرة والظهر وأسلمها لعبد الرحمن هذا ونجا بدمائه بعد ان صحبه الى

تخوم وطنه فكانت له بها ثروة أكسبته قوة فاستركب من قومه واستكثر من عصابته وعشيرته وهلك خلال ذلك وقد فشل ريح بنى عبد المؤمن وضعف أمر الخليفة بمراكش (وكان له من الولد) منديل وتميم وكان أكبرهما منديل فقام بأمر قومه على حين عصفت رياح الفتنة وسما لمنديل أمل فى التغلب على ما يليه فاستأسد فى عرينه وحامى عن أشباله ثم فسح خطوه الى ما جاوره من البلاد فملك جبل وانشريس والمرية وما الى ذلك واختط قصبة مرات وكان بسيط متيجة لهذا العهد فى العمران آهلا بالقرى والامصار (ونقل الاخباريون) أن أهل متيجة لذلك العهد يجمعون فى ثلاثين مصرا فجاس خلالها وأوطأ الغارات ساحتها وخرب عمرانها حتى تركها خاوية على عروشها وهو فى ذلك يوهم التمسك بطاعة الموحدين وأنه سلم لمن سالمهم حرب لمن عاداهم وكان ابن غانية منذ غلبه الموحدون عن افريقية قد أزاحوه الى قابس وما اليها فنزل الشيخ أبو محمد بن أبى حفص بتونس ودفعه الى افريقية الى أن هلك سنة ثمان عشرة فطمع يحيى ابن غانية فى استرجاع أمره وسبق الى الثغور والامصار يعيث فيها ويخربها ثم تجاوز افريقية الى بلاد زناتة وشن عليها الغارات واكتسح البسائط وتكررت الوقائع بينه وبينهم فجمع له منديل بن عبد الرحمن ولقيه بمتيجة وكانت الدبرة عليه وانفضت عنه مغراوة فقتله ابن غانية صبرا سنة ثنتين أو ثلاث وعشرين وتغلب على الجزائر فنكبته فصلب شلوه بها وصيره مثلا للآخرين وقام بأمره فى قومه بنوه وكان منجبا فكان لهم العدد والشرف وكانوا يرجعون فى أمرهم الى كبيرهم العباس فتقلد مذاهب أبيه واقتصر على بلاد متيجة ثم غلبهم بنو توجين على جبل وانشريس وضواحى المرية وما الى ذلك وانقبضوا الى مركزهم الاول شلب وأقاموا فيها ملكا بدويا لم يفارقوا فيه الظعن والخيام والضواحى والبسائط واستولى على مدينة مليانة وتنس وبرشك وشرشال مقيمين فيها للدعوة الحفصية واختطوا قريبة مازونة (ولما استوطن) الملك بتلمسان ليغمراسن بن زيان واستفحل سلطانه بها وعقد له عليها ولاخيه من قبله عبد المؤمن سما على التغلب على اعمال المغرب الاوسط وزاحم بنى توجين وبنى منديل هؤلاء بمكاسة فلفتوا وجوههم جميعا الى الامير أبى زكريا بن أبى حفص مديل الدولة بافريقية من بنى عبد المؤمن وبعثوا اليه الصريخ على يغمراسن فاحتشد لهم جميع الموحدين والعرب وابتز تلمسان وافتتحها كما ذكرناه ولما قفل الى الحضرة عقد فى مرجعه لأمراء زناتة كل على قومه ووطنه فعقد للعباس بن منديل على مغراوة ولعبد القوى على توجين

وولاء حورة   وسوغ لهم اتخاذ الآلة فاتخذوها بمشهد منه وعقد

العباس السلم مع يغمراسن ووفد عليه بتلمسان فلقاه برة وتكريما   عنه

بعدها مغاضبا يقال انه تحدث بمجلسه يوما فزعم أنه رأى فارسا واحدا يقاتل مائتين من الفرسان فنكر ذلك من معه من بني عبد الواد وعرضوا بتكذيبه فخرج العباس لها مغاضبا حتى أتى بقومه وأتى يغمراسن مصداق قوله فانه كان يعني بذلك الفارس نفسه وهلك العباس لخمس وعشرين سنة بعد أبيه سنة سبع وأربعين وقام بالامر بعده أخوه محمد بن منديل وصلحت الحال بينه وبين يغمراسن وصاروا الى الاتفاق والمهادنة ونفر معه بقومه مغراوة الى غزو المغرب سنة كاومان وهي سنة سبع وأربعين وستمائة هزمهم فيها يعقوب بن عبد الحق فرجعوا الى أوطانهم وعاودوا شأنهم في العداوة وانتقض عليهم أهل مليانة وخلعوا الطاعة الحفصية (وكان من خبر) هذا الانتقاض أن أبا العباس أحمد المليانى كان كبير وقته علما ودينا ورواية وكان عالي السند في الحديث فرحل اليه الاعلام وأخذ عنه الائمة وأوفت به الشهرة على ثنايا السيادة فانتهت اليه رياسة بلده على عهد يعقوب المنصور وبنيه ونشأ ابنه أبو علي في جو هذه العناية وكان جموحا للرياسة طامحا للاستبداد وهو مع ذلك خلو من المغارم فلما هلك أبوه جرى في شأو رياسته طلقا ثم رأى ما بين مغراوة وبني عبد الواد من الفتنة فحدثته نفسه بالاستبداد ببلده فجمع لما جرى وقطع الدعاء للخليفة المستنصر سنة تسع وخمسين وبلغ الخبر الى تونس فسرح الخليفة أخاه في عسكر من الموحدين في جملته دون الديك ابن هرنزة من آل ادفونش ملوك الجلالقة كان نازعا اليه عن أبيه في طائفة من قومه فنازلوا مليانة أياما وداخل السلطان طائفة من مشيخة البلد المنحرفين عن ابن المليانى فسربوا اليهم جنودا بالليل واقتحموها من بعض المداخل وفر أبو علي المليانى تحت الليل وخرج من بعض البلد فلحق بأحياء العرب ونزل على يعقوب بن موسى بن العطاب من بطون زغبة فأجاره الى أن لحق بعدها بيعقوب بن عبد الحق فكان من أمره ما ذكرناه في أخبارهم وانصرف عسكر الموحدين والامير أبو حفص الى الحضرة وعقد لمحمد بن منديل على مليانة فأقام بها الدعوة الحفصية على سنن قومه ثم هلك محمد بن منديل سنة ثنتين وستين لخمس عشرة من ولايته قتله أخوه ثابت وعابد بمنزل خلوا عنهم بالخدر من بسيط بلادهم وقتل معه عطية ابن أخيه سنيق وتولى عابد وشاركه ثابت في الامر واجتمع اليه قومه وتقطع ما بين أولاد منديل وخشنت صدورهم واستغلظ يغمراسن بن زيان عليهم وداخله عمر بن منديل في أن يمكنه من مليانة ويشد عضده على رياسة قومه فشارطه على ذلك وأمكنه من أزمة البلد سنة ثمان وستين ونادى بعزل ثابت وموازرة عمر على الامر فتم لهما ما أحكماه من أمرهما في مغراوة واستمكن بها يغمراسن من قيادة قومه ثم تنافس أولاد منديل في الازدلاف الى يغمراسن بمثلها نكاية

لعمر فاتفق ثابت وعابد أولاد منديل أن يحكما من تونس فأمكناه منها سنة ثنتين وسبعين على اثني عشر ألفا من الذهب واستقرت ولاية عمر الى أن هلك سنة ست وسبعين فاستقل ثابت بن منديل برياسة مغراوة وأجاز عابد أخوه الى الاندلس للرباط والجهاد مع صاحبه زيان بن محمد بن عبد القوى وعبد الملك بن يغمراسن لحول زناتة واسترجع ثابت بلاد تونس ومليانة من يد يغمراسن ونبذ اليه العهد ثم استغلظ يغمراسن عليهم واسترد تونس سنة احدى وثمانين بين يدى مهلكه (ولما) هلك يغمراسن وقام بالامر بعده ابنه عثمان انتقضت عليه تونس ثم ردد الغزو الى بلاد توجين ومغراوة حتى غلبهم آخرا على ما بأيديهم وملك المرية بمداخلة بنى لمدية أهلها سنة سبع وثمانين وغلب ثابت بن منديل على مازونة فاستولى عليها ثم نزل له عن تونس أيضا فملكها ولم يزل عثمان مراغما لهم الى أن زحف اليهم سنة ثلاث وتسعين فاستولى على أمصارهم وضواحيهم وأخرجهم عنها وألجأهم الى الجبال ودخل ثابت بن منديل الى برشك مما يليها دونها فزحف اليهم عثمان وحاصره بها حتى اذا استيقن أنه محاط به ركب البحر الى المغرب وركب الى يوسف ابن يعقوب سلطان بنى مرين صريخا سنة أربع وتسعين فأكرمه ووعده بالنصرة من عدوه وأقام بفاس وكانت بينه وبين ابن الاشعب من رجالات بنى عسكر صحبة ومداخلة فجاء بعض الايام الى منزله ودخل عليه من غير استئذان وكان ابن الاشعب ثملا فسطا به وقتله وثار السلطان به منه وانفجع لموته وكان ثابت بن منديل قد أقام ابنه محمدا الامير فى قومه وولاه عليهم لعهده واستبد بملك مغراوة دونه (ولما انصرف) أبوه ثابت الى قومه أقام هو فى امارته لى مغراوة وهلك قريبا من مهلك أبيه فقام بأمرهم من بعده شقيقه على ونازعه الامر أخواه رحمون ومنيف فقتله منيف ونكر ذلك قومهما وأبوا من امارتهما عليهم فلحقا بعثمان بن يغمراسن فأجازهما الى الاندلس (وكان) أخوهما عمر بن ثابت قائدا على الغزاة بالمرية فنزل لمنيف عنها فكانت أول ولاية وليها بالاندلس ولحق بهم أخوهم عبد المؤمن فكانوا جميعا هنالك ومن أعقاب عبد المؤمن يعقوب بن زيان بن عبد المؤمن ومن أعقاب منيف بن عمر بن منيف وجماعة منهم لهذا العهد بالاندلس (ولما هلك) ثابت بن منديل سنة أربع وتسعين كما قلناه كفل السلطان ولده وأهله وكان فيهم حافده راشد بن محمد فأصهر اليه فى أخته وأنكحه اياها ونهض الى تلمسان سنة ثمان وتسعين فأناخ عليها واختط مدينته لحصارها وسرح فى نواحيها وعقد على مغراوة وشلب لعمر بن ويعزن بن منديل وبعث معه جيشا ففتح مليانة وتونس ومازونة سنة تسع وتسعين ووجد راشد فى نفسه اذ لم يوله على قومه وكان يرى أنه الاحق لنسبه وصهره فنزع عن السلطان ولحق بجبال متيجة

ودس الى أوليائه من مغراوة حتى وجد فيهم الدخلة فأجد السير ولحق بهم فافترق
أمر مغراوة وداخل أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وبيت عمر بن ويغزن بازمور
من ضواحي بلادهم فقتله واجتمع عليه قومه وسرح السلطان اليه الكتائب من بني
عسكر لنظر الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني ورتاجن ولنظر علي بن محمد الخير
من بني توجين ولنظر أبي بكر بن ابراهيم بن عبد القوي ومن الجند لنظر علي بن حسان
الصبحي من صنائعه وعقد على مغراوة لمحمد بن عمر بن منديل وزحفوا الى مازونة وقد
ضبطها راشد وخلف عليها عليا وحموا من بني عمه يحيى بن ثابت ولحق هو ببني بو سعيد
مطلا عليهم وأناخت العساكر على مازونة ووالوا عليها الحصار سنين أجهدوهم وبعث
علي بن يحيى أخاه حموا الى السلطان من غير عهد فتقبض عليهم ثم اضطره الجهد الى
مركب الغرر فخرج اليهم ملقيا بيده سنة ثلاث وأشخصوه الى السلطان فعفا عنه
واستبقاه واحتسبها تأنيسا واستمالة لراشد بن محمد في معقل بني بو سعيد وطال حصاره
اياه وأمكنته الغرة بعض الايام في العساكر وقد تعلقوا بأوعار البلد زاحفين اليه
فهزمهم وهلك في تلك الواقعة خلق من بني مرين وعساكر وذلك سنة
أربع وسبعمائة وبلغ الخبر الى السلطان فأحفظه ذلك عليهم ابن عمه
علي ابن يحيى وأخاه حموا ومن معهم من قومهم فقتلوا رشقا بالسهام واستلحمهم
ثم سرح أخاه أبا يحيى بن يعقوب ثانية سنة أربع فاستولى على بلاد مغراوة ولحق
راشد بجبال صنهاجة من متيجة ومعه عمه منيف بن ثابت ومن اجتمع اليهم من قومهم
فنازلهم أبو يحيى بن يعقوب وراسل راشد يوسف بن يعقوب فانعقدت بينهما السلم
ورجعت العساكر عنهم وأجاز منيف بن ثابت معه بنيه وعشيرته الى الاندلس فاستقروا
هنالك آخر الايام (ولما هلك) يوسف بن يعقوب بمناخه على تلمسان آخر سنة ست
انعقدت السلم بين حافده أبي ثابت وبين أبي زيان بن عثمان سلطان بني عبد الواد
على أن يخلي له بنو مرين عن جميع ما ملكوه من أمصارهم وأعمالهم وثغورهم وبعثوا
في حاميتهم وعمالهم وأسلموها لعمال بني زيان وكان راشد قد طمع في استرجاع بلاده
وزحف الى مليانة فأحاط بها فلما نزل عنها بنو مرين لأبي زيان وصارت مليانة وتونس
له أخفق سعي راشد وأفرج عن البلد ثم كان مهلك أبي زيان قريبا وولي أخوه أبو حموا
موسى بن عثمان واستولى على المغرب الاوسط فهلك تافركنت سنة وملك
بعدها مليانة والمرية ثم ملك تونس وعقد عليهم لمولاه مسامح وقارن ذلك حركة صاحب
بجاية السلطان أبي البقاء خالد ابن مولانا الامير أبي زكريا ابن السلطان أبي اسحق الى
متيجة لاسترجاع الجزائر من يد ابن علان الثائر بها عليهم فلقيه هنالك راشد بن محمد

وصار في جملته وظاهره على شأنه ولقاه السلطان تكرمة وبرا وعقد له ولقومه حلفا
مع صنهاجة أولياء الدولة والمتغلبين على ضاحية بجاية وجبال زواوة فاتصلت يد راشد
بيد زعيمهم يعقوب بن خلوف آخر الدولة ولما نهض السلطان للاستيلاء على الحضرة
بتونس استعمل يعقوب بن خلوف على بجاية وعسكر معه راشد بقومه وأبلى في الحروب
بين يديه وأغنى في مظاهرة أوليائه حتى اذا ملك حضرتهم واستولى على سرير سلفهم
أسف حاجب الدولة راشد هذا وقومه بامضاء الحكم في بعض حشمه وتعرض للحرابة
في السابلة فتقبض عليه ورفع الى سدة السلطان فأمضى فيه حكم الله وذهب راشد
مغاضبا ولحق بوليه بن خلوف ومضطربه من زواوة وكان يعقوب بن خلوف قد هلك
وولى السلطان مكانه ابنه عبد الرحمن فلم يدع حق أبيه في اكرام صديقه راشد وتشاجر
معه في بعض الايام مشاجرة نكر عبد الرحمن فيها ملاحة راشد له وأنف منها وأدل فيها
راشد بمكانه من الدولة وبيأس قومه فلدغه بالقول وتناوله عبد الرحمن وحشمه وخزا
بالرماح الى أن أقعصوه (١) وانذعر جمع مغراوة ولحقوا بالثغور القاصية وأقفر منهم
شلب وما اليه كأن لم يكونوا به فأجاز منهم بنو منيف وابن ويعزن الى الاندلس للمرابطة
بثغور المسلمين فكانت منهم عصابة موطنة هنالك أعقابهم لهذا العهد وأقام في جوار
الموحدين فل آخرون أوسط قومهم كانوا شوكة في عساكر الدولة الى أن انقرضوا
ولحق علي بن راشد بعمته في قصر بني يعقوب بن عبد الحق فكفلته وسار أولاد منديل
غضبا الى وطن بني مرين فتولوهم وأحسنوا جوارهم وأصهروا اليهم سائر الدولة الى
أن تغلب السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط ومحا دولة آل زيان وجمع كلمة زناتة
وانتظم مع بلادهم بلاد افريقية وعمل الموحدين وكانت نكبته على القيروان سنة
تسع وأربعين كما شرحناه قبل فانتقضت العمالات والاطراف وانتزى أعياص الملك
بمواطنهم الاولى فتوثب علي بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل على بلاد شلب
وتملكها وغلب على أمصارها مليانة وتنس وبرشك وشرشال وأعاد ما كان
لسلفه بها من الملك على طريقتهم البدوية وأرهفوا حدهم لطالبهم من القبائل
وخلص السلطان أبو الحسن من ورطته الى افريقية ثم من ورطة البحر من مرسى
الجزائر الى بجاية يحاول استرجاع ملكه المفترق فبعث الى علي بن راشد وذكره ذمتهم
فتذكروحن واشترط لنفسه التجافي له عن ملك قومه بشلب على أن يظاهره على بني عبد
الواد فأبى السلطان أبو الحسن من اشتراط ذلك فتحيز عنه الى فئة بني عبد الواد الناجمين
بتلمسان كما ذكرناه قبل وظاهرهم عليه وبرز اليهم السلطان أبو الحسن من الجزائر
والتقى الجمعان بمربونة سنة احدى وخمسين فاختل مصاف السلطان أبي الحسن

وانهزم جمعه وهلك ابنه الناصر طاح دمه في مغراوة هؤلاء وخرج الى الصحراء ولحق منهم ابا المغرب الاقصى كما نذكره بعد وتطاول الناجون بتلمسان من آل يغمراسن الى انتظام بلاد مغراوة في ملكهم كما كان سلفهم فنهض اليهم بعساكر بني عبد الواد رديف سلطانهم وأخوه أبو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فأوطأ قومه بلاد مغراوة سنة ثنتين وخمسين وفل جموعهم وغلبهم على الضاحية والامصار وأجحر علي بن راشد بتنس في شرذمة من قومه وأناخ بعساكره عليه وطال الحصار ووقع الغلب ولما رأى علي بن رشد أن قد أحيط به دخل الى زاوية من زوايا قصره انتبذ فيها عن الناس وذبح نفسه بحد حسامه وصار مثلا وحديثا للآخرين واقتحم البلد حينه واستلحم من عثر عليه من مغراوة ونجا الآخرون الى أطراف الارض ولحقوا بأهل الدول فاستركبوا واستلحقوا وصاروا جندا للدول وحشما وأتباعا وانقرض أمرهم من بلاد شلب ثم كانت لبني مرين الكرة الثانية الى تلمسان وغلبوا آل زيان ومحوا آثارهم ثم فاءظلهم بهلك السلطان أبي عنان وحسر تيارهم وجدد الناجون من آل يغمراسن دولة ثانية بمكان غلبهم على يد أبي حمو الاخير ابن موسى بن يوسف كما نذكره في أخبارهم ثم كانت لبني مرين الكرة الثالثة الى بلاد تلمسان ونهض السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن اليها فدخلها فاتح سنة ثنتين وسبعين وسرح عساكره في اتباع أبي حمو الناجم من آل يغمراسن حين فر أمامه في قومه وأشياعه من العرب كما يأتي ذلك كله ولما انتهت العساكر الى البطحاء تلوموا هنالك أياما لازاحة عللهم وكان في جملتهم صبي من ولد علي بن راشد الذبيح اسمه حمزة ربي في جر دولتهم لذمام الصهر الذي لقومه فيهم فكفلته نعمهم وكنفه جوهم حتى شب واستوى وحفظ رزقه في دوانهم وحاله بين ولدانهم واعترض بعض الايام قائد الجيوش الوزير أبا بكر بن غازي كيا وأساء رده فركب الليل ولحق بمعقل بني بوسعيد من بلاد شلب فأجاروه ومنعوه ونادى بدعوة قومه فاجابوه وسرح اليه السلطان وزيره عبد العزيز عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة كبير بني تربيعن في جيش كثيف من بني مرين والجند فنزل بساحة ذلك الجبل حولا كريتا (١) فحاصرهم ينال منهم وينالون منه وامتنعوا واتهم السلطان وزيره الآخر أبا بكر بن غازي فنهض بجر العساكر الضخمة والجيوش الكثيفة الى أن نزل بهم وصحبهم القتال فقذف الله في قلوبهم الرعب وأنزلهم من معقلهم وفر حمزة بن علي في فل من قومه فنزل ببلاد حصين المنتقضين كانوا على الدولة مع أبي زيان بن أبي سعيد الناجم من آل يغمراسن حسبما نذكره وأتى بنو أبي سعيد طاعتهم وأخلصوا الضمائر في مغيبها فحسن

موقعهم وبدأ حمزة في الرجوع اليهم فأعدّ السير في لمة من قومه حتى اذا ألمّ بهم تنكرو
المكان ما اعتقلوا به من حبل الطاعة فتساهل الى البسائط وقصد بمروغت يظن بهاء
غرّة ينتهزها فبرز اليه حاميتها فقتلوا حدّه وردوه على عقبه وتسابقوا في اتباعه الى
أن تقبضوا عليه وقادوه الى الوزير بن الغازي بن الكاس فأوعز اليه السلطان بقتله مع
جملة أصحابه فضربت أعناقهم وبعث بها الى سدّة السلطان وصلب أشلاؤهم على
خشب مسندة نصبها لهم ظاهر مليانة ومحى أثر مغراوة وانقرض أمرهم وأصبحوا
خولا للامراء وجندا في الدول وأوزاعا في الاقطار كما كانوا قبل هذه الدولة لا خبرة لهم
والبقاء لله وحده وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون لا رب غيره
ولا معبود سواه وهو على كل شيء قدير

حمزة بن علي بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد بن محمد بن خزرون

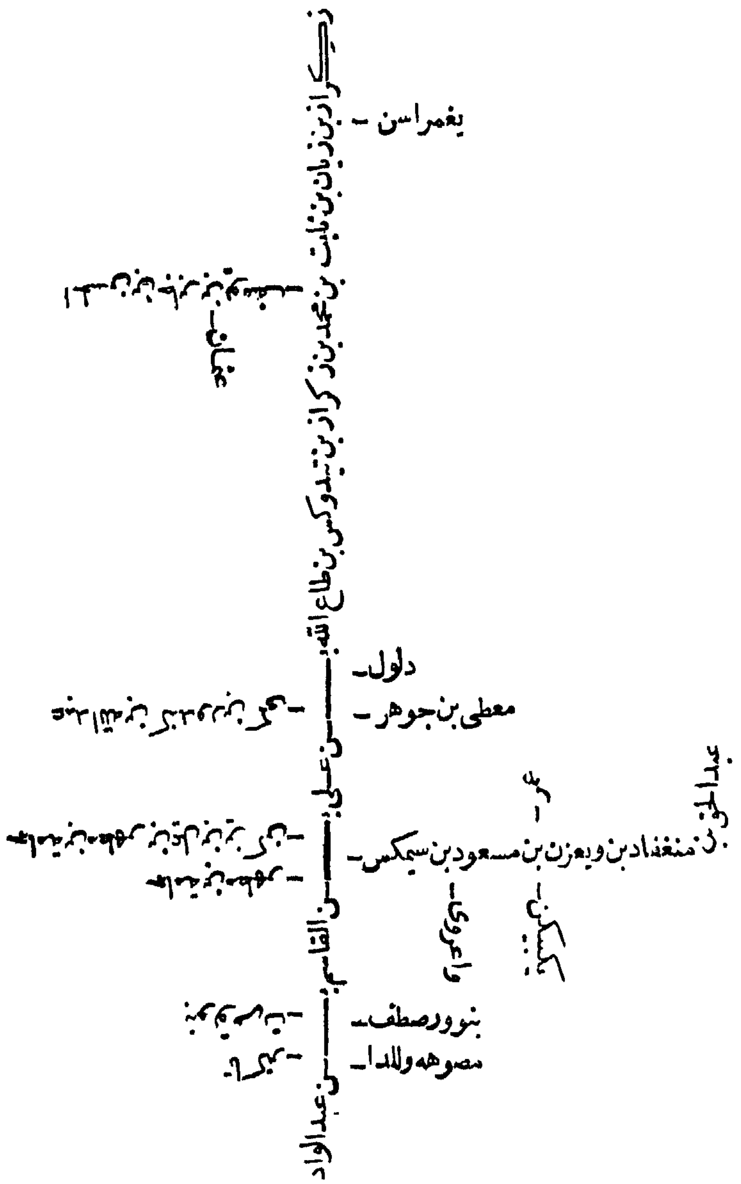
- محمد:
  - عمر
  - عطية بن منديل
  - يعقوب بن زيان بن عبد الحق
  - علي بن هارون
  - حمزة بن يحيى
  - عابد
- ثابت:
  - عمر بن منديل
  - حمزة بن زيد بن منديل بن محمد
  - العباس
- منديل:
  - عيسى بن عمر
  - محمد
  - حمو
  - تميم
- محمد بن عبد الصمد:
  - يغمراسن
  - ماكورد
  - ورجيع
  - غرية

(الخبر عن بني عبد الواد من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم بتلمسان وبلاد المغرب الاوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصائر أحوالهم)

قد تقدم لنا في أول هذه الطبقة الثانية من زناتة ذكر بني عبد الواد هؤلاء وأنهم من ولد بادين بن محمد اخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد وأن نسبهم يرتفع الى رزجيك ابن واسين بن ورسيك بن جانا وذكرنا كيف كانت حالهم قبل الملك في مواطنهم تلك وكان اخوانهم بمصاب وجبل راشد وفيكك وملوية ووصفنا من حال فتنتهم مع بني مرين اخوانهم المجتمعين معهم في النسب في رزجيك بن واسين ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك وبنو راشد وبنو زردال ومصاب مستظهرين اليهم بالنسب والحلف وبنو توجين منابذين لهم أكثر زمانهم ولم يزالوا جميعا متغلبين على ضاحية المغرب الاوسط عامة الازمان وكانوا تبعا فيه لبني ومانو وبني يلومي حين كان لهم التغلب فيهم وربما يقال كان شيخهم لذلك العهد يعرف بيوسف بن تكناحق اذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحي تلمسان وسارت عساكرهم الى بلاد زناتة تحت راية الشيخ أبي حفص فأوقعوا بهم كما ذكرناه وحسنت بعد ذلك طاعة بني عبد الواد وانحياشهم الى الموحدين وكانت بطونهم وشعوبهم كثيرة أظهرها فيما يذكرون ستة بنو ياتكين وبنو اولو وبنو ورسطف ونصوحه وبنو تومرت وبنو القاسم ويقولون بلسانهم ات القاسم وات حرف الاضافة النسبية عندهم ويزعم بنو القاسم هؤلاء انهم من أولاد القاسم بن ادريس وربما قالوا في هذا القاسم انه ابن محمد بن ادريس او ابن محمد ابن عبد الله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب ادريس زعما لا مستند له الا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه مع ان البادية بعداء عن معرفة هذه الانساب والله أعلم بصحة ذلك (وقد قال يغمراسن) ابن زيان أبو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبه الى ادريس كما يذكرون فقال برطانتهم ما معناه ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فانما نلناها بسيوفنا ولم تزل رياسة بني عبد الواد في بني القاسم لشدة شوكتهم واعتزاز عصبيتهم وكانوا بطونا كثيرة فمنهم بنو يكمثين بن القاسم وكان منهم ويعزن ابن مسعود بن يكمثين وأخواه يكمثين وعمر وكان أيضا منهم اغدوي بن يكمثين الاكبر ويقال الاصغر ومنهم أيضا عبد الحق من منغفاد بن ولد ويعزن وكانت الرياسة عليهم لعهد عبد المؤمن لعبد الحق بن منغفاد واغدوي بن يكمثين وعبد الحق بن منغفاد هو الذي استنقذ الغنائم من يدي بني مرين وقتل المخضب المسوفي حين بعثه عبد المؤمن مع الموحدين لذلك والمؤرخون يقولون عبد الحق بن معاد بميم وعين مهملة مفتوحتين وألف بعدها وهو غلط وليس هذا اللفظ بهذا الضبط من لغة زناتة وانما

هو تصحيف منغفاد بميم ونون مفتوحتين وغين بعدهما معجمة ساكنة وفاء مفتوحة والله أعلم (ومن بطون) بني القاسم أيضا بنو مطهر بن يعلى بن يركين بن القاسم وكان جماعة بن مطهر من شيوخهم لعهد عبد المؤمن وأبلى في حروب زناتة مع الموحدين ثم حسنت طاعته وانحياشه (ومن بطون) بني القاسم أيضا بنو علي والبهم انتهت رياستهم وهم أشد عصبية وأكثر جمعا وهم أربعة أفخاذ بنو طاع الله وبنو دلول وبنو كمين وبنو معطي بن جوهر والاربعة بنو علي ونصاب الرياسة في بني طاع الله لبني محمد ابن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله هذا ملخص الكلام في نسبهم (ولما) ملك الموحدون بلاد المغرب الاوسط وأبلوا من طاعتهم وانحياشهم ما كان سببا لاستخلاصهم فأقطعوهم عامة بلاد بني ومانو وأقاموا بتلك المواطن وحدثت الفتنة بين بني طاع الله وبني كمين الى أن قتل كندوز بن من بني كمين زيان بن ثابت كبير بني محمد بن زكراز وشيخهم وقام بأمرهم بعده جابر بن عمه يوسف بن محمد فثار كندوز بزيان ابن عمه وقتله في بعض أيامهم وحروبهم ويقال قتله غيلة وبعث برأسه ورؤس أصحابه الى يغمراسن بن زيان بن ثابت فنصبت عليهم القدور وأثافي شفاية لنفوسهم من شأن أبيه زيان وافترق بنو كمين وفر بهم كبيرهم عبد الله بن كندوز فلحقوا بتونس ونزل على الامير أبي زكريا كما نذكره بعد واستبد جابر بن يوسف بن محمد برياسة بني عبد الواد وأقام هذا الحي من بني عبد الواد بضواحي المغرب الاوسط حتى اذا فشل ريح بني عبد المؤمن وانتزى يحيى بن غانية على جهات قابس وطرابلس وردد الغزو والغارات على بسائط افريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها وعاث فيها وكبس الامصار فاقتحمها بالغارة وافساد السابلة واتساف الزرع وحطم النعم الى أن خربت وعفا رسمها لسني الثلاثين من المائة السابعة وكان تلمسان نزلا للحامية ومناخا للسيد من القرابة الذي يضم نشرها ويذب عن أنحائها وكان المأمون قد استعمل على تلمسان أخاه السيد أبا سعيد وكان مغفلا ضعيف التدبير وغلب عليه الحسن بن حبون من مشيخة قومه وكان عاملا على الوطن وكانت في نفسه ضغائن من بني عبد الواد جرها ما كان حدث لهم من التغلب على الضاحية وأهلها فأغرى السيد أبا سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه فتقبض عليهم واعتقلهم وكان في حامية تلمسان لمة من بقايا لمتونة تجافت الدولة عنهم وأثبتهم عبد المؤمن في الديوان وجملهم مع الحامية وكان زعيمهم لذلك العهد ابراهيم بن اسمعيل بن علان فشفع عندهم في المشيخة المعتقلين من بني عبد الواد فردوه فغضب وحمي أنفه وجمع الانتقاض والقيام بدعوة ابن غانية فجدد ملك المرابطين من قومه بقاصية المشرق فاغتال الحسن بن حبون لحينه وتقبض على السيد أبي سعيد وأطلق

المشيخة من بنى عبد الواد ونقض طاعة المأمون وذلك سنة أربع وعشرين فطير الخبر الى
ابن غانية فأجد اليه السير ثم بدا له فى أمر بنى عبد الواد ورأى ان ملاك أمره فى خضد
شوكتهم (١) وقص جناحهم فحدث نفسه بالفتك بشيختهم ومكر بهم فى دعوة واعدهم
اليها وفطن لتدبيره ذلك جابر بن يوسف شيخ بنى عبد الواد فواعده اللقاء والمزاورة وطوى
له على   وخرج ابراهيم بن علان الى لقائه ففتك به جابر وبادر الى البلد
فنادى   طاعته وكشف لاهلها القناع عن مكر بن علان بهم ولما
أوقعهم   بن غانية فحمدوا رأيه وشكروا جابرا على صنيعه وجددوا البيعة
هذا دفع بنى عبد الواد واحلافهم من بنى راشد وبعث الى   فخاطب له
بالشكر وكتب له بالعهد على تلمسان وسائر   زناتة على رسم السادات
الذين كانوا يلون ذلك مع القرابة فاضطلع بأمر المغرب الاوسط (وكانت) هذه الولاية
ركوبا الى صهوة الملك الذى اقتعدوه من بعد ثم انتقض عليه أهل اربونة بعد ذلك
فنازلهم وهلك فى حصارها بسهم غرب   سنة تسع وعشرين وقام
بالامر بعده ابنه الحسن وجدد له المأمون عهده بالولاية ثم ضعف عن الامر وتخلى عنه
لستة أشهر من ولايته ودفع اليه عمه عثمان بن يوسف وكان سيء الملكة كثير العسف
والجور فثارت به الرعايا بتلمسان وأخرجوه سنة احدى وثلاثين وارتضوا مكانه ابن عمه
زكراز بن زيان بن ثابت الملقب بأبي عزة فاستدعوه لها وولوه على أنفسهم وبلدهم
وسلموا له أمرهم وكان مضطلعا بأمر زناتة ومستبدا برياستهم ومستوليا على سائر
الضواحى فنفس بنو مطهر عليه وعلى قومه بنى على اخوانهم ما آتاهم الله من الملك
واكرمهم الله به من السلطان وحسدوا زكراز وسلفه فيما صار اليه من الملك فشاقوه
ودعوا الى الخروج عليه واتبعهم بنو راشد احلافهم منذ عهد الصحراء وجمع لهم أبو
عزة سائر قبائل بنى عبد الواد فكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك فى بعض أيامها
سنة ثلاث وثلاثين وقام بالامر بعده أخوه يغمراسن بن زيان فوقع التسليم والرضا
وسير القبيل ودان له بالطاعة جميع الامصار وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله
وكان له ذلك سلما الى الملك الذى أورثه بنيه سائر الايام والملك لله يؤتيه من يشاء


زكراز بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله بن علي بن القاسم بن عبد الواد
يغمراسن
دلول
معطي بن جوهر
منغفاد بن ويعزن بن مسعود بن سيكس
عبد الحق
بنو ورصطف
مصوهه وللدا

الخبر عن تلمسان وما تأدى اليها من أحوالها من الفتح الى أن تأثل بها سلطان بني عبد الواد ودولتهم

هذه المدينة قاعدة المغرب الاوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن بما كانت في مواطنهم ولم نقف على أخبارها فيما قبل ذلك وما يزعم بعض العامة من ساكنها أنها أزلية البناء وأن الجدار الذي ذكر في القرآن في قصة الخضر وموسى عليهما السلام هو بناحية اكادير منها فأمر بعيد عن التحصيل لان موسى عليه السلام لم يفارق المشرق الى المغرب وبنو اسرائيل لم يبلغ ملكهم لافريقية فضلا عما وراءها وانما هي من مقالات التشيع المجبول عليه أهل العالم في تفضيل ما ينسب اليه أو ينسبون اليه من بلد أو أرض أو علم أو صناعة ولم أقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأن أبا المهاجر الذي ولي افريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الاولى والثانية توغل في ديار المغرب ووصل الى تلمسان وبه سميت عيون أبي المهاجر قريبا منها وذكرها الطبري عند ذكر أبي قرة واجلائه مع أبي حاتم والخوارج على عمر بن حفص ثم قال فأفرجوا عنه وانصرف أبو قرة الى مواطنه بنواحي تلمسان وذكرها ابن الرقيق أيضا في أخبار ابراهيم بن الاغلب قبل استبداده بافريقية وانه توغل في غزوه الى المغرب ونزلها واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين تلم سان ومعناهما تجمع اثنين يعنون البر والبحر (ولما خلص) ادريس الاكبر بن عبد الله بن الحسن الى المغرب الاقصى واستولى عليه نهض الى المغرب الاوسط سنة أربع وسبعين ومائة فتلقاه محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة وتلمسان فدخل في طاعته وحمل عليها مغراوة وبني يفرن وأمكنه من تلمسان فملكها واختط مسجدها وصعد منبره وأقام بها أشهرا وانكفأ راجعا الى المغرب وجاء على اثره من المشرق أخوه سليمان بن عبد الله فنزلها وولاه أمرها ثم هلك ادريس وضعف أمرهم ولما بويع لابنه ادريس من بعده واجتمع اليه برابرة المغرب نهض الى تلمسان سنة تسع وتسعين ومائة فجدد مسجدها وأصلح منبرها وأقام بها ثلاث سنين دوخ فيها بلاد زناتة واستوسقت له طاعتهم وعقد عليها لبني محمد ابن عمه سليمان (ولما هلك ادريس) الاصغر واقتسم بنوه أعمال المغرب باشارة أمه كنزة كانت تلمسان في سهمان عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان وأعمالها لبني أبيه محمد بن سليمان فلما انقرضت دولة الادارسة من المغرب وولي أمره موسى بن أبي العافية بدعوة الشيعة نهض الى تلمسان سنة تسع عشرة وغلب عليها أميرها لذلك العهد الحسن بن أبي العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان ففر عنها الى مليلة وبني حصنا لامتناعه بناحية نكور فحاصره مدة ثم عقد له سلما على حصنه ولما تغلب الشيعة على

المغرب الاوسط أخرجوا أعقاب محمد بن سليمان من سائر أعمال تلمسان فأخذوا بدعوة بنى أمية من وراء البحر وأجازوا اليهم وتغلب يعلى بن محمد اليفرنى على بلاد زناتة والمغرب الاوسط فعقد له الناصر الاموى عليها وعلى تلمسان أعوام أربعين وثلثمائة ولما هلك يعلى وأقام بأمر زناتة بعده محمد بن الخير بن محمد بن خزر داعية الحكم المستنصر بتلمسان أعوام ستين وهلك فى حروب صنهاجة وغلبوهم على بلادهم وانجلوا الى المغرب الاقصى ودخلت تلمسان فى عمالة صنهاجة الى أن انقسمت دولتهم وافترق أمرهم واستقل بامارة زناتة وولاية المغرب زيرى بن عطية وطرده المنصور عن المغرب أعوام فصار الى بلاد صنهاجة وأجلب عليها ونازل معاقلهم وأمصارهم مثل تلمسان وهراة وتنس واشير والمسيلة ثم عقد المظفر بعد حين لابنه المعز بن زيرى على أعمال المغرب سنة ست وتسعين فاستعمل على تلمسان ابنه يعلى بن زيرى واستقرت ولايتها فى عقبه الى أن انقرض أمرهم على يد لمتونة وعقد يوسف بن تاشفين عليها لمحمد بن تينعمر المستوفى وأخيه تاشفين من بعده واستحكمت الفتنة بينه وبين المنصور ابن الناصر صاحب القلعة من ملوك بنى حماد ونهض الى تلمسان وأخذ بمخنقها وكاد أن يغلب عليها كما ذكرنا ذلك كله فى مواضعه (ولما غلب) عبد المؤمن لمتونة وقتل تاشفين ابن على بوهران خربها وخرب تلمسان بعد أن قتل الموحدون عامة أهلها وذلك أعوام أربعين من المائة السادسة ثم راجع رأيه فيها وندب الناس الى عمرانها وجمع الايدى على رم ما تثلم من أسوارها وعقد عليها لسليمان بن واندين من مشايخ هنتاتة وأخاير الموحدين وسبب هذا الحى من بنى عبد الواد بما أبلى من طاعتهم وانحياشهم ثم عقد عليها لابنه السيد أبى حفص ولم يزل آل عبد المؤمن بعد ذلك يستعملون عليها من قرابتهم وأهل بيتهم ويرجعون اليه أمر المغرب كله وزناتة أجمع اهتماما بأمرها واستعظاما لعملها وكان هؤلاء الاحياء من زناتة بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو راشد غلبوا على ضواحى تلمسان والمغرب الاوسط وملكوها وتقلبوا فى بسائطها واحتازوا باقطاع الدولة الكثير من أرضها والطيب من بلادها والوافر للجباية من قبائلها فاذا خرجوا الى مشاتيهم بالصحراء خلفوا أتباعهم وحاشيتهم بالتلول لاعتمار أرضهم وازدراع فدنهم وجباية الخراج من رعاياهم وكان بنو عبد الواد من ذلك فيما بين البطحاء وملوية ساحله وريفه وصحراوه وصرف ولاة الموحدين بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم بشأنها الى تحصينها وتشييد أسوارها وحشد الناس الى عمرانها والتناغى فى عمرانها واتخاذ الصروح والقصور بها والاحتفال فى مقاصد الملك واتساع خطة الدور وكان من أعظمهم اهتماما بذلك وأوسعهم فيه نظرا السيد أبو عمران موسى

ابن أمير المؤمنين يوسف ووليها سنة ست وخمسين على عهد أبيه يوسف بن عبد المؤمن واتصلت أيام ولايته فيها فشيد بناءها وأوسع خطتها وأدار سياج الاسوار عليها ووليها من بعد السيد أبو الحسن بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن وتقبل فيها مذهبه (ولما كان) من أمر ابن غانية وخروجه من ميورقة سنة احدى وثمانين ماقدمناه وكبسوا بجاية فملكوها وتخطوا الى الجزائر ومليانة فغلبوا عليها تلافى السيد أبو الحسن أمره بانعام النظر في تشييد أسوارها والاستبلاغ في تحصينها وسد فرجها واعماق الحفائر نطاقا عليها حتى صيرها من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره وتقبل ولاتها هذا المذهب من بعده في المعتصم بها (واتفق من الغرائب). أن أخاه السيد أبا زيد هو الذي دفع لحرب بني غانيـة فكان لها في رقع الخرق والمدافعة عن الدولة آثار وكان ابن غانية قد اجتمع اليه ذوبان العرب من الهلاليين بافريقية وخالفتهم زغبة احدى بطونهم الى الموحدين وتحيزوا الى زناتة المغرب الاوسط وكان مفزعهم جميعا ومرجع نقضهم وابرامهم الى العامل بتلمسان من السادة أبي مثواهم وحامي حقيقتهم وكان ابن غانية كثيرا ما يجلب على ضواحي تلمسان وبلاد زناتة ويطرقها بما معه من ناعق الفتنة الى ان خرب كثيرا من أمصارها مثل تاهرت وغيرها فأصبحت تلمسان قاعدة المغرب الاوسط وأم هؤلاء الاحياء من زناتة والمغرب الكافية لهم المهيئة في حجرها مهادنومهم لما خربت المدينتان اللتان كانتا من قبل قواعد في الدول السالفة والعصور الماضية وهما أرشكول بسيف البحر وتاهرت فيما بين الريف والصحراء من قبلة البطحاء وكان خراب هاتين المدينتين فيما خرب من أمصار المغرب الاوسط فتنة ابن غانيـة وباجلاب هؤلاء الاحياء من زناتة وطلوعهم على أهلها بسوم الخسف والعيث والنهب وتخطف الناس من السابلة وتخريب العمران ومغالبتهم حاميتها من عساكر الموحدين مثل قصر عجيسة وزرفة والخضراء وشلب ومتيجة وحمزة ومرسى الدجاج والجعبات ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع والصروح بها بالاجر والقهر تعلى وتشاد الى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل اليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الاعلام وضاهت أمصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية والله وارث الارض ومن عليها

{الخبر عن استقلال يغمراسن بن زيان بالملك والدولة بتلمسان}
{وما اليها وكيف مهد الامر لقومه وأصاره تراثا لبنيه}

كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد هذا الحي بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة واجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة شهدت له بذلك آثاره قبل الملك وبعده وكان مرموقا بعين التجلة مؤملا للامر عند المشيخة وتعظمه من أمره الخاصة وتفزع اليه في نوائبها العامة فلما ولي هذا الامر بعد أخيه أبي عزة زكراز بن زيان سنة ثلاث وثلاثين قام به أحسن قيام واضطلع باعبائه وظهر على بني مطهر وبني راشد الخارجين على أخيه مأصارهم في جملته وتحت سلطانه وأحسن السيرة في الرعية واستمال عشيرته وقومه واحلافهم من زغبة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح واستلحق العساكر من الروم والغز وناشئه وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب وبعث في الاعمال ولبس شارة الملك والسلطان واقتعد الكرسي ومحا آثار الدولة المؤمنية وعطل من الامر والنهي دستها ولم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم الا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش وتقلد العهد من يده تأنيسا للكافة ومرضاة للاكفاء من قومه ووفد عليه لاول دولته ابن وضاح اثر الموحدين أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الاندلس فآثره وقرب مجلسه وأكرم نزله وأحله من الخلة والشورى بمكان اصطفاه له ووفد في جملته أبو بكر بن خطاب المبايع لاخيه بمرسية وكان مرسلا بليغا وكاتبا مجيدا وشاعرا محسنا فاستكتبه وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعاتهم ماتنوقل وحفظ ولم يزل يغمراسن محاميا عن غيله محاربا لعدوه وكانت له مع ملوك الموحدين من آل عبد المؤمن ومديلتهم آل أبي حفص مواطن في التحرس به ومنازلة بلده نحن ذاكروها كذلك وبينه وبين أقتاله بني مرين قبل ملكهم المغرب وبعد ملكه وقائع متعددة وله على زناتة الشرف من توجين ومغراوة في فل جموعهم وانتساف بلادهم وتخريب أوطانهم وأيام مذكورة وآثار معروفة نشير الى جميعها ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء الامير أبي زكريا على تلمسان ودخول يغمراسن في دعوته)

لما استقل يغمراسن بن زيان بأمر تلمسان والمغرب الاوسط وظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة نفسوا عليه ما آتاه الله من العز وكرمه به من الملك فنابذوه العهد وشاقوه الطاعة وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة فشمر لحربهم ونازلهم في ديارهم وأجحرهم في أمصارهم ومعتصماتهم من شواهق الجبال وممتنع الامصار وكانت له عليهم أيام مشهورة ووقائع معروفة وكان متولي كبر هذه المشاقة عبد القوي ابن عباس شيخ بني توجين أقتالهم من بني يادين والعباس بن منديل بن عبد الرحمن واخوته أمراء

مغراوة وكان المولى الامير أبو زكريا بن أبي حفص منذ استقل بأمر افريقية واقتطعها من الايالة المؤمنية سنة خمس وعشرين كما ذكرناه متطاولا الى احتياز المغرب والاستيلاء على كرسي الدعوة بمراكش وكان يرى أن بمظاهرة زناتة له على شأنه يتم له ما يسمو اليه من ذلك فكان يداخل أمراء زناتة فيرغبهم ويراسلهم بذلك على الاحيان من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين ومغراوة وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة بني عبد المؤمن أقام دعوتهم بعملة متحيزا اليهم متحيزا اليهم وحربا على عدوهم وكان الرشيد قد ضاعف له البر والخلوص وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة وعاوده الاتحاف بأنواع الالطاف والهدايا عام سبع وثلاثين تقمنا لمسراته وميلا اليه عن جانب أقتال بني مرين المجلبين على المغرب والدولة وأحفظ الامير أبا زكريا بن عبد الواحد صاحب افريقية ما كان من اتصال يغمراسن بالرشيد وهو من جواره بالمحل القريب واستكره ذلك وبينما هو على ذلك اذ وفد عليه عبد القوي بن عباس وولد منديل بن محمد صريخين على يغمراسن وسهلوا له أمره وسولوا له الاستيلاء على تلمسان وجمع كلمة زناتة واعتدا ذلك ركابا لما يرومه من امتطاء ملك الموحدين وانتظامه في أمره وسلما الارتقاء ما يسمو اليه من ملكه وبابا للولوج على أهله فحركه املاؤهم وهزه الى النعرة صريخهم وأهب بالموحدين وسائر الاولياء والعساكر على الحركة على تلمسان واستنفر لذلك سائر البدو من الاعراب الذين في عمله من بني سليم ورياح بظعنهم لداغية ونهض سنة تسع وثلاثين في عساكر ضخمة وجيوش وافرة وسرح أمام حركته عبد القوي ابن العباس وأولاد منديل بن محمد لحشد من بأوطانهم من أحياء زناتة وأتباعهم وذوبان قبائلهم وأحياء زغبة احلافهم من العرب وضرب معهم لموافاتهم في تخوم بلادهم ولما نزل زاغر قبلة تيطري منتهى مجالات رياح وبني سليم في المغرب وافته هنالك أحياء زغبة من بني عامر وسويد وارتحلوا معه حتى نازل تلمسان بجمع عساكر الموحدين وحشد زناتة وظعن المغرب بعد أن قدم الى يغمراسن الرسل من ملبانة والاعذار والبراءة والدعاء والطاعة فرجعهم بالخيبة (ولما حلت) عساكر الموحدين بساحة البلد وبرز يغمراسن وجموعه نضحتهم ناشبة السلطان بالنبل فانكشفوا ولاذوا بالجدران وعجزوا عن حماية الاسوار فاستمكنت المقاتلة من الصعود ورأى يغمراسن ان قد أحيط بالبلد فقصد باب العقبة من أبواب تلمسان ملتفا على ذويه وخاصته واعترضه عساكر الموحدين فصمد نحوهم وجدل بعض أبطالهم فافرجوا له ولحق بالصحراء وانسلت الجيوش الى البلد من كل حدب فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الاموال ولما تجلى غشاء تلك الهيعة وحسر تيار

الصدمة وخمدت نار الحرب راجع الموحدون بصائرهم وأمعن الامير نظره فيمن يقلده أمر تلمسان والمغرب الاوسط وينزله بثغرها لاقامة دعوته الدائلة من بنى عبد المؤمن والمدافعة عنها واستكبر ذلك أشرافهم وتدافعوه وتبرأ أمراء زناتة منه ضعفا عن مقاومة يغمراسن وعلما بأنه الفحل الذى لا يجدع أنفه ولا يطرق غيله ولا يصد عن فريسته وسرح يغمراسن الغارات فى نواحى العسكر فاختطفوا الناس من حوله وأطلوا من المراقب عليه وخاطب يغمراسن خلال ذلك الامير أبا زكريا راغبا فى القيام بدعوته بتلمسان فراجعه بالاسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش وسوغه على ذلك جباية اقتطعها له وأطلق أيدى العمال ليغمراسن على جبايتها ووفدت أمه سوط النساء للاشتراط والقبول فأكرم وصلها وأسنى جائزتها وأحسن وفادتها ومنقلبها وارتحل الى حضرته لسبع عشرة ليلة من نزوله فى أثناء طريقه ووسوس اليه بعض الحاشية باستبداد يغمراسن عليه وأشاروا باقامة منافسيه من زناتة فأجابهم وقلد عبد القوى بن عطية التوجينى والعباس بن منديل المغراوى وعلى بن منصور الملكيشى على قومهم ووطنهم وعهد اليهم بذلك وأذن لهم فى اتخاذ الآلة والمراسم السلطانية على سنن يغمراسن قريعهم فاتخذوها بحضرته وبمشهد من ملك الموحدين وأقاموا مراسمها ببابه وأعد السير لتونس قرير العين بامتداد الملك وبلوغ وطره والاشراف على اذعان المغرب لطاعته وانقياده وحكمه وادالة عبد المؤمن فيه بدعوته ودخل يغمراسن بن زيان ووفى للامير أبى زكريا بعهده وأقام بها الدعوة له على سائر منابره وصرف الى مشاقيه من زناتة وجوه عزائمه فأذاق عبد القوى وأولاد عباس وأولاد منديل نكال الحرب وسامهم سوء العذاب والفتنة وجاس خلال ديارهم وتوغل فى بلادهم وغلبهم على الكثير من ممالكهم وشرد عن الامصار والقواعد ولاتهم وأشياعهم ودعاتهم ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوانهم وسوء ملكتهم وثقيل عسفهم ولم يزل على تلك الحال الى أن كان من حركة صاحب مراكش يغمراسن بالدولة الحفصية ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض السعيد صاحب مراكش ومنازلته يغمراسن بجبل تامزردكت ومهلكه هنالك)

لما انقضت دولة بنى عبد المؤمن وانتزى الثوار والدعاة بقاصية أعمالهم وقطعوها عن ممالكهم فاقتطع ابن هود ما وراء البحر من جزيرة الاندلس واستبد بها وورى بالدعاء للمستنصر بن الظاهر خليفة بغداد من العباسيين لعهده ودعا الامير أبو زكريا بن أبى حفص بافريقية لنفسه وسما الى جمع كلمة زناتة والتغلب على كرسى الدعوة بمراكش

فنازل تلمسان وغلب عليها سنة أربعين وقارن ذلك ولاية السعيد على بن المأمون ادريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان شهماً حازماً يقظاً بعيد الهمة فنظر في أعطاف دولته وفاوض الملأ في تثقيف أطرافها وتقويم مائلها وأثار حفائظهم ما وقع من بني مرين في ضواحي المغرب ثم في أمصاره واستيلائهم على مكناسة وإقامتهم الدعوة الحفصية فيها كما ذكرناه فجهز الجيوش والعساكر وأزاح عللهم واستنفر عرب المغرب وما يليه واحتشد كافة المصامدة ونهض من مراكش آخر سنة خمس وأربعين يريد القاصية ويشرد بني مرين عن الامصار الدانية والحشود بوادي بهت وأعدّ السير الى تازى فوصلته هنالك طاعة بني مرين كما ذكره ونفر معه عسكر منهم ونهض الى تلمسان وما وراءها ونجا يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد بأهليهم وأولادهم الى قلعة تامزردكت قبلة وجدة فاعتصموا بها ووفد على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن مؤدياً للطاعة في مذاهب الخدمة ومتوليا من حاجات الخليفة بتلمسان ما يدعوه اليه و يصرفه في سبيله ومعتذراً عن وصول يغمراسن فلج الخليفة في شأنه ولم يعذره وأبى الا مباشرة طاعته بنفسه وساعده في ذلك كانون بن جرمون السفياني صاحب الشورى بمجلسه ومن حضر من الملا ورجعوا عبدون الاستقدامه فتثاقل خشية على نفسه واعتمد السعيد الجبل في عساكره وأناخ بها في ساحة وأخذ بمخنقهم ثلاثاً ولرابعها ركب مهجراً على حين غفلة من الناس في قائلة ليتطوف على المعتصم ويتقرى مكامنه فبصر به فارس من القوم يعرف بيوسف بن عبد المؤمن الشيطان كان أسفل الجبل للاحتراس وقريباً منه يغمراسن ابن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر فانقضوا عليه من بعض الشعاب وطعنه يوسف فأكبه عن فرسه وقتل يعقوب بن جابر وزيره يحيى بن عطوش ثم استلحموا الوقتهم مواليه ناصحاً من العلوج وعنبراً من الخصيان وقائد جند النصارى أخو العمط وولداً يافعاً من ولد السعيد (ويقال) انما كان ذلك يوم عبى العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم امام الناس فاقتطعه بعض الشعاب المتوعرة في طريقه فتواثب به هؤلاء الفرسان وكان ما ذكرناه وذلك في صفر سنة ست وأربعين ووقعت النفرة في العساكر لطائر الخبر فأجفلوا وبادر يغمراسن الى السعيد وهو صريع بالارض فنزل اليه وحياه وفداه وأقسم له على البراءة من هلكته والخليفة واجم بمصرعه يجود بنفسه الى ان فاض وانتهب المعسكر بجملته وأخذ بنو عبد الواد ما كان به من الاخبية والعازات واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه واستولى على الذخيرة التي كانت فيه منها مصحف عثمان بن عفان يزعمون أنه أحد المصاحف التي انتسخت لعهد خلافته

وانه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ثم صار فى ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ثم الى خزائن الموحدين من خزائن لمتونة وهو لهذا العهد فى خزائن بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان حين غلبهم اياهم على تلمسان واقتحامها عنوة على ملكها منهم عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن فريسة السلطان أبى الحسن مقتحمها غلابا سنة سبع وثلاثين كما نذكره ومنها العقد المنتظم من خرزات الياقوت الفاخرة والدرر المشتمل على مئين متعددة من حصباته يسمى بالثعبان وصار فى خزائن بنى مرين بعد ذلك الغلاب فيما اشتملوا عليه من ذخيرتهم الى أن تلف فى البحر عند غزو الاسطول بالسلطان أبى الحسن عرسى بجاية مرجعه من تونس حسبما نذكره بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشباهه مما يستخلصه الملوك لخزائنهم ويعنون به من ذخائرهم ولما سكنت النفرة وركد عاصف تلك الهيعة نظر يغمراسن فى شأن مواراة الخليفة فجهز ورفع على الاعواد الى مدفنه بالعباد بمقبرة الشيخ أبى مدين عفا الله عنه ثم نظر فى شأن حرمه وأختها تاعزونت الشهيرة الذكر بعد أن جاءها واعتذر اليها مما وقع وأصحبهن جملة من مشيخة بنى عبد الواد الى مأمنهن والحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان له بذلك حديث جميل فى الابقاء على الحرم ورعى حقوق الملك ورجع الى تلمسان وقد خضدت شوكة بنى عبد المؤمن وأمنهم على سلطانه والله أعلم

(الخبر عما كان بينه و بين بنى مرين من الاحداث سائر أيامه)

قد ذكرنا ما كان بين هذين الحيين من المناغاة والمنافسة منذ الامادا المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة وكان التخم بين الفريقين واديا صا الى فجيج وكان بنو عبد المؤمن عند فشل الدولة وتغلب بنى مرين على ضاحية المغرب يستجيشون بنى عبد الواد مع عساكر الموحدين على بنى مرين فيجوسون خلال المغرب ما بين تازى الى فاس الى القصر فى سبيل المظاهرة للموحدين والطاعة لهم وسنذكر فى أخبار بنى مرين كثيرا من ذلك فلما هلك السعيد وأسف بنو مرين الى ملك المغرب سما ليغمراسن أمل فى مزاحمتهم وكان أهل فاس وقد تغلب أبو يحيى بن عبد الحق عليهم قد نقموا على قومه سوء السيرة وتمشت رجالاتهم فى الملاذ بطاعة الخليفة المرتضى ففعلوا فعلتهم فى القتل بعامل أبى يحيى بن عبد الحق والرجوع الى طاعة الخليفة وأعد أبو يحيى المسير الى منازلتهم فحاصرهم شهورا وفى أثناء هذا الحصار اتصلت المخاطبة بين الخليفة المرتضى و يغمراسن بن زيان فى الاخذ بحجزة أبى يحيى بن عبد الحق بفاس فأجاب يغمراسن داعيه واستنفر لها اخوانه من زناتة فنفر معه عبد القوى بن عطية بقومه من

توجين وكافة القبائل من زناتة والمغرب ونهضوا الى وبلغ خبرهم الى أبي يحيى بن عبد الحق بمكانه من حصار فاس فجهز كتائبه عليها ونهض للقائهم في بقية العساكر والتقى الجمعان بايسلي من ناحية وجدة وكانت هنالك الواقعة المشهورة بذلك المكان انكشف فيها جموع يغمراسن وغيره ورجعوا فى فلهم الى تلمسان واتصلت بعد ذلك بينهم الحروب والفتنات سائر أيامه وربما تخللتها الهدنات قليلا وكان بينه وبين يعقوب بن عبد الحق ذمة مواصلة أوجب له رعيها وكثيرا ما كان يثني عامه أخوه أبو يحيى من أجلها ونهض أبو يحيى بن عبد الحق سنة خمس وخمسين الى قتاله وبرز اليه يغمراسن وتزاحفت جموعهم بأبي سليط فانهزم يغمراسن واعتزم أبو يحيى على اتباعه فرده أخوه يعقوب بن عبد الحق (ولما) قفل الى المغرب صمد يغمراسن الى سجلماسة لمداخلة كانت بينه وبين المنبات من عرب المعقل أهل مجالاتها وذئاب فلاتها حدثته نفسه باهتبال الغرة فى سجلماسة من أجلها وكانت قد صارت الى ايالة أبي يحيى ابن عبد الحق منذ ثلاث كما ذكرناه فى أخبارهم ونذر بذلك أبو يحيى فسابق اليها يغمراسن عن حضره من قومه فثقفها ووصل يغمراسن عقب ذلك بعساكره وأناخ بها وامتنعت عليه فأفرج عنها قافلا الى تلمسان وهلك أبو يحيى بن عبد الحق اثر ذلك منقلبه الى فاس فاستنفر يغمراسن أولياءه من زناتة وأحياء زغبة ونهض الى المغرب سنة سبع وخمسين وانتهى الى كلدامان ولقيه يعقوب بن عبد الحق فى قومه فأوقع به وولى يغمراسن منهزما ومر فى طريقه بتافرسيت فانتسفها وعاث فى نواحيها ثم تداعوا للسلم ووضع أوزار الحرب وبعث يعقوب بن عبد الحق ابنه أبا مالك بذلك فتولى عقده وابرامه ثم كان التقاؤهما سنة تسع وخمسين بوابجر قبالة بني يزناسن واستحكم عقد الوفاق بينهما بذلك واتصلت المهادنة الى ان كان بينهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن كائنة النصارى وايقاع يغمراسن بهم)

كان يغمراسن بن زيان بعد مهلك السعيد وانفضاض عساكر الموحدين قد استخدم طائفة من جند النصارى الذين كانوا فى جملته مستكثرا بهم معتدا بمكانهم مباهيا بهم فى المواقف والمشاهد وناولهم طرفا من حبل عنايته فاعتزوا به واستفحل أمرهم بتلمسان حتى اذا كان سنة ثنتين بعد مرجعه من بلاد توجين فى احدى حركاته اليها كانت قصة غدرهم الشنعاء التى أحسن الله فى دفاعها عن المسلمين وذلك أنه ركب فى بعض أيامه لاعتراض الجنود بباب القرمادين من أبواب تلمسان وبينما هو واقف فى موكبه عند قائلة الضحا عدا عليه قائدهم وبادر النصارى الى محمد بن زيان أخي يغمراسن فقتلوه وأشار له بالنجوى فبرز من الصف لاسراره وأمكنه من أذنه فتنكبه النصراني وقد

خالطه روعة أحس منها يغمراسن بمكره فانحاص منه وركض النصرانى امامه يطلب النجاة وتمنى الغدر وثارت بهم الدهماء من الحامية والرعايا فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدى الهلاك بكل مهلك قعصا بالرماح وهبرا بالسيوف وشدخا بالعصى والحجارة حتى استلحموا وكان يوما مشهودا ولم يستخدم من بعدها جند النصارى بتلمسان حذرا من غائلتهم ويقال ان محمد بن زيان هو الذى داخل القائد فى الفتك بأخيه يغمراسن وانه انما قتله عندما لم يتم لهم الامر تبرأ من مداخلته فلم يمهله غاشى الهيعة للتثبت فى شأنها والله أعلم

(الخبر عن تغلب يغمراسن على سجلماسة ثم مصيرها بعد الى ايالة بنى مرين)

كان عرب المعقل منذ دخول العرب الهلاليين الى صحراء المغرب الاقصى احلافا وشيعا لزناتة وأكثر انحياشهم الى بنى مرين الا ذوى عبيد الله منهم لما كانت مجالاتهم لصق مجالات بنى عبد الواد ومشاركة لها ولما استفحل شأن بنى عبد الواد بين يدى ملكهم زحوهم عنها بالمناكب ونبذوا اليهم العهد واستلحقوا دونهم المنبات من ذوى منصور اقتالهم فكانوا احلافا وشيعة ليغمراسن ولقومه وكانت سجلماسة فى مجالاتهم ومنقلب رحلتهم وكانت قد صارت الى ملك بنى مرين ثم استبد بها القطرانى ثم ثاروا به ورجعوا الى طاعة المرتضى وتولى كبر ذلك على بن عمر كما ذكرناه فى أخبار بنى مرين ثم تغلب المنبات على سجلماسة وقتلوا عاملها على بن عمر سنة ثنتين وستين وآثروا يغمراسن بملكها ودخل أهل البلد فى القيام بدعوته وحملوهم عليها وجاجنوا يغمراسن فنهض اليها فى قومه وأمكنوه من قيادها فضبطها وعقد عليها لولده يحيى وأنزل معه ابن أخته حنينة واسمه عبد الملك بن محمد بن على بن قاسم بن درم من ولد محمد وأنزل معهما يغمراسن بن حمامة فيمن معهم من عشائرهم وحشمهم فأقام ابنه يحيى أميرا عليها الى أن غلب يعقوب بن عبد الحق الموحدين على دار خلافتهم واطاعته طنجة وعامة بلاد المغرب فوجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من طاعة يغمراسن وزحف اليها فى العساكر والحشود من زناتة والعرب والبربر ونصب عليها آلات الحصار الى أن سقط جانب من سورها فاقتحموها منه عنوة فى صفر سنة ثلاث وسبعين واستباحوها وقتل القائدان عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة ومن معهم من بنى عبد الواد أمراء المنبات وصارت الى طاعة بنى مرين آخر الايام والملك بيد الله يؤتيه من يشاء

(الخبر عن حروب يغمراسن مع يعقوب بن عبد الحق)

قد ذكرنا ما كان من شان بنى عبد المؤمن عند فشل دولتهم واستطالة بنى مرين عليهم فى الاستظهار ببنى عبد الواد واتصال اليد بهم فى الاخذ بحجزة عدوهم من بنى مرين عليهم

ولما هلك المرتضى وولى أبو دبوس سنة خمس وستين وحمى وطيس فتنته مع يعقوب بن عبد الحق فراسل يغمراسن في مدافعته وأكد العهد وأسنى الهدية وأجلب اليه يغمراسن وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرمها نارا وكان يعقوب بن عبد الحق محاصر المراكش فأفرج عنها ورجع الى المغرب واحتشد جموعه ونهض الى لقائه وتزاحف الفريقان بوادى تلاغ وقد استكمل كل تعبيته وكانت الوقيعة على يغمراسن استبيحت فيها حرمه واستلحم قومه وهلك ابنه أبو حفص عمر اعز ولده عليه في اتراب له من عشيرته مثل ابن أخته عبد الملك بن حنينة وابن يحيى بن مكى وعمر بن ابراهيم بن هشام ورجع عنه يعقوب بن عبد الحق الى مراكش حتى انقضى شأنه في التغلب عليها ومحى أثر بنى عبد المؤمن منها ونزع لمحاربة بنى عبد الواد وحشد كافة أهل المغرب من المصامدة والجموع والقبائل ونهض الى بنى عبد الواد سنة سبعين فبرز اليه يغمراسن في قومه وأوليائه من مغراوة والعرب وتزاحفوا بايسلى من نواحى وجدة فكانت الدبرة على يغمراسن وانكشف جموعه وقتل ابنه فارس ونجا بأهله بعد ان أضرم معسكره نارا تفاديا من معرة اكتساحه ونجا الى تلمسان فانحجر بها وهدم يعقوب بن عبد الحق وجدة ثم نازله بتلمسان واجتمع اليه هنالك بنو توجين مع أميرهم محمد ابن عبد القوى وصل يده بيد السلطان على يغمراسن وقومه وحاصروا تلمسان أياما فامتنعت عليهم وأفرجوا عنها وولى كل الى عمله ومكان ملكه حسبما نذكره في أخبارهم وانعقدت بينهما المهادنة من بعد ذلك وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد ويغمراسن لمغالبة توجين ومغراوة على بلادهم الى أن كان من شأنهم ما نذكره والله أعلم

(الخبر عن شأن يغمراسن مع مغراوة وبنى توجين وما كان بينهم من الاحداث)

كانت مغراوة في مواطنهم الاولى من نواحى شلب قد سالمتهم الدول عند تلاشى ملكهم وساموهم الجباية فرضوا بها مثل بنى ورسفين وبنى يلنث وبنى ورتزمير وكان فيهم سلطان لبنى منديل بن عبد الرحمن من أعقاب آل خزر ملوكهم الاولى منذ عهد الفتح وما بعده على ماذكرناه في خبرهم فلما انتثر عقد الخلافة بمراكش وتشظت عصاها وكثر الثوار والخوارج بالجهات استقل منديل بن عبد الرحمن وبنوه بتلك الناحية وملكوا مليانة وتنس وشرشال وما اليها وتطاولوا الى متيجة فتغلبوا عليها ثم مدوا أيديهم الى جبل وانشريس وما اليه فتناولوا الكثير من بلاده ثم أزاحهم عنها بنو عطية الحيو وقومه من بنى توجين المجاورون لهم في مواطنهم بأعالى شلب شرقى أرض السوس وكان ذلك لاول دخول أحياء زناتة الناجعة بأرض القبلة الى التلول فتغلب بنو عبد الواد على نواحى تلمسان الى وادى صا وتغلب بنو توجين على ما بين الصحراء والتل من بلد المرية

الى جبل وانشريس الى مرات الجعبات وصارا لتخم لملك بنى عبد الواد سيك والبطحاء فمن
قبليهما مواطن بنى توجين ومن شرقيهما مواطن مغراوة وكانت الفتنة بين بنى عبد الواد
وبين هذين الحيين من أول دخولهم الى التلول (وكان المولى) الامير أبو زكريا بن أبى
حفص يستظهر بهذين الحيين على بنى عبد الواد ويراغمهم بهم حتى كان من فتح تلمسان
ما قدمناه وألبس جميعهم شارة الملك على ماذكرناه ونذكره فى أخبارهم فزاحموا
يغمراسن بعدها بالمناكب وصرف هواليهم وجه النقمة والحروب ولم يزل الشأن
ذلك حتى انقرض ملك هذين الحيين لعهد ابنه عثمان بن يغمراسن وعلى يده ثم على يد بنى
مرين من بعدهم كما يأتى ذكره (ولما رجع) يغمراسن بن زيان من لقاء بنى مرين
بايسلى من نواحى وجدة وهلك مرجعه منها أنفذ يغمراسن العهد لابنه محمد الامير بعده
وزحف الى بلاده فجاس خلالها ونازل حصونها فامتنعت عليه وأحسن محمد بن عبد
القوى فى دفاعه ثم زحف ثانية سنة خمسين اليهم فنازل حصن تافركينت من حصونهم
وكان به على بن أبى زيان حافد محمد بن عبد القوى فامتنع به فى طائفة من قومه ورحل
يغمراسن كظيما ولم يزل يغمراسن بعدها يثير الغارات على بلادهم ويجمع الكتائب
على حصونهم وكان بتافركينت صنيعة من صنائع بنى عبد القوى ونسبه فى صنهاجة
أهل ضاحية بجاية اختص بهذا الحصن ورسخت قدمه فيه واعتز بكثرة ماله وولده
فأحسن الدفاع عنه وكان له مع يغمراسن فى الامتناع عليه أخبار مذكورة حتى سطا به
بنو محمد بن عبد القوى حين شرهوا الى نعمته وأنفوا من استبداده فأتلفوا نفسه
وتخطفوا نعمته فكان حتف ذلك الحصن فى حتفه كما يأتى ذكره (وعند) ماشبت نار
الفتنة بين يغمراسن ومحمد بن عبد القوى وصل محمد يده بيعقوب بن عبد الحق فلما نازل
يعقوب تلمسان سنة سبعين بعد أن هدم وجدة وهزم يغمراسن بايسلى جاءه محمد بن عبد
القوى بقومه من بنى توجين وأقام معه على حصارها ورحلوا بعد الامتناع عليهم فرجع
محمد الى مكانه ثم عاود يعقوب بن عبد الحق منازلة تلمسان سنة ثمانين وستمائة بعد لقائه
بيغمراسن فى خرزوزة فلقيه محمد بن عبد القوى بالقصبات واتصلت أيديهم على تخريب
بلاد يغمراسن مليا ونازلوا تلمسان أياما ثم افترقوا ورجع كل الى بلده (ولما) خلص
يغمراسن بن زيان من حصاره زحف الى بلادهم وأوطأ عسكره أرضهم فغلب على
الضاحية وخرب عمرانها الى أن تملكها بعده ابنه عثمان كما نذكره (وأما) خبره مع
مغراوة فكان عادرأيه فيهم التغريب بين بنى منديل بن عبد الرحمن للمنافسة التى
كانت بينهم فى رياسة قومهم ولما رجع من واقعة تلاغ سنة ست وستين وهى الواقعة
التى هلك فيها ولده عمر زحف بعدها الى بلاد مغراوة فتوغل فيها وتجاوزها الى من

وراءهم من مليكش والثعالبة وأمكنه عمر من مليانة سنة ثمان وستين على شرط الموازرة والمظاهرة على اخوته فملكها يغمراسن يومئذ وصار الكثير من مغراوة الى ولايته وزحفوا معه الى المغرب سنة سبعين ثم زحف بعدها الى بلادهم سنة ثنتين وسبعين فتجافى له ثابت بن منديل عن تنس بعد ان أثخن فى بلادهم ورجع عنها فاسترجعها ثابت ثم نزل له عنها ثانيا سنة احدى وثمانين بين يدى مهلكه عند ماتم له الغلب عليهم والاثخان فى بلادهم الى أن كان الاستيلاء عليها لابنه عثمان على مانذكره ان شاء الله

(الخبر عن انتزاء الزعيم بن مكن ببلد مستغانم)

كان بنو مكن هؤلاء من علية القرابة من بنى زيان يشاركونهم فى محمد بن زكراز بن يندوكس بن طاع الله وكان لمحمد هذا أربعة من الولد كبيرهم يوسف ومن ولده جابر بن يوسف أول ملوكهم وثابت بن محمد ومن ولده زيان بن ثابت أبو الملوك من بنى عبد الواد ودرع بن محمد ومن ولده عبد الملك بن محمد بن على بنى قاسم بن درع المشتهر بأمه حنينة أخت يغمراسن بن زيان ومكن بن محمد وكان له من الولد يحيى وعمرس وكان من ولد يحيى الزعيم وعلى وكان يغمراسن بن زيان كثيرا ما يستعمل قرابته فى الممالك ويوليهم على العمالات وكان قد استوحش من يحيى بن مكن وابنه الزعيم وغربهما الى الاندلس فأجازا من هنالك الى يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان عامئذ وهما فى جملته فأدركتهما النعرة على قومهما وآثرا مفارقة السلطان اليهم فأذن لهم فى الانطلاق ولحقا بيغمراسن ابن زيان حتى اذا كانت الواقعة عليه بخرزوزة سنة ثمانين كما قدمناه وزحف بعدها الى بلاد مغراوة وتجافى له ثابت بن منديل عن مليانة وانكفأ راجعا الى تلمسان استعمل على ثغر مستغانم الزعيم بن يحيى بن مكن فلما وصل الى تلمسان انتقض عليه ودعا الى الخلاف ومالأ عدوه من مغراوة على المظاهرة عليه فقصد اليه يغمراسن وحجزه بها حتى لاذ منه بالسلم على شرط الاجازة الى العدوة فعقد له وأجازه ثم أجاز على أثره أباه يحيى واستقر بالاندلس الى أن هلك يحيى سنة ثنتين وتسعين ووفد الزعيم بعد ذلك على يوسف ابن يعقوب وسخطه لبعض النزعات فاعتقله وفر من محبسه ولم يزل الاغتراب مطوحا به الى أن هلك والبقاء لله وحده ونشأ ابنه الناصر بالاندلس فكانت مثواه وموقف جهاده الى أن هلك (وأما) أخوه على بن يحيى فأقام بتلمسان وكان من ولده داود بن على كبير مشيخة بنى عبد الواد وصاحب شوراهم وكان منهم أيضا ابراهيم بن على عقد له أبو حمو الاوسط على ابنته فكان منها ولد نذكره وكان لداود ابن اسمه يحيى بن داود استعمله أبو سعيد ابن عبد الرحمن فى دولتهم الثانية على وزارتهم فكان من شأنه مانذكره فى أخبارهم والامر لله

(الخبر عن شأن يغمراسن فى معاقدته مع ابن الاحمر والطاغية على فتنة يعقوب بن عبد الحق والاخذ بحجزته)

كان يعقوب بن عبد الحق لما أجاز الى الجهاد وأوقع بالعدو وخرب حصونهم ونازل اشبيلية وقرطبة وزلزل قواعد كفرهم ثم أجاز ثانية وتوغل فى دار الحرب وأثخن فيها وتخلى له ابن اشقيلولة عن مالقة فملكها وكان سلطان الاندلس يومئذ الامير محمد المدعو بالفقيه ثانى ملوك بنى الاحمر ملكهم هو الذى استدعى يعقوب بن عبد الحق للجهاد لما عهد له أبوه الشيخ بذلك فلما استفحل أمر يعقوب بالاندلس وتعاقب الثوار الى اللياذ به خشيه ابن الاحمر على نفسه وتوقع منه مثل فعل يوسف بن تاشفين بابن عباد فاعتمل فى أسباب الخلاص مما توهم وداخل الطاغية فى اتصال اليد والمظاهرة عليه وكان بمالقة ابن على استعمله عليها يعقوب بن عبد الحق حين ملكها من يد اشقيلولة فاستماله ابن الاحمر وعده واديا له بشلوبانية من مالقة طعمة له خالصة فتخلى عن مالقة اليها وأرسل الطاغية أساطيله فى البحر لمنع الزقاق من اجازة السلطان وعساكره وراسلوا يغمراسن من وراء البحر فى الاخذ بحجزة يعقوب وشن الغارات على ثغوره ليكون ذلك شاغلا له عنهم فبادر يغمراسن باجابتهم وترددت الرسل اليه من الطاغية ومنه الى الطاغية كما نذكره وبث السرايا والبعوث فى نواحى المغرب فشغل يعقوب عن شأن الجهاد حتى لقد سأله المهادنة وان يفرغ لجهاد العدو فأبى عليه وكان ذلك مما دعا يعقوب الى الصمود اليه بمواقعته بخرزوزة كما ذكرناه ولم يزل شأنهم ذلك مع يعقوب بن عبد الحق وأيديهم متصلة عليه من كل جهة وهو ينتهز الفرص فى كل واحد منهم متى أمكنه حتى هلك وهلكوا والله وارث الارض ومن عليها سبحانه

(الخبر عن شأن يغمراسن مع الخلفاء من بنى أبى حفص الذى كان يقيم بتلمسان دعوتهم ويأخذ قومه بطاعتهم)

كان زناتة يدينون بطاعة خلفاء الموحدين من بنى عبد المؤمن أيام كونهم بالقفار وبعد دخولهم الى التلول فلما فشل أمر بنى عبد المؤمن ودعا الامير أبو زكريا بن أبى حفص بافريقية لنفسه ونصب كرسى الخلافة للموحدين بتونس انصرفت اليه الوجوه من سائر الآفاق بالعدوتين وأملوه الكرة وأوفد زناتة عليه رسلهم من كل حى بالطاعة ولاذ مغراوة وبنو توجين بظل دعوته ودخلوا فى طاعته واستنهضوه لتلمسان فنهض اليها وافتتحها سنة أربعين ورجع اليها يغمراسن واستعمله عليها وعلى سائر عمالكها فلم يزل مقيما لدعوته واتبع أثره بنو مرين فى اقامة الدعوة له فيما غلبوا عليه من بلاد المغرب وبعثوا اليه ببيعة مكناسة وتازى والقصر كما نذكره فى أخبارهم الى ماد انوا به

ولابنه المستنصر من بعده من خطاب التهويل والاشارة بالطاعة والانقياد حتى غلبوا
على مراكش وخطبوا باسم المستنصر على منابرها حينا من الدهر ثم تبين لهم
بعد تناول تلك القاصية عليه فعطلوا منابرهم من أسماء أولئك وأقطعوهم جانب
الوداد والموالاة ثم سموا الى اللقب والتفنن فى الشارة الملوكية كما تقتضيه طبيعة
الدول وأما يغمراسن وبنوه فلم يزالوا آخذين بدعوتهم واحدا بعد واحد متجافين عن
اللقب أدبا معهم مجددين البيعة لكل من يتجدد قيامه بالخلافة منهم يوفدون بها كبار
أبنائهم وأولى الرأى من قومهم ولم يزل الشأن ذلك ولما هلك الامير أبو زكريا وقام ابنه
محمد المستنصر بالامر من بعده وخرج عليه أخوه الامير أبو اسحق فى احياء الزواودة
من رياح ثم غلبهم المستنصر جميعا ولحق الامير أبو اسحق بتلمسان فى أهله فأكرم
يغمراسن نزلهم وأجاز الى الاندلس للمرابطة بها والجهاد حتى اذا هلك المستنصر
سنة سبع وسبعين واتصل به خبر مهلكه ورأى انه أحق بالامر فأجاز البحر من حينه
ونزل بمرسى هنى سنة سبع وسبعين ولقاه يغمراسن مبرة وتوقيرا واحتفل لقدومه
وأركب الناس لتلقيه وأتاه ببيعته على عادته مع سلفه ووعده النصرة على عدوه
والموازرة على أمره وأصهر اليه يغمراسن فى احدى بناته المقصورات فى خيام
الخلافة بابنه عثمان ولى عهده وأسعفه وأجمل فى ذلك وعده وانتقض محمد بن أبى هلال
عامل بجاية على الواثق وخلع طاعته ودعا للامير أبى اسحق واستحثه للقدوم فأغذ اليه
السير من تلمسان وكان من شأنه ما قدمناه فى أخباره فلما كانت سنة احدى وثمانين
وزحف يغمراسن الى بلاد مغراوة وغلبهم على الضواحى والامصار بعث من هنالك ابنه
ابراهيم وتسميه زناتة برهوم ويكنى أبا عامر أوفده فى رجال من قومه على الخليفة أبى
اسحق لاحكام الصهر بينهما فنزلوا منه على خير نزل من اسناء الجراية ومضاعفة
الكرامة والمبرة وظهر من آثاره فى حروب ابن أبى عمارة ما مد الاعناق اليه وقصر
الشيم الزناتية على بيته ثم انقلب آخرا بظعينته محبوا محبورا وابتنى بها عثمان لحين
وصولها وأصبحت عقيلة قصره فكان ذلك مفخر الدولته وذكرا له ولقومه ولحق الامير
أبو زكريا ابن الامير أبى اسحق بتلمسان بعد خلوصه من مهلك قومه فى واقعة الدعى بن
أبى عمارة عليهم بمرماجنة سنة ثنتين وثمانين فنزل من عثمان بن يغمراسن صهره خير نزل
برا واحتفاء وتكريما وملاطفة وسربت اليه أخته من القصر أنواع التحف والانس
ولحق به أولياؤهم من صنائع دولتهم وكبيرهم أبو الحسن محمد بن الفقيه المحدث أبى بكر
ابن سيد الناس اليعمرى فتفيؤا من كرامة الدولة بهم ظلا وارفا واستنهضوه الى تراث
ملكه وفاوض أبا مثواه عثمان بن يغمراسن فى ذلك فنا كره لما كان قد أخذه بدعوة

الحضرة وأوفد عليه رجال دولته بالبيعة على العادة في ذلك فحدث الامير أبو زكريا نفسه بالفرار عنه ولحق بداود بن هلال بن عطاف أمير البدو من بني عامر احدى بطون زغبة فأجاره وأبلغه مأمنه فجاء الزواودة أمراء البدو بعمل الموحدين ونزل منهم على عطية بن سليمان بن سباع كما قدمناه واستولى على بجاية سنة أربع وثمانين بعد خطوب بذكرناها وقطعها عن ملك عمه صاحب الدولة بتونس أبي حفص ووفى لداود ابن عطاف وأقطعه بوطن بجاية عملا كبيرا افرد لجبايته كان فيه من وادي بجاية واشتغل الامير أبو زكريا بمملكة بونة وقسنطينة وبجاية والجزائر والزاب وما وراءه وكان هذا الصهر وصلة له مع عثمان بن يغمراسن وبنيه (ولما نازل) يوسف بن يعقوب تلمسان سنة ثمان وتسعين بعث الامير أبو زكريا المدد من جيوشه الى عثمان بن يغمراسن وبلغ الخبر بذلك الى يوسف بن يعقوب فبعث أخاه أبا يحيى في العساكر لاعتراضهم والتقوا بجبل الزاب فكانت الدبرة على عسكر الموحدين واستلحموا هنالك وتسمى المعركة لهذا العهد بمرسى الرؤس واستحكمت من أجل ذلك صاغية الخليفة بتونس الى بني مرين وأوفد عليهم مشيخة من الموحدين يدعوهم الى حصار بجاية وبعث معهم الهدية الفاخرة وبلغ خبرهم الى عثمان بن يغمراسن من وراء جدره فتنكر لها وأسقط ذكر الخليفة من منابره ومحاه من عمله فنسي لهذا العهد والله مالك الامر سبحانه

{الخبر عن مهلك يغمراسن بن زيان وولاية ابنه عثمان وما كان في دولته من الاحداث}

كان السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة احدى وثمانين واستعمل عليها ابنه عثمان وتوغل في بلاد مغراوة وملك ضواحيهم ونزل له ثابت بن منديل عن مدينة تنس فتناولها من يده ثم بلغه الخبر باقبال ابنه أبي عامر برهوم من تونس بابنة السلطان أبي اسحق عرس ابنه عثمان فتلوم هنالك الى أن لقيه بظاهر مليانة فارتحل الى تلمسان وأصابه الوجع في طريقه وعندما أحل سربره اشتد به وجعه فهلك هنالك آخر ذي القعدة من سنته والبقاء لله وحده فحمله ابنه أبو عامر على أعواد وواراه في حدر مورد بالمرضه الى أن تجاوز بلاد مغراوة الى سك ثم أغذ السير الى تلمسان فلقيه أخوه عثمان بن يغمراسن ولي عهد أبيه في قومه فبايعه الناس وأعطوه صفقة أيمانهم ثم دخل تلمسان فبايعه العامة والخاصة وخاطب لحينه الخليفة بتونس أبا اسحق وبعث اليه ببيعته فراجعه بالقبول وعقد له على عمله على الرسم ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق يخطب منه السلم لما كان أبوه يغمراسن أوصاه به (حدثنا) شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن

ابراهيم الايلى قال سمعت من السلطان أبى حمو موسى بن عثمان وكان قهرمانا بداره قال أوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان ودادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم فقال له يا بنى ان بنى مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الاعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم اذا جمعوا الوفور مددهم ولا يمكننى أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرن التى أنت بعيد عنها فاياك واعتماد لقائهم وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك فعلقت وصية الشيخ بقلبه وعقد عليها ضمائره وجنح الى السلم مع بنى مرين ليفرغ عزمه لذلك وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على يعقوب بن عبد الحق بمكانه من العدوة الاندلسية فى اجازته الرابعة اليها فخاض اليه البحر ووصله باركش فلقاه برا وكرامة وعقد له على السلم ما أحب وانكفأ راجعا الى أخيه فطابت نفسه وفرغ لافتتاح البلاد الشرقية كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن شأن عثمان بن يغمراسن مع مغراوة وبنى توجين وغلبه على معاقلهم والكثير من أعمالهم

لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه الى الاعمال الشرقية من بلاد توجين ومغراوة وما وراءها من أعمال الموحدين فتغلب أولا على ضواحى بنى توجين ومغراوة وما وراءها ودوخ قاصيتها وسار الى بلاد مغراوة كذلك ثم الى متيجة فانتسف نعمها وحطم زرعها ثم تجاوزها الى بجاية فحاصرها كما نذكره بعد وامتنعت عليه فانكفأ راجعا ومر فى طريقه بمازونة فحاصرها وأطاعته وذلك سنة ست وثمانين ونزل له ثابت بن منديل أمير مغراوة عن تنس فاستولى عليها وانتظم سائر بلاد مغراوة فى ايالته ثم عطف فى سنته على بلاد توجين فاكتسح حبوبها واحتكرها بمازونة استعدادا لما يتوقع من حصار مغراوة اياها ثم دلف الى تافركينت فحاصرها وأخذ بمخنقها وداخل قائدها غالبا الخصى من موالى بنى محمد بن عبد القوى كان مولى سيد الناس منهم فنزل له غالب عنها وانكفأ الى تلمسان ثم نهض الى بنى توجين سنة سبع وثمانين فغلبهم على وانشريس مثوى ملكهم ومنبت عزهم وفر أمامه أميرهم مولى بنى زرارة من ولد محمد بن عبد القوى وأخذ الحلف منهم فلحق بضواحى المرية فى الاعشار وأولاد عزيز من قومه واتبع عثمان بن يغمراسن آثارهم وشردهم من تلك القاصية وهلك مولى زرارة فى مغرة وكان عثمان قبل ذلك قد دوخ بلاد بنى يدللتن من بنى توجين ونازل رؤساءهم أولاد سلامة بالقلعة المنسوبة اليهم مرات فامتنعوا عليه ثم أعطوه

أيديهم على الطاعة ومفارقة قومهم بنى توجين الى سلطان بنى يغمراسن فنبذوا العهد الى بنى محمد بن عبد القوى أمرائهم منذ العهد الاول ووصلوا أيديهم بعثمان وألزموا رعاياهم وعمالهم المغارم له الى أن ملك وانشريس من بعدها كما نذكر ذلك فى أخبارهم وصارت بلاد توجين كلها من عمله واستعمل الحشم بجبل وانشريس ثم نهض بعدها الى المدية وبها أولاد عزيز من توجين فنازلها وقام بدعوته فيها قبائل من صنهاجة يعرفون بلمدية واليهم ينسب فأمكنوه منها سنة ثمان وثمانين وبقيت فى ايالته سبعة أشهر ثم انتقضت عليه ورجعت الى ولاية أولاد عزيز وصالحوه عليها وأعطوه من الطاعة ما كانوا يعطونه محمد بن عبد القوى وبنيه فاستقام أمره فى بنى توجين ودانت له سائر أعمالهم ثم خرج سنة تسع وثمانين الى بلاد مغراوة لما كانوا عليه لبنى مرين فى احدى حركاتهم على تلمسان فدوخها وأنزل ابنه أبا حمو بشلب مركز عملهم فأقام به وقفل هو الى الحضرة وتحيز فل مغراوة الى نواحى متيجة وعليهم ثابت بن منديل أميرهم فلم يزالوا به ونهض عثمان اليهم سنة ثلاث وتسعين بعدها فانحجزوا المدينة برشك وحاصرهم بها أربعين يوما ثم افتتحها وخاض ثابت البحر الى المغرب فنزل على يوسف ابن يعقوب كما نذكره واستولى عثمان على سائر عمل مغراوة كما استولى على عمل بنى توجين فانتظم بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة الاولى ثم اشتغل بفتنة بنى مرين كما نذكر بعد ان شاء الله تعالى

(الخبر عن منازلة بجاية وما دعا اليها)

قد ذكرنا ان المولى أبا زكريا الاوسط بن المولى أبى اسحق بن أبى حفص لحق بتلمسان عند فراره من بجاية أمام شيعة الدعى بن أبى عمارة ونزل على عثمان بن يغمراسن خير نزل ثم هلك الدعى ابن أبى عمارة واستقل عمه الامير أبو حفص بالخلافة وبعث اليه عثمان ابن يغمراسن بطاعته على العادة وأوفد عليه وجوه قومه ودس الكثير من أهل بجاية الى الامير أبى زكريا يستحثونه للقدوم ويعدونه اسلام البلد اليه وفاوض عثمان بن يغمراسن فى ذلك فأبى عليه وفاء بحق البيعة لعمه الخليفة بالحضرة فطوى عنه الخبر وتردد فى النقض أياما ثم لحق باحياء زغبة فى مجالاتهم بالقفر ونزل على داود بن هلال بن عطاف وطلب عثمان بن يغمراسن اسلامه فأبى عليه وارتحل معه الى أعمال بجاية ونزلوا على أحياء الزواودة كما قدمناه ثم استولى المولى أبو زكريا بعد ذلك على بجاية فى خبر طويل ذكرناه فى أخباره واستحكمت القطيعة بينه وبين عثمان وكانت سببا لاستحكام الموالاة بين عثمان وبين الخليفة بتونس فلما زحف اليه عثمان سنة ست وثمانين وتوغل فى قاصية الشرق أجمل الى عمل بجاية ودوخ سائر أقطارها ثم نازلها بعد

ذلك يروم كيدها بالاعتمال فى مرضاة خليفته بتونس ويسربذلك حسوا فى ارتقاء وأناخ عليها بعساكره سبعا ثم أفرج عنها منقلبا الى المغرب الاوسط فكان من فتح تافركينت ومازونة ماقدمناه

(الخبر عن معاودة الفتنة مع بنى مرين وشأن تلمسان فى الحصار الطويل)

لما هلك يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين على السلم المنعقد بينه وبين بنى عبد الواد لشغله بالجهاد وقام بالامر من بعده فى قومه ابنه يوسف كبير ولده على شأن الجهاد واستتم يغمراسن وابنه بممالاة الطاغية وابن الاحمر فعقد يوسف بن يعقوب السلم مع الطاغية لحينه ونزل لابن الاحمر عن ثغور الاندلس التى كانت لهم وفرغ لحرب بنى عبد الواد واستتب له ذلك لاربع من مهلك أبيه دلف الى تلمسان سنة تسع وثمانين ولاذ منه عثمان بالاسوار فنازلها صباحا وقطع شجرها ونصب عليها المجانيق والآلات ثم أحس بامتناعها فأفرج عنها وانكفأ راجعا وتقبل عثمان بن يغمراسن مذهب أبيه فى مداخلة ابن الاحمر والطاغية وأوفد رسله عليهما فلم يغن ذلك عنه شيأ وكان مغراوة قد لحقوا بيوسف بن يعقوب بتلمسان فنالوا منه أعظم النيل فلما أفرجوا عن تلمسان نهض عثمان الى بلادهم فدوخها وغلبهم عليها وأنزل ابنه أبا حمو بها كما قدمناه فلما كانت سنة خمس وتسعين نهض يوسف بن يعقوب الى حركته الثانية فنازل ندرومة ثم ارتحل عنها الى ناحية وهران وأطاعه أهل جبل كيدره وتاسكدلت رباط عبد الحميد بن الفقيه أبى زيد اليزناسى ثم كر راجعا الى المغرب وخرج عثمان بن يغمراسن فأثخن فى تلك الجبال لطاعتهم عدوه واعتراضهم جنده واستباح رباط تاسكدلت ثم أغزاه يعقوب بن يوسف ثالثة سنة ست وتسعين ثم رجع الى المغرب ثم أغزاه رابعة سنة سبع وتسعين فنازل تلمسان وأحاط بها معسكره وشرعوا فى البناء ثم أفرج عنها لثلاثة أشهر ومر فى طريقه بوجدة فأمر بتجديد بنائها وجمع الفعلة عليها واستعمل أخاه أبا يحيى بن يعقوب على ذلك وأقام لشأنه ولحق يوسف بالمغرب وكان بنو توجين قد نازلوا تلمسان مع يوسف بن يعقوب وتولى كبر ذلك منهم أولاد سلامة أمراء بنى يدللتن وأصحاب القلعة المنسوبة اليهم فلما أفرج عنها خرج اليهم عثمان بن يغمراسن فدوخ بلادهم وحاصرهم بالقلعة ونال منها أضعاف ما نالوا منه وطال مغيبه فى بلادهم فخالفه أبو يحيى بن يعقوب الى ندرومة فاقتحمها عنوة بعسكره بمداخلة من قائدها زكريا بن يخلف بن المطغرى صاحب توقت فاستولى بنو مرين على ندرومة وتوقت وجاء يوسف بن يعقوب على أثرها فوافاهم ودلفوا جميعا الى تلمسان وبلغ الخبر الى عثمان بمكانه من حصار القلعة فطوى المراحل الى تلمسان فسبق اليها يوسف بن يعقوب ببعض يوم ثم أشرفت طلائع

بنى مرين عشى ذلك اليوم فأناخوا بها فى شعبان سنة ثمان وتسعين وأحاط العسكر بها من جميع جهاتها وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجا من الاسوار محيطا بها وفتح فيه أبوابا مداخل لحربها واختط لنزله الى جانب الاسوار مدينة سماها المنصورة وأقام على ذلك سنين يغاديها القتال ويراوحها وسرح عساكره لافتتاح المغرب الاوسط وثغوره فملك بلاد مغراوة وبلاد توجين كما ذكرناه فى أخبارهم وجثم هو بمكانه من حصار تلمسان لا يعدوها كالاسد الضارى على فريسته الى أن هلك عثمان وهلك هو من بعده كما نذكره والى الله المصير سبحانه وتعالى لا رب غيره

(الخبر عن ملك عثمان بن يغمراسن وولاية ابنه أبى زيان وانتهاء الحصار من بعده الى غايته)

لما أناخ يوسف بن يعقوب بعساكره على تلمسان اعتجز بها عثمان وقومه واستسلموا والحصار آخذ بمخنقهم وهلك عثمان لخامسة السنين من حصارهم سنة ثلاث وسبعمائة وقام بالامر من بعده ابنه أبو زيان محمد (أخبرنى) شيخنا العلامة محمد بن ابراهيم الايلى وكان فى صباه قهرمان دارهم قال هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس وكان قد أعد لشربه لبنا فلما أخذ منه وعطش دعا بالقدح فشرب اللبن وقام فلم يكن بأوشك ان فاضت نفسه وكانرى معشر الصنائع انه داف فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم اياهم قال وجاء الخادم الى قعيدة بيته زوجه بنت السلطان أبى اسحق بن الامير أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص صاحب تونس وخبرها الخبر فجاءت ووقفت عليه واسترجعت وختمت على الابواب بسدادها ثم بعثت الى ابنيه محمد أبى زيان وموسى أبى حمو فعزتهما عن أبيهما وأحضرا مشيخة بنى عبد الواد وعرضوا الهم بمرض السلطان فقال أحدهم مستفهما عن الشأن ومترجما عن القوم السلطان معنا آنفا ولم يمتد الزمن لوقوع المرض فان يكن هلك فخبرونا فقال له أبو حمو واذا هلك فما أنت صانع فقال انما نخشى من مخالفتك والا فسلطاننا أخوك الاكبر أبو زيان فقام أبو حمو من مكانه وأكب على يد أخيه يقبلها وأعطاه صفقة يمينه واقتدى به المشيخة فانعقدت بيعته لوقته واشتمل بنو عبد الواد على سلطانهم واجتمعوا اليه وبرزوا الى قتال عدوهم على العادة فكان عثمان لم يمت (وبلغ الخبر) الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فتفجع له وعجب من صرامة قومه من بعده واستمر حصاره اياهم الى ثمانية سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله نالهم فيها من الجهد مالم ينله أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران حتى انهم زعموا انهم أكلوا فيها اشلاء الموتى من الناس وخربوا السقف للوقود وغلت أسعار الاقوات

والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد وعجز وجدهم عنه فكان ثمن مكيال
القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين
ونصفا من الذهب العين وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ومن الضأن
سبعة مثاقيل ونصفا واثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمر بثمن المثقال
ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشر المثقال والرطل من الجلد
البقري ميتة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجن بمثقال ونصف والكلب بمثله
والفار بعشرة دراهم والحية بمثله والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة
دراهم والعصافير كذلك والاوقية من الزيت باثني عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن
الشحم بعشرين ومن الفول بمثلها ومن الملح بعشرة ومن الحطب كذلك والاصل
الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن اللفت
بخمسة عشر درهما والواحدة من القثاء والفقوس بأربعين درهما والخيار بثلاثة
أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين واستهلك
الناس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه
من حصارها واتسعت خطة مدينة المنصورة المشيدة عليها ورحل اليها التجار بالبضائع
من الآفاق واستبحرت في العمران بما لم تبلغه مدينة وخطب الملوك سلمه ووده ووفدت
عليه رسل الموحدين وهداياهم من تونس وبجاية وكذلك رسل صاحب مصر والشام
وهديته واعتز اعتزاز الاكفاء له كما يأتي في أخباره وهلك الجند حامية بني يغمراسن
وقبيلتهم وأشرفوا على الهلاك فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج بهم للاستماتة فكيف
الله لهم الصنيع الغريب ونفس عن مخنقهم بهلك السلطان يوسف بن يعقوب على يد
خصي من العبيد فأسخطته بعض النزغات الملوكية فاعتمده في كسر بيته وخدع نوبه
وطعنه بخنجر قطع أمعاءه وأدرك فسيق الى وزرائه فمزقوه اشلاء ولم يبق شيء من بقايا
عهدهم كما ذكرناه والامر لله وحده وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وساكني
مدينتهم كانما انشروا من اجداث وكتبوا لها في سكتهم ما أقرب فرج الله استغرابا لحادثتها
(وحدثني) شيخنا محمد بن ابراهيم الابلي قال جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم
الفرج وهو يوم الاربعاء في خلوة زوايا قصره واستدعى ابن حجاف خازن الزرع فسأله كم
بقي من الاهراء والمطامير المختومة فقال له انما بقي عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمانها
وبينما هم في ذلك دخل عليه أخوه أبو حمو فأخبروه فوجم لها وجلسوا ساكتا
لا ينطقون واذا بالخادم دعد قهرمانة القصر من وصائف بيت السلطان أبي اسحق
وحظية أبيهم خرجت من القصر اليهم وحيتهم بتحيتها وقالت تقول لكم حظايا قصركم

وبنات زيان حرمكم ما لنا وللبقاء وقد أحيط بكم وأسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق الا فواق بكية لمصارعكم فأريحونا من معرة السبي وأريحوا فينا أنفسكم وقربوا الى مهالككم فالحياة في الذل عذاب والوجود بعد كم عدم فالتفت أبو حمو الى أخيه وكان من الشفقة بمكان وقال قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن فقال ياموسى أرجئني ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورني بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستميت ويقضي الله ما يشاء فغضب أبو حمو وأنكر الارجاء في ذلك وقال انما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا وقام عنه مغضبا وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء قال ابن حجاف وانا بمكاني بين يديه لا أملك متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راعني الا حرسي الباب يشير الى أن اذن السلطان بمكان رسول من معسكر بني مرين لسدة القصر فلم أطق رجع جوابه الا باشارة وانتبه السلطان من خفيف اشارتنا فزعا فأذنته واستدعاه فلما وقف بين يديه قال له ان يوسف بن يعقوب بهلك الساعة وانا رسول حافده أبي ثابت اليكم فاستبشر السلطان واستدعى أخاه وقومه حتى أبلغ الرسول رسالته بمسمع منهم وكانت احدى المغربات في الايام (وكان من خبر هذه الرسالة) ان يعقوب بن يوسف لما هلك تطاول للامر الاعياص من اخوته وولده وحفدته وتحيز أبو ثابت حافده الى بني ورتاجن لخؤولة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوصبوا عليه وبعث الى أولاد عثمان بن يغمراسن أن يعطوه الآلة ويكونوا مفزعا له وأمنا ان أخفق مسعاه على انه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بني مرين فعاقدوه عليها ووفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم وجاء بجميع الكتائب التي أنزلها في ثغورهم وقفلوا الى أعمالهم بالمغرب الاوسط كلها الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن السلطان أبي زيان بعد الحصار الى حين مهلكه)

كان من أول ما افتتح به السلطان أبو زيان أمره بعد الخروج من هون الحصار وتناوله الاعمال من يد بني مرين أن نهض من تلمسان ومعه أخوه أبو حمو آخر ذي الحجة من سنة ست وسبعمائة فقصد بلاد مغراوة وشرد من كان هنالك منهم في طاعة بني مرين واحتاز الثغور من يد عمالهم ودوخ قاصيتها ثم عقد عليها المسامح مولاه ورجع عنها فنهض الى السرسو وكان العرب قد تملكوه أيام الحصار وغلبوا زناتة عليه من سويد والديالم ومن اليهم من بني يعقوب بن عافي فأجفلوا أمامه واتبعوا آثارهم الى أن أوقع بهم وانكفأ راجعا ومر ببلاد بني توجين فاقتضى طاعة من كان بقي بالجبل من

بنى عبد القوى وقفل الى تلمسان لتسعة أشهر من خروجه وقد ثقف أطراف ملكه ومسح أعطاف دولته فنظر فى اصلاح قصوره ورياضه ورم ما تثلم من بلده وأصابه المرض خلال ذلك فاشتد وجعه سبعا ثم هلك آخريات شوال من سنة سبع و لبقاء الله وحده

(الخبر عن محو الدعوة الحفصية من منابر تلمسان)

كانت الدعوة الحفصية بافريقية قد انقسمت بين أعياصهم فى تونس و بجاية وأعمالها وكان التخم بينهما بلد عجيسة ووشتاتة وكان الخليفة بتونس الامير أبو حفص ابن الامير أبى زكريا الاول منهم وله الشفوف على صاحب بجاية والثغور الغربية بالحضرة فكانت بيعة بنى زيان له والدعاء على منابرهم باسمه وكانت لهم مع المولى الامير أبى زكريا الاوسط صاحب بجاية وصلة لمكان الصهر بينهم وبينه وكانت الوحشة قد اعترضت ذلك عند منازل عثمان بجاية كما قدمناه ثم تراجعوا الى وصلتهم واستمروا عليها الى أن نازل يوسف بن يعقوب تلمسان والبيعة يومئذ للخليفة بتونس السلطان أبى عصيدة بن الواثق والدعوة على منابر تلمسان باسمه وهو حاقد عليهم ولايتهم للامير أبى زكريا الاوسط صاحب الثغر فلما نازل يوسف بن يعقوب بأعلى تلمسان و بعث عساكره فى قاصية الشرق استجاش عثمان بن يغمراسن بصاحب بجاية فسرح عسكرا من الموحدين لمدافعتهم عن تلك القاصية والتقوا معهم بجبل الزاب فانكشف الموحدون بعد معترك صعب واستلحمهم بنو مرين ويسمى المعترك لهذا العهد بمرسى الرؤس لكثرة ما تساقط فى ذلك المجال من الرؤس واستحكمت المنافرة بين يوسف بن يعقوب وصاحب بجاية فأوفد الخليفة بتونس على يوسف بن يعقوب مشيخة من الموحدين تجديدا للوصلة سلفهم مع سلفه واغراء بصاحب بجاية وعمله فجاء موقع ذلك من عثمان بن يغمراسن وأحفظه ممالأة خليفته لعدوه فعطل منابره من ذكره وأخرج قومه وايالته عن دعوته وكان ذلك آخر المائة السابعة والله تعالى أعلم

(الخبر عن دولة أبى حمو الاوسط وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك الامير أبو زيان قام بالامر بعده أخوه أبو حمو فى أخريات سنة سبع كما قدمناه وكان صارما يقظا حازما داهية قوى الشكيمة صعب العريكة شرس الاخلاق مفرط الدهاء والحدة وهو أول ملوك زناتة رتب مراسم الملك وهذب قواعده وأرهف فى ذلك لاهل ملكه حده وقلب لهم مجن بأسه حتى ذلوا للعز ملكه وتأدبوا بآداب السلطان (سمعت) عريف بن يحيى أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية يقول و يعيبه موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة وانما كانوا رؤساء بادية حتى قام فيهم موسى بن عثمان فحد حدودها وهذب مراسمها ونقل عنه ذلك أمثاله وأنظاره فتقبلوا

مذهبه واقتدوا بتعليمه انتهى كلامه (ولما استقل) بالامر افتتح شأنه بعقد السلم مع سلطان بنى مرين لاوّل دولته فأوفد كبراء دولته على السلطان أبى ثابت وعقد له السلم كما مضى ثم صرف وجهه الى بنى توجين ومغراوة فردّد اليهم العساكر حتى دوّخ بلادهم وذلل صعابهم وشرّد محمد بن عطية الاصم عن نواحى وانشريس وراشد بن محمد عن نواحى شلب وكان قد لحق بها بعد مهلك يوسف بن يعقوب فأزاحه عنها واستولى على العملين واستعمل عليهما وقفل الى تلمسان ثم خرج سنة عشر فى عساكره الى بلاد بنى توجين ونزل تافركينت وسط بلادهم فشرّد من أعقاب محمد بن عبد القوى عن وانشريس واحتاز رياستهم فى بنى توجين دونهم وأدام منهم بالحشم وبنى تيغزين وعقد لكبيرهم يحيى بن عطية على رياسة قومه فى جبل وانشريس وعقد ليوسف بن حسن من أولاد عزيز على وأعمالها وعقد لسعد من بنى سلامة على قومه من بنى يدللتن احدى بطون بنى توجين وأهل الناحية الغربية من عملهم وأخذ من سائر بطون بنى توجين الرهن على الطاعة والجباية واستعمل عليهم جميعا من صنائعه قائده يوسف بن حيون الهوّارى وأذن له فى اتخاذ الآلة وعقد لمولاه مسامح على بلاد مغراوة واذن له أيضا فى اتخاذ الآلة وعقد لمحمد بن عمه يوسف على مليانة وأنزله بها وقفل الى تلمسان والله أعلم

(الخبر عن استنزال زيرم بن حماد من ثغر برشك وما كان قبله)

كان هذا الغمر من مشيخة هذا القصر لوفور عشيرته من مكلاته داخله وخارجه واسمه زيرى بالياء فتصرّفت فيه العامة وصار زيرم بالميم ولما غلب يغمراسن على بلاد مغراوة دخل أهل هذا القصر فى طاعته حتى اذا هلك حدّثت هذا الغمر نفسه بالانتزاء والاستبداد على برشك ما بين مغراوة وبنى عبد الواد ومدافعة بعضهم ببعض فاعتزم على ذلك وأمضاه وضبط برشك لنفسه سنة ثلاث وثمانين ونهض اليه عثمان بن يغمراسن سنة أربع بعدها ونازله فامتنع ثم زحف سنة ثلاث وتسعين الى مغراوة فلجأ ثابت بن منديل الى برشك وحاصره عثمان بها أربعين يوما ثم ركب البحر الى المغرب كما قلناه وأخذ زيرى بعدها بطاعة عثمان بن يغمراسن دافعه بها وانتقض عليه مرجعه الى تلمسان وشغل بنو زيان بعدها بما دهمهم من شأن الحصار فاستبد زيرى هذا ببرشك واستفحل شأنه بها واتقى بنى مرين عند غلبهم على بلاد مغراوة وتردّد عساكرهم فيها باخلاص الطاعة والانقياد فلما انقشع ايالة بنى مرين بمهلك يوسف بن يعقوب وخرج بنو يغمراسن من الحصار رجع الى ديدنه من التمريض فى الطاعة ومناولة طرفها على البعد حتى اذا غلب أبو حمو على بلاد مغراوة وتجاوزت طاعته هذا المصر الى ماوراءه

خشيه زيري على نفسه وخطب منه الامان على أن ينزل له عن المصر فبعث اليه رئيس القتيا بدولته أبا زيد عبد الرحمن بن محمد الامام كان أبوه من أهل برشك وكان زيري قد قتله لاول ثورته غيلة وفر ابنه عبد الرحمن هذا وأخوه عيسى ولحقا بتونس فقرأبها ورجعا الى الجزائر فأوطناها ثم انتقلا الى مليانة واستعملهما بنو مرين في خطة القضاء بمليانة ثم وفدا بعد مهلك يوسف بن يعقوب على أبي زيان وأبي حمو مع عمال بني مرين وقوادهم بمليانة وكان فيهم منديل بن محمد الكناني صاحب أشغالهم المذكور في أخبارهم وكانا يقرآن ولده محمدا فاشادا عند أبي زيان وأبي حمو بمكانهما من العلم ووقع ذلك من أبي حمو أبلغ المواقع حتى اذا استقل بالامر ابتنى المدرسة بناحية المطهر من تلمسان لطلبة العلم وابتنى لهما دارين على جانبيها وجعل لهما التدريس فيها في ايوانين معدين لذلك واختصهما بالفتيا والشورى فكانت لهما في دولته قدم عالية فلما خطب زيري هذا الامان من أبي حمو وان يبعث اليه من يأمن معه في الوصول الى بابه بعث اليه أبا زيد عبد الرحمن الاكبر منهما فنهض لذلك بعد أن استأذنه في أن يثأر منه بأبيه ان قدر عليه فأذن له فلما احتل ببرشك أقام بها أياما يغاديه فيها زيري ويراوحه بمكان نزله وهو يعمل الحيلة في اغتياله حتى اذا أمكنته فقتله في بعض تلك الايام سنة ثمان وسبعمائة وصار أمر برشك الى السلطان أبي حمو وانمحى منه أثر المشيخة والاستبداد والامور بيد الله سبحانه

(الخبر عن طاعة الجزائر واستنزال ابن علان منها وذكر أوليته)

كانت مدينة الجزائر هذه من أعمال صنهاجة ومختطها بلكين بن زيري ونزلها بنوه من بعده ثم صارت للموحدين وانتظمها بنو عبد المؤمن في أمصار المغربين وافريقية ولما استبد بنو أبي حفص بأمر الموحدين وبلغت دولتهم بلاد زناتة وكانت تلمسان ثغرا لهم واستعملوا عليها يغمراسن وبنيه من بعده وعلى ضواحي مغراوة بني منديل بن عبد الرحمن وعلى وانشريس وما اليها من عمل توجين محمد بن عبد القوي وبنيه وبقي ما وراء هذه الاعمال الى الحضرة لولاية الموحدين أهل دولته فكان العامل على الجزائر من الموحدين أهل الحضرة وفي سنة أربع وستين انتقضوا على المستنصر ومكثوا في ذلك الانتقاض سبعا ثم أوعز الى أبي هلال صاحب بجاية بالنهوض اليها في سنة احدى وسبعين فحاصرها أشهرا وأفرج عنها ثم عاودها بالحصار سنة أربع وسبعين أبو الحسن ابن ياسين بعساكر الموحدين فاقتحمها عليهم عنوة واستباحها وتقبض على مشيختها فلم يزالوا معتقلين الى أن هلك المستنصر ولما انقسم أمر بني حفص واستقل الامير أبو زكريا بالاوسط بالثغور الغربية وأبوه بعثوا اليه بالبيعة وولى عليهم ابن اكماز يروكانت

ولايتها من قبل فلم يزل هو واليا عليها الى أن أسن وهرم كان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصا به ومنتصبا فى أوامره ونواهيه ومصدرا لامارته وحصل له بذلك الرياسة على أهل الجزائر سائر أيامه فلما هلك ابن أكماز برحت به نفسه بالاستبداد والانتزاء بمدينته فبعث عن أهل الشوكة من نظائره ليلة هلاك أميره وضرب أعناقهم وأصبح مناديا بالاستبداد واتخذ الآلة واستركب واستلحق من الغرباء والثعالبة عرب متيجة واستكثر من الرجل والرماة ونازلته عساكر بجاية مرارا فامتنع عليهم وغلب مليكش على جباية الكثير من بلاد متيجة ونازله أبو يحيى بن يعقوب بعساكر بنى مرين عندا ستيلائهم على البلاد الشرقية وتوغلهم فى القاصية فأخذ بمخنقها وضيق عليها ومر بابن علان القاضى أبو العباس الغمارى رسول الامير خالد الى يوسف بن يعقوب فأودعه الطاعة للسلطان والضراعة اليه فى الابقاء فأبلغ ذلك عنه وشفع له فأوعز الى أبيه يحيى بمسالمته ثم نازله الامير خالد بعد ذلك فامتنع عليه وأقام على ذلك أربع عشرة سنة وعيون الخطوب تحدده والايام تستجمع لحربه فلما غلب السلطان أبو حمو على بلاد توجين واستعمل يوسف بن حيون الهوارى على وانشريس ومولاه مساحا على بلاد مغراوة ورجع الى تلمسان ثم نهض سنة ثنتى عشرة الى بلاد شلب فنزل بها وقدم مولاه مساحا فى العساكر فدوخ متيجة من سائر نواحيها وترس بالجزائر وضيق حصارها حتى مسهم الجهد وسأل ابن علان النزول على أن يشترط لنفسه فتقبل السلطان اشتراطه وملك السلطان أبو حمو الجزائر وانتظمها فى أعماله وارتحل ابن علان فى جملة مساح ولحقوا بالسلطان بمكانه من شلب فانكفأ الى تلمسان وابن علان فى ركابه فأسكنه هنالك ووفى له بشرطه الى أن هلك والبقاء لله سبحانه

(الخبر عن حركة صاحب المغرب الى تلمسان وأولية ذلك)

لما خرج عبد الحق بن عثمان من أعياص الملك على السلطان أبى الربيع بفاس وبايع له الحسن بن على بن أبى الطلاق صاحب بنى مرين بمداخلة الوزير رحو ابن يعقوب كما قدمناه فى أخبارهم وملكوا تازى زحف اليهم السلطان أبو الربيع فبعثوا وفدهم الى السلطان أبى حمو صريخا ثم أعجلهم أبو الربيع وأجهضهم على تازى فلحقوا بالسلطان أبى حمو ودعوه الى المظاهرة على المغرب ليكونوا ردأله دون قومهم وهلك السلطان أبو الربيع خلال ذلك واستقل بملك المغرب أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق فطالب السلطان أبا حمو باسلام أولئك النازعين اليه فأبى من اسلامهم واختار ذمته وأجازهم الى البحر الى العدوة فأغضى له السلطان أبو سعيد عنها وعقد

له السلم ثم استراب يعيش بن يعقوب بن عبد الحق بمكانه عند أخيه السلطان أبي سعيد لما سعي فيه عنده فنزع عنه الى تلمسان وأجاره السلطان أبو حمو على أخيه فأحفظه ذلك ونهض الى تلمسان سنة أربع عشرة وعقد لابنه الامير أبي علي وبعثه في مقدمته وسار هو في الساقة ودخل أعمال تلمسان على هذه التعبية فاكتسح بسائطها ونازل وجدة فقاتلها وضيق عليها ثم تخطاها الى تلمسان فنزل بساحتها وانحجر موسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب على ضواحيها ورعاياها وسار السلطان أبو سعيد في عساكره يتقرى نعارها وبلادها بالحطم والانتساف والعيث فلما أحيط به وثقلت وطأة السلطان عليه وحذر المغبة منه ألطف الحيلة في خطاب الوزراء الذين كان يسرّب أمواله فيهم ويخادعهم من نصائح سلطانهم حتى اقتضى مراجعتهم في جاره يعيش بن يعقوب وادالته من أخيه ثم بعث خطوطهم بذلك الى السلطان أبي سعيد فامتلأ قلبه منها خشية ورهبة واستراب بالخاصة والاولياء ونهض الى المغرب على تعبيته ثم كان خروج ابنه عمر عليه بعد مرجعه وشغلوا عن تلمسان وأهلها برهة من الدهر حتى جاء أمر الله في ذلك عند وقته والله تعالى أعلم

(الخبر عن مبدا احصار بجاية وشرح الداعية اليه)

لما رجع السلطان أبو سعيد الى المغرب وشغل عن تلمسان فرغ أبو حمو لاهل القاصية من عمله وكان راشد بن محمد بن ثابت بن منديل قد جاء من بلاد زواوة أثناء هذه الغمرة فاحتل بوطن شلب واجتمع اليه أوشاب قومه وحين تجلت الغمرة عن السلطان أبي حمو نهض اليه بعد أن استعمل ابنه أبا تاشفين على تلمسان وجمع له الجموع ففر أمامه ناجيا الى مثوى اغترابه ببجاية وأقام بنو سعيد بمعاقلهم من جبال شلب على دعوته فاحتل السلطان أبو حمو بوادي نهل فخيم به وجمع أهل أعماله لحصار بني أبي سعيد شيعة راشد بن محمد واتخذ هنالك قصره المعروف باسمه وسرح العساكر لتدويخ القاصية ولحق به هنالك الحاجب بن أبي   حين مرجعه من الحج سنة احدى عشرة وسبعمائة فأغراه بملك بجاية ورغبه فيه وكان قد ثاب له طمع منذ رسالة السلطان مولانا ابي يحيى اليه وذلك انه لما انتقض على اخيه خالد ودعا لنفسه بقسنطينة ونهض الى بجاية فانهزم عنها كما قدمناه في أخباره وأوفد على السلطان أبي حمو بعض رجال دولته مغريا له بابن خلوف و ببجاية ثم بعث اليه ابن خلوف أيضا يسأله المظاهرة والمدد فأطمعه ذلك في ملك بجاية (ولما هلك) ابن خلوف كما قدمناه لحق به كاتبه عبد الله بن هلال فأغراه واستحثه وشغله عن ذلك شأن الجزائر فلما استولى على الجزائر بعث مولاه مسامحا في عسكر مع ابن أبي حي فبلغوا الى جبل الزاب وهلك ابن أبي حي ورجع مسامح ثم شغله

عن شأنها زحف ونزع من أمر عدوه ونزل بلد ثلب كما ذكرناه آنفا ولحق به عثمان بن سباع بن يحيى بن سباع بن سهل أمير الزواودة يستحثه لملك الثغور الغربية من عمل الموحدين فاهتز لذلك وجمع الجموع وعقد لمسعود بن عمه أبي عامر برهوم على عسكر وأمره بحصار بجاية وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مليانة على عسكر ولمولاه مسامح على عسكر آخر وسرحهم الى بجاية وما وراءها لتدويخ البلاد وعقد لموسى بن علي الكردي على عسكر ضخم وسرحه مع العرب من الزواودة وزغبة على طريق الصحراء فانطلقوا الى وجههم ذلك وفعلوا الافاعيل كل فيما يليه وتوغلوا في البلاد الشرقية حتى انتهوا الى بلاد بونة ثم انقلبوا من هنالك ومروا في طريقهم بقسنطينة ونازلوها أياما وصعدوا جبل ابن ثابت المطل عليها فاستباحوه ثم مروا ببني باورار فاستباحوها وأضرموها وأكتسحوا سائر ما مروا عليه وحدثت بينهم المناكرة حسدا ومنافسة فافترقوا ولحقوا بالسلطان ولحق مسعود بن برهوم محاصر البجاية وبنى حصنا بأصفون لمقامه وكان يسرح الجيوش لقتالها فتجول في ساحتها ثم تراجع الى الحصن ولم يزل كذلك حتى بلغه خبر خروج محمد بن يوسف فأجفل عنها على ما نذكره الآن فلم يرجعوا لحصارها الا بعد مدة والله تعالى أعلم

(الخبر عن خروج محمد بن يوسف ببلاد بني توجين وحروب السلطان معه)

لما رجع محمد بن يوسف من قاصية الشرق كما قدمناه وسابقه الى السلطان موسى بن علي الكردي وجوانحه تلتهب غيظا وحقدا عليه وسعى به عند السلطان فعزله عن مليانة فوجم لها وسأله زيارة ابنه الامير أبي تاشفين بتلمسان وهو ابن أخته فأذن له وأوعز الى ابنه بالقبض عليه فأبى من ذلك وأراد هو الرجوع الى معسكر السلطان فخلى سبيله ولما وصل اليه تنكر له وحجبه فاستراب وملأ قلبه الرعب وفر من المعسكر ولحق بالمرية ونزل على يوسف بن حسن بن عزيز عاملها للسلطان أبي حمو به من نزاعته فأخذ له البيعة على قومه ومن اليهم من العرب وزحفوا الى السلطان بعسكره من مهل فلقيهم في عساكره فكانت الدبرة على السلطان ولحق بتلمسان وغلب محمد بن يوسف على بني توجين ومغراوة ونزل مليانة وخرج السلطان من تلمسان لأيام من دخولها وقد جمع الجموع وازاح العلل وأوعز الى مسعود بن برهوم بمكانه من حصار بجاية بالوصول اليه بالعساكر ليأخذ بحجزتهم من ورائهم وخرج محمد بن يوسف على مليانة لاعتراضه واستعمل على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز فلقيه ببلاد ملكش وانهزم محمد بن يوسف ولجأ الى جبل مرصالة وحاصره مسعود بن برهوم أياما ثم أفرج عنه ولحق بالسلطان فنازلوا جميعا مليانة وافتتحها السلطان عنوة وجيء بيوسف

ابن حسن أسيرا من مكمنه ببعض المسارب فعفا عنه وأطلقه ثم زحف الى المرية فملكها وأخذ الرهن من أهل تلك النواحي وقفل الى تلمسان واستطال محمد بن يوسف على النواحي ففشت دعوته فى تلك القاصية وخاطب مولانا السلطان أبا يحيى بالطاعة فبعث اليه بالهدية والآلة وسوّغه سهام يغمراسن بن زيان بافريقية ووعده بالمظاهرة وغلب سائر بلاد بنى توجين وبايع له بنو تيغرين أهل جبل وانشريس فاستولى عليه ثم نهض السلطان الى الشرق سنة سبع عشرة وملك المرية واستعمل عليها يوسف ابن حسن لمدافعة محمد بن يوسف واستبلغ فى أخذ الرهن منه ومن أهل العمالات وقبائل زناتة والعرب حتى من قومه بنى عبد الواد ورجع الى تلمسان وأنزلهم بالقصبة وهى الغور الفسيح الخطة تماثل بعض الامصار العظيمة اتخذها للرهن وكان فى ذلك حتى يأخذ الرهن المتعددة من البطن الواحد والفخذ الواحد والرهط وتجاوز ذلك الى أهل الامصار والثغور والمشيخة والسوقة فملأ تلك القصبة من أبنائهم واخوانهم وشحنها بالامم بعد الامم وأذن لهم فى ابتناء المنازل واتخاذ النساء واختط لهم المساجد فجمعوا بها الصلاة الجمعة ونفقت بها الاسواق والصنائع وكان حال هذه البنية من أغرب ما حكى فى العصور عن سجن ولم يزل محمد بن يوسف بمكان خروجه من بلاد توجين الى أن هلك السلطان والبقاء لله

(الخبر عن مقتل السلطان أبى حمو وولاية ابنه أبى تاشفين من بعده)

كان السلطان أبو حمو قد اصطفى ابن عمه برهوم وتبناه من بين عشيرته وأولى قرباه لمكان صرامته ودهائه واختصاص أبيه برهوم المكنى أبا عامر بعثمان بن يغمراسن شقيقه من بين اخوته فكان يؤثره على بنيه ويفاوضه فى شؤونه ويصله الى خلواته وكان دفع الى ابنه عبد الرحمن أبا تاشفين اترابا له من العلوجين يقومون فى بخدمته فى مرباه ومنتشئه كان منهم هلال المعروف بالقطانى ومسامح المسمى بالصغير وفرج بن عبد الله وظافر ومهدى وعلى بن تاكدرت وفرج الملقب شقورة وكان ألصقهم وأعلقهم بنفسه تلاده منهم يسمى هلالا وكان أبو حمو أبوه كثيرا ما يقرعه ويوبخه ارهاقا فى اكتساب الخلال وربما يقرع فى تقريعه لما كان عفا الله عنه فحاشا فيحفظه لذلك وكان مع ذلك شديد السطوة متجاوزا بالعقاب وحدوده فى الزجر والادب فكان أولئك العلوجين تحت رهب وكانوا يوعزون لذلك مولاهم أبا تاشفين بأبيه ويبعثون غيرته لما يذكرون له من اصطفاء ابن أبى عامر دونه وقارن ذلك أن مسعود بن أبى عامر أبلى فى لقاء محمد بن يوسف الخارج على أبى حمو البلاء الحسن عندما رجع من حصار بجاية فاستحمد له السلطان ذلك وعير ابنه عبد الرحمن بمكان ابن عمه هذا من النجابة والصرامة يستجد

له بذلك خلالا ويغريه بالكمال وكان عمه أبو عامر ابراهيم بن يغمراسن ثرى بما نال من جوائز الملوك فى وفاداته وما أقطع له أبوه وأخوه سائر أيامهما ولما هلك سنة ست وتسعين أوصى أخاه عثمان بولده فضمهم اليه ووضع تراثهم ووضع ماله حتى يأنس منهم الرشد فى أحوالهم حتى اذا كانت غزاة ابنه أبى سرحان هذه وعلا فيها ذكره وبعد صيته رأى السلطان أبو حمو أن يدفع اليه تراث أبيه لاستجماع خلاله فاحتمل اليه من المودع ونمى الخبر الى ولده أبى تاشفين وباطنته السوء من العلوجين فحسبوه مال الدولة قد حمل اليه لبعد عهدهم بما وقع فى تراث أبى عامر أبيه واتهموا السلطان بايثاره بولاية العهد دون ابنه فأغروا أبا تاشفين بالتوثب على الامر وحملوه على الفتك بمشنويه مسعود بن أبى عامر واعتقال السلطان أبى حمو ليتم له الاستبداد وتحينوا لذلك قائلة الهاجرة عند ما انصرف السلطان من مجلسه وقد اجتمع اليه ببعض حجر القصر خاصته من البطانة وفيهم مسعود بن أبى عامر والوزراء من بنى الملاح وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخصهم السلطان بحجابته سائر أيامه وكان مسمى الحجابة عنده قهرمة الدار والنظر فى الدخل والخرج وهم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدراهم وربما دفعوا الى النظر فى ذلك ثقة بأمانتهم نزل أولهم بتلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الاولى وزادوا اليها الفلاحة وتحلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه وكان لهم فى دولة أبى حمو مزيد حظوة وعناية فولى على حجابته منهم لاول دولته محمد بن ميمون ابن الملاح ثم ابنه محمد الاشقر من بعده ثم ابنه ابراهيم بن محمد من بعدهما واشترك معه من قرابته على بن عبد الله بن الملاح فكانا يتوليان مهمه بداره ويحضران خلوته مع خاصته فحضروا يومئذ مع السلطان بعد انفضاض مجلسه كما قلناه ومعه من القرابة مسعود القتيل وحاموش بن عبد الملك بن حنيفة ومن الموالى معروف الكبير ابن أبى الفتوح بن عنتر من ولد نصر بن على أمير بنى يزيد بن توجين وكان السلطان قد استوزره (فلما علم) أبو تاشفين باجتماعهم هجم ببطانته عليهم وغلبوا الحاجب على بابه حتى ولجوه متسايلين بعد أن استمسكوا من اغلاقه حتى اذا توسطوا الدار اعتوروا السلطان بأسيافهم فقتلوه وحام أبو تاشفين عنها فلم يفرجوا عليه ولاذ أبو سرحان منهم ببعض زوايا الدار واستمكن من غلقها دونهم فكسروا الباب وقتلوه واستلحموا من كان هنالك من البطانة فلم يفلت الا الاقل وهلك الوزراء بنو الملاح واستبيحت منازلهم وطاف الهاتف بسكك المدينة بأن أبا سرحان غدر بالسلطان وان ابنه أبا تاشفين ثأر منه فلم يخف على الناس الشأن وكان موسى بن على الكردى قائد العساكر قد سمع الصيحة فركب الى القصر فوجد دونه غلقا دونه

فظن الظنون فخشي استيلاء مسعود على الامر فبعث الى العباس بن يغمراسن كبير القرابة فأحضره عند باب القصر حتى اذا مر بهم الهاتف واستيقن مهلك أبي سرحان رد العباس على عقبه الى منزله ودخل الى السلطان أبي تاشفين وقد أدركه الدهش من الواقعة فثبته ونشطه لخفه وأجلسه بمجلس أبيه وتولى له عقد البيعة على قومه خاصة وعلى الناس عامة وذلك آخر جمادى الاولى من تلك السنة وجهز السلطان الى مدفنه بمقبرة سلفه من القصر القديم وأصبح مثلا في الآخرين والبقاء لله وأشخص السلطان لاول ولايته سائر القرابة الذين كانوا بتلمسان من ولد يغمراسن وأجازهم الى العدوة حذرا من مغبة ترشيحهم وما يتوقع من الفتن على الدولة من قبلهم وقلد حجابته مولاه هلالا فاضطلع بأعبائها واستبد بالعقد والحل والابرام والنقض صدرا من دولته الى أن نكبه حسبما نذكره وعقد ليحيى بن موسى السنوسي من صنائع دولتهم على شلب وسائر أعمال مغراوة وعقد لمحمد بن سلامة بن علي على عمله من بلاد بني يدللتن من توجين وعزل أخاه سعدا فلحق بالمغرب وعقد لموسى بن علي الكردي على قاصية المشرق وجعل اليه حصار بجاية وأغرى دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين فاستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك وأتى عليه فاحتفلت القصور والمصانع في الحسن ما شاءت واتسعت أخباره على ما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن نهوض السلطان أبي تاشفين لمحمد بن يوسف بجبل وانشريس واستيلاؤه عليه }

كان محمد بن يوسف بعد مرجع السلطان أبي حمو كما ذكرناه قد تغلب على جبل وانشريس ونواحيه واجتمع اليه الفل من مغراوة فاستفحل أمره واشتدت في تلك النواحي شوكته وأهم أبا تاشفين أمره فاعتزم على النهوض اليه وجمع لذلك وأزاح العلل وأناخ على وانشريس وقد اجتمع به بنو توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف وكان بتغرين من بني توجين بطانة ابن عبد القوي يرجعون في رياستهم الى عمر بن عثمان حسبما نذكره وكان قد استخلص سواه من بني توجين دونه فأسفه بذلك وداخل السلطان أبا تاشفين وواعده أن يتحيز عنه فاقتحم السلطان عليهم الجبل وانحجزوا جميعا الى حصن توكال فخالفهم عمر بن عثمان في قومه الى السلطان بعد أن حاصرهم ثمانيا فانخرم الجمع واختل الامر وانفض الناس فاقتحم الحصن وتقبض على محمد بن يوسف وجيء به الى السلطان أسيرا وهو في مركبه فعدد عليه ثم وخزه برمحه وتناوله الموالي برماحهم فأقعصوه وحمل رأسه على القناة الى تلمسان فنصب بشرافات البلد وعقد لعمر بن عثمان على جبل وانشريس وأعمال بني عبد القوي ولسعيد العربي من مواليه على عمل المرية

وزحف الى الشرق فأغار على أحياء رياح وهم بوادى الجنان حيث الثنية المفضية من بلاد حمزة الى القبلة وصبح أحياءهم فاكتسح أموالهم ومضى فى وجهه الى بجاية فعرس بساحتها ثلاثا وبها يومئذ الحاجب يعقوب بن عمر فامتنعت عليه فظهر له وجه المعذرة لأوليائهم فى استحصانها وقفل الى تلمسان الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى .

الخبر عن حصار بجاية والفتنة الطويلة مع الموحدين التى كان فيها حتفه وذهاب سلطانه وانقراض الامر عن قومه برهة من الدهر

لما رجع السلطان ابو تاشفين من حصار بجاية سنة تسع وعشرين اعتمل فى ترديد البعوث الى قاصية الشرق والالحاح بالغزو الى بلاد الموحدين فأغزاها جيوشه سنة عشرين فدوخوا ضواحى بجاية وقفلوا ثم غزاهم ثانية سنة احدى وعشرين وعليهم موسى بن على الكردى فانتهى الى قسنطينة وحاصرها فامتنعت عليه فأفرج عنها وابتنى حصن بكر لاول مضيق الوادى وادى بجاية وأنزل به العساكر لنظر يحيى بن موسى قائد شلب وقفل الى تلمسان ثم نهض موسى بن على ثالثة سنة ثنتين وعشرين فدوخ نواحى بجاية ونازلها أياما وامتنعت عليه فأفرج عنها ووفد سنة ثلاث وعشرين على السلطان حمزة بن عمر بن أبى الليل كبير البدو بافريقية صريخا على صاحب افريقية مولانا السلطان أبى يحيى فبعث معهم العساكر من زناتة وعامتهم من بنى توجين وبنى راشد وأمر عليهم القواد وجعلهم لنظر قائده موسى بن على الكردى. ففصلوا الى افريقية وخرج السلطان للقائهم فانهزموا بنواحى مرماجنة وتخطفتهم الايدى فاستلحموا وقتل مسامح مولاه ورجع موسى بن على فاتهمه السلطان بالادهان وكان من نكبته ما نذكره فى أخباره وسرح العساكر سنة أربع وعشرين فدوخت نواحى بجاية ولقيهم ابن سيد الناس فهزموهم وشردوا الى البلد ووفد على السلطان سنة خمس وعشرين مشيخة سليم حمزة بن عمر بن أبى الليل وطالب بن مهلهل العجلان المتزاحمان فى رياسة الكعوب ومحمد بن مسكين من بنى القوس كبراء حكيم فاستحثوه للحركة واستصرخوه على افريقية وبعث معهم العساكر لنظر قائده موسى بن على ونصب لهم ابراهيم بن أبى بكر الشهيد من أعياص الحفصيين وخرج مولانا السلطان أبو يحيى من تونس للقائهم وخشيهم على قسنطينة فسابقهم اليها فأقام موسى بن على بعساكره على قسنطينة وتقدم ابراهيم بن أبى بكر الشهيد فى أحياء سليم الى تونس فملكها كما ذكرناه فى أخبارهم وامتنعت قسنطينة على موسى بن على فأقلع عنها لخمس عشرة ليلة من حصارها وعاد الى تلمسان ثم أغزاه السلطان سنة ست وعشرين

في الجيوش وعهد اليه بتدويخ الضاحية ومحاصرة الثغور فنازل قسنطينة وأفسد نواحيها ثم رجع الى بجاية فحاصرها ثم عزم على الاقلاع ورأى أن حصن بكر غير صالح لتجهيز الكتائب اليها لبعده وارتاد للبناء عليها ما هو أقرب منه فاختط بمكان سوق الخميس بوادي بجاية مدينة لتجهيز الكتائب لها على بجاية وجمع الايدي على بنائها من الفعلة والعساكر فتمت لأربعين يوما وسموها تامزيزدكت باسم الحصن القديم الذي كان لبني عبد الواد قبل الملك بالجبل قبلة وجدة وأنزل بها عساكر تناهز ثلاثة آلاف وأوعز السلطان الى جميع عماله ببلاد المغرب الاوسط بنقل الحبوب اليها حيث كانت والادم وسائر المرافق حتى الملح وأخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا جبايتهم فثقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت أسعارها (وبعث) مولانا السلطان أبو يحيى جيوشه وقواده سنة سبع وعشرين فسلكوا الى بجاية على جبل بني عبد الجبار وخرج بهم قائدها أبو عبد الله بن سيد الناس الى ذلك الحصن وقد كان موسى بن علي عند بلوغ خبرهم اليه استنفر الجنود من ورائه وبعث الى القواد قبله بالبدار فالتقى الجمعان بضاحية تامزيزدكت فانكشف ابن سيد الناس ومات ظافر الكبير مقدم الموالي من العلوجين بباب السلطان واستبيح معسكرهم ولما سخط السلطان قائده موسى بن علي ونكبه كما نذكره في أخباره أغزى يحيى بن موسى السنوسي في العساكر الى افريقية ومعه القواد فعاثوا في نواحي قسنطينة وانتهوا الى بلد بونة ورجعوا وفي سنة تسع وعشرين بعدها وفد حمزة بن عمر على السلطان أبي تاشفين صريخا ووفد معه أو بعده عبد الحق بن عثمان فحل الشول من بني مرين وكان قد نزل على مولانا السلطان أبي يحيى منذ سنين فسخط بعض أحواله ولحق بتلمسان فبعث السلطان معهم جميع قواده بجيوشه لنظر يحيى بن موسى ونصب عليهم محمد بن أبي بكر بن عمران من أعياص الحفصيين ولقيهم مولانا السلطان أبو يحيى بالدياس من نواحي بلاد هوارة وانخزل عنه أحياء العرب من أولاد مهلهل الذين كانوا معه وانكشفت جموعه واستولى على ظعائنه بما فيها من الحرم وعلى ولديه احمد وعمر فبعثوا بهم الى تلمسان ولحق مولانا المنصور أبو يحيى بقسنطينة وقد أصابه بعض الجراحة في حومة الحرب وسار يحيى بن موسى وابن أبي عمران الى تونس واستولوا عليها ورجع يحيى بن موسى عنهم بجموع زناتة لأربعين يوما من دخولها فقفل الى تلمسان وبلغ الخبر الى مولانا السلطان أبي يحيى بقفول زناتة عنهم فنهض الى تونس وأجهض عنها ابن أبي عمران بعد ان كان أوفد من بجاية ابنه أبا زكريا يحيى ومعه محمد بن تافراكين من مشيخة الموحدين صريخا على ابي تاشفين فكان ذلك داعية الى انتقاض ملكه كما نذكره

بعد وداخل السلطان أبا تاشفين بعض أهل بجاية ودلوه على عورتها واستقدموه فنهض اليها وحذر بذلك الحاجب ابن سيد الناس فسابقه اليها ودخل يوم نزوله عليها وقتل من اتهم بالمداخلة فانحسم الداء وأقلع السلطان أبو تاشفين عنها وولى عيسى بن مزروع من مشيخة بنى عبد الواد على الجيش الذى بتامزيزدكت وأوعز اليه ببناء حصن أقرب الى بجاية من تامزيزدكت فبناه بالياقوتة من أعلى وادى قبالة بجاية فأخذ بمخنقها واشتد الحصار الى أن أخذ السلطان أبو الحسن بحجزتهم فأجفلوا جميعا الى تلمسان ونفس مخنق الحصار عن بجاية ونهض مولانا السلطان أبو يحيى بجموعه من تونس الى تامزيزدكت سنة ثنتين وثلاثين فخربها فى ساعة من نهار كأن لم تغن بالامس حسبما ذكرنا ذلك فى أخباره والله تعالى أعلم

الخبر عن معاودة الفتنة بين بنى مرين وحصارهم تلمسان ومقتل السلطان أبى تاشفين ومصاير ذلك

كان السلطان أبو تاشفين قد عقد السلم لاول دولته مع السلطان أبى سعيد ملك المغرب فلما انتقض عليه ابنه أبو على سنة ثنتين وعشرين بعد المهادنة الطويلة من لدن استبداده بسجلماسة بعث ابنه القعقاع الى ابى تاشفين فى الاخذ بحجزة أبيه عنه ونهض هو الى مراكش فدخلها وزحف اليه السلطان أبو سعيد فبعث أبو تاشفين قائده موسى ابن على فى العساكر الى نواحى تازى فاستباح عمل كارث واكتسح زروعه وقفل واعتدها عليه السلطان أبو سعيد وبعث أبو تاشفين وزيره داود بن على بن مكن رسولا الى السلطان ابى على بسجلماسة فرجع عنه مغاضبا وجنح أبو تاشفين بعدها الى التمسك بسلم السلطان أبى سعيد فعقدا لهم ذلك وأقاموا عليها مدة فلما نفر ابن مولانا السلطان أبى يحيى على السلطان أبى سعيد ملك المغرب وانعقد الصهر بينهم كما ذكرناه فى أخبارهم وهلك السلطان أبو سعيد نهض السلطان أبو الحسن الى تلمسان بعد أن قدم رسله الى السلطان أبى تاشفين فى أن يقلع بجيوشه عن حصار بجاية ويتجافى للموحدين عن عمل تنس فأبى وأساء الرد وأسمع الرسل بمجلسه هجر القول وأفزع لهم الموالى فى الشتم لمرسلهم بمسمع من أبى تاشفين فأحفظ ذلك السلطان أبو الحسن ونهض فى جيوشه سنة ثنتين وثلاثين الى تلمسان فتخطاها الى تاسالت وضرب بها معسكره وأطال المقام وبعث المدد الى بجاية مع الحسن البطوى من صنائعه وركبوا فى أساطيله من سواحل وهران ووافاهم مولانا السلطان أبو يحيى ببجاية وقد جمع لحرب بنى عبد الواد وهدم تامزيزدكت وجاء لموعد السلطان أبى الحسن معه أن يجتمعا بعساكرهما لحصار تلمسان فنهض من بجاية الى تامزيزدكت وقد أجفل منها عساكر بنى عبد الواد

وتركوها قفرا ولحقت بها عساكر الموحدين فعاثوا فيها بالتخريب ونهبا وألصقت جدرانها بالأرض وتنفس مخنق بجاية من الحصار وانكمش بنو عبد الواد الى ما وراء تخومهم وفي خلال ذلك انتقض أبو علي ابن السلطان أبي سعيد على أخيه وصعد من مقره بسجلماسة الى درعة وفتك بالعامل وأقام فيها دعوته كما نذكر ذلك بعد وطار الخبر الى السلطان أبي الحسن بمحلته بتاسالت فنهض راجعا الى المغرب لحسم دائه وراجع السلطان أبو تاشفين عزه وانبسطت عساكره في ضواحي عمله وكتب الكتائب وبعث بها مددا للسلطان أبي علي ثم استنفر قبائل زناتة وزحف الى تخوم المغرب سنة ثلاث وثلاثين ليأخذ بحجزة السلطان أبي الحسن عن أخيه وانتهى الى الثغر من تاوريرت ولقيه هنالك تاشفين ابن السلطان أبي الحسن في كتيبة جهزها أبوه معه هنالك لسد الثغور ومعه منديل بن حمامة شيخ بني تيربيعين من بني مرين في قومه فلما برزوا اليه انكشف ورجع الى تلمسان ولما تغلب السلطان أبو الحسن على أخيه وقتله سنة أربع وثلاثين جمع لغزو تلمسان وحصارها ونهض اليها سنة خمس وقد استنفد وسعه في الاحتفال لذلك واضطربت بها عساكره وضرب عليها سياج الاسوار وسرادقات الحفائر أطبقت عليهم حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا اليهم وسرح كتائبه الى القاصية من كل جهة فتغلب على الضواحي وافتتح الامصار جميعا وخرب وجدة كما يأتي ذكر ذلك كله وألح عليها بالقتال يغاديها ويراوحها ونصب المجانيق وانحجز بها مع السلطان أبي تاشفين زعماء زناتة من بني توجين وبني عبد الواد وكان عليهم في بعض أيامها اليوم المشهور الذي استلحمت فيه أبطالهم وهلك أمراؤهم وذلك أن السلطان أبا الحسن كان يباكرهم في الاسحار فيطوف من وراء أسواره التي ضربها عليهم شوطا يرتب المقاتلة ويثقف الاطراف ويسد الفروج ويصلح الخلل وأبو تاشفين يبعث العيون في ارتصاد فرصة فيه وأطاف في بعض الايام منتبذا عن الجملة فكمنوا له حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد انقضوا عليه يحسبونها فرصة قد وجدوها وضايقوه حتى كاد السرعان من الناس أن يصلوا اليه وأحس أهل المعسكر بذلك فركبوا زرافات ووحدانا وركب ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك جناحا عسكره وعقابا جحافله وتهاوت اليهم صقور بني مرين من كل جو فانكشفت عساكر البلد ورجعوا القهقرى ثم ولوا الادبار منهزمين لا يلوي احد منهم على أحد واعترضهم مهوى الخندق فتطارحوا فيه وتهافتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ بالردم أكثر من الهالك بالقتل وهلك من بني توجين يومئذ كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد بن سلامة بن علي أمير بني يدللتن وصاحب قلعة تاوغزوت وما اليها من عملهم وهما ماهما في زناتة الى أشباه لهما وأمثال استلحموا في هذه

الوقعة فحط هذا اليوم جناح الدولة وحطم منها واستمرت منازلة السلطان أبى الحسن اياها الى آخر رمضان من سنة سبع وثلاثين فاقتحمها يوم السابع والعشرين منه غلابا ولجأ السلطان أبو تاشفين الى باب قصره فى لمة من أصحابه ومعه ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على وعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من أعياص بنى مرين وهو الذى لحق بهم من تونس كما ذكرناه وسيأتى ذكره وخبره ومعه يومئذ ابنا أخيه أبو زيان وأبو ثابت فمانعوا دون القصر مستميتين الى أن استلحموا ورفعت رؤسهم على عصى الرماح فطيف بها وغصت سكك البلد من خارجها وداخلها بالعساكر وكضت أبوابها بالزحام حتى لقد كب الناس على أذقانهم وتواقعوا فوطئوا بالحوافر وترا كمت أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المذهب ما بين السقف ومسلك الباب وانطلقت الايدى على المنازل نهبا واكتساحا وخلص السلطان الى المسجد الجامع واستدعى رؤساء الفتيا والشورى أبا زيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى ابنى الامام قدمهما من أعماله لمكان معتقده فى أهل العلم فحضروه ورفعوا اليه أمر الناس وما نالهم من معرة العسكر ووعظوه فأناب ونادى مناديه برفع الايدى عن ذلك فسكن الاضطراب وأقصر العيث وانتظم السلطان أبو الحسن أمصار المغرب الاوسط وعمله الى سائر أعماله وتاخم الموحدين بثغوره وطمس رسم الملك لآل زيان ومعالمه واستتبع زناتة عصبا تحت لوائه من بنى عبد الواد وتوجين ومغراوة وأقطعهم ببلاد المغرب سهاما أدالهم بها من تراثهم من أعمال تلمسان فانقرض ملك آل يغمراسن برهة من الدهر الى أن أعاده منهم أعياص سموا اليه بعد حين عند نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان كما نذكره فأومض بارقه وهبت ريحه والله يؤتى ملكه من يشاء

{ الخبر عن رجال دولته وهم موسى بن على ويحيى بن موسى ومولاه هلال وأوليتهم }
{ ومصاير أمورهم واختصاصهم بالذكر لما صار من شهرتهم وارتفاع صيتهم }

فأما موسى بن على الحاجب الهالك فأصله من قبيلة الكرد من أعاجم المشرق وقد أشرنا الى الخلاف فى نسبهم بين الامم وذكر المسعودى منهم أصنافا سماهم فى كتابه من الشاهجان والبرسان والكيكان الى آخرين منهم وان مواطنهم ببلاد أذربيجان والشام والموصل وأن منهم نصارى على رأى اليعقوبية وخوارج على رأى البراءة من عثمان وعلى انتهى كلامه (وكان) منهم طوائف بجبل شهرزور من عراق العجم وعادتهم يتقلبون فى الرحلة وينتجعون لسائمتهم مواقع الغيث ويتخذون الخيام لسكناهم من اللبود وجل مكاسبهم الشاء والبقر من الانعام وكانت لهم عزة وامتناع بالكثرة وريانات ببغداد أيام تغلب الاعاجم على الدولة واستبدادهم بالرياسة ولما طمس ملك

بنى العباس وغلب التتر على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة وقتل ملكهم هلاون آخر خلفاء العباسيين وهو المستعصم ثم ساروا فى ممالك العراق وأعماله فاستولوا عليها وعبر الكثير من الكرد نهر الفرات فرارا أمام التتر لما كانوا يدينون بدين المجوسية وصاروا فى ايالة الترك فاستنكف أشرافهم وبيوتاتهم من المقام تحت سلطانهم وجاز منهم الى المغرب عشيرتان تعرفان ببنى لوين وبنى بابير فى من اليهم من الاتباع ودخلوا المغرب لآخر دولة الموحدين ونزلوا على المرتضى بمراكش فأحسن تلقيهم وأكرم مثواهم وأسنى لهم الجراية والاقطاع وأحلهم بالمحل الرفيع من الدولة (ولما انتقض) أمر الموحدين بحدثان وصولهم صاروا الى ملكة بنى مرين ولحق بعضهم بيغمراسن بن زيان ونزع المستنصر الى افريقية يومئذ بيت من بنى بابير لا أعرفهم كان منهم محمد بن عبد العزيز المعروف بالمزوار صاحب مولانا السلطان أبى يحيى وآخرون غيرهم منهم وكان من اشهر من بقى فى ايالة بنى مرين منهم ثم من بنى بابير على بن حسن بن صاف وأخوه سلمان ومن بنى لوين لخضر بن محمد وكانت تكون الفتنة بينهم كما كانت فى مواطنهم الاولى فاذا تعدوا للحرب توافت اليهم أشياعهم من تلمسان وكان نضالهم بالسهام وكانت القسى سلاحهم وكان من أشهر الوقائع بينهم وقيعة بفاس سنة أربع وسبعين وستمائة جمع لها لخضر رئيس بنى لوين وسلمان وعلى رئيسا بنى بابير واقتتلوا خارج باب الفتوح وتركهم يعقوب بن عبد الحق لشأنهم من الفتنة حياء منهم فلم يعرض لهم وكان مهلك سلمان منهم بعد ذلك مرابطا بثغر طريف عام تسعين وستمائة وكان لعلى بن حسن ابنه موسى اصطفاه السلطان يوسف بن يعقوب وكشف له الحجاب عن داره وربى بين حرمه فتمكنت له دالة بحظ بسببها بعض الاحوال مما لم يرضه فذهب مغاضبا ودخل الى تلمسان أيام كان يوسف بن يعقوب محاصرا لها فتلقاه عثمان بن يغمراسن من التكرمة والترحيب بما يناسب محله من قومه ومنزلته من اصطناع السلطان وأشار يوسف بن يعقوب على ابنه باستمالته فلقيه فى حومة القتال وحادثه واعتذر له بكرامة القوم اياه فحضه على الوفاء لهم ورجع الى السلطان فخبره الخبر فلم ينكر عليه وأقام هو بتلمسان وهلك أبوه على بالمغرب سنة سبع وسبعمائة ولما هلك عثمان بن يغمراسن بن زيان زاده بنوه اصطناعا ومداخلة وخلطوه بأنفسهم وعقدوا له على العساكر لمحاربة أعدائهم وولوه الاعمال الجليلة والرتب الرفيعة من الوزارة والحجابة ولما هلك السلطان أبو حمو وقام بأمره ابنه أبو تاشفين وكان هو الذى تولى له أخذ البيعة على الناس وغص بمكانه مولاه هلال فلما استبد عليه وكان كثيرا ما ينافس موسى بن على ويناقشه فخشيه على نفسه وأجمع على اجازة البحر للمرابطة بالاندلس فبادره هلال وتقبض عليه وغربه

الى العدوة ونزل بغرناطة وانتظم في الغزاة المجاهدين وأمسك عن جراية السلطان فلم يمد اليها يدا أيام مقامه وكانت من أنزه ما جاء به وتحدث به الناس فأعربوا وانتقدت لها جوانح هلال حسدا وعداوة فأغرى سلطانه فخاطب ابن الاحمر في استقدامه فأسلمه اليه واستعمله السلطان في حروبه على قاصيته حتى كان من نهوضه بالعساكر الى افريقية للقاء مولانا السلطان أبي يحيى سنة سبع وعشرين وكانت الدبرة عليه واستلحمت زناتة ورجع في الفل فأغرى هلال السلطان وألقى في نفسه التهمة به ونمى ذلك اليه فلحق بالعرب الزواودة وعقد مكانه على محاصرة بجاية ليحيى بن موسى صاحب شلب ونزل هو على سليمان ويحيى بن علي بن سباع بن يحيى من أمراء الزواودة في أحيائهم فلقوه مبرة وتعظيما وأقام بين أحيائهم مدة ثم استقدمه السلطان ورجع الى محله من مجلسه ثم تقبض عليه لأشهر وأشخصه الى الجزائر فاعتقله بها وضيق محبسه ذهابا مع أغراض منافسه هلال حتى اذا سخط هلالا استدعاه من محبسه أضيق ما كان فانطلق اليه فلما تقبض على هلال قلد موسى بن علي حجابته فلم يزل مقيما لرسمها الى يوم اقتحم السلطان أبو الحسن تلمسان فهلك مع أبي تاشفين وبنيه في ساحة قصرهم كما قلناه وانقضى أمره والبقاء لله وانتظم بنوه بعد مهلكه في جملة السلطان أبي الحسن وكان كبيرهم سعيد قد خلص من بين القتلى في تلك الملحمة بباب القصر بعد هدء من الليل مثخنا بالجراح وكانت حياته بعدها تعد من الغرائب ودخل في عفو السلطان الى أن عادت دولة بني عبد الواد فكان له في سوقها انفاق حسبما نذكره والله غالب على أمره

(وأما يحيى بن موسى) فأصله من بني سنوس احدى بطون كومية ولهم ولاء في بني كمين بالاصطناع والتربية ولما انفصل بنو كمين الى المغرب قعدوا عنهم واتصلوا ببني يغمراسن واصطنعوهم ونشأ يحيى بن موسى في خدمة عثمان وبنيه واصطناعهم (ولما كان) الحصار ولاه أبو حمو مهمه من التطواف بالليل على الحرس بمقاعدهم من الاسوار وقسم القوت على المقاتلة بالمقدار وضبط الابواب والتقدم في حومة الميدان وكان له أعوان على ذلك من خدامه قد لزموا الكون معه في البكر والآصال والليل والنهار وكان يحيى هذا منهم فعرفوا له خدمته وذهبوا الى اصطناعه وكان من أول ترشيحه ترديد أبي يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فيما يدور بينهم من المضاربة فكان يجلي في ذلك ويوفي من غرض مرسله ولما خرجوا من الحصار أربوا به على رتب الاصطناع والتنويه (ولما ملك أبو تاشفين) استعمله بشلب مستبدا بها وأذن له في اتخاذ الآلة ثم لما عزل موسى بن علي عن حرب الموحدين وقاصية الشرق عزله به وكانت المرية وتنس من عمله فلما نازل السلطان أبو الحسن تلمسان راسله بالطاعة والكون معه فتقبله وجاء به من

مكان عمله فقدم عليه بجميعه على تلمسان فاختصه باقباله ورفع مجلسه من بساطه ولم يزل عنده بتلك الحال الى أن هلك بعد افتتاح تلمسان والله مصرف الاقدار (وأمّا هلال) فأصله من سبي النصارى القطلونين أهداه السلطان ابن الاحمر الى عثمان وصار الى السلطان أبي حمو فأعطاه الى ولده أبي تاشفين فيما أعطاه من الموالى العلوجين ونشأ عنده وربي وكان مختصا عنده بالراحلة والدالة وتولى كبر تلك الفعلة التي فعلوا بالسلطان أبي حمو ولما ولي بعده ابنه أبو تاشفين ولاه على حجابته وكان مهيبا فظا غليظا فقعد مقعد الفصل ببابه وأرهف للناس سطوه وزحزح المرشحين عن رتب المماثلة الى التعلق باهدابه فاستولى على الامر واستبد على السلطان ثم حذر مغبة الملك وسوء العواقب فاستأذن السلطان في الحج وركب اليه من هنين بعض السفن اشتراها بماله وشحنها بالعديد والعدة والاقوات والمقاتلة وأقام كاتبه الحاج محمد بن حوانة بباب السلطان على رسم النيابة عنه وأقلع سنة أربع وعشرين فنزل بالاسكندرية وصحب الحاج من مصر في جملة الامير عليهم ولقي في طريقه سلطان السودان من آل منسى موسى واستحكمت بينهما المودة ثم رجع بعد قضاء فرضه الى تلمسان فلم يجد مكانه من السلطان ولم يزل من بعد ذلك يتنكر له وهو يسابسه بالمداراة والاستجداء الى أن سخطه فتقبض عليه سنة تسع وعشرين وأودعه سجنه فلم يزل معتقلا الى أن هلك من وجع أصابه قبيل فتح تلمسان ومهلك السلطان بأيام فكانت آية عجبا في تقارب مهلكهما واقتراب سعادتهما ونحوستهما وقد كان السلطان أبو الحسن يتبع الموالى الذين شهدوا مقتل السلطان أبي حمو وأفلت هلال هذا من عقابه بموته والله بالغ حكمه

(الخبر عن انتزاء عثمان بن جرار على ملك تلمسان بعد نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وعود الملك بذلك لبني زيان)

كان بنو جرار هؤلاء من فصائل يندوكس بن طاع الله وهم بنو جرار بن يعلى بن يندوكس وكان بنو محمد بن زكراز يغضون اليهم من أول الامر حتى صار الملك اليهم واستبدوا به فجروا على جميع الفصائل من عشائرهم ذيل الاحتقار ونشأ عثمان بن يحيى ابن محمد بن جرار هذا من بينهم مرموقا بعين التجلة والرياسة وسعى عند السلطان أبي تاشفين بان في نفسه تطاولا للرياسة فاعتقله مدة وفر من محبسه فلحق بملك المغرب السلطان سعيد فأنزله محله وأكرم منزله واستقر بمثواه فنسك وزهد واستأذن السلطان عند تغلبه على تلمسان في الحج بالناس فأذن له وكان قائد الركب من المغرب الى مكة سائر أيامه حتى استولى السلطان أبو الحسن على اعمال الموحدين وحشد أهل المغرب من زناتة والعرب لدخول افريقية اندرج عثمان هذا في جملته واستأذنه قبيل القيروان في الرجوع الى

المغرب فأذن له ولحق بتلمسان فنزل على أميرها من ولد الامير أبى عنان كان قد عقد له
على عملها ورشحه لولاية العهد بولايتها فازدلف اليه   من الخبر عن أبيه
وتلطف فيما أودع سمعه من تورط أبيه فى مهالك افريقية واياسه من خلاصه ووعده
بمصير الامر اليه على ألسنة الخبراء والكهان وكان يظن فيه أن لديه من ذلك علما وعلى
تفئة ذلك كانت نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان وظهر مصداق ظنه واصابة
قياسه فأغراه بالتوثب على ملك أبيه والبدار الى فاس لغلاب منصور بن أخيه أبى مالك
عليها كان استعمله جده أبو الحسن هنالك وأراه آية سلطانه وشواهد ملكه وتحيل عليه
فى اشاعة مهلك السلطان أبى الحسن والقائه على الالسنة حتى أوهم صدقه وتصدى
الامير أبو عنان للامر وتسايل اليه الفل من عساكر بنى مرين فاستلحق وبث العطاء
واعلن بالدعاء لنفسه فى ربيع سنة تسع وأربعين وعسكر خارج تلمسان للنهوض الى
المغرب كما نذكره فى أخبارهم ولما فصل دعا عثمان لنفسه وانتزى على كرسيه واتخذ
الآلة وأعاد من ملك بنى عبد الواد رسما لم يكن لآل جرار واستبد أشهرا قلائل الى أن
خلص اليمن آل زيان من ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن من طمس معالمه
وخسف به وبداره وأعاد امر بنى عبد الواد فى نصابه حسبما نذكره والله أعلم

(الخبر عن دولة أبى سعيد وأبى ثابت من آل يغمراسن وما فيها من الاحداث)

كان الامير أبو يحيى جدهما من أكبر ولد يغمراسن بن زيان وكان ولى عهده بعد مهلك
أخيه عمر الاكبر ولما تغلب يغمراسن على سجلماسة سنة احدى وستين وستمائة
استعمله عليها فاقام بها حولا وولد له هنالك ابنه عبد الرحمن ثم رجع الى تلمسان فهلك
بها ونشأ عبد الرحمن بسجلماسة ولحق بتلمسان بعد أمه فأقام مع بنى أبيه الى
أن غص السلطان بمكانه وغربه الى الاندلس فمكث بها حينا وهلك فى مرابطته
بثغر قرمونة فى بعض أيام الجهاد وكان له بنون أربعة يوسف وعثمان والزعيم وابراهيم
فرجعوا الى تلمسان وأوطنوها أعواما حتى اذا استولى السلطان أبو الحسن على
ملكهم وأضاف الى دولته دولتهم نقلهم من تلمسان الى المغرب فى جملة أعياصهم ثم
سألوا اذنه فى المرابطة بثغور الاندلس التى فى عمله فأذن لهم وفرض لهم العطاء وأنزلهم
بالجزيرة فكانت لهم بالجهاد مواقف مذكورة ومواطن معروفة ولما استنفر السلطان
أبو الحسن زناتة للغزو وافريقية سنة ثمان وأربعين كانوا فى جملته مع قومهم بنى عبد
الواد فى رايتهم ومكانهم معلوم بينهم فلما اضطرب أمر السلطان أبى الحسن وتألب
عليه الكعوب من بنى سليم أعراب افريقية وواضعوه الحرب بالقيروان كان بنو عبد
الواد أول النازعين عنه اليهم فكانت النكبة والتحيز بالقيروان وانطلقت ايدى

الاعراب على الضواحي وانتقض المغرب من سائر أعماله أذنوا لبنى عبد الواد فى اللحاق
بقطرهم ومكان عملهم فروا بتونس وأقاموا بها أياما وخلص الملأ منهم نجيا فى شأن
أمرهم ومن يقدمون عليهم فأصفقوا بعد الشورى على عثمان بن عبد الرحمن
واجتمعوا اليه لمهدهم يومئذ وقد خرجوا به الى الصحراء وأجلسوه بباب مصلى العيد
من تونس على درقة ثم ازدحموا عليه بحيث توارى شخصه عن الناس يسلمون عليه
بالامارة ويعطونه الصفقة على الطاعة والبيعة حتى استكملوا جميعا ثم انطلقوا به الى
رحالهم واجتمع مغراوة أيضا الى أميرهم على بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل الذى
ذكرناه من قبل وتعاهدوا على الصحابة الى أعمالهم والمهادنة آخر الايام واستئثار كل
بسلطانه وتراث سلفه وارتحلوا على تفيئة ذلك الى المغرب وشنت البوادى عليهم
الغارات فى كل وجه فلم يظفروا منهم بقلامة ظفر مثل ونيفن وونوغة وأهل جبل بنى ثابت
ولما مروا ببجاية وكان بها فل من مغراوة وتوجين نزلوا بها منذ غلبوا على أعمالهم
وصاروا فى جند السلطان فارتحلوا معهم واعترضهم بجبل الزاب برابرة زواوة
فأوقعوا بهم وظهر من نجدتهم وبلائهم فى الحروب ما هو معروف لأوليهم ثم لحقوا
بشلب فتلقتهم قبائل مغراوة وبايعوا لسلطانهم على بن راشد فاستوسق ملكه وانصرف
بنو عبد الواد والاميران أبو سعيد وأبو ثابت بعد ان أحكموا العقد وأبرموا الوثاق مع
على بن راشد وقومه وكان فى طريقهم بالبطحاء أحياء سويد ومن معهم من احلافهم
قد نزلوا هنالك مع شيخهم ونزمار بن عريف منهزمهم من تاسالت أمام جيوش السلطان
أبى عنان فأجفلوا من هنالك ونزل بنو عبد الواد مكانهم وكان فى جملتهم جماعة من بنى
جرار بن يندوكس كبيرهم عمران بن موسى ففر ابن عثمان بن يحيى بن جرار الى تلمسان
فعقد له على حرب أبى سعيد وأصحابه فنزل الجند الذين خرجوا معه الى السلطان أبى
سعيد وانقلب هو الى تلمسان والقوم فى أثره فأدرك بطريقه وقتل ومر السلطان الى البلد
فثارت العامة بعثمان بن جرار فاستأمن لنفسه من السلطان فأمنه ودخل الى قصر الملك
آخر جمادى الاخيرة من سنة تسع وأربعين فاقتعد أريكته وأصدر أوامره واستوزر
واستكتب وعقد لأخيه أبى ثابت الزعيم على ما وراء بابه من متون ملكهما وعلى
القبيل والحروب واقتصر هو على ألقاب الملك واسمائه ولزم الدعة وتقبض لأول
دخوله على عثمان بن يحيى بن جرار فأودعه المطبق الى أن مات فى رمضان من سنته ويقال
قتيلا وكان من أول غزوات السلطان أبى ثابت غزاته الى كومية وذلك أن كبيرهم
ابراهيم بن عبد الملك كان شيخا عليهم منذ حين من الدهر وكان ينتسب فى بنى عابد وهم
قوم عبد المؤمن بن على من بطون كومية فلما وقع الهرج بتلمسان حسب أنه لا ينجلى

عماله وحدثته نفسه بالانتزاء فدعا لنفسه وأضرم بلاد كومية وما اليها من السواحل نارا وفتنة فجمع له السلطان أبو ثابت ونهض الى كومية فاستباحهم قتلا وسبيا واقتحم هنين ثم ندرومة بعدها وتقبض على ابراهيم بن عبد الملك الخارج فجاء به معتقلا الى تلمسان وأودعه السجن فلم يزل به الى أن قتل بعد أشهر وكانت أمصار المغرب الاوسط وثغوره لم تزل على طاعة السلطان أبى الحسن والقيام بدعوته وبها حاميته وعماله وأقربها الى تلمسان مدينة وهران كان بها القائد عبد بن سعيد بن جانا من صنائع بنى مرين قد ضبطها ولقبها وملأها أقواتا ورجالا وسلاحا وملأ مرساها أساطيل فكان أول ما قدموه من أعمالهم النهوض اليه فنهض السلطان أبو ثابت بعد ان جمع قبائل زناتة والعرب ونزل على وهران وحاصرها أياما وكان فى قلوب بنى راشد احلافهم مرض فداخلوا قائد البلد فى الانقضاض على السلطان أبى ثابت ووعدوه الوفاء بذلك عند المناجزة فبرز وناجزهم الحرب فانهزم بنو راشد وجروا الهزيمة على من معهم وقتل محمد ابن يوسف بن عنان بن فارس أخى يغمراسن بن زيان من أكابر القرابة وانتهب المعسكر ونجا السلطان أبو ثابت الى تلمسان الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن لقاء أبى ثابت مع الناصر ابن السلطان أبى الحسن وفتح وهران بعدها)

كان السلطان أبو الحسن بعد وقعة القيروان قد لحق بتونس فأقام بها والعرب محاصرون له ينصبون الاعياص من الموحدين لطلب تونس واحدا بعد آخر كما ذكرناه فى أخبارهم وبينما هو مؤمل الكرة ووصول المدد من المغرب الاقصى اذ بلغه الخبر بانتثار السلك أجمع وبانتقاض ابنه وحافده ثم استيلاء بنى عثمان على المغرب كله ورجوع بنى عبد الواد ومغراوة وتوجين الى ملكهم بالمغرب الاوسط للدعوة التى كانت قائمة له بأمصاره فى الجزائر ووهران وجبل وانشريس وكان به نمر بن عمر بن عثمان بن عطية قائما بدعوته وأن يكون عريف بن يحيى فى جملة الناصر لمكانه من السلطان ومكان قومه من الولاية وكان ذلك من عريف تفاديا من المقام بتونس فأجاب اليه السلطان وبعثهم جميعا ولحق الناصر ببلاد حصين فأعطوه الطاعة وارتحلوا معه ولقيه العطاف والديالم وسويد فاجتمعوا اليه وتألبوا معه وارتحلوا يريدون منداس وبينما الامير أبو ثابت يريد معاودة الغزو الى وهران اذ فجأه الخبر بذلك فطير به الى السلطان أبى عنان وجاءه العسكر من بنى مرين مددا صحبة أبى زيان ابن أخيه أبى سعيد كان مستقرا بالمغرب منذ نزوحهم الى القيروان وبعث عنه أبوه فجاء مع المدد من العساكر والمال ونهض أبو ثابت من تلمسان أول المحرم سنة خمسين وبعث الى مغراوة بالخبر فقعدوا عن مناصرته ولحق ببلاد العطاف فلقيه الناصر هنالك فى جموعه بوادى ورك آخر شهر

ربيع الاول فانكشفت جموع العرب وانهزموا ولحق الناصر بالزاب فنزل على أبي مزني ببسكرة الى أن أصحبه من رجالات سليم من أوصله الى أبيه بتونس ولحق عريف ابن يحيي بالمغرب الاقصى واحتل عند السلطان أبي عنان بمكانه من مجالسهم فحصل على البغية ورجع العرب كلهم الى طاعة أبي ثابت وخدمته واستراب بصغير بن عامر بن ابراهيم فتقبض عليه وأشخصه معتقلا مع البريد الى تلمسان فاعتقل بها الى أن أطلق بعد حين وقفل أبو ثابت الى تلمسان فتلوم بها أياما ثم نهض الى وهران في جمادى من سنته فحاصرها أياما ثم افتتحها عنوة وعفا عن علي بن جانا القائم بعد مهلك أخيه عبو وعمن معه وأطلق سبيلهم واستولى على ضواحي وهران وما اليها ورجع الى تلمسان وقد استحكمت العداوة بينه وبين مغراوة وكان قد استحجرها ما قدمناه من قعودهم عن نصره فنهض اليهم في شوال من سنته والتقوا عدوة وادي زهير فاقتتلوا مليا ثم انكشفت مغراوة ولحقوا بمعاقلهم واستولى أبو ثابت على معسكرهم وملك مازونة وبعث ببيعتها الى أخيه السلطان أبي سعيد وكان على اثر ذلك وصول السلطان أبي الحسن من تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن وصول السلطان أبي الحسن من تونس ونزوله بالجزائر وما دار بينه وبين أبي ثابت من الحروب ولحوقه بعد الهزيمة بالمغرب)

كان السلطان أبو الحسن بعد واقعة القيروان طال مقامه بتونس وحصار العرب اياه واستدعاه أهل المغرب الاقصى وانتقض عليه أهل الجريد وبايعوا الفضل بن مولانا السلطان أبي يحيى فأجمع الرحلة الى المغرب وركب السفن من تونس أيام الفطر من سنة خمسين فعصفت به الريح وأدركه الغرق فغرق أسطوله على ساحل بجاية ونجا بذمائه على بعض الجزائر هنالك حتى لحقه أسطول من أساطيله فنجا فيه الى الجزائر وبها حمو ابن يحياتن العسري قائده وصنيعة أبيه فنزل عليه وبادر اليه أهل ضاحيتها من ملكيش والثعالبة فاستخدمهم وبث فيهم العطاء واتصل خبره بونزمار بن عريف وهو في أحياء سويد فوفد عليه في مشيخة من قومه ووفد معه نصر بن عمر بن عثمان صاحب جبل وانشريس من بني تيغرين وعدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي الثائر بنواحي المرية من ولد عبد القوي فأعطوه الطاعة واستحثوه للخروج معهم فردهم للحشد فجمعوا من اليهم من قبائل العرب وزناتة وبينما الامير أبو ثابت ببلاد مغراوة محاصرا لهم في معاقلهم اذ بلغه الخبر بذلك في ربيع سنة احدى وخمسين فعقد السلم معهم ورجع الى قتال هؤلاء فأخذ على منداس وخرج الى السرسو قبلة وانشريس وأجفل أمامه ونزمار وجموع العرب الذين معه ولحق به هنالك مدد السلطان أبي

عنان قائدهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى فاتبع آثار العرب وشرّدهم ولحقت حياء حصين بمعاقلهم من جبل تيطرى ثم عطف على المرية ففتحها وعقد عليها العمر بن موسى الجلولى من صنائعهم ثم نهض الى حصين فاقتحم عليهم الجبل فلاذوا بالطاعة وأعطوا أبناءهم رهنا عليها فتجاوزهم الى وطاء حمزة فدوّخها واستخدم قبائلها من العرب والبربر والسلطان أثناء ذلك مقيم بالجزائر ثم قفل أبو ثابت الى تلمسان وقد كان استراب بيحيى بن رحو وعسكره من بنى مرين وأنهم داخلوا السلطان أبا الحسن وبعث فيه الى السلطان أبى عنان فأداله بعيسى بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد ابن يعقوب فبعثه قائدا على الحصة المرينية فتقبض على يحيى بن رحو ولحقوا مع أبى ثابت بتلمسان ثم أجاز الى المغرب وأوعز السلطان أبو الحسن الى ابنه الناصر مع أوليائه من زناتة والعرب فاستولى على المرية وقتل عثمان بن موسى الجلولى ثم تقدم الى مليانة فملكها والى تيروغت كذلك وجاء على اثره السلطان أبو الحسن كذلك أبوه وقد اجتمعت اليه الجموع من زغبة ومن زناتة ومن عرب افريقية سليم ورياح مثل محمد بن طالب بن مهلهل ورجال من عشيرته وعمر بن على بن أحمد الذوادى وأخيه أبى دينار ورجالات من قومهما وزحف على هذه التعبية وابنه الناصر أمامه فأجفل على بن راشد وقومه مغراوة عن بلادهم الى البطحاء وطير الخبر الى أبى ثابت فوافاه فى قومه وحشوده وزحفوا جميعا الى السلطان أبى الحسن وقومه فالتقى الجمعان بتيمغزين من شلب وصابروا مليا ثم انكشف السلطان أبو الحسن وقومه وطعن ولده الناصر ببعض فرسان مغراوة وهلك آخر يومه وقتل محمد بن على بن العربى قائد أساطيله وابن البواق والقبائلى كاتباه واستبيح معسكره ومافيه من متاع وحرم وخلص بناته الى وانشريس وبعثهن أبو ثابت الى السلطان أبى عنان بعد استيلائه على الجبل وخلص السلطان أبو الحسن الى أحياء سويد الى الصحراء فصحابه نزمار بن عريف الى سجلماسة كما يأتى فى أخباره ودوّخ أبو ثابت بلاد بنى توجين وقفل الى تلمسان والله تعالى أعلم

(الخبر عن حروبهم مع مغراوة واستيلاء أبى ثابت على بلادهم ثم على الجزائر ومقتل على بن راشد بتنس على اثر ذلك)

كان بين هذين الحيين من عبد الواد ومغراوة فتن قديمة سائر أيامهم قد ذكرنا الكثير منها فى أخبارهم وكان بنو عبد الواد قد غلبوهم على أوطانهم حتى قتل راشد بن محمد فى جلائه أمامهم بين زواوة ولما اجتمعوا بعد نكبة القيروان على أميرهم على بن راشد وجاؤه من افريقية الى أوطانهم مع بنى عبد الواد ولم يطيعوهم حينئذ أن يغلبوهم رجعوا حينئذ الى توثيق العهد وتأكيد العقد فأبرموه وقاموا على الموادعة

والتظاهر على عدوهم وعروق الفتنة تنبسط من كل منهم ولما جاء الناصر من افريقية وزحف اليه أبو ثابت قعد عنه علي بن راشد وقومه فاعتدها عليهم وأسرها في نفسه ثم اجتمع بعد ذلك للقاء السلطان أبي الحسن حتى انهزم ومضى الى المغرب فلما رأى أبو ثابت أنه قد كفي عدوه الاكبر وفرغ الى عدوه الاصغر نظر في الانتقاض عليهم فبينما هو يروم أسباب ذلك اذ بلغه الخبر أن بعض رجالات بني كمين من مغراوة جاء الى تلمسان فاغتالوه فحمي له أنفه وأجمع لحربهم وخرج من تلمسان فاتحة اثنتين وخمسين وبعث في أحياء زغبة من بني عامر وسويد فجاؤه بفارسهم وراجلهم وظعائنهم وزحف الى مغراوة فخافوا من لقائه وتحصنوا بالجبل المطل على تنس فحاصرهم فيه أياما اتصلت فيها الحروب وتعددت الوقائع ثم ارتحل عنهم فجال في نواحي البلد ودوخ أقطارها وأطاعته مليانة والمرية وبرشك وشرشال ثم تقدم بجموعه الى الجزائر فاحاط بها وبها فل بني مرين وعبد الله بن السلطان أبي الحسن تركه هنالك صغيرا في كفالة علي بن سعيد ابن جانا فغلبهم على البلد وأشخصهم في البحر الى المغرب وأطاعته الثعالبة ومليكش وقبائل حصين وعقد على الجزائر لسعيد بن موسى بن علي الكردي ورجع الى مغراوة فحاصرهم بمعقلهم الاول بعد أن انصرفت العرب الى مشاتيها فاشتد الحصار على مغراوة وأصاب مواشيهم العطش فانحطت دفعة واحدة من الجبل تطلب المورد فأصابهم الدهش ونجا يومئذ علي بن راشد الى تنس فأحاط به أبو ثابت أياما ثم اقتحمها عليه غلابا منتصف شعبان من سنته فاستعجل المنية وتحامل على نفسه فذبح نفسه وافترقت مغراوة من بعده وصارت أوزاعا في القبائل وقفل أبو ثابت الى تلمسان الى أن كان من حركة السلطان أبي عنان ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن استيلاء السلطان ابي عنان على تلمسان وانقراض أمر بني عبد الواد ثانية

لما لحق السلطان أبو الحسن بالمغرب وكان من شأنه مع ابنه أبي عنان الى أن هلك بجبل هنتاتة على ما نذكره في أخبارهم فاستوسق ملك المغرب للسلطان أبي عنان وفرغ لعدوه وسما الاسترجاع الممالك التي ابتزها أبوه وانتزعها من توثب عليه وكان قد بعث اليه علي ابن راشد من مكان امتناعه من جبل تنس يسأل منه الشفاعة فرد أبو ثابت شفاعته وأحفظه ذلك وبلغه مقتل علي بن راشد فاجمع غزو تلمسان ونذر بذلك أبو سعيد وأخوه فخرج أبو ثابت وحشد القبائل من زناتة والعرب منتصف ذي القعدة ونزل بوادي شلب واجتمع الناس اليه وواصلته هنالك بيعة تدلس في ربيع من سنة ثلاث غلب عليها الموحدون جانا الخراساني من صنائعه وبلغه من مكانه ذلك زحف السلطان أبي

عثمان فرجع الى تلمسان ثم خرج الى المغرب وجاء على اثره أخوه السلطان أبو سعيد
في العساكر من زناتة ومعه بنو عامر من زغبة والفل من سويد اذ كان جمهورهم قد
لحقوا بالمغرب لمكان عريف بن يحيى وابنه من ولاية بني مرين فزحفوا على هذه
التعبية وزحف السلطان أبو عنان في أمم المغرب

والعرب المعقل والمصامدة وسائر طبقات الجنود والحشد وانتهوا جميعا الى
انكاد من بسيط وجدة فكان اللقاء هنالك آخر ربيع الثاني من سنة ثلاث وخمسين
واجتمع بنو عبد الواد على صدمة العساكر وقت القائلة وبعد ضرب الابنية
وسقاء الركاب وانتراق أهل المعسكر في حاجاتهم فاعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب
السلطان أبو الحسن لتلافي الامر فاجتمع اليه اوشاب من الناس وانفض سائر المعسكر
ثم زحف اليهم فيمن حضره وصدقوهم القتال فاختل مصافهم ومنحوا اكتافهم
وخاضوا بحر الظلماء واتبع بنو مرين آثارهم وتقبض على أبي سعيد للمتندم قيدا
أسيرا الى السلطان أبي عثمان   بمشهد الملاو بخه ثم نقل الى محبسه
وقتل لتاسعة من ليالي اعتقاله وارتحل السلطان أبو عنان الى تلمسان ونجا الزعيم
أبو ثابت بمن معه من فل بني عبد الواد ومن خلص اليه منهم ذاهبا الى بجاية ليعد في ايالة
الموحدين وليجة من عدوه فبيته زواوة في طريقه وألدعن أصحابه وأرجل عن فرسه
وذهب راجلا عاريا ومعه رفقاء من قومه منهم أبو زيان محمد ابن أخيه السلطان أبو سعيد
وأبو حمو موسى ابن أخيهم يوسف ابن أخيه ووزيرهم يحيى بن داود بن فكن وكان
السلطان أبو عنان أوعز الى صاحب بجاية يومئذ المولى أبي عبد الله حافد مولانا
السلطان أبي بكر بأن يأخذ عليهم الطرق ويذكي في طلبهم العيون فعثر عليهم بساحة
البلد وتقبض على الامير أبي ثابت الزعيم وابن أخيه محمد بن أبي سعيد ووزيرهم يحيى
ابن داود وأدخلوا الى بجاية ثم خرج صاحبها الامير أبو عبد الله الى لقاء السلطان أبي
عنان واقتادهم في قبضة أسره فلقيه بمعسكره من ظاهر المرية فأكرم وفادته وشكر
صنيعه وانكفأ راجعا الى تلمسان فدخلها في يوم مشهود وحمل يومئذ أبو ثابت ووزيره
يحيى على جملين يتهاديان بهما بين سماطي ذلك المحمل فكان شأنهما عجبا ثم سيقا ثاني
يومهما الى مصرعهما بصحراء البلد فقتلا قعصا بالرماح وانقرض ملك آل زيان
وذهب ما أعاده لهم بنو عبد الرحمن هؤلاء من الدولة بتلمسان الى أن كانت لهم الكرة
الثالثة على يد أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن المتولي لها لهذا العهد على
ما سنذكره ونستوفي من أخباره ان شاء الله تعالى

الخبر عن دولة السلطان أبي حمو الاخير مديل الدولة بتلمسان في الكرة الثالثة لقومه وشرح ما كان فيها من الاحداث لهذا العهد

كان يوسف بن عبد الرحمن هذا في ايالة أخيه السلطان أبي سعيد بتلمسان هو وأخوه أبو حمو موسى وكان متكاسلا عن طلب الظهور متجافيا عن التهالك في طلب العز جانحا الى السكون ومذاهب أهل الخير حتى اذا عصفت بدولتهم رياح بني مرين وتغلب السلطان أبو عنان عليهم وابتزهم ما كان بيدهم من الملك وخلص ابنه أبو حمو موسى مع عمه أبي ثابت الى الشرق وقذفت النوى بيوسف مع أشراف قومه الى المغرب فاستقر به ولما تقبض على أبي ثابت على وطن بجاية أغفل أمر أبي حمو من بينهم ونبت عنه العيون فنجا الى تونس ونزل بها على الحاجب أبي محمد تافراكين فأكرم نزله وأحله بمكان أعياص الملك من مجلس سلطانه ووفر جرايته ونظم معه آخرين من فل قومه وأوعز السلطان أبو عنان اليه بازعاجهم عن قرارهم في دولته فحمى لها انفه وأبى عن الهضيمة لسلطانه فأغرى ذلك أبا عنان بمطالبته وكانت حركته الى بلاد افريقية ومنابذة العرب من رياح وسليم لعهده ونقضهم لطاعته كما نستوفي أخباره ولما كانت سنة تسع وخمسين قبل مهلكه اجتمع أمر الزواودة من رياح الى الحاجب أبي محمد بن تافراكين ورغبوه في الحاق أبي حمو موسى بن يوسف بالعرب من زغبة وانهم ركابه لذلك ليجلب على نواحي تلمسان ويجعل السلطان أبي عنان شغلا عنهم وسألوه أن يجهز عليه بعض آلة السلطان ووافق ذلك رغبة صغير بن عامر أمير زغبة في هذا الشأن وكان يومئذ في أحياء يعقوب بن علي وجواره فأصلح الموحدون شأنه بما قدروا عليه ودفعوه الى مصاحبة صغير وقومه من بني عامر وارتحل معهم من الزواودة عثمان بن سباع ومن احلافهم بنو سعيد دعار بن عيسى بن رحاب وقومه ونهضوا بجموعهم يريدون تلمسان وأخذوا على القفر ولقيهم أثناء طريقهم الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان فقويت عزائمهم على ارتجاع ملكهم ورجع عنهم صولة بن يعقوب وأغذ السير الى تلمسان وبها الكتائب المجمهرة من بني مرين واتصل خبر ابي حمو بالوزير الحسن بن عمر القائم بالدولة من بعد مهلك السلطان أبي عنان والمتغلب على ولده السعيد من بعده فجهز المدد الى تلمسان من الحامية والاموال ونهض أولياء الدولة من أولاد عريف بن يحيى أمراء البدو من المغرب في قومهم من سويد ومن اليهم من العرب لموافقة السلطان أبي حمو وأشياعه فانفض جمعهم وغلبوا على تلك المواطن واحتل السلطان أبو حمو وجموعه بساحة تلمسان وأناخوا ركابهم عليها ونازلوها ثلاثا ثم اقتحموها في صبيحة الرابع وخرج ابن السلطان أبي عنان الذي كان أميرا عليها في لمة من قومه فنزل على

صغير بن عامر أمير القوم فأحسن تجلته وأصحبه من عشيرته الى حضرة أخيه ودخل السلطان أبو حمو تلمسان لثمان خلون من الربيع الاول سنة ستين واحتل منها بقصر ملكه واقتعد أريكته وبويع بيعة الخلافة ورجع الى النظر في تمهيد قواعد ملكه واخراج بني مرين من أمصار مملكته والله أعلم

(الخبر عن اجفال أبي حمو عن تلمسان أمام عساكر المغرب ثم عوده اليها)

كان القائم بامر المغرب من بعد السلطان ابي عنان وزيره الحسن بن عمر كافل ابنه السعيد الذي أخذ له البيعة على الناس فاستبد عليه وملك أمره وجرى على سياسة السلطان الهالك واقتفى أثره في الممالك الدانية والقاصية في الحماية والنظر لهم وعليهم ولما اتصل به خبر تلمسان وتغلب أبي حمو عليها قام في ركائبه وشاور الملأ في النهوض اليه فأشاروا عليه بالقعود وتسريح الجنود والعساكر فسرح لها ابن عمه مسعود بن رحو بن علي بن عيسى بن ماساى بن فودود وحكمه في اختيار الرجال واستجادة السلاح وبذل الاموال واتخاذ الآلة فزحف الى تلمسان واتصل الخبر بالسلطان أبي حمو وأشياعه من بني عامر فأفرج عنها ولحق بالصحراء ودخل الوزير مسعود بن رحو تلمسان وخالفه السلطان أبي حمو الى المغرب فنزل ببسيط انكاد وسرح اليهم الوزير مسعود بن رحو ابن عمه عامر بن عبد بن ماساى في عسكر من كتائبه ووجوه قومه فأوقع بهم العرب وأبو حمو ومن معهم واستباحوهم وطار الخبر الى تلمسان واختلفت أهواء من كان بها من بني مرين وبدا ما كان في قلوبهم من المرض لتغلب الحسن بن عمر على سلطانهم ودولتهم فتحيزوا زرافات لمبايعة بعض الاعياص من آل عبد الحق وفطن الوزير مسعود بن رحو لما دبروه وكان في قلبه مرض من ذلك فاغتنمها وبايع لمنصور ابن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق كبير الاعياص المنفرد بالتجلة وارتحل به وبقومه من بني مرين الى المغرب وتجافى عن تلمسان وشأنها واعترضه عرب المعقل في طريقهم الى المغرب فأوقع بهم بنو مرين وعموا اصطليهم ورجع السلطان أبو حمو الى تلمسان واستقر بحضرته ودار ملكه ولحق به عبد الله بن مسلم فاستوزره وأسام اليه فاشتد به أزره وغلب على دولته كما نذكره الى أن هلك والبقاء لله وحده

{ الخبر عن مقدم عبد الله بن مسلم من مكان عمله بدرعة ونزوله من ايالة بني مرين الى أبي حمو وتقليده اياه الوزارة وذكر أوليته ومصاير أموره }

كان عبد الله بن مسلم من وجوه بني زردال من بني بادين اخوة بني عبد الواد وتوجين ومصاب الآن بني زردال اندرجوا في بني عبد الواد لقلتهم واختلطوا بنسبهم ونشأ عبد الله

ابن مسلم فى كفالة موسى بن على لعهد السلطان أبى تاشفين مشهورا بالبسالة والاقدام طار له بها ذكر وحسن بلاؤه فى حصار تلمسان ولما تغلب السلطان أبو الحسن على بنى عبد الواد وابتزهم ملكهم استخدمهم وكان ينتقى أولى الشجاعة والاقدام منهم فرمى بهم ثغور المغرب ولما اعترض بنو عبد الواد ومر به عبد الله هذا ذكر له شأنه ونعت بأسه فبعثه الى درعة واستوصى عامله به فكان له عنه غناء فى مواقفه مع خوارج العرب وبلاء حسن جذب ذلك بضبعه ورقى عند السلطان منزلته وعرفه على قومه ولما كانت نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان ومرج أمر المغرب ووثب أبو عنان على الامر وبويع بتلمسان واستجمع حافده منصور بن أبى مالك عبد الواحد لمدافعته وحشد حامية الثغور القاصية وانفضت جموعه بتازى وخلص الى البلد الجديد ونازله وكان عبد الله بن مسلم فى جملته ولما نازله السلطان أبو عنان واتصلت الحرب بينهم أياما كان له فيها ذكر ولما رأى انه أحيط بهم سابق الناس الى السلطان أبى عنان فرأى سابقته وقلده عمل درعة فاضطلع بها مدة خلافته وتأكدت له أيام ولايته مع عرب المعقل وصلة وعهد ضرب بهما فى مواخاتهم بسهم وكان السلطان أبو عنان عند خروج أخيه أبى الفضل عليه لحقه بجبل ابن حميدى من معاقل درعة أوعز اليه بأن يعمل الحيلة فى القبض عليه فداخل ابن حميدى ووعده وبذل له فأجاب وأسلمه وقاده عبد الله بن مسلم أسيرا الى أخيه السلطان أبى عنان فقتله ولما استولى السلطان أبو سالم رفيق أبى الفضل فى مثوى اغترابهما بالاندلس على بلاد المغرب من بعد مهلك السلطان أبى عنان وما كان اثره من الخطوب وذلك آخر سنة ستين خشيه ابن مسلم على نفسه ففارق ولايته ومكان عمله وداخل أولاد حسين أمراء المعقل فى النجاة به الى تلمسان فأجابوه ولحق بالسلطان أبى حمو فى ثروة من المال وعصبة من العشيرة وأولياء من العرب فسر بمقدمه وقلده خطة وزارته وشد به أواخى سلطانه وفوض اليه تدبير ملكه فاستقام أمره وجمع القلوب على طاعته وجاء بالمعقل من مواطنهم الغربية فاقبلوا عليه وعكفوا على خدمته وأقطعهم مواطن تلمسان وآخى بينهم وبين زغبة فعلا كعبه واستفحل أمره واستقامت رياسته الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

{ الخبر عن استيلاء السلطان أبى سالم على تلمسان ورجوعه الى المغرب }
{ وبعد أن ولى عليها أبو زيان حافد السلطان أبى تاشفين وما آل أمره }

لما استوسق للسلطان أبى سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج على الدولة سما الى امتداد ظله الى أقصى تخوم زناتة كما كان لابيه وأخيه وحركه الى ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الى تلمسان بجبالة عمله وأجمع أمره على النهوض الى تلمسان وعسكر

بظاهر فاس منتصف احدى وستين وبعث فى الحشود فتوافت ببابه واكتملت ثم ارتحل اليها وبلغ الخبر الى السلطان أبى حمو ووزيره عبد الله بن مسلم فنادوا فى العرب من زغبة والمعقل كافة فأجابوهم الا شرذمة قليلة من الاحلاف ونخرجوا بهم الى الصحراء ونازل حللهم بعسكره ولما دخل السلطان أبو سالم وبنو مرين تلمسان خالفوهم الى المغرب فنازلوا وطاط وبلاد ملوية وكرسف وحطموا زروعها وانتسفوا أقواتها وخربوا عمرانها وبلغ السلطان أبا سالم ما كان من صنيعهم فأهمه أمر المغرب واجلاب المفسدين عليه وكان فى جملته من آل يغمراسن محمد بن عثمان ابن السلطان أبى تاشفين ويكنى بأبى زيان ويعرف بالقبى ومعناه العظيم الرأس فدفعه للامر وأعطاه الآلة وكتب له كتيبة من توجين ومغراوة كانوا فى جملته ودفع اليه أعطياتهم وأنزله بقصر أبيه بتلمسان وانكفأ راجعا الى حضرته فأجفلت العرب والسلطان أبو حمو أمامه وخالفوه الى تلمسان فأجفل عنها أبو زيان وتحيز الى بنى مرين بأمصار الشرق من البطحاء ومليانة ووهران وأوليائهم من بنى توجين وسويد من قبائل زغبة ودخل السلطان أبو حمو ووزيره عبد الله بن مسلم الى تلمسان وكان مقير بن عامر هلك فى مذهبهم ذلك ثم خرجوا فيمن اليهم من كافة عرب المعقل وزغبة فى اتباع أبى زيان ونازلوه بجبل ونشريس فيمن معه الى أن غلبوا عليه وانفض جمعه ولحق بمكانه من ايالة بنى مرين بفاس ورجع السلطان أبو حمو الى معاقل وطنه يستنقذها من ملكة بنى مرين فافتتح كثيرها وغلب على مليانة والبطحاء ثم نهض الى وهران ونازلها أياما واقتحمها غلابا واستلحم بها من بنى مرين عددا ثم غلب على المرية والجزائر وأزعج عنها بنى مرين فلحقوا بأوطانهم وبعث رسله الى السلطان أبى سالم فعقد معه المهادنة ووضعوا أوزار الحرب ثم كان مهلك السلطان أبى سالم سنة ثنتين وستين وقام بالامر من بعده عمر بن عبد الله بن على من أبناء وزرائهم مبايعا لولد السلطان أبى الحسن واحدا بعد آخر كما نذكره عند ذكر أخبارهم ان شاء الله تعالى

(الخبر عن قدوم أبى زيان ابن السلطان أبى سعيد من المغرب لطلب ملكه وما كان من أحواله)

كان أبو زيان هذا وهو محمد ابن السلطان أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن لما تقبض عليه مع عمه أبى ثابت ووزيرهم يحيى بن داود بجاية من أعمال الموحدين وسيقوا الى السلطان ابى عنان فقتل أبا ثابت ووزيره واستبقى محمدا هذا وأودعه السجن سائر أيامه حتى اذا هلك واستوسق أمر المغرب لاخيه أبى سالم من بعد خطوب وأهوال يأتى ذكرها امتن عليه السلطان أبو سالم وأطلقه من الاعتقال

ونظمه بمجلس ملكه فى مراتب الاعياص وأعده لمزاحمة ابن عمه وجرت بينه وبين السلطان أبى حمو سنة ثنتين وستين بين يدى مهلكه كذكرى بعد مرجعه من تلمسان ومرجع أبى زيان حافد السلطان أبى تاشفين من بعده فحقق السعى فيما انصبه له فسماله أمل فى أبى زيان هذا أن يستأثر بملك أبيه ورأى أن يحسن الصنيع فيه فيكون فئة له فأعطاه الآلة ونصبه للملك وبعثه الى وطن تلمسان وأتى الى تازى ولحقه هنالك الخبر بهلك السلطان أبى سالم ثم كانت فتن واحداث نذكرها فى محالها وأجلب عبد الحليم ابن السلطان ابى على ابن السلطان أبى سعيد بن يعقوب بن عبد الحق على فاس واجتمع اليه بنو مرين ونازلوا البلد الجديد ثم انفض جمعهم ولحق عبد الحليم بتازى كما نذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى ورجا من السلطان أبى حمو المظاهرة على أمره فراسله فى ذلك واشترط عليه ابن عمه أبى زيان فاعتقله مرضاة له ثم ارتحل الى سجلماسة كما نذكره بعد ونازله فى طريقه أولاد حسين من المعقل بحللهم واحيائهم فاستغفل أبو زيان ذات يوم الموكلين به ووثب على فرس قائم حذاءه وركضه من معسكر عبد الحليم الى حلة أولاد حسين مستنجدا بهم فأجاروه ولحق ببنى عامر على حين غفلة وجفوة كانت بين السلطان أبى حمو وبين خالد بن عامر أميرهم ذهب لها مغاضبا فأجلب به على تلمسان وسرح اليهم السلطان أبو حمو عسكرا فشردهم عن تلمسان ثم بذل المال لخالد بن عامر على أن يقصيه الى بلاد رياح ففعل وأوصله الى الزواودة فأقام فيهم ثم دعاه أبو الليل بن موسى شيخ بنى يزيد وصاحب وطن حمزة وبنى حسن وما اليه ونصبه للامر مشاقة وعنادا للسلطان أبى حمو ونهض اليه الوزير عبد الله بن مسلم فى عساكر بنى عبد الواد وحشود العرب وزناتة فأيقن أبو الليل بالغلب وبذل له الوزير المال وشرط له التجافى عن وطنه على أن يرجع عن طاعة أبى زيان ففعل وانصرف الى بجاية ونزل بها على المولى أبى اسحق ابن مولانا السلطان أبى يحيى أكرم نزل ثم وقعت المراسلة بينه وبين السلطان أبى حمو وتمت المهادنة وانعقد السلم على اقصاء أبى زيان عن بجاية المتاخمة لوطنه فارتحل الى حضرة تونس وتلقاه الحاجب أبو محمد بن تافراكين قيوم دولة الحفصيين لذلك العهد من المبرة والترحيب واسناء الجراية له وترفيع المنزلة بما لم يعهد لمثله من الاعياص ثم لم تزل حاله على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم أبى زيان حافد السلطان أبى تاشفين ثانية من المغرب الى تلمسان لطلب ملكها وما كان من أحواله

كان العرب من سويد احدى بطون زغبة فئة لبنى مرين وشيعة من عهد عريف بن يحيى مع السلطان أبى الحسن وابنه أبى عنان فكانوا عند بنى عبد الواد فى عداد

عدوهم من بنى مرين مع طاغية الدولة لبنى عامر أقتالهم فكانوا منابذين لبنى عبد الواد آخر الايام وكان كبيرهم وتزمار بن عريف أومان كرسف فى جوار بنى مرين منذ مهلك السلطان أبى عنان وكان مرموقا بعين التجلة يرجعون الى رأيه ويستمعون الى قوله وأهمه شأن اخوانه فى وطنهم ومع اقتالهم بنى عامر فاعتزم على نقض الدولة من قواعدها وحمل صاحب المغرب عمر بن عبد الله على أن يسرح محمد بن عثمان حافد أبى تاشفين لمعاودة الطلب للملك ووافق ذلك نفرة استحكمت بين السلطان أبى حمو وأحمد بن رحو بن غانم كبير أولاد حسين من المعقل بعد ان كانوا فئة له ولوزيره عبد الله ابن مسلم فاغتنمها عمر بن عبد الله وخرج أبو زيان محمد بن عثمان سنة خمس وستين فنزل فى حلل المعقل بملوية ثم نهضوا به الى وطن تلمسان وارتاب السلطان أبو حمو بخالد ابن عمر أمير بنى عامر فتقبض عليه وأودعه المطبق ثم سرح وزيره عبد الله بن مسلم فى عساكر بنى عبد الواد والعرب فأحسن دفاعهم وانفضت جموعهم ورحلهم الى ناحية السرو وهو فى اتباعهم الى أن نزلوا المسيلة من وطن رياح وصاروا فى جوار الزواودة ثم نزل بالوزير عبد الله بن مسلم داء الطاعون الذى عاود أهل العمران عامئذ من بعد ما أهلكهم سنة تسع وأربعين قبلها فانكفأ به ولده وعشيرته راجعين وهلك فى طريقه وأرسلوا شلوه الى تلمسان فدفن بها وخرج السلطان أبو حمو الى مدافعة عدوه وقد فت مهلك عبد الله فى عضده ولما انتهى الى البطحاء وعسكر بها ناجزته جموع السلطان أبى زيان الحرب وأطلت راياته على المعسكر فداخلهم الرعب وانفضوا وأعجلهم الأمر عن ابنيتهم وأزوادهم فتركوها وانفضوا وتسلل أبو حمو يبغى النجاة الى تلمسان واضطرب أبو زيان فسطاطه بمكان معسكره وساقه أحمد بن رحو أمير المعقل الى منجاته فلحقه بسلك وكر اليه السلطان أبو حمو فيمن معه من خاصته وصدقوه الدفاع فكبا به فرسه وقطع رأسه ولحق السلطان أبو حمو بحضرته وارتحل أبو زيان والعرب فى اتباعه الى أن نازلوه بتلمسان أياما وحدثت المنافسة بين أهل المعقل وزغبة واسف زغبة استبداد المعقل عليهم وانفراد أولاد حسين برأى السلطان دونهم فاغتنمها أبو حمو وأطلق أميرهم عامر بن خالد من محبسه وأخذ عليه الموثق من الله ليخذلن الناس عنه ما استطاع وليرجعن بقومه عن طاعة أبى زيان وليفرقن جموعه فوفى له بذلك العهد ونفس عليه المخنق وتفرقت احزابهم ورجع أبو زيان الى مكانه من ايالة بنى مرين واستقام أمر السلطان أبى حمو وصلحت دولته بعد الالتياث الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن حركة السلطان أبى حمو على ثغور المغرب) *

كان وتزمار بن عريف متولى كبر هذه الفتن على أبى حمو وبعث الاعياص عليه واحدا بعد واحد لما كان بينهم من العداوة المتصلة كما قدمناه وكان منزله كرسيف من ثغور المغرب وكان جاره محمد بن زكراز كبير بنى علي من بنى ونكاسن الموطنين بجبل دبدو وكانت أيديهما عليه واحدة فلما سكن النوار عنه وأزاحهم عن وطنه الى المغرب وانعقد سلمه معهم رأى أن يمتو رهذين الاميرين فى ثغورهما فاعمل الحركة الى المغرب فاتح سنة ست وستين وانتهى الى دبدو وكرسيف واجفل وتزمار وامتنع بمعاقل الجبال فانتهب أبو حمو الزروع وشمل بالتخريب والعبث سائر النواحى وقصد محمد بن زكراز أيضا فى معقل دبدو فامتنع بحصنه الذى اتخذه هنالك وعاج عليه أبو حمو بركابه وجاس خلال وطنه وشمل بالتخريب والعيث نواحى بلده وانكفأ راجعا الى حضرته وقد عظمت فى تخوم بنى مرين وثغورهم نكايته وثقلت عليهم وطأته وانعقدت بينهما بعد بدء المهادنة والسلم فانصرفت عزائمه الى بلاد افريقية فكانت حركته الى بجاية من العام المقبل ونكبته عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان أبى حمو الى بجاية ونكبته عليها)

كان صاحب بجاية المولى الامير أبو عبد الله لما استولى عليها وعادت اليه العودة الثانية سنة خمس وستين كما ذكرناه فى أخباره زحف الى تدلس فغلب عليها بنى عبد الواد وأنزل بها عامله وحاميته ثم أظلم الجو بينه وبين صاحب قسنطينة السلطان أبى العباس ابن عمه الامير أبى عبد الله لما جرته بينهما المتاخمة فى العمالات فنشأت بينهما فتن وحروب شغل بها عن حماية تدلس وألحت عليها عساكر بنى عبد الواد بالحصار وأحيط بها فأوفد رسله على السلطان أبى حمو صاحب تلمسان فى المهادنة على النزول له عن تدلس فتسلمها أبو حمو وأنزل بها حاميته وعقد معه السلم وأصهر اليه فى ابنته فأجابه وزفها اليه فتلقاها قبلة زواوة بآخر عملهم من حدود بجاية وفرغ صاحب بجاية لشأنه وكان أثناء الفتنة معه قد بعث الى تونس عن أبى زيان ابن عم السلطان أبى سعيد لينزله بتدلس ويشغل به السلطان أبا حمو عن فتنته وكان من خبر أبى زيان هذا انه أقام بتونس بعد مهلك الحاجب أبى محمد بن تافراكين كما ذكرناه الى أن دس اليه مرضى القلوب من مشيخة بنى عبد الواد بتلمسان بالاجلاب على السلطان أبى حمو ووعدوه عن أنفسهم الجنوح معه فصغى اليها واعتدها وارتحل يريد تخوم تلمسان وعمل بجاية ومر بقسنطينة فحجب عن الدخول اليها وتنكر لصاحبها وبلغ خبره السلطان أبا العباس صاحبها يومئذ فأجمع أمره على صده عن وجهه وحبسه بقسنطينة

واتصلت الفتنة بينه وبين ابن عمه صاحب بجاية وكان شديد الوطأة على أهل بلده مرهف الحد لهم بالعقاب الشديد حتى لقد ضرب أعناق خمسين منهم قبل أن يبلغ سنتين في ملكه فاستحكمت النفرة وساءت الملكة وعضل الداء ونزع أهل البلد الى مداخلة السلطان أبي العباس باستنقاذهم من ملكة العسف والهلاك بما كان أتيح لهم من الظهور على أميرهم فنهض اليها آخر سنة سبع وستين وبرز الامير أبو عبد الله للقائه وعسكر بنا مروا الجبل المطل على تاكردت وصبحه السلطان أبو العباس بعسكره هنالك فاستولى عليه وركض هو فرسه ناجيا بنفسه ومرت الخيل تعادى في أثره حتى أدركوه فأحاطوا به وقتلوه قعصا بالرماح عفا الله عنه وأجاز السلطان أبو العباس الى البلد فدخلها منتصف يوم العشرين من شعبان ولاذ الناس به من دهش الواقعة وتمسكوا بدعوته وآتوه طاعتهم فانجلت القيامة واستقام الامر وبلغ الخبر الى السلطان أبي حمو فأظهر الامتعاض لمهلكه والقيام بثاره وسرى من ذلك حشوه في ارتقاء ونهض يجر الامم الى بجاية من العرب وزناتة والحشد حتى أناخ بها وملأت مخيماته الجهات بساحتها وجنح السلطان الى مبارزته فتهدده أهل البلد ولاذوا بمقامه فأسعفهم وطير البريد الى قسنطينة فأطلق أبا زيان من الاعتقال وسوغه الملابس والمراكب والآلة وزحف به مولاه بشير في عسكر الى أن نزل حذاء معسكر أبي حمو واضطربوا محلهم بسفح جبل بني عبد الجبار وشنوا الغارات على معسكر أبي حمو صباحا ومساء لما كان نمي اليهم من مرض قلوب جنده والعرب الذين معه وبدا للسلطان أبي حمو ما لم يحتسب من امتناعها وكان تقدم اليه بعض سماسرة الفتن بوعد على لسان المشيخة من أهل البلد أطمعه فيها ووثق بأن ذلك يغنيه عن الاستعداد فاستبق اليها وأغفل الحزم فيما دونها فلما امتنعت عليه انطبق الجو على معسكره وفسدت السابلة على العير للميرة واستحم الزبون في احياء معسكره بظهور العدو المساهم في الملك وتفادت رجالات العرب من سوء المغبة وسطوة السلطان فتمشوا بينهم في الانفضاض وتحينوا لذلك وقت المناوشة وكان السلطان لما كذبه وعد المشيخة أجمع قتالهم واضطرب الفساطيط مضايقة للاسوار متسنمة وعرا من الجبل لم يرضه أهل الرأي وخرج رجل الجبل على حين غفلة فجاولوا من كان بتلك الاخبية من المقاتلة فانهزموا أمامهم وتركوها بأيديهم فمزقوها بالسيوف وعاين العرب على البعد انتهاب الفساطيط فأجفلوا وانفض المعسكر بأجمعه وحمل السلطان أبو حمو أثقاله للرحلة فأجهضوه عنها فتركها وانتهب مخلفه أجمع وتصايح الناس بهم من كل حدب وضاقت المسالك من ورائهم وأمامهم وركضت بزحامهم وتواقعوا الجنوب بهم فهلك الكثير منهم

وكانت من غرائب الواقعات تحدث الناس بها زمانا وسيقت حظاياه الى بجاية واستأثر الامير أبو زيان منهن بحظيته الشهيرة ابنة يحيى الزابى ينسب الى عبد المؤمن بن على وكان أصهر فيها الى أبيها أيام تقلبه فى سبيل الاغتراب ببلاد الموحدين كما سبق وكانت أعلق بقلبه من سواها فخرجت فى مغانم الامير أبى زيان وتحرج عن مواقعتها حتى أوجده أهل الفتيا السبيل الى ذلك لحنث زعموا وقع من السلطان أبى حمو فى نسائه وخلص السلطان أبو حمو من هوة ذلك العصب بعد غصة الريق ونجا الى الجزائر لا يكاد يرتد النفس من شناعة ذلك الهول ثم خرج منها ولحق بتلمسان واقتعد سرير ملكه واشتدت شوكة أبى زيان ابن عمه وتغلب على القاصية واجتمعت اليه العرب وكثر تابعه وزاحم السلطان أبا حمو بتلك الناحية الشرقية سنين تباعا نذكر الآن أخبارها ان شاء الله تعالى

الخبر عن خروج أبى زيان بالقاصية الشرقية من بلاد حصين وتغلبه على المرية والجزائر ومليانة وما كان من الحروب معه

لما انهزم السلطان أبو حمو بساحة بجاية عشى يومه من أوائل ذى الحجة خاتم سنة سبع وستين قرع الامير أبو زيان طبوله واتبع أثره وانتهى الى بلاد حصين من زغبة وكانوا سائمين من الهضيمة والعسف اذ كانت الدول تجريهم مجرى الرعايا المعبدة فى المغرم وتعدل بهم عن سبيل اخوانهم من زغبة أمامهم ووراءهم لبغية الغزو فبايعوه على الموت الاحمر ووقفوا بمعتصم من جبل تيطرى الى أن دهمتهم عساكر السلطان ثم أجلبوا على المرية وكان بها عسكر ضخم للسلطان أبى حمو لنظر وزرائه عمران بن موسى بن يوسف وموسى بن عوت ووادفل بن عبو بن حماد ونازلوهم أياما ثم غلبوهم على البلد وملكها الامير أبو زيان ومن على الوزراء ومشيخة بنى عبد الواد وترك سبيلهم الى سلطانهم وسلك سبيلهم الثعالبة فى التجافى عن ذل المغرم فأعطوا يد الطاعة والانقياد للامير أبى زيان وكانت فى نفوس أهل الجزائر نفرة من جور العمال عليهم فاستمالهم بها سالم بن ابراهيم بن نصر أمير الثعالبة الى طاعة الامير أبى زيان ثم دعا أبو زيان أهل مليانة الى مثلها فأجابوه واعمل السلطان أبو حمو نظره فى الحركة الحاسمة لدائهم فبعث فى العرب وبذل المال وأقطع البلاد على اشطاط منهم فى الطلب وتحرك الى بلاد توجين ونزل قلعة بنى سلامة سنة ثمان وستين يحاول طاعة أبى بكر بن عريف أمير سويد فلم يلبث عنه خالد بن عامر ولحق بأبى بكر بن عريف واجتمعا على الخلاف عليه ونقض طاعته وشنوا الغارة على معسكره فاضطرب وأجفلوا وانتهبت محلاته وأثقاله ورجع الى تلمسان ثم نهض الى مليانة فافتتحها وبعث الى رياح على حين صاغية اليه من يعقوب بن على بن أحمد وعثمان

ابن يوسف بن سليمان بن على أميرى الزواودة لما كان وقع بينهما وبين السلطان مولانا
أبى العباس من النفرة فاستنظره للحركة على الامير أبى زيان وبعدها الى بجاية وضمنوا له
طاعة البدو من رياح وبعثوا اليه رهنهم على ذلك فردها ووثق بهم ونهض من تلمسان
وقد اجتمع اليه الكثير من عرب زغبة ولم يزل أولاد عريف بن يحيى وخالد بن عامر
فى احيائهما منحرفين عنه بالصحراء وصمم اليهم فاجفلوا أمامه وقصد المخالفين من حصين
والامير أبا زيان الى معتصمهم بجبل تيطرى وأغذ اليه السير يعقوب بن على وعثمان بن
يوسف بمن معهم من جموع رياح حتى نزلوا بالقلعة حذاءهم وبدر أولاد عريف وخالد بن
عامر الى الزواودة ليشردوهم عن البلاد قبل أن يدا السلطان بيدهم فصبحوهم يوم الخميس
أخريات ذى القعدة من سنة تسع وستين ودارت بينهم حرب شديدة وأجفلت الزواودة
أولا ثم كان الظهور لهم آخرا وقتل فى المعركة من زغبة عدد ويئسوا من صدهم عما
جاؤا اليه فانعطفوا الى حصين والامير أبى زيان وصعدوا اليهم بناجعتهم وصار والهم
مددا على السلطان أبى حمو وشنوا الغارة على معسكره فصمد واليه وصدقوه القتال
فاختل مصافه وانهزمت عساكره ونجا بنفسه الى تلمسان على طريق الصحراء وأجفل
الزواودة الى وطنهم وتحيز كافة العرب من زغبة الى الامير أبى زيان واتبع آثار
المنهزمين ونزل بسيرات وخرج السلطان أبو حمو فى قومه ومن بقى معه من بنى عامر
وتقدم خالد الى مصادمته فقله السلطان وأجفل القوم من ورائه ثم تلطف فى مراسلته
وبذل المال له وأوسع له فى الاشتراط اليه والتبس بخدمته ورجع الامير
أبو زيان الى أوليائه من حصين متمسكا بولاية أولاد عريف ثم نزع محمد بن عريف الى
طاعة السلطان وضمن له العدول بأخيه عن مذاهب الخلاف عليه وطال سعيه فى ذلك
فاتهمه السلطان وحمله خالد بن عامر عدوه على نكبته فتقبض عليه وأودعه السجن
واستحكمت نفرة أخيه أبى بكر ونهض السلطان بقومه وكافة بنى عامر اليه سنة سبعين
واستغلظ أمر أبى بكر فجمع الحرث بن أبى مالك ومن وراءهم من حصين واعتصموا
بالجبال من دراك وتيطرى ونزل السلطان بجموعه لعود بلاد الديالمة من الحرث
فانتسفها والتهمها وحطم زروعها ونهب مداثرها وامتنع عليه أبو بكر ومن معه من
الحرث وحصين والامير أبى زيان بينهم فارتحل عنهم وعطف على بلاد أولاد عريف
وقومهم من سويد فلا ثها عيثا وخرب قلعة ابن سلامة لما كانت أحسن أوطانهم
ورجع عليهم الى تلمسان وهو يرى أن قد شفا نفسه فى أولاد عريف وغلبهم على أوطانهم
ورجع عليهم منزلة عدوهم فكان من لحاق أبى بكر بالمغرب وحركة بنى مرين ما نذكره

الخبر عن حركة السلطان عبد العزيز على تلمسان واستيلائه عليها ونكبة أبي حمو وبني عامر بالدوس من بلاد الزاب وخروج أبي زيان من تيطري الى أحياء رياح

لما تقبض أبو حمو على محمد بن عريف وفرق شمل قومه سويد وعاث في بلادهم أجمع رأي أخيه الاكبر على الصريخ بملك المغرب فارتحل اليه بناجعته من بني مالك أجمع من أحياء سويد والديالم والعطاف حتى احتل بسائط ملوية من تخوم المغرب وسار الى أخيه الاكبر ونزمار بمقره من قصر مرادة الذي اختطه بارجاع وادي ملوية في ظل دولة بني مرين وتحت جوارهم لما كان ملاك أمرهم بيده ومصادرهم عن آرائه خطة ورثها عن أبيه عريف بن يحيى مع السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن وابنه أبي عنان فتقبل ملوك المغرب مذاهب سلفهم فيه وتيمنوا برأيه واستأمنوا الى نصيحته فلما قدم عليه أخوه أبو بكر مستصفيا بملك المغرب وأخبر باعتقال أخيه الآخر محمد قدح عزائمه وأوفد أخاه أبا بكر ومشيخة قومهم من بني مالك على السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن منصرفه من افتتاح جبل هنتاتة وظفر بعامر بن محمد ابن علي النازع الى الشقاق في معتصمه فلقوه في طريقه ولقاهم مبرة وتكرعاوا ستصرخوه لاستنقاذ أخيهم فأجاب صريخهم ورغبوه في ملك تلمسان وما وراءها فوافق صاغيته لذلك بما كان في نفسه من الموجدة على السلطان أبي حمو اقبوله كل من ينزع اليه من عربان المعقل أشياع الدولة وبدوها وما كان بعث اليه في ذلك و عن استماعه فاعتزم على الحركة الى تلمسان وألقى زمامه بيد ونزمار وعسكر بساحة فاس وبعث الحاشدين في الثغور والنواحي من المغرب فتواقف الحاشدون ببابه وارتحل بعد قضاء النسك من الاضحى سنة احدى وسبعين واتصل الخبر بالسلطان أبي حمو وكان معسكرا بالبطحاء فانكفأ راجعا الى تلمسان وبعث في أوليائه عبيد الله والاحلاف من عرب المعقل فصموا عن اجابته ونزعوا الى ملك المغرب فأجمع رأيه الى التحيز الى بني عامر وأجفل غرة المحرم سنة ثنتين وسبعين واحتل السلطان عبد العزيز تلمسان في يوم عاشوراء بعدها وأشار ونزمار بن عريف بتسريح العساكر في اتباعه فسرح السلطان وزيره أبا بكر بن غازي بن الكاس حتى انتهى الى البطحاء ثم لحق به هنالك ونزمار وقد حشد العرب كافة وأوغذ السير في اتباع السلطان أبي حمو وبني عامر وكانوا قد أبعدوا المذهب ونزلوا على الزواودة وسرح اليهم السلطان يومئذ عبد العزيز يحملهم على طاعته والعدوى بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم وسرح فرج بن عيسى بن عريف الى حصين لاقتضاء طاعتهم واستدعاء أبي زيان الى حضرته ونبذهم عهده وانتهيا جميعا الى أبي زيان مقدمة أوليائه ولحق بأولاد يحيى بن علي بن سباع من الزواودة وانتهيت أنا اليهم فخفضت عليهم

الشأن فى جواره لما كانت مرضاة السلطان وحذرتهم شأن أبى حمو وبنى عامر وأوفدت مشيختهم على ونزمار والوزير أبى بكر بن غازى فدلوهما على طريقه فأغذوا السير وبيتوهم بمنزلهم على الدوس آخر عمل الزاب من جانب المغرب فنفضوا جموعهم وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبى حمو بأموالهم وأمتعته وظهره ولحق فلهم بمصاب ورجعت العساكر من هنالك فسلكت على قصور بنى عامر بالصحراء قبلة جبل راشد التى ربا ولون ساعون اليها فانتهبوها وخربوها وعاثوا فيها وانكفؤا راجعين الى تلمسان وفرق السلطان عماله فى بلاد المغرب الاوسط من وهران ومليانة والجزائر والمرية وجبل وانشريس واستوسق به ملكه ونزع عنه عدوه ولم يبق به يومئذ الا صرمة من نار الفتنة ببلاد مغراوة من ولد على بن راشد حمزة خالد فى الديوان ولحق بجبل بنى سعيد واعتصم به فجهز السلطان الكتائب لحصاره وسرح وزيره عمر بن مسعود لذلك كما ذكرنا فى أخبار مغراوة واحتقر شأنه وأوفدت أنا عليه يومئذ مشيخة الزواودة فأوسعهم حباء وكرامة وصدروا مملوءة حقائبهم خالصة قلوبهم منطلقة بالشكر ألسنتهم واستمر الحال الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبى زيان الى تيطرى واجلاب)
(أبى حمو على تلمسان ثم انهزامهما وتشريدهما على سائر النواحى)

كان بنو عامر من زغبة شيعة خالصة لبنى عبد الواد من أول أمرهم وخلص سويد لبنى مرين كما قدمناه وكان من شأن عريف وبنيه عند السلطان أبى الحسن وبنيه ما هو معروف فلما استبيحت أحياؤهم بالدوس مع أبى حمو وذهبوا فى القفر اشفاقوا وبأسا من قبول بنى مرين عليهم لما كان ونزمار بن عريف واخوانه من الدولة فخذلوا على سلطانهم أبى حمو يتقلبون معه فى القفار ثم نزع اليهم رحو بن منصور فيمن أطاعه من قومه عبيد الله من المعقل وأجلبوا على وجدة فاضطرم النفاق على الدولة نارا وحشى حمزة من مغبة أمرهم من السلطان بما اتسموا به من الشقاق والعناد فمدوا أيديهم الى سلطانهم أبى زيان وأوفدوا مشيختهم لاستدعائه من حلة أولاد يحيى بن على فاحتمل بينهم وأجلبوا به على المرية فلكروا اسيها واستنع عليهم مدمرها واستمر الحال على ذلك واضطرب المغرب الاوسط على السلطان وانتقضت به طاعته وسرح الجيوش والعساكر الى قتال مغراوة وحصين ثم اجتمع أبو حمو وبنو عامر على قصده بتلمسان حتى اذا احتلوا قريبا منها دس السلطان عبد العزيز بعض شيعته الى خالد بن عامر وزغبة فى المال منه وكان أبو حمو قد أسفه بمخالطته بعض عشيره وتعقب رأيه برأيه ممن لم يسم الى خطته ولم يرتض كفاءته فجنح الى ملك المغرب ونزع يده من عهد أبى حمو وسرح السلطان

عبد العزيز عسكره الى خالد فأوقع بأبي حمو ومن كان من العرب عبيد الله وبني عامر وانتهب معسكره وأمواله واحتقبت حرمه وحظاياه الى قصر السلطان وتقبض على مولاه عطية فمنّ عليه السلطان وأصاره في حاشيته ووزرائه وأصفقت زغبة على خدمة ملك المغرب ووافق هذا الفتح عند السلطان فتح بلاد مغراوة وتغلب وزيره أبو بكر بن غازي على جبل بني سعيد وتقبض على حمزة بن علي بن راشد في ملة من أصحابه فضرب أعناقهم وبعث بها الى سدة السلطان وصلب أشلاءهم بساحة مليانة فعظم الفتح واكتمل الظهور وأوعز السلطان الى وزيره أبي بكر بن غازي بالنهوض الى حصين فنهض اليهم وخاطبني وأنا مقيم ببسكرة في دعايته بأن احتشد أولياءه من الزواودة ورياح والتقى الوزير والعساكر على حصن تيطري فنازلناه أشهرا ثم انفض جمعهم وفرّوا من حصنهم وتمزقوا كل ممزق وذهب أبو زيان على وجهه فلحق ببلد واركلا قبلة الزاب لبعدها عن منال الجيوش والعساكر فأجاروه وأكرموا نزله وضرب الوزير على قبائل حصين والثعالبة المغارم الثقيلة فأعطوها عن يد وجهضهم باقتضائها ودوّخ قاصية الثغور ورجع الى تلمسان عالي الكعب عزيز السلطان ظاهر اليد وقعد له السلطان بمجلسه يوم وصوله قعودا فخما وصل فيه اليه وأوصل من صحبه من وفود العرب والقبائل فقسم فيهم بره وعنايته وقبوله على شاكلته واقتضى من أمراء العرب زغبة أبناءهم الاعزة رهنا على الطاعة وسرّحهم لغزو أبي حمو بمنتبذه من تيكورارين فانطلقوا الذلك وهلك السلطان عبد العزيز لليال قلائل من مقدم وزيره وعساكره أواخر شهر ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين لمرض مزمن كان يتفادى بالكتمان والصبر من ظهوره وانكفأ بنو مرين راجعين الى ممالكهم بالمغرب بعد أن بايعوا لولده دراجا حماسيا ولقبوه بالسعيد وجعلوا أمره الى الوزير أبي بكر بن غازي فملك أمرهم عليهم واستمرت حاله كما نذكره في أخباره ان شاء الله تعالى

الخبر عن عود السلطان أبي حمو الاخر الى تلمسان الكرة الثالثة لبني عبد الواد في الملك

لما هلك السلطان عبد العزيز ورجع بنو مرين الى المغرب نصبوا من أعياص بني يغمراسن لمدافعة أبي حمو من بعدهم عن تلمسان ابراهيم بن السلطان أبي تاشفين كان ناشئا بدولتهم منذ هلك أبوه وتسلل من جملتهم عطية بن موسى مولى السلطان أبي حمو وخالفهم الى البلد غداة رحيلهم فقام بدعوة مولاه ودافع ابراهيم بن تاشفين عن مرامه وبلغ الخبر أولياء السلطان أبي حمو من عرب المعقل أولاد يغمور ابن عبيد الله فطيروا اليه النجيب على حين غلب عليه الناس وأجمع الرحلة الى بلاد

السودان لما بلغه من اجتماع العرب للحركة عليه كما قلناه فأغذ السير من مطرح اغترابه وسابقه ابنه ولى عهده فى قومه عبد الرحمن أبو تاشفين مع ظهيرهم عبد الله بن صغير فدخلوا البلد وتلاهم السلطان لرابعة دخولهم وعاود سلطانه واقتعد أريكته وكانت احدى الغرائب وتقبض ساعتئذ على وزرائه اتهمهم بمداخلة خالد بن عامر فيما نقض من عهده وظاهر عليه عدوه فأودعهم السجن ليومهم حنقا عليهم واستحكم لها نفرة خالد وعشيرته وحصلت ولاية أولاد عريف بن يحيى لمنافرة بنى عامر اياه واقتال السلطان عبد العزيز عليه ووثق بمكان وترمار كبيرهم فى تسكين عادية ملوك المغرب عليه ورجع الى تمهيد وطنه وكان بنو مرين عند انفضاضهم الى مغربهم قد نصبوا من اقتال مغراوة ثم بنى منديل على بن هرون بن ثابت بن منديل وبعثوه الى مزاحمة السلطان أبى حمو ونقض الاطراف ملكه وأجلب أبو زيان بن عمه على بلاد حصين فكان من خبرهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن رجوع أبى زيان بن السلطان أبى سعيد الى بلاد حصين ثم خروجه عنها)

كان الامير أبو زيان بن السلطان أبى سعيد لما هلك السلطان عبد العزيز وبلغه الخبر بمجانه من وارگلا نهض منها الى التلول واسف الى الناحية التى كان منتزيا بها وسماها لابى حمو فيها فاقتطعت لدعوته كما كانت ورجع أهلها الى ما عرفوا من طاعته فنهض السلطان أبو حمو لتمهيد نواحيه وتثقيف أطراف ملكه ودفع الخوارج عن ممالكه وظاهره على ذلك أمير البدو من زغبة أبو بكر ومحمد ابنا عريف بن يحيى دس اليهما بذلك كبيرهما وترمار وأخذهما بمناصحة السلطان ومخالصته فركبا من ذلك أوضح طريق وأسهل مركب ونبذ السلطان العهد الى خالد وعشيره فضاقت عليهم الارض ولحقوا بالمغرب لسابقة نزوعهم الى السلطان عبد العزيز وابتدأ السلطان بما يليه فأزعج بمظاهرتهما على بن هرون عن أرض شلف سنة خمس وسبعين بعد حروب هلك فى بعضها اخوه رحمون بن هرون وخلص الى بجاية فركب منها السفن الى المغرب ثم تخطى السلطان أبو حمو الى ما وراء شلف وسفر محمد بن عريف بينه وبين ابن عمه بعد أن نزع اليه الكثير من أوليائه حصين والثعالبة بما بذل لهم من الاموال وبما سئموا من طول الفتنة فشارطه على الخروج من وطنه الى جيرانهم من رياح على أتاوة تحمل اليه فقبل ووضع أوزار الحرب وفارق مكان ثورته وكان لمحمد بن عريف فيها أثر محمود واستألف سالم بن ابراهيم كبير الثعالبة المتغلب على بسيط متيجة وبلد الجزائر بعد أن كان خب فى الفتنه وأوضع فاقتضى له من السلطان عهده من الامان والولاية على قومه وعمله وقلد السلطان أبناءه ثغور أعماله فأنزل ابنه بالجزائر لنظر سالم بن ابراهيم

من تحت استبداده وابنه أبا زيان بعالديه ، ثم انقلب السلطان الى حضرته تلمسان بعد أن دوخ قاصيته وثقف أطراف عمله وأصلح قلوب أوليائه واستأصل شجرة عدوه فكان فيها لا كفاء له من بعد ما خلع من ربقة الملك ونزع من شرع السلطان وانتبذ من قومه وممالكه الى قاصية الارض في جوار من لا ينفذ أمره ولا يقوم بطاعته والله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء

﴿الخبر عن اجلاب عبد الله بن صغير وانتقاض أبي بكر بن عريف وبيعتهما للامير أبي زيان ورجوع أبي بكر الى الطاعة﴾

كان خالد بن عامر وابن أخيه عبد الله بن صغير وسائر اخوانهم من ولد عامر بن ابراهيم قد لحقوا بالمغرب صريخين ببني مرين لما وقع بينهم وبين أبي حمو من النفلة التي فعل خالد معه وبئس عبد الله بن صغير من صريخهم بما عقد ونزمار بن عريف من السلم بين صاحب المغرب وصاحب تلمسان فخاض القفر بمن معه من قومه ولحق بوطن زغبة وأجلب على جبل راشد به العمور أحلاف سويد من بني هلال فاعترضهم سويد ودارت بينهم حرب شديدة كان الظهور فيها لسويد عليهم وفي خلال ذلك فسد ما بين السلطان وبين أبي بكر بن عريف بسبب صاحب جبل وانشريس يوسف بن عمر ابن عثمان أراده السلطان عن النزول عن عمله فغضب له أبو بكر لقديم الصداقة بين سلفهما ووصل يده بعبد الله بن صغير بعد الواقعة ودعاه الى بيعة أبي زيان فأجابه وأوفدوا رجالاتهم عليه بمكانه من مجالات رياح فوصلوه معهم ونصبوه للامر وتحيز محمد بن عريف الى السلطان في جموع سويد ونهض السلطان من تلمسان سنة تسع وستين فيمن معه من قبائل بني عبد الواد وعرب المعقل وزغبة ودس الى أولياء أبي زيان يرغبهم وحكم أبا بكر في الاشتراط عليه ففاء الى الطاعة والمخالصة ورجع أبو زيان الى مكانه من حلل الزواودة وأغذ السلطان السير الى حضرته فتملى أريكته وحدث بعد ذلك ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن وصول خالد بن عامر من المغرب والحرب التي دارت بينه وبين سويد وأبي تاشفين هلك فيها عبد الله بن صغير واخوانه﴾

لما بلغ خالد بن عامر بمكانه من المغرب خبر عبد الله ابن أخيه صغير قفل من المغرب يئسا من مظاهرة بني مرين لخفق السعي في صريخه بهم لما كانوا عليه من افتراق الامر كما ذكرناه قبل ووصل معه ساسي بن سليم في قومه بني يعقوب وتظاهر الحيان على العيث في بلاد أبي حمو واجتمع اليهم أبناء الفتنة من كل أوب فأجلبوا على الاطراف وشنوا الغارة في البلاد بجمع أولاد عريف صريخهم قومهم من سويد وأحلافهم من العطاف

وبعثوا بالصريخ الى السلطان فسرح لحرب عدوّه وعدوّهم ابنه أبا تاشفين ولى عهده في قومه وبرز لذلك في العساكر والجنود ولما انتهى الى بلاد هوارة واضطرب عسكره بها أعجله صريخ أوليائه عن مناخ الركاب فاستعجل الراحة ولحق بأوليائه أولاد عريف ومن معهم من أشياع الدولة من زغبة وأغذوا السير الى وادى هنالك شرق القلعة فتلاقى الجمعان وتواقفوا القاء سائر يومهم واستضاؤا باضرام النيران مخافة البيات وأصبحوا على التعبية وتمشت الرجالات في مواضعة الحرب فأعجبهم مناشبة القوم وتزاحفت الصفوف وأعلم الكماة وكشفت الحرب عن ساقها وحمى الوطيس وهبت الريح المبشرة فخفقت لها رايات الامير وهدرت طبوله ودارت رحى الحرب وصمدت اليها كتائب العرب فبرئ فيها الابطال منهم وانكشفوا وأجلت المعركة عن عبد الله بن صغير صريعا فأمر أبو تاشفين فاحتز رأسه وطيربه البريد الى أبيه ثم عثرت المراكب بأخيه ملوك بن صغير مع العباس ابن عمه موسى بن عامر ومحمد بن زيان من وجوه عشيرتهم متواقعين بجنودهم متضاجعين في مراقدهم كأنما أقعدوا للردى فوطأتهم سنابك الخيل وغشيهم قتام المراكب وأطلقت العساكر أعنتها في اتباع القوم فاستاقوا نعمهم وأموالهم وكثرت يومئذ الانفال وغشيهم الليل فتستروا بجناحه ولحقهم فلهم بجبل راشد وأطرب أبو تاشفين أباه بعشتي ظهوره وأملاه السرور بما صنع الله على يده وما كان له ولقومه من الاثر في مظاهرة أوليائه وطار له بها ذكر على الايام ورجع الى أبيه بالحضرة مملوء الحقائب بالانفال والجوانح بالسرور والايام بالذكر عنه وعن قومه ومدنى خالد لوجهه في فل من قومه ولحق بجبل راشد الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله والله تعالى أعلم

الخبر عن انتقاض سالم بن ابراهيم ومظاهرته خالد بن عامر على الخلاف وبيعتهما للامير أبى زيان ثم مهلك خالد ومراجعة سالم الطاعة وخروج أبى زيان الى بلاد الجريد

كان سالم بن ابراهيم هذا كبير الثعالبة المتغلبين على حصن متيجة منذ انقراض مليكش وكانت الرياسة فيهم لاهل بيته حسبما ذكرناه في أخبارهم عند ذكر المعقل ولما كانت فتنة أبى زيان بعد نكبة أبى حمو على بجاية وهبت ريح العرب واستغلظ أمرهم وكان سالم هذا أول من غمس يده في تلك الفتنة ومكر بعلى بن غالب من بيوتات الجزائر كان مغربا عنها منذ تغلب بنى مرين على المغرب الاوسط أيام بنى عثمان ولحق بها عندما أظلم الجو بالفتنة واستحكمت نفرة أهل الجزائر عن أبى حمو فأظهر بها الاستبداد واجتمع بها اليه الاوشاب والطغام سالم من الضاحية

أطمعه في الاستيلاء على الجزائر فداخل في شأنه الملأ من أهل المدينة وحذرهم منه أنه يروم الدعوة للسلطان أبي حمو فاستشاطوا نفرة وثاروا به حتى اذا رأى أنه قد أحيط به خلصه من أيديهم وأخرجه الى حيه وأبلغه هنالك وحوّل دعوة الجزائر الى الامير أبي زيان تحت استبداده حتى اذا كان من أمر بني مرين وحلول السلطان عبد العزيز بتلمسان كما قدمناه أقام دعوتهم في الجزائر الى حين مهلكه ورجوع أبي حمو الى تلمسان وأقبل جيش أبي زيان الى تيطري فأقام سالم هذا دعوته في احيائه وفي بلاد الجزائر أمر ابن عمه ولما كان من خروج أبي زيان الى أحياء رياح على يد محمد بن عريف ما قدمناه واقتضى سالم عهده من السلطان وولي سالم على الجزائر أقام سالم على أمره من الاستبداد بتلك الاعمال واستضافة جبايتها لنفسه وأوعز السلطان الى عماله باستيفاء جبايتها فاستراب وبقي في أمره على المداهنة وحدثت اثر ذلك فتنة خالد بن عامر فتربص دوائرها رجاء أن يكون الغلب له فيشغل السلطان عنه ثم بدا له ما لم يحتسب وكان الغلب للسلطان ولأوليائه وكان قد حدثت بينه وبين بني عريف عداوة فخشي أن يحملوا السلطان على النهوض اليه فبادر الى الانتقاض على أبي حمو واستقدام الامير أبو زيان وجاء بخالد بن عامر من الخالفين معه من المغرب فوصلوا اليه أول سنة ثمان وسبعين وعقد بينهم حلفا مؤكدا وأقام الدعوة للامير أبي زيان بالجزائر ثم زحفوا الى حصار مليانة وبها حامية السلطان فامتنعت عليهم ورجعوا الى الجزائر فهلك خالد بن عامر على فراشه ودفن بها وولي أمر قومه من بعده المسعود ابن أخيه صغير ونهض اليهم السلطان أبو حمو من تلمسان في قومه وأوليائه من العرب فامتنعوا بجبال حصين وناوشهم جيوش السلطان القتال بأسافل الجبل فغلبوهم عليها وانفضت الناجعة عنهم من الديالم والعطاف وبني عامر فلحقوا بالقفر ورأى سالم أصحابه أن قد أحيط بهم فلاذ بالطاعة وحمل عليها أصحابه وعقد لهم السلطان من ذلك ما أرادوه على أن يفارقوا الامير أبا زيان ففعلوا وارتحل عنهم فلحق ببلاد المغرب ريغ ثم أجازها الى نفطة من بلاد الجريد ثم الى توزر فنزل على مقدمها يحيى بن يملول فأكرم نزله وأوسع قراره الى أن كان من أمره ما نذكر ورجع السلطان أبو حمو الى تلمسان وفي نفسه من سالم حرارة لكثرة اضطرابه ومراجعته الفتن حتى توسط فصل الشتاء وأبعدت العرب في مشاتيها فنهض من تلمسان في جيوش زناتة وأغذ السير فصبح متيجة بالغارة الشعواء وأجفلت الثعالبة فلحقوا برؤس الجبال وامتنع سالم بجبل بني خليل وبعثوا ابنه وأولياءه الى الجزائر فامتنعوا بها وحاصروه أياما ثم غلبوه على مكانه فانتقل الى بني ميسرة من جبال صنهاجة وخلف أهله ومتاعه وصار الكثير من الثعالبة الى الطاعة

واستهلوا بامان السلطان وعهده الى متيجة وبعث هو أخاه تاشفين الى السلطان باستقاضة العهد ونزل من رأس ذلك الشاهق الى ابنه أبي تاشفين فأوصله الى السلطان احدى ليالي العشر الاواخر من رمضان فأخفر عهده وذمة ابنه وتقبض عليه صبيحة ليلته وبعث قائده الى الجزائر فاستولى عليها وأقام دعوته بها وأوفد عليه مشيختها فتقبض عليهم وعقد على الجزائر لوزيره موسى بن برغوث ورجع الى تلمسان فقضى بها عيد النحر ثم أخرج سالم بن ابراهيم من محبسه الى خارج البلد وقتل قعصا بالرماح ونصب شلوه وأصبح مثلا للآخرين ولله البقاء وعهد السلطان لابنه المنتصر على مليانة واعمالها ولابنه أبي زيان على وهران وراسله ابن يملول صاحب توزر وصهره ابن مزني صاحب بسكرة وأولياؤهما من الكعوب والزواودة لما أهمهم أمر السلطان أبي العباس وخافوه على أمصارهم فراسلوا أبا حمو يضمنون له مسالمة أبي زيان على أن يوفي لهم بما اشترط لهم من المال وعلى أن يشب نار الفتنة من قبله على بلاد الموحدين ليشغل السلطان أبا العباس عنهم على حين عجزه وضعف الدولة عنه فأوهمهم من نفسه القدرة وأطمعهم في ذلك ومازال يراجعهم ويراجعونه بالمقاربة والوعد الى أن أحيط بابن يملول واستولى السلطان على بلده فلحق ببسكرة وهلك بها السنة من خروجه آخر سنة احدى وثمانين وبقي ابن مزني من بعده متعللا بتلك الاماني الكاذبة الى أن ظهر أمره وتبين عجزه فراجع طاعة السلطان أبي العباس واستقام على الموادعة ولحق الامير أبو زيان بحضرة السلطان بتونس فنزل بها أكرم نزل مؤملا منه المظاهرة على عدوه والحال بالمغرب الاوسط لهذا العهد على ماشرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحي والكثير من الامصار وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها الى مراكزها بسيف البحر وتناقص قدرتها على قدرتهم واعطاء اليد في مغالبتهم ببذل رغائب الاموال واقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الامصار والقنوع بالتغريب بينهم واغراء بعضهم ببعض والله ولي الامور

(قسمة السلطان للاعمال بين ولده وما حدث بينهم من التنافس)

كان لهذا السلطان أبي حمو جماعة من الولد كبيرهم أبو تاشفين عبد الرحمن ثم بعده أربعة لام واحدة كان تزوجها محظية من اعمال قسنطينة أيام جولته في بلاد الموحدين كبيرهم المنتصر ثم أبو زيان محمد ثم عمر ويلقب عميرا ثم بعد ولد كثيرون ابناء علات وكان أبو تاشفين ولي عهده وقد رفعه على الباقين وأشركه في رأيه وأوجب له الحق على وزرائه ودواته فكان لذلك رديفه ومظهر سلطانه وكان مع ذلك يتعاهد أولئك الاخوة الاشقاء بحنوه ويقسم لهم من ترشيحه والنجاء في خلوته فتنفس أبو تاشفين منهم فلما استفحل أمر

السلطان واتسعت من دولته آثار الخوارج أعمل نظره في قسمة الاعمال بين ولده وترشيحهم للامارة والبعد بهم عن أخيهم أبي تاشفين أن يصيبهم بمكروه عندا يناس الغيرة منهم فولى المنتصر كبيرهم على مليانة واعمالها وأنفذه اليها ومعه أخوه عمر الاصغر في كفالته وولى أخاهما الاوسط أبا زيان على المدية وما اليها من بلاد حصين وولى ابنه يوسف ابن الزابية على تدلس وما اليها من آخر اعماله واستقر أمرهم على ذلك ثم كان من انتقاض سالم الثعلبي بالجزائر ما قدمناه فمضى الى السلطان أن ابنه أبا زيان داخله في الخلاف فلما فرغ من أمر سالم كما مر وطرد أبا زيان ابن عمه عن أعماله الى الجريد أعمل نظره في نقل ابنه أبي زيان من المدية الى ولاية وهران وأعمالها لبعدها عن العرب المجلبين في الفتن وأنزل معه بعض وزرائه عينا عليه وأقاموا بها عليها والله اعلم

(وثبة أبي تاشفين بيحيى بن خلدون كاتب أبيه)

كان أول شئ حدث من منافسة أبي تاشفين لاخوته ان السلطان لما ولى ابنه أبا زيان على وهران وأعمالها طلبه أبو تاشفين في ولايتها لنفسه فأسعفه ظاهرا وعهد الى كاتبه يحيى بن خلدون بمماطلته في كتابها حتى يرى المخلص من ذلك فأقام الكاتب يطاوله وكان في الدولة لئيم من سفلة الشرط يدعى بموسى بن يخلف صحبهم أيام الاغتراب بتيكورارين أيام ملك تلمسان عليهم السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن كما مر وخلاله وجه السلطان أبي حمو وابنه فتقرب اليه بخدمته ورعاها له فلما رجع السلطان الى تلمسان بعد مهلك عبد العزيز قدمه وآثره واستخلصه فكان من أخلص بطانته وكان أبو تاشفين أيضا استخلصه وجعله عينا على أبيه وكان هو أيضا يغص بابن خلدون كاتب السلطان ويغار من تقدمه عنده ويغري به أبا تاشفين جهده فدس اليه أثناء هذه المطاولة أن الكاتب ابن خلدون انما مطله بالكتاب خدمة لابي زيان أخيه وايثارا له عليه فاستشاطه أبو تاشفين وترصد له منصرفه من القصر الى بيته بعد التراويح في احدى ليالي رمضان سنة ثمانين في رهط من الاوغاد كان يطوف بهم في سكك المدينة ويطرق معهم بيوت أهل الستر والحشمة في سبيل الفساد فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتا وغدا الخبر على السلطان صبيحة تلك الليلة فقام في ركائبه وبث الطلب عن أولئك الرهط في جوانب المدينة ثم بلغه أن ابنه أبا تاشفين صاحب الفعلة فأغضى وطوى عليها جوانحه وأقطع أبا تاشفين مدينة وهران كما وعده وبعث ابنه أبا زيان على بلاد حصين والمدية كما كان ثم طلب أبو تاشفين من أبيه أن تكون الجزائر خالصة له فأقطعه اياها وأنزل بها من اخوته يوسف بن الزابية بما كان شيعة له من بينهم وفئة في صحبته ومخالصته فأقام واليا عليها والله أعلم

حركة أبي حمو على ثغور المغرب الاوسط ودخول ابنه أبي تاشفين الى جهات مكناسة

كان أبو العباس بن السلطان أبي سالم ملك بني مرين بالمغرب الاقصى قد نهض في عساكره سنة ثلاث وثمانين الى مراكش وبها الامير عبد الرحمن بن يفلوسن بن السلطان أبي علي مقاسمه في نسبه وملكه وكان قد سوّغ له مراكش وأعمالها عند ما أجلب معه على البلد الجديد سنة خمس وسبعين كما في أخبارهم واستقر الامير عبد الرحمن بمراكش ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أحمد ونهض اليه من فاس فحاصره أولا وثانيا يفرج فيهما عنه ثم نهض اليه سنة أربع وثمانين فحاصره وأخذ بمخنقه وأطال حصاره وكان يوسف بن علي بن غانم أمير المعقل من العرب منتقضا على السلطان وقد بعث السلطان العساكر الى احيائه فهزموه وخربوا بيوته وبساتينه بسجلماسة ورجعوا وأقام هو بصحرائه منتقضا فلما جهد الحصار الامير عبد الرحمن بمراكش بعث أبا العشائر ابن عمه منصور بن السلطان أبي علي الى يوسف بن علي بن غانم ليجلب به على فاس وبلاد المغرب فيأخذ بحجزة السلطان عنه وينفس من مخنقه فسار يوسف بن علي مع أبي العشائر الى السلطان أبي حمو بتلمسان يستنجده على هذا الغرض لقدرته عليه دون العرب بماله من العساكر والابهة فأنجده على ذلك وقدم ابنه أبا تاشفين معهم وخرج هو في أثرهم فساروا الى المغرب ونزل يوسف بن علي بقومه قريبا من مكناسة ومعه الاميران أبو العشائر وأبو تاشفين وجاء أبو حمو من خلفهم فحصر تازى سبعا وخرب قصر تازروت المعد هنالك لنزل السلطان وكان السلطان قد استخلف على فاس في مغيبه علي بن مهدي العسكري من عمال دولته ووجوه قبيله وكان هنالك عرب المنبأة من المعقل قد أخذوا الميرة فأهاب بهم وترمار بن عريف ولي الدولة من عرب سويد وهو نازل بقصر مرادة من جوار تازى فاستألفهم لمدافعة أبي حمو وابنه وخرج بهم علي بن مهدي ثم وصل الخبر باستيلاء السلطان على مراكش منتصف خمس وثمانين فأجفل أبو تاشفين وأبو العشائر ومن معهما من العرب واتبعهم علي بن مهدي بمن معه من المنباة وأجفل أبو حمو على تازى ومر بمرادة على قصر وترمار فهدمه وعاث فيه وانكفأ راجعا الى تلمسان وفارقا بنه أبو تاشفين أصحابه أبا العشائر والعرب ولحق بأبيه الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

نهوض السلطان أبي العباس صاحب المغرب الى تلمسان واستيلاؤه عليها واعتصام أبي حمو بجبل تاجموت

لما استولى السلطان أبو العباس على مراكش كما قلناه رجع الى دار ملكه بفاس

وقد أسفه السلطان أبو حمو باجلابه على وطنه هو وابنه أبو تاشفين مع العرب أيام مغيبه بمراكش فأجمع الرحلة الى تلمسان وخرج في عساكره وراجع يوسف بن على الطاعة ورحل معه في جموعه وبلغ الخبر الى السلطان أبي حمو فتردد بين الحصار بتلمسان ومفارقتها وكان بينه وبين ابن الاحمر صاحب الاندلس مواصلة ولابن الاحمر دالة على السلطان أبي العباس كما فكان يحفظ له الشأن في قصد تلمسان ويلبثه عنها فيعطيه المقادة في ذلك فعلل هو السلطان أبا حمو بأن السلطان أبا العباس لا يصل اليه ثم أجمع السلطان أبو العباس أمره ونهض على حين غفلة معتدا الى تلمسان وتقدم الخبر الى أبي حمو فأجمع مفارقة تلمسان بعد أن أظهر لاوليائه وأهل دولته أنه على الحصار ثم خرج حين عشية الى معسكره بالصفيف وافتقده أهل بلده من صبيحتهم فتبادر أكثرهم اليه متعلقين بأذياله خوفا من معرة العدو ثم ارتحل يطوى المراحل الى البطحاء ودخل السلطان أبو العباس تلمسان واستولى عليها وجهز العساكر لاتباع أبي حمو وقومه فأجفل من البطحاء ولحق بتاجموت فاعتصم بمعقلها ولحق به ابنه المنتصر من مليانة بما كان معه من الذخيرة فاستمد بها وأقام هنالك عازما على الامتناع والله تعالى أعلم

{ رجوع السلطان أبي العباس الى المغرب واختلال دولته ورجوع السلطان أبي حمو الى ملكه بتلمسان }

كان السلطان أبو العباس لما استولى على مملكة تلمسان طير كتبه ورسله بفتحها الى ابن الاحمر صاحب الاندلس ويعتذر اليه من مخالفة رأيه في الحركة اليها وقد كان ابن الاحمر أسفه ذلك الى ما انطم اليه من النزعات الملوكية التي يوسف بها بعضهم بعضا وهو يطوى جوانحه عليها واطلع على فساد طاقة السلطان أبي العباس في أهل دولته وفقدضمائرهم له فأزعج لوقته موسى ابن السلطان أبي عنان من أعياص ملكهم كان عنده بالاندلس وجهزه بما يحتاج اليه وبعث في خدمته مسعود بن رحو بن ماسالى وزيرهم المشهور وأركبه السفن الى سبتة فنزلوا بساحتها أول ربيع سنة ست وثمانين واستولوا عليها ثم تقدموا الى فاس فنازلوا دار الملك أياما وبها محمد بن حسن كاتب محمد ابن عثمان القائم بدولة السلطان أبي العباس والمستبد عليه واشتدوا في حصارها وتوافت اليهم الامداد والحشود فداخله الخور وألقى بيده وداخل السلطان موسى الى دار الملك تاسع عشر ربيع الاول من السنة وجلس على أريكته وآتاه الناس طاعتهم وطار الخبر الى السلطان أبي العباس بتلمسان وقد تجهز لاتباع أبي حمو ونزل على مرحلة من تلمسان بعد أن أغراه وترمار بن عريف أمير سويد بتخريب قصور الملك بتلمسان

وكانت لا يعبر عن حسنها اختطها السلطان أبو حمو الاول وابنه أبو تاشفين واستدعى لها الصناع والفعلة من الاندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان فبعث اليهما السلطان أبو الوليد صاحب الاندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالاندلس فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله فأشار ونزمار على السلطان أبي العباس بتخريب هذه القصور وأسوار تلمسان انتقاما بزعمه من أبي حمو وأخذا بالثار منه فيما اعتمده من تخريب قصر الملك بتازى وتخريب قصره هو بمرادة فأتى عليها الخراب أسرع من لمح البصر وبينما هو في ذلك وهو يروم السفر لاتباع أبي حمو اذ جاءه الخبر بأن السلطان موسى بن عمه السلطان أبي عنان قد استولى على دار ملكهم بفاس واقتعد أريكتهم فكر راجعا الى المغرب لا يلوى على شئ وترك تلمسان لشأنها وكان من أمره ما يأتي ذكره في أخبارهم وطار الخبر الى السلطان أبي حمو بمكانه من تاجحموت فاغذ السير الى تلمسان ودخلها وعاد الى ملكه بها وتفجع لتلك القصور بما ذهب من رونق حسنها وراجع دولته بني عبد الواد وسلطانهم بتلمسان والله سبحانه وتعالى أعلم

(تجدد المنافسة بين أولاد السلطان أبي حمو ومجاهرة أبي تاشفين بذلك لهم ولابيه)

كان التنافس بين هؤلاء الاولاد خفياء على الناس بما كان السلطان أبوهم يؤامل بينهم ويدارى بعضهم عن بعض فلما خرج أبو حمو أمام بني مرين وعادوا الى تلمسان صار تنافسهم الى العداوة واتهم أبو تاشفين أباه بممالاة اخوته عليه فشعر لعقوقه وعداوته وشعر السلطان بذلك فأعمل الحركة الى ناحية البطحاء موريا باصلاح العرب ومعتزما على لقاء ابنه المنتصر بمليانة جناحه ويخلص الى الجزائر فيجعلها دار ملكه بعد أن استخلف بتلمسان ابنه أبا تاشفين وحالفه على المناصحة واطلع موسى بن يخلف على خبيئة السلطان بذلك فدس بها الى أبي تاشفين على عادته فطار به الاسف كل مطار وأغذ السير من تلمسان فيمن معه من العسكر وصبح أباه بأسافل البطحاء قبل أن يتصل بالمنتصر وكشف القناع عن التنكر والتسخط على ما بلغه فحلف له السلطان على ذلك وأرضاه بالرجوع معه الى تلمسان فرجعا جميعا

(خلع السلطان أبي حمو واستبداد ابنه أبي تاشفين بالملك واعتقاله اياه)

ولما رجع السلطان من البطحاء وبطل ما كان يؤمله من الاتصال بالمنتصر دس اليه مع خالصة من أهل دولته يعرف بعلي بن عبد الرحمن بن الكليب بأحمال من المال يودعها الى أن يجد السبيل لحاجة نفسه وكتب له بولاية الجزائر ليقيم بها حتى يخلص اليه واطلع موسى على ذلك فأطلع أبا تاشفين على الخبر فبعث في أثره من حاشيته من اغتال ابن

الكتب وجاء اليه بالمال والكتب فاطلع منها على حقيقة أمرهم وأنهم متربصون به فاستشاط وجاهر أباه وغدا عليه بالقصر فأوقفه على الكتاب وبالغ في عذله وتحيز موسى ابن يخلف الى أبي تاشفين وهجر باب السلطان وأغرى به ابنه فغدا على أبيه بالقصر بعد أيام وخلعه وأسكنه بعض حجر القصر ووكل به واستخلص ما كان معه من الاموال والذخيرة ثم بعث به الى قصبة وهران فاعتقله بها واعتقل من حضر بتلمسان من اخوته وذلك آخر ثمان وثمانين وبلغ الخبر الى المنتصر بمليانة وأبي زيان وعمير فلحقوا بقبائل حصين واستذموا بهم فأذموهم وأنزلوهم عندهم بجبل تيطري وجمع أبو تاشفين العساكر واستألف العرب من سويد وبني عامر وخرج في طلب المنتصر واخوته ومن بمليانة فملكها ثم تقدم الى جبل تيطري وأقام في حصارهم به وهم ممتنعون عليه والله تعالى أعلم

(خروج السلطان أبي حمو من الاعتقال ثم القبض عليه وتغريبه الى المشرق)

لما طال مقام أبي تاشفين على تيطري لحصار اخوته ارتاب بأمر أبيه وطول مغيبه عنه وشاور أصحابه في شأنه فأشاروا بقتله واتفقوا على ذلك فبعث أبو تاشفين ابنه أبا زيان في ملأ من حاشيته فيهم ابن الوزير عمران بن موسى وعبد الله بن الخراساني فقتلوا من كان معتقلا بتلمسان من أبناء السلطان وتقدموا الى وهران وسمع أبو حمو بقدومهم فأوجس الخيفة منهم واطلع من جدران القصبة ينادي بالصريخ في أهل البلد فتبادروا اليه من كل جهة وتدلى لهم بحبل وصله من عمامته التي كان معتما بها فشالوه حتى استقر بالارض واجتمعوا اليه وكان الرهط الذين جاؤا لقتله بباب القصر وقد أغلقه دونهم فلما سمعوا الهيعة واستيقنوا الامر طلبوا النجاة بدمائهم واجتمع أهل البلد على السلطان وتولى كبر ذلك خطيبهم وجددوا له البيعة وارتحل من حينه الى تلمسان فدخلها أوائل تسع وثمانين وهي يومئذ عورة بما كان بنو مرين هدموا من أسوارها وأزالوا حصنها وبعث فيمن كان مخالفا بأحياء بني عامر من أكابرهم ووجوههم فقدموا عليه وطار الخبر الى أبي تاشفين بمكانه من حصار تيطري فانكفأ راجعا الى تلمسان فيمن معه من العساكر والعرب وبادره قبل أن يستكمل أمره فأحيط به ونجا الى مأذنة الجامع فاعتصم بها ودخل أبو تاشفين القصر وبعث في طلبه وأخبر بمكانه فجاء اليه بنفسه واستنزله من المأذنة وأدركته الرقة فجهش بالبكاء وقبل يده وغدا به الى القصر واعتقله ببعض الحجر هنالك ورغب اليه أبوه في تسريحه الى المشرق لقضاء فرضه

بعض تجار النصارى المترددين الى تلمسان من القيطلان على حمله الى الاسكندرية وأركبه السفن معهم بأهله من مرسى وهران ذاهبا الطيبة موكلا به وأقبل أبو تاشفين

على القيام بدولته والله تعالى أعلم

نزول السلطان أبي حمو بجاية من السفن واستيلاؤه على تلمسان ولحاق أبي تاشفين بالمغرب

لما ركب السلطان أبو حمو السفين ذاهبا الى الاسكندرية وفارق أعمال تلمسان وحاذى بجاية داخل صاحب السفينة في أن ينزله بجاية فأسعفه بذلك فخرج من الطارمة التي كان بها معتقلا وصار الموكلون به في طاعته وبعث الى محمد بن أبي مهدى قائد الاسطول بجاية المستبد على أمرها من ولد السلطان أبي العباس بن أبي حفص وكان محمد خالصة المستنصر بن أبي حمو من ناحية دولتهم قد خلص الى بجاية من تطرى بعد ما تنفس الحصار عنهم فبعثه ابن أبي مهدى الى السلطان أبي حمو بالاجابة الى ما سأل وأنزله بجاية آخر تسع وثمانين وأسكنه ببستان الملك المسمى بالرفيع وطير بالخبر الى السلطان بتونس فشكر له ما آتاه من ذلك وأمره بالاستبلاغ في تكريمه وأن يخرج عساكر بجاية في خدمته الى حدود عمله متى احتاج اليها ثم خرج السلطان أبو حمو من بجاية ونزل متيجة واستنفر طوائف العرب من كل ناحية فاجتمعوا اليه ونهض يريد تلمسان واعصوصب قومه بنو عبد الواد على أبي تاشفين بما بذل فيهم من العطاء وقسم من الاموال فنابذوا السلطان أبا حمو واستصعب أمرهم وخرج الى الصحراء وخلف ابنه أبا زيان في جبال شلف مقيما لدعوته وبلغ الى تاسة من ناحية المغرب وبلغ الخبر الى أبي تاشفين فبعث عسكرا الى شلف مع ابنه أبي زيان ووزيره محمد بن عبد الله بن مسلم فتواقفوا مع أبي زيان بن السلطان أبي حمو فهزمهم وقتل أبو زيان بن أبي تاشفين ووزيره بن مسلم وجماعة من بني عبد الواد وكان أبو تاشفين لما بلغه وصول أبيه الى تاسة سار اليه من تلمسان في جموعه فأجفل أبو حمو الى وادى صا واستجاش بالاحلاف من عرب المعقل هنالك فجاؤا لنصره ورعوا زمامه فنزلها وأقام أبو تاشفين قبالته وبلغه هنالك هزيمة ابنه ومقتله فولى منهزما الى تلمسان وأبو حمو في اتباعه ثم سرح أبو تاشفين مولاه سعادة في طائفة من العسكر لمحاولة العرب في التخلي عن أبي حمو فانتهز فيه الفرصة وهزمه وقبض عليه وبلغ الخبر الى أبي تاشفين بتلمسان وكان يؤمل النجاح عند سعادة فيما توجه فيه فأخفق سعيه وانفض عنه بنو عبد الواد والعرب الذين معه وخرج هاربا من تلمسان مع أوليائه من سويد الى مشاتيهم بالصحراء ودخل السلطان أبو حمو تلمسان في رجب سنة تسعين وقدم عليه أبناؤه فأقاموا معه بتلمسان فطرق المنتصر ابنه المرض فهلك بها لأيام من دخوله تلمسان واستقر الامر على ذلك والله أعلم

(نهوض أبي تاشفين بعساكر بني مرين ومقتل السلطان أبي حمو)

لما خرج أبو تاشفين من تلمسان امام أبيه واتصل بأحياء سويد أجمعوا رأيهم على الاستنجاد بصاحب المغرب فوفد أبو تاشفين ومعه محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبي العباس صاحب فاس وسلطان بني مرين صريخين على شأنهما فقبل وفادتهما ووعدهما بالنصر من عدوهما وأقام أبو تاشفين عنده ينتظر انجاز وعده وكان بين أبي حمو وابن الاحمر صاحب الاندلس وشيجة ود وعقيدة وصلة ولابن الاحمر دالة وتحكم في دولة أبي العباس صاحب المغرب بما سلف من مظاهرته على أمره مذ أولى دولته فبعث أبو حمو في الدفاع عنه من اجازة أبي تاشفين من المغرب اليه فلم يجبه صاحب المغرب وفاء بذمته وعلله بالقعود عن نصره وألح عليه ابن الاحمر في ذلك فتعلل بالمعاذير وكان أبو تاشفين قد عقد لاول قدومه مع وزير الدولة محمد بن يوسف بن علال حلفا اعتقد الوفاء به فكان هواه في انجاده ونصره من عدوه فلم يزل يفتل لسلطانه في الذروة والغارب ويلوي عن ابن الاحمر المواعيد حتى أجابه السلطان الى غرضه وسرح ابنه الامير أبا فارس والوزير محمد بن يوسف بن علال في العساكر لمصارخة أبي تاشفين وفصلوا عن فاس أواخر احدى وتسعين وانتهوا الى تازي وبلغ خبرهم الى السلطان أبي حمو فخرج من تلمسان وجمع أشياعه من بني عامر والخراج بن عبيد الله وقطع جبل بني ورنيد المطل على تلمسان وأقام بالغيران من جهاته وبلغ الخبر الى أبي تاشفين فقدم الى تلمسان محمد المكر والخديعة وشيطان الفتنة والشر موسى بن يخلف فاستولى عليها وأقام دعوة أبي تاشفين فيها فطير الخبر الى أبي حمو ابنه عمير فصبحه بها لليلة من مسيرة فأسلمه أهل البلد وتقبض عليه وجاء به أسيرا الى أبيه بمكانه من الغيران فوبخه أبو حمو على فعاله ثم أذاقه أليم عقابه ونكاله وأمر به فقتل أشنع قتلة وجاءت العيون الى أبي فارس بن صاحب المغرب ووزيره ابن علال بمكان أبي حمو واغرابه بالغيران فنهض الوزير ابن علال في عساكر بني مرين لغزوه وسار أمامهم سليمان بن ناجي من الاحلاف احدى بطون المعقل يدل بهم طريق القفر حتى صبحوه ومن معه من احياء الخراج في مكان مقامتهم بالغيران وناوشوهم القتال فلم يطيقوهم لكثرتهم وولوا منهزمين وكبا بالسلطان أبي حمو فرسه فسقط وأدركه بعض فرسانهم وعرفه فقتله قعصا بالرماح وبادروا برأسه الى الوزير بن علال وأبي تاشفين وجيء بابنه عمير أسيرا وهم أبو تاشفين أخوه بقتله فنعوه أياما ثم أمكنوه منه فقتله ودخل أبو تاشفين تلمسان أواخر احدى وتسعين وخيم الوزير وعساكر بني مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب وأقام هو بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب

ويخطب له على منابره ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(مسير أبي زيان بن أبي حمو لحصار تلمسان ثم اجفاله عنها ولحاقه بصاحب المغرب)

كان السلطان أبو حمو قد ولى على الجزائر ابنه أبا زيان لما عاد الى ملكه بتلمسان وأخرج منها أبا تاشفين فلما قتل أبو حمو بالغيران كما قلناه خرج أبو زيان من الجزائر ناجيا الى أحياء حصين يؤمل الكرة بهم والاخذ بثار أبيه وأخيه فاشتملوا عليه وأجابوا صريخه ثم وفد عليه أمراء بني عامر من زغبة يدعونه للملكة فسار اليهم وقام بدعوته وطاعته شيخهم المسعود بن صغير ونهضوا جميعا الى تلمسان في رجب سنة ثنتين وتسعين فحاصروها أياما وسرب أبو تاشفين المال في العرب فافترقوا على أبي زيان وخرج اليه أبو تاشفين فهزمه في شعبان من السنة ولحق بالصحراء وامتنع بأحياء المعقل وعاود حصار تلمسان في شوال وبعث أبو تاشفين ابنه صريخا الى المغرب فجاء بمدد من العسكر ولما انتهى الى تاوريرت أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل الى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخا فتلقاه وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه وأقام عنده الى حين مهلك أبي تاشفين والله تعالى أعلم

(وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان)

لم يزل هذا الامير أبو تاشفين مملكا على تلمسان ومقيما فيها الدعوة صاحب المغرب أبي العباس بن السلطان أبي سالم ومؤديا للضريبة التي فرضها عليه منذ أول ملكه وأخوه الامير أبو زيان مقيم عند صاحب المغرب ينتظر وعده في النصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبي تاشفين في بعض النزغات الملوكية فأجاب داعي أبي زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة خمس وتسعين وانتهى الى تازى وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به ثم هلك منه في رمضان من السنة وكان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم وكان يمت اليه بخؤولة فولى بعده مكانه صبيا من ابنائه وقام بكفالته وكان يوسف بن أبي حمو وهو ابن الزابية واليا على الجزائر من قبل أبي تاشفين فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب ودخل تلمسان فقتل أحمد بن العز والصبي المكفول ابن أخيه تاشفين فلما بلغ الخبر الى السلطان أبي العباس صاحب المغرب خرج الى تازى وبعث من هنالك ابنه أبا فارس في العساكر ورد أبا زيان بن أبي حمو الى فاس ووكل به وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان فملكها وأقام فيها دعوة أبيه وتقدم وزير أبيه صالح بن حمو الى مليانة فملكها وما بعدها من الجزائر وتدلس الى حدود بجاية واعتصم يوسف بن الزابية بحصن تاجحموت وأقام الوزير صالح يحاصره وانقرضت دعوة بني عبد

الوادمن المغرب الاوسط والله غالب على أمره

وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط

كان السلطان أبو العباس بن أبي سالم لما وصل الى تازى وبعث ابنه أبا فارس الى تلمسان فملكها وأقام هو بتازى يشارف أحوال ابنه ووزيره صالح الذى تقدم لفتح البلاد الشرقية وكان يوسف بن على بن غانم أميراً ولاد حسين من المعقل قد حج سنة ثلاث وتسعين واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق وتقدمت الى السلطان فتنة واخبرته بمحله من قومه فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجة هدية الى صاحب المغرب بطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم بها يوسف على السلطان أبى العباس عظم موقعها وجلس فى مجلس جعله لعرضها والمباهاة بها وشرع فى المكافأة عنها بتخير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك ما رضيه واعتزم على انفاذها مع يوسف بن على حاملها الاول وانه يرسله من تازى أيام مقامته هنالك فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه فى محرم سنة ست وتسعين واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فبايعوه بتازى وولوه مكانه ورجعوا به الى فاس وأطلقوا أبا زيان بن أبى حمو من الاعتقال وبعثوا به الى تلمسان أميراً عليها وقائما بدعوة السلطان أبى فارس فيها فسار اليها وملكها وكان أخوه يوسف بن الزابية قد اتصل بأحياء بنى عامر يروم ملك تلمسان والاجلاب عليها فبعث اليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك وبذل لهم عطاء جزيلا على أن يبعثوا به اليه فأجابوه الى ذلك وأسلموه الى ثقات أبى زيان وساروا به فاعترضهم بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى أخيه أبى زيان فسكنت أحواله وذهبت الفتنة بذهابه واستقامت أمور دولته وهم على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره وقد انتهى بنا القول فى دولة بنى عبد الواد من زناتة الثانية (وبقى) علينا خبر الرهط الذين تحيزوا منهم الى بنى مرين منذ أول الدولة وهم بنو كمى من فصائل على ابن القاسم اخوة طاع الله بن على وخبر بنى كندوز أمرائهم بمراكش فلنرجع الى ذكر أخبارهم وبها نستوفى الكلام فى أخبار بنى عبد الواد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

يوسف بن السلطان أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله

أبو تاشفين

عمر

أبو زيان محمد بن عثمان

ابو ثابت

أبو تاشفين بن أبي حمو موسى بن عثمان

فارس

أبو زيان

زكراز

عثمان

الحسن بن جابر بن يوسف

عبد الملك بن محمد بن قاسم بن درع

عثمان بن يحيى بن محمد بن أحمد بن يعلى

يوسف بن محمد

عمر بن عوض

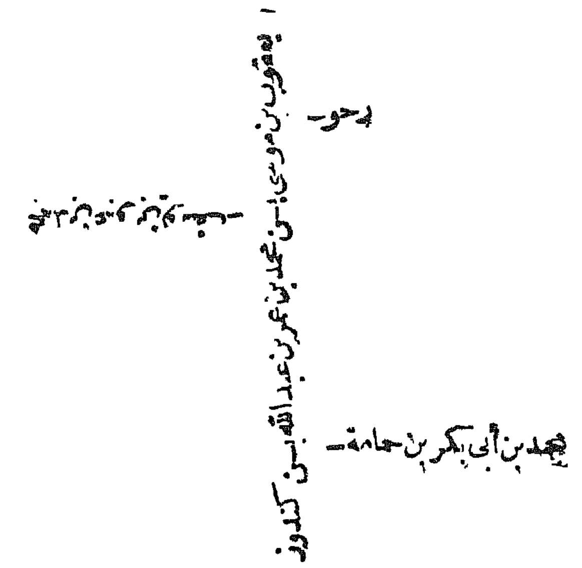
الناصر

بعض بني

(الخبر عن بني كمي احد بطون بني القاسم بن عبد الواد وكيف نزعوا الى بني مرين وما صار لهم بنواحي مراكش وأرض السوس من الرياسة)

قد تقدم لنا أول الكلام في بني عبد الواد أن بني كمي هؤلاء من شعوب القاسم وأنهم بنو كمي بن يمل بن يزكن بن القاسم اخوة طاع الله وبني دلول وبني معطي دلول وبني معطي بن جوهر بن علي وذكرنا ما كان بين طاع الله وبين اخوانهم بني كمي من الفتنة وكيف قتل كندوز بن عبد الله كبير بني كمي زيان بن ثابت بن محمد كبير بني طاع الله وأن جابر بن يوسف بن محمد القائم بالامر من بعده ثار منهم بزيان وقتل كندوز غيلة أوحربا وبعث برأسه الى يغمراسن بن زيان فنصب عليها أهل البيت القدور شفاية لنفوسهم واستمر الغلب بعده على بني كمي فلحقوا بحضرة تونس وكبيرهم اذ ذاك عبد الله ابن كندوز ونزلوا على الامير أبي زكريا حتى كان من استيلائه على تلمسان ما قدمنا ذكره وطمع عبد الله في الاستبداد بتلمسان فلم يتفق ذلك ولما هلك مولانا الامير أبو زكريا وولي ابنه المنتصر أقام عبد الله صدرا من دولته ثم ارتحل هو وقومه الى المغرب ونزل على يعقوب بن عبد الحق قبل فتح مراكش فاهتز يعقوب لقدومه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مراكش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم وجعل السلطان انتجاع ابله ورواحله في أحيائهم وقدم على رعايتها احسان ابن أبي سعيد الصبيحي وأخاه موسى وصلا في لفيفه من بلاد المشرق وكانا عارفين برعاية الابل والقيام عليها وأقاموا يتقلبون في تلك البلاد ويتعدون في نجعتها الى أرض السوس وأوفد يعقوب بن عبد الحق عبد الله بن كندوز هذا على المنتصر صاحب افريقية سنة خمس وستين مع عامر بن أخيه ادريس كما قدمناه والتحم بنو كمي ببني مرين وأصبحوا احدى بطونهم وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم من بعده لابنه عمر بن عبد الله فلما نهض يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الى المغرب الاوسط وشغل بحصار تلمسان وتحدث الناس بما نزل ببني عبد الواد من بني مرين أخذت بني كمي الحمية وامتعضوا لقومهم وأجمعوا الخلاف والخروج على السلطان ولحقوا بحاحة سنة ثلاث وسبعمائة واستولوا على بلاد السوس فخرج اليهم أخو السلطان الامير بمراكش يعيش بن يعقوب فناجزوه الحرب بتادارت وغلبوه واستمروا على خلافهم ثم عاود محاربتهم بتامطولت سنة أربع بعدها فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم وقتل عمر بن عبد الله وجماعة من كبرائهم وفروا أمامه الى الصحراء ولحقوا بتلمسان وهدم يعيش بن يعقوب تارودنت قاعدة أرض السوس وأقام بنو كندوز

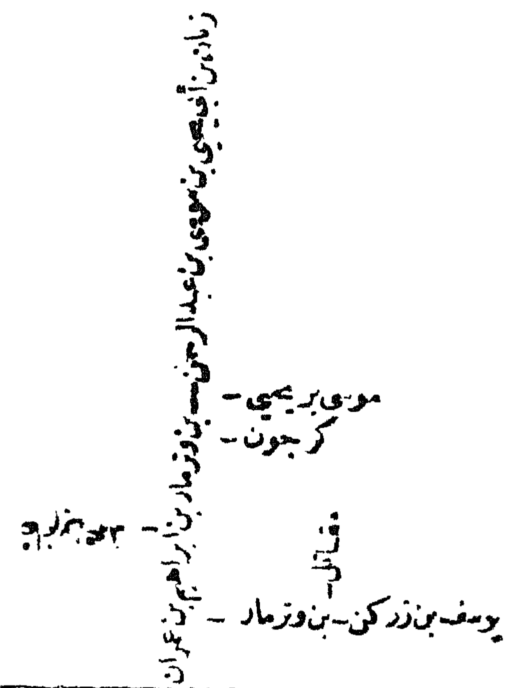
بعدها بتلمسان نحوا من ستة أشهر ثم توجسوا الغدر من ولد عثمان بن يغمراسن فرجعوا
الى مراكش واتبعهم عساكر السلطان وأبلى منهم فى القتال عنهم محمد بن أبى بكر بن
حمامة بن كندوز وخلصوا الى منجاتهم مشردين بصحراء السوس الى أن هلك
السلطان يوسف بن يعقوب وراجعوا طاعة الملوك بالمغرب فعفوا لهم عما سلف من
هذه الجريرة وأعادوهم الى مكانهم من الولاية فأمحضوا النصيحة والمخالصة وكان
أميرهم من بعد عمر ابنه محمد وأقام فى امارتهم سنين ثم ابنه موسى بن محمد من بعده كذلك
واستخلصه السلطان أبو الحسن أيام الفتنة بينه و بين أخيه أبى على لعهد أبيهما
السلطان أبى سعيد ومن بعيده فكانت له فى المدافعة عن نواحى مراكش آثار وأيام
ثم هلك موسى بن محمد فولى السلطان أبو الحسن مكانه ابنه يعقوب بن موسى ولما غلب
على تلمسان وأمار بنى عبد الواد فى خوله وجنوده تمشت رجالاتهم وساموا أشجانهم
حتى اذا كانت واقعة القيروان وتواقف السلطان وبنى سليم داخلهم يعقوب بن موسى
فى أن يخذل عن السلطان اليهم بنى عبد الواد ومن اليهم من مغراوة وتوجين وأوعدهم
لذلك ثم مشى فى قومه وكافة بنى عبد الواد فأجابوه الى ذلك ولحقوا جميعا ببنى سليم فجروا
بذلك الهزيمة على السلطان بالقيروان المشهورة ولحقوا بعدها بتلمسان وولوا أمرهم
فى بنى يغمراسن وهلك يعقوب بن موسى بافريقية ولحق أخوه رحو بالمغرب وكان
السلطان أبو عنان قد استعمل على جماعتهم وعملهم عبو بن يوسف بن محمد وهو ابن عمهم
دنيا فأقام فيهم كذلك حتى هلك فولى من بعده ابنه محمد بن عبو وهم على ذلك لهذا العهد
يعسكرون للامير بمراكش ويتولون من خدمة السلطان ما لهم فيه الغناء والكفاية
فكأنهم بمعزل عن بنى عبد الواد لاستحكام العداوة بمقتل زيان بن ثابت والله وارث
الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره ولا معبود سواه



(الخبر عن بنى راشد بن محمد بن بادين وذكر أوليتهم وتصاريف أحوالهم)

وانما قدمنا ذكرهم قبل استتمام بنى بادين لانهم لم يزالوا أحلافا لبنى عبد الواد ومن جملتهم فكانت أخبارهم من أخبارهم وأما راشد أبوهم فهو أخو بادين واختص بنوه كما قلنا بنى عبد الواد وكانت مواطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد اسم أبيهم وكانت مواطن مديونة من قبائل البربر قبلة تاسالت وبنو ورنيد من بطون دمر قبلة تلمسان الى قصر سعيد وكان جبل هوارة موطنا لبنى يلوما الذين كان لهم الملك كما قدمنا ولما اضمحل أمر بنى يلوما وذهبت دولتهم زحف بنو راشد هؤلاء من بطونهم بجبل راشد الى بسائط مديونة وبنى ورنيد فشنوا عليهم الغارات وطالت بينهم الحرب الى أن غلبوهم على مواطنهم وألجؤهم الى الاوعار فاستوطن بنو ورنيد الجبل المطل على تلمسان واستوطن مديونة جبل تاسالت وملك بنو راشد بسائطهم ثم استوطنوا جبلهم المعروف بهم لهذا العهد وهو بلد بنى يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان لاول الاسلام وكان منهم أبو قرة الصفرى كما قدمناه وكان منهم بعد ذلك يعلى بن محمد الامير الذى قتله جوهر الصقلى قائد الشيعة كما ذكرناه فى أخبارهم ويعلى هو الذى اختط بهذا الجبل مدينة ايفكان الذى هدمها جوهر يوم قتله فلما ملك بنو راشد هذا الجبل استوطنوه وصار حصنا لهم ومجالاتهم فى ساحة القبلة الى أن غلبهم العرب عليها لهذا العهد وألجؤهم الى الجبل وكان غلب بنى راشد على هذه الاوطان بين دخول بنى عبد الواد الى المغرب الاوسط وكانوا شيعة لهم وأحلافا فى فتنتهم مع بنى توجين وبنى

مرين وكانت رياستهم في بيت منهم يعرفون ببني عمران وكان القائم بها الاول دخولهم
ابراهيم بن عمران واستبد عليه اخوه وترمار وقام بأمرهم الى أن هلك فولى ابنه
مقاتل بن وترمار وقتل عمه ابراهيم وافترقت رياسة بني عمران من يومئذ بين بني ابراهيم
وبني وترمار الا أن رياسة بني ابراهيم أظهر فولى بعد ابراهيم بن عمران ابنه وترمار
وكان معاصر اليغمراسن بن زيان وطال عمره ولما هلك لتسعين من المائة السابعة ولى
أمرهم غانم ابن أخيه محمد بن ابراهيم ثم كان فيهم من بعده موسى بن يحيى بن وترمار
لا أدري معاقبا لغانم أو توسطهما أحد ولما زحف بنو مرين الى تلمسان آخر زحفهم
صار بنو راشد هؤلاء الى طاعة السلطان أبي الحسن وشيخهم لذلك العهد أبو يحيى
موسى بن عبد الرحمن بن وترمار بن ابراهيم وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجون بن
وترمار وانقرض أمر بني عبد الواد وأشياعهم ونقل بنو مرين رؤس زناتة أجمع الى
المغرب الاقصى فكان بنو وترمار هؤلاء ممن صار الى المغرب وأوطنوه الى أن صار
الامر لبني عبد الواد الكرة الثالثة على يد أبي حمو الاخير موسى بن يوسف وكان شيخ بني
راشد لعهده ابن أبي يحيى بن موسى المذكور أقبل اليهم من المغرب من ايالة بني مرين
فاتهمه أبو حمو بمداخلتهم فتقبض عليه واعتقله مدة بوهران وفر من معتقله فلحق
بالمغرب وارتحل بين أحيائهم مدة ثم رجع الى الطاعة واقتضى العهد من السلطان
أبي حمو وولاه على قومه ثم تقبض عليه واعتقله الى أن قتله بمحبسه سنة ثمان وستين
وسبعمائة وانقرض أمر بني وترمار بن ابراهيم وأما بنو وترمار بن عمران فقام بأمرهم
بعد مقاتل ابن وترمار أخوه أبو زركن بن وترمار ثم ابنه يوسف بن أبي زركن ثم آخرون
من بعدهم لم تحضرني أسماؤهم الى أن غلب عليهم بنو وترمار بن ابراهيم وقد ذهبت لهذا
العهد رياسة أولاد عمران جميعا وصار بنو راشد هؤلاء خولا للسلطان وبقيتهم بجبلهم
على الحال التي ذكرناها والله وارث الارض ومن عليها



{الخبر عن بني توجين من شعوب بني يادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة}
{وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الاوسط وأولية ذلك ومصايره}

كان هذا الحي من أعظم أحياء بني يادين وأوفرهم عددا وكانت مواطنهم حفافي وادي شلف قبلة جبل وانشريس من أرض السرسو وهو المسمى لهذا العهد نهر صا وكان بأرض السرسو بجهة الغرب منه بطون من لواتة وغلبهم عليها بنو وجديجن ومطماطة ثم صارت أرض السرسو لبني توجين هؤلاء واستضافوها الى مواطنهم لاولى وصارت مواطنهم ما بين موطن بني راشد وجبل درالك في جانب القبلة وكانت لهم رياسة أيام صنهاجة لعطية بن دافلتن وابن عمه لقمان بن المعتز كما ذكره ابن الرقيق ولما كانت فتنة حماد بن بلكين مع عمه باديس ونهض اليه باديس من القيروان حتى احتل بوادي شلف تحيز اليه بنو توجين هؤلاء وكان لهم في حروب حماد آثار مذكورة وكان لقمان بن المعتز أظهر من عطية بن دافلتن وكان قومهم يومئذ زهاء ثلاثة آلاف وأوفد لقمان ابنه بدرا على باديس قبل اللقاء طاعة له وانحياشا فلما انهزم حماد رعى لهم باديس انحياشهم اليه وسوغ لهم ما غنموه وعقد للقمان على قومه ومواطنه وعلى ما يفتحه من البلاد بدعوته ثم انفرد برياستهم بعد حين بنو دافلتن ويقال انه دافلتن بن أبي بكر بن الغلب وكانت رياستهم لعهد الموحدين لعطية بن مناد بن العباس بن دافلتن وكان يلقب

عطية الحيو وكانت بينهم لعهده وبين بنى عبد الواد حروب كان متولى كبرها من بنى عبد الواد شيخهم لذلك العهد اعدوى بن يكنيجن بن القاسم فلم تزل تلك الفتنة بينهم الى أن غلبهم بنو عبد الواد آخرا على مواطنهم كما نذكره ولما هلك عطية الحيو قام بأمرهم أبو العباس وكانت له آثار فى الاجلاب على ضواحى المغرب الاوسط ونقض طاعة الموحدين الى أن هلك سنة سبع وستمائة دس عامل تلمسان يومئذ أبو زيد بن لوحان من اغتاله فقتله وقام بأمرهم من بعده ابنه عبد القوى فانفرد برياستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكره وكان من أشهر بطون بنى توجين هؤلاء يومئذ بنو يدللتن وبنو قرى وبنو مادون وبنو زندالن وبنو وسيل وبنو قاضى وبنو مامت ويجمع هؤلاء الستة بنو مدن ثم بنو تيغرين وبنو يرناتن وبنو منكوش ويجمع هؤلاء الثلاثة بنو مرغين ونسب بنى زندالن دخيل فيهم وانما هم من بطون مغراوة وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوى بن العباس بن عطية الحيو هكذا رايت نسبه لبعض مؤرخى زناتة المنكوشى وكانت رياسة بنى توجين جميعا عند انقراض أمر بنى عبد المؤمن لعبد القوى بن العباس بن عطية الحيو واحياؤهم جميعا بتلك المجالات القبلية فلما وهن أمر بنى عبد المؤمن وتغلب مغراوة على بسائط متيجة ثم على جبل وانشريس نازعهم عبد القوى هذا وقومه أمر وانشريس وغالبوهم الى أن غلبوهم عليه واستقر فى ملكهم وأوطنه بنو تيغرين وبنو منكوش من أحيائهم ثم تغلبوا على منداس وأوطنها أحياء بنى مدن جميعا وكان الظهور منهم لبنى يدللتن ورياسة بنى يدللتن لبنى سلامة وبقى بنو يرناتن من بطونهم بمواطنهم الاولى قبلة وانشريس وكان من أحلاف بنى عطية الحيو بنو تيغرين منهم خاصة وأولاد عزيز بن يعقوب ويعرفون جميعا بالوزراء ولما تغلبوا على الاوطان والتلول وأزاحوا مغراوة عن المدية ووانشريس وتافركينت واستأثروا بملكها وملك الاوطان عن غربيها مثل منداس والجعبات وتاوغزوت ورئيسهم لذلك العهد عبد القوى بن العباس والكل لأمره فصار له ملك بدوى ولم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا ائتلاف الرحلتين يتابون فى مشاتيهم الى مصاب والزاب وينزلون فى المصايف بلادهم هذه من التل ولم يزل هذا شأن عبد القوى وابنه محمد الى أن تنازع بنوه الامر من بعده وقتل بعضهم بعضا وتغلب بنو عبد الواد على عامة أوطانهم وأحيائهم واستبد عليهم بنو يرناتن وبنو يدللتن فصاروا الى بنى عبد الواد وبقى أعقابهم بجبل وانشريس الى أن انقرضوا على ما نذكره بعد وكان عبد القوى لما غلب مغراوة على جبل وانشريس اختط حصن مرات بعد أن كان منديل المغراوى شرع فى اختطاطه فبنى منه القصبة ولم يكمله فاكمله محمد بن عبد القوى من بعده ولما استبد بنو أبى حفص بأمر افريقية وصارت لهم

خلافة الموحدين نهض الامير أبو زكريا الى المغرب الاوسط ودخلت فى طاعته قبائل صنهاجة وفرت زناتة أمامه وردد اليهم الغزو فأصاب منهم وتقبض فى بعض غزواته على عبد القوى بن العباس أمير بنى توجين فاعتقله بالحضرة ثم من عليه وأطلقه على أن يستألف له قومه فصاروا شيعة له ولقومه آخر الدهر ونهض الامير أبو زكريا بعدها الى تلمسان فكان عبد القوى وقومه فى جملته حتى اذا ملك تلمسان ورجع الى الحضرة عقد لعبد القوى هذا على قومه ووطنه وأذن له فى اتخاذ الآلة فكانت أول مراسم الملك لبنى توجين هؤلاء وكانت حالهم مع بنى عبد الواد تختلف فى السلم والحروب ولما هلك السعيد على يد يغمراسن وقومه كما ذكرناه استنفر يغمراسن سائر أحياء زناتة لغزو المغرب ومسابقة بنى مرين اليه فنفر معه عبد القوى فى قومه سنة سبع وأربعين وانتهوا الى تازى واعترضهم أبو يحيى بن عبد الحق أمير بنى مرين فى قومه فنكصوا واتبعهم الى انكاد فكان اللقاء وانكشفت جموع بنى يادين وكانت الهزيمة التى ذكرناها فى أخبار بنى عبد الواد وهلك عبد القوى مرجعه منها فى سنته بالموضع المعروف باجون من مواطنهم وتصدى للقيام بعده بامرهم ابنه يوسف فمكث فى تلك الامارة اسبوعا ثم قتله على جدث أبيه أخوه محمد بن عبد القوى ولى عهد أبيه سابع مواراته وفر ابنه صالح بن يوسف الى بلاد صنهاجة بجبال المدية فأقام بها هو وبنوه واستقل محمد برياسة بنى توجين واستغلظ ملكه وكان الفحل الذى لا يقرع أنفه ونازعه يغمراسن أمره ونهض الى حربه سنة تسع وأربعين وعمد الى حصن تافركنيت فنازله وبه يومئذ حافده على بن زيان بن محمد فى عصابة من قومه فحاصره أياما وامتنعت عليه فارتحل عنها ثم تواضعوا أوزار الحرب ودعاه يغمراسن الى مثل ما دعا اليه أباه من غزو بنى مرين فى بلادهم فأجاب ونهضوا سنة سبع وخمسين ومعهم مغراوة فانتهوا الى كلدمان ما بين تازى وأرض الريف ولقيهم يعقوب بن عبد الحق فى جموعه فانكشفوا ورجعوا منهزمين الى بلادهم كما ذكرناه وكانت بينه وبين يغمراسن بعد ذلك فتن وحروب فنازله فيها بجبل وانشريس مرات وجاس خلال وطنه ولم يقع بعدها بينهما مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك وسموه الى التغلب على زناتة أجمع وبلادهم وكانوا جميعا منحاشين الى الدولة الحفصية وكان محمد بن عبد القوى كثير الطاعة للسلطان المستنصر (ولما نزل) النصارى الافرنجة بساحل تونس سنة ثمان وستين وطمعوا فى ملك الحضرة بعث المستنصر الى ملوك زناتة بالصريخ فصرفوا وجوههم اليه وخف من بينهم محمد بن عبد القوى فى قومه ومن احتشد من أهل وطنه ونزل على السلطان بتونس وأبلى فى جهاد العدو وأحسن البلاء وكانت له فى أيامه معهم مقامات مذكورة ومواقف

مشهورة وعند الله محتسبة معدودة ولما ارتحل العدو عن الحضرة وأخذ محمد بن عبد
القوى فى الانصراف الى وطنه أسنى السلطان جائزته وعم بالاحسان وجوه قومه
وعساكره وأقطعه بلاد مغراوة وأوماش من وطن الزاب وأحسن منقلبه ولم يزل بعد
ذلك متقلبا بطاعته مستظهرا على عدوه بالانحياش اليه ولما استغلظ بنو مرين على
يغمراسن بعد استيلائهم على أمصار المغرب واستبدادهم بملكه وصل محمد يده بهم فى
الاستظهار على يغمراسن وأوفد ابنه زيان بن محمد عليهم ولما نهض يعقوب بن عبد
الحق الى تلمسان سنة سبعين وأوقع بيغمراسن فى الوقيعة التى هلك فيها ابنه فارس نهض
محمد بن عبد القوى للقائه ومر فى طريقه بالبطحاء وهى يومئذ ثغر لأعمال يغمراسن
فهدمها ولقى يعقوب بن عبد الحق فى ساحة تلمسان مباهيا بآلته فأكرم يعقوب
وفادته وبر مقدمه ونازلوها أياما فامتنعت عليهم وأجمعوا على الافراج وتأنى لهم
يعقوب بن عبد الحق متلوما عليها الى أن يلحق محمد وقومه ببلادهم حذرا عليهم من غائلة
يغمراسن ففعل وملأ حقائبهم باتحافه وجنب لهم مائة من الجياد العتاق بالمراكب
الثقيلة وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من
السلاح والفازات والاخبية والعملان وارتحلوا ولحق محمد بن عبد القوى بمكانه من
جبل وانشريس واتصلت حروبه مع يغمراسن وكثر اجلابه على وطنه وعيثه فى بلاده
وهو مع ذلك مقيم على موالاة يعقوب واتحافه بالعتاق من الخيل والمستجاد من الطرف
حتى ان يعقوب اذا اشترط على يغمراسن فى مهادنته جعل سلمهم من سلمه وحربهم من
حربه وبسببهم كان نهوض يعقوب بن عبد الحق سنة ثمانين لما اشترط عليه ذلك ولج فى
قبوله فنهض اليه واوقع به بخرزوزة ثم أناخ عليه بتلمسان ووافاه هنالك محمد بن عبد
القوى فلقيه بالقصاب وعاثوا فى نواحى تلمسان نهبا وتخريبا ثم أذن يعقوب لمحمد
وقومه فى الانطلاق الى بلادهم وتلوم هو بمكانه من ضواحى تلمسان مدة منجاتهم الى
مكانهم من وانشريس حذرا عليهم من اعتراض يغمراسن ولم يزل شأنهما ذلك الى أن
هلك يغمراسن بسدلونة من بلاد مغراوة خاتمة احدى وثمانين وفى خلال ذلك استغلظ
بنو مرين على بنى عبد الواد واستوسق لمحمد هذا ملكه فتغلب على أوطان صنهاجة
بجبال المدية وأخرج الثعالبة من جبل تيطرى بعد أن غدر بمشيختهم وقتلهم فانزاحوا
عنه الى بسائط متيجة وأوطنوها واستولى محمد على حصن المدية وهو المسمى بأهل المدية
بفتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وهاء النسب فى آخرها وهم بطن من
بطون صنهاجة وكان المختط لها بلكين بن زيرى ولما استولى محمد عليها وعلى ضواحيها
انزل أولاد عزيز بن يعقوب من حشمه بها وجعلها لهم موطنا وولاية وفر بنو صالح بن

أخيه يوسف بن عبد القوى من مكانهم بين صنهاجة منذ مقتل أبيه يوسف كما ذكرناه ولحقوا ببلاد الموحدين بافريقية فلقوهم مبرة وتكريما وقطعوا لهم بضواحى قسنطينة فى ايالة الملوك من آل أبى حفص يعسكرون معهم فى غزواتهم ويبلون فى حروبهم ويقومون بوظائف خدمتهم وكان الموالى من أولاد عزيز على المدية حسن بن يعقوب وبنوه من بعده يوسف وعلى وكانت مواطنهم ما بين المدية ومواطنهم الاول ماخنون وكان بنو يدللتن أيضا من بنى توجين قد استولوا على حصن الجعبات وقلعة تاوغزوت ونزل القلعة كبيرهم سلامة بن على مقيما على طاعة محمد بن عبد القوى وقومه فاتصل ملك محمد بن عبد القوى فى ضواحى المغرب الاوسط ما بين مواطن بنى راشد الى جبال صنهاجة بنواحى المدية وما فى قبلة ذلك من بلاد السرسو وجباله الى أرض الزاب وكان يبعد الرحلة فى مشتاه فينزل الروسن ومغرة والمسيلة ولم يزل دأبه ذلك ولما هلك يغمراسن سنة احدى وثمانين كما ذكرناه استجدت الفتنة بين عثمان ابنه وبين محمد بن عبد القوى على اثر ذلك سنة أربع وثمانين وولى من بعده ابنه سيد الناس فلم تطل مدة ملكه وقتله أخوه موسى لسنة أو نحوها من بعده مهلك أبيه وقام موسى بن محمد فى امارة بنى توجين نحوا من عامين وكان أهل مرات من أشد أهل وطنه شوكة وأقواهم غائلة فحدثته نفسه أن يستلم مشيختهم ويريح نفسه من محاذرتهم فأجمع لذلك ونزلها ونذروا بشأنه ورأيه فيهم فاستماتوا جميعا وثاروا به فقاتلهم ثم انهزم مثخنا بالجراحة وألجؤه الى مهاول الحصن فتردى منها وهلك وولى من بعده عمر بن اخيه اسمعيل بن محمد مدة اربعة أعوام ثم غدر به أولاد عمه زيان بن محمد فقتلوه وولوا كبيرهم ابراهيم بن زيان وكان حسن الولاية عليهم يقال ما ولى بعد محمد فيهم مثله وفى خلال هذه الولايات استغلظ عليهم بنو عبد الواد واشتدت وطأة عثمان بن يغمراسن عليهم بعد مهلك أبيهم محمد فنهض اليهم سنة ست وثمانين وحاصرهم بجبل وانشريس وعاث فى أوطانهم ونقل زروعها الى مازونة حين غلب عليها مغراوة ثم نازل حصن تافركينت وملكها بمداخلة القائد بها غالب الخصى مولى سيد الناس بن محمد وقفل الى تلمسان ثم نهض الى أولاد سلامة بقلعة تاوغزوت وامتنعوا عليه مرارا ثم أعطوه اليد على الطاعة ومفارقة بنى محمد بن عبد القوى فنبذوا اليهم العهد وصاروا الى ايالة عثمان بن يغمراسن وفرضوا لهم المغارم على بنى يدللتن وسلك عثمان بن يغمراسن مسلك التضريب بين قبائل بنى توجين وتعريضهم على ابراهيم بن زيان أميرهم فعدا عليه زكرار بن أعجمى شيخ بنى مادون وقتله بالبطحاء فى احدى غزواته لسبعة أشهر من ملكه وولى بعده موسى بن زرارة بن محمد بن عبد القوى بايع له بنو تيغرين واختلف سائر بنى توجين فأقام بعض سنة

وعثمان بن يغمراسن فى خلال هذا يستألف بنى توجين شعبا فشعبا الى أن نهض الى
جبل وانشريس فملكه وفر أمامه موسى بن زرارة الى نواحى المدية وهلك فى سفره ذلك
ثم نهض عثمان الى المدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها بمداخلة المدية من قبائل
صنهاجة غدروا بأولاد عزيز وأمكنوه منها ثم انتقضوا عليه لسبعة أشهر ورجعوا الى
ايالة أولاد عزيز فصالحوا عثمان بن يوسف على الاتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن
عبد القوى وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد توجين ثم شغل بما دهمه من مطالبة
بنى مرين أيام يوسف بن يعقوب فولى على بنى توجين من بنى محمد بن عبد القوى أبو بكر بن
ابراهيم بن محمد مدة عامين أخاف فيها الناس وأساء السيرة ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده
أخاه عطية المعروف بالاصم وخالفهم أولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا ليوسف
ابن زيان بن محمد وزحفوا الى جبل وانشريس فحاصروا به عطية وبنى تيغرين عاما
أو يزيد وكان يحيى بن عطية كبير بنى تيغرين هو الذى تولى البيعة لعطية الاصم فلما
اشتد بهم الحصار واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان ورغبه
فى ملك جبل وانشريس فبعث معه الجيوش لنظر أخيه أبى سرحان ثم أخيه أبى يحيى
وكان نهوض أبى يحيى سنة احدى وسبعمائة فتوغل فى ناحية الشرق ولما رجع صمد الى
جبل وانشريس فهدم حصونه وقفل ونهض ثانية الى بلاد بنى توجين فشردهم عنها
وأطاعه أهل تافركينت ثم انتهى الى المدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه
يوسف بن يعقوب فانتقض أهل تافركينت بعد صدوره عنهم ثم راجع بنو عبد القوى
بصائرهم فى التمسك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم وأعادهم الى
بلادهم وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وجعل وزارته ليحيى بن عطية
فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه لمحمد بن
عطية الاصم واستقام على طاعته وقتا ثم انتقض بين يدى مهلكه سنة ست وحمل قومه
على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجافى بنو مرين من بعدها لبنى يغمراسن عن
جميع الامصار التى تملكوها بالمغرب الاوسط استمكن بنو يغمراسن منها ودفعوا المتغلبين
عنها ولحق الفل من أولاد عبد القوى ببلاد الموحدين فحلوا من دولتهم محل الايثار
والتكرمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوى مع الملوك من آل أبى حفص مقام الخلة
والمصافاة الى أن هلك وبقى عقبه فى جند السلطان ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين
تغلب على جبل وانشريس من بعدهم كبير بنى تيغرين أحمد بن محمد من أعقاب يعلى بن
محمد سلطان بنى يفرن فأقام يحيى بن عطية هذا فى رياستهم أياما ثم هلك وقام بأمره من بعده
أخوه عثمان بن عطية ثم هلك وولى من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل

وانشريس واستقل أولاد عزيز بالمدية ونواحيها ورياستهم ليوسف وعلى ابنى حسن ابن يعقوب والكل فى طاعة أبى حمو سلطان بنى عبد الواد لما غلبهم على أمرهم وانتزع الرياسة من بنى عبد القوى أمرائهم الى أن خرج على السلطان أبى حمو ابن عمه يوسف ابن يغمراسن ولحق بأولاد عزيز فبايعوه وداخلوا فى كشانة عمر بن عثمان كبير بنى تيغرين وصاحب جبل وانشريس فأجابهم وأصفق معهم سائر الاعشار ويكوشة وبنو برناتن وزحفوا مع محمد بن يوسف الى السلطان أبى حمو فى عسكره تسهل ففضوه وكان من شأن فتنته معهم ماذكرناه فى أخبار بنى عبد الواد الى ان هلك السلطان أبو حمو وولى ابنه أبو تاشفين فنهض اليهم فى العساكر وكان عمر بن عثمان قد لحقته الغيرة من مخالصة محمد بن يوسف لاولاد عزيز دون قومه فداخل السلطان أبا تاشفين فى الانحراف عنه فلما نزل بالجبل ولحق محمد بن يوسف بحصن توكال ليمتنع به نزع عنه عمر ابن عثمان ولحق بأبى تاشفين ودله على مكامن الحصن فدلف اليه أبو تاشفين وأخذ بمخنقه وافترق عن محمد بن يوسف أولياؤه وأشياعه فنقبض عليه وقيد أسيرا الى السلطان أبى تاشفين فقتل بين يديه قعصا بالرماح سنة تسع عشرة وبعث برأسه الى تلمسان وصلب شلوه بالحصن الذى امتنع فيه أيام انتزائه ورجع أمر وانشريس الى عمر بن عثمان هذا وحصلت ولايته لابى تاشفين الى أن هلك بتلمسان فى بعض أيامهم مع بنى مرين أعوام نازلها السلطان أبو الحسن كما ذكرنا فى أخبار الحصار ثم لما تغلب بنو مرين على المغرب الاوسط استعمل السلطان أبو الحسن ابنه نصر بن عمر على الجبل وكان خبروال وفاء بالذمة والطاعة وخلوصا فى الولاية وصدقا فى الانحياش واحسانا للمملكة وتوفيرا للجباية ولما كانت نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان وتطاول الاعياص من زناتة الى استرجاع ملكهم انتزى بضواحى المدية من آل عبد القوى عدى بن يوسف بن زيان ابن محمد بن عبد القوى وناغى الخوارج فى دعوتهم واشتمل عليه بنو عزيز هؤلاء وبنو برناتن جيرانهم وزحف الى جبل وانشريس ايمثال مع الحشم من يلى أمرهم والمداخلين لعدوهم فى قطع دابرهم وكبيرهم يومئذ نصر بن عمر بن عثمان وبايع نصر المسعود بن أبى زيد بن خالد بن محمد بن عبد القوى من أعقابهم ثم خلص اليهم من جملة عدى بن يوسف حذرا على نفسه من أصحابه وقاتلهم عدى وقومه فامتنعوا عليه ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لنصر بن عمر وقومه ثم دخل عدى فى جملة السلطان أبى الحسن لما خلص من تونس الى الجزائر وبقى مسعود بينهم وملكه أبو سعيد بن عبد الرحمن لما ملك تلمسان هو وقومه فلم يزل هنالك الى أن غلبهم السلطان أبو عنان فسار فى جملته بعد أن فر الى زواوة واستنزله منها ونقله الى فاس وانقضى

ملكهم ودولتهم وانقطع أثر بنى محمد بن عبد القوى وأقام نصر بن عمر فى ولاية جبل وانشريس وعقد له السلطان أبو عنان عليه سائر دولته ولم يزل قائما بدعوة بنى مرين من بعده الى أن غلبهم السلطان أبو حمو الاخير وهو ابن موسى بن يوسف على الامر فأعطاه نصر الطاعة ثم اضطرمت نار الفتنة بين العرب وبين بنى عبد الواد أعوام سبعين وسبعمائة وقاموا بدعوة أبى زيان بن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو فانحاش نصر بن عمر اليهم وأخذ بدعوة الامير أبى زيان حينا ثم هلك أيام تلك الفتنة وقام بأمرهم من بعده أخوه يوسف بن عمر متقبلا مذاهبه وهو لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين صاحب جبل وانشريس وحاله مع أبى حمو مختلف فى الطاعة والخلاف والله مالك الامور لا رب غيره ولا معبود سواه

قالوا

محمد بن عيسى بن موسى بن محمد

عمر

عدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية الحمو بن مناد بن العباس بن دافلتن بن أبي بكر بن القلمية

- ابراهيم
- عمر بن ابراهيم
- موسى بن زرارة
- مسعود بن يوزيد بن خالد
- محمد بن عطية بن ابراهيم
- سيد الناس
- موسى
- أبو بكر
- يحيى بن صالح بن عمر بن صالح بن يوسف
- زيان بن يوسف بن موسى
- يحيى

(الخبر عن بنى سلامة أصحاب قلعة تاوغزوت رؤساء بنى يدللتن من بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وأوليتهم ومصايرهم)

كان بنو يدللتن هؤلاء من شعوب بنى توجين وأشدهم شوكة وأوفرهم عددا وكان لهم ظهور من بين سائر تلك البطون وكان بنو عبد القوى ملوك بنى توجين يعرفون لهم ذلك ويوجبون لهم حقه ولما دخل الى التلول بعد انقراض بنى يلومى وبنى وماتو ابنو قاضى وبنو مادون بأرض منداس فأوطنوها وجاء بنو يدللتن على اثرهم فأوطنوا الجعبات وتاوغزوت ورياستهم يومئذ لنصر بن سلطان بن عيسى ثم هلك فقام بأمرهم ابنه مناد بن نصر ثم أخوه على بن نصر ثم ابنه ابراهيم بن على من بعده ثم هلك وقام بأمرهم أخوه سلامة بن على على حين استفحل ملك عبد القوى وبنيه فاستفحل أمره هو فى قومه واختط القلعة بتاوغزوت المنسوبة اليه والى بنيه وكانت من قبل رباطا لبعض المنقطعين من عرب سويد ويزعم بنو سلامة هؤلاء أنهم دخلاء فى نسب توجين وأنهم من العرب من بنى سليم بن منصور وجاء جدهم عيسى أو سلطان نازعا عن قومه لدم أصابه فيهم فخالطه شيخ بنى يدللتن من بنى توجين بنسبه وكفل بنيه من بعده ولما هلك سلامة بن على قام بأمرهم من بعده ابنه يغمراسن بن سلامة على حين استغلظ بنو عبد الواد على بنى توجين من بعد مهلك محمد بن عبد القوى سلطانهم الاكبر فكان عثمان بن يغمراسن يتردد الى بلادهم بالغزو ويطيل فيها العيث ونازل فى بعض غزواته قلعتهم هذه وبها يغمراسن فامتنع عليه وخالفه يوسف بن يعقوب وبنو مرين الى تلمسان فأجفل على القلعة وسابق بنى مرين الى دار ملكه واتبعه يغمراسن بن سلامة مغيرا فى أعقابه فكر عليه بالمكان المعروف بتليوان ودارت بينهم هنالك حروب هلك فيها يغمراسن بن سلامة وقام بالامر من بعده أخوه محمد بن سلامة فأذعن لطاعته عثمان بن يغمراسن وخالف بنو عبد القوى وجعل الاتاوة على قومه ووطنه لملوك بنى عبد الواد فلم تزل عليهم لملوك تلمسان ولحق أخوه سعد بالمغرب وجاء فى جملة السلطان يوسف بن يعقوب فى غزوته التى حاصر فيها تلمسان حصاره الطويل فرعى لسعد بن سلامة هجرته اليه وولاه على بنى يدللتن والقلعة وفر أخوه محمد بن سلامة فلحق بجبل راشد وأقام هنالك الى أن هلك يوسف بن يعقوب ورجع أمر المغرب الاوسط لبنى عبد الواد فوضعوا الاتاوة على بنى توجين وأصاروهم الى الجباية ولم يزل سعد على ولايته الى أن هلك أبو حمو وولى أبو تاشفين فسخط سعدا وبعث عن أخيه محمد من جبل راشد فولاه مكانه ولحق سعد بالمغرب وجاء فى جملة السلطان أبى الحسن ودخل أخوه محمد مع أبى تاشفين فانحصر بتلمسان وولى سعد بن سلامة مكانه ثم هلك محمد فى بعض أيام الحصار وحروبه ولما انقرض أمر بنى عبد

الواد رغب سعد من السلطان تخلية سبيله لقضاء فرضه فحج وهلك مرجعه من الحج في طريقه وعهد الى السلطان أبي الحسن واستوصاه ببنيه على لسان وليه عريف بن يحيى كبير بني سويد فولى السلطان أبو الحسن ابنه سليمان بن سعد على بني يدللتن والقلعة وانتقض أمر السلطان أبي الحسن وعاد الامر الى أبي سعيد وأبي ثابت ابني عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فكانت بينه وبينهم ولاية وانحراف وكان أولياؤهم من العرب بني سويد من زغبة لما كانوا جيرانهم في مواطنهم من ناحية القبلة فطمع ونزمار بن عريف شيخهم في التغلب على وطن بني يدللتن ومانعه دونه سليمان هذا وبالغ في دفاعه الى أن ملك السلطان أبو عنان بلاد المغرب الاوسط ورعى لونزمار وابنه عريف حق انحياشهم اليه وهجرتهم الى قومه فأقطع ونزمار بن عريف القلعة وما اليها وجباية بني يدللتن أجمع وألحق سليمان بن سعد بن سلامة في جنده ووجوه عسكره الى أن هلك السلطان وعاد الامر لبني عبد الواد على يد أبي حمو الاخير فولى سليمان على القلعة وعلى قومه واستغلظ أمر العرب عليه فاستراب سليمان هذا ونذر بالشر منه فلحق بأولاد عريف ثم راجع الطاعة فتقبض عليه واغتاله وذهب دمه هدرا ثم غلب العرب على عامة المغرب الاوسط وأقطع القلعة وبني يدللتن لأولاد عريف استئلافا لهم ثم أقطعهم بني مادون ثم منداس فأصبحت بطون بني توجين كلها خولا لسويد وعبيدا لجبايتهم الا جبل وانشريس فانه لم يزل لبني تيغرين والوالي عليهم يوسف بن عمر منهم كما قلناه ونظم أبو حمو أولاد سلامة في جنده وأثبتهم في ديوانه وأقطعهم القصبات من نواحي تلمسان في عطائهم وهم على ذلك لهذا العهد وقه الخلق والامر لا رب سواه ولا معبود الا اياه له الحكم واليه ترجعون وهو نعم المولى ونعم النصير وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

يغمراسن

يغمراسن

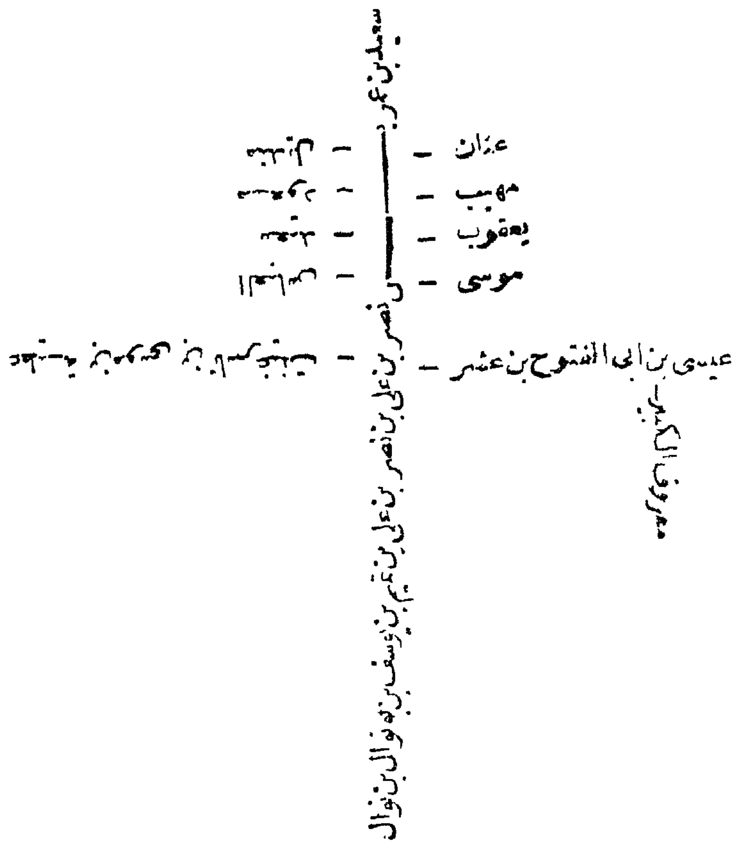
سليمان بن سعد بن سلامة بن علي بن الغمز بن سلطان بن عيسى

الخبر عن بنى يرناتن احدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التغلب والامارة وذكر أوليتهم ومصايرهم

كان بنو يرناتن هؤلاء أوفر قبائل بنى توجين وأعزهم جانبا وأكبرهم صيتا ولما دخل بنو توجين الى تلول المغرب الاوسط أقاموا بمواطنهم الاولى ما بين ماجون وزمنة ثم يعود من القبلة يجولون جانبى نهر واصل من أعلى وادى شلف

وكانت رياستهم فى نصر بن على بن تميم بن يوسف بن بونوال وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم وكان عبد القوى بن العباس وابنه محمد أمراء بنى توجين يختصونهم بالاثرة والتجلة لمكانهم من قومهم وما يؤنسون من عظيم غنائهم وكان محمد بن عبد القوى فى سلطانه يؤثر عليهم من أولاد عزيز وكان واليهم لعهده وعهد بنيه عمر بن حسن بن عزيز وقد كان أصهر مهيب بن نصر الى عبد القوى فى ابنته فأنكحه اياها وولدت له نصر بن مهيب فشرفت خؤولته لمحمد بن عبد القوى وعلا كعبه فى امارته ثم ولى بعده ابنه على بن نصر وكان له من الولد نصر وعشر وآخرون يعرفون بأمهم واسمها تاسرغنت وولى بعده ابنه نصر بن على فطال أمد امارته فى قومه واختلف بنو عبد القوى وغلب بنو عبد الواد على ما بأيديهم فصرفت ملوك زناتة وجه العناية اليه فبعد صيته وعرف بنوه من بعده بشهرته وكان ولودا فيقال انه خلف ثلاثة عشر من البنين ما منهم الا صاحب حرب أو مقنب ومن مشاهيرهم عمر الذى قتله السلطان أبو الحسن بعرات حين سعى به أنه داخل فى اغتياله ففروا أدرك فقتل بعرات ومنهم منديل الذى قتله بنو تيغرين أيام ولوا على بن الناصر وقتلوا معه عمر بن حسن بن عزيز ومنهم عنان ومات قتيلا فى حصار تلمسان أيام أبى تاشفين ومنهم مسعود ومهيب وسعد وداود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف فى آخرين معروفين عندهم هذا شأن أولاد نصر بن على بن نصر بن مهيب وأما ولد عشر أخيه فكان منهم أبو الفتوح بن عشر ثم من ولده عيسى بن أبى الفتوح فكان رئيسا على بنى أبيه وكانت احدى وصائفهم سقطت بدار عثمان بن يغمراسن وادعت الحمل من سيدها أبى الفتوح وجاءت بأخ لعيسى يسمى معروفا ربى بدارهم واستوزره أبو حمو وابنه من بعده وبلغ المبالغ فى دولتهم وكان يدعى معروفا الكبير ولحق به أيام رياسته فى دولة أبى حمو الاول أخوه عيسى بن أبى الفتوح مغاضبا لقومه فسعى له فى الولاية على بنى راشد وجباية أوطانهم وأنزله بلد سعيدة فكانت له بها امارة وكان له من الولد أبو بكر وعمر وطاهر وترمار وعند ما بلغ من مرين على بنى عبد الواد ولاهم السلطان أبو الحسن على بنى يرناتن متداولين وأما ولد تاسرغنت من بنى على بن نصر بن مهيب فلم يكن لهم ذكر فى رياسة قومهم الا أن بعض وصائفهم سقطت أيضا الى دار أبى

تاشفين فولدت غلاما يعرف بعطية بن موسى نشأ فى دارهم ينسب الى بنى تاسرغينت هؤلاء وتنا ولته النجابة فى خدمتهم فولوه الاعمال النبيهة وهو لهذا العهد عامل أبى حمو الاخير على شلف وما اليها وقد غلب العرب لهذا العهد على وطن بنى يرناتن وملكوا عليهم يعود وماحون و بقيت ضبابتهم بجبل ورنيد وعليهم لهذا العهد سعيد بن عمر من ولد نصر بن على بن نصر بن مهيب يعطون المغرم للسلطان و يصانعون العرب بالاتاوة و بيد الله تصاريف الامور سبحانه لا رب غيره



{الخبر عن بنى مرين وأنسابهم وشعوبهم وما تأثلوا بالمغرب من السلطان والدولة}
{التى استعملت سائر زناتة وانتظمت كراسى الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصايره}

قد ذكرنا أن بنى مرين هؤلاء من شعوب بنى واسين وذكرنا نسب واسين فى زناتة وذكرنا أنهم بنو مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن سجيك بن واسين وأنهم اخوة بنى يلومى ومديونة وربما

وعقد له على ذلك الثغر وضم الاعمال اليه وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى فأهمه الشأن وأحضر الملأ من الموحدين وفاوضهم واعتزم على حرب بنى مرين وسرح العساكر سنة خمسين فأحاطت بسلا فافتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابى عبد الله بن أبى يعلوا من مشيخة الموحدين وكان المرتضى قد صمد بنفسه سنة تسع وأربعين الى محاربة بنى مرين فى جموع الموحدين وعساكر الدولة وصمد بنو مرين للقائه والتقى الجمعان بايملوا بن ففضوا جموعه وكانت الدبرة عليه والظهور لهم ثم كان بعد فتح سلا وغلب الموحدين عليها وأجمع المرتضى بعدها على احتشاد أهل سلطانه ومعاودة الخروج بنفسه الى غزوهم لما تخشى من امتداد أمرهم وتقلص ملك الموحدين فعسكر خارج حضرته سنة ثلاث وخمسين وبعث الحاشد فى الجهات فاجتمع اليه أمم الموحدين والعرب والمصامدة وأغذ السير تلقاءهم حتى اذا انتهوا الى جبال بهلولة من نواحى فاس وصمد اليه الامير أبو يحيى فى عساكر بنى مرين ومن اجتمع اليهم من ذويهم والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين القتال فاختل مصاف السلطان وانهزمت عساكره وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مفلولا واستولى القوم على معسكره واستباحوا سرادقه وفساطيطه وانتهبوا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر وامتلأت أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوما له ما بعده وأغزى اثر هذه الحركة بنى مرين تادلا واستباح بنى جابر حاميتها من جشم ببلد ابى نفيس واستلحم ابطالهم ولان من حدهم وخضد من شوكتهم وفى أثناء هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير أبى يحيى شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوثب به فدس لابنه أبى حديد فتاح بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين والله تعالى أعلم

* (الخبر عن فتح سجلماسة وبلاد القبلة وما كان فى ذلك من الاحداث) *

لما يئس بنو عبد المؤمن من غلبهم بنى مرين على ما صار فى أيديهم من بلاد المغرب وعادوا الى مدافعتهم عن صمامة الدولة التى تحملت اياها اشفاقهم لو أطاقوا المدافعة عنها وملك بنو مرين عامة بلاد التلول اعتزم الامير أبو يحيى بعدها على الحركة الى بلاد القبلة ففتح سجلماسة ودرعة وما اليها سنة ثلاث وخمسين وافتتحها بداخلة من ابن القطرانى غدر بعامل الموحدين فتقبض عليه وأمكن منها الامير أبا يحيى فملكها وما اليها من درعة وسائر بلاد القبلة وعقد لابنه أبى حديد وبلغ الخبر الى المرتضى فسرح العساكر سنة أربع وخمسين لاستنقاذها وعقد عليهم لابن عطوش ففروا راجعا الى مراكش ثم نهض سنة خمس وخمسين الى محاربة يغمراسن وبنيه بأبى سليط فأوقع بهم

عبد الحق بن محيو ابن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورزير بن فكوس بن كرماط بن مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت

اسمعيل بن عيسى بن يحيى بن ونسنان

بنو مسعود بن يحيى بن عيسى

بنو عبادي بن يحيى

ونزين

ورداغر

تنالفت

سكالان

شيهام

بنو يعقوب

عمر

سليمان وعلي

بنو عبد الحق

عثمان بن الامذر بن عسكر

منصور بن منديل بن

بنو تنادوت

بنو عسكر

المحصب

الخبر عن امارة عبد الحق بن محيو المستقرة فى بنيه وامارة ابنه عثمان بعده ثم أخيه محمد بن عبد الحق بعدهما وما كان فيهما من الاحداث

لما هلك محيو بن أبى بكر بن حمامة من جراحته كما قلناه وكان له من الولد عبد الحق ووساى ويحياتن وكان عبد الحق أكبرهم فقام بأمر بنى مرين وكان خير أمير عليهم قياما بمصالحهم وتعففا عما فى أيديهم وتقويما لهم على الجادة ونظرا فى العواقب واستمرت أيامهم ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستمائة مرجعه من غزاة العقاب وقام بأمر الموحدين بعده ابنه يوسف المستنصر نصبه الموحدون غلاما لم يبلغ الحلم وشغلته أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك فأضاع الحزم وأغفل الامور وتواكل الموحدون بما أرخى لهم من طيل الدالة عليه ونفس من مخنقهم من قبضة الاستبداد والقهر فضاعت الثغور وضعفت الحامية وتهاونوا بأمرهم وفشلت ريحهم وكان هذا الحى لذلك العهد بمجالات القفار من فيكيك الى صا وملوية كما قدمناه من شأنهم وكانوا يطرقون فى صعودهم الى التلول والارياف منذ أول دولة الموحدين وما قبلها جهات كرسيف الى وطاط ويأنسون بمن هنالك من بقايا زناتة الاولى مثل مكناسة بجبال تازى وبنى يرنيان ومغراوة الموطنين قصور وطاط من أعالى ملوية يتقلبون بتلك الجهات عامة المربع والمصيف وينحدرون الى مشاتيهم بما يمتارونه من الحبوب لاقواتهم فلما رأوا من اختلال بلاد المغرب ما رأوا انتهزوا فيها الفرصة وتخلصوا اليه من القفر ودخلوا من ثناياه وتفرقوا فى جهاته وأوجفوا بخيلهم وركابهم على ساكنيه واكتسحوا بالغارة والنهب سائر بسائطه ولجأت الرعايا الى معتصماتهم ومعاقلهم وكثر شاكيهم وأظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة فآذنوهم بالحرب وأجمعوا لغزوهم وقطع دابرهم وأغزى الخليفة المستنصر عظيم الموحدين أبا على بن وانودين بجميع العساكر والحشود من مراكش وسرحه الى السيد أبى ابراهيم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بمكانه من امارة فاس وأوعز اليه أن يخرج بهم لغزو بنى مرين وأمره أن يثخن ولا يستبقى واتصل الخبر ببنى مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أثقالهم بحصن تازوطا وصمدوا اليهم فالتقى الجمعان بوادى نكور فكان الظهور لبنى مرين والدبرة على الموحدين وامتلأت الايدى من اسلابهم وأمتعتهم ورجعوا الى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب حينئذ واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلا حتى اقتسميت الواقعة يومئذ بعام المشعلة وصمد بنو مرين بعدها الى تازى فقتلوا حاميتها أخرى ثم اختلفت بنو محمد رؤساؤهم وانتبذ عنهم من عشائرهم بنو

عسكر بن محمد لمنافسة وجدوها في أنفسهم من استقلال بني عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم بعد أن كان أومض عندهم منها في عسكر وابنه المخضب ايماض أخلف بارقه فقاتلوا عبد الحق أميرهم وقومه الى مظاهرة أولياء الموحدين وحامية المغرب من قبائل رياح الموطنين بالهبط وازغار الحديث عهدهم بالتعرش والعز منذ انزال المنصور اياهم بذلك المنظر من افريقية فتحيزوا اليهم وكاثروهم على قومهم وصمدوا اجمعون الى لقاء بني مرين سنة أربع عشرة ودارت بينهم حرب تولى الصبر مقامها وهلك فيها أميرهم عبد الحق وكبير بنيه ادريس وقد أمر لمهلكهما بنو مرين وجفلا في تلك الحومة حمامة بن يصلتن من بني عسكر وطير ابن محيو بن السكمي فانكشف رياح آخرا وقتل منهم ابطال وولى بنو مرين عليهم بعد مهلك عبد الحق ابنه عثمان تلو ادريس وشهرته بينهم ادرغال ومعناه برطانتهم الاعور وكان لعبد الحق من الولد عشرة تسعة ذكور وأختهم ورتطليم فادريس وعبد الحق ورحو لامرأة من بني علي اسمها سوط النساء وعثمان ومحمد لامرأة من بني ونكاس تسمى السوار بنت تصاليت وأبو بكر لامرأة من بني تنالفت وهي تاغزونت بنت أبي بكر بن حفص وزيان لامرأة من بني ورتاجن وأبو عياد لامرأة من بني وللواحدى بطون عبد الواد اسمها أم الفرح ويعقوب لام اليمن بنت علي من بطوية وكان أكبرهم ادريس الهالك مع أبيه عبد الحق وقام بأمر بني مرين من بعد عبد الحق ابنه عثمان بايعه لوقته حمامة بن يصلتن وطير بن محيو ومن اليهما من مشيخة قومهما واتبعوا منهزمة رياح وأثخنوا فيهم وثأر عثمان بأبيه وأخيه حتى شفى نفسه منهم ولاذوا بالسلم فسالموهم على اتاوة يؤدونها اليه ولقومه كل سنة ثم استشرى من بعد ذلك داء بني مرين وأعضل خطبهم وكثر الثوار بالمغرب وامتنع عامة الرعايا عن المغرب وفسدت السابلة واعتصم الامراء والعمال من السلطان فمن دونه بالامصار والمدن وغلبوا أولئك على الضاحية وتقلص ظل الحكام عن البدو جملة وافتقد بنو مرين الحامية دون الوطن والرباع فغدوا للبلاد بددا وسار بهم أميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق في نواحي المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه ويضع المغارم على أهله حتى دخل أكثرهم في أمره فبايعوه من الضواحي عن الشاوية والقبائل الآهلة من هوارة وزكارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة ثم صدراتة وبهلولة ومديونة فرض عليهم الخراج وألزمهم المغارم وفرق فيهم العمال ثم فرض على أمصار المغرب مثل فاس وتازى ومكناسة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ثم أغزى ضواحي زناتة سنة عشرين وأثخن فيهم حتى أذعنوا وقبض ايديهم عما امتدت اليه من الفساد والنهب وعطف

بعدها على رياح أهل ازغار والهبط وأثار بيه فأثخن فيهم ولم يزل دأبه ذلك الى أن هلك باغتيال عليه سنة سبع وثلاثين وقام بامر بنى مرين بعده أخوه عبد الحق فتقبل سنن أخيه فى تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم والوصائل من ضواعنه وبدوه وسائر رعاياه وبعث الرشيد أبا محمد بن واندين لحربهم وعقد له على مكناسة وأجحف بأهلها فى المغارم ثم نزل بنو مرين وغير من نواحيها فنادى فى عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من الروم واختلفا ضربتين هلك العلج باحداهما واندرج محمد واندمل جرحه فصار أثرا فى وجهه لقب من أجله بأضربه ثم شد بنو مرين على الموحدين فانكشفوا ورجع ابن واندين الى مكناسة مغلولا وبقى بنو عبد المؤمن أثناء ذلك فى مرض من الايام وتثاقل عن الحماية ثم أومضت دواتهم ايماضة الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة أربعين وستمائة وولى أخوه على وتلقب بالسعيد وبايعته أهل المغرب انصرفت عزائمه الى غزو بنى مرين وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تلك المواطن فأغرى عساكر الموحدين بقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الروم نهضوا سنة ثنتين وأربعين فى جيش كثيف يناهز عشرين ألفا فيما زعموا وزحف اليهم بنو مرين بوادى ماعاش وصبر الفريقان وهلك الامير محمد بن عبد الحق فى الجولة بيد زعيم من زعماء الروم وانكشفت بنو مرين وأتبعهم الموحدون ودخلوا تحت الليل فلحقوا بجبال غياثة من نواحى تازى واعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا عليهم أبا يحيى بن عبد الحق فقام بأمرهم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن دولة الامير أبى يحيى بن عبد الحق مديل الامر لقومه بنى مرين وفاتح الامصار ومقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم

لما ولى أبو يحيى بن عبد الحق أمر بنى مرين سنة ثنتين وأربعين كان من أول ما ذهب اليه ورآه من النظر لقومه ان قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل كلا منهم بناحية سوغها سائر الايام طعمة فاسترتبكوا الرجل اتباعهم واستلحقوا من غاشيتهم وتوفرت عساكرهم ثم نار المنافسة بين أحيائهم وخالف بنو عسكر جماعتهم وصاروا الى الموحدين فحرضوهم على أبى يحيى بن عبد الحق وبنى حمامة وأغروهم بهم وبعثوا الصريخ الى يغمراسن بن زيان فوصل فى قومه الى فاس فاجتمعوا جميعا الى قائد الموحدين وأعطوا الرهن على صدق اللقاء فى الامير أبى يحيى وأشياعه وصمدوا اليه حتى انتهوا الى ورغة ثم الى كرت وأعجزهم فانكفؤا راجعين

الى فاس ونذر يغمراسن بقدوم الموحدين فخرج في قومه مع أوليائه بني عسكر
وعارضهم الامير أبو يحيى بوادي سبو فلم يطق حربهم ورجع عنهم عسكر الموحدين
لما صرخ في معسكرهم من موت الخليفة السعيد ثم بعثوا اليه لملاطفتهم في الفيئة الى
الطاعة ومذاهب الخدمة القائد عنبر الخصي مولى الخليفة في حصة من الروم والناشبة
فتقبض عليهم بنو عسكر وتمسكوا بهم في رهنهم وقتلوا كافة النصارى فأطلق أبناءهم
ولحق يغمراسن وقومه بتلمسان ثم رجع بنو عسكر الى ولاية أميرهم أبي يحيى واجتمع
بنو مرين لشأنهم وتملكوا الاعمال ثم مدوا أعينهم الى تملك الامصار فنزل أبو يحيى
بجملته جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعة الامير أبي زكريا بن حفص صاحب
افريقية لما أنه كان يومئذ على دعوته وفي ولايته وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق
وترديد الغارات ومقادات الحرب الى أن أذعنوا للطاعة فافتتحها صلحا بمداخلة أخيه
يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبي الحسن بن أبي العافية وبعثوا ببيعتهم الى الامير أبي
زكريا وكانت من انشاء أبي المطرف بن عميرة كان قاضيا فيهم يومئذ فأقطع السلطان
ليعقوب ثلث جبايتها ثم أحس الامير أبو يحيى بن عبد الحق من نفسه الاستبداد ومن
قبيله الاستيلاء فاتخذ الآلة وبلغ الخبر الى السعيد بتغلبه على مكناسة وصرفها الى ابن
أبي حفص فوجم لها وفاوض الملأ من أهل دولته في أمره وأراهم كيف اقتطع
الامر عنهم شيأ فشيأ فابن أبي حفص اقتطع افريقية ثم يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد
اقتطعوا تلمسان والمغرب الاوسط وأقاموا فيها دعوة ابن أبي حفص وأطمعوه في الحركة
الى مراكش بمظاهرتهم وابن هود اقتطع عدوة الاندلس وأقام فيها دعوة بني العباس
وابن الاحمر بالجانب الآخر مقيم لدعوة ابن أبي حفص وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على
ضواحي المغرب ثم سموا الى تملك أمصاره ثم افتتح أبو يحيى أميرهم مكناسة وأظهر فيها دعوة
ابن أبي حفص وجاهر بالاستبداد ويوشك ان رضينا بهذه الدنية وأغضينا عن هذه
الواقعات أن يختل الامر وتنقرض الدعوة فتذامروا وامتعضوا وتداعوا للنهوض اليهم
فجهز السعيد عساكر واحتشد عرب المغرب وقبائله واستنفر الموحدين والمصامدة
ونهض من مراكش سنة خمس وأربعين يريد مكناسة وبني مرين أولا ثم تلمسان
ويغمراسن ثانيا ثم افريقية وابن أبي حفص آخرا واعترض العساكر والحشود بوادي
بهت ووصل الامير أبو يحيى بعسكره متوازيا عنهم عينا لقومه حتى صدقهم كنه الخبر وعلم
أن لا طاقة له بهم فأفرج عن البلاد وتناذر بنو مرين بذلك من أماكنهم فلاحقوا
واجتمعوا اليه بتازوطا من بلاد الريف ونزل السعيد مكناسة ولاذ أهلها بالطاعة وسألوا
العفو عن الجريرة واستشفعوا بالمصاحف برزبها الاولاد على رؤسهم وانتظموا مع النساء

في صعيد طمرات منكسرات الطرف من الخشوع ووجوم الذنب والتوسل فخلعهم
وتقبل فيئتهم وارتحل الى تازى في اتباع بني مرين واجتمع بنو واطاس الفنك بأبي يحيى
بن عبد الحق غيرة ومنافسة ودس اليه بذلك مهيب من مشيختهم فترحل الى بني يرناتن
ابن نزول بعين الصفا ثم راجع نظره في مسالمة الموحدين والفيئة الى أمرهم
ومظاهرتهم على عدوهم يغمراسن وقومه من بني عبد الواد ليكون فيه شفاء نفوسهم
فأوفد مشيخة قومه على السيد بتازى فأدوا طاعته وفيئته فتقبلها وصفح لهم عن الجرائر التي
أتوها وسألوه أن يستكفي بالامير أبي يحيى في أمر تلمسان ويغمراسن على أن يمده بالعساكر
رامحة وناشبة فأتهمهم الموحدون وحذروا منهم غائلة العصبية فأمرهم السعيد
بالعسكرة معه فأمده الامير أبو يحيى بخمسمائة من قبائل بني مرين وعقد عليهم لابن عمه
أبي عياد بن أبي يحيى بن حمامة وخرجوا تحت رايات السلطان ونهض من تازى يريد
تلمسان وما وراءها وكان من خبر مهلكه على جبل تامزردكت بني عبد الواد
كما ذكرناه في أخبارهم ولما هلك وانفضت عساكره متسابقين الى مراكش وجمهورهم
يجتمعون الى عبد الله ابن الخليفة السعيد ولي عهده وتحت رايات أبيه وطار الخبر بذلك
الى الامير أبي يحيى بن عبد الحق وهو بجهات بني يرناتن وقد خاص اليه هنالك ابن عمه
أبو عياد وبعث بني مرين من ثبار تلك الصدمة فانتهز الفرصة وأرصد لعساكر
الموحدين وفلهم بكرسيف فأوقع بهم وامتلأت أيدي بني مرين من اسلابهم وانتزعوا
الآلة من أيديهم وأصاروا اليه كتيبة الروم والناشبة من الغزو واتخذ المركب
الملوكي وهلك الامير عبد الله بن السعيد في جوانب تلك الملحمة و للموحدين
بعدها من الكرة فنهض الامير أبو يحيى وقومه الى بلاد المغرب مسابقين اليه
يغمراسن بن زيان بما كان ملوك الموحدين أوجبوهم السبيل الى ذلك باشتطاطه على بني
مرين أيام فتنتهم معهم فكانوا يبعثونه حرم المغرب ويوطونه عساكرهم ما بين تازى الى
فاس الى القصر مع عساكر الموحدين فكان ليغمراسن وقومه بذلك طمع فيها والاستكفاء
بأس بني مرين وجدعهم من أنوفهم وكان أول ما بدا به أبو يحيى بن عبد الحق أعمال
وطاط فافتتح حصونهم بملوية ودوخ جبالهم ثم رجع الى فاس وقد أجمع أمره على انتزاعها
من ملكة بني عبد المؤمن واقامة الدعوة لابن أبي حفص بها وبسائر نواحيها والعامل بها
يومئذ السيد أبو العباس بن فأناخ عليها بركابه وتلطف في مداخلة أهلها
وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم والحماية الكفيلة لهم بحسن
المغبة وصالح العائدة فأجابوه ووثقوا بعهده وعنانه وأووا الى ظله وركنوا الى طاعتهم
واتصال الدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بني عبد المؤمن يأسا من صريخهم وحضر

أبو محمد الفشتالي وأشهده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وحسن الملك والكفالة وتقبل مذاهب العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التي يعرف أثرها خلفهم في تلك البيعة وكانت البيعة بالرابطة خارج باب الفتوح ودخل قصبة فاس لشهرين اثنين من مهلك السعيد فاتح ست وأربعين وخرج السيد أبو العباس من القصبة وأخرج معه سبعين فارسا أجازوه أم الربيع ورجعوا ثم نهض الى منازلة تازى وبها السيد أبو على بن فنازلها أربعة أشهر ثم نزلوا على حكمه فقتلهم ومن على آخرين منهم وسد ثغرها وثقف أطرافها وأقطع رباط تازى وحصون ملوية لاخيه يعقوب بن عبد الحق ورجع الى فاس فوفد عليه بها مشيخة أهل مكناسة وجددوا بيعتهم وعاودوا طاعتهم ولحق بهم على أثرهم أهل سلا ورباط الفتح فتملك الامير أبو يحيى هذه البلاد الاربعة أمهات أمصار المغرب واستولى على نواحيها الى وادى ربيع وأقام فيها دعوة ابن أبي حفص وبعث بها اليه واستبد بنو مرين بملك المغرب الاقصى وبنو عبد الواد بملك المغرب الاوسط وبنو أبي حفص بافريقية وخمدت ذبال عبد المؤمن وركدت ريحهم وأذنت بالانقراض دولتهم وأشرف على الفناء أمرهم والى الله عاقبة الامور سبحانه ما أعظم شأنه لا اله غيره

لما ملك الامير أبو يحيى بن عبد الحق مدينة فاس سنة ست وأربعين واستولى على بلاد المغرب بعد مهلك السعيد وقام بأمر الموحدين بمراكش أبو حفص عمر المرتضى بن السيد ابراهيم بن اسحق الذى كان قائد عسكر الموحدين في حربهم مع بنى مرين عام المشعلة بن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان السعيد تركه واليا بقصبة رباط الفتح من سلا فاستدعاه الموحدون وبايعوه وقام بأمرهم فلما تغلب الامير أبو يحيى على بلاد المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرناه وخرج الى بلاد فازاز والمعدن لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستعمل على فاس مولاه السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بنى مرين وصنائعهم وكان الامير أبو يحيى استبقى من كان فيها من عسكر الموحدين من غير عصبهم في السبيل التي كانوا عليها من الخدمة وكان فيهم طائفة من الروم استخدمهم لنظر قائدهم فكانوا من حصة السعود هنالك ووقعت بينهم وبين شيع الموحدين من أهل البلد مداخلة وفتكوا بالسعود عاملهم وقاموا الدعوة للمرتضى الخليفة بمراكش وتكلف المصار وكان المتولى لكبر تلك الثورة ابن حشار المشرف وأخوه ابن أبي طاهر وابنه اجتمعوا الى القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي زعيم فئة الشورى بينهم يتشذوتا مروا فيها وأوعزوا قائد الروم فقتل

المسعود وعدوا عليه بمقعد حكمه من القصبة وهاجوه ببعض المحاورات فغضب
ووثب عليه الرومي فقتله وطار برأسه الهاتف بسكك المدينة في شوال سنة سبع
وأربعين وانتهبت داره واستبيحت حرمه ونصبوا قائد الروم لضبط البلد وبعثوا
ببيعتهم الى المرتضى واتصل الخبر بالامير أبي يحيى وهو نازل بلاد فازاز فأفرج عنها
وأغذ السير الى فاس فأناخ بعساكره عليها وشمر لحصارها وقطع السابلة عنها وبعثوا
الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لما نزل بهم
وجها غير أنه استجاش بالامير أبي يحيى يغمراسن بن زيان على أمره وأغراه بعدوه وأمله
لكشف هذه النازلة عمن انحاش الى طاعته وتعلقت أطماع يغمراسن بطروق بلاد
المغرب فاحتشد لحركته ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير أبي يحيى عن فاس
وأجاب صريخ الخليفة لذلك وبلغ الامير أبا يحيى خبر نهوضه اليه لتسعة أشهر من منازلة
البلد فجمر الكتائب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده والتقى الجمعان بايسلي من
بسائط وجدة فتزاحف القوم وأبلوا وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن
عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بني عبد الواد ثم انكشف بنو عبد الواد وهلك
يغمراسن بن تاشفين من أكابر مشيختهم ونجا يغمراسن بن زيان الى تلمسان وانكفأ
الامير أبو يحيى بعسكره للاخذ بمخنق فاس فسقط في أيدي أهلها ولم يجدوا وليجة من دون
طاعته فسألوا الامان فبذله لهم على غرم ما تلف له من المال بداره يوم الثورة وقدره مائة
ألف دينار فتحملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها في جمادى من سنة ثمان وأربعين
وطالبهم بالمال فعجزوا ونقضوا شرطه فحق عليهم القول وتقبض على القاضي أبي عبد
الرحمن وابن أبي طاطوا وابنه وابن حشار وأخيه المتولي كبر الفعلة فقتلهم ورفع على
الشرفات رؤسهم وأخذ الباقين بغرم المال طوعا أو كرها فكان ذلك مما عبد رعية فاس
وقادهم لاحكام بني مرين وضرب الرهب على قلوبهم لهذا العهد فخشعت منهم
الاصوات وانقادت الهمم ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يد في فتنة والله مالك
الارض ومن عليها سبحانه

{الخبر عن تغلب الامير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها}

لما كمل للامير أبي يحيى فتح مدينة فاس واستوسق أمر بني مرين بها رجع الى ما كان
فيه من منازلة بلاد فازاز فافتتحها ودوخ أوطان زناتة واقتضى مغارمهم وحسم
علل الثائرين فيها ثم تخطى الى مدينة سلا ورباط الفتح سنة تسع وأربعين فملكهما
وتاخم الموحدين بثغرها واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق

يشهد بذلك جوار مواطنهم قبل الملك ما بين صا وملوية وذكرنا كيف اقتسموا الضاحية والقفر مع اخوانهم بني يادين بن محمد وكيف اتصلت فتنتهم معهم سائر أيامهم وكان الغلب أولا لبني يادين بن محمد لكثرة عددهم فانهم كما ذكرنا خمسة بطون بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبنو زردال واخوانهم بنو راشد بن محمد وكانوا أهل تلول المغرب الاوسط دونهم وبقي هذا الحي من بني مرين بمجالات القفر من فكيك الى سجلماسة الى ملوية وربما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة فيهم قبل تلك العصور وكانت لمحمد بن ورزير بن فكوس بن كرماط بن مرين وأنه كان لمحمد اخوة آخرون يعرفون بأسهم تنابعت وكان بنو عمه ونكاس بن فككوس وكان لمحمد سبعة من الولد شقيقان وهما حمامة وعسكر وابناء علات أمهات أولادهم سنكان وسكميان وسكم وورتاغ وفروت ويسمى هؤلاء الخمسة في لسانهم تيربيعين ومعناه عندهم الجماعة ويزعمون أن محمدا لما هلك قام بأمره في قومه ابنه حمامة وكان الاكبر ثم من بعده أخوه عسكر وكان له من الولد ثلاثة لكوم وأبو يكي ويلقب المخضب وعلي ويلقب الاعذر ولما هلك قام برياسته فيهم ابنه المخضب فلم يزل أميرا عليهم الى أن كان أمر الموحدين وزحف عبد المؤمن الى تاشفين بن علي فحاصره بتلمسان وسرح أبا حفص في العساكر لحرب زناتة بالمغرب الاوسط وجمع له بنو يادين كلهم وبنو يلومي وبنو مرين ومغراوة ففض الموحدون جموعهم واستلحموا أكثرهم ثم راجع بنو يلومي وبنو يادين طاعتهم وأخلص بنو عبد الواد في خدمتهم ونصيحتهم ولحق بنو مرين بالقفر فلما غلب عبد المؤمن بن علي على وهران واستولى على أموال لمتونة وذخيرتهم بعث بتلك الغنائم الى جبل تينمال حيث كانت داره ومن أين كان منبعث الدعوة وبلغ الخبر الى بني مرين بمكانهم بالزاب وشيخهم يومئذ المخضب بن عسكر فأجمع اعتراضها بقومه ولحق العير بوادي تلاغ فاحتازوها من أيدي الموحدين واستنفر عبد المؤمن لاستنقاذها أولياءه من زناتة وسرحهم مع الموحدين لذلك فأبلى بنو عبد الواد فيها بلاء حسنا وكان اللقاء في فحص حسون وانكشف بنو مرين وقتل المخضب بن عسكر واكتسح بنو عبد الواد حللهم وذلك سنة أربعين وخمسمائة فلحق بنو مرين بعدها بصحرائهم ومجالات قفرهم وقام بأمرهم من بعد المخضب ابن عمه حمامة بن محمد الى أن هلك فقام بأمرهم ابنه محيو ولم يزل مطاعا فيهم الى أن استنفرهم المنصور لغزاة الارك فشهدوها وأبلوا فيها البلاء الحسن وأصابت محيو يومئذ جراحة هلك منها بصحراء الزاب سنة احدى وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده وبقائها في عقبه ما نذكره ان شاء الله سبحانه وتعالى

واعتزم على اتباعه فثناه عن رأيه في ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع ولما انتهى الى المقرمدة هذه بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة من بعض أهلها أطمعته في ملكها فأغذ اليهما السير بجموعه ودخلها ولصبيحة دخوله وصل يغمراسن لشأنه فلما علم بمكان أبي يحيى من البلد سقط في يده ويئس من تحلابه ودارت بينهم حرب تكافؤا فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق ابن أخي الامير أبي يحيى وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو يحيى على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربي وداود بن يوسف وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم

{ الخبر عن مهلك أبي يحيى وما كان اثر ذلك من الاحداث التي }
{ تمخضت عن استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالامر }

لما رجع الامير أبو يحيى من حرب يغمراسن بسجلماسة أقام أياما بفاس ثم نهض الى سجلماسة متفقدا الثغورها فانقلب منها عليلا وهلك حتف أنفه على سرير ملكه في رجب سنة ست وخمسين أمضى ما كان عزما وأطول الى تناول الملك يدا اختطفته المنون عن شأنه ودفن بمقبرة باب الفتوح من فاس ضجيع الولي أبي محمد الفشتالي كما عهد لأهل بيته وتصدى للقيام بأمره ابنه عمر واشتمل عليه عامة قومه ومالت المشيخة وأهل الحل والعقد الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عن مهلك أخيه بتازى فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر وأحس عمر بصاغية الناس اليه وحرضه أتباعه على الفتك بعمه فاعتصم بالقصبة وسعى الناس في اصلاح ذات بينهما فتفادى يعقوب عن الامر ودفعه لابن أخيه على أن تكون له بلاد تازى وبطوية وملوية ولما لحق بتازى واجتمع اليه كافة بني مرين عذلوه فيما كان منه فاستلام وحملوه على العودة في الامر ووعدوه من أنفسهم المظاهرة والموازرة فأجاب وبايعوه وصمد الى فاس وبرز عمر للقائه فانتهى الى   ولما تراءى الجمعان خذله جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مغلولا ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر فأجابه الى ذلك ودخل السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وتمت طاعته في بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر كتامة واقتصر عمر على امارة مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله من عشيره عمر وابراهيم ابنا عمه عثمان بن عبد الحق والعباس بن عمه محمد بن عبد الحق فقتلوه وثأروا منه بدم كانوا يعتدونه عليه وهلك لعام أو بعد عام من امارته فكفي يعقوب شأنه واستقام سلطانه وذهب التنازع والمشاق عن أمره وكان يغمراسن بعد مهلك قرنه

الامير أبي يحيى بماله أمل في الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه واستجاش بني توجين ومغراوة وأظاهم في غيل الاسد ونهض الى المغرب حتى انتهوا الى كلدامان وصمد السلطان يعقوب بن عبد الحق الى لقائهم ففلهم ورجعوا الى تفيئته ومر يغمراسن ببلاد بطويه فأحرق واتسف واستباح وأعظم فيها النكاية ورجع السلطان الى فاس وتقبل مذاهب أخيه الامير أبي يحيى في فتح أمصار المغرب وتدويخ أقطاره وكان مما أكرمه الله به أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي النصارى فكان له بها أثر جميل ونذكر خالد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن فجأة العدو مدينة سلا واستنقاذها من أيديهم)

كان يعقوب بن عبد الله قد استعمله عمه الامير أبو يحيى على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون من يده أقام يتغلب في جهاتها مراصدا لأهلها وحاميتها ولما بويع عمه يعقوب بن عبد الحق اسفته بعض الاحوال فذهب مغاضبا حتى نزل غبولة وألطف الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا لعتده اذريعة لما أسرّ في نفسه ففقت له الحيلة وركب عاملها ابن يعلو البحر فارا الى أزمور وخلف أمواله وحرمه فتملك يعقوب بن عبد الله البلد وجاهر بالخلع وصرف الى منازعة عمه السلطان أبي يوسف وجوه العزم وداخل تجار الحرب في الامداد بالسلاح فتماروا في ذلك وكثر تردد المترددين بينهم حتى كثروا أهلها وأسهلوا فيها اغرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين عند شغل الناس بعيدهم وثاروا بسلا وسبوا الحرم وانتهبوا الاموال وضبطوا البلد وامتنع يعقوب بن عبد الله برباط الفتح وطار الصريخ الى السلطان أبي يوسف وكان بتازى مستشرفا لأحوال يغمراسن فنادى في قومه وطار بأجنحة الخيول ووصلها اليوم وليلة وتلاحقت به امداد المسلمين من أهل الديوان والمطوعة ونازلها أربع عشرة ليلة ثم اقتحمها عليهم عنوة وأثخن فيهم بالقتل ثم رمّ بالبناء ما كان متثلما بسورها الغربي حيث أمكنت منه الفرصة في البلد وتناول البناء فيه بيده والله لا يضيع عمل عامل وخشي يعقوب بن عبد الله بادرة السلطان فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد تامسنا وأنفى فملكها وضبطها ولحق يعقوب ابن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرّح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته وسار الى لقاء يغمراسن لقاء المهادنة فلقيه بجو حرمان وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه أبناء أخيه أولاد ادريس ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا يعقوب ابن عمهم عبد الله على رأيه واجتمعوا الى اكبيرهم محمد بن ادريس فمن اليهم من العشير والصنائع فنهض

اليهم واعتصموا بجبال غمارة ثم استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس سنة ستين على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من المطوعة من بني مرين وأغزاهم الى العدوة لجهاد العدو وحملهم وفرض لهم وشفع بها عمله في واقعة سلا وهو أول جيش أجاز من بني مرين فكان لهم في الجهاد والمرابطة مقامات محمودة وذكر خالد تقبل سلفهم فيما خلفهم من بعدهم حسبما نذكره وأقام يعقوب بن عبد الله خارجا بالنواحي متنقلا في الجهات الى أن قتله طلحة بن علي بساقية غبولة من ناحية سلا سنة ثمان وستين فكفى السلطان شأنه وكان المرتضى مذ توالت عليهم الوقائع واستمر الظهور لبني مرين انحجر في جدرانه وتوارى بالاسوار عن عدوه فلم يسم الى لقاء زحف ولا حدث نفسه بشهود حرب واستأسد بنو مرين على الدولة وشرهوا الى التهام وأسفوا الى منازلة مراكش دار الخلافة كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن منازلة السلطان أبي يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان اثر ذلك من نزوع أبي دبوس اليه وكيف نصبه للامر وكان مهلك المرتضى على يده ثم انتقض عليه

لما فرغ السلطان من شأن الخوارج عليه من عشيره استجمع لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم ورأى أنه أوهن لدولتهم وأقوى لأمره عليهم وبعث قومه واحتشد أهل ممالكه واستكمل تعبيته وسار حتى انتهى الى ايكليز واعتزم على ذلك سنة ستين وشارف دار الخلافة ثم نزل بقعرها وأخذ بمخنقها وعقد المرتضى لحربهم للسيد أبي العلاء ادريس المكنى بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن فعبى كتائبه ورتب مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر النصرة فكانت بينهم حروب بعد العهد بمثلها استشهد فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق وكانوا يسمونه برطانتهم العجوب ففت مهلكه في عضدهم وارتحلوا عنها الى أعمالهم واعترضهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم يحيى بن عبد الله بن وانودين فاقتتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين وكان في مسيل الوادي كدى تحسر عنها غمر الماء تبدو كأنها أرجل فسميت الواقعة بها أم الرجلين ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه السيد أبي دبوس بطلبه الامر لنفسه وشعر بالسعاية فخشي بادرة المرتضى ولحق بالسلطان أبي يوسف مدخله الى فاس من منازلته آخر سنة احدى وستين نازعا اليه فأقام عنده مليا ثم سأل منه الاعانة على أمره بعسكر يمده وآلة يتخذها للملك ومال يصرفه في ضروراته على أن يشركه في القسمة والفتح والسلطان فأمده بخمسة آلاف من بني مرين وبالكفاية من المال والمستجاد من الآلة وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل

مملكته ومن سواهم أن يكونوا يدا معه وسار في الكتائب حتى شارف الحضرة ودس
الى أشياعه ومن بداخله من الموحدين في أمره فثاروا بالمرتضى وأخفضوه عنها فلحق
بازمور مستجيشا بصهره ابن عطوش ودخل أبو دبوس الحضرة في المحرم فاتح خمس
وستين وتقبض ابن عطوش عامل أزمور على المرتضى واقتاده أسيرا الى أبي دبوس
فبعث مولاه مزاحما فاحتز رأسه في طريقه واستقل بالخلافة وصبابة آل عبد المؤمن
ثم بعث اليه السلطان في الوفاء بالمشارطة فاستنكف وعتا ونقض العهد وأساء الخطاب
فنهض اليه في جموع بني مرين وعساكر المغرب فحام عن اللقاء وانحجز بمراكش
ونازله السلطان أياما ثم ساح في الجهات والنواحي يحطم الزرع وينسف الاقوات
وعجز أبو دبوس عن دفاعه فاستجاش عليه بيغمراسن بن زيان أن يفت في عضده ويشغله
عما وراءه ويأخذ بحجزته عن التهامه على ما نذكره لو أمهلته الايام وانفسح له الاجل

الخبر عن وقيعة تلاغ بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان باغراء أبي دبوس وتضريبه

لما نازل السلطان أبو يوسف حضرة مراكش وقعد على ترائبه للتوثب عليها لم يجد أبو
دبوس وليجة من دون قصده الاستجاشة بيغمراسن وقومه عليه ليأخذوا بحجزته عنه
ويشغلوه من ورائه فبعث اليه الصريخ في كشف بلواه ومدافعة عدوه وأكد العهد
وأسنى الهدية فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب عدوه من ورائه وشن الغارات على
ثغور المغرب وأضرم نارا فأهاج عليه وعلى قومه من السلطان يعقوب أشاعاديا وأرهف
منه عزما ماضيا وأفرج يعقوب على مراكش بعزم النهوض الى تلمسان ونزل بفاس
فتلوم بها أياما حتى أخذ أهبة الحرب وأكمل استعدادها ورحل فاتح ست وستين وسلك
على كرسيف ثم على تافرطا وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعبى كل منهم كتائبه وزحف
مصافه وبرز النساء سافرات الوجوه على سبيل التحريض لحسن وسعد بن ويرغين
ولما فاء الفيء ومال النهار وكثرت عساكر المغرب وجموع بني عبد الواد ومن اليهم
انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم وهلك أبو حفص عمر كبير ولد يغمراسن وولي عهده
في جماعة من عشيره ذكرناهم في أخباره وأخذ يغمراسن بأعقاب قومه فكان لهم ردأ
الى أن خلصوا من المعترك ووصلوا الى بلادهم في جمادى من سنتهم وعاد السلطان أبو
يوسف الى مكانه من حصار مراكش والله أعلم

الخبر عن السفارة والمهاداة التي وقعت بين السلطان يعقوب ابن عبد الحق وبين المستنصر الخليفة بتونس من آل أبي حفص

كان الامير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص منذ دعا لنفسه بتونس سنة خمس

وعشرين طموحا الى ملك مراكش مقر الدعوة ومنبعث الدعوة وأصل الخلافة وكان
يؤمل لذلك زناتة   من خضد شوكة آل عبد المؤمن وتقليم أظافر بأسهم وبردهم
على أعقابهم أن يخلصوا اليه وتغلب على تلمسان سنة أربعين ودخل يغمراسن بن زيان
فى دعوته وصار فئة له وشيعة على عدوه كما ذكرناه فوصل به جناحه للمدافعة وناغاه بنو
مرين فى مراسلة ابن أبى حفص ومخاطبته والتخفيض عليه فيما يهمه من شأن عدوه
وحمل ما يفتحون من بلاد المغرب على البيعة له والطاعة مثل فاس ومكناسة والقصر
وكان هو يلاطفهم بالتحف والهدايا ويريهم البر فى الكتاب والخطاب والمعاملة
والتكريم للوفد غير سبيل آل عبد المؤمن فكانوا يجنحون بذلك الى مراسلته وايفاد
قرابتهم عليه وولى ابنه المستنصر بعده سنة سبع وأربعين فتقبل مذاهب أبيه وأوفى
عليه بالايعاز اليهم بمنازلة مراكش وضمان الانفاق عليهم فيها فكان يبعث لذلك أحمالا
من المال والسلاح وأعدادا وافرة من الخيل بمراكبها المحملات ولم يزل ذلك دأبه معهم
ولما فعل أبو دبوس فعلته فى نقض العهد واستجمع السلطان لمنازلته قدم بين يدى عمله
مراسلة الخليفة المستنصر يخبره الخبر ويتلطف له فى استنزال المدد فأوفد عليه ابن أخيه
عامر بن ادريس بن عبد الحق وأصحبه عبد الله بن كندوز العبد الوادى كبير بنى كمى وقريع
يغمراسن الذى ثأر يغمراسن من أبيه كندوز بأبيه زيان كما ذكرناه فى أخبارهم وكان
خلص اليه من حضرة المستنصر فلقاه مبرة وتكريما وأوفد معهم الكاتب أبا عبد الله
محمد الكنانى من صنائع دولة آل عبد المؤمن كان نزع الى أخيه الامير أبى يحيى لما رأى
من اختلال الدولة وأنزله مكناسة وآثره بالصحبة والخلة فجمع له يعقوب بن عبد الحق فى
هذا الوفد من الاشراف من يحسن الرياسة ويعرب عما فى ضمائر الناس ويدل على
شرف مرسله فوفدوا على المستنصر سنة خمس وستين وأدوا رسالتهم وحركوا له جواد
المظاهرة على صاحب مراكش   عنانه فرق واهتز سرورا من أعواده ولقاهم
مبرة التكريم واحسان النزل ورد الامير عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز لوقتهما
وتمسك بالكنانى من بينهم لمصاحبة وفده فطال مقامه عنده الى أن كان من فتح مراكش
ما نذكره ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر سنة سبع وثمانين
بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده أبا زكريا يحيى بن صالح الهنتاتى مع جماعة من
مشيخة الموحدين فى مرافقة محمد الكنانى وبعث معهم الى السلطان هدية سنية يلاطفه
بها ويتاحفه انتخب فيها من الجياد والسلاح وأصناف الثياب الغريبة العمل ما انتقاه
ووفق رضاه وهمته على الاستكثار منه فحسن موقعها وتحدث بانقلاب وفده أحسن
منقلب بعد أن تلطف محمد الكنانى فى ذكر الخليفة المستنصر على منبر مراكش فتم له

وشهد له وفد الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا محبورين مسرورين واتصلت بعد ذلك مهاداة المستنصر ليعقوب بن عبد الحق الى أن هلك وجدّد ابنه الواثق من بعده على سننه فبعث اليه سنة سبع وستين هدية حافلة بعث بها القاضي أبا العباس الغماري قاضي بجاية فعظم موقعها وكان لابي العباس الغماري بالمغرب ذكر تحدّث به الناس والله أعلم

(الخبر عن فتح مراكش ومهلك أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين من المغرب)

لما رجع السلطان أبو يوسف من حرب يغمراسن ورأى أن قد كفى عدوّه وكف غربه ورد من كيده وكيد أبي دبوس صريخه صرف حينئذ عزائمه الى غزو مراكش والعود الى مضايقتها كما كان لاول أمره ونهض لغزاته من فاس في شعبان من سنته ولما جاوزوا أم الربيع بث السرايا وسرّح الغارات وأطلق الايدي والاعنة لنهب والعيث فحطموا زروعها وانتسفوا آثارها وتقرّى نواحيها كذلك بقية عامه ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأثخن فيهم واستباحهم ثم نزل وادي العبيد ثم غزا بلاد صنهاجة ولم يزل ينقل ركابه بأنحاء البلاد المراكشية واحوازها حتى حضرت صدور بني عبد المؤمن وقومه وأغزاهم أولياء الدولة من عرب جشم بنهوض الخليفة لمدافعة عدوّه فجمع لذلك وبرز في جيوش ضخمة وجموع وافرة واستجرّه أبو يوسف بالفرار أمامه ليبعد عن مدد الصريخ فيستمكن منه حتى نزل عفو ثم كرّ اليه والتحم القتال فاختل مصافه وخرّ صريعا لليدين وللفم واحتز رأسه وهلك بهلكه وزيره عمران وكاتبه علي بن عبد الله المغيلي وارتحل السلطان أبو يوسف الى مراكش وفرّ من كان بها من الموحدين فلحقوا بجبل تينمال وبايعوا اسحق أخا المرتضى فبقي ذبالة هنالك سنين ثم تقبض عليه سنة أربع وسبعين وسيق الى السلطان هو وأبو سعيد ابن عمه السيد أبي الربيع والقبائلي وأولاده فقتلوا جميعا وانقرض أمر بني عبد المؤمن والله وارث الارض ومن عليها وخرج الملأ وأهل الشورى من الحضرة الى السلطان فأمّنهم ووصلهم ودخل مراكش في بروزنخم فاتح سنة ثمان وستين وورث ملك آل عبد المؤمن وتمالأه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن الناس لباسه وسكنوا الظل سلطانه وأقام بمراكش الى رمضان من سنته وأغزى ابنه الامير أبا مالك الى بلاد السوس فافتتحها وأوغل في ديارها ودوّخ أقطارها ثم خرج بنفسه الى بلاد درعة فأوقع بهم الوقيعة المشهورة التي خضدت من شوكتهم ورجع لشهرين من غزاته ثم أجمع الرحلة الى داره بفاس فعقد على مراكش وأعمالها لمحمد بن علي بن يحيى من كبار أوليائهم ومن أهل خولته وكان من طبقة الوزراء حسبما يأتي التعريف به وبعشيرته وأنزله بقصبة مراكش وجعل المسالح في أعمالها لنظره وعهد اليه بتدويخ الاقطار ومحو آثار بني

عبد المؤمن وفصل الى حضرته فى شوال وأراح بسلا فكان من خبر عهده لابنه ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن عهد السلطان لابنه أبى مالك وما كان عقب ذلك من خروج القرابة عليه أولاد أخيه ادريس واجازتهم الى الاندلس)

لما تلوم السلطان بسلا منصرفه من رباط الفتح وأراح بها ركائبه عرض له طائف من المرض ووعك وعكا شديدا فلما أقبل جمع قومه وعهد لابنه فيهم أبى مالك عبد الواحد كبير ولده لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم فأعطوها طواعية وأسف القرابة من ولد أخويه عبد الله وادريس لانهما سوط النساء ووجدوا فى أنفسهم لما يرون أن عبد الله وادريس أكابر ولد عبد الحق ولهما التقدم على من بعدهما من ولده وأنهما أحق بالامر فرجعت هنت الى أذنابها ونفسوا عن ابن السلطان لما أخذ له من البيعة والعهد ونزعوا عنه الى جبل علودان من جبال غمارة عش خلافهم ومدرج فتنتهم وذلك سنة تسع وستين ورياستهم يومئذ لمحمد بن ادريس وموسى بن رحو بن عبد الله وخرج معهم ولد أبى عياد بن عبد الحق وأغزاهم السلطان ولده أبا يعقوب يوسف فى خمسة آلاف من عسكره فأحاط بهم وأخذ بمخنقهم ولحق به أخوه أبو مالك فى عسكره ومعه مسعود بن كانون شيخ سفيان ثم خرج فى أثرهم السلطان أبو يوسف واجتمع معسكرهم بتافركا ونازلوهم ثلاثا وهلك فى حروبهم منديل بن ورتطليم ولما رأوا ان أحيط بهم سألوا الامان فبذله وأنزلهم واستل سخائمهم ومسح ما فى صدورهم ووصل بهم الى حضرته وسألوا منه الاذن فى اللحاق بتلمسان حياء من أكبر ما ارتكبوه فأذن لهم وأجازوا البحر الى الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما أنس من صاغية السلطان اليه فتخلف عنهم بتلمسان حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان بتلمسان كما نذكره الآن واحتل بنو ادريس وعبد الله وابن عمهم أبو عياد بالاندلس على حين أقفر من الحامية جوها واستأسد العدو على ثغورها وغلبت شفاههم فاحتلوها أسودا ضارية وسيوفا ماضية معودين لقاء الابطال وقراع الحتوف والنزال مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة العزو وبسالة التوحش فعظمت نكايتهم فى العدو واعترضوا شجى فى صدره دون الوطن الذى كان طعمة له فى ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمدافعة طاغيتهم وزاحموا أمير الاندلس فى رياستها بمنكب فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل العدوة من أعياصهم وقبائلهم ومن سواهم من أمم البرابرة وتناقلوه وساهموه فى الجباية لفرط العطاء والديوان فبذله لهم واستمدوا على العدو وحسن أثرهم

فيها كما نذكره بعد في أخبار القرابة ثم أعمل السلطان نظره في غزو تلمسان على ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن حركة السلطان أبي يوسف الى تلمسان وواقعته على يغمراسن وقومه بايسلي

لما غلب السلطان أبو يوسف على بني عبد المؤمن وفتح مراكش واستولى على ملكهم سنة ثمان وستين وعاد الى فاس كما ذكرناه تحرك لما كان في نفسه من ضغائن يغمراسن وبني عبد الواد وما أسفوا به من تخذيل عزائمه ومجادلته عن قصده ورأى أن واقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره على غزوهم واقتدر بما صار اليه من الملك والسلطان على حشد أهل المغرب لحربهم وقطع دابرهم فعسكر بفاس وسرح ولده وولي عهده أبا مالك الى مراكش في خواصه ووزرائه حاشدين في مدائنها وضواحيها وقبائل العرب والمصامدة وبني وراوغرة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الانصار من جند الروم وناشبة الغز فاستكثر من أعدادهم واستوفى حشدهم واحتفل السلطان بحركته وارتحل عن فاس سنة سبعين وستمائة وتلوم بملوية الى أن لحقته الحشود وتوافت اليه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاثبج وقبائل ذوي حسان والشبانات من المعقل أهل السوس الاقصى وقبائل رياح أهل ازغار والهبط فاعترض هنالك عساكره وعبى مواكبه فيقال بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان ولما انتهى الى انكاد وافته رسل ابن الاحمر هنالك ووفد المسلمين بالاندلس صريخا على العدو يستجيشون باخوانهم المسلمين ويسألونهم الاعانة فتحركت همته للجهاد ونصر المسلمين من عدوهم ونظر في صرف الشواغل عن ذلك وجنح الى السلم مع يغمراسن وصوب الملأ في ذلك رأيه لما كانوا عليه من ايثار الجهاد وانتدب جماعة من المشيخة الى السعي في صلاح ذات بينهما وانكفاف غرب عدوتهما وساروا الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبته واستعد للقاء واحتشد زناتة أهل ممالكه بالشرق من بني عبد الواد وبني راشد ومغراوة وأحلافهم من العرب زغبة فلج في لك واستكبر وصم عن اسعافهم وزحف في جموعه والتقى الجمعان بوادي ايسلي من بسائط وجدة والسلطان أبو يوسف قد عبى كتائبه ورتب مصافه وجعل ولديه الاميرين أبا مالك وأبا يعقوب في الجناحين وسار في القلب فدارت بينهم حرب شديدة أجلت عن هلاك فارس بن يغمراسن وجماعة من بني عبد الواد وكاثرهم حشود المغرب الاقصى وقبائله وعساكر الموحدين والبلاد المراكشية فولوا الادبار وهلك عامة عسكر الروم

لثباتهم بثبات السلطان فطحنتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم ببرنيس ونجا يغمراسن بن زيان فى فله مدافعا دونه الى تلمسان ومرّ بفساطيطه فأضرموها نارا وانتهب معسكره واستبيحت حرمه وأقام السلطان أبو يوسف على وجدة حتى خربها وأصرع بالتراب أسوارها وألصق بالرغام جدرانها ثم نهض الى تلمسان فحاصرها أياما وأطلق الايدى فى ساحتها بالنهب والعيث وشن الغارات على البسائط فاكتسحها نسفا ونسفها نسفا وهلك فى طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساى وكان من علية وزرائه وحماة ميدانه له فى ذلك أخبار مذكورة وكان مهلكه فى شوّال من هذه السنة ووصله بمثواه من حصارها محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين ومستصرخه على بنى عبد الواد لما نال منه يغمراسن من طخ القهر وذل الغلب والتحيف فى كافة قبيله مباهيا بآلته فأكرم السلطان أبو يوسف وفادته واستركب الناس للقائه وبرور مقدمه واتخاذ زينة السلاح لمباهاته وأقام محاصرا لتلمسان معه أياما حتى وقع اليأس وامتنع البلد واشتدت شوكة حاميته ثم أجمع السلطان أبو يوسف على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوى وقومه بالقفول قبل قفوله وأن يغذوا السير الى بلادهم ولاحقا بهم باتحافه وجنب لهم من المائة من المقربات بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالخلع مع الصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا وتلوم السلطان أياما لمنجاتهم الى مقرّهم من جبل وانشريس حذرا من غائلة يغمراسن من انتهاز الفرصة فيهم ثم دخل الى فاس ودخلها مفتتح احدى وسبعين وهلك ولده الامير أبو مالك ولى عهده لأيام من مقدمه فأسف لمهلكه ثم تعزى بالصبر الجميل عن فقده ورجع الى حاله فى افتتاح بلاد المغرب وكان فى غزوته هذه ملك حصن تاونت وهو معقل مطغرة وشحنه بالاقوات لما رآه ثغرا مجاورا لعدوه وأسلمه لنظر هرون بن شيخ مطغرة ثم ملك حصن مليلة بساحل الريف مرجعه من غزاته هذه وأقام هرون بحصن تاونت ودعا لنفسه ولم يزل يغمراسن يردد الغزو اليه حتى فرّ من الحصن واستلمه سنة خمس وسبعين ولحق بالسلطان أبى يوسف كما ذكرناه فى أخباره عند ذكر قبيلة مطغرة وكان من شأنه ما ذكرناه

{الخبر عن افتتاح مدينة طنجة وطاعة أهل سبتة}
{وفرض الاتاوة عليهم وما قارن ذلك من الاحداث}

كانت هاتان المدينتان سبتة وطنجة من أول دولة الموحدين من أعظم عمالاتهم وأكبر ممالكهم بما كانت ثغر العدوة ومرفأ الاساطيل ودار الانشاء الآلات البحرية وفرضة الجواز الى الجهاد فكانت ولايتها مختصة بالقرابة من السادة بنى عبد المؤمن وقد ذكرنا

أنّ الرشيد كان عقد على أعمالها لأبي علي بن الخلاص من أهل بلنسية وأنه بعد استقلال الامير أبي زكريا بافريقية ومهلك الرشيد صرف لدولته سنة أربعين وبعث اليه بالمال والبيعة مع ابنه أبي القاسم وولى على طنجة يوسف بن محمد بن عبد الله بن أحمد الهمداني المعروف بابن الامير قائدا على الرجل الاندلسيين وضابطا للقصبة وعقد الامير أبو زكريا على سبتة لأبي يحيى بن أبي زكريا ابن عمه أبي يحيى الشهيد بن الشيخ أبي حفص فنزل بها واستراب أبو علي بن خلاص من العواقب عند مهلك ابنه الوافد على السلطان غريقا في البحر فرحل بجملته الى تونس في السفن وأراح ببجاية فكان فيها هلاكه سنة ست وأربعين ويقال هلك في سفينته ودفن ببجاية ولما هلك الامير أبو زكريا سنة سبع بعدها انتقض أهل سبتة على ابنه المنتصر وطردوا ابن الشهيد وقتلوا العمال الذين كانوا معه وصرفوا الدعوة للمرتضى وتولى ذلك حجبون الرنداحي بمداخلة أبي القاسم العزفي كبير المشيخة بسبتة وأعظمهم تجلة نشأ في حجر أبيه الفقيه الصالح أبي العباس أحمد مكنوفا بالجلالة مغذوّا بالعلم والدين لما كان له فيها قدم الى أن هلك فاوجب أهل البلد لابنه ما عرفوه من حقه وحق أبيه من قبله وكانوا يفزعون اليه في المهمات ويسلمون له في الشورى فأغرى الرنداحي بهذه الفعلة ففعلها وعقد المرتضى لأبي القاسم العزفي على سبتة مستقلا من غير اشراف أحد من السادة ولا من الموحدين واكتفى بغنائه في ذلك الثغر وعقد لحجبون الرنداحي على قيادة الاساطيل بالمغرب فورثها عنه بنوه الى أن زاحمهم العزفي بمناكب رياسته فقوضوا عن سبتة فمنهم من نزل بمالقة على ابن الاحمر ومنهم من نزل ببجاية على أبي حفص ولهم في الدولتين آثار تشهد برياستهم واستقل الفقيه أبو القاسم العزفي برياسة سبتة وأورثها بنيه من بعده على ما نذكره بعد وكانت طنجة تالية سبتة في سائر الاحوال وتبعا لها فاتبع ابن الامير صاحبها امارة الفقيه أبي القاسم ثم انتقض عليه لسنة واستبد وخطب لابن أبي حفص ثم للعباسي ثم لنفسه وسلك فيها مسلك العزفي في سبتة ولبثوا كذلك ما شاء الله حتى اذا ملك بنو مرين المغرب واثنوا في شعابه ومدّوا اليد في ممالكه فتنا ولوها ونزلوا معاقله وحصونه فافتتحوها وهلك الامير أبو يحيى عبد الحق وابنه عمر من بعده وتميز بنوه في ذويهم واتباعهم وحشمهم الى ناحية طنجة وأصيلا فأوطنوا ضاحيتها وأفسدوا سابلتها وضيقوا على ساكنها واكتسحوا ما حواليها وشارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وترددوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ثم مكروا وأضمروا الغدر ودخلوا في بعض أيامهم متأبطين السلاح وفتكوا بابن الامير غيلة فثاروت بهم العامة لحينهم واستلحموا في مصرع واحد

سنة خمس وستين واجتمعوا الى ولده وبقيت فى ملكته خمسة أشهر ثم استولى عليها العزفى فنهض اليها بعساكره من الرجل برّا وبحرا واستولى عليها وفرّ ابن الامير ولحق بتونس ونزل على المستنصر واستقرت طنجة فى ايالة العزفى فضبطها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملأ من أشرافها فى الشورى ونازلها الامير أبو مالك سنة ست وستين فامتنعت عليه وأقامت على ذلك حتى اذا انتظم السلطان أبو يوسف بلاد المغرب فى ملكته واستولى على حضرة مراكش ومحا دولة بنى عبد المؤمن وفرغ من أمر عدوه يغمراسن وهم بتلك الناحية واستضافة عملها اليها أجمع الحركة اليها ونازل طنجة مفتتح سنة ثنتين وسبعين بما كانت فى البسيط من دون سبتة وأقام عليها أياما ثم اعتزم على الافراج عنها فقذف الله فى قلوبهم الرعب وافترق بينهم وتنادى فى بعض الناشئة من السور بشعاب بنى مرين فبادر سرعان الناس الى تسوّر حيطانها فملكوها عليهم وقاتلوا أهل البلد ظلام ليلتهم ثم دخلوا البلد من صبيحتها عنوة ونادى منادى السلطان فى الناس بالامان والعفو عن أهل البلد فسكن روعهم ومهد وفرغ من شأن طنجة ثم بعث ولده الامير أبا يعقوب فى عساكر ضخمة لمنازلة العزفى فى سبتة وارغامه عن الطاعة فنازلها أياما ثم لاذ بالطاعة على المنعة واشترط على نفسه خراجا يؤديه كل سنة فتقبل السلطان منه وأفرجت عساكره عنهم وقفل الى حضرته وصرف نظره الى فتح سجلماسة وانتزاعها من بنى عبد الواد المتغلبين عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن فتح سجلماسة الثانى ودخولها عنوة على بنى عبد الواد والمنبات من عرب المعقل

قد ذكرنا ما كان من تغلب الامير أبى يحيى بن عبد الحق على سجلماسة وبلاد درعة وأنه عقد عليها وعلى سائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن وأنزل معه ابنه مفتاحا المكنى بأبى حديد فى مشيخته لحياطتها وأن المرتضى سرّح وزيره ابن عطوش سنة أربع وخمسين فى العساكر لارتجاعها فنهض الامير أبو يحيى اليه وشرّده عنها ورجعه على عقبه وأن يغمراسن بن زيان من بعد واقعة أبى سليط سنة خمس وخمسين قصدها لعورة دلّ عليها وغرة أمل اصابتها فسابقه اليها الامير أبو يحيى وماالقه من دونها ورجع عنها خائب المسعى مفلول الحامية وكان الامير أبو يحيى من بعد أن عقد عليها ليوسف ابن يزكاسن عقد عليها من بعده لسنة ونصف من ولايته ليحيى بن أبى منديل كبير بنى عسكر اقتالهم ومقاسميهم نسب محمد بن ورزيص ثم عقد عليها الشهرين لمحمد بن عمران ابن عبلة من بنى يرسان صنائع دولتهم واستعمل معه على الجباية أبا طالب الجبشى وجعل مسلحة الجند بها النظر لأبى يحيى القطرانى وملكه قيادتهم وأقاموا على ذلك

سنة ثنتين ولما هلك الامير أبو يحيى وشغل السلطان أبو يوسف بحرب يغمراسن ومنازلة مراكش سما للقطراني أمل فى الاستبداد بها وداخل فى ذلك بعض أهل الفتن وظاهره يوسف بن الغزى وفتكوا بعمار الورندغزاني شيخ الجماعة بالبلد وائتمروا بمحمد بن عمران بن عبلة فخرج ولحق بالسلطان واستبد القطراني بها ثم ثار به أهل البلد سنة ثمان وخمسين لسنة ونصف من لدن استبداده وقتلوه وصرفوا بيعتهم الى الخليفة المرتضى بمراكش وتولى كبر ذلك القاضي بن حجاج وعلي بن عمر فعقد له المرتضى عليها وأقام بها أميرا ونازلهم عساكر بنى مرين والسلطان أبو يوسف سنة ستين ونصب عليها آلات الحصار فأحرقوها وامتنعوا وأفرج عنهم وأقام علي بن عمر فى سلطانه ذلك ثلاث سنين ثم هلك وكان الامير يغمراسن بن زيان منذ غلب الموحدين على تلمسان والمغرب الاوسط وصار فى ملكته تحيز اليه من عرب المعقل قبيل المنبات من ذوى منصور بما كانت مجالات المعقل مجاورة لمجالات بنى بادين فى القفر وانما ارتحلوا عنها من بعدما جأجأ يغمراسن من بنى عامر بمجالاتهم من مصاب ببلاد بنى يزيد فزاحموا المعقل بالمناكب عن مجالاتهم ببلاد فيكيك وصار واحولهم الى ملوية وماوراءها من بلاد سجلماسة فملكوا تلك المجالات ونبذ يغمراسن العهد الى ذوى عبيد الله منهم واستخلص المنبات هؤلاء فكانوا له حلفاء وشيعة ولقومه ودعوته خالصة وكانت سجلماسة فى مجالاتهم ومتقلب ظعنهم وناجعتهم ولهم فيها طاعة معروفة فلما هلك علي بن عمر آثروا يغمراسن بملكها فحملوا أهل البلد على القيام بطاعته وخاطبوه وجاءوا به ففتحها بعساكره وملكها وضبطها وعقد عليها لعبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع من ولد محمد بن زكراز بن يندوكس ويعرف بابن حنينة نسبة الى أم أبيه أخت يغمراسن ومعه يغمراسن بن حمامة وأنزل معهما ولده الامير يحيى لاقامة الرسم الملوكى ثم أداله بأخيه من السنة الاخرى وكذا كان شأنه فى كل سنة ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وانتظم أمصاره ومعاقله فى طاعته وغلب بنى عبد المؤمن على دار خلافتهم ومحا رسمهم وافتتح طنجة وطوع سبتة صرفا الجواز الى العدوة وثغر المغرب سما أمله الى بلاد القبلة فوجه عزمه الى افتتاح سجلماسة من أيدى بنى عبد الواد المتغلبين عليها وادالة دعوته فيها من دعوتهم فنهض اليها فى العساكر والحشود فى رجب من سنة ثنتين وسبعين فنازلها وقد حشد اليها أهل المغرب أجمع من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من حزنة أمام النار الموقدة فى البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة باريها فأقام عليها حولا كريتا يغاديها القتال ويراوحها الى أن سقطت

ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بالحاح الحجارة من المنجنيق عليها فبادروا الى اقتحام البلد فدخلوها عنوة من تلك الفرجة فى صفر من سنة ثلاث وسبعين فقتلوا المقاتلة والحامية وسبوا الذرية وقتل القائد ابن عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة ومن كان معهم من بنى عبد الواد وأمراء المنبات وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبى يوسف وعمت طاعته فى أقطاره فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته ولا جماعة تتحيز الى غير فئته ولا امل ينصرف الى سواه ولما كملت له نعم الله فى استيساق ملكه وتمهيد أمره انصرف أمله الى الغزو وايثار طاعة الله بجهاد أعدائه واستنقاذ المستضعفين من وراء البحر من عباده على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولما انكفأ راجعا من سجلماسة قصد مراكش من حيث جاء ثم وقف الى سلا فأراح بها أياما ونظر فى شؤنها وسد ثغورها وبلغه الخبر بوفادة أبى طالب صاحب سبتة الفقيه أبى القاسم العزفى على فاس فأغذ السير الى حضرته وأكرم وفادته وأحسن منقلبه الى أبيه مملوء الحقائب ببره رطب اللسان بشكره ثم شرع فى اجازة ولده كما نذكره الآن ان شاء الله تعالى

{الخبر عن شأن الجهاد وظهور السلطان أبى يوسف على النصارى وقتل زعيمهم ذننة وما قارن ذلك}

كانت عدوة الاندلس منذ أول الفتح ثغرا للمسلمين فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم وكانت مواطنهم فيه على مثل الرضف وبين الظفر والناب من أسود الكفر لتوفر أممهم جوارها واحاطتهم بها من جميع جهاتها وحجز البحر بينهم وبين اخوانهم المسلمين منها لانقطاعهم عن قومهم وأهل دينهم وبعدهم عن الصريخ وشاور فى ذلك كبار التابعين وأشراف العرب فرأوه رأيا واعتزم عليه لولا ما عاقه من المنية وعلى ذلك فكان للاسلام فيه اعتزاز على من جاورهم من أهل الكفر بطول دولة العرب من قريش ومضر واليمن وكانت نهاية عزهم وسورة غلبهم أيام بنى أمية بها الطائرة الذكر الباسطة جناحها على العدوتين منذ ثلاثمئين من السنين أو ما يقاربها حتى انتثر سلكها بعد المائة الرابعة من الهجرة وافترقت الجماعة طوائف وفشلت ريح المسلمين وراء البحر بفناء دولة العرب واعتزاز البربر بالمغرب واستفحل شأنهم وجاءت دولة المرابطين فجمعت ما كان متفرقا بالمغرب من كلمة الاسلام وتمسكوا بالسنة وتشوفوا الى الجهاد واستدعاهم اخوانهم من وراء البحر لمدافعة عنهم فأجازوا اليهم وأبلوا فى جهاد العدو أحسن البلاء وأوقعوا بالطاغية بن أدفوش يوم الزلاقة وغيرها وفتحوا حصونا واسترجعوا أخرى واستنزلوا الثوار ملوك الطوائف وجمعوا الكلمة بالعدوتين وجاء على اثرهم الموحدون سالكين أحسن مذاهبهم فكان لهم فى الجهاد آثار وعلى

الطاغية أيام منها يوم الارك ليعقوب بن المنصور وغيره من الايام حتى اذا فشلت ريح الموحدين وافترقت كلمتهم وتنازع الامر سادة بنى عبد المؤمن الامراء بالاندلس وتحاربوا على الخلافة واستجاشوا بالطاغية وأمكنوه من كثير من حصون المسلمين طعمة على الاستظهار فخشى أهل الاندلس على أنفسهم وثاروا بالموحدين وأخرجوهم وتولى ذلك ابن هود بمرسية وشرق الاندلس وعم بدعوته سائر أقطارها وأقام الدعوة فيها للعباسيين وخاطبهم ببغداد كما ذكرناه فى أخبارهم واستوفينا الكلام بما وضعناه فى مكانه ثم انحجز ابن هود على الغربية لبعدها عنه وفقده للعصابة المتناولة لها وانه لم تكن صنعته فى الملك مستحكمة وتكالب الطاغية على الاندلس من كل جهة وكثر اختلاف المسلمين منهم وشغل بنو عبد المؤمن بما دهمهم من المغرب من شأن بنى مرين من زناتة فتكافى محمد بن يوسف بن الاحمر أمر الغربية وثار بحصنه أرجولة وكان شجاعا قرما ثبتا فى الحروب فتلقف الكرة من يد ابن هود بجاذبه الحبل ويقارعه على عمالات الاندلس واحدة بعد أخرى الى أن هلك ابن هود سنة خمس وثلاثين وتكالب العدو خلال ذلك على جزيرة الاندلس من كل جانب ووفر له ابن هود الجزية وبلغ بها أربعمائة ألف من الدنانير فى كل سنة ونزل له على ثلاثين من حصون المسلمين وخشى ابن الاحمر أن يستغلظ عليه بالطاغية فجنح هواليه وتمسك بعروته ونفر فى جملته الى منازلة اشبيلية نكاية لأهلها ولما هلك الامير أبو زكريا نبذ الدعوة الحفصية واستبد لنفسه وتسمى بأمير المسلمين ونازعه بالشرق أعقاب ابن هود وبنى مردنيش ودعاه الامر الى النزول للطاغية من بلاد الفرنتيرة فنزل عليها بأسرها وكانت هذه المدة من سنة سبعين فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين واستبيح حماهم والتهم العدو بلادهم وأموالهم نهبا فى الحروب ووضيعة ومداراة فى السلم واستولى طواغيت الكفر على أمصارها وقواعدها فملك ابن أدفونش قرطبة سنة ست وأربعين وملك قط برشلونة مدينة بلنسية سنة سبع وثلاثين الى ما بينهما من الحصون والمعاقل التى لا تعد ولا تحصى وانقرض أمر الثوار بالشرق وانفرد ابن الاحمر بغرب الاندلس وضاق نطاقه عن الممانعة دون البسائط الفيح من الفرنتيرة وما قاربها ورأى أن التمسك بها مع قلة العدد وضعف الشوكة مما يوهن أمره ويطمع فيه عدوه فعقد السلم مع الطاغية على النزول عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتصمين بأوعاره من عدوهم واختار لنزله مدينة غرناطة وابتنى بها لسكناه حصن الحمراء حسبما شرحناه ذلك كله فى مواضعه وفى أثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادى بالمسلمين من وراء البحر والملأ من أهل الاندلس يفدون على أمير المسلمين أبى يوسف للاعانة ونصر الملة واستنقاذ الحرم والولدان من أنياب العدو فلا يجد مفزعا الى

ذلك بما كان فيه من مجاذبة الحبل مع الموحدين ثم مع يغمراسن ثم شغله بفتح بلاد المغرب وتدويخ أقطاره الى أن هلك السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الاحمر المعروف بالشيخ وأبى دبوس لقبين كانا له على حين استكمال أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من شأن عدوه سنة احدى وسبعين على أن بنى مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون اليه وفى نفوسهم جنوح اليه وصاغية ولما استوحش بنو ادريس بن عبد الحق وخرجوا سنة احدى وستين على السلطان يعقوب بن عبد الحق واسترضاهم واستصلحهم انتدب الكثير منهم للغزو واجازة البحر لصريخ المسلمين بالاندلس واجتمع اليهم من مطوعة بنى مرين عسكر ضخم من الغزاة ثلاثة آلاف او يزيدون وعقد السلطان على ذلك العسكر لعامر بن ادريس فوصلوا الى الاندلس فكان لهم فيها ذكر ونكاية فى العدو وكان الشيخ ابن الاحمر عهد الى ولده القائم بالامر بعده محمد الشهير بالفقيه لانتحاله طلب العلم أيام أبيه وأوصاه أن يتمسك بعروة أمير المسلمين ويخطب نصره ويدرأ به ويقدمه عن نفسه وعن المسلمين تكالب الطاغية فبادر لذلك لحين مواراة أبيه وأوفد مشيخة الاندلس كافة عليه ولقيه وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة خاتم الفتوح بالثغور المغربية وملاذ العز ومقاد الملك وتبادروا للاسلام وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحيا وفدهم ورؤساءهم وبادر لاجابة داعى الله واستشار الجنة وكان أمير المسلمين منذ أول أمره مؤثرا أعمال الجهاد كلفا به مختارا له حتى أعطى الخيار سائر آماله حتى لقد كان اعتزم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الامير أبى يحيى وطلب اذنه فى ذلك عند ما ملكوا مكناسة سنة ثلاث وأربعين فلم يأذن له ونصل الى الغزو فى حشمه وذويه ومن أطاعه من عشيرته وأوعز الامير أبو يحيى لصاحب الامر بسبتة لذلك العهد أبى على بن خلاص بأن يمنعه الاجازة ويقطع عنه أسبابها ولما انتهى الى قصر الجواز ثنى عزمه عن ذلك الولى يعقوب بن هرون الخبرى ووعده بالجهاد أميرا مستنفرا للمسلمين ظاهرا على العدو فكان فى نفسه من ذلك شغل واليه صاغية فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا اعزائمه وذكروا همته فأعمل فى الاحتشاد وبعث فى النفير ونهض من فاس شهر شوال من سنة ثلاث وسبعين الى فرصة المجاز من طنجة وجهز خمسة آلاف من قومه أزاح عللهم واستوفى أعطياتهم وعقد عليهم لابنه منديل وأعطاه الراية واستدعى من الغد فى صاحب سبتة السفن لاجازتهم فوافاه بقصر الجواز عشرون من الاساطيل فأجازوا العسكر ونزل بطريف وأراح ثلاثا ودخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلأت أيديهم من المغانم وأثخنوا بالقتل والاسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريش فحام حاميتها عن اللقاء

وانحجزوا في البلاد وقفل عنها الى الجزيرة وقد امتلأت أيديهم من الاموال وحقأ بهم
من السبي وركأ بهم من الكراع والسلاح ورأى أهل الاندلس قد ثاروا بعام العقاب
حتى جاءت بعدها الطاعة الكبرى على أهل الكفر واتصل الخبر بأمير المسلمين فاعتزم
على الغزو بنفسه وخشي على ثغور بلاده من عادية يغمراسن في الفتنة فبعث حافده
تاشفين بن عبد الواحد في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق
والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله
وموصل قومه وبادر الى الاجابة والالفة وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان لعقد
السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذا السلم
من أمير المسلمين لما كان في نفسه من الصاغية الى الجهاد وايثاره مبرورات الاعمال
وبث الصدقات يشكر الله على ما منحه من التفرغ لذلك ثم استنفر الكافة واحتشد
القبائل والجموع ودعا المسلمين الى الجهاد وخاطب في ذلك كافة أهل المغرب من زناته
والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل
البرابرة وأهل المغرب من المرتزقة والمطوعة وأهاب بهم وشرع في اجازة البحر فأجازه
من فرضة طنجة لصفر من سنة أربع وسبعين واحتل بساحة طريف وكان لما استصرخه
السلطان ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس اشترط عليه النزول عن بعض الثغور
بساحل الفرضة لاحتلال عساكره فتجافى له عن رندة وطريف ولما احتل بطنجة بادر
اليه ابن هشام الثائر بالجزيرة الخضراء وأجاز البحر اليه ولقيه بظاهر طنجة فأدى له
طاعته وأمكنه من قياد بلده وكان الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو اسحق صهر
السلطان ابن الاحمر تبعاله في أمره وموازراله على شأنه كله وأبوهما أبو الحسن هو الذى
تولى كبر الثورة على ابن هود ومداخلة أهل اشبيلية في الفتك بابن الباجي فلما استوت
قدمه في ملكه وغلب الثوار على أمره فسد ما بينهما بعد أن كان ولى أبا محمد على مالقة
وأبا اسحق على وادى آش فامتنع أبو محمد بن اشقيلولة بمالقة واستأثرا بها ونفر بتهادونه
ومع ذلك فكانوا على الصاغية فتنة ولجة ولما أحس أبو محمد باجازة السلطان يعقوب بن
عبد الحق قدم اليه الوفد من أهل مالقة ببيعتهم وصريخهم وانحاش الى جانب السلطان
وولايته وأمحضه الخالصة والنصيحة فلما احتل السلطان بناحية طريف ملأت كتائبه
ساحة الارض ما بينها وبين الجزيرة وتسابق السلطان ابن الاحمر وهو الفقيه أبو محمد بن
الشيخ أبي دبوس صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد بن اشقيلولة صاحب مالقة
والغربية الى لقاء السلطان وتنازعوا في برورمقدمه والاذعان له ففاوضهما في أمور
الجهاد وأرجعهما لحينه الى بلديهما وانصرف ابن الاحمر مغاضبا لبعض النزعات

أخذ علته وأغذ السير الى الجزيرة وعقد لولده الامير أبي يعقوب على خمسة آلاف من عسكره وسرّح كتائبه في البسائط وخلال المعاقل تنسف الزرع وتحطم الغروس وتخرب العمران وتنهب الاموال وتكتسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبي النساء والذرية حتى انتهى الى المدور وتالسة وأبدة واقتحم حصن بلمة عنوة وأتى على سائر الحصون في طريقه فطمس معالمها واكتسح أموالها وقفل والارض تموج سبيا الى أن عرس باستجة من تخوم دار الحرب وجاء النذير باتباع العدو آثارهم لاستنقاذ أسراهم وارتجاع أموالهم وان زعيم الروم وعظيمهم ذننه خرج في طلبهم بأمم بلاد النصرانية من المحتلم فما فوقه فقدّم السلطان الغنائم بين يديه وسرّح ألفا من الفرسان أمامها وسار يقتفيها حتى اذا اطلت رايات العدو من ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرد وذكر وراجعت زناتة بصائرها وعزائمها وتحركت هممها وأبلت في طاعة ربها والذب عن دينها وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها ولم يكن الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم ذننه والكثير من جموع الكفر ومنح الله المسلمين اكتافهم واستمر القتل فيهم وأحصي القتلى في المعركة فكانوا ستة آلاف واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين أكرمهم الله بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أولياءه ونصر دينه وبدا للعدو ما لم يحتسبه بحماية هذه العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث أمير المسلمين برأس الزعيم ذننه الى ابن الاحمر فرده زعموا سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم مداراة وانحرافا عن أمير المسلمين ظهرت شواهده عليه بعد حين كما نذكره وقفل أمير المسلمين من غزاته الى الجزيرة منتصف ربيع من سنته فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم وأسراهم وكراعهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا ومن الاسارى سبعة آلاف وثمان مائة وثلاثين ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة وأما الغنم فاتسعت عن الحصر كثرة حتى لقد زعموا بيع الشاة في الجزيرة بدرهم واحد وكذلك السلاح وأقام أمير المسلمين بالجزيرة أياما ثم خرج غازيا الى أشبيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها وأثخن بالقتل والنهب في جهاتها وعمرانها وارتحل الى شريش فأذاقها وبال العيث والاكتساح ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته ونظر في اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدوة لنزل عسكره منتبذا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخير لها مكانا لصق الجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية وجعل ذلك النظر من يثق به من

ذويه ثم أجاز البحر الى المغرب فى رجب من سنة أربع وسبعين فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ الجواز ببلاد غمارة وتولى ذلك ابراهيم بن عيسى كبير بنى وسناف بن محيو ثم رحل الى فاس فدخلها فى شعبان وصرف النظر الى أحوال دولته واختطاط البلد الجديد لنزله ونزل حاشيته واستنزال الثوار عليه بالمغرب على ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن اختطاط البلد الجديد بفاس وما كان على بقية ذلك من الاحداث) *

لما قفل السلطان أمير المسلمين من غزاته الجهادية وتم صنع الله لديه فى ظهور الاسلام على يديه واعتزاز أهل الاندلس بفيئته راح بالمغرب الى نعمة أخرى من ظهور أوليائه وحسم أدواء الفساد فى دولته شفعت مواهب السعادة وأجلت عوائد الصنع وذلك ان عصابة بنى عبد المؤمن وفلهم لما فروا من مراكش عند الفتح لحقوا بجبل تينمال جرثومة أمرهم ومنبعث دعوتهم وملاحد خلفائهم وحضرة سلفهم ودار امامهم ومسجد مهديهم كانوا يعكفون عليه متيمنين بطيره ملتمسين بركة زيارته ويقدمون ذلك أمام غزواتهم قربة بين يدى أعمالهم يعتدونها من صالح مساعيهم فلما خلص الفل اليه اعتصموا بمعقله وآووا الى ركونه ونصبوا للقيام بأمرهم عيصا من أعياص خلفاء بنى عبد المؤمن ضعيف المنبه خاسر الصفقة من مواهب الحظ وهو اسحق أخو المرتضى وبايعوه سنة تسع وستين يرجون منه رجع الكرة وادالة الدولة وكان المتولى لكبر ذلك وزير دولتهم ابن عطوش ولما عقد السلطان يعقوب بن عبد الحق لمحمد بن على بن محلى على أعمال مراكش لم يقدم عملا على محاربتهم وتخذيل الناس عنهم واستمالة أشياعهم وجمعوا لهذه السنة أربع وسبعين على غرة تطنوها فأوقع بهم وفل من غربهم ثم صعد الى الجبل لشهر ربيع من سنته فافتض عذرته وفض ختامه واقتحمه عليهم عنوة بعد مطاولة النزال والحرب وهلك الوزير ابن عطوش فى جوانب الملحمة وتقبض على خليفته المستضعف وابن عمه أبى سعيد بن السيد أبى الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة بمراكش فضربت أعناقهم وصلبت اشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم كاتبه القبائلى وأولاده وعاثت العساكر فى جبل تينمال واستباحت أمواله و قبور خلفاء بنى عبد المؤمن واستخرج يوسف وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤسهم وتولى كبر ذلك أبو على المليانى النازع الى السلطان أبى يوسف من مليانة عش غوايته ومواطن انتزائه كما قدمناه وكان السلطان أقطعه بلاد أغمات اكراما لوفادته فحضر هذه الغزاة فى جملة العساكر ورأى أن قد شفى نفسه باخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعيث باشلائهم لما نقم منه الموحدون

وعثمان بن يغمراسن في خلال هذا يستألف بني توجين شعبا فشعبا الى أن نهض الى جبل وانشريس فملكه وفرّ أمامه موسى بن زرارة الى نواحي المدية وهلك في سفره ذلك ثم نهض عثمان الى المدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها بمداخلة المدية من قبائل صنهاجة غدروا بأولاد عزيز وأمكنوه منها ثم انتقضوا عليه لسبعة أشهر ورجعوا الى ايالة أولاد عزيز فصالحوا عثمان بن يوسف على الاتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن عبد القوي وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد توجين ثم شغل بما دهمه من مطالبة بني مرين أيام يوسف بن يعقوب فولي على بني توجين من بني محمد بن عبد القوي أبو بكر بن ابراهيم بن محمد مدة عامين أخاف فيها الناس وأساء السيرة ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده أخاه عطية المعروف بالاصم وخالفهم أولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا ليوسف ابن زيان بن محمد وزحفوا الى جبل وانشريس فحاصروا به عطية وبني تيغرين عاما أو يزيد وكان يحيى بن عطية كبير بني تيغرين هو الذي تولى البيعة لعطية الاصم فلما اشتدّ بهم الحصار رواستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان ورعته في ملك جبل وانشريس فبعث معه الجيوش لنظر أخيه أبي سرحان ثم أخيه أبي يحيى وكان نهوض أبي يحيى سنة احدى وسبعمائة فتوغل في ناحية الشرق ولما رجع عمد الى جبل وانشريس فهدم حصونه وقفل ونهض ثانية الى بلاد بني توجين فشردهم عنها وأطاعه أهل تافركينت ثم انتهى الى المدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه يوسف بن يعقوب فانتقض أهل تافركينت بعد صدوره عنهم ثم راجع بنو عبد القوي بصائرهم في التمسك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم وأعادهم الى بلادهم وأقطعهم وولى عليهم علي بن الناصر بن عبد القوي وجعل وزارته ليحيى بن عطية فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه لمحمد بن عطية الاصم واستقام على طاعته وقتا ثم انتقض بين يدي مهلكه سنة ست وحمل قومه على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجافى بنو مرين من بعدها لبني يغمراسن عن جميع الامصار التي تملكوها بالمغرب الاوسط استمكن بنو يغمراسن منها ودفعوا المتغلبين عنها ولحق الفل من أولاد عبد القوي ببلاد الموحدين فخلوا من دولتهم محل الايثار والتكرمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوي مع الملوك من آل أبي حفص مقام المنادمة والمصافاة الى أن هلك وبقي عقبه في جند السلطان ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين تغلب على جبل وانشريس من بعدهم كبير بني تيغرين أحمد بن محمد من أعقاب يعلى بن محمد سلطان بني يفرن فأقام يحيى بن عطية هذا في رياستهم أياما ثم هلك وقام بأمره من بعده أخوه عثمان بن عطية ثم هلك وولي من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل

في العساكر بفاس خلاله ثم انكفأ راجعا وخطب قبائل المغرب كافة بالنفير فتباطؤا
واستمر على تحريضهم ونهض الى رباط الفتح وتلوم بها في انتظار الغزاة فتثبطوا فخف
في خاصته وحاشيته واحتل بالفرضة من قصر المجاز وتلاحق به الناس فأجازوا البحر
واحتل بطريف آخر محرم ثم ارتحل الى الجزيرة ثم الى رندة ووافاه هنالك الرئيسان
أبو اسحق بن اشقيلولة صاحب قارش وأبو محمد صاحب مالقة للغزو معه وارتحلوا الى
منازلة اشبيلية فعرسوا عليها يوم المولد النبوي وكان بها ملك الجلالقة بن ادفونش فخام
عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن أهله ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل ولده
الامير أبا يعقوب في المقدمة وزحف في التعبية فأجحروا العدو في البلد واقتحموا
اثرهم الوادي وأثخنوا فيهم وباتت العساكر ليلتهم يجادون في متون الخيل وقد أضرموا
النيران بساحتها وارتحل من الغد الى أرض الشرق وبث السرايا والغوازي في سائر
النواحي وأناخ بجمهور العسكر عليها فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها
وطمس معالمها ودخل حصن قطيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأثخن
في القتل والسبي ثم ارتحل بالغنائم والاثقال الى الجزيرة لسرار شهره فأراح وقسم
الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا الى شريش منتصف ربيع الآخر فنازلها وأذاقها
نكال الحرب وأقفر نواحيها وقطع أشجارها وأباد خضراءها وحرق ديارها ونسف
آثارها وأثخن فيها بالقتل والاسر وبعث ولده الامير أبا يعقوب في سرية من معسكره
للغوار على اشبيلية وحصون الوادي فبالغ في النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقة
وغليانة والقناطير ثم صبح اشبيلية بعقاره فاكتسحها وانكفأ الى أمير المسلمين فقفلوا
جميعا الى الجزيرة وأراح وقسم في المجاهدين غنائمهم ثم ندب الى غزو قرطبة ورغبهم
في عمرانها وثروة ساكنها وخصب بلادها فانعطفوا الى اجابته وخاطب ابن الاحمر
يستنفره وخرج لاول جمادى من الجزيرة ووافاهم ابن الاحمر بناحية أرشدونة فأكرم
وصوله وشكر حفوفه الى الجهاد وبداره ونازلوا حصن بني بشير فدخله عنوة وقتلت
المقاتلة وسبيت النساء ونفلت الاموال وخرب الحصن ثم بث السرايا والغارات
في البسائط فاكتسحها وامتلأت الايدي وأثرى العسكر وتقروا المنازل والعمران
في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وانحجرت حامية العدو من وراء
الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياه في نواحيها فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها
واكتسحوا قراها وضياعها وترددوا على جهاتها ودخل حصن بركونة عنوة ثم ارجونة
كذلك وقدم بعثا الى جيانة فقاسمها حظها من الخسف والدمار ونام الطاغية عن اللقاء
وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلده فجنح الى السلم وخطبه من أمير المسلمين فدفعه الى

ابن الاحمر وجعل الامر فى ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه وأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانعقد السلم وقفل أمير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ودخل أمير المسلمين الى الجزيرة فى أول رجب من عامئذ فأراح ونظر فى ترتيب المسالح على الثغور وتملك مالقة كما نذكره

(الخبر عن تملك السلطان مدينة مالقة من يد ابن اشقيلولة)

كان بنو اشقيلولة هؤلاء من رؤساء الاندلس المؤهلين لمدافعة العدو وكانوا أنظراء لابن الاحمر فى الرياسة وهما أبو محمد عبد الله وأبو اسحق ابراهيم ابنا أبى الحسن بن اشقيلولة وكان أبو محمد منهم صهر اله على ابنته فكانوا له بذلك خاصة فأشركهم فى أمره واعتضد بعصابتهم وبأيهم من قبل على مقاومة ابن هود وسائر الثوار حتى اذا استمكن من فرصته واستوى على كرسيه استبد دونهم وأنزلهم الى مقامات الوزراء وعقد لابى محمد صهره على ابنته على مدينة مالقة والغربية وعقد لابى الحسن صهره على أخته على وادى آش وما اليها وعقد لابنه أبى اسحق ابراهيم بن على على قمارش وما الى ذلك ووجدوا فى أنفسهم واستمر الحال على ذلك ولما هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وولى ابنه الفقيه محمد سموا الى منازعته وأوفد أبو محمد صاحب مالقة ابنه أبا سعيد على السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو منازل طنجة ووفد معه أبو محمد الى السلطان بطاعته وبيعته أهل مالقة سنة ثلاث وسبعين وعقد له عليها ونزع ابنه أبو سعيد فرج الى دار الحرب ثم رجع لسنته فقتل بمالقة ولما أجاز السلطان الى الاندلس اجازته الاولى سنة أربع وسبعين تلقاه أبو محمد بالجزيرة مع ابن الاحمر وفاوضهما السلطان فى أمر الجهاد وردهما الى أعمالهما ولما أجاز اجازته الثانية سنة ست وسبعين لقيه بالجزيرة الرئيسان ابنا اشقيلولة أبو محمد صاحب مالقة واخوه اسحق صاحب وادى آش وقمارش فشهدا معه الغزاة ولما قفل اعتل أبو محمد صاحب مالقة ثم هلك غرة جمادى من سنته فلحق ابنه محمد بالسلطان آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة منصرفه من الغزو كما ذكرناه فنزل له عن البلد ودعاه الى احتيازها فعقد عليها لابنه أبى زيان منديل فسار اليها فى بعث وكان ابن اشقيلولة حين فصوله الى لقاء السلطان أمر ابن عمه محمد الازرق بن أبى الحجاج يوسف بن الزرقاء باخلاء منازل السلطان بالقصبة واعداد ها فتم ذلك لثلاث ليال واضطرب الامير أبو زيان معسكره بخارجها وأنفذ محمد بن عمران بن عيلة فى رهط من رجال بنى مرين الى القصبة فنزلها وملك أمر البلد وكان السلطان بن الاحمر لما بلغه

وفاة أبي محمد بن اشقيلولة سما أملها الى استيلائه على مالقة وان ابن أخته شيعة له وبعث لذلك وزيره أبا سلطان عزيزا الداني فوافى معسكر الامير أبي زيان بساحتها ورجا أن يتجافى عنها السلطان فأعرض عن ذلك وتجهم له ودخل اليها الثلاث بقين من رمضان وانقلب الداني عنها بخفي حنين ولما قضى السلطان بالجزيرة صومه ونسكه خرج الى مالقة فوافاها سادس شوال وبرز اليه أهلها في يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان ودخولهم في ايالته وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيي بن محلي من صنائع دولتهم وأنزل معه المسالح وزيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة لنظره من ابطال بني مرين واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب سنة سبع وسبعين وقد اهتزت الدنيا لقدومه وامتلأت القلوب سرورا بما كيفه الله من نصر المسلمين بالعدوة وعلو راية السلطان على كل راية وعظمت لذلك موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن تظاهر ابن الاحمر والطاغية على منع السلطان أبي يوسف من اجازة ابن الاحمر واصفاق يغمراسن بن زيان معهم من وراء البحر على الاخذ بحجزته عنهم وواقعة السلطان على يغمراسن بخرزوزة

لما أجاز أمير المسلمين الى العدوة اجازته الاولى ولقي العدو واستبحه وقتل الله ذننه بأيدي عسكره وصنع له من الظهور والعز مالا كفاء له ارتاب ابن الاحمر بمكانه فيدا لهما لم يكن يحتسب وظن بأمير المسلمين الظنون واعترض ذكر شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد سلطان الاندلس وأكد ذلك عنده جنوح الرؤساء من بني اشقيلولة وغيرهم اليه وانقيادهم لامره فشرق بمكانه وحذر غوائله وتكدر الجو بينهما واجاز الاجازة الثانية فانقبض ابن الاحمر عن لقائه ودارت بينهما مخاطبات شعرية في معنى العتاب على السنة كتابهما نسردها الآن (فن ذلك) قصيدة كتبها اليه ابن الاحمر سنة أربع وسبعين بعد واقعة ذننه واعتزامه على الرجوع الى المغرب يخاطبه بها لية الاقامة بالجزيرة حذرا من غائلة العدو ويحوفيها منحى الاستعطاف وهي من نظم كاتبه أبي عمر بن المرابط

هل من معيني في الهوى أو منجدي * من متهم في الارض أو من منجد

هذا الهوى داع فهل من مسعف * باجابة وانابة أو مسعد

هذا سبيل الرشد قد وضحت فهل * بالعدوتين من امرئ مسترشد

يرجو النجاة بجنة الفردوس أو * يخشى المصير الى الجحيم الموقد

يا آمل النصر العزيز على العدا * أجب الهدى تسعد به وتؤيد

سر النجاة الى النجاة مشمرا * ان الهدى لهو النجاة لمن هدى
يامن يقول غدا أتوب ولا غد * ألديك علم أن تعيش الى غد
لا تغترر بنسيئة الاجل الذى * ان لم يكن لك نقده فكان قد
سفر عليك طويلة أيامه * لم تستعد الطوله فاستعدد
أوما علمت بأنه لابد من * زاد لكل مسافر فتزود
هذا الجهاد رئيس أعمال التقا * خذ منه زادك لارتحالك تسعد
هذا الرباط بأرض اندلس فرح * منه لما يرضى الهك واغتد
سودت وجهك بالمعاصى فالتمس * وجها للقيا الله غير مسود
وامح الخطايا بالذنوب فربما * محت الدموع خطيئة المتعمد
من ذا يتوب لربه من ذنبه * أو يقتدى بنبيه أو يهتدى
من ذا يطهر نفسه بعزيمة * مشحوذة فى نصر دين محمد
أتعز من أرض العدو ومدائن * والله فى أقطارها لم يعبد
وتذل أرض المسلمين وتبتلى * بعثاثين سطوا بكل موحد
كم جامع فيها أعيد كنيسة * فاهلك عليه أسى ولا تتجلد
القس والناقوس فوق مناره * والخمر والخنزير وسط المسجد
أسفا عليها أقفرت صلواتها * من قانتين وراكعين وسجد
وتعوضت منهم بكل معاند * مستكبر قد كان لم يتشهد
كم من أسير عندهم وأسيرة * فكلاهما يبغى الفداء فلا فدى
كم من عقيلة معشر معقولة * فيهم تود لو أنها فى ملحد
كم من وليد بينهم قد ود من * ولداه ودا أنه لم يولد
كم من تقى فى السلاسل موثق * يبكى لآخر فى الكبول مقيد
وشهيد معترك توزعه الردى * ما بين حدى ذابل ومهند
ضجت ملائكة السماء لحالهم * ورثى لهم من قلبه كالجلمد
أفلا تذوب قلوبكم اخواننا * مما دهانا من ردى أو من ردى
أفلا تراعون الاذمة بيننا * من حرمة ومحبة وتودد
أكذا يعيث الروم فى اخوانكم * وسيوفكم للثار لم تتقلد
يا حسرتى لحمية الاسلام قد * خمدت وكانت قبل ذات توقد
أين العزائم مالها لا تقتضى * هل يقطع الهندى غير مجرد
أبنى مرين أنتم جيراننا * وأحق من فى صرخة بهم ابتدى

فالجار كان بيوصى المصطفى * جبريل حقا فى الصحيح المسند
بنى مرين والقبائل كلها * فى المغرب الادنى لنا والابعد
كتب الجهاد عليكم فتبادروا * منه الى الفرض الاحق الاوكد
وارضوا باحدى الحسنيين وأقرضوا * حسنا تفوزوا بالحسان الخرد
هذى الجنان تفتحت أبوابها * والحور قد عدت لكم بالمرصد
هل من بايع من ربه من مشتر * منه الحصول على النعيم السرمد
لله فى نصر الخليفة موعد * صدق فنور والانجاز الموعد
هذى الثغور بكم اليكم تشتكى * شكوى العديم الى الغنى الاوجد
ما بال شمل المسلمين مبدد * فيها وشمل الكفر غير مبدد
أنتم جيوش الله ملء فضائه * تأسون للدين الغريب المفرد
ماذا اعتذاركم غدا لنبيكم * وطريق هذا العذر غير ممهد
ان قال لم فرطتم فى أمتى * وتركتموهم للعدو المعتدى
تالله لو أن العقوبة لم تخف * لكفى الحياء من وجه ذاك السيد
اخوانناصلوا عليه وسلموا * وسلوا الشفاعة منه يوم المشهد
واسعوا لنصرة دينه يسقيكم * من حوضه فى الحشر أعذب مورد
وصدر جوابها من نظم عبد العزيز شاعر السلطان يعقوب بن عبد الحق بما نصه
ابشر لا تخش اعتداء المعتدى الخ وكذلك أجاب عنها أيضا مالك بن المرحل بقوله
شهد الاله وأنت يا أرض اشهدى الخ اذ أجابهما أبو عمرو بن المرابط كاتب ابن الاحمر بقوله
قل للبغاة وللعداة الحسد الخ ولما أجاز السلطان يعقوب بن عبد الحق الاجازة الثانية سنة
ست وسبعين كما ذكره صار ابن الاحمر الى الاستعتاب والرضا ولقى يعقوب بن عبد الحق
فأنشد كاتبه أبو عمرو بن المرابط يوم اجتماعهما قوله * بشرى لحزب الله والايمان
الخ ولما انقضى المجلس امر السلطان شاعره عبد العزيز بما جلد قصيدته وأنشدها
ثانى المجلس بحضرة ابن الاحمر وفيها * اليوم كن فى غبطة وأمان * الخ ثم كان أثناء
ذلك ما وقع من استيلاء السلطان يعقوب بن عبد الحق على مدينة مالقة والغربية جل
على بعد مهلك صاحبها أبى عبد الله بن اشقيلولة فبرم لذلك وخيل عليه ففزع الى مداخلة
الطاغية فى شأنه واتصال يده بيده وان يعود الى مكان أبيه من ولايته ليدافع به السلطان
وقومه على أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه لما كانت كلمة الاسلام تجرادونه فاهتبل
الطاغية غرتها ونكث عهد أمير المسلمين ونقض السلم ونبذ اليه العهد واغزى أساطيله
الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان ومعسكره وأرست بالزقاق حيث فراض الجواز

وانقطع المسلمون من جنود السلطان وقومه وراء البحر ويئسوا من صريخه وانتبذ عمر ابن يحيى بن محلى عن قومه بمكان امارته مالقة وكان بنو محلى هؤلاء من كبارهم ومهم بطوية وكانوا احلافا لبنى حمامة بن محمد منذ دخولهم المغرب وأصهر عبد الحق أبو الاملاك الى أبيهم محلى فى ابنته أم اليمن فكان من ولدها السلطان يعقوب بن عبد الحق وكانت امرأة صالحة خرجت الى الحج سنة ثلاث وأربعين فقضت فريضة الله عليها وعادت الى المغرب رابعة من السنين سنة سبع وأربعين ثم خرجت ثانية سنة ثنتين وخمسين فتطوعت بحجة أخرى وهلكت بمصر منصرفها من تلك السنة سنة ثلاث وخمسين فكان لبنى محلى أبيها مكان من الدولة و اله على السلطان لخؤولتهم وغنائهم فى قومهم ولما استولى السلطان على حضرة الموحدين مراكش عقد لمحمد بن على بن محلى على جميع أعمالها فكانت له بالاصطناع بها مقاما محمودة واتصلت ولايته عليها من لدن سنة ثمان وستين الى سنة سبع وثمانين ثم كان مهلكه أيام يوسف بن يعقوب كما نذكر ولما نزع محمد ابن اشقيلولة الى السلطان بالجزيرة سنة ست وسبعين متجافيا له عن ولاية مالقة بعد وفاة أبيه الرئيس أبى محمد واستولى السلطان عليها واعتزم على الاجازة كما قدمناه وعقد على مالقة والقرية وسائر ثغورها وأعمالها لعمر بن يحيى بن محلى وكان أخوه طلحة بن يحيى ذا بأس وصرامة وقوة شكيمة واعتزاز على السلطان بمكان الدولة وهو الذى قتل يعقوب بن عبد الحق   سنة ثمان وستين كما قلناه وظاهر فتح الله الهدراى مولى السلطان ووزيره على قتال أبى العلاء بن أبى طلحة بن أبى قريس عامر المغرب بكدية العرايس بظاهر فاس سنة ثنتين وستين ونزع سنة أربع وسبعين الى جبل آزروا عند مرجع السلطان من أمر مالقة وأجاز البحر الى بلاد الريف ثم رجع الى القبلة وأقام بين بنى توجين ثم أجاز الى الاندلس سنة سبع وسبعين عندما أضرم نار هذه الفتنة بين هذا السلطان وبين ابن الاحمر والطاغية واحتل أسطول النصارى بالزقاق وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وأحس أخوه عمر صاحب مالقة باظلام الجو بينه وبين السلطان بما كان من أمر أخيه طلحة من قبل فلاطفه ابن الاحمر عند استقراره بغرناطة فى مداخلة أخيه عمر فى النزول على مالقة والاعتياض عنها بشلوبانية والمكب طعمة وخاطبه فى ذلك أخوه طلحة فأجاب وخرج ابن الاحمر بعساكره الى مالقة وتقبض عمر بن محلى على زيان بن بوعياد قائد بنى مرين ومحمد بن اشقيلولة وأمكن ابن الاحمر من البلد فداخلها آخر رمضان من سنته ونزل ابن محلى بشلوبانية واحتمل ذخيرته وما كان السلطان ائتمنه عليه من المال والعدد الجهادية واتصلت يد ابن الاحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الاجازة وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم فى

مشاقة السلطان وافساد ثغوره وازال العوائق به المانعة من حركته والاخذ باذياله
عن النهوض الى   وأسنوا فيما بينهما الاتحاف والمهاداة وجنب يغمراسن الى ابن
الاحمر ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف وبعث اليه ابن الاحمر صحبة
ابن مروان التجانى كفء ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال فى هديته وردها
وأصفقت أيديهم جميعا على السلطان ورأوا أن قد بلغوا فى احكام أمرهم وسد مذاهبه
اليهم واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش كان صمد اليها مرجعه من الغزو فى شهر
المحرم فاتح سبع وسبعين لما كان من عيث العرب جشم بتامسنا وافسادهم السابلة
فنقف أطرافها وحسم أدواءها ولما بلغه خبر ابن محلى ومالقة ومنازلة الطاغية للجزيرة
نهض لثالثة من شوال يريد طنجة ولما انتهى الى تامسنا وافاه الخبر بنزول الطاغية
على الجزيرة واحاطة عساكره بها   بعد ان كانت أساطيله منازلتها
منذ ... وانه مشرف على التهامها وبعثوا اليه يستعدونه فاعتزم على الرحيل ثم
اتصل به الخبر بخروج مسعود بن كانون أمير سفيان من جشم ببلاد نفيس من المصامدة
خامس ذى القعدة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم فكر اليه راجعا وقدم
بين يديه حافده تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى بن حازم وجاء على ساقتهم وفروا أمام
جيوشه وانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحرث بن سفيان ولحق مسعود
بمعقل السكسيوى ونازله السلطان بعساكره أياما وسرح ابنه الامير أبا زيان منديل
الى بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه خامس
سنته واتصل بالسلطان ما نال أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال واعواز
الاقوات وانهم قتلوا الاصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرة الكفر فأهمه ذلك
وأعمل النظر فيه وعقد لولى عهده ابنه الامير أبى يعقوب من مراكش على الغزو اليها
وأغزى الاساطيل فى البحر الى جهاد عدوهم فوصل الى طنجة اصفر من سنة ثمان
وتسعين وأوعز الى البلاد البحرية لاعداد الاساطيل بسبتة وطنجة وسلا وقسم
الاعطيات وتوفرت هممم المسلمين على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت وأبلى
الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبتة لما بلغه خطاب أمير المسلمين فى ذلك البلاء الحسن
وقام فيه المقام المحمود واستنفر كافة أهل بلده فركبوا البحر أجمعين من المحتلم فما فوقه
ورأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين فى الجزيرة وأشراف الطاغية على أخذها فندم فى
ممالأته ونبذ عهده وأعد أساطيل سواحله من   والمرية ومالقة مددا للمسلمين
واجتمعت الاساطيل بمرفا سبتة تناهز السبعين قد أخذت بطرفى الزقاق فى أحفل زى
وأحسن قوة وأكمل عدة وأوفر عدد وعقد عليهم الامير أبو يعقوب رايته وأقلعوا

عن طنجة ثامن ربيع الاول وانتشرت قلوعهم في البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم بمرفأ الجبل وصبحوا العدو وأساطيلهم تناهز أربعمائة قطعة وهم في دروعهم وأسبغوا من شكتهم وأخلصوا لله عزائمهم وصدقوا مع الله نياتهم وتنادوا بالجنة شعارهم ووعظ وذكر خطباؤهم والتحم القتال ونزل الصبر ولم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل فانكشفوا وتساقطوا في العباب فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم وملك المسلمون أساطيلهم ودخلوا مرفأ الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل معسكر الطاغية وداخلهم الرعب من اجازة الامير أبي يعقوب ومن معه من الحامية فأفرج لحينه عن البلد وانتشرت النساء والصبيان بساحته وغلبت المقاتلة كثيرا من العسكر على مخلفهم فغنموا من الحنطة والادام والفواكه ملأ أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحي وأجاز الامير أبو يعقوب من حينه فأرهب العدو في كل ناحية وصده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل به لمنازلة غرناطة يدا وأجابه الى ذلك الطاغية رهبة من بأسه ووجدة على ابن الاحمر في مدد أهل الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك فأجازهم الامير أبو يعقوب الى أبيه أمير المسلمين فغضب لها ونكر على ابنه وزوى عنه وجه رضاه وردهم الى طاغيتهم مخفق السعي وأجاز أبو يعقوب بن السلطان الى أبيه ومعه وفد أهل الجزيرة لقوا السلطان بمكانهم من السوس وولى عليهم ابنه أبا زيان فنزل بالجزيرة وأحكم العقد مع الطاغية ونازل المرية من طاعة ابن الاحمر برا وبحرا فامتنعت عليه وانضوى اليه أهل الحصون الغربية بطاعتهم حذرا من الطاغية فتقبلهم ثم جاءه المدد من المغرب ونازل رندة فامتنعت والطاغية أثناء ذلك يجوس خلال الاندلس ونازل ابن الاحمر بغرناطة مع بني اشقيلولة وابن الدليل ثم راجع ابن الاحمر مسالمة بني مرين وبعث لابي زيان بن السلطان بالصلح واجتمع معه باحواز مربلة كما نذكر بعد ولما ارتحل السلطان من معسكره على جبل السكسيوي يريد السوس ثم أغزى العساكر ورجع من طريقه الى مراكش حتى اذا انقضت غزاة البربر رجع الى فاس وبعث خطابه الى الآفاق مستنفرا في الجهاد وفصل في رجب من سنة ثمان وسبعين حتى انتهى الى طنجة وبلغه ما اختل من أحوال المسلمين في تلك الفترة وما جرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ومن فيها وظاهره على ابن الاحمر منافسوه في رياسته بنى اشقيلولة فاستجره الرئيس أبو الحسن بن أبي اسحق صاحب وادي آش ونازل معه غرناطة سنة تسع وسبعين خمسة عشر يوما ثم أفرجوا ولقيهم عساكر غرناطة من زناتة بعد ذلك من سنتهم وعليهم طلحة بن محلي وتاشفين بن معطي كبير

بقرية عين بجمن المسلمين   فأظهرهم الله عليهم وهلك من النصارى ما يناهز
سبعمائة من فرسانهم واستشهد فيها من أعياص بني مرين عثمان بن محمد بن عبد الحق
واستجر الطاغية بعدها الرئيس أبو محمد عبد الله أخو صاحب وادي آش الى منازلة
غرناطة فنازلها الطاغية وأقام عليها أياما ثم ارتحل وقد اعتز عليهم وأشفق السلطان على
المسلمين وعلى ما نال ابن الاحمر من خسف الطاغية فراسله في الموادعة واتفاق الكلمة
وشرط عليه النزول عن مالقة فرجع السلطان الى ازالة العوائق عن شأنه من الجهاد
وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية بن
أخي أدفونش من الاتصال والاصفاق في تجديد الصلح والاتفاق فلج وكشف الوجه في
العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة سلمهم وكافرهم من الوصلة وانه معتزم على
طي بلاد المغرب فصرف أمير المسلمين عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة
أشهر من نزوله طنجة فدخلها آخر شوال وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحجة عليه
والتماس المسالمة لبني توجين والتجافي عنهم لموالاتهم أمير المسلمين فقام يغمراسن في ركائبه
وقعد ولج في طغيانه وارتحل أمير المسلمين من فاس سنة تسع وقدم ابنه أبا يعقوب
في العساكر وأدركه بتازي ولما انتهى الى ملوية تلوم في انتظار العساكر ثم ارتحل الى
تاسة ثم تافنا وصمد اليه يغمراسن بحشود زناتة والعرب بحللهم وكانة ناجعتهم
والتقت عيون القوم فكانت بينهما حرب وركب على آثارهما العسكران والتحم
القتال وكان الزحف بخرزوزة من ملعب   سبعي ورتب أمير المسلمين مصافه
وجعل كتيبته وكتيبة ابنه الامير أبي يعقوب جناحين للعسكر واشتد القتال سائر
النهار وانكشف بنو عبد الواد عند أراح القوم وانتهب جميع مخلفهم وما كان
في معسكرهم من المتاع والكراع والسلاح والفساطيط وبات عسكر أمير المسلمين
ليلتهم في صهوات خيلهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم واكتسحت أموال العرب
الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن واستلأت أيدي بني مرين من نعمهم وشائهم ودخلوا
بلاد يغمراسن وزناتة ووافاه هنالك محمد بن عبد القوي أمير بني توجين لقيه بناحية
القصبات وعاثوا جميعا في بلاده نهبا وتخريبا ثم أذن لبني توجين في اللحاق ببلادهم
وأخذهو بمخنق تلمسان متلوما لوصول محمد بن عبد القوي وقومه الى منجاتهم من
جبل وانشريس حذرا عليهم من غائلة يغمراسن ثم أفرج عنها وقفل الى المغرب
ودخل فاس شهر رمضان من سنة ثمانين ثم نهض الى مراكش فاحتل بها احدى
وثمانين بعدها وسرح ابنه الامير أبا يعقوب الى السوس لتدويخ أقطاره ووافاه
بمراكش صريخ الطاغية على ابنه شانجة الخارج عليه فاغتنم الفرصة في فساد بينهم

لقضاء أربه من الجهاد وارتحل مبادرا بالاجازة الى الاندلس والله تعالى أعلم

{الخبر عن اجازة السلطان أبى يوسف صريخا للطاغية لخروج ابنه شانجة عليه وافتراق كلمة النصرانية وما كان فى هذه الاخبار من الغزوات}

لما رجع السلطان من غزاة تلمسان الى فاس وارتحل الى مراكش وافاه بها وفد الطاغية من بطارقته وزعماء دولته وقوامس ملته صريخا على ابنه شانجة خرج عليه فى طائفة من النصارى وغلبوه على أمره فانتصر أمير المسلمين ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من أيديهم فأجاب أمير المسلمين داعيه رجاء الكرة بافتراقهم وارتحل حتى انتهى الى قصر المجاز وأوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد وأجاز الى الخضراء فاحتل بها لربيع الثانى من سنة احدى وثمانين واجتمعت عليه مسالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه بها الطاغية ذليلا لعز الاسلام مؤملا صريخ السلطان فأكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وأمده لنفقاته بمائة ألف من مال المسلمين استرهن فيها التاج الذخيرة عند سلفه وبقى بدارهم فخرا للاعقاب لهذا العهد ودخل معه دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وبها شانجة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفة فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتنقل فى جهاتها ونواحيها وارتحل الى طليطلة فعاث فى جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلأت أيدى المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التى استاقوها وقفل الى الجزيرة فاحتل بها لشعبان من سنته وكان عمر بن محلى نزع الى طاعة السلطان فهم به ابن الاحمر ونبذ اليه عهده وارتجع المنكب من يده ونازله بعساكره فاتح هذه السنة فجهز السلطان اليه لوصوله الجزيرة اسطوله وأفرج ابن الاحمر فبادر الى السلطان بطاعته ووصل بيعة شلوبانية فأبقاه فيها بدعوته ثم راجع طاعة ابن الاحمر فى شوال من سنته فتقبل فيئته وأعاضه عنها بالمنكب الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

{الخبر عن شأن السلم مع ابن الاحمر وتجافى السلطان له عن مالقة ثم تجدد الغزو بعد ذلك}

لما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشى ابن الاحمر غائلته فجنح الى موالاة شانجة الخارج عن أبيه ووصل يده بيده وأكد له العقد وأضرمت له الاندلس نارا وفتنة ولم تغن شانجة عن ابن الاحمر شيأ ورجع السلطان من غزاته مع الطاغية وقد ظاهر على ابنه فأجمع على منازلة مالقة ونهض اليها من الجزيرة فاتح ثنتين وثمانين فتغلب على الحصون الغربية كلها ثم أسف الى مالقة فأناخ عليها بعساكره وضاق النطاق على ابن الاحمر وبدا له سوء المغبة فى شأن مالقة ومداخلة ابن محلى فى الغدر بها وأعمل نظره فى الخلاص

من ورطتها ولم يرلها الاولى عهد السلطان ابنه أبا يوسف لخاطبه بمكانه من المغرب مستصرخا لرقع هذا الخرق وجمع كلمة المسلمين على عدوهم فأجابه واغتنم المثوبة في مسعاه وأجاز لشهر صفر فوافى أمير المسلمين بعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر عن شأن مالقة والتجافي له عنها فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضا الله في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الاحمر وشتدت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا في دار الحرب فأوغلوا وأثخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني من سنة ثنتين وثمانين حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وخلف معسكره بظاهر ساسة وأغذ السير في أرض قفر للملتين انتهى الى البرت من نواحي طليطلة فسرح الخيل في البسائط حتى تقرى جميع ما فيها ولم ينته الى طليطلة لتثاقل الناس بكثرة الغنائم وأثخن في القتل وقفل على غير طريقه فأثخن وخرب وانتهى الى   ووقف بساحتها والعدو منحجزون ثم رجع الى معسكره بساسة وأراح ثلاثا ينسف آثارها ويقتلع أشجارها وقفل الى الجزيرة فاحتل بها شهر رجب وقسم الغنائم ونفل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن الامير أبي مالك ابنه فهلك شهيدا بالمعرى لشهرين من ولايته وأجاز السلطان غرة شعبان الى المغرب ومعه ابنه أبو زيان منديل وأراح بطنجة ثلاثا وأغذ السير الى فاس فاحتل بها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسكه ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلا وازدرد فأقام برباط الفتح شهرين اثنين واحتل مراكش فاتح ثلاث وثمانين وبلغه مهلك الطاغية ابن أدفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج عليه فتحركت الى الجهاد عزائمه وسرح الامير أبا يعقوب ولي عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك القفار مسغبة وعطشا وقفل لما بلغه من اعتلال أمير المؤمنين ووصل الى مراكش وقد أبل وقد اعتزم على الجهاد والغزو شكر الله كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف الرابعة ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات

لما اعتزم أمير المسلمين على الاجازة واعترض جنوده وحاشيته وأزاح عللهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين

واحتل رباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر مصمودة
وشرع في اجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمطوعة خاتم سنته ثم أجاز البحر بنفسه
غرة صفر من سنة أربع بعدها واحتل بظاهرها ثم سار من الخضراء وأراح أياما ثم خرج
غازيا حتى انتهى الى وادلك وسرح الخيول في بلاد العدو وبسائطها يحرق وينسف
فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها
وبث السرايا والغارات في جميع نواحيها وبعث عن المسالح التي كانت بالثغور
فتوافت لديه ولحقه حافده عمر بن أبي مالك بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب
فرسانا ورجالا وانتمحصة العزفي من سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولي
عهده الامير أبي يعقوب باستنفار من بقي من العدوة واعطاء الراية وسرحه لغزو اشبيلية
لآخر صفر من سنته فغنموا ومروا بقرمونة في منصرفهم فاستباحوها وأثخنوا بالقتل
والاسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم وبعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن
عمران بن عبلة عيونا فوافوا حصن القناطر وروضه واستكشفوا ضعف الحامية
واختلال الثغور فعقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان لثالثة
من ربيع وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادلك فرجعوا من الغنائم بما ملأ
العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا
عمرانها ثم سرح ثامن ربيع عسكرا للاغارة على حصن أركش ووافوه على غرة
فاكتسحوا أموالهم ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبي معروف على ألف من الفرسان
وسرحه لغزو اشبيلية فسار واحتل   عليها وانحجرت منه حاميتها
فخرب عمرانها وقطع شجرها وامتلأت أيدي عسكره سبيا وأموالا ورجع الى معسكر
السلطان مملوء الحقائب ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع لغزو حصن كان
بالقرب من معسكره وسرح الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات وأمده بالرجل من
المصامدة وغزاه سنته فاقتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية
وأرغموا خده بالتراب ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن سقوط
قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى أهله ولعشرين
من شهره وصل ولي عهده الامير أبو يعقوب من العدوة بنفير أهل المغرب وكافة القبائل
في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب أمير المسلمين للقائهم وبرور مقدمهم
واعترض العساكر الموافية يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف
من برابرة المغرب متطوعون كلهم بالجهاد فعقد السلطان له على خمسة آلاف من
المرتزقة وألفين من المطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجلين وألفين من الناشبة وسرحه

لغزو اشبيلية والانحاء فى نواحيها فمضى لكتيبته ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الاموال وعاج على الشرق والغابة من بسيط اشبيلية فنسف قراها واقتحم من حصونها وقفل الى معسكر أمير المسلمين فعقد له غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادى الكبير فأغار على قرمونة وطمعت حاميتها فى المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فانكشفوا حتى أحجروهم فى البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشبيلية فأغاروا واقتحموا برجا كان هنالك بناء على المسلمين وأضرموه نارا وامتلأت أيدى عساكره وقفل الى معسكر أمير المسلمين ولثلاث عشرة من ربيع الثانى عقد للامير أبى يعقوب لمنازلة جزيرة كبوز فصمد اليها وقاتلها واقتحمها عنوة وفى ثانى جمادى عقد لطلحة بن يحيى بن محلى وكان بعد مداخلته أخاه عمر فى شأن مالقة سنة خمس وستين خرج الى الحج فقضى فرضه ورجع ومر فى طريقه بتونس واتهمه الدعى بن أبى عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة ثنتين وثمانين ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم أجاز الاندلس غازيا فى ركاب السلطان فعقد له فى هذه الغزاة على مائتين من الفرسان وسرحه الى اشبيلية ليكون رتبة للمعسكر وبعث معه لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين من النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية شانجة وأمير المسلمين أثناء ذلك يغادى شريش ويراوحها بالقتال والتخريب ونسف الآثار وبث السرايا كل يوم وليلة فى بلاد العدو فلا يخلو يوما عن تجهيز عسكر أو اغزاء جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى اكتسف العمران فى جميع بلاد النصرانية وخرب بسائط اشبيلية ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرق وجميع بسائط الفرنتيرة وأبلى فى هذه الغزوات عباد العاصمى من شيوخ جشم وخضر الغزى أمير الاكراد بلاء عظيما وكان لهم فيها ذكر وكذلك غزاة سبتة وسائر المجاهدين والعرب من جشم وغيرهم فلما دمرها تدميرا ونسفها تخريبا واكتسحها غارة ونهبا وزحم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن المعسكر اعتزم على القفول وأفرج عن شريش لآخر رجب ووافاه مدد غرناطة من عساكر الغزاة وقائدهم يعلى بن أبى عياد بن عبد الحق بوادى بردة فلقاهم مبرة وتكريما وانقلبوا الى أهليهم واتصل به أن العدو اغزى اساطيله باحتيال الزقاق والاعتراض دون الفراض فأوعز أمير المسلمين الى جميع سواحله من سبتة وطنجة والمنكب وجزيرة وطريف وبلاد الريف ورباط الفتح واستدعى أساطيله فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا مستكملة فى عدتها فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها واحتل بالجزيرة غرة رمضان واستيقن الطاغية شانجة وأهل ملته أن بلادهم

قد فشت وأرضهم خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فجنحوا الى السلم وضرعوا الى أمير المسلمين فى كف عاديته عنهم على ما نذكر ووصل الى السلطان بمكانه من منازلة شريش عمر بن أبي يحيي بن محلى نازعا الى طاعته فاتهمه لما سبق من تلاعبه وأمر أخاه طلحة فنكبه واعتقل الى طريف فاعتقل بها وسار طلحة الى المنكب فاستصفى أموال أخيه عمر وذخائره وسار الى السلطان و أخاه موسى على عمله بالمنكب وأمده بعسكر من الرجل ثم أطلق عمر لليال من اعتقاله وأجاز طلحة وعمر فى ركاب السلطان ونزع منصور بن أبي مالك حافد السلطان الى غرناطة ثم لحق منها بالمنكب وأقام مع موسى بن يحيى بن محلى فأقره السلطان ورضى بمقامه والله تعالى أعلم

(الخبر عن وفادة الطاغية شانجة وانعقاد السلم ومهلك السلطان على تفيئة ذلك)

لما نزل ببلاد النصرانية بلاد ابن أدفونش من أمير المسلمين ما نزل من تدمير قراهم واكتساح أموالهم وسبي نسائهم وابادة مقاتلتهم وتخريب معاقلهم وانتساف عمرانهم زاغت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا عاصم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاغيتهم شانجة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين فى السلم وايفاد الملا من كبار النصرانية عليه فى ذلك والا فلا تزال تصيبهم منه قارعة وتحل قريبا من دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهضيمة لدينه وأوفد على أمير المسلمين وفدا من بطارقتهم وشمامستهم وأساقفتهم يخطبون السلم ويضرعون فى المهادنة والابقاء ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسعفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن من صاغيتهم اليه وذلهم لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالمة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته فى ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم فى فتنة وبعث لعمه عبد الحق بن الترجمان باشتراط ذلك واحكام عقده فاستبلغ وأكد فى الوفاء ووفدت رسل ابن الاحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه دون أمير المسلمين على قومه ومدافعته عنهم فأحضرهم بمشهد ابن الترجمان وأسمعهم ما عقد أمير المسلمين على قومه وأهل ملته وقال لهم انما أنتم عبيد آبائى فلستم معى فى مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ولما رأى عبد الحق صاغيته الى مرضاة السلطان وسوس اليه بالوفادة لتتمكن الالفة وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك فى سل

السخيمة وتسكين الحفيظة وتمكين الالفة فصغى الى وفاقه وسأل لقى الامير أبى يعقوب ولى عهده من قبل ليطمئن عليه فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء أمير المسلمين وقد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وأهبته فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية ولقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقى بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية أتحف بها أمير المسلمين وابنه من ظرف بلاده كان فيها زوج من الحيوان الوحشى المسمى بالفيل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الظرف فقبلها السلطان وابنه وقابلوه بكفائها ومضاعفتها وكمل عقد السلم وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام عنه وانقلب الى قومه بملء صدره من الرضا والمسرة وسأل منه أمير المسلمين أن يبعث من كتب العلم التى بأيدى النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فاستكثر من أصنافها فى ثلاثة عشر حملا بعث بها اليه فوقفها السلطان بالمدرسة التى أسسها بفاس لطلب العلم وقفل أمير المسلمين
الجزيرة لليلتين بقيتا لرمضان فقضى صومه ونسكه وجعل من قيام ليله جزأ لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم الفطر بمشهد الملا فى مجلس أمير المسلمين وكان من أسبقهم فى ذلك الميدان شاعر الدولة عزوز المكناسى ذكر فيها سير أمير المسلمين وغزواته على نسق ثم أعمل أمير المسلمين نظره فى الثغور فرتب بها المسالح وعقد عليها لابنه الامير أبى زيان منديل وأنزله بركوان مقربة مالقة واستوصاه بأن لا يحدث فى بلاد ابن الاحمر حدثا وعقد لعياد بن أبى عياض العاصمى على مسلحة أخرى وأنزله باطبونة وأجاز ابنه الامير أبا يعقوب لتفقد أحوال المغرب ومباشرة أموره فأجاز فى أسطول القائد محمد بن القاسم الرنداحى قائد سبتة وأوعز اليه بالبناء على قبر أبيه أبى الملوك عبد الحق واقيه ادريس بتافرطست اختط هنالك رباطا وبنى على قبورهم أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء التلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وفدنا وهلك خلال ذلك وزيره يحيى بن أبى منديل العسكرى لمنتصف رمضان ثم اعتل بعد ذلك أمير المسلمين لشهر ذى الحجة واشتد وجعه وهلك لآخر محرم سنة خمس وثمانين وستمائة والله أعلم

(الخبر عن دولة السلطان وما كان فيها من الاحداث وشأن الخوارج لاول دولته)

لما اعتل أمير المسلمين أبو يوسف بالجزيرة مرضه نساؤه وطير الخبر الى ولى العهد الامير أبى يعقوب وهو بمكانه من المغرب فأغذ السير وقضى على أمير المسلمين قبل وصوله فأخذ له البيعة على الناس وزراء أبيه وعظماء قومه وأجاز اليهم البحر فجددوا بيعته عزة

صفر سنة خمس وثمانين وأخذوها على الكافة وانعقد أمر السلطان يومئذ ففرق الاموال وأجزل الصلات وسرّح السجون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ووكلهم فيها الى أماناتهم وقبض أيدى العمال عن الظلم والاعتداء والجور على الرعايا ورفع المكوس ومحا رسم الرتب وصرف اعتناءه الى اصلاح السابلة وكان أول شئ أحدث من أمره الى ان بعث ابن الاحمر وضرب موعدا للقائه فبدر اليه ولقيه بظاهر مربالة لاول ربيع ولقاه مبرّة وتكريما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التى كانت لمملكته ماعدا الجزيرة وطريف وتفرّقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان الى الجزيرة ووافاه بها وفد الطاغية شانجة مجدّدين عقد السلم الذى عقده له أمير المسلمين عفا الله عنه فأجابهم ولما تمهد أمر الاندلس ومرّ عن النظر فيها عهد لاخيه ابى عطية العباس على الثغور الغربية والامارة عليها وعقد لعلى بن يوسف بن   على مسالحها وأمدّه بثلاثة آلاف من عساكره وأجاز الى المغرب فاحتل بقصر مصمودة سابع ربيع الثانى ثم ارتحل الى فاس واحتل بها لثنتى عشرة خلت من جمادى ولحين استقراره بدار ملكه خرج عليه محمد بن ادريس ابن عبد الحق فى اخوته وبنيه وذويهم ولحق بجبل ورغة ودعا لنفسه وسرّح اليه السلطان أخاه أبا معروف فبدا له فى النزوع اليهم ولحق بهم فأغزاهم السلطان عساكره وردّد اليهم البعوث والكتائب وتلطف فى استنزال أخيه فنزل عن الخلاف وعاد الى أحسن طاعته وفرّ أولاد ادريس الى تلمسان ونقبض عليهم أثناء طريقهم وسرّح السلطان أخاه أبا زيان الى تازى وأوعز اليه بقتلهم   خارج تازى لرجب من سنة خمس وثمانين ورهب الاعياص عند ذلك من بادرة السلطان ففرقوا ولحق بغرناطة أولاد أبى العلاء ادريس بن عبد الحق وأولاد يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان ابن بزول ورجع أولاد أبى يحيى الى السلطان بعد اقتضاء عهده وامانه وهلك أخوه محمد بن يعقوب بن عبد الحق لشعبان من سنته وهلك عمر بن أخيه أبى مالك بطنجة ثم خرج على السلطان عمر بن عثمان بن يوسف العسكرى بقلعة فندلاوة ونبذ الطاعة وأذن بالحرب وأوعز السلطان الى بنى عسكر ومن اليهم من القبائل المجاورين لها فاحتشدوا له ونازلوه ثم نهض بركابه وعساكره الى منازلته واحتل بصدورة وخافه عمر على نفسه وأيقن أنه أحيط به فسأل الامان وبذله السلطان على شريطة اللحاق بتلمسان فبعث من يوثق به من الحيرة فنزل فوفى له السلطان بعهده ولحق بتلمسان بأهله وولده ثم ارتحل السلطان فى رمضان من سنته الى مراكش لتمهيد اعمالها وتثقيف أطرافها واحتل بها فى شوّال واعتمل النظر فى مصالحها ونزع خلال ذلك طلحة بن محلى البطوى الى بنى حسان من

لعقل وخرج على السلطان ودعا لنفسه وعقد السلطان لمنصور بن أخيه أبي مالك على هساكروعهد له بولاية السوس وسرحه لاستنزال الخوارج ومحو آثار الفساد والارتياب بمكان أخيه عمر فغربه الى غرناطة فقتله أولاد أبي العلاء يوم وصوله اليها فسار الامير منصور في الجيوش والكتائب وغزا عرب المعقل وأثخن فيهم وقتل طلحة بن محلى في بعض حروبهم لثلاثة عشر في جمادى سنة ست وثمانين وبعث براسه الى سدة السلطان فعلق بتازى ثم نهض في رمضان لغزو المعقل بصحراء درعة لما أضروا العمران وأفسدوا السابلة وسار اليهم في اثنى عشر ألفا من الفرسان ومر على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم بالقفر نواجع فأثخن فيهم بالقتل والسبي واستكثر من رؤسهم فعلقت بشرافات مراكش وسجلماسة وفاس وعاد من غزوه الى مراكش آخر شوال فنكب محمد بن علي بن محلي عاملها القديم الولاية عليها من لدن غلب الموحدين لما وقع من الارتياب بأولاد محلي لما آتاهم كبيرهم طلحة فنكب غرة المحرم من سنة سبعين وهلك في محبسه لشهر صفر بعده وهلك على ذلك المزوار قاسم بن عتو وعقد السلطان على مراكش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالي دولتهم وولاء الحلف وترك معه ابنه أبا عامر ثم ارتحل الى حضرة فاس فاحتل بها منتصف ربيع ووافته بها عرسه بنت موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق من غرناطة في وفد من وزراء ابن الاحمر وأهل دولته فأعرس بها وكان بعث الى أبيها من قبل في الاصهار بها ووافت معها رسل ابن الاحمر يسألونه التجافي عن وادي آش فأسعفهم بها كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

* (الخبر عن دخول وادي آش في طاعة السلطان ثم رجوعها الى طاعة ابن الاحمر) *

كان أبو الحسن بن اشقيلولة ظهيرا للسلطان بن الاحمر على ملكه ومعينه على شأنه وكان له في الدولة بذلك مكان ولما هلك خلف من الولد أبا محمد عبد الله وأبا اسحق ابراهيم فعقد ابن الاحمر لابي محمد على مالقة ولابي اسحق على قمارش ووادي آش ولما هلك السلطان ابن الاحمر حدثت مغاضبات ومنافسات بينهما وبينه وتأدى ذلك الى الفتنة كما نقلناه ودخل أبو محمد في طاعة السلطان أبي يوسف ثم هلك فلحق ابنه محمد بالسلطان ونزل له عن البلد سنة ست وسبعين ثم هلك أبو اسحق سنة ثنتين وثمانين وغلب ابن الاحمر على حصن قمارش وصار اليه وكان الرئيس أبو اسحق قد عقد لابنه أبي الحسن على وادي آش وحصونها واتصلت الفتنة بينه وبين ابن الاحمر وظاهر أبو الحسن عليه الطاغية وأجلب أخوه أبو محمد معه على غرناطة هو وابن الدليل وطال أمر الفتنة بينهما وبين ابن الاحمر ثم انعقد السلم بين المسلمين والنصارى وخشي أبو محمد بن اشقيلولة على نفسه عادية

ابن الاحمر فتذمم بطاعة صاحب المغرب واقام دعوته بوادي آش سنة ست وثمانين فلم
يعرض لها ابن الاحمر حتى اذا وقعت المواصلة بينه وبين ابن السلطان أبي يعقوب وكان
شأن هذا الصهر على يده بعث رسله الى السلطان يسأله التجافي عن وادي آش فتجافى له
عنها وبعث الى أبي الحسن بن اشقيلولة بذلك فتركها وارتحل اليه سنة سبع وثمانين
ولقيه بسلا فأعطاه القصر الكبير وأعماله طعمة سوغه اياها ثم لم تزل البنية آخر دولتهم
واستمكن ابن الاحمر من وادي آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته
والله أعلم

(الخبر عن خروج الامير أبي عامر ونزوعه الى مراكش ثم فيئته الى الطاعة)

لما احتل السلطان بفاس واقام بها خرج عليه ابنه أبو عامر ولحق بمراكش ودعا لنفسه
اخريات شوال من سنة سبع وثمانين وساعده على الخلاف والانتزاء عاملها محمد بن
عطو وخرج السلطان في أثره الى مراكش فبرزا الى لقائه فكانت الدائرة عليهم
وحاصرهم السلطان بمراكش أياما ثم خلص أبو عامر الى بيت المال فاستصفى ما فيه وقتل
المشرف بن أبي البركات ولحق بجبال المصامدة ودخل السلطان من غده الى البلد يوم
عرفة فعفا وسكن ونهض منصور ابن أخيه الامير أبو مالك من السوس الى حاحة فدوخ
انحاءها ثم سرح اليه المدد من مراكش فأوقعوا بركنة من برابرة السوس وقتل منهم
ما يناهز أربعين من سرواتهم وكان فيمن قتل منهم شيخهم حيون بن ابراهيم ثم ان ابنه
أبا عامر ضاق ذرعه بسخط أبيه واجلابه في الخلاف فلحق بتلمسان ومعه وزيره
ابن عطو اوائل سنة ثمان وثمانين فآواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان ولبثوا
عنده أياما ثم عطفت السلطان على ابنه رحم كما عطفت ابنه عليه فرضي عنه وأعاده الى
مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطو الناجم في النفاق مع ابنه فأبى
من اضاعة جواره واخفار ذمته وأغلظ له الرسول في القول فسطا به واعتقله فثارت
من السلطان الحفائظ الكامنة وتحركت الاحن القديمة والترات المتوارثة واعتزم
على غزو تلمسان والله أعلم

(الخبر عن تجدد الفتنة مع عثمان بن يغمراسن
وغزو السلطان مدينة تلمسان ومنازلته اياها)

كانت الفتنة بين هذين الحيين قديمة من لدن مجالاتهم بالقفر من صحراء ملوية الى صا
الى فيكيك ولما انتقلوا الى التلول وتغلبوا على الضواحي بالمغرب الاقصى والاوسط
لم تزل فتنتهم متصلة وأيام حروبهم فيها مذكورة وكانت دولة الموحدين عند اختلالها
والتياثها تستنصر منهم بالتضريب بينهم والفتنة فتكاثرت لذلك أحوالها واتصلت

أيامها وكان بين يغمراسن بن زيان وأبي يحيى بن عبد الحق فيها وقائع ومشاهد نقلنا بعضها من كل واستظهر الموحدون بيغمراسن عليه في بعضها وكان الغلب أكثر ما يكون لأبي يحيى عبد الحق لوفور قبيله الا أن يغمراسن كان يتصدى لمقاومته في سائر وقائعه ولما طمس أثر بني عبد المؤمن واستولى يعقوب بن عبد الحق على ملكهم وصارت في جملته عساكرهم وتضاعف عليه وأسف على ملك يغمراسن ملكه وجمع له فأوقع به في تلاغ الواقعة المعروفة ثم أوقع به ثانية وثالثة ولما استوت قدم يعقوب بن عبد الحق في ملكه واستكمل فتح المغرب وسائر أمصاره وكبح يغمراسن عن التطاول الى مقاومته ووهن قواه بفل جموعه ومنازلته في داره ومظاهرة أقتاله من زناتة بني توجين ومغراوة عليه فانصرف بعد ذلك الى الجهاد فكان له فيه شغل عما سواه كما نقلناه في أخباره ولما انصرف ارتاب ابن الاحمر بمكان السلطان يعقوب بن عبد الحق من الاندلس وحذره على ملكه وتظاهر مع الطاغية على منعه من الاجازة الى عدوتهم ثم خشوا أن لا يستقلوا بمدافعته فراسلوا يغمراسن في الاخذ بحجزته وأجابهم اليها وجرد عزائمه لها واتصلت أيديهم في التظاهر عليه ثم فسد ما بين ابن الاحمر والطاغية ولم يكن له بد من ولاية يعقوب بن عبد الحق فتولى بواسطة ابنه يوسف بن يعقوب كما ذكرناه وأطلعوه على خبء يغمراسن في مظاهرتهم فأغزاه سنة تسع وسبعين وهزمه بخرزونة ونازله بتلمسان ووطأ عدوه من بني توجين بساحته كما ذكرناه ثم انصرف الى شأنه من الجهاد وهلك يغمراسن بن زيان على تفيئة ذلك سنة احدى وثمانين وأوصى ابنه عثمان ولي عهده زعموا أن لا يحدث نفسه بمقاومة بني مرين ومساماتهم في الغلب وأن لا يبرز الى لقائهم بالصحراء وان يلوذ منهم بالجدران متى سموا اليه وألقى اليه زعموا أن بني مرين بعد تغلبهم على مراكش وانضياف سلطان الموحدين الى سلطانهم ازدادت قوتهم وتضاعف غلبهم وقال له زعموا فيما أوصاه ولا يغرنك اني رجعت اليهم بعدها وبرزت الى لقائهم فاني أنفت ان أرجع عن مقاومتهم بعد اعتيادها وأترك مبارزتهم وقد عرفها الناس وأنت لا يضرك العجز عن مبارزتهم والنكول عن لقائهم فليس لك في ذلك مقام معلوم ولا عادة سالفة واجهد جهدك في التغلب على افريقية وراءك فان فعلت كانت المناهضة وهذه الوصاة زعموا هي التي حملت عثمان وبنيه من بعده على طلب ملك افريقية ومنازلة بجاية وحربهم مع الموحدين ولما هلك يغمراسن ذهب ابنه الى مسالمة بني مرين فبعث أخاه محمدا الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وأجاز البحر اليه بالاندلس ووافاه بأركش في اجازته الرابعة سنة أربع وثمانين فعقد له ما جاء اليه من السلم والمهادنة ورجعه الى أخيه وقومه مملئا كرامة وسرورا وهلك

يعقوب بن عبد الحق اثر ذلك سنة خمس وثمانين وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب وانتزى الخوارج عليه بكل جهة فشمر لهم واستنزلهم وحسم أدواءهم ثم خرج عليه ابنه آخرا كما ذكرناه مع الاثم وزير السلطان محمد بن عطوا ثم فاء الى طاعة أبيه ورضى عنه وأعاده الى مكانه من حضرته وطالب عثمان بن يغمراسن كما ذكرناه فى ابن عطوا المنتزى عليه مع ابنه فأبى عثمان من تسليمه وتحركت حفيظة السلطان واعتزم على غزوهم فارتحل من مراكش لصفر من سنة سبع وثمانين وعقد عليها لابنه الامير أبى عبد الرحمن ثم نهض لغزاته من فاس آخر ربيع من سنته فى عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نزل تلمسان فانحجز عثمان وقومه بها ولاذوا منه بجدرانها فسار فى نواحيها ينسف الآثار ويخرب العمران ويحطم الزرع ثم نزل بذراع الصابون بساحتها ثم انتقل منه الى تامة وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولما امتنعت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بنى يرناتن ونسك الاضحى وقربانه بتازى وتلبث بها ومنها كان فصوله للغزو عند انتقاض الطاغية كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن انتقاض الطاغية واجازة السلطان لغزوه) *

لما رجع السلطان من غزو تلمسان وافاه الخبر بأن الطاغية شانجة انتقض ونبذ العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور فأوعز الى قائد المسالح على بن يوسف بن يرناسن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك فى ربيع الآخر من سنة تسعين وجاس خلالها وتوغل فى أقطارها وأبلغ فى النكاية وفصل السلطان من تازى غازيا على اثره فى جمادى واحتل قصر مصمودة واستنفر أهل المغرب وقبائله ونفروا وشرع فى اجازتهم البحر وبعث الطاغية اساطيله الى الزقاق حجرا دون الاجازة فأوعز السلطان الى قواد اساطيله بالسواحل فأغزاهم والتقت الاساطيل ببحر الزقاق فى شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله ثم أغزاهم ثانية وخامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق وملكته أساطيل السلطان فأجاز أخريات رمضان واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا فى أرض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى أن بلغ فى النكاية والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحمه فصل الشتاء وانقطاع الميرة عن العسكر فأفرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب فاتح احدى وتسعين فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن انتقاض ابن الاحمر ومظاهرته للطاغية على طريف اعادها الله للمسلمين)

لما قفل السلطان من غزاته فاتح احدى وتسعين كما ذكرناه وقد أبلغ في نكاية العدو وأثخن في بلاده فأهم الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته والتمس الولاية من دونه وحذر ابن الاحمر غائلته ورأى أن مغبة حاله الاستيلاء على الاندلس وغلبه على أمره ففاوض الطاغية وخلصوا نجيا وتحدثوا أن استمكانه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفافيه لتصرف شوانيهم وسفنهم متى أرادوا فضلا عن الاساطيل وان أم تلك الثغور طريف وأنهم اذا استمكنوا منها كانت ربيئة لهم على بحر الزقاق وكان اسطولهم بمرفاها بمرصد الاساطيل صاحب المغرب الخائضين لجة ذلك البحر فاعتزم الطاغية على منازلة طريف وزعم له ابن الاحمر بمظاهرته على ذلك وشرط له المدد والميرة لاقوات العسكر ايام منازلتها على ان تكون له ان خلصت وتعاونوا على ذلك وأناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الآلات وانقطع عنها المدد والميرة واحتلت أساطيله ببحر الزقاق فحالوا دون الصريخ من السلطان واخوانهم المسلمين واضطرب ابن الاحمر معسكره بمالقة قريبا منه يسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات وبعث عسكر المنازلة حصن اصطبونة وتغلب عليه بعد مدة من الحصار واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن البلد فعاقدهم واستنزلهم سنة احدى وتسعين ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الاحمر الى تجافي الطاغية عنها لما عقد واعتامه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان نزل له عن ستة من الحصون عوضا منها ففسد ذات بينهما ورجع ابن الاحمر الى تمسكه بالسلطان واستعانته به لاهل ملته على الطاغية وأوفد ابن عمه الرئيس أبا سعيد فرج بن اسمعيل ابن يوسف ووزيره أبا سلطان عزيز الداني في وفد من أهل حضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف فوافوه بمكانه من منازلة تازوطا كما نذكر بعد فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ثنتين وتسعين باسعاف غرضه من المواخاة واتصال اليد وهلك خلال ذلك قائد المسالح بالاندلس على بن يزكاسن في ربيع الاول سنة ثنتين وتسعين وعقد السلطان لابنه ولى عهده الامير أبي عامر على ثغور الاندلس التي في طاعته وعهد له بالنظر في مصالحها وأنفذه الى قصر الجواز بنسا كرفوافاه هنالك السلطان ابن الاحمر كما نذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن وفادة ابن الاحمر على السلطان والتقائهما بطنجة)

لما رجعت الرسل الى ابن الاحمر وقد كرمت وفادتهم وقضيت حاجتهم وأحكمت في المواخاة مقاصدهم وقع ذلك من ابن الاحمر أجمل موقع وطار سرورا من اعواده وأجمع الرحلة الى السلطان لاحكام الود والاستبلاغ في العذر عن واقعة طريف وشأنها واستعدادهم لاغاثة المسلمين ونصرهم من عدوهم فاعتزم على ذلك وأجاز البحر ذا القعدة سنة ثنتين وتسعين واحتل بنيونش من ساحة سبتة ثم ارتحل الى طنجة وقدم بين يدى نجواه هدية أتحف بها السلطان كان من أحفلها وأحسنها موقعا لديه فيما زعموا المصحف الكبير أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الاربعة المنبعثة الى الا فاق المختص هذا منها بالمغرب كما نقله السلف كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة فتلقاه الامير أبو عامر هنالك وأخوه الامير أبو عبد الرحمن ابنا السلطان واحتفلا في مبرته ثم جاء السلطان على اثرهما من حضرته لتلقيه وبرور مقدمه ووافاه بطنجة وبلغ في تكرمته وبر وفادته ما يكرم به مثله وبسط ابن الاحمر العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان عن العذل وأعرض عنه وقبل منه وبر واحتفى ووصل وأجزل ونزل له ابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب ونزل عساكره وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتم ثنتين وتسعين محبوا محبورا وأجازت عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد على حربها ومنازلتها الوزير ء الطائر الذكر عمر بن السعود بن الخرباش الجشمي فنازلها مدة وامتنعت فأفرج عنها وصرف السلطان همته الى غزو تلمسان وحصارها كما يذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتزاء الوزير الوساطي بحصن تازوطا من جهات الريف واستنزال السلطان اياه)

كان بنو الوزير هؤلاء رؤساء بني واطاس من قبل بني مرين ويرون ان نسبهم دخيل في بني مرين وأنهم من أعقاب علي بن يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو ونزلوا على بني واطاس ورسخت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم ولم يزل السرو متربعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بأنوفهم وكانوا يرون الفتك بالامراء من أولاد عبد الحق فلم يطيقوه ولما احتل السعيد بتازى غازيا الى تلمسان كما ذكرناه ولحق ببلدهم الامير أبو يحيى بن عبد الحق ائتمروا في الفتك به ونذر بشأنهم فارتحل ففروا الى غبولة وعين الصفا من بلاد بني يزناسن وهنالك بلغه خبر مهلك السعيد وكانت بلاد الريف لبني واطاس من لدن دخول بني مرين المغرب واقتسامهم لاعماله فكانت ضواحيها لنزالهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع المعاقل بالمغرب وكان الملوك من أولاد عبد الحق يعتنون بشأنه وينزلونه من أوليائهم من يثقون بغنائه

واطلاعه ليكون آخذا بناصية هؤلاء الرهط وشجا في صدورهم عما يسمون اليه وكان السلطان قد عقد عليه لمنصور ابن أخيه الامير أبي مالك بعد مهلك ابنه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق وكان عمر بن يحيى بن الوزير وأخوه عامر رئيسين على واطاس لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان بعد مهلك أبيه وحدثوا أنفسهم بالانتزاء بتازوطا والاستبداد بتلك الناحية فوثب عمر منهم بمنصور ابن أخي السلطان شهر شوال من سنة احدى وتسعين وفتك برجاله وذويه وأزعجه عنها وغلبه على مال الجباية الذى كان بقصره فاستصفاه وتأثر به واستبد وشحن الحصن برجاله وحاشيته ووجوه قومه ووصل منصور الى السلطان وهلك للبال من منجاته أسفا لما أصابه وسرح السلطان وزيره الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش بالعساكر لمنازلته فأناخ عليه ثم نهض السلطان على أثره ووافاه واضطرب معسكره بساحته وخالف عامر أخاه عمر الى السلطان بقومه حذرا من مغبة الامر وأشفق عمر لشدة الحصار ويئس من الخلاص وظن أن قد أحيط به ودس الى أخيه عامر فاستأذن السلطان فى مداخلته فى الدخول على الحصن فأذن له واحتمل ذخيرته وفر الى تلمسان وبدا لعامر فى رأيه عندما خلص الى الحصن وخلا له من أخيه عمر الجو وحذر غائلة السلطان وخشى أن يثأر منه بابن أخيه فامتنع بالحصن ثم ندم وسقط فى يده وفى خلال ذلك كان وصول وفد الاندلس وأرسوا أساطيلهم بمرسى عساسة فبعث اليهم عامر أن يشفعوا له عند السلطان لو جاءتهم اديه فتقبلت شفاعتهم على شريطة اجازته الى الاندلس وكره ذلك وقدم بين يديه بعض حاشيته الى الاسطول مكرا بهم وخاض الليل الى تلمسان وتقبض السلطان على ولده وقتا واسلم أهل الاسطول من كان من حاشيته لديهم وتجافوا عن اجازتهم على السلطان لما مكر بهم عامر فاستلحم وامع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم وتملك السلطان حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلحته وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادى من سنة ثنتين وتسعين والله تعالى أعلم

(الخبر عن نزوع أبي عامر ابن السلطان الى بلاد الريف وجهات غمارة)

كان الامير أبو عامر بعد اجازة ابن الاحمر الى السلطان أبيه ورضاه عنه وتأكد مواخاته واغراء وزيره بمنازلة طريف واستنزاله أولاد الوزير المنتزين بحصن تازوطا رجع من قصر مصمودة الى بلاد الريف بايعاز أبيه اليه بتسكين أحوالها وكان أولاد الامير أبي يحيى بن عبد الحق قد نزعوا الى تلمسان لسعاية فيهم وقرت فى صدر السلطان فأقاموا بها أياما ثم استعطفوا السلطان واسترضوه فرضي وأذن لهم فى الرجوع الى محلهم من قومهم ودولتهم وبلغ الخبر الامير أبا عامر وهو بمعسكره من الريف فأجمع على

اغتيالهم في طريقهم فظنّ أنه رضي بذلك أباه واعترضهم بوادي القطف من ملوية سنة خمس وتسعين فاستلمهم وانتهى الخبر الى السلطان فقام في ركائبه وقعد وتبرأ الى ابنه من اخفار ذمته ومن صنيع ابنه وسخطه وأقصاه فذهب مغاضبا ولحق ببلاد الريف ثم صاعدا الى جبل غمارة فلم يزل طريدا بينهم ونازلته عساكر أبيه لنظر ميمون بن وودرار الحشمي ثم لنظر تزريكن بن الولاة تامعونت وأوقع بهم مرارا وآخرها بتزريكن سنة سبع وتسعين وذكر الريحي مؤرخ دولتهم أن خروجه بجبل غمارة كان سنة أربع وتسعين وقتله لاولاد الامير أبي يحيى كان سنة خمس وتسعين بعدها أغزاهم من مثوى اعتزازه وقتلهم كما ذكرناه والله أعلم ولم يزل هذا دأبه الى أن هلك ببني سعيد من جبال غمارة سنة ثمان وتسعين ونقل شلوه الى فاس فووري بباب الفتوح ملحد قومهم هنالك وأعقب ولدين نقلهما السلطان جدهما فكانا الخليفتين من بعده على مانذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

* (الخبر عن حصار تلمسان الكبير وما تخلل ذلك من الاحداث)

كان عثمان بن يغمراسن بعد افراج السلطان سنة تسع وثمانين وانتقاض الطاغية وابن الاحمر عليه كما قلناه صرف الى ولايتهما وجه تدبيره وأوفد على الطاغية ابن بريدي من صنائع دولته سنة ثنتين وتسعين ووجهه الطاغية مع الريك ريكس رسول من كبار قومه ثم عاد اليه الحاج مسعود من حاشيته ووصل يده بيده يظن ذلك دافعا عنه واعتدها السلطان عليه وطوى له على الغش حتى اذا فرغ من شأن الاندلس وهلك الطاغية شانجة سنة ثلاث وتسعين لاحدى عشرة من سني ملكه وارتحل السلطان الى طنجة لمشارفة أحوال الاندلس سنة أربع وتسعين فأجاز اليه السلطان ابن الاحمر ولقيه بطنجة وأحكم معه المواخاة ولما استيقن سكون أحوالها نزل لابن الاحمر عن جميع الثغور التي بها الطاغية وأجمع غزو تلمسان ولحق به بين يدي ذلك ثابت بن منديل المغراوي صريخا على ابن يغمراسن ومستجيشا بقومه فتقبله وأجاره وكان أصاب الناس أعوام ثنتين وتسعين قحط ونالتهم سنة وهزوا لها ثم ان الله رحم خلقه وأدرّ نعمته وأعاد الناس الى ماعهدوه من سبوغ نعمهم وخصب عيشهم ووفد عليه سنة أربع وتسعين ثابت بن منديل أمير مغراوة مستصرخا به من عثمان بن يغمراسن فبعث من كبار قومه موسى بن أبي حمو الى تلمسان شفيعا في ثابت بن منديل فرده عثمان أقبح رد وأساء في اجابته فعاود الرسالة اليهم في شأنه فلم يزدهم الا اصرارا فاعتزم على غزو بلادهم واستعد لذلك ونهض سنة أربع وتسعين حتى انتهى الى بلاد تاوريرت وكانت تخما العمل بني مرين وبني عبد الواد في جانبها عامل السلطان أبي يعقوب وفي جانبها

الآخر عامل عثمان بن يغمراسن فطرد السلطان عامل ابن يغمراسن واختط الحصن الذى هنالك لهذا العهد تولاه بنفسه يغادى الفعلة ويراوحهم وأكمل بناءه فى شهر رمضان من سنته واتخذه ثغر الملكه وأنزل بنى عسكر لحياطته وسد فروجه وعقد عليهم لاخيه أبى يحيى بن يعقوب وانكفأ راجعا الى الحضرة ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين غازيا الى تلمسان ومر بوجدة فهدم أسوارها وتغلب على مسيفة والزعاوة وانتهى الى ندرومة ونازلها أربعين يوما ورماها بالمنجنيق وضيق عليها وامتنعت عليه فأفرج عنها ثانى الفطر ثم أغزى تلمسان سنة ست وتسعين وبرز لمدافعته عثمان بن يغمراسن فهزمه وحجزه بتلمسان ونزل بساحتها وقتل خلقا من أهلها ونازلها أياما ثم أقلع عنها وقفل الى المغرب وقضى منسك الاضحى من سنته بتازى فأعرس هنالك بحافدة أبى ثابت بن منديل كان أصهر فيها الى جدها قبل مهلكه سنة ست وتسعين قتيلا بجزيرة الزيتون من ظاهر فاس قتله بعض بنى ورتاجن فى دم كان لهم فى قومه فثأر السلطان به من قاتله وأعرس بحافدته وأوعز ببناء القصر بتازى وقفل الى فاس فاتح سنة سبع وتسعين ثم ارتحل الى مكناسة وانكفأ الى فاس ثم نهض فى جمادى غازيا تلمسان ومر بوجدة فأوعز ببنائها وتحصين أسوارها واتخذ بها قصبة ودارا للسكنى ومسجدا وأوعز الى تلمسان ونزل بساحتها وأحاطت عساكره احاطة الهالة بها ونصب عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار ازدلف اليه الصناع والمهندسون فعملها وكانت توقر على احد عشر بغلا ثم لما امتنعت عليه تلمسان أفرج عنها فاتح سنة ثمان ومر بوجدة فأنزل بها الكتائب من بنى عسكر لنظر أخيه أبى يحيى بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت وأوعز اليهم بترديد الغزاة على أعمال يغمراسن وافسادسابلتها وضاقت أحوالهم ويئسوا من صريخ صاحبهم فأوفدوا على الامير أبى يحيى وفدا منهم يسألون الامان بمن وراءهم من قومهم على أن يمكنوه من قياد بلدهم ويدينوا بطاعة السلطان فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم ودخل البلد بعساكره واتبعهم أهل تاوونت وأوفد مشيختهم جميعا على السلطان آخر جمادى فقدموا عليه بحضرته وأدوا طاعتهم فقبلها ورغبوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم ابن يغمراسن ووصفوا من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما استنهض السلطان لذلك على ما نذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن الحصار الكبير لتلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما توفرت عزائم السلطان عن النهوض الى تلمسان ومطاولة حصارها الى أن يظفر بها ويقومها واستيقن أنه لا مدافع له عن ذلك نهض من فاس شهر رجب من سنة ثمان

وتسعين بعد ان استكمل حشده ونادى فى قومه واعترض عساكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عللهم وارتحل فى التعبية واحتل بساحة تلمسان ثانى شعبان وأناخ عليها واضطرب معسكره بفنائها وحجر عثمان بن يغمراسن وحاميتها من قومه وأدار الاسوار سياجا على عمرانها كله ومن ورائها نطاق الحفير البعيد المهوى ورتب المسالح على أبوابها وفروجها وسرح عساكره لمحاصرتها افتتحوها وآتوا طاعتهم وأوفد مشيختهم وسط شعبان ثم سرح عساكره لمحاصرة وهران وتقرى البسائط ومنازلة الامصار فأخذت مازونة فى جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وتنس فى شعبان بعده وتالموت والقصبات وتامزردكت فى رمضان منه وفيه كان فتح مدينة وهران وسارت عساكره فى الجهات الى أن بلغت بجاية كما نذكره وأخذ الرعب بقلوب الامم بالنواحى وتغلب على ضواحى مغراوة وتوجين وسارت فيها عساكره ودوختها كتائبه واقتحمت أمصارها مثل مليانة ومستغانم وشرشال والبطحاء ووانشريس والمرية وتافركينت وأطاعه زيرى المنترى ببرشك وأتى بيعته وابن علان المنترى بالجزائر وأزعج الناكثين منهم عن طاعته واستألف أهل الطاعة كما نذكره وحذره الموحدون من ورائهم بافريقية ملوك بجاية وملوك تونس فمدوا اليه يد المواصلة ولاطفوه بالمتاحفة والمهاداة كما نذكره وخاطب صاحب الديار المصرية ملك الترك وهاداه وراجعه كما نذكره ووفد عليه شرفاء مكة بنى نمى كما نذكر وهو فى خلال ذلك مستجمع للمطاولة بالحصار والتضييق متجاف عن القتال الا فى بعض الايام ولم تبلغ أربعة أو خمسة ينزل شديد العقاب والسطوة بمن يعثرها ويأخذ بالمرصاد على من يتسلل بالاقوات اليها فقد جعل سرداق الاسوار المحيطة ملاك الامر فى ذلك فلا يخلص اليهم الطيف ولا يكاد يصل اليهم العيث مدة مقامه عليها الى أن هلك بعد مائة شهر كما نذكره واختط بمكان فسطاط المعسكر قصرا لسكناه واتخذ به مسجدا للصلاة وأدار عليها السور وأمر الناس بالبناء فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الانيقة واتخذوا البساتين وأجروا المياه ثم أمر بادارة السور سياجا على ذلك سنة اثنتين وسبعمائة وصيرها مصرا فكانت من أعظم الامصار والمدن وأحفلها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق أسواق واحتفال بناء وتشييد منعة وأمر باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدا جامعا وشيد له مأذنة رفيعة فكان من أحفل مساجد الامصار وأعظمها وسماها المنصورة واستبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل اليها التجر بالبضائع من الآفاق فكانت احدى مدائن المغرب وخربها آل يغمراسن عند مهلكه وارتحال كتائبه بعد أن كان بنو عبد الواد أشرفوا على الهلاك وأذنوا بالانقراض كما نذكره فتداركهم

لطف الله ماشأنه أن يتدارك المتورطين في المهالك والله غالب على أمره

(الخبر عن افتتاح بلاد مغراوة وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما أناخ السلطان على تلمسان وتغلب على ضواحي بني عبد الواد وافتتح أمصارهم سما الى التغلب على ممالك مغراوة وبني توجين وكان ثابت بن منديل قد وفد على السلطان بمقر ملكه من فاس سنة أربع وتسعين وأصهر اليه في حافدته فعقد له عليها وهلك ثابت بمكان وفادته من دولتهم وأعرس السلطان بحافدته سنة ست وتسعين كما ذكرناه ذلك من قبل فلما تغلب السلطان على مال بني عبد الواد جهز عساكره الى بلاد مغراوة وعقد عليها لعلي بن محمد من عظماء بني ورتاجن فتغلبوا على الضواحي وشردوا مغراوة الى رؤس المعاقل واعتصم راشد بن محمد بن ثابت بن منديل صهر السلطان بمليانة فنازلوه بها ثم استنزلوه على الامان سنة تسع وتسعين فأوفدوه على السلطان فلقاه مبرة وتكرمة وخلطه بجملة صهره معه ثم افتتحوا مدينة تدلس ومازونة وشرشال وأعطى زيري بن حماد المنتزي على برشك من بلادهم يد الطاعة واوفد على السلطان البيعة واستولوا على ضواحي شلف كلها ولاذت مغراوة بطاعة السلطان وعقد عليهم وعلى جميع بلادهم لعمر بن ويفرن بن منديل فأسف ذلك راشد بن محمد لما كان يراه لنفسه من الاختصاص ولما كانت أخته حظية السلطان وكريمته ونافس عمر بن ويفرن في امارة قومه فلحق بجبال متيجة وأجلب على من هنالك من عمال السلطان وعساكره وانحاش اليه مرضى القلوب من قومه فاعصوصبوا عليه وداخلوا أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وملكوه أمرهم في ربيع من المائة السابعة ثم بيت عمر بن ويفرن بعسكره من أزمورفقتله واستباح العسكر وبلغ الخبر الى السلطان فسرح العساكر من بني مرين وعقد لعلي بن الحسن بن أبي الطلاق على قومه من بني عسكر ولعلي بن محمد الخيري على قومه من بني ورتاجن وجعل الامر شورى بينهما وأشرك معهما عليا الحساني من صنائع دولته وأبا بكر بن ابراهيم بن عبد القوي من أعياص بني توجين وعقد على مغراوة لمحمد ابن عمر بن منديل واشركه معهم وزحفوا الى راشد ولما أحس بالعساكر لجأ الى معقل بني بوسعيد فيمن معه من شيعة مغراوة وأنزل بمازونة عليا وحموا بني عمه يحيى بن ثابت واستوصاهم بضبط البلد وأنه مشرف عليهم من الجبل وجاءت عساكر السلطان الى بلاد مغراوة فتغلبوا على البسائط وأناخوا بمازونة واضطربوا بعسكرهم بساحتها وأخذوا بمخنقها واهتبل علي وقومه غرة معسكر بني مرين فبيتهم سنة احدى وسبعمائة وانفض المعسكر وتقبض على علي بن محمد الخيري ثم امتنعوا عليه وعاد المعسكر الى مكانهم من حصارهم وجهدهم حالهم فنزل اليهم حمو بن يحيى على حكم السلطان وأنفذوه اليه

فتقبض عليه ثم نزل على ثانية من غير عهد فأشخصوه الى السلطان فلقاه مبرة وتكريما تأنيسا لراشد المنتزى بمعقله واقتحمت على أهلها عنوة سنة ثلاث فمات منهم عالم واحتملت رؤسهم الى سدة السلطان فرميت فى حفائر البلد المحصور ارهابا لهم وتخذيلا ولما عقد السلطان لأخيه أبى يحيى على بلاد الشرق وسرحه لتدويخ الثغور نازل راشد بمعقله من بنى بو سعيد فبيت راشد معسكرهم احدى لياليه فانفضوا وقتل طائفة من بنى مرين ووجد السلطان لها فأمر بقتل على وحموا بنى عمه يحيى ومن كان معتقلا معهما من قومهما ورفعوا على الجذوع وأثبتوهم بالسهام ونزل راشد بعدها عن معقله ولحق بمتيجة وانحاش اليه منيف بن ثابت وأوشاب من مغراوة وتحيز الآخرون الى أميرهم محمد بن عمر بن منديل الذى عقد له السلطان عليهم ثم ناشبت على راشد ومنيف خوارج الثعالبة ومليكش وصمد اليهم الامير أبو يحيى فى عساكره ثانية ونازلهم بمعاقلهم ورغبوا فى السلم فبذله السلطان لهم وأجاز منيف بن ثابت الى الاندلس فيمن اليه من بنيه وعشيره فاستقروا بها آخر الايام ولحق راشد ببلاد الموحدين ووفد محمد بن عمر بن منديل سنة خمس على السلطان فأوسعه حبا وتكريما وتمهدت بلاد مغراوة واستبد بملكها السلطان وصرف اليها العمال ولم يزل كذلك الى أن هلك سنة ست والله تعالى أعلم

(الخبر عن افتتاح بلاد توجين وما تخلل ذلك)

لما نازل يوسف بن يعقوب تلمسان وأحاط بها وتغلب على بنى عبد الواد وسما الى تملك بلاد توجين وكان عثمان بن يغمراسن قد غلبهم على مواطنهم وملك جبل وانشريس وتصرف فى بنى عبد القوى بالولاية والعزل وأخذ الاتاوة سنة احدى وسبعمائة وأوعز اليه السلطان ببناء البطحاء التى هدمها محمد بن عبد القوى فبناها وتوغل فى قاصية المشرق ثم انكفأ راجعا الى حضرة أخيه وعطف على بلاد بنى توجين سنة ثنتين وفر بنو عبد القوى الى ضواحيهم بالقفر ودخل الى جبل وانشريس وهدم حصونهم به ورجع الى الحضرة ثم بادر أهل تافركينت سنة ثلاث باتياء طاعتهم وانتقضوا طاعتهم بعدها ثم بعث أهل المرية بطاعتهم السلطان فتقبلها وأوعز ببناء قصبتها وراجع بنو عبد القوى بعد ذلك بصائرهم فدخلوا فى طاعة السلطان ووفدوا عليه بمكانه من المنصورة مدينته المحيطة على تلمسان سنة ثلاث فتقبل طاعتهم ورعى سابقتهم وأعادهم الى بلادهم وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وأوعز ببناء قصبة المرية سنة أربع وكملت سنة خمس وهلك على بن الناصر خلال ذلك فعقد عليهم لمحمد بن عطية الاصم كما ذكرناه فاستمر على الطاعة ثم انتقض سنة ست وحمل قومه على الخلاف وانتبذوا عن الوطن الى أن هلك يوسف بن يعقوب كما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

* (الخبر عن مراسلة ملوك افريقية بتونس وبجاية لزناتة وأحوالهم معهم) *

كان لبنى أبى حفص ملوك افريقية مع زناتة هؤلاء أهل المغرب من بنى مرين وبنى عبد الواد سوابق مذكورة فكان لهم على يغمراسن وبنيه طاعة معروفة يؤدون بيعتها ويخطبون على منابرهم بدعوتها من تغلب الامير أبى زكريا بن عبد الواحد على تلمسان وعقده عليها ليغمراسن واستمرت حالهم على ذلك وكانت لهم أيضا مع بنى مرين ولاية وسابقة بما كان بنو مرين منذ أول أمرهم يخاطبون الامير أبا زكريا ويبعثون له بيعة البلاد التى يتغلبون عليها مثل مكناسة والقصر ومراكش آخرا ثم صارت مخالصة من لدن عهد المستنصر ويعقوب بن عبد الحق وكانوا يتحفونهم بالمال والهدايا فى سبيل المدد على صاحب مراكش وقد ذكرنا السفارة التى وقعت بينهما سنة خمس وستين وأن يعقوب أوفد عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز ومحمد الكنانى وأوفد عليه المستنصر سنة سبع بعدها كبير الموحدين يحيى بن صالح الهنتاتى فى وفد من مشيخة الموحدين ومعهم هدية سنية ثم أوفد الواثق ابنه سنة تسع وسبعين قاضى بجاية المذكور أبا العباس أحمد الغمارى وأسنى الهدية معه ولم يزل الشأن بينهم هذا الى أن افترق أمر آل أبى حفص وطار الامير أبو زكريا ابن الامير أبى اسحق بن يحيى بن عبد الواحد من عشه تلمسان فى وكر عثمان بن يغمراسن وأسف الى بجاية فاستولى عليها سنة ثلاث وثمانين واستضاف اليها قسنطينة وبونة وصيرهما عملا لملكه ونصب لهما كرسيا لأمره وأسف عثمان بن يغمراسن لفراره من بلده لما كان عليه من التمسك بدعوة عمه أبى حفص صاحب تونس فشق ذلك عليه ونكره واستمرت الحال على ذلك ولما نزل السلطان يوسف بن يعقوب بمخنق تلمسان وأرسى قواعد ملكه بساحتها وسرح عساكره لالتهام الامصار والجهات وتوجس الموحدون الخيفة منه على أوطانهم وكان الامير أبو زكريا فى جهات تدلس محاميا عن حوزته وعمله وزحف هنالك راشد بن محمد نازعا عن السلطان أبى يعقوب ثم طلعت العساكر على تلك الجهات فى اتباعه فزحف اليه عسكر الموحدين سنة تسع وتسعين بناحية جبل الزاب ففضوا جمعه وأوقعوا به واستلحموا جنوده واستمر القتل فيهم وبقيت عظامهم مثلة بمصارعهم سنين ورجع الامير أبو زكريا الى بجاية فانحصر بها وهلك على تفيئة ذلك على رأس المائة السابعة وقارن ذلك مغاضبة بينه وبين أمير الزواودة لعهده عثمان بن سباع بن يحيى بن دريد بن مسعود البلط فوفد على السلطان أخريات احدى وسبعمائة ورغبه فى ملك بجاية واستحثه للمسير اليها فأوعز الى أخيه الامير أبى يحيى بمكانه من منازلة مغراوة ومليكش والثعالبة بأن ينهض الى أعمال الموحدين وسار عثمان بن سباع وقومه بين يدى العساكر يقصون الطريق الى

أن تجاوز الامير أبو يحيى بعساكره بجاية واحتل بتاكرارت من أوطان سدويكش من أعمال بجاية وأطل على بلاد سدويكش وانكفأ راجعا فأوطأ عساكره ساحة بجاية وبها الامير خالد بن يحيى وناشبهم القتال بعض أيام جلا فيها أولياء السلطان أبي البقاء عن أنفسهم وسلطانهم وأمر بروض السلطان المسمى بالبديع فخرّبه وكان من آنق الرياض وأحفلها وقفل الى مكانه من تدويخ البلاد وأعرض عن اعمال الموحدين وكان صاحب تونس لذلك العهد محمد بن المستنصر الملقب بأبي عصيدة بن يحيى الواثق فأوفد على السلطان شيخ الموحدين بدولته محمد بن اكمازير عاقدا أسباب الولاية ومحكما مذاهب الوصلة ومقررا سوابق السلف فوفد في مشيخة من قومه لشعبان سنة ثلاث وناغاه الامير أبو البقاء خالد صاحب بجاية وأوفد مشيخة من أهل دولته كذلك وبرّ السلطان وفادتهم وأحسن منقلبهم ثم عاد ابن اكمازير سنة أربع وسبعمائة ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان أبو عبد الله بن يزريكن في وفد من عظماء الموحدين وأوفد صاحب بجاية حاجبه أبا محمد الرخامي وشيخ الموحدين بدولته عباد بن سعيد بن عثمن ووفدوا جميعا على السلطان ثالث جمادى فأحسن السلطان في تكرمتهم ما شاء ووصلهم الى نفسه بمساكن داره وأراهم أريكة ملكه وأطافهم قصوره ورياضه بعد أن فرشت ونغقت فملأ قلوبهم جلالا وعظمة ثم بعثهم الى المغرب ليطوفوا على قصور الملك بفاس ومراكش ويشاهدوا آثار سلفهم وأوعز الى عمال المغرب بالاستبلاغ في تكرمتهم واتحافهم فانتهوا من ذلك الى الغاية وانقلبوا الى حضرته آخر جمادى وانصرفوا الى ملكهم بالحديث عن شأن رسالتهم وكرامة وفدهم ثم أعاد ملوكهم مراسلة السلطان سنة خمس بعدها فوفد أبو عبد الله بن اكماز ير من تونس وعباد بن سعيد من بجاية وأوفد السلطان على صاحب تونس مع رسوله صاحب الفتيا بحضرته الفقيه أبا الحسن التونسي وعلى بن يحيي البركشي رسولين يسألان المدد بأسطوله فقضوا رسالتهم وانقلبوا سنة خمس ووصل بخبرها أبو عبد الله المزدوري من مشيخة الموحدين واقترن بذلك وصول حسون بن محمد بن حسون المكناسي من صنائع السلطان كما أوفد مع ابن عثمن على مراسلة الامير أبي البقاء خالد صاحب بجاية في طلب الاسطول أيضا فرجعوه بالمعاذير وأوفدوا معه عبد الله بن عبد الحق بن سليمان فتلقاهم السلطان بالمبرة وأوعز الى عامله بوهران أن يستبلغ في تكريم عمرة الاسطول فجرى في ذلك على مذهبه وانقلبوا جميعا أحسن منقلب وغنى السلطان عن أسطولهم لفوات وقت الحاجة اليه من منازلة بلاد السواحل اذ كان قد تملكها أيام محاصرتهم بعده واتصل الخبر بصاحب تلمسان الامير أبي زيان بن عثمان المبايع أيام الحصار عند مهلك أبيه عثمان

ابن يغمراسن آخر سنة ثلاث فبلغه صنيع الموحدين في موالاة عدوه السلطان يوسف ابن يعقوب ومظاهرته بأساطيلهم عليه فأسفهم ذلك وأخرسوا منابرهم عما كانت تنطق به من الدعاء من عهد يغمراسن فلم يراجعوا دعوتهم من بعد وهلك السلطان على تفيئة ذلك والبقاء لله وحده

الخبر عن مراسلة ملوك المشرق الاقصى ومهاداتهم ووفادة أمراء الترك على السلطان وما تخلل ذلك

لما استولى السلطان على المغرب الاوسط بممالكه وأعماله وهنأته ملوك الاقطار واعراب الضواحي والقفار وصلحت السابلة ومشت الرفاق الى الآفاق واستعد أهل المغرب عزما في قضاء فرضهم ورغبوا من السلطان اذنه لركب الحاج في السفر الى مكة فقد كان عهدهم عطلها الفساد السابلة واستهجان الدول فبينما السلطان في ذلك آمل اذ داخله الحرم الله وروضة نبيه صلى الله عليه وسلم شوق فأمر بانتساخ مصحف رائق الصنعة كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن واستوسع في جرمه وعمل غشاء من بديع الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت وجعلت منها حصاة وسط المعالق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا واستكثر من الاصونة عليه ووقفه على الحرم الشريف وبعث به مع الحاج سنة ثلاث وعنى بشأن هذا الركب فسرح معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة من الابطال وقلد القضاء عليهم محمد بن رغبوش من أعلام أهل المغرب وخاطب صاحب الديار المصرية واستوصاه بحاج المغرب من أهل مملكته وأتحفه بهدية من طرف بلاده استكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة يقال المطايا كانت منها أربعمائة حدثني بذلك من لقيته الى ما يناسب ذلك من طرف المغرب وماعونه ونهج بها السبيل للحاج من أهل المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها وعقد السلطان على دلالتهم لابي زيد الغفاري وفصلوا من تلمسان لشهر ربيع الاول وفي شهر ربيع الآخر بعده كان مقدم الحاج الاولين حملة المصحف ووفد معهم على السلطان الشريف لبيدة بن أبي نمي نازعا عن سلطان الترك لما كان تقبض على اخويه حميضة ورميثة اثر مهلك أبيهم أبي نمي صاحب مكة سنة احدى وسبعمائة فاستبلغ السلطان في تكريمه وسرحه الى المغرب ليجول في أقطاره ويطوف على معالم الملك وقصوره وأوعز الى العمال بتكريمه واتحافه على شاكلته ورجع الى حضرة السلطان سنة خمس وفصل منها الى المشرق وصحبه من أعلام المغرب أبو عبد الله موري حاجا واشعبان من سنة خمس وصل أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الآخرين ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان لما اسفهم صاحب مصر بالتقبض على

اخوانهم وكان شأنهم ذلك في مخاطبة السلطان فقد سبق في أخبار المنتصر بن أبي حفص مثلها وأهدوا الى السلطان ثوبا من كسوة البيت شرفه الله واتخذ منه ثوبا للباسه في الجمع والاعياد يستبطنه بين ثيابه تبركا به ولما وصلت هدية السلطان الى صاحب مصر لعهده الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي حسن موقعها لديه وذهب الى المكافأة فجمع من طرف بلاده من الثياب والحيوان ما يستغرب جنسه وشكله من نوع الفيل والزرافة وأوفد بها من عظماء دولته الامير الليلي وفصل من القاهرة أخريات سنة خمس ووصلت الى تونس في ربيع من سنة ست بعدها ثم كان وصولها الى سدة السلطان بالمنصورة من البلد الجديد في جمادى الآخرة واهتز السلطان لقدومها وأركب الناس الى لقائها واحتفل للقاء هذا الامير الليلي ومن معه من أمراء الترك وبر وفادتهم واستبلغ في تكريمهم نزلا وقرى وبعثهم الى المغرب على العادة في مبرة أمثالهم وهلك السلطان خلال ذلك وتقبل أبو ثابت سنة من بعده في تكرمتهم فأحسن منقلبهم وملأ حقائبهم صلة ونقلوا من المغرب لذي الحجة سنة سبع ولما انتهوا الى بلاد بني حسن في ربيع من سنة ثمان اعترضهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم وخلصوا الى مصر   الزمن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا التفتوا اليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيأ وكان الناس لعهدهم ذلك يتهمون ان الذين نهبوهم اعراب حصين بدسيسة من صاحب تلمسان أبي حمو لعهدهم منافسة لصاحب المغرب لما بينهم من العداوات والاحن القديمة (أخبرني) شيخنا محمد ابن ابراهيم الابلي قال حضرت بين يدي السلطان وقد وصله بعض الحاج من أهل بلده مستصحبا كتاب الملك الناصر بالعتاب عن شأن هؤلاء الامراء وما أصابهم في طريقهم من بلاده وأهدى له مع ذلك كوبين من دهن البلسان المختص ببلدهم وخمسة مماليك من الترك رماة بخمسة أقواس من قسي الغز الموثقة الصنعة من العرى والعقب فاستقل السلطان هديته تلك بالنسبة الى ما أهدوا الى ملك المغرب ثم استدعى القاضي محمد بن هدية وكان يكتب عنه فقال له اكتب الآن الى الملك الناصر كما أقول لك ولا تحرف كلمة عن موضعها الا ما تقتضيه صناعة الاعراب وقل له أما عتابك عن شأن الرسل وما أصابهم في طريقهم فقد حضروا عندي   لهم الاستعجال حذرا مما أصابهم وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الاعراب فكان جوابهم انا جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف مغترين بشأنهم يحسبون أن أمره نافذ في اعراب فلاتنا وأما الهدية فترد عليك أما دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف الا الزيت

وحسبنا به دهنا وأمّا المماليك الرماة فقد افتتحنا بهم اشبيلية وصرفناهم البك لتستفتح بهم بغداد والسلام قال لى شيخنا وكان الناس اذ ذاك لا يشكون ان انتهابهم كان باذن منه وكان هذا الكتب دليلا على ما فى نفسه وربك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون

{ الخبر عن انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس } { سعيد على سبتة وخروج عثمان بن العلاء فى غمارة }

لما أحكم السلطان عقد المهادنة والولاية مع السلطان ابن الاحمر المعروف بالفقيه عند اجازته اليه بطنجة سنة ثنتين وتسعين كما ذكرناه وفرغ لعدوّه تمسّك ابن الاحمر بولايته تلك الى أن هلك سنة احدى وسبعمائة فى شهر شعبان منه وقام بالامر الاندلسى من بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله بن الحكيم من مشايخ رندة كان اصطفاه لكتابته أيام أبيه فاضطلع بأموره وغلب عليه وكان هذا السلطان المخلوع ضرير البصر رويةَ الانه ابن الحكيم فغلب عليه واستبدّ الى أن قتلهما أخوه أبو الجيوش نصر سنة ثمان كما نذكره وكان من أوّل آثره عند استيلائه على الامر من بعد أبيه المبادرة الى احكام ولاية السلطان واتصال يده بيده فأوفد اليه لحين ولايته وزير أبيه السلطان أبى عزيز الدانى ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم فوصلا الى السلطان بعسكره من حصار تلمسان وتلقاهما بالقبول والمبرة وجددت له أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرسلهما خير منقلب وتقدّم السلطان اليهم فى المدد برجل الاندلس وناشبتهم المعوّدين منازلة الحصون والمناغرة بالرباط فبادروا الى اسعافه وبعثوا حصتهم لحين مرجعهم الى سلطانهم فوصلت سنة ثنتين وسبعمائة وكانت لهم نكاية فى العدو وأثر فى البلد المحروب ثم بدا لمحمد بن الاحمر المخلوع فى ولاية السلطان لمنافسات جرت الى ذلك وبعث الى ادفونش هراندة بن شانجة وأحكم له عقد السلم ولاطفه فى الولاية فانعقد ذلك بينهما سنة ثلاث واتصل خبره بالسلطان فسخطه ورجع اليهم حصتهم آخر سنة ثلاث واتصل خبره بالسلطان لسنة من مقدمهم بعد أن أبلوا وأثخنوا وطوى لهم عن البث واعتمل ابن الاحمر وشيعته فى الاستعداد لمدافعة السلطان والارصاد لسطوته بهم وأوعز الى صاحب مالقة ابن عمه الرئيس أبى سعيد فرج بن اسمعيل بن محمد ابن نصر ووليه من دون القرابة بما كان له من الصهر على أخته والمضطلع له بثغر الغربية فأوعز اليه بمداخلة أهل سبتة فى خلع طاعة السلطان والقبض على ابن العزفى والرجوع الى ولاية ابن الاحمر وكان أهل سبتة منذ أبراهيم الفقيه أبو القاسم العزفى سنة سبع وسبعين قام بأمرهم ولده أبو حاتم وكان أبو طالب رديفاً له فى الامر الا أنه استبدّ عليه بصاغيته الى الرياسة وايثاراً أبى حاتم للخمول مع ايجابه حق أخيه الاكبر واجابته الداعى

من دون دفع اليه فاستقام أمرهما مدة وكان من سياستهما من أول أمرهما الاخذ
بدعوة السلطان فيما النظر هما والعمل بطاعته والتجافي عن السكنى بقصور الملك
والتحرج من أبهة السلطان امكانهم فأنزلوا بالقصبة عبد الله بن مخلص قائدا من
البيوتات اصطنعوه وجعلوا اليه أحكام البلد وضبط الحامية له فاضطلع بذلك سنين ثم
استفهه يحيى بن أبي طالب ببعض النزعات الرياسية وحجر عليه الاحكام في ذويه ثم أغرى به
أباه وطالبه بحساب الخرج لعطاء الحامية وغفلوا عما وراءها من التظنن فيه والريبة به
ثقة بمكانه واستنامة اليه وهم مع ذلك على أولهم في موالاة السلطان والاخذ بدعوته
والوفود عليه في أوقاته ولما فسدت ولاية ابن الاحمر للسلطان وعقد على محاولة سبتة
وجد السبيل الى ذلك بما طوى صاحب الاحكام بالقصبة على البث فداخله الرئيس أبو
سعيد صاحب الثغر بمالقة جاره بسبتة ووعده الغدر ببني العزفي وأن يصحبهم في أساطيله
فشرع الرئيس أبو سعيد في انشاء الاساطيل البحرية واستنفار الناس للمثاغرة وان العدو
لمالقة بالمرصاد وشحنها بالفرسان والرجل والناشبة والاقوات وأخفى وجه قصده عن
الناس حتى اذا أقلعت أساطيله بت سبتة لسبع وعشرين من شوال سنة خمس وأربى
بساحتها الموعد صاحب القصبة فأدخله الى حصنه فاملكه ونشر راياته بأسوارها وسرب
جيوشه الى البلد فتسايلوا وركب الى دور بني العزفي فتقبض عليهم وعلى والدهم
وحاشيتهم وطير الخبر الى السلطان بغرناطة فوصل الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ونادى
في الناس بالامان وبسط المعدلة وأركب ابن العزفي السفن الى مالقة ثم أجازوا غرناطة
وقدموا على ابن الاحمر فأجل قدومهم وأركب الناس الى لقائهم وجلس لهم جلوسا
فخما حتى أدوا بيعتهم وقضوا وفادتهم وأنزلوا بالقصور وأجريت عليهم سنية الارزاق
واستقروا بالاندلس الى أن صاروا بعد الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد
بأمر سبتة وثقف أطرافها وسد ثغورها وأقام دعوة ابن عمه صاحب الاندلس بأنحائها
وكان عثمان بن أبي العلاء بن عبد الله بن عبد الحق من أعياص الملك المريني أجازه معه
البحر اليها أميرا على الغزاة بمالقة وقائد العصبة تحت ولانه نوه بنصبه للملك بالمغرب
وخاطب قبائل غمارة في ذلك فوقفوا بين الاقدام والاحجام واتصل ذلك كله بالسلطان
وهو بمعسكره من حصار تلمسان فاستشاط لها غيظا وحمى أنفه نفرة واستفزه
الصريخ فبعث ابنه الامير أبا سالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر وتقدم اليه
باحتشاد قبائل الريف وبلاد تازى فأغذ السير اليها وأحاطت عساكره بها فحاصرها
مدة ثم بيته عثمان بن أبي العلاء فاختل معسكره وأفرج عنها منهزما فسخطه السلطان
وذوى عنه وجه رضاه وسار عثمان بن أبي العلاء في نواحي سبتة وبلاد غمارة وتغلب على

تكيساس وانتهى الى قصر ابن عبد الكريم فى آخر سنة ست لسنة من استيلائهم على سبتة فبما رسم السلطان منازيا بالدعاء لنفسه فاعتزم السلطان عند النهوض اليه من أمر تلمسان لما كانت على شفا الهلكة وغاية الانفضاض لولا عوائق الاقدار بمهلكه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض بنى كمى من بنى عبد الواد وخروجهم بأرض السوس)

كان هؤلاء الرهط من بنى عبد الواد من بطون بنى على من شعب ايت القاسم وكانوا يرجعون فى رياستهم الى كندوز بن   بن كمى ولما استقل زيان برياسة أولاد على بن ثابت بن محمد من أولاد طاع الله ونفس عليه كندوز هذا ما آتاه الله من الرياسة وجاذبه حبلها واحتقر زيان شأنه فلم يحفل به ثم تأشب عليه اخلاط من قومه وواضعه الحرب وهلك زيان بيد كندوز وقام بأمر أولاد على جابر بن يوسف بن محمد ثم تناقلت الرياسة فيهم الى أن عادت لولد ثابت بن محمد واستقل بها أبو عزة زكار بن زيان ولم تطل أيامه والتحم بين أولاد كمى و بين أولاد طاع الله وتناسوا الاحن وصارت رياسة طاع الله لولد يغمراسن بن زيان واستتبعوا قبائل عبد الواد كافة واعتمل يغمراسن فى الثأر بأبيه زيان من قاتله كندوز فاغتاله ببيته دعاه لأدبة جمع بنى أبيه حتى اذا اطمأن المجلس تعاوروه بأسيافهم واحتزوا رأسه وبعثوا به الى أمهم فنصبت عليه القدر ثالث أثافيها تشفيا منه وحفيظة وطالب يغمراسن بقية بنى كندوز ففروا أمام مطالبته وأبعدوا المذهب ولحقوا بالامير أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص فأقاموا بسدته أحوالا وكانوا يرجعون فى رياستهم لعبد الله بن كندوز ثم تذكروا عهد البداوة وحنوا الى عشير زناتة فراجعوا المغرب ولحقوا ببنى مرين اقتالهم ونزل عبد الله بن كندوز على يعقوب بن عبد الحق خير نزل فلقاه من البر والترحيب بما ملأ صدره وأكد غبطته وأقطعه بناحية مراكش الكفاية له ولقومه وأنزلهم هنالك وجعل انتجاع ابله وراحلته لحسان بن أبى سعيد الصبيحى وأخيه موسى من ذويهم وحاشيتهم وألطف منزلة عبد الله ورفع مكانه بمجلسه واكتفى به فى كثير من أموره وأوفده على المستنصر صاحب افريقية سنة خمس وستين مع عامر بن أخيه ادريس كما قدمناه واستقر بنو كندوز هؤلاء بالمغرب الاقصى واستمرت الايام على ذلك وصاروا من جملة قبائل بنى مرين وعدادهم وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم لعمر ابنه من بعده ولما الفت السلطان يوسف بن يعقوب عزائمه الى بنى عبد الواد ونازل تلمسان وطاول حصارها واستطال بنو مرين وذووهم على بنى عبد الواد وأحسوا بهم أخذتهم العزة بالاثم وأدركتهم النعرة فأجمع بنو كندوز هؤلاء الخلاف والخروج على السلطان

ولحقوا بها حفيدة سنة ثلاث وسبعمائة واحتفل الامير بمراكش يعيش بن يعقوب لغزوهم سنة أربع وسبعمائة فناجزوه الحرب ثادرت واستمروا على خلافهم ثم قاتلهم يعيش وعساكره ثانية بتامطريت سنة أربع فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم وأوهت من رياستهم وقتل جماعة من بني عبد الواد بازغار وتاكما وأثخن يعيش بن يعقوب في بلاد السوس وهدم تارودانت قاعدة أرضها وأم قراها كان بها عبد الرحمن ابن الحسن بن يدر بقية الامراء على السوس من قبل عبد المؤمن وقد مر ذكرهم وكانت بينه وبين عرب المعقل من الشبانات وبني حسان منذ انقرضت دولة الموحدين حروب سجال هلك في بعضها عمه علي بن يدر سنة ثمان وستين وصارت امارته بعد حين الى عبد الرحمن هذا ولم يزالوا في حربه الى أن تملك السوس يعيش بن يعقوب وهدم تارودانت قاعدة أرضها ثم راجع عبد الرحمن أمره وبني بلده تارودانت هذه سنة ست بعدها ويزعم بنو يدر هؤلاء انهم مستقرون بذلك القصر من لدن عهد الطوالع من العرب وانهم لم يزالوا أمراء به تعقد لهم ولايته كابرا عن كابر ولقد أدركت على عهد السلطان أبي عنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخا كبيرا من ولد عبد الرحمن فحدثني بمثل ذلك وانهم من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله أعلم ولم يزل بنو كندوز مشردين بصحراء السوس الى أن هلك السلطان وراجعوا طاعة الملوك من بني مرين من بعده وعفوا لهم عما سلف من هذه الجريمة وأعادوهم الى مكانهم من الولاية فأمحضوا النصيحة والمخالصة الى هذا العهد كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك المشيخة من المصامدة بتلبيس أبي الملياني)

قد ذكرنا شأن أبي علي الملياني وأوليته في أخبار مغراوة الثانية وما كان من ثورته بمليانة وانتزائه عليها ثم ازعاج العساكر اياه منها ولحاقه بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين وما أحله من مراتب التكرمة والمبرة وأقطعه بلد أغمات طعمة فاستقر بها وما كان منه في العبث بأشلاء الموحدين ونبش أجداثهم وموجدة السلطان والناس عليه وأرصدله المصامدة الغوائل لما كان منه في ذلك ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جباية المصامدة فلم يضطلع بها وسعى به مشيختهم عند السلطان انه احتجر المال لنفسه وحاسبوه فصدقوه السعاية فاعتقله السلطان وأقصاه وهلك سنة ست وثمانين واصطنع السلطان أحمد ابن أخيه واستعمله في كتابته وأقام على ذلك ببابه في جملته وكان السلطان سخط على مشيخة المصامدة علي بن محمد كبير هنتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير كدميوة وأوعز الى ابنه الامير علي بمراكش باعتقالهما فاعتقلهما فيمن لهما من الولد والحاشية وأحس بذلك أحمد بن الملياني فاستعجل الثار وكانت

العلامة السلطانية على الكتاب فى الدولة لم تختص بكاتب واحد بل كل منهم يضع العلامة بخطه على كتابه اذا أكمله لما كانوا كلهم ثقات امناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط فكتب أحمد بن المليانى الى ابن السلطان الامير بمراكش سنة سبع وتسعين كتابا عن أمر أبيه يأمره فيه بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليها العلامة التى تنفذ بها الاوامر وختم الكتاب وبعث به مع البريد ونجا بنفسه الى البلد الجديد وتحدث الناس بشأنه ولما وصل الكتاب الى ابن السلطان بمراكش أخرج أولئك الرهط المنتقلين من المصامدة الى مصارعهم وقتل على بن محمد وولده وعبد الكريم بن عيسى وولده عيسى وعلى ومنصور وابن أخيه عبد العزيز وطير الامير وزيره الى أبيه بالخبر فقتله بلحيته حنقا عليه وأنفذ البريد باعتقال ابنه وبحث عن ابن المليانى ففقد ولحق بتلمسان ونزل على آل زيان ثم لحق من بعدها بالاندلس عند افراج السلطان عنها فى تلك السنة كما ذكرناه وبها هلك واقتصر السلطان من يومئذ فى علامته على من يختاره من صنائعه ويثق بأمانته وجعلها لذلك العهد لعبد الله بن أبى مدين خالصته المضطلع بأمور مملكته فاختصت من بعده لهذا العهد والله تعالى أعلم

كان السلطان يعقوب فى صباه مؤثرا للذاته ومستترا بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق لمكانه من الدين والوقار وكان يشرب الخمر ويعاقر بها الندمان وكان خليفة بن وقاصة من اليهود المعاهدين بفاس قهرمانا بالداره على عادة الاحرار فى مثله من المعاهدين فكان يزدلف اليه بوجوه الخدم ومذاهبها فاستعمله هذا الامير فى اعتصارها والقيام على شؤنها فكانت له بذلك خلوة منه أوجبت له الحظ عنده حتى اذا هلك يعقوب بن عبد الحق واستقل ابنه يوسف باعباء ملكه واتصلت خلواته فى معاقرة الندمان وانفرد ابن وقاصة بخلواته لذلك مع ما كان من القهرمة عظمت رياسته وعلا كعبه فى الدولة وتلقى الخاصة الاوامر منه فصار له الوجه بينهم وعظم قدره بعظم الدولة (أخبرنى) شيخى الابلى قال وكان للخليفة هذا أخ يسمى ابراهيم وابن عم يسمى خليفة لقبوه بالصغير لمكانه هو من هذا الاسم وكان له صهر يعرفون ببنى السبتى كبيرهم موسى وكان رديفه فى قهرمته فلم يفق السلطان من نشوة صباه وملهاه حتى وجدهم على حال استتبعوا فيها الغيلة من القبيل والوزراء والشرفاء والعلماء فأسف ذلك وترصد بهم وتفطن بمذهبه فيهم خالصته عبد الله بن أبى مدين فسعى عنده فيهم وأوجده السبيل عليهم فسطا بهم سطوة واحدة واعتقلوا فى شعبان من سنة احدى وسبعمائة بعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه ابراهيم وموسى بن السبتى واخوته بعد أن امتحنوا ومثل

بهم وأتت النكبة على حاشيتهم وذويهم وأقاربهم المتصلين بهم بالنسبة واستبقى منهم خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ما نذكره وعميت آثارهم وطهرت الدولة من رجسهم وأديل منها معرة رياستهم والامور بيد الله سبحانه

(الخبر عن مهلك السلطان أبي يعقوب)

كان في جملة السلطان وحاشيته مولى من العبيد الخصيان من موالي أبي الملالي يسمى سعادة صار الى السلطان من لدن استعماله اياه بمراكش وكان شيخا من الجهل والغباوة بمكان وكان السلطان يخلط الخصيان بأهله ويكشف لهم الحجاب عن ذوات محارمه ولما كانت واقعة العزفي ولاه واتهم بعد اخذه بعض الحرم وقتل بالظنة واسترابة السلطان بكثير من حاشيته الملابسين لداره اعتقل جملة من الخصيان وكان فيهم كبير ريفهم وعجب سائرهم فارتاعوا لذلك وسولت لهذا الخادم الخائن نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو في بعض الحجر من قصره وقد نام في القائلة مستلقيا على فراشه مختضبا بالحناء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الأولياء في اثره فأدركه من العشي بناحية تاسالت فجيء به الى القصر فقتله العبيد والحاشية وصار السلطان ميتة الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بجامع سلفه والبقاء لله وحده

(الخبر عن ولاية السلطان أبي ثابت)

كان الامير أبو عامر بن السلطان أبي يعقوب ولي عهده لما ذكرناه مات ببلاد بني سعيد بغمارة والريف سنة ثمان وتسعين كما ذكرنا وخلف ولديه عامرا وسليمان في كفالة السلطان جدهما فكان لهما بمنبته حلاوة وفي قلبه لوطة لمكان منبتهما واغترابه عنه فحدب عليهما وآثرهما من نفسه بمكان وكان الامير أبو ثابت عامر أسن قومه واقدامهم شجاعة وجراءة وكانت له في بني ورتاجن خؤولة فلحين مهلك السلطان عرضوا له ودعوه للبيعة فبايعوه وحضرها الامير أبو يحيى بن يعقوب عم أبيه من بينهم اتفاقا وحملوه على الطاعة وكان أقرب للامر منه لو حضره رجال فأعطى القياد في المساعدة وطوى على البث وبادر الحاشية والوزراء بالبلد الجديد عند مهلك السلطان فبايعوا ابنه الامير أبا سالم وكاد أمر بني مرين أن يفترق وكلمتهم أن تفسد فبعث الامير أبو ثابت حينه الى تلمسان للامير أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن وعقد لهما حلفا على الافراج عنهم ثم أمره أن يمده بالآلة ويرفعا له كسر البيت ان كان غير ما أمل وحضر للعقد أبو حمو فأحكمه ومال أكثر بني مرين وأهل الحل والعقد الى الامير أبي ثابت وتفرد

ببيعة أبي سالم البطانة والوزراء والحاشية والاجناد ومن ثقفهم له كان بالبلد الجديد مسكنه وأشاروا عليه بالمناجزة فخرج وقد عبى كتائبه فوقف وتهيب وخام عن اللقاء ووعدهم الاقدام بالغداة وكر راجعا الى قصره فيئسوا منه وتسللوا اذا الى الامير أبي ثابت وهو بمرقب من الجبل مطل عليهم حتى اذا انحجر أبو سالم بالبلد انحاش اليه الجملة دفعة واحدة فلما استوفت القبائل والعساكر لديه زحف الى البلد الجديد مثوى السلطان وسياج قصوره ومختط عزه وانتهى الى ساحتها مغتنما الفرصة وخرج اليه أبو زيد يخلف بن عمران الفودودي فأرجل عن فرسه بأمر أبي يحيى وقتل بين يديه قعصا بالرماح وكان قريب عهد بالوزارة استوزره السلطان قبيل مهلكه في شعبان من سنة ست وفر أبو سالم الى جهة المغرب وصحبه من عشيره من أولاد رحو ابن عبد الله بن عبد الحق العباس وعيسى وعلى ابنا رحو وابن أخيهم جمال الدين بن موسى وأتبعهم الامير أبو ثابت شرذمة من عسكره أدركوهم بندرومة فتقبضوا عليهم ونفذ أمر السلطان بقتل أبي سالم وجمال الدين واستبقى الآخرين وأمر باحراق باب البلد ليقتحمها العسكر فأطل عليهم قهرمان دارهم عبد الله بن أبي مدين الكاتب وأخبره بفرار أبي سالم وباتفاق الناس على طاعته ورغب اليه في المسالمة ليلتهم حتى ينفجر الصباح خشية على دارهم من معرة العساكر وهجومها ففعل وأمره الامير أبو يحيى باعتقال أبي الحجاج ابن تقيلولة فاعتقله لقديم من العداوة كان بينهما ثم أمر بقتله وانفاذ رأسه فقتل وأمر السلطان ليلتئذ باضرام النيران حتى اذا أضاء الظلام وبات راكبا ودخل القصر لصبحه فوارى جسده بعد أن صلى عليه وغص بمكان الامير أبي يحيى لما تعدد فيه الترشيح وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبد الحق بن عثمان بن الامير أبي يفرن محمد بن عبد الحق ومن حضره من الوزراء مثل ابراهيم بن عبد الجليل الونكاسي وابراهيم بن عيسى اليرنياني وغيرهما من الخاصة فأشاروا بقتله ونميت عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته وابتغاء العصابة لامره وركب الامير أبو يحيى الى القصر ثالث البيعة فأخذ السلطان بيده ودخل معه الى الحرم لعزائهن عن أخيه السلطان ثم خرج على الخاصة وتخلف عنه السلطان وقد دس الى عبد الحق بن عثمان أن يتقبض عليه ففعل ثم برز السلطان اليهم وهو موثق فأمر بالاجهاز عليه ولم يمهله والحق به يومئذ وزيره عيسى بن موسى الفودودي وفشا الخبر بمهلك هؤلاء الرهط فرهب منه القرابة وفر يعيش بن يعقوب أخو السلطان وابنه عثمان المعروف بأمه قضينت ومسعود بن الامير أبي مالك والعباس بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ولحقوا جميعا بعثمان بن أبي العلاء بمكانه من غمارة وخلا الجو من المرشحين

واستبد السلطان بملك قومه وأمن غوائل المنازعين ولما تم له الامر واستوسق أمر الملك وفى لبنى عثمان بن يغمراسن بالافراج عنهم ونزل لهم عن جميع البلاد التى صارت الى طاعته من بلاد المغرب الاوسط من أعمالهم وأعمال بنى توجين ومغراوة ودعاه الى بدار المغرب ما كان من اختلال عثمان بن أبى العلاء بن عبد الله بن عبد الحق بسبتة ودعائه لنفسه بين يدى مهلك السلطان وخروجه الى بلاد غمارة واستيلائه على قصر كتامة فاعتزم على الرحلة الى المغرب وفوض الامر فى الرحلة بأهل المدينة الجديدة للوزير ابراهيم بن عبد السلام لما كانت حينئذ غاصة بالساكن مستبحرة فى الاعتمار ممتلئة من الخرثى والآلة فأحسن السياسة فى أمرهم وضرب لهم الآجال والمواعيد الى أن استوفوا الرحلة وتركوها قواء خربها بنو عثمان بن يغمراسن عند رحلة بنى مرين الى المغرب وتحينوا لذلك فترات الفتن فطمسوا معالمها طمسا ونسفوها نسفا وقدم السلطان بين يديه من قرابته الحسن بن عامر بن عبد الحق انجعون فى العساكر والجنود وعقد له على حرب ابن أبى العلاء وتلوم بالبلد الجديد لموافاة المسالح التى كانت بثغور المشرق ولما نزل عنها جميعا لبنى عثمان بن يغمراسن ارتحل غرة ذى الحجة ودخل فاس فاتح سبع وسبعمائة والله أعلم

لما فصل أبو ثابت عن معسكرهم بتلمسان الى المغرب قدم بين يديه من قرابته الحسن ابن عامر بن عبد الحق انجعون ابن السلطان فى العساكر والجنود وعقد له على حرب عثمان بن أبى العلاء كما ذكرناه وعقد على بلاد مراكش ونواحيها لابن عمه الآخر يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وعهد له بالنظر فى أحوالها فعمد اليها واحتمل بها ثم حدثته نفسه بالانتزاء فقتل الوالى بمراكش واستركب واستلحق واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على والى البلد فقتله بالسوط فى جمادى سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه واتصل الخبر بالسلطان لاول قدومه فسرح اليه وزيره يوسف ابن عيسى بن السعود الجشمى ويعقوب بن اصناك فى خمسة آلاف من عساكره ودفعهم الى حربه وخرج فى اثرهم بكتائبه وبرز يوسف بن أبى عياد وأجاز وا أم الربيع فانهزم أمام الوزير وعساكره واتبعه الوزير ففر الى أغمات ثم فر الى جبال هسكورة ولحق به موسى بن سعيد الصبيحى من أغمات تدلى من سورها ودخل الوزير يوسف الى مراكش ثم خرج اثره ولحقه فكانت بينهما جولة وقتل منهم خلق ولحق بهسكورة ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وأمر بقتل أوربة المداخلة كانوا له فى انتزائه فاستلحموا ولما لحق يوسف بن أبى عياد بجبال

عسكورة ونزل على مخلوف بن هنو او تذمم بجواره فلم يجره على السلطان وتقبض عليه واقتاده الى مراكش مع ثمانية من أصحابه تولوا كبر ذلك الامر فقتلوا فى مصرع واحد بعد ان مثل بهم السلطان بالسياط وبعث برأس يوسف الى فاس فنصب بسورها وأثخن القتل فيمن سواهم ممن داخله فى الانتزاء فاستلحم منهم أمم بمراكش وأغمات وسخط خلال ذلك وزيره ابراهيم بن عبد الجليل فاعتقله واعتقل عشيره من بنى دولين ومن بنى ومكاسن وقتل الحسن بن دولين منهم ثم عفا عنهم وخرج منتصف شعبان الى منازلة السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فتلقاه السكسيوى بطاعته المعروفة واسنى الهدية فتقبل طاعته وخدمته ثم سرح قائده يعقوب بن آصناد فى اتباع زكنة حتى توغل فى بلاد السوس ففروا أمامه الى الرمال وانقطع أثرهم ورجع الى معسكر السلطان وانكفأ السلطان بعساكره الى مراكش فاحتل بها غرة رمضان ثم قفل الى فاس بعد أن قتل جماعة من بنى ورا وجعل طريقه فى بلاد صنهاجة وسار فى بلاد تامسنا وتلقاه عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبنى جابر والعاصم فاستصحبهم الى آنفا وتقبض على ستين من أشياخهم فاستلحم منهم عشرين ممن نمى عنه افساد السابلة ودخل رباط الفتح أخريات رمضان فقتل هنالك من الاعراب أمة ممن توثر عنه الحرابة ثم ارتحل منتصف شوال لغزو رياح أهل آزغار والهبط واثار بالاحن القديمة فأثخن فيهم بالقتل والسبى وقفل الى فاس فاحتل بها منتصف ذى القعدة وجاءه الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان واستلحام الروم من عساكره ومهلك عبد الواحد الفودودى من رجالات دولته وأن عثمان بن أبى العلاء قد استفحل أمره بجهات غمارة فأجمع لغزوه والله أعلم

{ الخبر عن غزاة السلطان لمدافعة عثمان بن أبى العلاء ببلاد الهبط ومهلكه بطنجة بعد ظهوره }

لما ملك الرئيس أبو سعيد فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر سبتة سنة خمس وسبعمائة وأقام بها الدعوة لابن عمه المخلوع محمد بن محمد الفقيه ابن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر كما ذكرناه وأجاز معه رئيس الغزاة المجاهدين بعمل امارته من مالقة عثمان بن أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق من أعياص هذا البيت كان مرشحا للملك فيهم واستقدمه معه ليفرق به الكلمة فى المغرب بفتنة الدولة مدافعة عن سبتة لما كان هاج السلطان قومه فأخذها واستقام ملكها وطمع عثمان فى ملك المغرب بامدادهم ومظاهرتهم وسولت له نفسه ذلك فخرج من سبتة وولى على جيش الغزاة بعده عمر ابن عمه يحيى بن عبد الله وتحيز هو ببلاد غمارة فدعا لنفسه واجابته القبائل

منهم واحتل بحصن علودان من أمنع معاقلهم و بايعوه على الموت ثم نهض الى أصيلا والعرايش فغلب عليها واتصل ذلك كله بالسلطان الهالك أبي يعقوب فلم يحركه استهانة بأمرهم وبعث ابنه أبا سالم بالعساكر فنازل سبتة أياما ثم أقلع عنها وبعث بعده اخاه يعيش بن يعقوب وأنزله طنجة وجمر معه الكتائب وجعلها ثغرا وزحف اليه عثمان بن أبي العلاء فتأخر عن طنجة الى القصر ثم اتبعه فخرج اليه أهل القصر فرسانا ورجالا ورماة مع يعيش فوصلوا الى وادى وراء ثم انهزموا الى البلد ومات عمر بن ياسين ونزل عثمان عليهم القصر أياما ثم دخله من غده ثم كان مهلك السلطان وفر يعيش بن يعقوب خيفة من أبي ثابت فلحق بعثمان بن أبي العلاء واستقام أمره بتلك الجهات برهة وكان السلطان أبو ثابت لما احتل بالمغرب شغله ما كان من انتزاء يوسف بن ابى عياد بمراكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبي العلاء ومكان معه يعيش بن يعقوب لعبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق من رجال بيته فزحف اليه ونهض عثمان الى لقائه منتصف ذى الحجة سنة سبع فهزمه واستلحم من كان معه من جند الروم وهلك فى تلك الوقعة عبد الواحد الفودودى من رجالات السلطان المرشحين ردفاء الوزارة وسار عثمان الى قصر كتامة فنزله واستولى على جهاته وعلى تفيئة ذلك كان رجوع السلطان من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحا أثر النفاق فاعتزم على الحركة الى بلاد غمارة يمحو منها أثر دعوة بن أبي العلاء التى كادت تلج عليه ممالكه بالمغرب ويرده على عقبه ويستخلص سبتة من يد ابن الاحمر لما صارت ركابا لمن يروم الانتزاء والخروج من القرابة والاعياص المستقرين وراء البحر غزاة فى سبيل الله فنهض من فاس منتصف ذى الحجة من سنة سبع ولما انتهى الى قصر كتامة تلوم به ثلاثا حتى توافت عساكره وحشوده وكمل اعتراضها وفر عثمان بن أبي العلاء أمامه وارتحل السلطان فى اتباعه فنازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ثم نازل بلد الدمنة واقتحمها وأثخن فيها قتلا وسبيا لتمسكهم بطاعة ابن أبي العلاء ومظاهرتهم له ثم كبس القصر واستباحه ثم ارتحل الى طنجة واحتل بها غرة شعبان واشجر ابن أبي العلاء بسبتة مع أوليائه وسرح السلطان عساكره فتفرقت نواحى سبتة بالاكتساح والغارة وأمر باختطاط المدينة طاوين لنزول معسكره والاخذ بمخنق سبتة وأوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبي الصبر اليهم فى شأن النزول له عن البلد وفى خلال ذلك اعتل السلطان فمرض وقضى أياما قلائل وهلك فى ثامن صفر من سنته ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فوورى هنالك رحمة الله عليه وعليهم

* (الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع وما كان فيها من الاحداث) *

الملك السلطان أبو ثابت تصدى القيام بالامر عمه علي بن السلطان أبي يعقوب المعروف بأمه رزيكة وخلص الملأ من بني مرين أهل الحل والعقد الى أخيه الربيع فبايعوه وتقبض على عمه علي بن رزيكة المستام للامرة فاعتقله بطنجة الى أن هلك بها سنة عشر لجمادى وبث العطاء في الناس وأجزل وارتحل نحو فاس واتبعه عثمان بن أبي العلاء في جيش كثيف وبيته وقد نذر به العسكر فأيقظوا الملتهم ووافاهم على الظهر بساحة علودان فناجزهم الحرب وكانت الدائرة على عثمان وقومه وتقبض على ولده وكثير من عساكره وأثخن أولياء السلطان فيهم بالقتل والسبي وكان الظهور الذي لا كفاء له ووصل أبو يحيى بن أبي الصبر الى الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح وقد كان ابن الاحمر جاء للقاء السلطان أبي ثابت ووصل الى الجزيرة الخضراء فأدركه خبر مهلكه فتوقف عن الجواز وأجاز ابن أبي الصبر باحكام الموافاة واجتاز عثمان بن أبي العلاء الى العدوة فيمن معه من القرابة فلحق بغرناطة وأغذ السلطان السير الى حضرته فدخل فاس آخر ربيع من سنة ثمان واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب تلمسان موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته وكانت أيامه خير أيام هدنة وسكونا وترفا لاهل الدولة وفي أيامه تغالى الناس في أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس في البناء فعالوا الصروح واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش وتناغوا في لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلي من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والترف والسلطان وادع بداره متملي أريكته الى أن هلك كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

كان أبو شعيب بن مخلوف من بني أبي عثمان من قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير وكان منتحلا للدين ومشتهرا به ولما أجلب بنو مرين على المغرب وبالوا في بسائطه ونغلبوا على ضواحيه صحب البر منهم الـ ... والفاجر من أهل مثله وكان بنو عبد الحق قد تميزوا لأبي شعيب هذا فيمن تميزوه ... من أهل الدين فكان امام صلاتهم وكان يعقوب بن عبد الحق أشدهم صحابة له وآوفاهم به ذماما فاتصل به حبله واتصلت صحابته وعظم في الدولة قدره وانبسط بين الناس جاه ولده وأقاربه وحاشيته وربي بنو شعيب هذا عبد الله ومحمد المعروف بالحاج وأبو القاسم ومن بعدهم من اخوتهم بقصر كتامة في حجر ذلك الجاه وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستخلصهم يوسف بن عبد الحق لخدمته واستعملهم على مختصاته ثم ترقى بهم في رتبة خدمته وأخصائه درجة بعد

آخرى الى أن هلك أبوهم أبو مدين شعيب سنة سبع وتسعين وكان المقدم منهم عند السلطان عبد الله فارس على ثنيات العز والوزارة والخلة والولاية وتقدم لحظوته في مجلسه كل حظوة واختصه بوضع علامته على الرسائل والاوامر الصادرة عنه وجعل اليه حسبان الخراج والضرب على أيدى العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاة الخلوات والافضاء بذات الصدور فوقف به الاشراف من الخاصة والقبيل والقرابة والولد وسوّدوه وخطبوا نائله وكان عمرا واستعمل مع ذلك أخاه محمدا على جباية المصامدة بمراكش وهنأ أبا القاسم الدعة بفاس فأقام بها مدة لدار راحته عريضا جاهه طاعما كاسيا تسرب اليه أموال العمال في سبيل الاتحاف وتقف ببابه صدور الركائب الى أن هلك السلطان أبو يوسف ويقال ان له خائنة قدمه مع سعاية الملياني ولما ولى السلطان أبو ثابت ضاعف رتبته وشفع لديه حظه ورفع على الاقدار قدره ثم ولى من بعده أخوه أبو الربيع فتقبل فيه مذاهب سلفه وكان بنو وقاصة اليهودى حين نكبوا باشر نكبتهم لمكانه من اصدار الاوامر ويزعمون ان له فيهم سعاية وكان خليفة الاصغر منهم قد استبقى كما ذكرناه فلما أفضى الامر الى السلطان أبى الربيع استعمل خليفة بداره في بعض المهن وباشر الخدم حتى اتصل بمباشرة السلطان فجعل غايته السعاية بعبد الله بن أبى مدين وكان يؤثر عن السلطان أبى الربيع بأنه لا تؤمن بوائقه مع حرم ذويه وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدس الى السلطان أن عبد الله بن أبى مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته وان صدره وغل بذلك وأنه مترصد بالدولة وكان يخشى الغائلة بما كان عليه من مداخلة القبيل ولما كان داعيته من دواعى آل يعقوب فتعجل السلطان دفع غائلته واستدعاه صبيحة زفاف بنته زعموا عن زوجها فاستحثه قائد الروم بقصبة ابى يحيى بن العربى فطعنه القائد هنالك من ورائه طعنة أكبته على ذقنه واحتز رأسه وألقاه بين يدى السلطان ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجده بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة واسفا وأيقظ السلطان لمكر اليهودى فوقفه على براءة كان ابن أبى مدين بعثها للسلطان معه بالتنصل والحلف فتيقظ وعلم مكر اليهودى به فندم وقتل لحينه بخليفة بن وقاصة وذويه من اليهود المتصدين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فاصبحوا مثلا للآخرين والله أعلم

(الخبر عن ثورة أهل سبتة بالاندلسيين ومراجعتهم طاعة السلطان)

لما قفل السلطان أبو الربيع من غزاة سبتة بعد أن شرد عثمان بن أبى العلاء وأجهزه بسبتة وأجاز منها الى العدوة ومن كان معه من القرابة كما قلناه بلغه الخبر بفجور

أهل سبتة وسئموا ملكة بني الأحمر من ولاية الاندلسيين وسوء ملكتهم ودس اليه بعض أشياعه بالبلد بمثل ذلك فأغزى سنة تسع تاشفين بن يعقوب الوطاسي أخا وزيره في عساكر ضخمة من بني مرين والناشبة من الجند وأوعز اليه بالتقدم الى سبتة ومنازلتها فأغذ اليها السير ونزل بساحتها فلما أحس به أهل البلد تمشت وتنادوا بشعارهم وثاروا على من كان بينهم من قواد ابن الاحمر وعماله وأخرجوا منها حاميته وجنوده واقتحمها العساكر واستولى عليها تاشفين بن يعقوب عاشر صفر من سنة تسع وطير بالخبر الى السلطان فعم السرور وعظم الفرح وتقبض على قائد القصبة أبي زكريا يحيى بن مليلة وعلى قائد البحر أبي الحسن بن كماشة وعلى قائد الحروب بها من الاعياص عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق كان صاحب الاندلس عقد له مكان ابن عمه عثمان بن أبي العلاء عند اجازته البحر الى الجهاد كما ذكرناه وكتب الى السلطان بالفتح وأوفد عليه الملأ من مشيخة أهل سبتة وأهل الشورى وبلغ الخبر الى ابن الاحمر فارتاع لذلك وخشي عادية السلطان وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وقد كان الطاغية في تلك الايام نازل الجزيرة الخضراء وأقلع عنها على الصلح بعد أن أذاقها من الحصار شدة وبعد أن نازل جبل الفتح فتغلب عليه وانهزم زعيم من زعمائه يعرف بالفنش بيرس هزمه أبو يحيى بن عبد الله بن أبي العلاء صاحب الجيش بمالقة لقيه وهو يجوس خلال البلاد بعد تملكه الجبل فهزم النصارى وقتل أبرح وأهم المسلمين شأن الجبل فبادر السلطان أبو الجيوش بانفاذ رسله راغبين في السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونهما ترغيبا للسلطان في الجهاد فتقبل منه السلطان وعقد له الصلح على ما رغب وأصهر اليه في أخته فأنكحه اياها وبعث بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع عثمان بن عيسى اليرنياني واتصلت بينهما الولاية الى مهلك السلطان والبقاء لله وحده

{الخبر عن بيعة عبد الحق بن عثمان بمالأة الوزير
والمشيخة وظهور السلطان عليهم ثم مهلكه باثر ذلك}

كانت رسل ابن الاحمر خلال هذه المهادنة الكائنة بينهما تختلف الى باب السلطان ووصل منهم في بعض أحيانها خلف من مترفيهم تجاهر بالكبائر فكشف صفحة وجهه في معاقرة الخمر والادمان عليه وكان السلطان منذ شهر جمادى الاولى سنة تسع قد عزل القاضي بفاس أبا غالب المغيلي وعهد باحكام القضاء لشيخ الفتيا المذكور بها أبي الحسن الملقب بالصغير وكان على نهج من تغيير المنكرات والتعسف فيها حتى لقد كان مطاوعا في ذلك وسواس النسك الاعجمي ومتجاوزا به الحدود المتعارفة بين أهل الشريعة

في سائر الامصار وأحضر عنده ذات يوم هذا الرسول بملا وحضر العدول فاسترجعوه ثم أمضى حكم الله فيه وأقام عليه الحد وأضمرته هذه الموجدة فاضطرم غيظا وتعرض للوزير رحو بن يعقوب الوطاسي منصرفه من دار السلطان في موكبه وكشف عن ظهره يوريه السياط وينعي عليهم سوء هذا المرتكب مع الرسل فبرم لذلك الوزير وأدركته الحفيظة وسرح وزعته وحشمه في احضار القاضي على أسوإ الحالات من التنكيل والتل لذقنه فضوا لتلك الوجهة واعتصم القاضي بالمسجد الجامع ونادى المسلمين فثارت العامة فيهم ومرج أمر الناس واتصل الخبر بالسلطان فتلافاه بالبعث في أولئك النفر من وزعة الوزير وضرب أعناقهم وجعلهم عظة لمن وراءهم فأسرها الوزير في نفسه وداخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بني عسكر بن محمد شيخ بني مرين والمسلم له في شوارهم وقائد الروم عنصالة المنفرد برياسة العسكر وشوكته وكان لهم بالوزير اختصاص آثروه له على سلطانه فدعاهم لبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص وخلع طاعة السلطان فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم نجيا ثم خرج عاشر جمادى من سنة عشر الى ظاهر البلد الجديد بمكان

وجاهروا بالخلعان وأقاموا الآلة وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملاو وعسكروا بالعدوة القصوى من سبو تازى وخرج السلطان في اثرهم فعسكر بسبو وتلوم لاعتراض العساكر وازاحة العلل واحتل القوم برباط تازى وأوفدوا على موسى ابن عثمان بن يغمراسن سلطان بني عبد الواد يدعونه الى المظاهرة واتصال اليد والمدد بالعساكر والاموال جنوحا الى التي هي آثر لديه من تفريق كلمة عدوه فتثاقل عن ذلك لمكان السلم الذي عقده له السلطان مداول الدولة ولتستبين سبيل القوم وقدم السلطان بين يديه يوسف بن عيسى الجشمي وعمر بن موسى الفودودي في جموع كثيفة من بني مرين وسار في ساقتهم فانكشف القوم عن تازى ولحقوا بتلمسان دمرخا وحدا السلطان مغبة تثاقله عن نصرهم ووجدتها الحجة عليهم اذ غايته مظاهرته اياهم أن يملكهم تازى وقد انكشفوا عنها فيئسوا من صريخه وأجاز عبد الحق بن عثمان ورحو بن يعقوب الى الاندلس فأقام رحو بها الى أن قتله أولاد ابن أبي العلاء ورجع الحسن بن علي الى مكانه من مجلس السلطان بعد أن اقتضى عهده بالامان على ذلك ولما احتل السلطان تازى حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأثخن في حاشية الخوارج وذويهم بالقتل والسبي ثم اعتل أثناء ذلك وهلك لليال من اعتلاله سلخ جمادى الاخيرة من سنة عشر ووري بصحن الجامع الاعظم من تازى وبويع السلطان أبو سعيد كما نذكره ان شاء الله

* (الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد وما كان فيها من الاحداث) *

لما هلك السلطان أبو الربيع بتازى تطاول للامر عمه عثمان بن السلطان أبى يعقوب المعروف بأمه قضنيت واستام المنصب وأسدى فى ذلك وألحم وحضر الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدء من الليل واستشار واشيخ القرابة يومئذ وكبير الاعياص المرشحين وسربت اليهم الاموال وجاءهم عثمان بن السلطان أبى يعقوب مستامافزجروه واستدعوا السلطان أباسعيد فحضروبايعوه ليلتئذ وأنفذ كتبه الى النواحى والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الاكبر الامير أبا الحسن الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر ودخل القصر واطلع على أمواله وذخيرته وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان بظاهر تازى على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والقبائل والعساكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء فقام بالامر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين ورفع الظلامات وحط المغارم والمكوس وسرح السجون ورفع عن أهل فاس وظيفة الرباع وارتحل لعشرين من رجب الى حضرته فاحتل بفاس وقدم عليه وفود التهنئة من جميع بلاد المغرب ثم خرج لذى القعدة بعدها الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر فى أحوال الرعايا واهتم بالجهاد وأنشأ الاساطيل للغزو فى سبيل الله ولما قضى منسك الاضحى بعده رجع الى حضرته بفاس ثم عقد سنة احدى عشرة لاخيه الامير أبى البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة ورندة وما اليها من الحصون ثم نهض من الحصون سنة ثلاث عشرة الى مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكورى ونقضه للطاعة فنازله وحاصره مدة واقتحم حصنه عنوة عليه وحمله الى دار ملكه عنوة فأودعه المطبق ثم رجع الى غزو تلمسان والله أعلم

* (الخبر عن حركة السلطان أبى سعيد الى تلمسان أولى حركاته اليها) *

لما خرج عبد الحق بن عثمان على السلطان ابى الربيع وتغلب على تازى بمظاهرة الحسن ابن على بن أبى الطلاق كبير بنى عسكر واختلف رسلهم الى أبى حمو موسى بن عثمان سلطان بنى عبد الواد اسف ذلك بنى مرين وحركهم من احنهم ولما لحق الخارجون على الدولة بالسلطان أبى حمو وأقبل عليهم أضرم ذلك حقد بنى مرين وولى السلطان أبو سعيد الامر وفى أنفسهم من بنى عبد الواد غصة فلما استوسق أمر السلطان ودوخ الجهات المراكشية وعقد على البلاد الاندلسية وفرغ من شأن المغرب اعتزم على غزو تلمسان فنهض اليه سنة أربع عشرة ولما انتهى الى وادى ملوية قدم ابنيه أبا الحسن وأبا على فى عسكرين عظيمين فى الجناحين وسار فى ساقتهما ودخل بلاد بنى عبد الواد على هذه التعبية فاكتسح نواحيها واصطلم نعمها ونازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا وامتنعت

عليه ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها واتجهز موسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب على معاقلها ورعاياها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسف جهاتها نسفا ودوخ جبال بنى يزناسن وفتح معاقلها وأثخن فيها وانتهى الى وجدة وكان معه فى معسكره أخوه يعيش بن يعقوب وقد أدركته بعض استرابة بأمره ففر الى تلمسان ونزل على أبى حمو ورجع السلطان على تعبيته الى تازى فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا على الى فاس فكان من خروجه على ابيه ما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الامير أبى على وما كان بينه وبين أبيه من الواقعات)

كان للسلطان أبى سعيد اثنان من الولد أكبرهما لامته الحبشية وهو على والاصغر لمملوكة من سبى النصارى وهو عمر وكان هذا الاصغر آثرهما لديه وأعلقهما بقلبه منذ نشأ فكان عليه حدبا وبه مشغوفا ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية عهده وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة والكتائب وأمره باتخاذ العلامة فى كتبه وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليرنيانى من صنائع دولتهم وكبار المرشحين بها ولما رآه أخوه الاكبر أبو الحسن صاغية أبيه اليه وكان شديد البر بوالديه انحاش اليه وصار فى جملته وخلط نفسه بحاشيته طاعة لابيه واستمرت حال الامير أبى على على هذا وخاطبه الملوك من النواحى وخاطبهم وهادوه وعقد الرايات وأثبت فى الديوان ومحا وزاد فى العطاء ونقص وكاد أن يستبد ولما قفل السلطان أبو سعيد من غزاته الى تلمسان سنة أربع عشرة أقام بتازى وبعث ولده الى فاس فلما استقر الامير أبو على بفاس حدثته نفسه بالاستبداد على أبيه وخلعه وراوضه المداخلون له فى المكر بالسلطان حتى يتقبض عليه فأبى وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ودعا لنفسه فأطاعه الناس لما كان السلطان جعل اليه من أمرهم وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو السلطان فبرز من تازى بعسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم بدا للامير أبى على فى شأن وزيره وحدثته نفسه بالتقبض عليه استرابة به لما كان بلغه من المكاتبة بينه وبين السلطان فبعث لذلك عمر بن يخلف الفردودى وتفطن الوزير لما حاوله من المكر فتقبض عليه ونزع الى السلطان أبى سعيد فتقبله ورضى عنه وارتحل الى لقاء ابنه ولما تراءى الجمعان بالقرمدة ما بين فاس وتازى واختل مصاف السلطان وانهزم عسكره وأفلت بعد ان أصابته جراحة فى يده وهن لها ولحق بتازى فليلا جريحا ولحق به ابنه الامير أبو الحسن نازعا اليه من جملة أخيه أبى على بعد المحنة وفاء لحق أبيه فاستبشر السلطان بالظهور والفتح وجدد المغبة وأناخ الامير أبو على بعساكره على تازى وسعى الخواص بين السلطان وابنه فى الصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر

و يقتصر على تازى وجهاتها فتم ذلك بينهما وانعقد وشهد الملأ من مشيخة العرب
وزناتة وأهل الامصار واستحكم عقده وانكفأ الامير أبو على الى حضرة فاس ملكا
وتوافت اليه بيعات الامصار بالمغرب ووفودهم واستوسق أمره ثم اعتل على اثر ذلك
واشتد وجعه وصار الى حال الفوت وخشى الناس على أنفسهم تلاشى الامر بمهلكه
فسايلوا الى السلطان بتازى ثم نزع على الامير أبي على وزيره أبو بكر بن النوار وكاتبه
منديل بن محمد الكنانى وسائر خواصه ولحقوا بالسلطان وحملوه على تلافى الامر فنهض
من تازى واجتمع اليه كافة بنى مرين والجند وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصرا
لها وابتنى دارا لسكناه وجعل لابنه الامير أبي الحسن ما كان لاخيه أبي على من ولاية
العهد وتفويض الامر وفرد أبو على بطائفة من النصارى المستخدمين بدولتهم كان
قائدهم بعث اليه بخؤولة وضبط البلد مدة مرضه حتى اذا أفاق وتبين اختلال أمره
بعث الى أبيه فى الصلح ويحتمل من المال والذخيرة من دراهم فأجابه لذلك وانعقد بينهما
سنة خمس عشرة وخرج الامير أبو على بخاصته وحشمه وعسكر بالزيتون من ظاهر البلد
ووفى له السلطان بما اشترطوا وارتحل الى سجلماسة ودخل السلطان الى البلد الجديد
ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره
وفوّض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع
العلامة على كتبه وسائر ما كان لاخيه ووفدت اليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا
الى طاعته ونزل الامير أبو على لسجلماسة فأقام بها ملكا ودون الدواوين واستلحق
واستركب وفرض العطاء واستخدم ظواعن العرب من المعقل وافتتح معاقل الصحراء
وقصور تاورت وتيكورارين وتمنطيت وغزا بلاد السوس فافتتحها وتغلب على
ضواحيها وأثخن فى اعرابها من ذوى حسان والسفانات وزكنة حتى استقاموا على
طاعته وبيت عبد الرحمن بن يدر أمير الانصار بالسوس فى تارودانت مقره فافتتحها
عليه عنوة وقتله واصطلم نعمته وأباد سلطانه وأقام ابنى مرين فى بلاد القبلة ملكا
وسلطانا وانتقض على السلطان سنة عشرين وتغلب على درعة وسما الى طلب مراكش
فعقد السلطان على حربه لاخيه الامير أبي الحسن وجعله اليه وأغزاه ونهض على اثره
واعتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عللها وعقد عليها الكندوز بن عثمان من صنائع
دولتهم وقفل بعساكره الى الحضرة ثم نهض الامير أبو على سنة ثنتين وعشرين بجموعه
من سجلماسة وأغذ السير الى مراكش فاختلفت عساكره بها قبل أن يجتمع لكندوز
أمره فتقبض عليه وضرب عنقه ورفعه على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها
وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من حضرته فى عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل

واستوفى الاعطيات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولى عهده الغالب على أمره في عساكره وجموعه وجاء في ساقته وسار على هذه التعبية ولما انتهى الى بوبومن وادى ملوية تدروا بالبيات من أبي علي وجنوده فحذروهم وأيقظوا ليلتهم وبيتهم بمعسكرهم ذلك فكانت الدبرة عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغد في اثره وسلك على جبال درن وافترقت جنوده في أوعاره ولحقهم من معراتها شناعات حتى ترجل الامير أبو علي عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان نواحي مراكش وعقد عليها لموسى بن علي الهنتاتي فعظم غناؤه في ذلك واضطلاعه وامتدت أيام ولايته وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير أبو علي بالخضوع في الصفح والرضا والعودة الى السلم فأجابه السلطان لما كان شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو علي بمكانه من ملك القبلة الى أن هلك السلطان وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نكبة منديل الكناني ومقتله)

كان أبوه محمد بن محمد الكناني من علية الكتاب بدولة الموحدين ونزع من مراكش عند ما انحل نظام بني عبد المؤمن وانفض جمعهم الى مكناسة فأوطنها في ايالة بني مرين واتصل بالسلطان يعقوب بن عبد الحق فصحبه فيمن كان يشاور على صحابته من أعلام المغرب وسفر عنه الى الملوك كما ذكرناه في سفارته الى المستنصر سنة خمس وستين وهلك السلطان يعقوب بن عبد الحق فازداد الكناني عند ابنه يوسف بن يعقوب حظوة ومكانة الى أن سخطه ونكبه سنة سبع وستين وأقصاه من يومئذ وهلك في حال سخطته وبقي من بعده ابنه منديل هذا في جملة السلطان أبي يعقوب متبرما بمقام عبد الله بن أبي مدين المستولي على قهرمة دار السلطان ومخالصته في خلواته مغضيا لذلك متوقعا النكبة في أكثر أيامه مضطرمة له بالحسد جوانحه مع ما كان عليه من القيام على حسبان الديوان عرف فيه بسبقه وتشابه صديقه وعدوه ولما تغلب السلطان على ضواحي شلف ومغراوة واستعمل على حسبان الجباية وجعل اليه ديوان العسكر هنالك والى نظره اعتراضهم وتمحيصهم فنزل على مليانة مع من كان هنالك من الامراء مثل علي بن محمد الخيري والحسن بن علي بن أبي الطلاق العسكري الى أن هلك السلطان أبو يعقوب ورجع أبو ثابت البلاد الى أبي زيان وأخيه أبي حمو فخلف عليهما وحلا بعيونهما واستبلغا في تكرمته وانصرف الى مغربه وكان معسكر السلطان يوسف بن يعقوب على تلمسان قد صحب أخاه أبا سعيد عثمان بن يعقوب في سائر شؤونه وتأكدت بينهما الخلة

التي رعاها له السلطان أبو سعيد فلما ولي أمر المغرب مت بذلك اليه تعرفه له واختصه وخالصه وجعل اليه وضع علامته وحسبان جبايته ومستخلص أحواله والمفاوضة بذات صدره ورفع مجلسه في بسائطه وقدمه على خاصته وكان كثير الطاعة للامير أبي على ابنه المتغلب على أبيه قبل أول أمره ولما استبد وخلع أباه انحاش منديل هذا اليه ثم نزع عنه حين تبين اختلال أمره وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه ولايه أخيه أبي على لما كان بينهما من المنافسة وكان كثيرا ما يوغر صدره بايجاب حق عمر عليه وامتهانه في خدمته وطوى له على البث حتى اذا انفرد بمجلس أبيه وفصل عمر الى سجلماسة أحكم السعاية فيه والحاح في الهلكة التي أحكم السلطان عليها أذنا واعية حتى أذن الله باهلاكه وكان منديل هذا كثيرا ما يغضب السلطان في المحاورة والخطاب دالة عليه وكبرا فاعتمد له من ذلك كلمات وأحوالا وسخطه سنة ثمان عشرة واذن لابنه الامير أبي الحسن في نكبته فاعتقل واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه أياما ثم قتله بمحبسه خنقا ويقال جوعا وذهب مثلا في الغابرين والله خير الوارثين

{ الخبر عن انتقاض العزفي بسبتة ومنازلته ثم مصيرها الى طاعة السلطان بعد مهلكه }

كان بنو العزفي لما تغلب عليهم الرئيس أبو سعيد ونقلهم الى غرناطة سنة خمس استقروا بها في ايالة المخلوع ثالث ملوك بني الاحمر حتى اذا استولى السلطان أبو الربيع على سبتة سنة تسع أذنوه في الاجازة الى المغرب فأجازوا الى فاس فاستقروا بها وكان يحيى وعبد الرحمن ابنا أبي طالب من سراتهم وكبارهم وكانوا يغشون مجالس أهل العلم لما كانوا عليه من انتحال الطلب وكان السلطان أبو سعيد أيام امارة بني أبيه يجلس بالمسجد جامع القرويين شيخ الفتيا أبا الحسن الصغير وكان يحيى بن أبي طالب يلازمه فاتصل به وصارت له وسيلة يحتسبها عنده فلما ولي الامر واستقل به رعى لهم زمام صحابتهم ووفى لهم مقاصدهم وعقد ليحيى على سبتة ورجعهم الى مقر امارتهم منها ومحل رياستهم فارتحلوا اليها سنة عشر وأقاموا دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته ثم تغلب الامير أبو علي على أمر أبيه واستبد عليه فعقد على سبتة لابي زكريا حيون بن ابي العلاء القرشي وعزل يحيى بن أبي طالب عنها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه حاتم واستقروا في جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس خلال ذلك حتى اذا كان من خروج الامير أبي علي على أبيه ما قدمناه لحق يحيى بن أبي طالب وأخوه بالسلطان نازعين من جملة الامير أبي علي فلما اعتصم بالبلد الجديد ونازله السلطان بها فحينئذ عقد السلطان ليحيى بن أبي طالب على سبتة وبعثه اليها ليقيم دعوته بتلك الجهات

وتمسك بابنه محمد رهنا على طاعته فاستقل بامارتها وأقام دعوة السلطان وطاعته بها وأخذ بيعته على الناس واتصل ذلك سنتين وهلك عمه أبو حاتم هنالك بعد مرجعه معه من المغرب سنة ست عشرة ثم انتقض على طاعة السلطان ونبذ طاعة الامراء ورجع الى حال سلفه من أمر الشورى فى البلد واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق الكلمة به ويوهن بأسه عزائم السلطان فى مطالبته وجهز السلطان اليه العساكر من بنى مرين وعقد على حربه للوزير ابراهيم بن عيسى فزحف اليه وحاصره وتعالل عليهم بطلب ابنه فبعث به السلطان الى وزيره ابراهيم ليعطى طاعته فيسلم وجاءه الخبر من عيون كانت بالعسكر وان ابنه كائن بفسطاط الوزير بساحة البحر بحيث تتأتى الفرصة فى أخذه فبيت المعسكر وهجم عبد الحق بن عثمان بحشمه وذويه على فسطاط الوزير فاحتمله الى أبيه وركبت العساكر للهيعة فلم يقفوا على خبر حتى تفقد الوزير بن العزفى واتهموا قائدهم ابراهيم بن عيسى الوزير بممالأة العدو على ذلك فاجتمعت مشيختهم وتقبضوا عليه وحملوه الى السلطان ابتلاء للطاعة واستبصارا فى نصح السلطان فشكر لهم وأطلق وزيره لابتلاء نصيحته ورغب يحيى بن العزفى بعدها فى رضا السلطان وولايته ونهض السلطان سنة تسع عشرة الى طنجة لاختبار طاعته فعقد له على سبتة واشترط هو على نفسه جباية السلطان وأسنى هديته فى كل سنة واستمرت الحال على ذلك الى أن هلك يحيى العزفى سنة عشرين وقام بالامر بعده ابنه محمد الى نظر عمه محمد ابن على بن الفقيه أبى القاسم شيخ قرابتهم وكان قائد الاساطيل بسبتة وولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحى الى الاندلس واختلف الغوغاء بسبتة وانتهز السلطان الفرصة فاجمع على النهوض اليها سنة ثمان وعشرين وبادروا باتياء طاعتهم وعجز محمد ابن يحيى عن المناهضة وظنها محمد بن عيسى من نفسه فتعرض للامر فى أوغاد من اللفيف فاجتمعوا اليه ودافعهم الملاعن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفى الى السلطان فانقادوا واحتل السلطان بقصبة سبتة وثقف جهاتها ورم منثلمها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه فى أعمالها فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله الصدرانى على حاميتها وعقد لابى القاسم بن أبى مدين على جبايتها والنظر فى مبانيها واخراج الاموال للنفقات فيها وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبتة فشرعوا فى بنائها سنة تسع وعشرين وانكفأ راجعا الى حضرته والله تعالى أعلم

* (الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة والعلامة) *

كان بنو عبد المهيمن من بيوتات سبتة ونسبهم فى حضرموت وكانوا أهل تجلة ووقار

منتحلين للعلم وكان أبو محمد قاضيا بسبتة أيام أبي طالب وأبي حاتم وكان له معهم صهر ونشأ ابنه عبد المهيمن هذا في حجر الطلب والجلالة وقرأ صناعة العربية على الاستاذ الغافقي وحذق فيها ولما نزلت بهم نكبة الرئيس أبي سعيد سنة خمس وارتحلوا الى غرناطة احتمل فيهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه وقرأ عبد المهيمن بغرناطة على مشيختها وازداد علما وبصرا باللسان والحديث واستكتب بدار السلطان محمد المخلوع واختص بوزيره المتغلب على دولته محمد بن الحكيم الرندي فيمن اختص به من رؤساء بني العزفي ثم رجع بعد نكبة ابن الحكيم الى سبتة وكتب عن قائدها يحيى بن مسلمة مدة ولما استخلص بنو مرين سبتة سنة تسع اقتصر على الكتابة وأقام منتحلا مذاهب سلفه في انتحال العلم ونزول المروءة ولما استولى السلطان أبو سعيد على المغرب واستقل بولاية العهد وتغلب على الامر ابنه أبو علي وكان محبا للعلم مولعا بأهله منتحلا لفنونه وكانت دولته خلوا من صناعة الترسل مذ عهد الموحدين للبداوة الموجودة في أولهم وحصل للامير أبي علي بعض البصر بالبلاغة واللسان تفطن به لشأن ذلك وخلو دولتهم من الكتاب المرسلين وأنهم انما يحكمون الخط الذي حذقوا فيه ورأى الاصابع تشير الى عبد المهيمن في رياسة تلك الصناعة فولع به وكان كثير الوفادة مع أهل بلده أوقات وفادتهم فيختصه الامير أبو علي بمزيد بره وكرامته ويرفع مجلسه ويخطبه للكتابة وهو يمتنع عليه حتى اذا أمضى عزيمته في ذلك أوعز الى عامله بسبتة سنة اثنتي عشرة أن يشخصه اليهم فقلده كتابته وعلامته حتى اذا خرج أبو علي على أبيه تحيز عبد المهيمن الى الامير أبي الحسن فلما صولح أبو علي على النزول عن البلد الجديد وكتب شرطه على السلطان كان من جملتها كون عبد المهيمن معه وأمضى له السلطان ذلك وأنف الامير أبو الحسن منها فأقسم ليقتلنه ان عمل بذلك فرفع عبد الله بن أمره الى السلطان ولاذ به وألقى نفسه بين يديه فرق لشكواه وأمره باعتزالهما والرجوع الى خدمته وأنزله بمعسكره وأقام على ذلك واختصه منديل الكناني كبير الدولة وزعيم الخاصة وأنكحه ابنته ولما نكب منديل جعل السلطان علامته لابي القاسم بن أبي مدين وكان غفلا خلوا من الآداب فكان يرجع الى عبد المهيمن في قراءة الكتب واصلاحها وانشائها حتى عرف السلطان له ذلك فاقتصر عليه وجعل وضع العلامة اليه سنة ثمان عشرة فاضطلع بها ورسخت قدمه في مجلس السلطان وارتفع صيته واستمر على ذلك أيام السلطان وابنه أبي الحسن من بعده الى أن هلك بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين والله سبحانه وتعالى خير الوارثين

(الخبر عن دمرسيخ أهل الاندلس ومهلك بطرة على غرناطة)

كان الطاغية شانجة بن ادفونش قد تكالب على أهل الاندلس من بعد أبيه هراندة الهالك سنة ثنتين وثمانين منذ غلب على طريف شغل السلطان يوسف بن يعقوب بعده ببني يغمراسن ثم تشاغل حفدته من بعده بأمرهم وتقاصرت مددهم وهلك شانجة سنة ثلاث وسبعين وولي ابنه هراندة ونازل الجزيرة الخضراء فرضة الجهاد لبني مرين حولا كاملا ونازلت أساطيله جبل الفتح واشتد الحصار على المسلمين وراسل هراندة بن ادفونش صاحب برشلونة أن يشغل أهل الاندلس من ورائهم ويأخذ بحجزتهم فنازل المرية وحاصرها الحصار المشهور سنة تسع ونصب عليها الآلات وكان منها برج العود المشهور بطول الاسوار بمقدار ثلاث قامات وتحيل المسلمون على احراقه فأحرق وحفر العدو تحت الارض مسربا بمقدار ما يسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون واحتفروا قبالتهم مثله الى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا من تحت الارض وعقد ابن الاحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الاعياص على عسكر بعثه مددا لاهل المرية فلقيه جمع من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانه فهزمهم عثمان واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية خلال ذلك على جبل الفتح وأقامت عساكره على سمانة واسطبونة وزحف العباس بن رحو بن عبد الله وعثمان بن أبي العلاء في العساكر لاغاثة البلدين فأوقع عثمان بعسكر اسطبونة وقتل قائدهم الفنش بيرش في نحو ثلاثة آلاف فارس واستلحموا ثم زحف عثمان لاغاثة العباس وكان دخل عوجين فحاصرته جموع النصارى به فانفضوا لخبر زحفه وبلغ الخبر الى الطاغية بمكانه من ظاهر الجزيرة بفتكة عثمان في قومه فسرح جموع النصرانية اليه ولقيهم عثمان فأوقع بهم وقتل زعماءهم وارتحل الطاغية يريد لقاءهم فخالف أهل البلد الى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وأتيحت للمسلمين عليهم الكرة وامتلأت الايدي من غنائمهم وأسراهم ثم هلك الطاغية اثر هذه الهزائم سنة ثنتي عشرة وهو هراندة بن شانجة وولي بعده ابنه الهنشة طفلا صغيرا جعلوه لنظر عمه دون بطرة بن شانجة وزعيم النصرانية جوان فكفلاه واستقام أمرهم على ذلك وشغل السلطان أبو سعيد ملك المغرب بشأن ابنه وخروجه فاهتبل النصرانية الغرة في الاندلس وزحفوا الى غرناطة سنة ثمان عشرة وأناخوا عليها بعسكرهم وأممهم وبعث أهل الاندلس صريخهم الى السلطان واعتذر لهم بمكان أبي العلاء من دولتهم ومحله من رياستهم وأنه مرشح للامر في قومه بني مرين يخشى معه تفريق الكلمة وشرط عليهم أن يدفعوه اليه برمته حتى يتم الجهاد ويعيده اليهم حوطة على المسلمين ولم يمكنهم ذلك لمكان عثمان بن أبي العلاء لصرامته وعصابته من قومه فأخفق سعيهم واستلحموا وأطالت أمم النصرانية

بغرناطـة وطمعوا فى التهامها ثم انّ الله نفس مخنقهم ودافع بيد قدرته عنهـم وكيف لعثمان بن أبى العلاء وعصبته واقعة كانت أغرب الوقائع جمعوا الى موقف الطاغية بجملتهم وكانوا زهاء مائتين أو أكثر وصابروهم حتى خالطوهم فى مراكزهم فصرعوا بطرة وجوان وولوهم الادبار واعترضتهم من ورائهم مسارب الماء للشرب من شقيل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وأعز الله دينه وأهلك عدوه ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لمن يذكر وهو باق هنالك لهذا العهد والله تعالى أعلم

(الخبر عن صهر الموحدين والحركة الى تلمسان على اثره وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما انفرج الحصار عن ولد يغمراسن بن زيان أحد ملوك بنى عبد الواد سنة ست وتجافى أبو ثابت عن بلادهم ونزل لهم عما كان بنو مرين ملكوه منها بسيوفهم واستقل أبو حمو بملك بنى عبد الواد على رأس الحول منها واصرف نظره واهتمامه الى بلاد المشرق فتغلب على بلاد مغراوة ثم على بلاد بنى توجين ومحا منها أثر سلطانهم ولحق أعياصهم من ولد عبد القوى بن عطية ولد منديل بن عبد الرحمن بالموحدين بنى أبى حفص مع من تبعهم من رؤس قبائلهم وصاروا فى جملة عساكرهم واستلحق مولانا السلطان أبو يحيى وحاجبه يعقوب بن عمر منهم جندا كثيفا أثبتهم فى الديوان وغالب بهم الخوارج والمنازعين للدولة ثم زحف أبو حمو الى الجزائر وغلب ابن علان عليها سنة ونقله الى تلمسان ووفى له وفتر بنو منصور أمراء ملكيش أهل بسيط متيجة من صنهاجة فلحقوا بالموحدين واصطنعوهم وغلك قاصية المغرب الاوسط وتاخم عمل الموحدين بعمله ثم تغلب على تدلس سنة ثنتى عشرة وتجنى على مولانا السلطان أبى يحيى بما وقع بينهم من المراسلة أيام ائتزى ابن مخلوف ببجاية كما ذكرناه فى أخباره فحث عزائمه لمنازلتها وطلب بلاد الموحدين وأوطأ عساكره أرضهم ونازل أمصارهم بجاية وقسنطينة واختص بجاية بشوكته من ذلك وجهز العساكر مع مسعود ابن عمه أبى عامر ابراهيم بمضايقتها وكان خلال ذلك ماقدمناه من خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن عنه سنة

وقيام بنى توجين بأمره واقتطاع جبل وانشريس من عمالة ملكه واستمرت الحال على ذلك حتى هلك السلطان أبو حمو سنة ثمان عشرة وقام بأمرهم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن فصنع له فى ابن عمه محمد بن يوسف ونهض اليه بعساكر بنى عبد الواد حتى نازله بمعتصمه من جبل وانشريس وداخله عمر بن عثمان كبير بنى تيغرين فى المكر به فتقبض عليه وقتله سنة تسع عشرة وارتحل الى بجاية حتى احتل بساحتها وامتنع

عليه الحاجب ابن عمر فأقام يوما أو بعضه ثم انكفأ راجعا الى تلمسان وردّد البعوث الى أوطان بجاية وابتنى الحصون لتجمير الكتائب فابتنى بوادي بجاية من أعلاه حصن بكر ثم حصن تامزيزدكت ثم اختط بتيكلات على مرحلة منها بلدا سماها تامزيزدكت على اسم المعقل الذي كان لأوليهم بالجبل قبالة وجدة وامتنع يغمراسن به على السعيد كما قدمناه فاختط بلد تيكلات هذه وشحنها بالأقوات والعساكر وصيرها ثغرا للملكه وأنزل بها جنده وعقد عليها لموسى بن علي الكردي كبير دولته ودولة أبيه واستحثه أمراء الكعوب من بني سليم لملك افريقية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبي يحيى اللحياني وأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أبي عمران وأبي اسحق بن أبي يحيى الشهيد مرة بعد أخرى كما ذكرناه في أخبارهم جميعا وكانت حروبهم سجالا الى أن كان بين جيوش زناتة والموحدين الزحف المشهور بالرياش من نواحي مرماجنة سنة تسع وعشرين زحفت فيه الى السلطان أبي يحيى عساكر زناتة مع حمزة بن عمر أمير بني كعب ومن اليه من البدو وعليهم يحيى بن موسى من صنائع دولة آل يغمراسن وقد نصبوا للملك محمد بن أبي عمران ابن أبي حفص ومعهم عبد الحق بن عثمان من أعياص بني عبد الحق في بنيه وذويه كان نزع اليهم من عند الموحدين كما ذكرناه فاختل مصاف مولانا السلطان أبي يحيى وانهزم واستولوا على فساطيطه بما فيها من الذخيرة والحرم وانتهبوا معسكره وتقبضوا على ولديه المولين أحمد وعمر وأشخصوهما الى تلمسان وأصيب السلطان في بدنه بجراحات أوهنته وخاص الى بونة ناجيا برمقه وركب السفين منه الى بجاية فأقام بها يدامل جراحه واستولت زناتة على تونس ودخلها محمد بن أبي عمران وسموه باسم السلطان ومقادته في يد يحيى بن موسى أمير زناتة واعتزم مولانا السلطان أبو يحيى على الوفادة على ملك المغرب السلطان أبي سعيد صريخا على آل يغمراسن وأشار حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبي زكريا صاحب الثغر استنكافا له عن مثلها فتقبل اشارته وأركب ابنه البحر لذلك وبعث اليه معه أبا محمد عبد الله بن تافراكين من مشيخة الموحدين ناقضا امامه طرف المقاصد والمحاورات ونزلوا بغساسة من سواحل المغرب وقدموا على السلطان أبي سعيد بحضرته وأبلغوه صريخ مولانا السلطان أبي يحيى فاهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لابنه الامير في ذلك المحفل يا بني لقد قصدك أكبر أقوامنا ومواصلك والله لابذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي ولأسيرن بعساكري الى تلمسان فأنزلها مع أبيك فانصرفوا الى منازلهم مسرورين وكان فيما شرطه عليهم السلطان أبو سعيد مسير مولانا السلطان أبي يحيى بعساكره الى منازلة تلمسان معه فقبلوا ونهض السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين ولما انتهوا الى وادي ملوية

وعسكر بعسره جاءهم الخبر اليقين باستيلاء السلطان أبي يحيى على حضرة تونس واجهاضه زناتة وسلطانهم عنها فاستدعى مولانا السلطان الامير أبا زكريا يحيى ابنه ووزيره أبا محمد عبد الله بن تافراكين وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم واسنى جوائزهم وحاجاتهم وركبوا أساطيلهم من غساسة وأرسل معهم لخطبة الصهر ابراهيم ابن أبي حاتم العزفي والقاضي بحضرته أبي عبد الله بن عبد الرزاق وانكفأ على عقبه راجعا الى حضرته ولما انعقد الصهر بين الامير أبي الحسن والسلطان أبي يحيى في ابنته شقيقة الامير يحيى زفها اليهم في أساطيله مع مشيخة من الموحدين كبيرهم أبو القاسم بن عتو ووصلوا بها الى مرسى غساسة سنة احدى وثمانين بين يدي مهلك السلطان أبي سعيد فقاموا اليها على أقدام البر والتكرمة وبعثوا الظهر الى غساسة لركوبها وحمل أثقالها وصيغت حكمات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل لوافدها واعراسها غاية الاحتفال بعالم يسمع مثله في دولتهم وتولت قهارمة الدار من عجز النساء ما يتولاه مثلهم من ذلك فطم الصنيع وتحدث الناس به وهلك السلطان أبو سعيد بين يدي موصلها والبقاء لله وحده

{الخبر عن مهلك السلطان أبي سعيد عفا الله عنه وولاية}
{السلطان أبي الحسن وما تخلل ذلك من الاحداث}

كان السلطان لما بلغه وصول العروس بنت مولانا السلطان أبي يحيى سنة احدى وثلاثين واهتزت الدولة لقدومها عليهم تعظيما لحق أبيها وقومها واحتفاء بها ارتحل السلطان أبو سعيد الى تازى ليشارف أحوالها بنفسه احتفاء في تكرمتها وسرورا بعرس ابنه واعتل هنالك ومرض حتى اذا أشفى على الهلكة ارتحل به ولي العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة وحمله في فراشه على أكتاد الحاشية والخيول حتى نزل بسبو ثم أدخله كذلك ليلا الى داره وأدركته المنية في طريقه فقضى رحمة الله عليه فوضعوه بمكانه من البيت واستدعى الصالحين لمواراته فووري لشهر ذي الحجة سنة احدى وثلاثين والبقاء لله وحده وكل شيء هالك الا وجهه ولما هلك السلطان أبو سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة لولي عهده الامير أبي الحسن وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم وبيعتهم وأمر بنقل معسكره من سبو واضطرب بالزيتون من ساحة فاس ولما ووري السلطان خرج الى معسكره بالتعبية واجتمع اليه الناس على طبقاتهم لاداء البيعة وتولى بفسطاطه وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس المزوار عبو بن قاسم رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب القديم الولاية بذلك في دارهم منذ عهد السلطان يوسف بن يعقوب وزفت اليه يومئذ عروسه بنت السلطان أبي يحيى فأعرس بها

بمكانه من المعسكر وأجمع أمره على الانتقام لابيهما من عدوه وبدا باستكشاف حال
أخيه أبي علي وكان السلطان أبوهما يستوصيه به لما كان له بقلبه من العلاقة وكان
ولي العهد هذا مؤثرا رضاه جهده فاعتزم على الحركة الى سجلماسة لمشارفة أحواله
والله تعالى أعلم

{ الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن الى سجلماسة
وانكفائه عنها الى تلمسان بعد الصلح مع أخيه والاتفاق }

لما هلك السلطان أبو سعيد وكملت بيعة السلطان ابي الحسن وكان كثيرا ما يستوصيه
بأخيه أبي علي لما كان كلفا به شفوقا عليه فأراد مشارفة أحواله قبل النهوض
الى تلمسان فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة وتلقته في طريقه وفود
الامير أبي علي أخيه مؤديا حقه موجبا مبرته مهنئا له بما آتاه الله من الملك متجافيا عن
المنازعة فيه قانعا من تراث أبيه بما حصل في يده طالبا العقد له بذلك من أخيه فأجابه
السلطان أبو الحسن الى ما سأل وعقد له على سجلماسة وما اليها من بلاد القبلة كما كان
لعهد أبيهما وشهد الملأ من القبيل وسائر زناتة والعرب وانكفأ راجعا الى تلمسان
لاجابة صريخ الموحدين وأغذ السير اليها ولما انتهى الى تلمسان تنكب عنها متجاوزا
الى جهة المشرق لوعد مولانا السلطان أبي يحيى بالنزول معه على تلمسان كما كان عليه
وفاقهم ومشارطتهم مع الامير أبي زكريا الرسول اليهم فاحتل تاسالت في شعبان من
من سنة ثنتين وثلاثين وتلوم بها وأوعز الى أساطيله بمراسي المغرب فأغزاها الى سواحل
تلمسان وجهز لمولانا السلطان أبي يحيى مددا من عسكره أركبهم الاساطيل
من سواحل وهران وعقد عليهم لمحمد البطوي من صنائع دولته ونزلوا بجاية ووافوا
بها مولانا السلطان أبا يحيى فسار وافي جملته ونهضوا معه الى تيكلات ثغر بني عبد
الواد المجمرة بها الكتائب لحصار بجاية وبها يومئذ ابن هزرع من قوادهم وقد جفل من
كان بها من العسكر قبل وصوله اليهم فلحقوا بآخر عملهم من المغرب الاوسط وأناخ
مولانا السلطان أبو يحيى عليها بعساكره من الموحدين والعرب والبربر وسائر الحشود
فخربوا عمرانها وانتهبوا ما كان من الاقوات مختزنا بها وكان بحر الابد لا ساحل له
لما كان السلطان أبو حمو من لدن اختطها قد أوعز الى العمال بسائر البلاد الشرقية
منذ عمل البطحاء أن ينقلوا أعشار الحبوب اليها وسائر الاقوات وتقبل ابنه السلطان
أبو تاشفين مذهبه في ذلك ولم يزل دأبهم الى حين حلت بها هذه الفاقرة فانتهب الناس
من تلك الاقوات ما لا كفاء له وأضرعوا اختطها بالارض فنسفوها نسفا وذروها قاعا
صفصفا والسلطان أبو الحسن خلال ذلك متشوف لاحوالهم منتظر قدوم مولانا

السلطان أبي يحيى عليه لمنازلة تلمسان حتى وافاه الخبر بانتقاض أخيه كما نذكره فانكفأ راجعا واتصل الخبر بمولانا السلطان أبي يحيى فقفل الى حضرته وحل البطوي معه واسنى جائزته وجوائز عسكره وانصرفوا الى السلطان مرسلهم من طاعتها وانقبض عنان السلطان أبي تاشفين عن غزو بلاد الموحدين الى أن انقرض أمره والبقاء لله وحده

(الخبر عن انتقاض الامير أبي علي ونهوض السلطان أبي الحسن اليه وظفره به)

لما توغل السلطان أبو الحسن في غزاة تلمسان وتجاوزها الى تاسالت لوعد مولانا السلطان أبي يحيى دس أبو تاشفين الى الامير أبي علي في اتصال اليد والاتفاق على السلطان أبي الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه حتى ذمم به وانعقد بينهما على ذلك وانتقض الامير أبو علي على أخيه السلطان أبي الحسن ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل بها عامل السلطان واستعمل عليه من ذويه وسرح العسكر الى بلاد مراكش واتصل الخبر بالسلطان وهو بمعسكره بتاسالت فأحفظه شأنه وأجمع على الانتقام منه فانكفأ راجعا الى الحضرة وأنزل بثغر تاوريرت تخم عمله معسكرا وعقد عليه لابنه تاشفين وجعله الى نظر وزيره مندبل بن حمامة بن تيربيعين وأغذ السير الى سجلماسة فنزل عليها وأحاطت عساكره بها وأخذ بمخنقها وحشد الفعلة والصناع لعمل الآلات لحصارها والبناء بساحتها وأقام يغاديها القتال ويراوحها حولا كريتا ونهض أبو تاشفين في عساكره وقومه الى ثغر المغرب ليوطئه عساكره وبعث في نواحيه يجاذب السلطان عن مكانه من حصاره ولما انتهى الى تاوريرت برزاليه ابن السلطان في وزرائه وعساكره وزحفوا اليه في التعبية فاختل مصافه وانهزم ولم يلق أحدا وعاد الى منجحره وبادر الى امداد الامير أبي علي بعسكره فعقد على حصة من جنده وبعث بهم اليه فتسربوا الى البلد زرافات ووحدانا حتى استكملوا عنده وطاولهم السلطان الحصار وأنزل بهم أنواع الحرب والنكال حتى تغلب عليهم واقتحم البلد عنوة وتقبض على الامير أبي علي عند باب قصره وسيق الى السلطان فأمهله واعتقله واستولى على ملكه وعقد على سجلماسة واستعمل عليها ورحل منكفئا الى الحضرة فاحتل بها سنة ثلاث وثلاثين واعتقل أخاه في احدى حجر القصر الى أن قتله لاشهر من اعتقاله خنقا بمحبسه وعدد له هذا الفتح بفتح الجبل واسترجاعه من يد العدو دمره الله بأيدي عسكره وتحت راية ابنه أبي مالك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن منازلة جبل الفتح واستنقاذ الامير أبي مالك والمسلمين به)

لما هلك السلطان أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش قام بالامر بعده ابنه محمد طفلا صغيرا ونظر وزيره محمد بن المحروق من بيوت الاندلس وصنائع الدولة واستبد عليه فلما شب وناهز أنف من الاستبداد عليه وأغراه المعلوجي من حشمه بالوزير فاغتاله وقتله سنة تسع وعشرين وشمر للاستبداد وشد أواخي الملك وكان الطاغية قد أخذ جبل الفتح سنة تسع وجاورت النصرانية به ثغور الفرضة وكان شجا في صدرها وأهم المسلمين شأنه وشغل عنهم صاحب المغرب بما كان فيه من فتنة ابنه فرجعوا الجزيرة وحصونها الى ابن الاحمر منذ سنة ثنتي عشرة لاول المائة الثامنة واستغلظ الطاغية عليهم بعد ذلك فرجعوا الجزيرة الى صاحب المغرب سنة تسع وعشرين وولى عليها السلطان أبو سعيد من أهل دولته سلطان بن مهلهل من عرب الخلط أخواله وأسف الطاغية الى حصونها عند مهلك السلطان أبي سعيد فملك أكثرها ومنع البحر من الاجازة وقارن ذلك استبداد صاحب الاندلس وقتله لوزيره ابن المحروق وأهمه شأن الطاغية فبادر لاجازة البحر ووفد على السلطان أبي الحسن بدار ملكه من فاس سنة ثنتين وثلاثين فأكبر موصله وأركب الناس للقائه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ في تكريمه وفاوضه ابن الاحمر في شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكا اليه حال الجبل واعتراضه شجا في صدر الثغور فأشكاه السلطان وعامل الله في أسباب الجهاد وكان مشغوفا به متقبلا مذهب جده يعقوب فيه وعقد لابنه الامير أبي مالك على خمسة آلاف من بني مرين وأنفذهم مع السلطان محمد بن اسمعيل لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتتابع اليه الاسطول بالمدد وأرسل ابن الاحمر حاشرين في الاندلس فتسايلوا اليه واضطرب معسكرهم جميعا بساحة الجبل وأبلوا في حربه ومنازلته البلاء الحسن الى أن تغلبوا عليه سنة ثلاث وثلاثين واقتحمه المسلمون عنوة ونفلهم الله من كان به من النصرانية بجامعهم ووافاه الطاغية بأمم الكفر لثالثة فتحه وقد شحنه المسلمون بالاقوات نقلوها من الجزيرة على خيولهم وباشر نقلها الامير أبو مالك وابن الاحمر فنقلها الناس عامة وتحيز الامير أبو مالك الى الجزيرة وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من وزراء أبيه ووصل الطاغية بعد ثلاث فأناخ عليه وبرز أبو مالك بعساكره فنزل بحذائه وبعث الى الامير أبي عبد الله صاحب الاندلس فوصل بحشد المسلمين بعد أن دوخ أرض النصرانية وخرج فنزل بازاء عسكر الطاغية وتحصن العدو في محلتهم وقاموا كذلك عادية لقرب العهد بارتجاعه وخفة ما به من الحامية والسلاح فبادر السلطان ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه مجلا بائعا نفسه من الله في رضا المسلمين وسد فرجتهم فتلقاه الطاغية راجلا

حاسرا اعطاه الموصله وآيابه الى محله السلطان من الافراج عن هذا المعقل وأتحفه بنظائر مما لديه وارتحل بفوره وأخذ الامير أبو مالك فى تثقيف أطراف الثغور وسد فروجه وأنزل الحامية به ونقل الاقوات اليه وكان فتحا طوق دولة السلطان أبى الحسن قلادة الفخر الى آخر الايام ثم جمع بعدها الى شأنه من منازلة تلمسان والله تعالى أعلم

{ الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان أبى الحسن عليها وانقراض أمر بنى عبد الواد بمهلك أبى تاشفين }

لما تغلب السلطان على أخيه وحسم علة انتزائه ومنازعته وسد ثغور المغرب وعظمت لديه نعمة الله بظهور عسكره على النصرانية وارتجاع جبل الفتح من أيديهم بعد أن أقام فى ملكة الطاغية نحوا من عشرين سنة فرغ لعدوه وأجمع لتلمسان ووفد عليه الامير   السلطان أبى يحيى فى سبيل التهنئة بالفتح والاخذ بحجزة أبى تاشفين على الثغور وأوفد السلطان الى أبى تاشفين شفعاء فى أن يتخلى عن عمل الموحدين جملة ويتراجع لهم عن تدلس ويرجع الى تخوم عمله منذ أول الامر ولو عاماً ذلك لعلم الناس جاه السلطان عند الملوك ويقدروه حق قدره واستنكف أبو تاشفين مع ذلك وأغلظ للرسل فى القول وأفحش بمجلسه بعض السفهاء من العبيد فى الرد عليهم والنيل من مرسلهم فانقلبوا اليه بما أحفظه فانبعثت عزائم السلطان للصمود اليهم وعسكر بساحة البلد الجديد وبعث وزراءه الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والعساكر ثم تحل فاعترض جنوده وأزاح عللهم وعبى مواكبه وسار فى التعبية وفصل بعساكره من فاس أواسط خمس وثلاثين وسار بجر الشوك والمدد من أمم المغرب وجنوده ومر بوجدة فجمر الكتائب لحصارها ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم واقتحمها فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس ثم سار على تعبيته حتى أناخ على تلمسان وبلغه الخبر بتغلب عساكره على وجدة سنة ست وثلاثين فأوعز اليه بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت امداد النواحى وجهاتها وحشودها ورابض على فريسته ووفدت اليه قبائل مغراوة وبنى توجين فآتوه طاعتهم ثم سرح عساكره الى الجهات فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتنس والجزائر كذلك سنة ست وثلاثين ونزع اليه يحيى بن موسى صاحب القاصية الشرقية من عمله والمتاخم كان لعمل الموحدين والقائم بحصار بجاية بعد نكبة موسى بن على فلقاه مبرة وتكريما ورفع بساطه ونظمه فى طبقات وزرائه وجلسائه وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى ابن سليمان العسكرى كبير بنى عسكر بن محمد وشيخ بنى مرين وصاحب شوراهم بمجلس السلطان والمخصوص بصهر من السلطان عقد له على ابنته فسار فى الولاية والجنود

وطوع ضاحية الشرق وقبائله وافتتح أمصاره حتى انتهى الى المرية ونظم البلاد
فى طاعة السلطان واحتشد مقاتلتها الى معسكره فلحقوا به وكاثروا جنوده
واستعمل السلطان على وانشريس وعمل الحشم من بنى توجين وعقد لسعد بن سلامة
ابن على على بنى يدللتن وجعل الوالى بالقلعة الى نظره وكان خلص اليه بالمغرب قبل فصوله
نازعا عن أبى تاشفين لمكان أخيه قريعه محمد من الدولة واستعمل السلطان أيضا على
شلف وسائر أعمال المغرب الاوسط واختط السلطان بغربى تلمسان البلد الجديد لسكناه
ونزل عساكره وسماه المنصورة وأدار على البلد المحروب سياجا من السور ونطاقا من
الخندق ونصب المجانيق والآلات من وراء خندقه ينضح رماته بالنبل رماتهم
ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر أقرب منه وترتفع شرفاته فوق خندقهم
ويصامع المقاتلة بالسيوف من أعاليها ورتب المجانيق الى رجمها ودكها فنالت من ذلك
فوق الغاية واشتد الحرب وضاق نطاق الحصار وكان السلطان يصبحهم كل يوم بالبكور
والتطواف على البلد من جميع جهاته لتفقد المقاتلة فى مراكزهم وربما ينفرد فى
طوافه بعض الايام عن حاشيته فاهتبلوا الامر يحسبونه غرة وصفوا جيوشهم من وراء
السور مما يلى الجبل المطل على البلد حتى اذا حاذاه السلطان فى تطوافه فتحوا أبوابهم
وأرسلوا عليه عقبان جنودهم واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد أن
ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير سويد ووصل الصائح الى المعسكر من كل
جانب فشمر جنود بنى عبد الواد الى مراكزهم ثم دفعوهم عنها وحملوهم على هوة
الخندق فتطارحوا فيه وترادفوا وهلك بالكظيظ أكثر ممن هلك بالقتل واستلحم فى ذلك
اليوم زعماء ملئهم مثل عمر بن عثمان كبير الحشم من بنى توجين ومحمد بن سلامة بن على
كبير بنى يدللتن منهم أيضا وغيرهم وكان يوما له ما بعده واعتز بنو مرين عليهم من يومئذ ونذر
بنو عبد الواد بالتغلب عليهم واتصلت الحرب مدة عامين ثم اقتحمها السلطان غلابا السبع
وعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين ووقف أبو تاشفين بساحة قصره مع خاصته
وقاتل هنالك حتى قتل ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على ووليه عبد الحق
ابن عثمان من أعياص عبد الحق نزع اليه من جملة الموحدين كما أشرنا اليه واستوفى
خبره فهلك هو وابنه وابن أخيه وأثخنت السلطان أبا تاشفين الجراحة ووهن لها
فتقبض عليه واختبنه بعض الفرسان الى السلطان فلقيه الامير أبو عبد الرحمن
تلك الحروب وأورد غمرتها بنفسه فاعترضه وقد غض الطرف بموكبه
فأمر به فى الحين فقتل واحتز رأسه وسخط ذلك السلطان من فعله لحرصه على توبيخه
وتقريعه وذهب مثلا فى الغابرين واقتحم السلطان البلد بكافة عساكره وتواقع الناس

بباب كشوط لجنوبهم من كظيظ الزحام فهلك منهم أمم وانطلقت أيدي النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرّات في أموالهم وحرمهم وخلص السلطان الى المسجد الجامع مع لمة من خواصه وحاشيته واستدعى شيوخ الفتيا بالبلد أبو زيد وأبو موسى ابنا الامام وفاء بحق العلم وأهله فخلصوا اليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب فركب لذلك بنفسه وسكن وأوزع جنوده وأشياعه من الرعية وقبض أيديهم عن الفساد وعاد الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر وشهد ذلك اليوم أبو محمد بن تافراكين وافاه رسولا عن مولانا السلطان أبي يحيى ومجددا العهد فأعجله السلطان الى مرسله بالخبر وسابق السابقين ودخل تونس لسبع عشرة ليلة من نوبة الفتح فعظم السرور عند السلطان أبي يحيى بهلك عدوه والانتقام منه بثأره واعتدها بمساعيه ورفع السلطان أبو الحسن القتل عن بني عبد الواد أعدائهم وشفى نفسه بقتل سلطانهم وعفا عنهم وأثبتهم في الديوان وفرض لهم العطاء واستتبعهم على راياتهم ومراكزهم وجمع كلمة بني واسين من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين وسائر زناتة وأنزلهم ببلاد المغرب وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله وساروا عصبا تحت لوائه فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس حامية ومرابطين واندرجوا في جملته واتسع نطاق ملكه وأصبح ملك زناتة بعد أن كان ملك بني مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

* (الخبر عن نكبة الامير عبد الرحمن بمتيجة وتقبض السلطان عليه ثم مهلكه آخرا) *

قد قدمنا ما كان من اشتراط السلطان أبي سعيد على الموحدين منازلتهم تلمسان مع عساكره وتلوم السلطان أبي الحسن بتاسالت لانتظار مولانا السلطان أبي يحيى ولما نازل تلمسان بعساكره المرة الثانية لم يطالبهم بذلك وكان أبو محمد بن تافراكين يتردد اليه وهو بمعسكره من حصار تلمسان مؤديا حقه مستخبرا ما آل عدوهم فلما تغلب على تلمسان أسر اليه سفيره أبو محمد بن تافراكين بأن سلطانه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه وتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به وارتحل من تلمسان سنة ثلاث وثلاثين وعسكر بمتيجة منتظرا وفادة مولانا السلطان أبي يحيى عليه وتكاسل السلطان عنها لما أراه المتحكم في دولته محمد بن الحكيم من حذر مغبتها وقال له ان لقاء سلطانين لا يتفق الا في يوم على أحدهما فكره ذلك السلطان وتقاعد عنه وطال مقام السلطان أبي الحسن في انتظار الموعد الذي ألقى اليه أبو محمد بن تافراكين واعتل لأشهر من لقائه ومرض بفسطاطه وتحدث أهل المعسكر بهلكه وكان ابناه

الامير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متنافسين في ولاية عهده منذ أيام جدهما أبي سعيد وكان السلطان قد جعل لهما من أول دولته ألقاب الامارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان والانفراد بالعساكر فكانا من ذلك على نهج وجعل لهما مع ذلك الجلوس لمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له في سلطانه ولما اشتد وجع السلطان تمشت سماسرة الفتن بين هذين الاميرين وحزب أهل المعسكر لهما أحزابا وبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصارت شيعا وانقسموا فرقا وهم الامير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك وتفطن خاصة السلطان لها فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى الناس قبل أن يتفاقم الامر ويتسع الخرق فبرز الى فسطاط جلوسه وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا على مجلسه وتقبيل يده وتقبض على أهل الظنة من العساكر وتسامع أهل المعسكر فأودعهم السجن وسخط على الاميرين ورحل الناس من معسكرهما فردهما الى معسكره ثم رجع الى فسطاطه فارتاب الاميران لذلك ووجما وطفئت نار فتنتهما وسكن سعي المفسدين وانتبذ الناس عنهما فاشتدت روعة الامير أبي عبد الرحمن وركب من فساطيطه وخاض الليل وأصبح بحلة أولاد علي أمراء زغبة الموطنين بأرض حمزة فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل ورده الى أبيه فاعتقله بوجدة ورتب العيون لحراسته من حشمه الى أن قتل بعد ذلك سنة ثنتين وأربعين وثب بالعهات فقتله وأنفذ السلطان حاجبه علال بن محمد فقضى عليه ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسي بالموحدين فأجاروه ورذى السلطان صنيعة نزوع أبي عبد الرحمن عن أخيه أبي مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ الى تلمسان والله أعلم

(الخبر عن خروج ابن هيدور وتلبيسه بأبي عبد الرحمن)

لما تقبض السلطان على ابنه عبد الرحمن وأودعه السجن تفرق حرمه وحشمه وانذعروا في الجهات وهمل جازر من مطبخه كان يعرف بابن هيدور كان شبيها له في الصورة فلحق ببني عامر من زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن الطاعة خوارج على الدولة لما كان السلطان وأبوه اختصا عريف بن يحيى أمير سويد أقتالهم منذ نزع اليهم عن أبي تاشفين فركبوا سنن الخلاف ولبسوا جلدة النفاق وانتبذوا بالقفار ورياستهم لذلك العهد لصغير بن عامر واخوته وعقد السلطان على حربهم لونزمار بن عريف وكان سيد البدو يومئذ فجمع لهم وشمر لطلبهم وأبعدوا أمامه في المذاهب وأوقع بهم مرارا ولحق بهم هذا الجازر وانتسب لهم الى السلطان أبي الحسن وأنه أبو عبد الرحمن ابنه النازع

عنه فشبه لهم وبايعوه وأجلبوا به على نواحي المرية وبرز اليهم قائدها مجاهد بن
من صنائع الدولة ففضوا جمعه وانهزم أمامهم ثم جمع لهم وترمار وفروا عن
تلك النواحي وافترق جمعهم ونبذوا لذلك الجازر عهده فلحق ببني يرناتن من زواوة ونزل
على سيدتهم شمسي فقامت بأمره وحل بنو هامن بني عبد الصمد قومهم على طاعته
وشاع في الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب حتى تبينت ووقفوا على كذبه في انتسابه
فنبذوا عهده ولحق بالزواودة أمراء رياح ونزل على سيدهم يعقوب بن علي وانتسب
له في مثل ذلك فأجاره ان صدق نسبه وأوعز السلطان الى السلطان أبي يحيى صاحب
افريقية في شأنه فبعث الى يعقوب وأشخصه الى السلطان مع ذويه فلحق به بمكانه من
سبتة فامتحنه السلطان وقطعه من خلاف وانحسم داؤه وبقي بالمغرب تحت جراية من
الدولة الى أن هلك سنة ثمان وثمانين والله تعالى أعلم

لما فرغ السلطان من أمر عدوه وما تبع من ذلك الاحوال صرف اعتزامه الى الجهاد
لما كان كلفا به وكان الطاغية منذ شغل بني مرين عن الجهاد منذ عهد يعقوب بن عبد
الحق قد اعتزوا على المسلمين بالعدوة ونازلوا معاقلهم وتغلبوا على الكثير منها وارتجعوا
الجبل ونازلوا السلطان أبا الوليد في عقر داره بغرناطة ووضعوا عليه الجزية فتقبلها
وأسفوا الى التهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت
على الايدي يده وانفسح نطاق ملكه دعته نفسه الى الجهاد وأوعز الى ابنه الامير أبي
مالك أمير الثغور من عمله بالعدوة سنة أربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه
العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء فشخص غازيا في الخيل وتوغل في بلاد الطاغية
واكتسحها وخرج بالسبي والغنائم الى أدنى صدره من أرضهم وأناخ بها واتصل به الخبر
بأن النصارى جمعوا له وأغذوا السير في اتباعه واشار عليه الملأ بالخروج من أرضهم
واجازة الوادي الذي كان تخما بين أرض الاسلام ودار الحرب وأن يصير الى مدن
المسلمين فيمتنع بها فلج في ابايته وصمم على التعريس وكان قرما ثبتا الا أنه غير بصير بالحروب
لمكان سنه فصبحهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم في
أبياتهم وأدرك الامير أبو مالك بالارض قبل أن يستوي على فرسه فجدلوه واستلحموا
الكثير من قومه واحتووا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا
على أعقابهم واتصل الخبر بالسلطان فتفجع لهلاك ابنه واسترحم له واحتسب عند الله
أجره وفي سبيله قتله وشرع في اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل

لما بلغ الخبر الى السلطان باستشهاد ابنه أخرج وزراءه الى السواحل لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء واعترض الجنود وأزاح عللهم واستنفر أهل المغرب وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد وتسامعت أمم النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق لمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مراسي العدوة وبعث الى الموحدين بتجهيز أسطولهم اليه فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم ووافى سبتة فى ستة عشر من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغرب بمرسى سبتة تناهز المائة وعقد السلطان عليها لمحمد بن علي العزفي الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد اكتمل عديدهم وعدتهم فاستلأموا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى أسطول النصارى وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يمض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفادا الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشدت الشعراء بين يديه وكان يوما من أعز الايام والمنة لله

* (الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين) *

لما ظفر المسلمون باسطول النصارى وخضدوا شوكتهم عن ممانعة الجواز شرع السلطان فى اجازة العساكر الغزاة من المطوعة والمرتزقة وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدوة الى العدة ولما استكمل اجازة العساكر أجازهو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين ونزل بساحة طريف وأناخ بعساكره عليها واضطرب معسكره بفنائها وبدأ بمنازلتها ووافاه سلطان الاندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بعسكر الاندلس من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو فعسكر وأحذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بهم أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية اسطولا آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر وطال ثواؤهم بمكانهم من حصار البلد ففنيت أزودتهم وافتقدوا العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوال المعسكر واحتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه فى قومه وزحف اليهم لستة أشهر من نزولهم ولما قرب [illegible] سرب الى طريف جيشا من النصارى أكمنهم بها فدخلوه ليلا على حين غفلة [illegible] الذى أرصدله

وأجمعوا بهم آخر ليلتهم فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان بأنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته وزحف الطاغية من الغد في جموعه وعبى السلطان مواكب المسلمين صفوفا وتزاحفوا ولما نشب الحرب برز الجيش الكمين من البلد وخالفوهم الى المعسكر وعمدوا الى فسطاط السلطان ودافعهم عنه الناشبة الذين أعدوا لحراسته فاستلموهم ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه أبي يحيى ابن يعقوب وفاطمة بنت مولانا السلطان أبي يحيى ملك افريقية وغيرهما من حظاياه فقتلوهن واستلبوهن وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر نارا وأحس المسلمون بما وراءهم في معسكرهم فاختل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان ابن السلطان سمم في طائفة من قومه وذويه حتى خالطهم في صفوفهم فأحاطوا به وتقبضوا عليه وولى السلطان متحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية الى فسطاط السلطان من المحلة وأنكر قتل النساء والولدان ووقف منه لمنتهى أثره وانكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة وخلص السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب السفين الى سبتة في ليله ومحص الله المسلمين وأجزل ثوابهم

لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع في التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بني سعيد ثغر غرناطة وعلى مرحلة منها وجمع الآلات والايدي على حصارها واشتد مخنقها وأصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة ثنتين وأربعين وأدال الله الطيب منها بالخبيث وانصرف الى بلده وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعودة الى الجهاد لرجع الكرة وبعث في الامصار للاستنفار وأخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكتمل له منها عدد ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدوة مع وزيره عسكر بن تاحضريت وبعث على الجزيرة محمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مددا من العسكر مع موسى بن ابراهيم اليرنياني من المرشحين للوزارة نيابة وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراه الى بحر الزقاق لمدافعته وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم سماء اد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوه دون المسلمين وأقبل الطاغية من اشبيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضة الجهاز وأمل أن ينظمها في ملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الايدي عليها وطاولها الحصار واتخذ

أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاولة وجاء السلطان أبو الحجاج بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة ليسرب عليها المدد من الفرسان والمال والزرع حتى الفعلة من أساطيلهم وتحت جناح الليل فلم يغنهم ذلك واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد وأجاز اليه السلطان أبو الحجاج يفاوضه في شأن السلم مع الطاغية بعد اذن الطاغية له في الاجازة مكرا به وترصد له بعض الاساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضاق أحوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الامان على أن ينزلوا عن البلد فبذله وخرجوا ووفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل وأقامهم من المبرة والكرامة ما أعاضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم وأجازهم بما تحدث به الناس وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة على تقصيره في المدافعة مع تمكنه منها من العساكر وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده في رجوع الكرة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون

كان عثمان بن أبي العلاء من أعياص آل عبد الحق شيخ الغزاة المجاهدين من زناتة والبربر بالاندلس وكان له فيها مقام معلوم في حماية الثغور ومدافعة العدو وغزو دار الحرب ومساهمة صاحب الاندلس الجهاد كما نستوفي أخباره وكان السلطان أبو سعيد لما استصرخ بأهل الاندلس اعتذر بمكانه بينهم واشترط عليهم أن يمكنوه من قياده حتى يقضي نوبة الجهاد فلم يسعفوه بذلك ولما هلك عثمان بن أبي العلاء قام بالامر من بعده في مراسم الجهاد بنوه وكانوا يرجعون في رياستهم الى كبيرهم أبي ثابت عامر وقويت عصابتهم بالموالي والابناء وغلبت على يد السلطان واستبدوا عليه في أكثر الاحوال واستنكف لها وكان ذلك مما دعاه الى القدوم على السلطان أبي الحسن وارتاب بنو أبي العلاء في اجازته اليه واتهموه على أنفسهم وأسعدهم الى منازلة جبل الفتح على كره فلما تغلب المسلمون عليه وقضى ابن الاحمر من مدافعة الطاغية منه بلرغبة ما قضى كما ذكرناه واعتزم على القفول الى حضرته أجمعوا الفتك به في طريقه وداخلوا في ذلك مولاه ابن المعلوجي لما أسفهم به من ارهاف حده والتضييق عليهم في جاههم فتربوا وأوطؤا على البث حتى اذا وجدوا من أبي العلاء صاغية الى ذلك دعوا الى اجابتها وندبهم محمد ابن الاحمر فبعث عن السفن تعرضه في طريقه وساحل اليهم وتسابقوا الشأنهم قبل فوته فأدركوه دون حصن اصطبونة وعتبوه فاستعتب واغلظوا له في القول وقتلوا

مولاه عاصما صاحب ديوان العطاء تجنيا عليه ونكر ذلك السلطان فتناولوه بالرماح قعصا وطعنا حتى أقعصوه وو جعوا الى المعسكر فاستدعوا من كان داخلهم من الموالى وجاؤا بأخيه أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد فبايعوا له وأصفقوا على تقديمه وسرح لحينه قائده ابن عزون فاستولى له على دار الملك وتم أمره وحجبه رضوان مولى أبيهم واستبد عليه وسكن بين جنبيه من بنى أبى العلاء وقتلهم لأخيه داء دخيل حتى اذا سما السلطان أبو الحسن الى الجهاد وأجاز المدد الى ثغور عمله بالاندلس وعقد لابنه الامير أبى مالك أسر اليهم فى شأن بنى أبى العلاء بما كان أبوه السلطان أبو سعيد اشترط عليهم فى مثلها ووافق منه داعية لذلك فتقبض عليهم أبو الحجاج وأودعهم المطبق أجمع ثم أشخصهم فى السفين الى مراسى افريقية فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبى يحيى وبعث فيهم السلطان أبو الحسن اليه فاعتقلهم ثم أوعز اليه مع عريف الوزعة ببابه ميمون ابن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف عنها وأبى من اخفار ذمتهم ووسوس اليه وزيره أبو محمد بن تافراكين بأن مقصد السلطان فيهم غير ما ظنوا به من الشر ورغب بعثهم اليه والمبالغة فى الشفاعة فيهم علما بأن شفاعته لا ترد فأجابه لذلك وجنبوهم اليه مع بكرون واتبعهم أبو محمد بن تافراكين بكتاب الشفاعة فيهم من السلطان وقدموا على السلطان أبى الحسن مرجعه من الجهاد سنة ثنتين وأربعين فتلقاهم بالبر والترحيب اكراما لشفيعهم وأنزلهم بعسكره وجنب لهم المقربات بالمراكب الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملته ولما احتل بسبتة لمشارفة أحوال الجزيرة سعى عنده فيهم بأن كثيرا من المفسدين يداخلونهم فى الخروج والتوثب على الملك فتقبض عليهم وأودعهم فى السجن بمكناسة الى أن كان من خبرهم مع ابنه أبى عنان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن هدية السلطان الى المشرق وبعثه نسخ المصحف من خطه الى الحرمين والقدس

كان للسلطان أبى الحسن مذهب فى ولاية ملوك المشرق والكلف بالمعاهد الشريفة تقبله من سلفه وضاعفه لديه متين ديانته ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى وتغلب على المغرب الاوسط وصار أهل النواحى تحت ربقة منه واستطال بجناح سلطانه خاطب لحينه صاحب مصر والشأم محمد بن قلاوون الملك الناصر وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن الحاج فى سابلتهم وكان فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين السلف وأجمع السلطان على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف قربة الى الله تعالى وابتغاء

للمثوبة فانتسخها وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها والقراء لضبطها وتهذيبها حتى اكتمل شأنها وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الابنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ونظم بالجوهر والياقوت واتخذ له اصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب من فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها وأوفد على الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير زغبة والسابق المقدم في بساطه على كل خاصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير الخولة وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد ابن أبي مدين وعريف الوزعة ببابه وصاحب دولته عبو بن قاسم المزوار واحتفل في الهدية للمزوار للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرا ووقفت على برنامج الهدية بخط أبي الفضل بن أبي مدين هذا الرسول ووعيته وأنسيته وذكر لي بعض قهارمة الدار أنه كان فيها خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى وموشى وخمسمائة حمل من متاع المغرب وماعونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وازرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة بالدباغ المعارف وتنسب الى اللمط ومن خرثي المغرب وماعونه وما يستظرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت واعترمت حظية من حظايا أبيه على الحج في ركابه ذلك فأذن لها واستبلغ في تكريمها واستوصى بها وافده وسلطان مصر في كتابه وفصلوا من تلمسان سنة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وهديتهم فتقبلها وحسن لديه موقعها وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث به الناس دهرا وأقام لهم في طريقهم أنواع البر والتكرمة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبهم وأسنى هدية السلطان من فساطيطهم الغريبة الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ في تكريمهم وصلتهم وبقي حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد ثم انتسخ السلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وولي الامر من بعده ابنه أبو الفداء اسمعيل فخاطبه السلطان وأتحفه وعزاه

عن أبيه وأوفد عليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين فقضى من وفادته ما حمل وكان شأنه عجبا في اظهار ابهة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم ثم شرع بعد استيلائه على افريقية كما نذكره في كتاب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن هدية السلطان الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب)

كان للسلطان أبي الحسن مذهب في الفخر يتطاول به الى مناغات الملوك الاعاظم واقتفاء سننهم في مهاداة الاقتال والامصار وانفاد الرسل على ملوك النواحي القاصية والتخوم البعيدة وكان ملك مالى أعظم ملوك السودان لعهده ومجاور الملكه بالمغرب على مائة مرحلة في القفر من ثغور ممالكه القبلية ولما غلب بني عبد الواد على تلمسان وابتزهم ملكهم واستولى على ممالك المغرب الاوسط وتحدث الناس بشأن أبي تاشفين وحصاره ومقتله وما كان للسلطان في ذلك من سورة التغلب وآية العز وشاعت أخبار ذلك في الآفاق وسما سلطان مالى منسا موسى المتقدم ذكره في أخبارهم الى مخاطبته فأوفد عليه فرافقين من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة فوفدوا على السلطان في التهنئة بالغلب والظفر فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم ونزع الى طريقته في الفخر فأتحف طرفا من متاع المغرب وماعونه من ذخيرة داره واسناها وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصي وأوفدهم بها على ملك مالى منسا سليمان بهلك أبيه قبل مرجع وفده وأوعز الى اعراب الفلاة من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجائين فشمر لذلك علي بن غانم أميرا ولاد جار الله من المعقل وصحبهم في طريقهم امتثالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركاب في القفر الى بلد مالى بعد الجهد وطول الشقة فأحسن مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم وعادوا الى مرسلهم في وفد من كبار مالى يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتماله في مرضاته ما استوصاهم به فأدوا رسالتهم وبلغ السلطان أربا من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه وقضاء حق الشكر لله في صنعه

(الخبر عن اصهار السلطان الى صاحب تونس)

لما هلكت ابنة السلطان أبي يحيى بطريف فيمن هلك من حظايا السلطان أبي الحسن نساطة بقي في نفسه منها شيء حنينا الى ما شغفته به من خلالها وعزة سلطانها وقيامها

على بنتها وظفرها فى تصريفها والاستمتاع بأصول الترف ولذاذة العيش فى عشيرتها فسما أمله الى الاعتياض عنها ببعض أخواتها وأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير زغبة وكاتب الجباية والعساكر بدولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبى مدين وفقيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الخصى فوفدوا يوم من سنة ست وأربعين وأنزلوا منزل البر واستبلغ فى تكريمهم ودس الحاجب أبو عبد الله ابن تافراكين الى سلطانه غرض وفادتهم فأبى من ذلك صونا لحرمه عن جولة الاقطار وتحكم الرجال واستعظاما لمثل هذا العرس ولم يزل حاجبه ابن تافراكين يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع الاذمة السابقة بينهما من الصهر والمخالصة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك اليه فانعقد الصهر بينهما وأخذ الحاجب فى شوار العروس وتأنق فيه واحتفل واستكثر ونال ثواء الرسل الى أن استكمل وارتحلوا من تونس لربيع من سنة تسع وأوعز مولانا السلطان أبو يحيى الى ابنه الفضل صاحب بونة وشقيق هذا العروس أن يزفها على السلطان أبى الحسن قياما بحقه وبعث من بابه مشيخة من الموحدين مقدمهم عبد الواحد بن محمد ابن أكماز يصحبوا ركابها اليه ووفدوا جميعا على السلطان واتصل الخبر أثناء طريقهم بمهلك مولانا السلطان أبى يحيى عفا الله عنه فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ فى تكريمهم وأجل موعد أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فأطمأنت به الدار الى أن سار فى جملة السلطان وتحت ألويته الى افريقية كما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان الى افريقية واستيلائه عليها)

كان السلطان أبو الحسن قد امتدت عينه الى ملك افريقية لولا مكان السلطان أبى يحيى من ولايته وصهره وأقام يتحين لها الاوقات ولما بعث اليه فى الصهر وأشيع بتلمسان أن الموحدين ردوا خطبته نهض من المنصورة بتلمسان وأغذ السير الى فاس ففتح ديوان العطاء وأزاح علل العسكر وعقد على المغرب الاقصى لحافده منصور بن الامير أبى مالك وفوض الى الحسن بن سليمان بن يرزيكن فى أحكام الشرطة وعقد له على الضاحية وارتحل الى تلمسان مضمرا الحركة الى افريقية حتى اذا جاء الخبر اليقين بالاسعاف والزفاف سكن عزمه وهدأ طائره فلما هلك السلطان أبو يحيى فى رجب من سنة سبع وأربعين وكان من قيام ابنه عمر بالامر ونزوع الحاجب أبى محمد بن تافراكين فى رمضان منها ما ذكرناه تحركت عزائم السلطان لذلك ورغبه ابن تافراكين فى ملك الموحدين فرغب وجاء على أثره الخبر بما كان من قبل عمر لاخيه أحمد ولى العهد

وكان يستظهر على عهده بكتاب أبيه وما أودعه السلطان بحاشيته من الوفاق على ذلك بخطه واقتضاه منه حاجبه أبو القاسم بن عتو فى سفارته اليه فامتعض السلطان لما أضاع عمر من عهد أبيه وهدر من دم أخيه وارتكب مذاهب العقوق فيهم وخرق السياج الذى فرضه بخطه عليهم فأجمع الحركة الى افريقية ولحق به خالد بن حمزة بن عمر نازعا اليه ومستعدا لمسيره ففتح ديوان العطاء ونادى فى الناس بالمسير الى افريقية وأزاح عللهم وكان صاحب بجاية المولى أبو عبد الله حافد مولانا الامير أبى يحيى وفد على السلطان أبى الحسن اثر مهلك جده بقرب المآب بسفارة أبيه اليه ويطلب الاقرار على عمله فلما استيأس منه واستيقن حركته بنفسه الى افريقية طلب الرجوع الى مكانه فأسعف وفصل الى بجاية ولما قضى السلطان منسك الاضحى من سنة تسع وأربعين عقد لابنه الامير أبى عنان على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر فى أموره كافة وجعل اليه جبايته وارتحل يريد افريقية وسار فى جملته هو وخالد بن حمزة أمير البدو ولما احتل بوهران ووافاه هنالك وفد قسنطينة وبلاد الجريد يقدمهم أحمد بن مكى أمير حربه ورديف أخيه عبد الملك فى امارته ويحيى بن محمد بن يملول أمير توزر سقط اليها بعد خروج الامير أبى عمر العباس ولى العهد عنها ومهلكه بتونس وأحمد بن عامر بن العابد رئيس نفطة رجعا اليهما كذلك بعد مهلك ولى العهد فلقيه هؤلاء الرؤساء بوهران فى ملامن وجوه بلادهم فآتوه بيعتهم وقضوا حق طاعته محمد ابن ثابت أمير طرابلس عن اللحاق به فبعث بيعته معهم فأكرم وفدهم وعقد لهم على أمصارهم وصرفهم الى أعمالهم وتمسك بأحمد بن مكى لصحابة ركابه وفى جملته وأغذ السير ولما احتل بنى حسن من أعمال بجاية وافاه بها منصور بن فضل بن مزنى أمير بسكرة وبلاد الزاب فى وفد من أهل وطنه ويعقوب بن على بن أحمد سيد الزواودة وأمير البدو بضاحية بجاية وقسنطينة فتلقاهم بالمبرة والاحتفاء وألزمهم ساقته وسرح بين يديه قائده حمو بن يحيى العسكرى من صنائع أبيه فلما عسكر بساحة بجاية أبى أبو عبد الله وأبى عليه أهل البلد رهبة من السلطان ورغبة فيه وانفضوا من حوله ولحقت مشيختهم من القضاة وأهل الفتيا والشورى بمجلس السلطان وسابقهم اليه حاجبه فارح بن سيد الناس فأدى طاعته ورجعه اليه للخروج للقاء ركابه وارتحل حتى اذا أطلت راياته على البلد بادر المولى أبو عبد الله ولقيه بساحة البلد واعتذر عن تخلفه فتقبل عذره وأحله من البر والتكرمة محل الولد العزيز وأقطعه عمل كومية من نواحى تلمسان وأسنى جرايته بتلمسان وأصحبه الى ابنه أبى عنان صاحب المغرب الاوسط واستوصاه به ودخل بجاية فرفع عنهم الظلامات وحط عنهم الربع من المغارم ونظر فى أحوال ثغورها

فثقفها وسد ثغورها وعقد عليها لمحمد بن النوار من طبقة الوزراء والمرشحين لها وأنزل
معه حامية من بني مرين وكاتب الخراج ببابه بركات بن حسون بن البواق وارتحل
بعد السير حتى احتل بقسنطينة وتلقاه أميرها أبو زيد حافد مولانا السلطان أبي يحيى
وأخواه أبو العباس أحمد وأبو يحيى زكريا وسائر اخوتهم فأتوه ببيعتهم ونزلوا له عن
عملهم وأدالهم السلطان منه بندرومة من عمل تلمسان عقد للمولى أبي زيد على امارتها
وجعل له اسوة اخوته في اقطاع جبايتها ودخل البلد وعقد عليها لمحمد بن العباس
وانزل معه العباس بن عمر في قومه من بني عسكر وأمضى اقطاعات الزواودة ووافاه
هنالك عمر بن حمزة سيد الكعوب لعهده وأمير البدو مستحثا ركابه وأخبره برحيل
السلطان عمر ابن مولانا السلطان أبي يحيى من تونس فيمن اجتمع اليه من أولاد مهلهل
اقتالهم من الكعوب موجها الى ناحية قابس وأشار على السلطان بتسريح
العساكر لاعتراضه قبل أن يخلص الى طرابلس فسرح معه حمو بن يحيى العسكري
قائده في عسكر من بني مرين والجند وارتحلوا في اتباع السلطان أبي حفص وتلوم
السلطان أبو الحسن بقسنطينة واعترض عساكره بسطح الجعاب منها وصرف يوسف
ابن مزني الى عمله بالزاب بعد أن خلع عليه وحمله ثم عقد للمولى الفضل ابن مولانا
السلطان أبي يحيى على مكان عمله ببونة وملا حقائبه جائزة وخلعا نفيسة وسرحه
ثم ارتحل على أثرهم وأوعز حمو بن يحيى مع الناجعة من أولاد أبي الليل ولحقوا بالامير
أبي حفص   لمباركة من ناحية قابس فأوقعوا به وتردى عن فرسه في حومة
القتال هو ومولاه ظافر السنان القائم بدولته من المعلوجي فتقبض عليهما وسيقا
الى أبي حمو فاعتقلهما الى الليل ثم ذبحهما وأنفذ برؤسهما الى السلطان ولحق الفل
بقابس فتقبض عبد الملك بن مكي على أبي القاسم بن عتو صاحب الامير أبي حفص
وشيخ الموحدين وعلى صخر بن موسى شيخ بني سكين من سدويكش فيمن تقبض عليه من
ذلك الفل وأشخصهم مقرنين في الاصفاد الى السلطان وسرح السلطان عساكره الى
تونس وعقد عليهم ليحيى بن سليمان صهره من بني عسكر على ابنته وأنفذ معه أحمد بن مكي
فاحتلوا بتونس واستولوا عليها وانطلق ابن مكي الى مكان عمله من هنالك لما عقد له
السلطان عليه وسرحه اليه بعد أن خلع عليه وعلى حاشيته وحملهم ونزل السلطان
بناحية   فوافاه هنالك البريد برأس الامير أبي حفص وعظم الفتح ثم ارتحل
الى تونس واحتل بها يوم الاربعاء الثامن لجمادى الآخرة من سنة ثمان وتلقاه وفد
تونس وملؤها من شيوخ الشورى وأرباب الفتيا فاتوا طاعتهم وانقلبوا مسرورين
لكتهم ثم عبى يوم السبت الى دخولها مواكبه وصف جنوده سماطين من معسكره

بسيجوم الى باب البلد مما هو ثلاثة أميال أو أربعة وركب بنو مرين الى مراكزهم في جموعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطه وراكبه من على يمينه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة ويليه أبو محمد عبد الله بن تافراكين ومن على يساره الامير أبو عبد الله محمد أخو مولانا السلطان أبي يحيى ويليه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد وكانا معتقلين بقسنطينة مع ولدهما منذ خروج أخيه الامير ابى فارس فأطلقهم السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طرازا في ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بني مرين وكبرائهم وهدرت طبوله وخفقت راياته وكانت يومئذ مائة وجاء والمواكب تجتمع عليه صفا صفا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ودخل السلطان الى القصر وخلع على أبي محمد ابن تافراكين كسوته وقرب اليه فرسه بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا ودخل السلطان مع أبي محمد بن تافراكين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منه الى الرياض المتصلة به المدعوة برأس الطابية فطاف على بساتينه

وأفضى منه الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها ووصل اليه فل الامير أبي حفص والاسرى بقابس مقرنين في أصفادهم فأودعهم السجن بعد ان قطع أبا القاسم بن عتو وصخر بن موسى من خلاف افتيا الفقهاء بحرابتهم وارتحل من الغد الى القيروان فجال في نواحيها ووقف على آثار الاولين ومصانع الاقدمين والطلول الماثلة لصنهاجة والعبيديين وزار اجداث العلماء والصالحين ثم سار الى المهدية ووقف على ساحل البحر ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبل أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر بأحوالهم ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط المنستير وانكفأ راجعا الى تونس واحتل بها غرة رمضان وأنزل المسالح على ثغور افريقية وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات الموحدين للعرب واستعمل على الجهات وسكن القصر وقد عظم الفتح وعظمت في الاستيلاء على الممالك والدول المنة واتصلت ممالكه ما بين مسراتة والسوس الاقصى من هذه العدوة والى رندة من عدوة الاندلس والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * ودفع اليه الشعراء بتونس يهنئونه بالفتح وكان سابقهم في تلك النوبة أبو القاسم الرحوي من ناشئة أهل الادب فرفع اليه قوله

أجابك شرق اذ دعوت ومغرب * فمكة هشت للقاء ويثرب
وناداك مصر والعراق وشامه * بدارا فصدع الدين عندك يشعب
وحيتك أو كادت تحيي منابر * عليها دعاة الحق باسمك تخطب

فسارع منا كل داع وسامع * الى طاعة من طاعة الله تحسب
وتاقت لك الارواح حبا ورغبة * وأنت على الآمال تنأى وتقرب
ففي البلدة البيضاء لبابك معشر * وأنت بأفق الناصرية ترقب
ووافتك من ذات النخيل وفودها * فلقاهم أهل لديك ومرحب
ولم تتلكأ عن اباء بجاية * ولكن تراض الصعب ثم تركب
تأبت فلما أن أطلت عساكر * ترى الشهب منها تستباح وتنهب
تبادر منهم مذعن ومسلم * وأذعن منهم شاغب ومؤلب
وما تونس الا بمصر مروع * وفي حرم أمست لديك تسرب
وما أهلها الا بغاث لصائد * وبالعزم منها استنسروا وتعقبوا
وقد كنت قبل اليوم كهف زعيمهم * فها أنت كهف للجميع ومهرب
فكان يرى أن الزمان أداله * بكم فأجاب العيش والعيش مخصب
كذلك ابن طائع وان اعتلت * به السن أحوالا وأنت له أب
وما ذالك الآن عدلك ينتمي * الى الخلفاء الراشدين وينسب
تساميت في ملك ونسك بخطه * حذائك محراب لديها ومركب
اذا الذ للاملاك خمر مدامة * فلذلك القرآن يتلى ويكتب
وان أد من القوم الصبوح فانما * على ركعات بالضحى أنت تدأب
وان حمدوا الشرب الغبوق فانما * شرابك بالامساء ذكر مرتب
وان خشنت أخلاقهم وتجبروا * فما أنت فظ بل ولا متعجب
لقد كرمت منك السجايا فأصبحت * اذا ما أمر الدهر تحلو وتعذب
كما شيدت بيتا ذؤابة معشر * يزيدهم قحطان فخرا ويعرب
هم التاركو قلب القساور خضعا * وعن شأوهم كفت عبيد وأغلب
هم الناس والاملاك تحت جوارهم * هم العظم والارض العظيمة مغرب
هم المالكو الملك العظيم فبيتهم * على كاهل السبع الشداد مطنب
لقد أصبحت بغداد تحسد باسهم * وحلة ودت أن تكون مناسب
تجلت ببيت المجد منهم كواكب * لقد حل منها شارق ومغرب
فلله منهم ثلة بغريبة * يروم بناها الاعجمي فيعرب
لقد قام عبد الحق للحق طالبا * ففاته منه الذي قام يطلب
وأعقب يعقوب بأيوم سبيله * فلم يخطه وهو السبيل الأنجب
وخلف عثمانا فلله صارم * به بان للاسلام شرع ومذهب

فكم في سبيل الله شنّ اغارة * لماشاد أهل الكفر أمست تخرّب
ولما أراد الله اتمام منه * تقلدها منا مطيع ومذنب
أبى لك للدين الحنيفيّ آية * تعزى بها عن لامع الحق غيهب
فجئت بما يرضى به الله سالكا * سبيلا الى رضوانه بك يذهب
وقمت بأمر الله حق قيامه * يناضل عنه منك نصل مدرّب
وأصبح أهل الله أهلا وشيعة * لكم ولهم منكم مكان ومنصب
وحل بأهل الفتك ما حل عزمهم * وقام لديهم واعظ مترقب
وجاهدت في الرحمن حق جهاده * فراهب أهل الكفر بأسك يرهب
وأنقذت من أيدي الاغارة أمة * وأولى جهاد كان بل هو أوجب
فأصبحت الدنيا ودنا يزفها * لامرك من جاري المقادير مغرب
فلا مصر الا قد تمنّاك أهله * ولا أرض الا باذكارك تخصب
وما الارض الا منزل أنت ربه * وما حلها الا الودود المرحب
تملكت شطر الارض كسبا وشطرها * وراثا فطاب الكل ارثا وكسب
بجيش على الالواح والماء يمتطي * وجيش على الضمر السوابق يركب
وجيش من الاحسان والعدل والتقى * وذلك لعمر الله أغلى وأغلب
فلا مركب الا بن راكبا * ولا راكب الا به ازدان مركب
ولا رمح الا وهو أهيف خاطر * ولا سيف الا وهو أبيض قاضب
فكم كاتب خطيه ودواته * ولم يقر خطا يغتدى وهو يكتب
يعز على الابطال وهو كانه * هزبر وابطال الفوارس ربرب
وكم كاتب لا ينكر الطعن رمحه * خبير بأيام الا عارب معرب
له من عجيب السحر بالقول أضرب * وفي هامة القوم المضارب مضرب
فها هو في الاقوال واش محبر * وها هو في الامثال ثاو مجرب
ومن ساحب بردا من العلم والتقى * عليه ذيول الداودية تسحب
له صبغة في العلم جاءت بأصبغ * وشهبان فهم لم يشمهن أشهب
فيا عسكر قد ضم أعلام عالم * به طاب في الدنيا لنا متقلب
هم الفئة العلياء والمعشر الذى * اذا حل شعبا فهو للحق مشعب
لك الفضل في الدنيا على كل قاطن * ومرتحل أنى يجيء ويذهب
ويا مالكا عدلا رضا متورعا * مناقبه العلياء تتلى وتكتب
شرعت من الاحسان فينا شريعة * تساوى بها نا ء ومن يتقرب

وأحييت أهل النسك اذ كنت منهم * فنسك أخو التقوى قريب مقرب
وأعليت قدر العلم اذ كنت عالما * ففيه وفي طلابه لك مأرب
فمدحك محتوم على كل قائل * ومن ذا الذي يحصي الرمال ويحسب
فلله كم تعطي وتعلي وتجتبي * فللبحر من كفيك قد صح منسب
فلا برحت كفاك في الارض مزنة * يطيب بها للخلق مرعى ومشرب
ولا زلت في علياء مجدك راقيا * وشانئك المدحوض يبكي وينكب
توافي على أقصى أمانيك آمنا * فلا رب يستعصي ولا يتعصب

الخبر عن واقعة العرب مع السلطان أبي الحسن بالقيروان وما تخللها من الاحداث

كان هؤلاء الكعوب من بني سليم رؤساء البدو بافريقية وكان لهم اعتزاز على الدولة لا يعرفون غيره مذ أولها بل وما قبلها اذ كان سليم هؤلاء منذ تغلب العرب من مضر على الدول والممالك أول الاسلام انتبذوا الى الضواحي والقفار وأعطوا من صدقاتهم عن عزة وارتاب الخلفاء بهم لذلك حتى لقد أوصى المنصور ابنه المهدي أن لا يستعين بأحد منهم كما ذكر الطبري فلما اشتالت الدولة العباسية واستبد الموالي من العجم عليهم اعتز بنو سليم هؤلاء بالقفر من أرض نجد وأجلبوا على الحاج بالحرمين ونالتهم منهم معرات ولما انقسم ملك الاسلام بين العباسية والشيعة واختطوا القاهرة نفقت لهم أسواق الفتنة والتعزز وساموا الدولتين بالهضيمة وقطع السابلة ثم أغراهم العبيديون بالمغرب وأجازوا الى برقة على اثر الهلاليين فخربوا عمرانها وأجروا في خلائها حتى اذا خرج ابن غانية على الموحدين وانتزى بالثغور الشرقية طرابلس وقابس واجتمع معه قراقش الغزي مولى بني أيوب ملوك مصر والشام وانضاف اليهم أفاريق العرب من بني سليم هؤلاء وغيرهم أجلبوا معه على الضواحي والامصار وصاروا في جملتهم من ناعق فتنتهم ولما هلك قراقش وابن غانية واستبد آل أبي حفص بافريقية وأعز الزواودة على الامير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص استظهر عليهم ببني سليم هؤلاء وزاحمهم بظواعنهم وأقطعهم بافريقية ونقلهم عن مجالاتهم بأطرابلس وأنزلهم بالقيروان فكان لهم من الدولة مكان وعليها اعتزاز ولما افترق سلطان بني أبي حفص واستبد الكعوب برياسة البدو وضربوا بين أعياصها وسعوا في شقاقها وأصابت منهم وأصابوا منها وكان بين مولانا الامير أبي يحيى وبين حمزة بن عمر أخي الامير منازعة وفتن وحروب سجال اعانه عليها ما كان من رغب بني عبد الواد الى افريقية وطمعهم في تملك ثغورها فكان يستجيش جيوشهم لذلك وينصب الاعياص من بني أبي

حفص يزاحمهم ثم غلبه مولانا السلطان أبو بكر آخرا واستجره الى الطاعة ما كان
من قطع كلمة الزبون عن مولانا السلطان أبي يحيى وهلاك عدوه من آل يغمراسن
بسيف وليه وظهيره السلطان أبي الحسن فأذعن وسكن غرب اعتزازه وحمل بني سليم
على اعطاء صدقاتهم فأعطوها باكراهه ثم هلك باغتيال الدولة له فيما يزعمون وقام
بالامر بنوه ولم يعرفوا عواقب الامور ولا أبلوا باعتساف الدولة ولم يمهدوا ولا سمعوا
لسلفهم غير الاعتزاز فحدثتهم أنفسهم بالفتنة والاعتزاز على قائد الدولة وحاربوه
فغلبوه وأجلبوا على السلطان في ملكه ونازلوه بمقر داره سنة ثنتين وأربعين ولما
شامهم الامير ابن مولانا السلطان أبي يحيى الهضيمة بعد مهلك أبيه نزعوا الى أخيه
ولي العهد فجاء الى تونس وملكها ثم اقتحم عليه أخوه الامير أبو حفص فقتله
وتقبض يوم اقتحامه البلد على أبي الهول بن حمزة أخيهم فقتله صبرا بباب داره بالقصبة
فأسفهم بها ونزعوا الى السلطان أبي الحسن ورغبوه في ملك افريقية واستقدوه
اليها ولما تغلب السلطان على الوطن وكانت حاله في الاعتزاز على من في طاعته غير حال
الموحدين وملكته للبدو وغيره لكنهم وحين رأى اعتزازهم على الدولة وكثرة ما أقطعتهم
من الضواحي والامصار نكره وأدالهم من الامصار التي أقطعهم الموحدون بأعطيات
فرضالهم في الديوان واستكثر جباياتهم فنقصهم الكثير منها وشكا اليه الرعية من
البدو وما ينالونهم به من الظلامات والجور بفرض الاتاوة التي يسمونها الخفارة فقبض
أيديهم عنها وأوعز الى الرعايا بمنعهم منها فارتابوا لذلك وفسدت نياتهم وثقلت وطأة
الدولة عليهم فترصدوا لها وتسامع ذؤبانهم وبواديهم بذلك فأغاروا على قياطين بني
مرين ومسالحهم بثغور افريقية وفروجها واستاقوا أموالهم وكثر شاكيهم وأظلم
الجو ملهم بينهم وبين السلطان والدولة ووفد عليه بتونس بعد مرجعه من المهدية وفد
من مشيختهم كان فيهم خالد بن حمزة مستصحبة الى افريقية وأخوه أحمد وخليفة بن عبد
الله بن مسكين وابن عمه خليفة بن بوزيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان وأكرمهم
ثم رفع اليه الامير عبد الرحمن ابن السلطان أبي يحيى زكريا بن اللحياني كان في جملته وكان
من خبره انه رجع من المشرق بعد مهلك أبيه بمصر كما قدمناه سنة ثنتين وثلاثين فدعا
لنفسه بجهات طرابلس وتابعه اعراب ذباب وبايع له عبد الملك بن مكي صاحب قابس
ونهض معه الى تونس في غيبة السلطان لتخريب تامزيزدكت كما ذكرناه فملكها أياما
وأحس بمرجع السلطان فأجفل عنها ولحق عبد الواحد بن اللحياني الى تلمسان الى
أن دلف اليها السلطان أبو الحسن بعساكره ففارقهم وخرج اليه فأحله محل
التكرمة والمبرة واستقر في جملته الى أن ملك تونس ورفع اليه عن مقدم هذا الوفد

انهم دسوا اليه مع بعض حشمه وطلبوه فى الخروج معهم لينصبوه للامر بافريقية وتبرأ الى السلطان من ذلك فأحضروا بالقصر ووبخهم الحاجب علال بن محمد بن المصمودى وأمر بهم فسحبوا الى السجن وفتح السلطان ديوان العطاء وعسكر بسيجوم من ساحة البلد بعد قضائه منسك الفطر من سنته وبعث فى المسالح والعساكر فتوافت اليه واتصل الخبر بأولاد أبى الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وعسكرة السلطان لهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتعاقدوا على الموت وبعثوا الى اقتالهم أولاد مهلهل بن قاسم بن أحمد وكانوا بعد مهلك سلطانهم أبى حفص قد لحقوا بالقفر وانتبذوا عن افريقية فرارا من مطالبة السلطان بما كانوا شيعة لعدوهم فأغذ السير اليهم أبو الليل بن حمزة متطارحا عليهم نفسه فى الاجتماع على الخروج على السلطان فأجابوه وارتحلوا معه وتوافت احياء بنى كعب وحكيم جميعا بتوزر من بلاد الجريد فهدروا الدماء بينهم وتدامروا وتبايعوا على الموت والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من أعقاب أبى دبوس فريسة بنى مرين من خلفاء بنى عبد المؤمن بمراكش عندما استولى عليها وكان من خبره ان أباه عثمان بن ادريس بن أبى دبوس لحق بمهلك أبيه بالاندلس وصحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بنى ذباب ببرشلونة فلما انطلق من أسره صحبه الى وطن ذباب بعد أن عقد قمص برشلونة بينهما حلفا وأمدهما باسطول على مال التزماه ونزل بضواحى طرابلس وجبال البربر بها ودعا لنفسه هنالك وقام بدعوته كافة العرب من ذباب وقاتل طرابلس فامتنعت عليه ثم بايعه أحمد بن ابى الليل شيخ الكعوب بافريقية وأجلب به على تونس فلم يتم أمره لرسوخ دعوة الحفصيين بافريقية وانقطاع أمر بنى عبد المؤمن منها وآثارهم منذ الاحوال العديدة والآماد المتقادمة فنسى أمرهم وهلك عثمان بن ادريس هذا بجربة ثم ابنه عبد السلام بعده وترك من الولد ثلاثة أصغرهم أحمد وكان صناع اليدين ولحقوا بتونس بعدما طوحت بهم طوائح الاغتراب وظنوا ان قد تنوسى شأن أبيهم فتقبض عليهم مولانا السلطان أبو يحيى وأودعهم السجن الى أن غربهم الى الاسكندرية سنة أربع وأربعين ورجع أحمد الى افريقية واحتل بتوزر محترفا بالخياطة يتعيش فاستدعاه بنو كعب هؤلاء حين اتفقت أهواؤهم ومن اتبعهم من احلافهم أولاد القوس وسائر شعوب علاق وخرج اليهم من توزر فنصبوه للامر وجمعوا له شيأ من الفساطيط والآلة والكسوة الفاخرة والمقربات وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بحللهم وقياطينهم وارتحلوا المناجزة السلطان ولما قضى منسك الاضحى من سنة ثمان وأربعين ارتحل من ساحة تونس يريدهم فوافاهم فى الفرح بين بسيط تونس وبسيط

القيروان المسمى بالثنية فأجفلوا أمامه وصدقوه القتال منهزمين وهو في اتباعهم الى أن حصل بالقيروان ورأوا أن لا ملجأ منه فتذامروا واتفقوا على الاستماتة ودس اليهم من عسكر السلطان بنو عبد الواد ومغراوة وبنو توجين فغلبوا بني مرين ووعدوهم بالمناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا اليهم براياتهم وصبحوا معسكر السلطان وركب اليهم في الآلة والتعبية فاختل المصاف وتحيز اليهم الكثير ونجا السلطان الى القيروان فدخلها في الفل من عساكره ثامن المحرم سنة تسع وأربعين وتدافعت ساقات العرب في اثره وتسابقوا الى المعسكر فانتهبوه ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه وأحاطوا بالقيروان وأحاطت حللهم بها سياجا وتعاوت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان وبلغ الخبر الى تونس فاستحصن بالقصبة أولياء السلطان وحرمه ونزع ابن تافراكين من جملة السلطان بالقيروان اليهم فعقدوا له على حجابة سلطانهم أحمد بن أبي دبوس ودفعوه الى محاربة من كان بالقصبة بتونس وأغذ اليها السير واجتمع اليه أشياخ الموحدين وزعانف الغوغاء والجند وأحاطوا بالقصبة وعاودها القتال ونصب المنجنيق لحصارها ووصل سلطانه أحمد على اثره فامتنعت عليهم ولم يغنوا فيها غناء وافترق أمر الكعوب وخالف بعضهم بعضا الى السلطان وتساقطوا اليه فتنفس مخنق الحصار عن القيروان واختلفت اليه رسل أولاد مهلهل وأحسن بهم أولاد أبي الليل بن حمزة بنفسه وعاهد السلطان على الافراج ولم يفوا بعهده وداخل السلطان أولاد مهلهل في الخروج معهم الى سوسة فعاهدوه على ذلك وأوعز الى أسطوله بمرساها وخرج معهم ليلا على تعبية فلحق بسوسة وبلغ الخبر الى ابن تافراكين بمكانه من حصار القصبة فركب السفين ليلا الى الاسكندرية وارتاب سلطانهم ابن أبي دبوس لما وقف على خبره فانفض جمعهم وأفرجوا عن القصبة وركب السلطان أسطوله من سوسة ونزل بتونس آخر جمادى واعتمل في اصلاح اسوارها وادارة الخندق عليها وأقام لها من الامتناع والتحصين رسما ثبت له من بعده ودفع به في نحر عدوه واستقل من نكبة القيروان وعثرتها وخلص من هوتها والله يفعل ما يشاء ولحق أولاد أبي الليل وسلطانهم أحمد بن أبي دبوس بتونس فأحاطوا بالسلطان واستبلغوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ثم راجع بنو حمزة رأيهم في طاعة السلطان فدخل كبيرهم عمر اليه في شعبان وتقبضوا على سلطانهم أحمد بن أبي دبوس وقادوه الى السلطان استبلاغا في الطاعة وامحاضا للولاية فتقبل فيئتهم وأودع ابن أبي دبوس السجن وأصهر الى عمر بابنه أبي الفضل فعقد له على بنته واختلفت أحوالهم في الطاعة والانحراف الى أن كان ما نذكر والله غالب

على أمره

(الخبر عن انتقاض الثغور الغربية ورجوعها الى دعوة الموحدين)

كان المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى لما قدم على السلطان أبي الحسن بتلمسان في زفاف شقيقته سنة سبع وأربعين بعدما اتصل به في طريقه مهلك أبيه أوسع له السلطان كنفه ومهد له جانب كرامته وبره وعمر له بوعد في المظاهرة على ملك أبيه تعزى به عن فقده وارتحل السلطان الى افريقية والمولى الفضل يرجو أن يجعل سلطانها اليه حتى اذا استولى السلطان على الثغرين بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على مكان امارته أيام أبيه ببونة فصرفه اليه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد رموا من الدولة واستثقلوا وطأة الايالة لما اعتادوا من الملك الرفيق فاشرأبوا الى الثورة عند ما بلغهم خبر النكبة وقد كان توافى بقسنطينة ركاب من المغرب في طوائف من الوفود والعساكر وكان فيهم ابن صغير من أبناء السلطان عقد له على عسكر من أهل المغرب وأوعز اليه باللحاق بتونس وفيهم أعمال المغرب قدموا عند رأس الحول بجباياتهم وحسبانهم وفيهم أيضا وفد من زعماء النصارى بعثهم الطاغية بن أدفونش مع تاشفين ابن السلطان لما أطلقه من الاسر بعدما عقد السلم والمهادنة وكان أسيرا عندهم من لدن واقعة طريف كما ذكرناه وكان أصابه مس من الجنون فلما خلصت الولاية بين السلطان والطاغية وعظم عنده الاتحاف والمهاداة وبلغه خبر السلطان وتملكه افريقية أطلق ابنه تاشفين وبعث معه هؤلاء الزعماء للتهنئة وفيهم أيضا وفد من أهل مالي ملوك السودان بالمغرب أوفدهم ملكهم منسا سليمان للتهنئة بسلطان افريقية وكان معهم أيضا يوسف بن مزني عامل الزاب وأميره قدم بجباية عمله واتصل به خبر الركاب بقسنطينة فلحق مؤثرا اصحابتهم الى سدة السلطان وتوافت هؤلاء الوفود جميعا بقسنطينة واعصوصبوا على ولد السلطان فلما وصل خبر النكبة اشرأبت الغوغاء من أهل البلد الى الثورة وتحلبت شفاههم الى ما بأيديهم من اموال الجباية وأحوال الثورة فنقموا عليهم سوء الملكة ودس مشيختهم الى المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى بمكانه من بونة وقد كشف القناع في الانتزاء على عمله والدعاء لنفسه فخطبوه للامر واستحثوه للقدوم فأغذ السير وتسامع بخبره أولياء السلطان فخشي ابن مزني على نفسه وخرج الى معسكره بحلة أولاد يعقوب ابن علي أمير الزواودة ولجأ ابن السلطان وأولياؤه الى القصبة ومكر بهم أهل البلد في الدفاع دونهم حتى اذا أطلت رايات المولى الفضل وثبوا بهم وحجزوهم الى القصبة

وأحاطوا بها حتى استنزلوهم على أمان عقدوه لهم ولحقوا بجملة يعقوب فعسكروا بها بعد أن نقض أهل البلاد عهدهم فى ذات يدهم فاستصفوه وأشار عليهم ابن مزنى باللحاق ببسكرة لتكون ركابهم الى السلطان فارتحلوا جميعا فى جوار يعقوب لماله فى تلك الضواحى حتى لحقوا ببسكرة ونزلوا منها على ابن مزنى خير نزل وكفاهم كل شئ يهمهم على طبقاتهم ومقاماتهم وعناية السلطان بمن كان وافدا منهم حتى سار بهم يعقوب بن على الى السلطان وأوفدهم عليه فى رجب من سنته واتصل الخبر بأهل بجاية بالفعلة التى فعل اهل قسنطينة فساجلوهم فى الثورة وكنسوا منازل أولياء السلطان وعماله فاستباحوها واستلبوهم وأخرجوهم من بين ظهرانيهم عراة فلحقوا بالمغرب وطيروا الخبر الى المولى الفضل واستحثوه للقدوم فقدم عليهم وعقد على قسنطينة وبونة لمن أسلف به من خاصته ورجالات دولته واحتل بجاية اشهر ربيع من سنته وأعاد ملك سلفه واستوسق أمره بهذه الثغور الى أن كان من خبره مع السلطان بعد خروجه من بجاية ما نذكره ان شاء الله

الخبر عن انتزاء أولاد السلطان بالمغرب الاوسط والاقصى ثم استقلال أبى عنان بملك المغرب

لما اتصل خبر النكبة بالقيروان بالامير أبى عنان ابن السلطان وكان صاحب تلمسان والمغرب الاوسط وتساقط اليه الفل من عسكر أبيه عراة زرافات ووحدانا وأرجف الناس بهلاك السلطان بالقيروان فتطاول الامير أبو عنان للاستئثار بسلطان أبيه دون الابناء لما كان له من الايثار عند أبيه اصيانته وعفافه واستظهاره القرآن فكان بعين أبيه لامثالها وكان عثمان بن يحيى بن جرار من مشيخة بنى عبد الواد وأولاد يندوكسن ابن طاع الله منهم وكان له محل من الدولة كما ذكرناه عند أخباره وكان السلطان أذن له فى الرجوع الى المغرب فرجع من معسكره بالمهدية ونزل بزاوية العباد من تلمسان وكان مسمتا وقورا جهينة خبر متعانا فى حديثه وكان من جملة الوقوف على الحدثان وكان الامير أبو عنان متشوقا الى خبر أبيه ففزع الى عثمان بن جرار فى تعرفها واستدعاه وأنس به وكان فى قلبه مرض من السلطان فأودع اذن الامير أبى عنان ما أراده من الامانى بتورط السلطان فى المهلكة وبشره بمصير الامر اليه فصادف منه اذنا واعية واشتمل عليه ابن جرار من بعدها وورد الخبر بنكبة السلطان فأغراه ابن جرار بالتوثب على الملك وسوّل له الاستئثار به من دون اخوانه يقينا بهلاك السلطان ثم أوهمه الصدق بارجاف الناس بموت السلطان فاعتزم وشحذ عزيمته فى ذلك ما اتصل به من حافد السلطان منصور ابن الامير أبى مالك صاحب فاس وأعمال المغرب من الانتزاء على

عمله وأنه فتح ديوان العطاء واستلحق واستركب لغيبة بنى مرين عن بلادهم وخلاء جوه من عساكرهم وأظهر العسكر والحشد لاستنقاذ السلطان من هوة القيروان يسد منها حسوا فى ارتقاء وتفطن لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس وصاحب الشرطة بالضواحى فاستأذنه باللحاق بالسلطان فأذن له راحة من مكانه وأصحبه عمال المصامدة ونواحى مراكش ليستقدمهم على السلطان بجباياتهم فلحق بالامير أبى عنان على حين أمضى عزيمته على التوثب والدعاء لنفسه فقبض أموالهم وأخرج ما كان بموضع السلطان بالمنصورة من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره فى ربيع من سنة تسع فبايعه الملأ وقرأ كتاب بيعتهم على الاشهاد ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد عقد سلطانه ورست قواعد ملكه وركب فى التعبية والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن يرزيكن ثم لفارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفا له وتبعا ورفع مكان ابن حدار عليهم واختص لولايته ومناجاة خلوته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبى عمرو وسنذكر خبره ثم فتح الديوان واستركب من تساقط اليه من فل أبيه وخلع عليهم ودفع اليهم أعطياتهم وأزاح عللهم وبينما هو يريد الرحلة الى المغرب بلغه أن وترمار بن عريف ولى السلطان وخالصته عريف بن يحيى وكان أمير زغبة لعهده ومقدما على سائر البدو وأنه قد جمع له يريد حربه وغلبه على ما صار اليه من الانتزاء والثورة على أبيه وانه قصد تلمسان بجموعه من العرب وزناتة المغرب الاوسط فعقد للحسن بن سليمان وزيره على حربه وأعطاه الآلة وسرحه للقائه وسرح معه من حضر من بنى عامر اقتال سويد وارتحل فى عسكره حتى احتل تسالة وناجزه وترمار الحرب ففلت جموعه ومنحوا أكتافهم واتبع الوزير عسكرهم واكتسح أموالهم وحللهم وعاد الى سلطانه بالفتح والغنائم وارتحل الامير أبو عنان الى المغرب وعقد على تلمسان لعثمان بن جرار وأنزله بالقصر القديم منها حتى كان من أمره مع عثمان بن عبد الرحمن ما ذكرناه فى أخبارهم ولما انتهى الى وادى الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان انه مضمر الفتك به بتازى تزلفا الى السلطان ووفاء بطاعته وانه داخل فى ذلك الحافد منصورا صاحب أعمال المغرب بما كان يظهر من طاعة جده فارتاب الامير أبو عنان به واستظهر واشيه على ذلك بكتابه فلما قرأه تقبض عليه وقتله بالماء خنقا وأغذ السير الى المغرب وبلغ الخبر منصور بن أبى مالك صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان بناحية تازى وبوادى أبى الاجراف فاختل مصاف منصور وانهزمت جموعه ولحق بفاس وانحجر بالبلد الجديد وارتحل الامير أبو عنان فى اثره وتسايل الناس على

طبقاتهم اليه وآتوه الطاعة وأناخ بعساكره على البلد الجديد في ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وأخذ بمخنقها وجمع الايدي والفعلة على الآلات لحصارها ولحين نزوله على البلد الجديد أوعز الى الوالي بمكانه أن يطلق أولاد أبي العلاء المعتقلين بالقصبة فأطلقهم ولحقوا به فأقاموا معه على حصار البلد الجديد وطال تمرسه بها الى أن ضاقت أحوالهم واختلفت أهواؤهم ونزع اليه أهل الشوكة منهم ونزع اليهم عثمان بن ادريس بن أبي العلاء فيمن اليه من الحاشية باذنه له في ذلك سرا ليمكن اليه فدس اليه وواعدوه الثورة بالبلد فثار بها واقتحمها الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور بن أبي مالك على حكمه فاعتقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على دار الملك وسائر أعمال المغرب وتسابقت اليه وفود الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان والانقياد لقائدهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء حينا ثم تواثبوا به وعقدوا على أنفسهم للامير أبي عنان وقادوا عاملهم اليه وتولى كبر الثورة فيهم زعيمهم الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن رافع من بيت أبي الشرف من آل الحسين كانوا انتقلوا اليها من صقلية واستوسق للامير أبي عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بني مرين للامر وأقام مع السلطان بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على الكعوب الناكثين لعهده الناكبين عن طاعته فأقام بتونس يرجو الايام ويؤمل الكرة والاطراف تنتقص والخوارج تتجدد الى أن ارتحل الى المغرب بعد اليأس كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن انتقاض النواحي وانتزاء بني عبد الواد بتلمسان ومغراوة بشلف وتوجين بالمرية}

لما كانت نكبة السلطان بالقيروان وانتثر ملك زناتة وانتقضت قواعد سلطانهم اجتمع كل قوم منهم لابرام أمرهم والنظر في شأن جماعتهم وكانوا جميعا نزعوا الى الكعوب الخارجين على السلطان وبنزوعهم تمت الدبرة عليه ولحقوا بتونس مع الحاجب أبي محمد بن تافراكين ليلحموا منها بأعمالهم وكان في جملة السلطان جماعة من أعياصهم منهم عثمان واخوته الزعيم ويوسف وابراهيم ابناء عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد صاروا في ايالة السلطان منذ فتح تلمسان وانزالهم بالجزيرة للرباط ثم رجعوا بعد استئثار الطاغية بها من مكانهم من دولته وساروا الى القيروان تحت لوائه ومنهم علي بن راشد بن محمد بن منديل وقد ذكرنا أخبار أبيه وانه ربي في ايالة السلطان وبحجر الدولة يتيما وكفلته نعمتها منذ نشأته حتى كأنه لا يعرف سواها فاجتمع بنو عبد الواد بتونس وعقدوا على أنفسهم لعثمان بن عبد الرحمن لما كان كبير اخوته وأتوه

ببيعتهم شرقي المصلى العتيق المطل على سجوم من ساحة البلد لعهدي بهم يومئذ وقد وضعوا له درقة بالارض من اللمط أجلسوه عليها ثم ازدحموا مكبين على يده يقبلونها للبيعة ثم اجتمع من بعدهم مغراوة الى على بن راشد وبايعوه وحفوا به وتعاهد بنو عبد الواد ومغراوة على الالفة وانتظام الكلمة وهدر الدماء وارتحلوا الى أعمالهم بالمغرب الاوسط فنزل على بن راشد وقومه بموضع عملهم من ضواحي شلف وتغلبوا على أمصاره وافتتحوا تدلس وأخرجوا منها أولياء السلطان وعسكره وقتلوا القاضي بمازونة سرحان كان مقيما بها الدعوة السلطان ثم سولت له نفسه التوثب والانتزاء فدعا لنفسه وقتله على بن راشد وقومه وأجاز عبد الرحمن وقومه من بني عبد الواد الى محل ملكهم بتلمسان فألفوا عثمان بن جرار قد انتزى بها بعد منصرف الامير أبي عنان ودعا لنفسه فتجهم له الناس لتوثبه على المنصب الذي ليس لأبيه واستمسك بالبلد أياما يؤمل نزوع قومه اليه ثم زحف اليه بنو عبد الواد وسلطانهم فصدقوه الزحف وثارت به الغوغاء وكسروا أبواب البلد وخرجوا الى السلطان فأدخلوه القصر واحتل به في جمادى من سنة تسع وتسابق الناس الى مجلسه مثنى وفرادى وبايعوه البيعة العامة ثم تفقد ابن جرار ثم أغرى به البحث فعثر عليه ببعض زوايا القصر واحتمل الى المطبق فأودع به الى أن سرب اليه الماء فمات غريقا في هوته وساهم السلطان أبو سعيد عثمان أخاه أبا ثابت الزعيم في سلطانه وأشركه في أمره وأردفه في ملكه وجعل اليه أمر الحرب والنواحي والبدو وكلها واستوزر قريبه يحيى بن داود بن مكن من ولد محمد بن يند وكس بن طاع الله واستوسق ملكهم وأوفد واشيختهم على الامير أبي عنان صاحب المغرب وسلطان بني مرين فعقدوا معه السلم والمهادنة واشترطوا له عن أنفسهم دفاع السلطان اليه وزحفوا الى وهران من ثغور أعمالهم ونازلوا بها أولياء السلطان وعساكره وعاملها يومئذ عبد الله بن اجانا من صنائع السلطان أبي الحسن الى أن غلبوه عليها واستنزلوه صلحا الاشهر من حصارها واستمسك أهل الجزائر بطاعة السلطان واعتصموا بها وعقد عليها قائده محمد بن يحيى بن العسكري من صنائع أبيه بعثه اليهم من تونس بعد نكبة القيروان ونجم بالمدية علي ابن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي داعيا لنفسه وطالبا سلطان سلفه وامتنع عليه معقل ملكهم بجبل وانشريس لمكان ولد عمر بن عثمان وقومهم من بني تيغرين في رياسته وانحاش اليه أولاد عزيز من بني توجين أهل ضاحية لمدية فقاموا بأمره واعصوصبوا عليه وكانت بينه وبين أبناء عمر بن عثمان بن انشريس حرب سجال الى أن هلك وخلص أمر بني توجين لابناء عمر بن عثمان وهم على مذهبهم من طاعة السلطان وتمسكهم بدعوته وهو مقيم خلال هذا بتونس الى أن أزمع لرحله

واحتل بالجزائر كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن رجوع الثغور الغربية لامراء الموحدين بجاية وقسنطينة) *

لما توثب الامير أبو عنان على ملك أبيه وبويع بتلمسان وكانت للامير أبي عبد الله محمد ابن الامير أبي زكريا صاحب بجاية لديه خلة ومصافاة من لدن بعثه اليه السلطان أمره من بجاية وأنزله بتلمسان فسدّ عاله السابقة وآثره بالامارة وعقد له على محل امارته من بجاية وأمدّه بما رضيه من المال والسلاح ودفعه اليها ليكون حجازًا دون السلطان بتونس وضمن له هذا الامير صدّه عن الخلوص اليه وسدّ المذاهب دونه وأوعز أبو عنان الى أساطيله بوهران فركبها الامير الى تدلس ودخلها ونزل اليه صنهاجة أهل ضاحية بجاية عن عمه الامير أبي العباس الفضل واعصوصبوا عليه وقاموا بأمره لقديم نعمته وسالف امارة أبيه ولما ارتحل الامير أبو عنان الى المغرب رحل في جملته الامير أبو زيد عبد الرحمن ابن الامير أبي عبد الله صاحب قسنطينة ومعه اخوته فاختصهم يومئذ بتغريبه وخلطهم بنفسه فلما غلب الامير أبو عنان منصور ابن أخيه أبي مالك على البلد الجديد واستولى على المغرب رأى أن يبعث ملوك الموحدين الى بلادهم ويدفع في صدر أبيه بمكانهم فسرّح الامير أبا زيد واخوته وكان منهم السلطان أبو العباس الذى جبر الله به الصدع ونظم الشمل فوصلوا الى موطن ملكهم ومحل امارتهم وكان مولاهم نبيل صاحب أبيهم قد تقدم الى بجاية ولحق بالامير أبي عبد الله من حصارها ثم تقدم الى قسنطينة وبها مولى من موالى السلطان المتغلب عليها وهو الامير أبو العباس الفضل فطمن اطلاله على جهاتها وشعور أهلها بمكانه لقيت منهم عزائز المودة وذكروا جميع الايالة وأجمعوا التوثب بواليهم واحتل نبيل بظاهر قسنطينة فشرهت العامة الى امارته والقيام بدعوة مواليه وتوثب أشياعهم على أولياء عمهم فأخرجوهم واستولى القائد نبيل على قسنطينة وأعمالها وأقام دعوة الامير أبي زيد واخوته كما كانت أوّل مرة بها وجاؤا من المغرب الى مراكز امارتهم ودعوتهم بها قائمة ورايتهم على انحائها خافقة فاستقلوا بها حلول الآساد بعرانينها والكواكب بآفاقها ونهض الامير أبو عبد الله محمد بمن اجتمع اليه من البطانة والاولياء الى محاصرة بلد بجاية فأجحر عمه بالبلد وأخذ بمخنقها أيامًا ثم أفرج عنها ثم رجع الى مكانه من حصارها ودس اليه بعض أشياعه بالبلد وسرّب اليه المال في الغوغاء فواعدوه وفتح أبواب الربض في احدى ليالي رمضان سنة تسع وأربعين واقتحم البلد وملأ الفضاء بهدير طبوله فهب الناس من مراقدهم فزعين وقد ولج الامير وقومه البلد ونجا الامير الفضل الى شعاب الجبل وكواريه المطل على القصبة راجلًا حافيًا فاختفى به الى أن عثر عليه ضحى النهار وسيق الى ابن أخيه فمنّ

عليه وأركبه السفين الى محل امارته من بونة وخلص ملك بجاية للامير أبي عبد الله هذا واقتعد سرير آبائه بها وكتبوا للامير أبي عنان بالفتح وتجديد المخالصة والموالاة والعمل عن مدافعة أبيه عن جهاته والله تعالى أعلم

﴿الخبر عن نهوض الناصر ابن السلطان ووليه عريف بن يحيى من تونس الى المغرب الاوسط﴾

لما بلغ السلطان خبر ما وقع بالمغرب من انتقاض أطرافه وتغلب الاعياص من قومه وسواهم على أعماله ووصل اليه يعقوب بن علي أمير الزواودة بولده وعماله ووفده ونظار في تلافي أمره بتسريح ولده الناصر الى المغرب الاوسط لارتجاع ملكه ومحو آثار الخوارج من أعمالهم فنهض مع يعقوب بن علي وأصحبه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة ليستظهر به على ملك المغرب وقدمها طليعة بين يديه وسار الناصر الى بسكرة واضطرب معسكره بها ثم انتقل من بلاد رياح الى بلاد زغبة واجتمع اليه أولياؤهم من العرب ومن زناتة من بني توجين أهل وانشريس وغيره وزحف اليهم الزعيم أبو ثابت من تلمسان في قومه من بني عبد الواد وغيرهم للمدافعة والتقى الجمعان بوادي ورك فانفضت جموع الناصر وانذعروا ورجع على عقبه الى بسكرة وخلص عريف بن يحيى الى قومه سويد ثم قطع القفر الى المغرب الاقصى ولحق بالامير أبي عنان فنزل منه بألطف محل ورجع الناصر الى بسكرة وارتحل مع أوليائهم أولاد مهلهل لمدافعة أولاد أبي الليل وسلطانهم المولى الفضل عن تونس كما ذكرناه وأحس رأيه فنهض اليهم وفروا أمامه الى أن خلص الناصر الى بسكرة ثانية واتخذها مثوى الى أن لحق بأبيه بالجزائر عند رحلته من تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن رحلة السلطان أبي الحسن الى المغرب وتغلب المولى الفضل على تونس وما دعا الى ذلك من الاحوال﴾

لما خلص المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى من نكبة بجاية وامتن عليه ابن أخيه فلحق بمحل امارته من بونة وافته بها مشيخة أولاد أبي الليل أوفدهم عليه بنو حمزة ابن عمر يستحثونه لملك افريقية ويرغبونه فيه فأجاب داعيتهم ونهض اليهم بعد قضاء نسك الفطر من سنة تسع وأربعين ونزل بحللهم وأوجفوا بخيلهم وركابهم على ضواحي افريقية وجهاتها وصمدوا الى تونس فنازلوها وأخذوا بمخنقها أياما ثم أخذ بحجزتهم عنها شيعة السلطان وأولياؤه من أولاد مهلهل وابنه الناصر عندئذ قافلا من المغرب الاوسط مغلولا فرحلوهم وشردوهم ثم رجعوا الى مكانهم من حصارها ثم انفضوا عنها وتحيز خالد بن حمزة الى شيعة السلطان أبي الحسن مع أولاد مهلهل وقومه فاعتزوا به

وذهب عمر بن حمزة الى المشرق لقضاء فرضه وأجفل أبو الليل أخوه مع المولى الفضل الى
القفر حتى كان من دخول أهل الجريد فى طاعته ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان السلطان
لما خلص من القيروان الى تونس وفد اليه أحمد بن مكى مهنيا ومفاوضا فى شأن الثغر
وما منى به من انتقاض الاطراف وفساد الرعية وتدارك السلطان أمره عند فواته
بالتولية على أهل القطر من جنسهم استئلافا للكافة واستبقاء لطاعتهم فعقد على عمل
قابس وجربة والحامة وما اليها لعبد الواحد ابن السلطان زكريا بن أحمد اللحيانى
وأنفذه مع أحمد بن مكى الى عمله فهلك بجربة لليال من مقدمه فى الطاعون الجارف
عامئذ وعقد لابى القاسم بن عتو شيخ الموحدين على توزر ونفطة وسائر بلاد الجريد بعد
أن كان استخلصه بعد مفر أبى محمد بن تافراكين قريعه وما أضمر من سوء دخلته فنزل
توزر وجمع أهل الجريد على الولاية والمخالصة ولما نازل المولى أبو العباس الفضل
تونس مرتين وشرد أولاده بها ولى وامتنعت عليه عمد الى الجريد سنة خمس يحاول فيه
ملكا وخاطب أبا القاسم بن عتو يذكره عهده وعهد سلفه وحقوقهم فتذكر وحن ونظر الى
ما ناله به السلطان من المثلة فى أطرافه واستشار كامن حقده فانحرف وحمل الناس على
طاعة المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبى يحيى فسارعوا الى الاجابة وبايعه أهل توزر
وقفصة ونفطة والحامة ثم دعا ابن مكين الى طاعته فأجاب اليها وبايعه أهل قابس وجربة
أيضا وانتهى الخبر الى السلطان باستيلاء المولى الفضل على أمصار افريقية وأنه ناهض
الى تونس فأهمه الشأن وخشى على أمره وكانت بطانته يوسوسون اليه بالرحلة الى
المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه فأجابهم اليها وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح
علل المسافرين ولما قضى منسك الفطر من سنة خمسين ركب البحر أيام استفحال فصل
الشتاء وعقد لابنه أبى الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين أولاد حمزة من الصهر وتفاديا
بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم وأقلع من مرسى تونس ونجس دخل مرسى بجاية وقد
احتاجوا الى الماء فمنعهم صاحب بجاية من الورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم
فزحفوا الى الساحل وقاتلوا من صدهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا
وعصفت بهم الريح ليلتئذ وجاءهم الموج من كل مكان وألقاهم اليم بالساحل بعد أن
تكسرت الاجفان وغرق الكثير من بطانته وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان
فألقاه الى الجزيرة قرب الساحل من بلاد زواوة مع بعض حشمه عراة فمكثوا ليلتهم
وصبحهم جفن من الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف فقربوا اليه حين رأوه وقد
تصايح به البربر من الجبال وتواثبوا اليه فاختطفه أولياؤه من أهل الجفن قبل أن
يصل اليه البربر وقذفوا به الى الجزائر فنزل بها ولاءم صدعه وخلع على من وصل من فل

الاسماعيل ومن خرج اليه من أوليائه ولحق به ابنه الناصر من بسكرة واتصل بالمولى الفضل خبر رحيله من تونس وهو ببلاد الجريد فأغذ السير الى تونس ونزل بها على ابنه ومن كان بها من مخلف أوليائه فغلبوهم عليها واتصل أهل البلد بهم وأحاطوا يومئذ بالقصبة واستنزلوا ابن السلطان أبا الفضل الامير بالقصبة على الامان فخرج الى بيت أبي الليل بن حمزة وأنفذ معه من أبلغه الى مأمنه فلحق بأبيه بالجزائر وبادر الى السلطان علي بن يوسف المنتزي بالمدية من بني عبد القوي فصار في جملته وخرج له عن الامر وزعم أنه انما كان قائما بدعوته فتقبل منه وأقره على عمله ووفد عليه أولياؤه من العرب سويد والحرث والحصين ومن اليهم ممن اجتمع الى وليه وترمار بن عريف المتمسك بطاعته ووفد عليه أيضا علي بن راشد أمير مغراوة وأعزاه بني عبد الواد واشترط عليه اقراره بوطنه وعمله اذا تم أمره فأبى من قبول الاشتراط ضنا بعهده عن النكث فنزع عنه وصار الى مظاهرة بني عبد الواد وبعث أبو سعيد عثمان صاحب تلمسان الى الامير أبي عنان في المدد فبعث اليه بعسكر من بني مرين عقد عليهم ليحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى من تيربيعين وزحف الزعيم ابو ثابت الى حرب السلطان أبي الحسن فيمن اجتمع له من عسكر بني مرين ومغراوة وخرج السلطان من الجزائر وعسكر بمتيجة واحتشد وترمار سائر العرب بحللهم ووافاهم وارتحلوا الى شلف ولما التقى الجمعان بشدبونة صدقهم مغراوة الحملة وصابرهم ابنه الناصر وطعن في الجولة فهلك واختل مصاف السلطان واستبيح معسكره وانتهب فساطيطه وخلص مع وليه وترمار بن عريف وقومه بعد ان استبيحت حللهم فخرجوا الى جبل وانشريس ثم لحقوا بجبل راشد ورجع القوم عن اتباعهم وانكفؤا الى الجزائر فتغلبوا عليها وأخرجوا من كان بها من أولياء السلطان ومحوا آثار دعوته من المغرب الاوسط جملة والامر بيد الله يؤتيه من يشاء

{ الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة ثم فراره عنها امام ابنه الى مراكش واستيلائه عليها وما تخلل ذلك }

لما انفضت جموع السلطان بشدبونة وقل عساكره وهلك الناصر ابنه خلص الى الصحراء مع وليه وترمار ولحق بحلل قومه سويد وأوطانهم قبلة جبل وانشريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه وارتحل معه وليه وترمار بالناجعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم أبعدوا المذاهب وقطعوا المفاوز الى سجلماسة في القفر فلما أطلوا عليها وعاين أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش وخرج اليه العذارى من وراء ستورهن صاغية اليه وايثارا لايالته وفر العامل بسجلماسة الى منجاته وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد سجلماسة وارتحل اليها

في قومه وكافة عساكره بعد أن أزاح عللهم وأفاض عطاءه فيهم وكان ببني مرين نفرة عن السلطان وحذر من غائلته لجناياتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يعدبهم في الاسفار ويجشم بهم المهالك فكانوا لذلك مجتمعين على منابذته ومخلصين في مناصحة ابنه منازعة فلبث السلطان أن جاءه الخبر بوصولهم اليه في العساكر الضخمة مغذين السير الى دفاعه وعلم من حاله انه لا يطيق دفاعهم وأجفل عنه وترمار ونسه في قومه سويد وكان من خبره أن عريف بن يحيى كان نزع الى الامير أبي عنان وأحله بمحله المعهود من تشريفهم وولايتهم حتى اذا بلغه الخبر بمناصحة وترمار للسلطان ومظاهرته وقصده المغرب معه بناجعته زوى عنه وجه رضاه بعض الشيء وأقسم له لئن لم تفارق السلطان لاوقعن بك وباباك عشر وكان معه في جملة الامير أبي عنان وأمره بأن يكتب له بذلك فآثر وترمار رضا أبيه وعلم أن غناءه عن السلطان في وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق   ن قومه وألقى عصاه بسكرة فكان ثواؤه بها الى أن لحق بالامير أبي عنان على ما نذكره ولما أجفل السلطان عن سجلماسة دخل الامير أبو عنان اليها وثقف أطرافها وسد فروجها وعقد عليها ليحيى بن عمر بن عبد المؤمن كبير بني ونكاسن وبلغه قصد السلطان الى مراكش فاعتزم على الرحلة اليها وانثنى عليه قومه فرجع بهم الى فاس الى أن كان من خبرهم مع السلطان ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش ثم انهزامه أمام الامير أبي عنان ومهلكه بجبل هنتاتة عفا الله عنه

لما أجفل السلطان عن سجلماسة سنة احدى وخمسين بين يدي الامير أبي عنان وعساكر بني مرين قصد مراكش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ولما اشارفها تسارع اليه أهل جهاتها بالطاعة من كل أوب ونسلوا من كل حدب ولحق عامل مراكش بالامير أبي عنان ونزع الى السلطان صاحب ديوان الجباية أبو محمد بن محمد بن أبي مدين بما كان في المودع من مال الجباية فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته واستركب واستلحق وجبى الاموال وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة وثاب له بمراكش ملك أمل معه أن يستولي على سلطانه ويرتجع فارط أمره من يد مبتزه وكان الامير أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع في العطاء وازاحة العلل وتقبض على كاتب الجباية يحيى بن حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين اتهمه بممالأة بني مرين في الامالة عليه عن اللحاق بمراكش من سجلماسة وأثار حقده في ذلك ما كان من نزوع عمه أبي المجد الى السلطان بأموال الجباية ووسوس اليه في السعاية به كاتبه وخاصته أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن أبي عمر لما بينهما من المنافسة فتقبض عليه

وامتحنه ثم قطع لسانه وهلك في ذلك الامتحان وارتحل الامير أبو عنان وجموع بني مرين الى مراكش وبرز السلطان الى لقائهم ومدافعتهم وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادي أم ربيع وتربص كل بصاحبه اجازة الوادي ثم اجازه السلطان أبو الحسن وأصبحوا جميعا في التعبية والتقى الجمعان بتامرغوست في آخر صفر من سنة احدى وخمسين فاختل مصاف السلطان وانهزم عسكره ولحق به أبطال بني مرين فرجعوا عنه حياء وهيبة وكبا به فرسه يومئذ في مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله واعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن علي بن أحمد أمير الزواودة ورديف أخيه يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل في جملته الى يومئذ فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه ردأله وتقبض على حاجبه علال بن محمد فصار في يد الامير أبي عنان وأودعه السجن الى أن امتن عليه بعد مهلك أبيه وخلص السلطان الى جبل هنتاتة ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي فنزل عليه وأجاره واجتمع اليه الملأ من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتآمروا وتعاهدوا على الدفاع عنه وبايعوه على الموت وجاء أبو عنان على اثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هنتاتة ورتب المسالح لحصاره وحربه وطال عليه ثواؤه وطلب السلطان من ابنه الابقاء وبعث في حاجبه محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الامير أبي عنان والتمس له الرضا منه فرضي عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز اليه بأن يبعث له مالا وكسا فسرح الحاجب بن أبي عمر باخراجهما من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فمرضه أولياؤه وخاصته وافتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء لقصده للطهارة فورم وهلك لليال قريبة عفا الله عنه لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة ثنتين وخمسين وبعث أولياؤه الخبر الى ابنه بمعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواده اليه فتلقاه حافيا حاسرا وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضي عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته وواري أباه بمراكش الى أن نقله الى مقبرة سلفهم بشالة في طريقه الى فاس وتلقى أبا دينار بن علي بن أحمد بالقبول والكرامة وأحله محل الرحب والسعة وأسنى جائزته وخلع عليه وحمله وانصرف من فاس الى قومه يستحثهم للقاء السلطان أبي عنان بتلمسان لما كان أجمع على الحركة اليها بعد مهلك أبيه ورعى لعبد العزيز بن محمد أمير هنتاتة اجارته للسلطان واستماتته دونه فعقد له على قومه وأحله بالمحل الرفيع من دولته ومجلسه واستبلغ في تكريمه والله تعالى أعلم

الخبر عن حركة السلطان أبي عنان الى تلمسان وايقاعه ببني عبد الواد بانكاد ومهلك سلطانهم سعيد

لما هلك السلطان أبو الحسن وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى مقبرتهم بشالة فدفنه مع من هنالك من سلفه وأغذ السير الى فاس وقد استبد بالامر وخلت الدولة عن المنازع فاحتل بفاس وأجمع أمره على غزو بنى عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذى سموا الاستخلاصه ولما كان فتح سنة ثلاث وخمسين نادى بالعطاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد واعترض العساكر وارتحل يريد تلمسان واتصل الخبر بأبى سعيد وأخيه فجمعوا قومهم ومن اليهم من الاشياع والاحزاب من زناتة والعرب وارتحلوا الى لقائه ونزل السلطان بعساكره وادى ملوية وتلوم به أياما لاعتراض الحشود والعرب ثم رحل على التعبية حتى اذا احتل ببسيط أنكاد وتراءى الجمعان انفض سرعان المعسكر ولحقوا بالعرب وركب السلطان فى التعبية وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو به حتى اذا خلص اليهم من غمره وخالطهم فى صفوفهم ولوهم الادبار ومنحوهم الاكتاف واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوه واستباحوهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى وغشيهم الليل وهم متسايلون فى اثرهم وتقبض على أبى سعيد سلطانهم فسيق الى السلطان فأمر باعتقاله وأطلق أيدى بنى مرين من الغد على حلل العرب من المعقل فاستباحوهم واكتسحوا أموالهم جزاء بما شرهوا اليه من النهب فى المحلة فى هيعة ذلك المجال ثم ارتحل على تعبيته الى تلمسان فاحتل بها لربيع من سنته واستوت فى ملكها قدمه وأحضر أبا سعيد فقرعه ووبخه وأراه أعماله حسرة عليها وأحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأفتوا بحرابته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح فى محبسه لتاسعة من اعتقاله وجعله مثلا للآخرين وخلص أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق فكان من خبره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

{الخبر عن شأن أبى ثابت وايقاع بنى مرين به}
{بوادى شلف وتقبض الموحدين عليه ببجاية}

لما أوقع السلطان ببنى عبد الواد بانكاد وتقبض على أبى سعيد سلطانهم خلص أبو ثابت أخوه فى فل منهم ومر بتلمسان فاحتمل حرمهم ومخلفهم وأجفل الى الشرق فاحتل بشلف من بلاد مغراوة وعسكر هنالك واجتمع اليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والثبات وسرح السلطان وزيره فارس بن ميمون بن ودرار فى عساكر بنى مرين والجند فأغذ السير اليهم وارتحل من تلمسان على اثره ولما تراءى الجمعان صدق الفريقان المجاولة وخاضوا النهر بالقراع ثم صدق بنو مرين الحملة واجتازوا النهر اليهم فانكشفوا واتبعوا آثارهم واستلحموهم واستباحوا معسكرهم

واستاقوا أموالهم ودوابهم ونساءهم وارتحلوا في اتباعهم وكتب الوزير بالفتح الى السلطان ومرّ أبو ثابت بالجزائر طارقا وأجاز الى ضاحية المشرق فاعترضهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم وانتهبوا أسلابهم ومرّ واحفاة عراة واحتل الوزير بالجزائر واستولى عليها واقتضى بيعة السلطان منهم فآتوها واحتل الوزير بلدية وأوعز الى أمير بجاية المولى أبي عبد الله حافد مولانا الامير أبي يحيى مع وليه وترمار وخالصته يعقوب بن علي بالتقبض على أبي ثابت فأذكوا العيون عليهم رقدوا لهم بالمرصاد وعثر بعض الحشم على أبي ثابت وأبي زيان ابن أخيه أبي سعيد ووزيرهم يحيى بن داود فرفعوهم الى الامير بجاية فاعتقلهم وارتحل للقاء السلطان بلدية وبعثهم مع مقدمته وجاء على اثرهم ونزل على السلطان بمعسكره من لدية خير نزل بعد ان تلقاه بالمبرة والاحتفاء وركب للقائه ونزل عن فرسه للسلطان فنزل السلطان بواله وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الزواودة بمكانه من لدية فأكرم وفدهم وأسنى أعطياتهم من الخلع والحملان والذهب وانقلبوا خير منقلب ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل الزاب ووفدهم فأكرمهم ووصلهم وفرغ السلطان من شأن المغرب الاوسط وبث العمال في نواحيه وثقف اطرافه وسما الى ملك افريقية كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن تملك السلطان أبي عنان بجاية وانتقال صاحبها الى المغرب) *

لما وصل السلطان أبو عبد الله محمد بن الامير أبي زكريا يحيى صاحب بجاية الى السلطان بمكانه من لدية في شعبان من سنته وأقبل السلطان عليه وبوأه كنف ترحيبه وكرامته خلص الامير به نجيا وشكا اليه ما يلقاه من أهل عمله من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وما يتبع ذلك من زبون الحامية واستبداد البطانة وكان السلطان متشوّفا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يديله عنها بما شاء من بلاده فسارع الى قبول اشارته ودس اليه مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤس الملا ففعل ونقم عليه بطانته ذلك وفرّ بعضهم من معسكره فلحق بافريقية ومنهم على ابن القائد محمد بن الحكيم وأمره السلطان أن يكتب بخطه الى عامله على البلد بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل وعقد السلطان عليها لعمر بن علي الوطاسي من أولاد الوزير الذي ذكرنا خبر انتزائهم بتازوطا من قبل ولما قضى السلطان حاجته من المغرب الاوسط واستولى على بجاية انكفأ راجعا الى تلمسان لشهود الفطر بها ودخلها في يوم مشهود وحمل أبا ثابت ووزيره يحيى بن داود على جملين يخطوان بهما في ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر وجنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح وأنزل السلطان المولى الامير أبا عبد الله صاحب بجاية خير نزل وفرش له في مجلسه تكرمة له

الى أن كان من توثب صنهاجة وأهل بجاية بعمر بن على ما نحن ذاكروه ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن ثورة اهل بجاية ونهوض الحاجب اليها في العساكر) *

كان صنهاجة هؤلاء من أعقاب ملكانة ملوك القلعة وبجاية نزل أولوهم بوادي بجاية بين القبائل من برابرتها الكتاميين في مواطن بني ورياكل منذ أول دولة الموحدين وأقطعوهم على العسكرة معهم ولما ضعفت جنود الموحدين وقل عددهم انفردوا بالعسكرة مع السلطان وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة وكان الامير أبو عبد الله هذا قد أصاب منهم لأول أمره وقتل محمد بن تميم من أكابر مشيختهم وكان صاحبه فارح مولى ابن سيد الناس عريفا عليهم من عهد أبيه الامير أبي زكريا وكان مستبدا على المولى أبي عبد الله فلما نزل عن امارته للسلطان أبي عنان سخط ذلك ونقمه عليه وأسرها في نفسه ولم يبدها لكافله وسرحه أميره مع عمر بن على الوطاسي لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره فوصل اليها وشكا اليه الصنهاجيون مغبة أمرهم في ثقل الوطأة وسوء الملكة فأشكاهم ودعاهم الى الثورة ببني مرين والقيام بدعوة الموحدين للمولى أبي زيان صاحب قسنطينة فأجابوه وتواعدوا بالفتك بعمر بن على بمجلسه من القصبة وتولى كبرها منصور بن الحاج من مشيختهم وباكره بداره على عادة الامراء ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه بخنجره وفر الى بيته جريحا فوبلجوا عليه واستلموه وثارت الغوغاء من أهل البلد في ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين وركب الحاجب فارح وهتف الهاتف بدعوة المولى أبي زيد صاحب قسنطينة وطيروا بالخبر واستدعوه فتثاقل عن اجابتهم وبعث مولى ابن المعلوجي للقيام بأمرهم وبلغ الخبر الى السلطان فاتهم المولى أبا عبد الله بمداخلة حاجبه فاعتقله بداره واعتقل وفدا من ملا بجاية كان ببابه وثبتت آراء المشيخة من أهل بجاية وتمشت رجالاتهم وأولو الرأي والشورى منهم في الفتك بصنهاجة والعلج وداخلهم القائد هلال مولى ابن سيد الناس وتواعدوا الفتك بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسنطينة فجهروا بالنكير على الحاجب ودعوه الى المسجد ليؤامروه ونذر بأمرهم فاعتد دار شيخ الفتيا أحمد بن ادريس فاقتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس فطعنه وأشواه ورمى بشلوه من سقف الدار وقطع رأسه فبعثوا به الى السلطان وفر منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد وكان بالمرسى أحمد بن سعيد القرموني من خاصة السلطان جاء في السفن لبعض حاجاته من تونس ووافى مرسى بجاية يومئذ فأنزلوه واعصوصبوا عليه وتنادوا بدعوة السلطان وطاعته فأشار عليهم أحمد القرموني أن يبعثوا الى قائد تدلس من مشيخة بني مرين يحياتن بن عمر بن عبد المؤمن الونكاسي فاستدعوه ووصل اليهم في جملة من

العسكر وبعثوا بأخبارهم الى السلطان وانتظروا فلما بلغ الخبر الى السلطان أمر حاجبه محمد بن أبي عمر بالنهوض الى بجاية فعسكر بساحة تلمسان واتنقى له السلطان من قومه وجنوده خمسة آلاف فارس أزاح عللهم واستوفى أعطياتهم ورسر حه فنهض من تلمسان بعد قضاء منسك الاضحى وأغذ السير الى بجاية ولما نزل ببني حسن جمع له صنهاجة ثم خاموا عن اللقاء ولحقوا بقسنطينة وأجازوا منها الى تونس واحتل الحاجب بعسكرهم من تيكلات وخرج اليه المشيخة والوزراء فتقبض على القائد هلال وأشخصه الى السلطان ودخل البلد على التعبية واحتل بقصبتها المحرم فاتح أربع وخمسين وسكن الناس وخلع على المشيخة واختص على بن وعمد بن سيد الناس واستظهر بهم على أمره وتقبض على جماعة من الغوغاء وعلى من تحت أيديهم ممن يتهم بالمداخلة في الثورة يناهزون مائتين واعتقلهم وأركبهم السفن الى المغرب فودع الناس وسكنوا ووافت وفود الزواودة من كل جهة فأجزل صلاتهم واقتضى الطاعة منهم ووصل عامل الزاب يوسف وسدّ فروجه وارتحل الى تلمسان أول جمادى لشهرين من مدخله وأغذ السير بمن معه من العرب والوفود وكنت يومئذ في جملتهم وقد خلع علي وحملني وأجزل صلتي وضرب لي الفساطيط وفدت في ركابه وقدم تلمسان لاول جمادى الاخيرة فجلس السلطان للوفد واعترض ما جنب له من الجياد والهدية وكان يوما مشهودا ثم أسنى السلطان جوائز الوفد واختص يوسف بن مزني ويعقوب بن علي بمزيد من البر والصلة وخصوا بحباء من الكرامة وآمرهم في شأن افريقية ومنازلة قسنطينة ورجع معهم الحاجب ابن أبي عمر على كره منه لما نذكره من أخباره وانصرفوا الى مواطنهم لاول شعبان من سنة أربع وخمسين وانقلبت معه بعد اسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومه ببلده من الاقطاع والله أعلم

الخبر عن الحاجب ابن أبي عمرو وما عقد له السلطان على ثغر بجاية وعلى منازلة قسنطينة ونهوضه لذلك

سلف هذا الرجل من أهل المهدية من أجواد العرب من بني تميم بافريقية وانتقل جده علي الى تونس باستدعاء السلطان المستنصر وكان فقيها عارفا بالفتيا والاحكام وقلده القضاء بالحضرة واستعمله على كتب علامته في الرسائل والاوامر الكبرى والصغرى فاضطلع بذلك وهلك على حالة من التجلة والمنصب وقلد ابنه عبد الله من بعده العلامتين أيام أبي حفص عمر ابن الامير أبي زكريا كما كان لابيه فاضطلع لذلك وكان أخوه أحمد بن علي مستتنا وقورا منتحلا للعلم ونشأ ابنه محمد وقرأ بتونس وتفقه على

مشيختها ولما التاثت أمورهم وتلاشت أمورهم خرج محمد بن أحمد بن علي مبتغيا
للرزق والمعاش وطوحت به الطوائح الى بلد القل وكان منتحلا للطلب والكتابة
فاستعمل شاهدا بمرسى القل أيام رياسة الحاجب ابن أبي عمرو وكانت له صحبة مع حسن بن
محمد السبتي المنتحل بنسب الشرف وكانا رفيقين في مطارح اغترابهما فسعى له في مرافقة
الشهرة فأسعفا واتصلا بابن أبي عمرو فمدحه ذا شهما ولما نزع الشريف عبد الوهاب زعيم
تدلس الى طاعة الموحدين أيام التياث أبي حمو بخروج محمد بن يوسف عليه واختلال
الدولة ودخل في أمر ابن أبي عمرو وجملته فبعث محمد بن أبي عمرو هذا وصاحبه الى تدلس
واستعمل حسن الشريف في القضاء ومحمد بن أبي عمرو في شهادة الديوان فلما برئت
الدولة من مرضها واستفحل أمر أبي حمو وتغلب على تدلس وصار رئيس الفتيا من
الامام لاقتضاء طاعتها وانفاذ أهلها على السلطان في الوفد واستقر بتلمسان يومئذ
واستعملا في خطة القضاء متعاقبين أيام بني عبد الواد وأيام السلطان أبي الحسن
وتعصب على ابن أبي عمرو أيام قضائه جماعة من مشيخة البلد وسعوا به الى السلطان أبي
الحسن وتظلموا فأشكاهم على علم ببراءته واختصه بتأديب ولده فارس هذا وتعليمه
فأفرغ وسعه في ذلك وربي ولده محمد هذا الحاجب مع السلطان أبي عنان توأما وخليلا
وألقى عليه محبته حتى اذا خلص له الملك رفع رتبة محمد بن أبي عمرو هذا ورقاه من منزلة
الى أخرى حتى اذا أربى به على سائر المراتب وجعل اليه العلامة والقيادة والحجابة
والـذارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر ألقاب دولته وخصوصيات داره
فانصرفت اليه الوجوه ووقفت ببابه الاشراف من الاعياص والقبائل والشرفاء
والعلماء وسرب اليه العمال أموال الجباية تزلفا وطال أمره واستيلاؤه على السلطان
ونفس عليه رجال الدولة ووزراؤها ما آتاه الله من الحظ حتى اذا خلا لهم وجه
السلطان منه عند نهوضه الى بجاية حامت أغراض السعاية على مكانه فقرطس وألقى
السلطان أذنه الى استماعها فلما رجع من بجاية وكانت له الدولة على السلطان وجد عليه
في قبول   واقيه مغاضبا فتنكر له السلطان ثم تحفى بطلب الغيبة عن الدولة
ويعقد له على بجاية متوهما ان السلطان ضنين به فبادر السلطان الى اسعافه وبداله مالم
يحتسب من الاعراض عنه ورجع الى الرغبة في الاقالة فلم يسعف وعقد له على حرب
قسنطينة وحكمه في المال والجيش وارتحل في شعبان من سنة أربع وخمسين واحتل
بجاية آخرها ونصب الموحدون تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المعتقل عندهم من
لدن عهد المولى الفضل واعتقاله اياه فنصبوه للامر لتفريق كلمة بني مرين وجمعوا له الآلة
والفساطيط وقام بأمره ميمون بن علي لمنافسته مع أخيه يعقوب وتسمع بخبره يعقوب

فأغذ السير بعساكره من بلاد الزاب وفرق جموعهم وردهم على أعقابهم وأعجزهم بالبلد ولما انصرم الشتاء وقضى منسك الأضحى عسكر بساحة البلد واعترض العساكر وأزاح عللهم وفرق أعطياتهم وارتحل إلى منازلة قسنطينة واجتمع إليه الزواودة بحللهم وجمع المولى أبو زيد صاحب قسنطينة من كان على دعوته من أحياء نوبة وميمون ابن علي بن أحمد وشيعته من الزواودة وعقد عليهم لحاجبه نبيل وسرحه للقاء ابن أبي عمرو وعساكره فأوقع بهم الحاجب لجمادى من سنة خمس وخمسين واكتسح أموالهم ونازل قسنطينة حتى تفادوا منه بتمكينه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنصوب للأمر فاقتادوه إليه وأشخصه إلى أخيه السلطان وأوفد المولى أبو زيد ابنه على السلطان أبي عنان فتقبل وفادته وشكر مراجعته وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو إلى بجاية وأقام بها إلى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين فذهب حميد السيرة عند أهل البلد وتفجعوا لمهلكه وبعث السلطان دوابه لارتحال عياله وولده ونقل شلوه إلى مقبرة أبيه بتلمسان وسرح ابنه أبا زيان في عساكر من بني مرين لمرابطته بها وعقد على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد وزيره فنهض إليها في شهر ربيع من سنة ست وخمسين واستقر بها وتقبل ما حمده الناس من مذاهب الحاجب وسيرته فيها على ما نذكره وجهز العساكر إلى حصار قسنطينة إلى أن كان من فتحها ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى

الخبر عن خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن بجبل السكسيوي ومكر عامل درعة به ومهلكه

كان السلطان أبو عنان بعد مهلك أبيه لحق به في جملته أخواه أبو الفضل محمد وأبو سالم ابراهيم وتدبر في ترشيحهما وتصور عليه مغبته فأشخصهما إلى الأندلس واستقرا بها في ايالة أبي الحجاج ابن السلطان أبي الوليد بن الرئيس أبي سعيد ثم ندم على ما أتاه من ذلك فلما استولى على تلمسان والمغرب الأوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أغذ السير إلى الحجاج أن يشخصهما إليه ليكون مقامهما لديه أحوط للكلمة من أن يعقد تفريقها بمباسرة الفتن وخشي أبو الحجاج عليهما غائلته فأبى من إسلامهما إليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته وجوار المسلمين المجاهدين فأحفظ السلطان كلمته وأوعز إلى حاجبه محمد بن أبي عمرو بأن يخاطبه في ذلك بالتوبيخ واللائمة فكتب له كتابا قرعه فيه ووقفني عليه الحاجب ببجاية أيام كوني معه فحفظت كثيرا من فصوله وأغراضه ولما قرأه أبو الحجاج دس إلى كبيرهما أبي الفضل باللحاق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة منذ مهلك أبيه الهنشة على جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فنزع إليه أبو الفضل وجهز أسطولا إلى مراسي المغرب وأنزله بساحة السوس فلحق

بالسكسيوى عبد الله ودعا لنفسه و بلغ الخبر الى السلطان بين مقدم حاجبه ابن ابى عمر ومن فتح بجاية سنة أربع وخمسين فجهز عساكره الى المغرب وعقد على حرب السكسيوى لوزيره فارس بن ميمون بن وردار وسرحه اليه فنهض من تلمسان لربيع سنة أربع وخمسين وأغذ السير الى السكسيوى ونزل بخنقه وأحاط به واختط مدينة لعسكره وتجهز كتائبه بسفح جبله سماها القاهرة واستبد الحصار على السكسيوى وأرسل الى الوزير في الرجوع الى طاعته المعروفة وأن ينبذ العهد الى أبي الفضل ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ودخل الوزير فارس الى أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد الحال وسارت الولاية والجيوش في جهاته ورتب المسالح في ثغوره وأمصاره مثل وتارودانت وثقف أطرافه وسد فروجه وسار أبو الفضل في جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى بنفسه على ابن حميدى منهم مما يلي بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة دولة بنى عبد الواد كان اصطنعه السلطان أبو الحسن منذ تغلبه عليهم وفتحه لتلمسان سنة سبع وثلاثين فاستقر في دولتهم ومن جملة صنائعهم فأخذ بخنق ابن حميدى وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه وداخله في التقبض على أبي الفضل وان يبذل له في ذلك ما أحب من المال فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل ووعده من نفسه الدخول في الامر وطلب لقاءه فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه عبد الله ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترطه من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله لليال من اعتقاله خنقا بمحبسه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسن بجبل الفتح ومهلكه)

كان عيسى بن الحسن بن على بن أبى الطلاق هذا من مشيخة بنى مرين وكان صاحب شوراهم لعهده وقد كاقصصنا من أخبار أبيه الحسن عند ذكر دولة أبى الربيع وكان السلطان أبو الحسن قد عقد له على ثغور عمله بالاندلس وأنزله بجبل الفتح عندما أكمل بناءه وجعل اليه النظر في مسالح الثغور وتفريق العطاء على مسالحها فطال عهد ولايته ورسخ فيها قدمه وكان السلطان أبو الحسن يبعث عنه في الشورى متى عنت وحضره عند سفره الى افريقية وأشار عليه بالاقتصار عنها وأراه ان قبائل بنى مرين لا تفى اعدادهم بمسالح الثغور اذا رتبت شرقا وغربا وعدوة البحر وان افريقية تحتاج من ذلك الى أوفر الاعداد وأشد الشوكة لتغلب العرب عليها وبعد عهدهم بالانقياد

فأعرض السلطان من نصيحته لما كان شره الى تملكها وصرفه الى مكان عمله بالثغور الاندلسية ولما كانت نكبة القيروان وانتزى الابناء بفاس وتلمسان أجاز البحر لحسم الداء ونزل بقساسة ثم انتقل الى وطنه بتازى وجمع قومه بنى عسكر السلطان أبى عنان قد هزم عساكر ابن أخيه وأخذ بمخنقه فأجلب عليه و بيته بعسكره من سلحة البلد الجديد وعقد السلطان أبو عنان على حربه لصنيعته سعيد بن موسى العجيسي وأنزله بثغر بلاد بنى عسكر على وادى بوحلو وتواقفا كذلك أياما حتى تغلب السلطان أبو عنان على البلد الجديد ثم أرسل عيسى بن الحسن فى الرجوع الى الطاعة وأبطأ عنه صريخ السلطان أبى الحسن بافريقية فراجعه واشترط عليه فتقبل وسار اليه فتلقاه السلطان وامتلأ سرورا بقدمه وأنزله بصدوره وجعل الشورى اليه فى مجالسه واستمرت على ذلك حاله ولما حال ابن أبى عمرو انفرد بخلة السلطان ومناجاته وحجبه عن الخاصة والبطانة أحفظه ذلك ولم يبدها واستأذن السلطان فى الحج فأذن له وقضى فرضه ورجع الى محله من بساط السلطان سنة ست وخمسين ولقى ابن أبى عمرو ببجاية وتطارح عليه فى أن يصلح حاله عند سلطانه فوعده فى ذلك ولما وفد على السلطان وجده قد استبد فى الشورى وتنكر للخاصة والجلساء فاستأذنه فى الرجوع الى محله من الثغر لاقامة رسم الجهاد فأذن له وأجاز البحر الى جبل الفتح من سنته وكان صاحب ديوان العطاء بالجبل يحيى الفرقاجى وكان مستظهرا على العمال وكان ابنه أبو يحيى قد تبرم بمكانه فلما وصل عيسى الى الجبل اتبعه السلطان بأعطيات المسالح مع مسعود بن كندوس من صنائع دولته فسرب الفرقاجى الى الضرب على يده شأنه مع ابنه أيام مغيبه وأنف عيسى من ذلك فتقبض عليه وأودعه المطبق وردّ ابن كندوس على عقبه وأركبه السفين من ليلته الى سبتة وجاهر بالخلعان وبلغ الخبر الى السلطان أبى عنان فقلق لذلك وقام فى ركائبه وقعد وأوعز بتجهيز الاساطيل وظن أنه قد تدبر من الطاغية وابن الاحمر وبعث أحمد بن الخطيب قائد البحر بطنجة عينا على شأنهم فوصل الى مرسى الجبل وكان عيسى بن الحسن لما جاهر بالخلعان غشت رجالات الثغر وعرفاء الرجل من غمارة الغزاة الموطنون بالجبل وتحدثوا فى شأنه وامتنعوا من الخروج على السلطان وتآمروا وخالفه سليمان بن داود من عرفاء العسكر كان من خواصه وأهل شوراه وكان عيسى قد مكن قومه عند السلطان واستعمله على رندة فلما جاهر عيسى بالخلعان وركب ظهر الغدر خالفه سليمان هذا الى طاعة السلطان وأنفذ كتبه وطاعته واشتبه عليه الامر فندم اذ لم يكن بنى أمره على أساس من الرأى فلما احتل أسطول أحمد بن الخطيب بمرسى الجبل خرج اليه وناشده الله والعهد أن يبلغ السلطان طاعته والبراءة مما صنع أهل

الجبل ونسبها اليهم فعند ذلك خشى عمارة على أنفسهم فثاروا به وبطأ الى الحصن فاقتحموه عليه وشدوه وابنه وثاقا وألقوه فى أسطول ابن الخطيب وأنزله بسبتة رطير للسلطان بالخبر فخلع عليه وأمر خاصته فخلعوا عليه و بعث عمر ابن وزيره عبد الله بن على وعمر بن العجوز قائد جند النصارى فأحضروهما بدار السلطان يوم منى من سنة ست وجلس لهما السلطان فوقفا بين يديه وتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وشدد وثاقهما حتى قضى منسك الاضحى ولما كان خامس نقته أمر بهما فجنبا الى مصارعهما فقتل عيسى قعصا بالرماح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداراة قطعه فلم يزل يتخبط فى دمه الى أن هلك لثالثة قطعه وأصبحا مثلا فى الآخرين وعقد على جبل الفتح وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داود الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض السلطان الى فتح قسنطينة وفتحها ثم فتح تونس عقبها)

لما هلك الحاجب محمد بن أبى عمرو عقد السلطان على ثغور بجاية وما وراءها من بلاد افريقية لوزيره عبد الله بن على بن سعيد وسرحه اليها وأطلق يده فى الجباية والعطاء وكانت جبال ضواحى قسنطينة قد تملكها السلطان لما كانت الزواودة متغلبة عليها وكان عامة أهل ذلك الوطن قبائل سدويكش وعقد السلطان عليهم لموسى بن ابراهيم ابن عيسى وأنزله بتاوريرت آخر عمل بجاية وأخذ بمخنق قسنطينة ثم ارتحل عنها على ما تقدم من السلم على المولى الامير أبى زيد أنزل موسى بن ابراهيم بميلة فاستقر بها ولما ولى الوزير عبد الله بن على أمر افريقية أوعز اليه السلطان بمنازلة قسنطينة فنزلها سنة سبع وأخذ بمخنقها ونصب المنجنيق عليها واشتد الحصار بأهلها وكادوا أن يلقوا باليد لولا ما بلغ العسكر من الارجاف بمهلك السلطان فأفرجوا عنها ولحق المولى أبو زيد ببونة وأسلم البلد الى أخيه مولانا الامير أبى العباس أيده الله تعالى عندما وصل اليه من افريقية كان بها مع العرب طالبا ملكهم بتونس ومجلبا بهم على ابن تافراكين منذ نازلوا تونس سنة ثلاث وخمسين كما قلناه فرجع الآن الى قسنطينة مع خالد بن حمزة داخل المولى أبا زيد فى خروجه الى حصار تونس واقامة مولانا أبى العباس بقسنطينة فأجاب لذلك وخرج معه ودخل مولانا أبو العباس الى قسنطينة ودعا لنفسه وضبط قسنطينة وكان مدلا ببأسه واقدامه وداخله بعض المخرفين من بنى مرين من أولاد يوسعيد وسدويكش فى تبييت موسى بن ابراهيم بعسكره من ميلة فبيتوه وانتهبوا معسكره وقتلوا أولاده وتخلص الى تاوريرت ثم الى بجاية ولحق بمولانا السلطان مفلولا ونكر السلطان على وزيره عبد الله بن على ما وقع بموسى بن ابراهيم رانه قصر فى امداده فسرح شعيب بن ميمون وتقبض عليه وأشخصه الى السلطان معتقلا وعقد على بجاية

مكانه ليحيى بن ميمون بن مصمود من صنائع دولته وفى خلال ذلك راسل المولى أبو زيد
الحاجب أبا محمد عبد الله بن تافراكين المتغلب على عمه ابراهيم فى النزول لهم على
قومه والقدوم عليهم بتونس فقبلوه وأحلوه محل ولى العهد واستعملوه على بونة من
صنائعهم ولما بلغ خبر موسى بن ابراهيم الى السلطان أيام التشريق من سنة سبع
وخمسين اعتزم على الحركة الى افريقية واضطرب بمعسكره بساحة البلد
الجديد وبعث فى الحشد الى مراكش وأوعز الى بنى مرين بأخذ الاهبة للسفر
وجلس للعطاء والاعتراض من لدن وصول الخبر اليه الى شهر ربيع من سنة ثمان
وخمسين ثم ارتحل من فاس وسرح فى مقدمته وزيره فارس بن ميمون فى العساكر
وسار فى ساقته على التعبية الى أن احتل بجاية وتلوم لازاحة العلل ونازل الوزير
قسنطينة ثم جاء السلطان على اثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بعساكره ذعر
أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الاذعان وانفضوا من حول سلطانهم مهطعين الى
السلطان وتحيز صاحب البلد فى خاصته الى القصبة ووصل أخوه المولى الفضل فطلب
الامان فبذله السلطان لهم وخرجوا وأنزلهم بعسكره أياما ثم بعث بالسلطان
فى الاسطول الى سبتة فاعتقله بها الى أن كان من أمره ما نذكره بعد وعقد على قسنطينة
لمنصور ابن الحاج خلوف البابانى من مشيخة بنى مرين وأهل الشورى منهم وأنزله
بالقصبة فى شعبان من سنته ووصل اليه بمعسكره من ساحة قسنطينة بيعة يحيى بن علول
صاحب توزر وبيعة على بن الخلف صاحب نفطة ووفد ابن مكى مجددا طاعته ووصل اليه
أولاد مهلهل أمراء الكعوب وأقتال بنى أبى الليل يستحثونه لملك تونس فسرح معهم
العساكر وعقد عليهم ليحيى بن رحو بن تاشفين وبعث الاسطول فى البحر مددا لهم وعقد
عليهم للرئيس محمد بن يوسف الابكم وساروا الى تونس وأخرج الحاجب أبا محمد بن
تافراكين سلطانه أبا اسحق ابن مولانا السلطان أبى يحيى مع أولاد أبى الليل وجهز معه
العساكر لما أحس بقدوم عساكر السلطان ووصل الاسطول الى مرسى تونس فقاتلهم
يوما أو بعض يوم وركب الليل الى المهدية فتحصن بها ودخل أولياء السلطان الى تونس
فى رمضان من سنة ثمان وخمسين وأقاموا بها دعوته واحتل يحيى بن رحو بالقصبة
وأنفذ الاوامر وكتبوا الى السلطان بالفتح ونظر السلطان بعد ذلك فى أحوال ذلك
وقبض أيدى العرب من رياح عن الاتاوة التى يسمونها الخفارة فارتابوا وطالبهم
بالرهن فأجمعوا على الخلاف فأرهف بهم حده و يعقوب بن على أميرهم
فخرج معهم ولحقوا معا بالزاب وارتحل فى اثرهم وسار
يوسف بن مزنى عامل الزاب بعض الطريق أمامه حتى نزل ببسكرة ثم ارتحل الى طواقة

فتقبض على مقدمها عبد الرحمن بن أحمد بن باشادة بن مزنى وخرب حصون يعقوب
ابن على وأجفلوا الى القفر أمامه ورجع عنهم وحسن له ابن مزنى جباية الزاب بعد أن
ردّ عامة معسكره بالقرى من الادم والحنطة والحلان والعلوفة ثلاث ليال
فى ذلك وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم
ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس وضاق ذرع العساكر بشأن
النفقات والابعاد فى المذهب وارتكاب الخطر فى دخول افريقية فتمشت رجالاتهم
فى الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وأذن
المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل فى اللحاق بالمغرب حتى يفردوا وأنهى
الى السلطان انهم تآمروا فى قتله ونصب ادريس بن أبى عثمان بن أبى العلاء للأمر
فأسرها فى نفسه ولم يبدها لهم ورأى قلة من معه من العساكر وعلم بانفضاضهم فكرّ
راجعا الى المغرب بعد أن ارتحل عن قسنطينة مرحلتين الى الشرق وأغذ السير الى
فاس واحتل بها غرة ذى الحجة من سنته وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون
اتهمه بمداخلة بنى مرين فى شأنه وقتله رابع أيام التشريق قعصا بالرماح وتقبض
على مشيخة بنى مرين فاستلحمهم وأودع منهم السجن وبلغ الى الجهات خبر
رجوعه من قسنطينة الى المغرب فارتحل أبو محمد بن تافراكين من المهدية الى تونس
ولما أطل عليها ثار شيعته بالبلد على من كان بها من عساكر السلطان وخاضوا الى
السفين فلجؤوا الى المغرب وجاء على أثرهم يحيى بن رحو بمن معه من العساكر من أولاد
مهلهل كان بناحية الجريد لاقتضاء جبايته واجتمعوا جميعا بباب السلطان وأرجأ
حركته الى العام القابل فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية) *

لما رجع السلطان من افريقية ولم يتم فتحها بقى فى نفسه منها شئ وخشى على ضواحى
قسنطينة من يعقوب بن على ومن معه من الزواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى
سليمان بن داود من مكانه بثغور الاندلس وعقد له على وزارته وسرحه فى العساكر الى
افريقية فارتحل اليها فى ربيع من سنة تسع وخمسين وكان يعقوب بن على لما كشف
وجهه فى الخلاف أقام السلطان مكانه أخاه ميمون بن على منازعه وقدمه على أولاد محمد
من الزواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو والضواحى ونزع اليه عن أخيه يعقوب
الكثير من قومهم وتمسك بطاعة السلطان طوائف من أولاد سباع بن يحيى وكبيرهم
يومئذ عثمان بن يوسف بن سليمان فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا على معسكره بحللهم
وارتحل السلطان فى اثره حتى احتل بتلمسان فأقام بها لمشارفة أحواله منها واحتمل

الوزير سليمان بوطن قسنطينة وأغذ السير الى عامل الزاب يوسف بن مزنى بأن تكون بذمعته وأن يأمره فى أحوال الزواودة لرسوخه فى معرفتها فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أوراس واقتضوا جباياته ومغارمه وشردوا المخالفين من الزواودة عن العيث فى الوطن فتم غرضهم من ذلك وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افريقية من آخر مجالات رياح وانكفأ راجعا الى المغرب ووافى السلطان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم العطاء بالزاب وكتب لهم به وانقلبوا الى أهلهم ووفد على اثرهم أحمد ابن يوسف بن مزنى أوفده أبوه بهدية السلطان من الخيل والرقيق والرزق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته وأنزله واستصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته ويستبلغ فى الاحتفاء به واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنة تسع وخمسين والله أعلم

الخبر عن مهلك السلطان أبى عنان ونصب السعيد للأمر باستبداد الوزير حسن بن عمر فى ذلك

لما وصل السلطان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدى العيد الاكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الاضحى أدركه المرض وأعجله طائف الوجع عن الجلوس يوم العيد على العادة فدخل الى قصره ولزم فراشه واستبد به وجعه وأطاف به النساء يمرضنه وكان ابنه أبو زيان ولى عهده وكان وزيره يحيى بن موسى القنونى من صنائع دولتهم وأبناء وزرائهم قد عقد له السلطان على وزارته واستوصاه به فتعجل الامر وداخل رؤس بنى مرين فى الانحياش الى أمرهم والفتك بالوزير الحسن بن عمر وداخله فى ذلك عمر بن ميمون لعداوة بينهما وبين الوزير فخشيهما الحسن بن عمر على نفسه وفاوض عليه أهل المجلس بذات صدره وكانت نفرتهم عن ولى العهد مستحكمة لما أبلوا من سوء خلقه وشر ملكته فاتفقوا على تحويل الامر عليه ثم نمى اليهم أن السلطان مشرف على الهلكة لامحالة وأنه موقع بهم من قبل مهلكه فأجمعوا أمرهم على الفتك به والبيعة لاخيه السعيد طفلا خماسيا وباكروا دار السلطان فتقبضوا على وزيره موسى بن عيسى وعمر بن ميمون فقتلوهما وجلسوا للبيعة وأغروا وزيره مسعود بن رحو بن ماسى بالتقبض على أبى زيان من نواحى القصر فدخل اليه وتلطف فى اخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه فبايع وتل الى بعض حجر القصر فأتلف فيه مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين لذى الحجة من سنة تسع وخمسين والسلطان أثناء ذلك على فراشه يجود بنفسه وارتقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفشا الكلام وارتاب الجماعة فأدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من بيته من غطه حتى أتلفه

ودفن يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للأمر وأغلق عليه بابه وتفرد بالامر والنهي دونه ولحق عبد الرحمن ابن السلطان أبي عنان بجبل الكاى يوم بيعة أخيه وكان أسن منه وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن ماسى من وزارته فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الامان وجاء به الى أخيه فاعتقله الحسن بالقصبة من فاس وبعث على أبناء السلطان الاصاغر الامراء بالثغور رخاء المعتصم من سجلماسة وامتنع المعتمد بمراكش وكان بها في كفالة عامر بن محمد الهنتاتي استوصاه به السلطان وجعله هنالك لنظره فمنعه من الوصول وخرج به من مراكش الى معقله من جبل هنتاتة وجهز الوزير العساكر لمحاربته ولم يزل هنالك الى أن استنزله عمه السلطان أبو سالم عند استيلائه على ملك المغرب كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن تجهيز العساكر الى مراكش ونهوض الوزير سليمان بن داود لمحاربة عامر بن محمد

كان عامر بن محمد بن علي شيخ هنتاتة من قبائل المصامدة وكان السلطان يعقوب قد استعمل أباه محمد بن علي على جباياتهم والسلطان أبو سعيد استعمل عمه موسى بن علي وربي عامر هذا في كفالة الدولة وصار في جملة السلطان الى افريقية وولاه السلطان أحكام الشرطة بتونس ولما ركب البحر الى المغرب أركب حرمه وحظاياه في السفن وجعلهم الى نظر عامر بن محمد وأجاز البحر الى الاندلس وبلغهم غرق السلطان أبي الحسن وعسكره فأقام بهم بمكانه من المدية ودعى للسلطان أبي عنان فلم يجب داعيه وفاء ببيعة أبيه حتى اذا هلك السلطان أبو الحسن بدارهم بالجبل دعاه لهم السلطان أبو عنان وأحسن نزله ثم عقد له على جباية المصامدة سنة أربع وخمسين وبعثه له من تلمسان فاضطلع بهذه الولاية وأحسن الغناء فيها والكفاية عليها حتى كان السلطان أبو عنان يقول وددت لو أصبت رجلا يكفيني ناحية المشرق من سلطاني كما كفاني عامر بن محمد ناحية المغرب وأتودع ونافسه الوزراء في مقامه ذلك عند السلطان ورتبته وانفرد الحسن بن عمر آخر الامر بوزارة السلطان واشتدت منافسته وانتهت الى العداوة والسعاية وكان السلطان بين يدي مهلكه ولى أبناءه الاصاغر على أعمال ملكه فعقد لابنه محمد المعتمد على مراكش واستوزر له وجعله الى نظر عامر واستوصاه به فلما هلك السلطان واستقل الحسن بن عمر بالامر ونصب السعيد للملك استقدم الابناء من الجهات فبعث عن المعتمد من مراكش فأبى عليه عامر من الوفادة عليهم وصعد به الى معقله من جبل هنتاتة وبلغ الحسن بن عمر خبره فجهز اليه العساكر وأزاح عللهم وعقد على حربه للوزير سليمان بن داود مساهمه في القيام بالامر وسرحه في المحرم سنة ستين وسبعمائة فأغذ السير الى

مراكش واستولى عليها وصعد الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر وطاول منازلته وأشرف على اقتحام معقله الى أن بلغه خبر افتراق بنى مرين وخروج منصور بن سليمان من أعياص الملك على الدولة وأنه منازل للبلد الجديد فانفض العسكر من حوله وتسابقوا الى منصور بن سليمان فلحق به الوزير سليمان بن داود وتنفس الحصار عن عامر الى أن استولى السلطان أبو سالم على ملك المغرب فى شعبان من سنة ستين واستقدم عامرا والمعتمد ابن أخيه من مكانهم بالجبل فتقدم عليه وأسلمه اليه كما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن ظهور أبى حمو بنواحى تلمسان وتجهيز العساكر لمدافعته ثم تغلبه وما تخلل ذلك }

كان ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن هؤلاء أربعة كما ذكرناه فى أخبارهم وكان يوسف كبيرهم وكان سكوتا منتحلا لطرق الخير لا يريد علوا فى الارض ولما هلك أخوه عثمان بتلمسان عقد له على هنين وكان ابنه يوسف بن موسى مستقبلا مذهبه فى السكوت والدعة ومجانبة أهل الشر ولما تغلب السلطان أبو عنان عليهم سنة ثلاث وخمسين وفر أبو ثابت الى قاصية المشرق واعترضهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم مشوا على أقدامهم وانتبذ أبو ثابت وأبو زيان ابن أخيه أبى سعيد وموسى ابن أخيه يوسف ووزيرهم يحيى بن داود ناحية عن قومهم وسلكوا غير طريقهم وتقبض على أبى ثابت ويحيى بن داود ومحمد بن عثمان وخلص موسى الى تونس فنزل على الحاجب محمد بن تافراكين وسلطانه خير نزل وأجازهم مع فل من قومه خلصوا اليهم وأسنوا جرايتهم وبعث السلطان أبو عنان فيهم الى ابن تافراكين فأبى من اسلامهم وجاهر باجارتهم على السلطان ولما استولت عساكر السلطان على تونس وأجفل عنها سلطانها أبو اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبى يحيى خرج موسى بن يوسف هذا فى جملته ولما رجع السلطان الى المغرب صمد المولى أبو اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبى يحيى وابن أخيه المولى أبى زيد صاحب قسنطينة مع يعقوب بن على وقومه من الزواودة الى منازلة قسنطينة وارتجاعها وسار فى جملتهم موسى بن يوسف هذا فيمن كان عنده من زناتة قومه وكان بنو عامر من زغبة خارجين على السلطان أبى عنان منذ غلبه بنو عبد الواد على تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم ملحقا بافريقية فى قومه ونزلوا على يعقوب بن على وجاوروه بحللهم وظعنهم فلما أفرجوا عن قسنطينة بعد امتناعها واعتزم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب دعوا موسى ابن يوسف هذا الى الرحلة معهم لينصبوه للامر ويجلبوا به على تلمسان لتخلية الموحدين

سبيله وأعانوه بما اقتدروا عليه لوقتهم وعلى حال سفرهم من آلة وفساطيط وارتحل مع بني عامر وارتحل مع صولة بن يعقوب بن علي وزيان بن عثمان بن سباع من أمراء الزواودة وصغار بن عيسى في حلل من سعيد احدى بطون رياح وأغذوا السير الى المغرب للعيث في نواحيه وجمع لهم أقيالهم من سويد أولياء السلطان والدولة والتقوا بقبلة تلمسان فانهزمت سويد وهلك عثمان بن ونزمار كبيرهم وكان مهلك السلطان في خلال ذلك ولما اتصل الخبر بوفاة السلطان بالمغرب أغذوا السير الى تلمسان وملكوا ضواحيها وجهز الحسن بن عمر لها عسكرا عقد عليه وعلى الحامية الذين بها السعيد بن موسى الجلي من صنائع السلطان وسرحه اليها وسار في جملته أحمد بن مزني فاصلا الى عمله بعد أن وصله وخلع عليه وحمله وسار سعيد بن موسى في العساكر الى تلمسان واحتل بها في صفر من سنة ستين وزحف اليه جموع بني عامر وسلطانهم أبو حمو موسى بن يوسف فغلبوهم على الضاحية وأحجزوهم بالبلد ثم ناجزوهم الحرب أياما واقتحموها عليهم لليال خلون من ربيع واستباحوا من كان بها من العسكر وامتلأت أيديهم من أسلابهم ونهابهم وخلص سعيد بن موسى بابن السلطان الى حلة صغير بن عامر فأجاره ومن جاء على اثره من قومه وأوفد برجالات من بني عامر ينصبون له الطريق أمامه الى أن أبلغوه مأمنه من دار ملكهم واستولى أبو حمو على ملك تلمسان واستأثر بالهدية التي ألفى بمودعها كان السلطان أبتناها وبعث بها الى صاحب برشلونة ابن القمط وبعث اليه فيها بفرس أدهم من مقرباته بمركب ولجام مذهبين ثقيلين فاتخذ أبو حمو ذلك الفرس لركوبه وصرف الهدية في مصارفه ووجوه مذاهبه والله غالب على أمره

(الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماسي الى تلمسان وتغلبه عليها ثم انتقاضه ونصبه سليمان بن منصور للامر)

لما بلغ الوزير الحسن بن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي حمو عليها جمع مشيخة بني مرين وأمرهم بالنهوض اليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه وأشاروا بتجهيز العساكر ووعدوه مسيرهم كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال وأسنى الصلات وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ثم عقد عليهم لمسعود بن رحو بن ماسي وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار في الالوية والعساكر وكان في جملته منصور بن سليمان بن منصور بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق وكان الناس يرجفون بأن سلطان المغرب صائر اليه بعد مهلك أبي عنان وشاع ذلك على ألسنة الناس وذاع وتحدث به السمر والندمان وخشي منصور على نفسه لذلك فجاء الى الوزير الحسن وشكا اليه ذلك فانتهره أن يختلج بفكره هذا الوسواس انتهارا خلا من وجه السياسة فازدجر واقتصر ولقد شهدت

هذا الموطن ورحمت ذلة انكساره وخضوعه فى موقفه وزحف الوزير مسعود
فى التعبية وأفرج أبو حمو عن تلمسان ودخلها مسعود فى ربيع الثانى واستولى عليها
وخرج أبو حمو الى الصحراء وقد اجتمعت عليه جموع العرب من زغبة والمعقل ثم
خالفوا بنى مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللهم وظواعنهم وجهز اليهم مسعود بن
رحو عسكرا من جنوده انتقى فيه مشيخة بنى مرين وأمراءهم وعقد عليهم لعامر بن
عمه عبو بن ماسى وسرحهم فزحفوا اليه بساحة وجدة وصدقهم العرب الحملة
فانكشفوا واستبيح معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيلهم ودخلوا الى
وجدة عراة وبلغ الخبر الى بنى مرين بتلمسان وكان فى قلوبهم مرض من استبداد الوزير
عليهم وحجره لسلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة فلما بلغ الخبر وماص الناس لها حيصة
الحمر خلص بعضهم نجيا بساحة البلد واتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان ابن
السلطان أبى يعقوب فبايعوه وانتهى الخبر الى الوزير مسعود بن رحو وكان
السلطان منصور بن سليمان فأكرهه على البيعة وبايعه معه الرئيس الابكم من بنى الاحمر
وقائد جند النصارى الفهردور وتسايل اليه الناس وتسامع الملأ من بنى مرين بالخبر
فتهاووا اليه من كل جانب وذهب يعيش بن أبى زيان لوجهه فركب البحر وخلص الى
الاندلس وانعقد الامر لمنصور بن سليمان واحتمل بنى مرين على كلمته وارتحل بهم
من تلمسان يريد المغرب واعترضهم جموع العرب فى طريقهم فأوقعوا بهم وامتلأت
أيديهم من أسلابهم وظعنهم وأغذوا السير الى المغرب واحتلوا بسبو فى منتصف
جمادى الاخيرة وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فاضطرب معسكره بساحة البلد وأخرج
السلطان فى الآلة والتعبية الى أن أنزله بفسطاطه ولما غشيهم الليل انفض عنه الملأ
الى السلطان منصور بن سليمان فأوقد الشموع وأذكى النيران حوالى الفسطاط وجمع
الموالى والجند وأركب السلطان ودخل الى قصره وانحجر بالبلد الجديد وأصبح
منصور بن سليمان فارتحل فى التعبية حتى نزل بكدية العرائس فى الثانى والعشرين
لجمادى الاخيرة واضطرب معسكره بها وغدا عليها بالقتال وسد عليها المجالات وامتنعت
يومها ثم جمع الايدى على اتخاذ الآلات للحصار واجتمعت اليه وفود الامصار بالمغرب
للبيعة ولحقت به كتائب بنى مرين التى كانت مجمرة بمراكش لحصار عامر مع الوزير
سليمان بن داود فاستوزره وأطلق عبد الله بن على وزير السلطان أبى عنان من معتقله
بسبتة فخلص منه خلوص الابريز بعد السبك وأمر منصور بن سليمان بتسريح
المسجون فخرج من كان بها من دعار بجاية وقسنطينة وكانوا معتقلين من لدن استيلاء
السلطان أبى عنان على بلادهم وانطلقوا الى مواطنهم وأقام على البلد الجديد يغاديها

القتال وبراوحها ونزع عنه الى الوزير الحسن بن عمر طائفة من بنى مرين ولحق آخرون ببلادهم وانتقضوا عليه ينتظرون مآل أمره ولبث على هذه الحال الى غرة شعبان فكان من قدوم السلطان أبى سالم لملك سلفه بالمغرب واستيلائه عليه ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن نزول المولى أبى سالم بجبال غمارة واستيلائه على ملك المغرب ومقتل منصور بن سليمان

كان السلطان أبو سالم بعد مهلك أبيه واستقراره بالاندلس وخروج أبى الفضل بالسوس لطلب الامر ثم ظفر السلطان أبى عنان به ومهلكه كما ذكرناه قد توادع وسكن ثم لما هلك سلطان الاندلس أبو الحجاج سنة خمس وخمسين يوم الفطر بمصلى العيد طعنه أسود مدسوس كان ينسب الى أخيه محمد من بعض اماء قصرهم ونصبوا للامر ابنه محمدا وحجبه مولاه رضوان واستبد عليه وكان للسلطان أبى عنان اعتزاز كما ذكرناه وكان يؤمل ملك الاندلس وأوعز اليهم عندما طرقه طائف المرض سنة سبع وخمسين أن يبعثوا اليه طبيب دارهم ابراهيم بن زرزار الذمى وامتنع من ذلك اليهودى واعتذر وردوه فتنكر لهم السلطان ولما وصل الى فاس من فتح قسنطينة وافريقية تقبض على وزيره والمشيخة وقتلهم تجنيا عليهم اذ لم يبادروا السلطان بنفسه أو حاجبه للتهنئة وأظلم الجو بينهم واعتزم على النهوض اليهم وكانوا متحاشين بالجملة الى الطاغية بطرة بن أدفونش صاحب قشتالة منذ مهلك أبيه الهنشة على جبل الفتح سنة احدى وخمسين ثم استبد رضوان على الدولة بعد مهلك أبى الحجاج فكانت له ساعية اليه ظاهرها النظر للمسلمين بمسالمة عدوهم وكان السلطان أبو عنان يعتقد ذلك عليهم وعلم أنه لا بد أن يمدهم بأساطيله ويدافعوه عن الاجازة اليهم وكان بين الطاغية بطرة وبين قمص برشلونة فتنة هلك فيها أهل ملتهم فصرف السلطان قصده الى قمص برشلونة وخاطبه فى اتصال اليد على ابن ادفونش واجتمع أسطول المسلمين وأسطول النصارى القمص بالزقاق وضربوا لذلك الموعد وأتحفه السلطان بهدية سنية من متاع المغرب وماعونه ومركب ذهبى صنيع ومقرب من جياده فبلغت تلمسان وهلك قبل وصولها الى محلها ولما هلك السلطان أبو عنان اتهل اخوه المولى أبو سالم ملك أخيه وطمع فى مظاهرة أهل الاندلس له على ذلك لما كان بينهم وبين أخيه واستدعاه أشياع من أهل المغرب ووصل البعض منهم اليه بمكانه من غرناطة وطلب الاذن من رضوان فى الاجازة فأبى عليه فأحفظه ذلك ونزع الى ملك قشتالة متطارحا بنفسه عليه أن يجهز له الاسطول للاجازة الى المغرب فاشترط عليه وتقبل شرطه وأجازه فى أسطوله الى مراكش فامتنع عامر من قبوله لما كان فيه من

التضييق والحصار بحضرة سليمان بن داود كما ذكرناه فانكفأ راجعا على عقبه فلما حاذى طنجة وبلاد غمارة ألقى بنفسه اليهم ونزل من الصفيحة من بلادهم واشتملت عليه قبائلهم وتسايلوا اليه من كل جانب وبايعوه على الموت وملك سبتة وطنجة وبها يومئذ السلطان أبو العباس بن أبي حفص صاحب قسنطينة لحق بها بعد الخروج من اعتقاله بسبتة كما ذكرناه فاختصه المولى أبو سالم بالصحبة والخلة والبواء في اقترابه ذلك الى أن استولى على ملكه وألقى بطنجة الحسن بن يوسف الورتاجني وكاتب ديوان الجند أبا الحسن بن علي بن السعود والشريف أبا القاسم التلمساني كان منصور بن سليمان ارتاب بهم واتهمهم بمداخلة الوزير الحسن بن عمر بمكانه من البلد الجديد فصرفهم من معسكره الى الاندلس فوافوا الامير أبا سالم عند استيلائه على طنجة فصاروا الى ايالته واستوزر الحسن بن يوسف واستكتب لعلامته أبا الحسن علي بن السعود واختص الشريف بالمجالسة والمراكبة ثم قام أهل الثغور الاندلسية بدعوته وأجاز يحيى بن عمر صاحب جبل الفتح بمن كان معه من العسكر وطالت المولى أبي سالم واتسع معسكره وبلغ الخبر الى الثائر على البلد الجديد منصور بن سليمان فجهز عسكرا لدفاعه وعقد عليه لاخويه عيسى وطلحة وأنزلهما قصر كتامة وقاتلوه فهزموه واعتصم بالجبل وبادر الحسن بن عمر من وراء الجدران فبعث طاعته اليه ووعده بالتمكين من دار ملكه وداخل بعض أشياع المولى أبي سالم مسعود بن رحو بن ماسي وزير منصور في النزوع الى السلطان وكان قد ارتاب بمنصور وابنه علي فنزع وانفض الناس من حول منصور وتخاذل أشياعه من بني مرين ولحق بباديس من سواحل المغرب ومشى أهل العسكر بأجمعهم في ساقاتهم ومواكبهم على التعبية فلحقوا بالسلطان أبي سالم واستعدوه الى دار ملكه فأغذ السير وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الامر لتسعة أشهر من خلافته وأسلمه الى عمه وخرج اليه فبايعه ودخل السلطان الى البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين واستولى على ملك المغرب وتوافت وفود النواحي بالبيعات وعقد للحسن بن عمر على مراكش وجهزه اليها بالعساكر لينة بمكانه واستوزر مسعود بن رحو بن ماسي والحسن بن يوسف الورتاجني واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل الى مؤلف هذا الكتاب توقيعه وكتابة سره وكنت نزعت اليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرايس لما رأيت من اختلال أحواله ومصير الامر الى السلطان فأقبل علي وأنزلني بمحل التنويه واستخلصني لكتابته واستوسق أمره بالمغرب وتقبض شيعة السلطان بباديس على منصور بن سليمان وابنه علي وقادوهم مصفدين الى سدته وأحضرهم ووبخهم وجنبوا الى مصارعهم فقتلوا

قصبا الرماح آخر شعبان من سنته وجمع الابناء والقرابة المرشحين من ولد أبيه وأشخصهم الى رندة من ثغورهم بالاندلس ووكل بهم من يحرسهم ونزع محمد ابن أخيه أبو عبد الرحمن منهم الى غرناطة ثم لحق منها بالطاغية واستقر لديه حتى كان من تملكه المغرب ما نقصه ان شاء الله تعالى وهلك الباقون غرقا بالبحر بايعاز السلطان بذلك بعد مدة من سلطانه أركبهم السفن الى المشرق ثم غرقهم وخلص الملك من الخوارج والمنازعين واستوسق له الامر والله غالب على أمره واحتفل السلطان فى كرامة مولانا السلطان أبى العباس وأشاد ببره وأوعز الى عامر بن فتح الله وزير أبيه لنزله ومهد له المجلس لضيق أريكته ووعده بالمظاهرة على ملكه الى أن بعثه من تلمسان عند استيلائه عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان)

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ونصب ابنه محمد للامر واستبد عليه رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته فلما عدلوا بالامر عنه حجبوه ببعض قصورهم وقد كان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل ابن الرئيس أبى سعيد فى شقيقته فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره حتى أمكنته فرصة فى الدولة فخرج السلطان الى بعض منتزهاته برياضه فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين من رمضان من سنة ستين فى بعض أوشاب جمعهم من الطعام لثروته وعمد الى دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبناته وقربوا الى اسمعيل فرسه فركب فأدخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من مكانه بمنتزهه الى وادى آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالسلطان المولى أبى سالم فامتعض لهلك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له فى جوارهم وأزعج خطيبه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقلاله فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل الدولة على اجازة المخلوع من وادى آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول أمرهم لما كان رديفا للحاجب رضوان وركنا للدولة المخلوع فأوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فأطلقوه ولحق الرسول أبو القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للاجازة الى المغرب وأجاز لذى القعدة من سنته وقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس ملكه وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعامة ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد السلطان قصيدته الرائقة يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على أمره واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة

سلا هل لديها من مخبرة ذكر * وهل أعشب الوادي ونمّ به الزهر
وهل باكر الوسمي دارا على اللوى * عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى * بأكنافها والعيش فينان مخضر
وجوي الذي ربى جناحي وكره * فها أنا ذا مالي جناح ولا وكر
نبت بي لا عن جفوة وملالة * ولا نسخ الوصل الهنيّ لها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها * ولذاتها دأبا تزور وتزورّ
فمن لي بنيل القرب منها ودوننا * مدى طال حتى يومه عندنا شهر
ولله منها منزل آنا وللأسى * ضرام له في كل جانحة جمر
وقد بددت درّ الدموع يد النوى * وللبين أشجان يضيق لها الصدر
ركبنا على النهر السرور عشية * فعاد أجاجا بعد ما ذلك النهر
أقول لأظعاني وقد عالها السرى * وآنسها الحادي وأوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسر فأبشري * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
وان تجن الايام لم تجن النهى * وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركتني الخطوب بحربها * نقيبا تساوى عنده الحلو والمرّ
فقد عجمت عودا صليبا مقوّما * وعزما كما تمضي المهندة البتر
اذا أنت بلغتها قربت منزلي * فلا النعم حلّ ما جنيت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم ملء همومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من آل يعقوب كلما * دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه * فلما رأته صدّق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لذّ مذاقه * ولم يتعقب مدّه أبدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى * وترفل في أذياله الفتنة البكر
أطاعته حتى العصم في قنن الربا * وهشت الى تأميله الأنجم الزهر
قصدناك يا مولى الملوك على النوى * لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الأيام عن غلوائها * وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرف الردى * ولذنا بذاك العز فانهزم الشرّ
ولما أتينا البحر يرهب موجه * ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها * فإيمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدي المدح قصد صوابه * اذا ضل في أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المسلمين وأخلصت * وقد طاب منها السرّ لله والجهر

ومدّت الى الله الاكف ضراعة * فقال لهن الله قد قضي الامر
وألبسها النعمى ببيعتك التى * لها الطائر الميمون والمحتد الحر
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفتر
وأمنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا ضيمة تعدو ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبوك مصرّحا * بأنك فى أولاده الولد البرّ
وقد كنت حقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
فأوحشت من دار الخلافة أهلها * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
وردّ عليك الله حقك اذ قضي * بأن تشمل النعمى وينسدل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى تدعى اذا دهم الردى * وأنت الذى ترجى اذا أخلف القطر
وأنت اذا جار الزمان بحكمه * لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * كسير ومن عليائك يلتمس النصر
غريب يرجى منك ما أنت أهله * فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر
فعد يا أمير المؤمنين لبيعة * موثقة قد حل عقدتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا * بآل حنين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق للحق ثاره * ففى ضمن ما تأتى به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال مالك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر المجر
يكف بك العادى ويحيا بك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
أعده الى أوطانه عنك ثانيا * وقلده نعماك التى مالها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدهم منك التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها عناك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤدك كفله * سوى أنه عرض له فى العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة * ترد ولكن الثناء هو العمر
ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبقيه يا مالك العلا * جياد المذاكى والمحجلة الغر
ورادوشقر واضحات شياتها * فأجسامها تبر وأرجلها درّ
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مطهمة غارت بها الانجم الزهر

وآساد رجال من مرين أعزة * عمائمها بيض وآسالها سمر
عليهم من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا أعطوا وان نوزعوا سطوا * وان وعدوا وفوا وان عاهدوا بروا
وان سمعوا العوراء فروا بأنفس * كرام على هاماتها فى الورى البر
وان مدحوا اهتزوا ارتياحا كأنهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم * وما بين قضب الدوح يبتسم الزهر
أمولاى غاضت فكرتى وتبلدت * طباعى فلا طبع يعين ولا فكر
ولولا حنان منك داركتنى به * وأحييتنى لم يبق عين ولا أثر
فأوجدت منى فائتا أى فائت * وأنشرت ميتا ضم أشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه * بأهل فحل اللطف وانشرح الصدر
وطوقتنى النعما المضعفة التى * يقل عليها منى الحمد والشكر
وأنت بتتميم الصنائع كافل * الى أن يعود العز والجاه والوفر
جزاك الذى أسنى مقامك رحمة * تفك بها العانى وتنفس مضطر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحة * فهيهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه * ومن بذل المجهود حق له العذر

ثم انقضى المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتب الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطانته من الصنائع وانحفظ عليه رسم سلطانه فى الركب والرجل ولم يفقد من القاب ملكه الا الاداة أدبا مع السلطان واستقر فى جملته الى أن كان من لحاقه بالاندلس وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الحسن بن عمر وخروجه بتادلا وتغلب السلطان عليه ومهلكه)

لما فصل الوزير الحسن بن عمر الى مراكش واستقر بها تأثل له بها سلطان ورياسة نفسها أهل مجلس السلطان وسعوا فى تنكر السلطان له حتى أظلم الجو بينهما وشعر الوزير بذلك فارتاب بمكانه وخشى بادرة السلطان على نفسه وخرج من مراكش فى شهر صفر من سنة احدى وستين فلحق بتادلا منحرفا عن الطاعة مرتكبا أمره وتلقاه بنو جابر من جشم واعصوصبوا عليه وأجاروه وجهز السلطان عساكره الى حربه وعقد عليها الوزير الحسن بن يوسف وسرحه اليه فاحتل بتادلا ولحق الحسن بن عمر بالجبل واعتصم به مع الحسين بن على الوردبغى كبيرهم وأحاطت بهم العساكر وأخذوا بمخنقهم وداخل الوزير

بعض أهل الجبل من صنا كة فى الثورة بهم وسرّب اليهم المال فثاروا بهم وانفض جمعهم وتقبض على الحسن بن عمر وقاده برمّته الى عسكر السلطان فاعتقله الوزير وانكفأ راجعا الى الحضرة وقدم بها على السلطان فى يوم مشهود استركب السلطان فيه العسكر وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد لاعتراض عساكره وحمل السلطان الحسن بن عمر على جمل طيف به بين أهل ذلك المحشر وقرّب الى مجلس السلطان فأومأ الى تقبيل الارض فوق جمله وركب السلطان الى قصره وانفض الجمع وقد شهروا وصاروا عبرة من عبر الدنيا ودخل السلطان قصره فاقتعد أريكته واستدعى خاصته وجلساءه وأحضره فوبخه وقرّر عليه مرتكبه فتاوى بالمعاذير وفزع الى الانكار وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من العلية والخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وعبرة ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصى وتل الى محبسه وقتل لايال من اعتقاله قعصا بالرماح بساحة البلد ونصب شلوه بسور البلد عند باب المحروق وأصبح مثلا فى الآخرين

(الخبر عن وفد السودان وهديتهم واغرابهم فيها بالزرافة)

كان السلطان أبو الحسن لما أهدى الى ملك السودان منسا سليمان بن منسا موسى هديته المذكورة فى خبره اعتمل فى مكافأته وجمع لهاداته من طرف أرضه وغرائب بلاده وهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك ووصلت الهدية الى أقصى ثغورهم من الارض وهلك منسا سليمان قبل فصولها واختلف أهل مالى وافترق أمرهم وتواثب ملوكهم على الامر وقتل بعضهم بعضا وشغلوا بالفتنة حتى قام فيهم منسا زاطة واستوسق له أمرهم ونظر فى اعطاف ملكه وأخبر بشان الهدية وانها بوالات فأمر بانفاذها الى ملك المغرب وضمّ اليها حيوان الزرافة الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا الى فاس فى صفر من سنة اثنتين وستين وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان ببرج الذهب مجلس العرض ونودى فى الناس بالبروز الى الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا فى الازدحام على الزرافة اعجابا بخلقتها وأنشد الشعراء فى معرض المدح والتهنئة ووصف الحال وحضر الوفد بين يدى السلطان وأدّوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن ابطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالى وتواثبهم على الامر وتعظيم سلطانهم وما صار اليه والترجمان يترجم عنهم وهم يصدّقونه بالنزع فى أوتار قسيهم عادة معروفة لهم وحيوا السلطان يحثون التراب على رؤسهم على سنة ملوك العجم ثم ركب السلطان وانفض ذلك الجمع وقد طار به الذكر

واستحثوا ذلك الوزير ... السلطان وبقدوم ... وهلك السلطان قبل انصرافهم فوهلهم للقائم بالأمر من بعده وافترقوا الى مراكش وأجازوا منها الى ذوي حسان عرب المعقل من السوس المتصلين ببلادهم ولحقوا من هنالك بسلطانهم والامر لله وحده

الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وايثار أبي زيان حافد أبي تاشفين بملكها وما كان مع ذلك من صرف أمراء الموحدين الى بلادهم

لما استقل السلطان بملك المغرب سنة ستين كما ذكرناه وكان العامل على درعة عبد الله بن مسلم الزردالي من احلاف بني عبد الواد وشيعة أبي زيان اصطنعه السلطان أبو الحسن عند تغلبه على تلمسان واستعمله أبو عنان بعد ذلك على بلاد درعة كما ذكرناه وتأكد المكر بأبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن حين خروجه على أخيه السلطان أبي عنان بجبل ابن حميدي فارتاب عند استقلال المولى أبي سالم بالامر وخشي بادرته لما رآه من حقده عليه بسبب أخيه أبي الفضل لما كان بينهما من لحمة الاغتراب فداخل بطانته من عرب المعقل واحتمل ذخائره وأمواله وأهله وقطع القفر الى تلمسان ولحق بالسلطان أبي حمو آخر سنة ستين فنزل منه خير نزل وعقد له حين وصوله على وزارته وباهى به ومكانه وفوض اليه في التدبير والحل والعقد فشمر عن ساعده في الخدمة وجاء بعرب المعقل من مواطنهم رغبة في ولايته وايثارا لمكانته من الدولة ورهبة من سلطان المغرب لما كانوا ارتكبوه من موافقة بني مرين مرة بعد أخرى فاستقروا بتلمسان وانحاشوا جميعا الى بني عبد الواد وبعث السلطان أبو سالم الى أبي حمو في شأن عاملهم عبد الله بن مسلم فلم يرجع له جوابا عنه وحضر عليه ولاية المعقل أهل وطنه فلج في شأنهم فأجمع السلطان أمره على النهوض اليهم واضطرب بمعسكره بساحة البلد وفتح ديوان العطاء ونادى في الناس بالنفير الى تلمسان وأزاح العلل وبعث الحاشدين من وزرائه الى مراكش فتوافت حشود الجهات وفصل من فاس في جمادى من سنة احدى وستين وجمع أبو حمو من في ايالته وعلى التشيع لدولته من زناتة والعرب بني عامر والمعقل كافة ما عدا العمارنة كان أميرهم الزبير بن طلحة متحيزا الى السلطان واجفلوا عن تلمسان وخرجوا الى الصحراء ودخل السلطان الى تلمسان ثالث رجب وخالفه أبو حمو وأشياعه الى المغرب فنزلوا كرسيف بلد وترمار بن عريف وخربوه واكتسحوا ما وجدوا فيه حقدا على وترمار وقومه بولاية بني مرين وتخطوا الى وطاط فعاثوا في نواحيه وانقلبوا الى انكاد وبلغ السلطان خبرهم فقلق لأمر المغرب وعقد على تلمسان لحافد من حفدة السلطان أبي تاشفين كان ربي في حجرهم وتحت

كفالة نعمتهم وهو ابو زيان محمد بن عثمان وشهرته بالقبى وأنزله بالقصر القديم من تلمسان وعسكر عليه زناتة الشرق كلهم واستوزر له ابن عمه عمر بن محمد بن ابراهيم بن مكي ومن أبناء وزرائهم سعيد بن موسى بن علي وأعطاه عشرة أحمال من المال دنانير ودراهم ودفع اليه الآلة وذكر حينئذ لمولانا السلطان أبي العباس سوابقه وايلافه في المنزل الخشن فنزل له عن محل امارته قسنطينة وصرف أيضا المولى أبا عبد الله صاحب بجاية لاسترجاع بلده بجاية فعقد لهما بذلك وحباهما وخلع عليهما وأعطاهما حملين من المال وكانت بجاية لذلك العهد قد تغلب عليها عمهم المولى أبو اسحق ابراهيم صاحب تونس فكتب الى عاملهم على قسنطينة منصور بن الحاج خلوف أن ينزل عن بلدة مولانا السلطان أبي العباس أحمد ويمكنه منها وودع هؤلاء الامراء وانكفأ راجعا الى حضرته لسد ثغور المغرب وحسم داء العدو فدخل فاس في شعبان من سنته ولم يلبث ان رجع أبو زيان على اثره بعد أن أجفل عن تلمسان ولحق بوانشريس وتغلب عليه أبو حمو وفض جموعه فلحق بالسلطان واستقل أبو حمو بملك تلمسان وبعث في السلم الى السلطان فعقد له من ذلك مارضيه كما ذكرناه

الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم واستيلاء عمر بن عبد الله على ملك المغرب ونصبه للملوك واحدا بعد واحد الى أن هلك

كان السلطان قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وكان من خبره ان سلفه من أهل رباط الشيخ أبي مدين كان جده قيما على خدمة قبره واستخدمه واتصل القيام على هذا الرباط في عقبه وكان جده الثالث محمد معروفا بالولاية ولما مات دفنه يغمراسن بالقصر القديم ليجاوره بجدثه تبركا به وكان ابنه أحمد أبو محمد هذا قد ارتحل الى المشرق وجاور الحرمين الى أن هلك وربي ابنه محمد بالمشرق ما بين الحجاز ومصر وقفل الى المغرب بعد أن أسر أشياء في الطلب وتفقه على أولاد الامام ولما ابتنى السلطان أبو الحسن مسجد العباد ولاه الخطابة به وسمعه يخطب على المنبر وقد أحسن في ذكره والدعاء له فحلا بعينه واستخلصه لنفسه وأحله محل القرب من نفسه وجعله خطيبا حيث يصلي من مساجد المغرب وسفر عنه الى الملوك ولما كانت نكبة القيروان خلص الى المغرب واستقر برباط العباد بجبل سلفه بعد أحوال أضربنا عن ذكرها اختصارا ولما خلص السلطان الى الجزائر داخله أبو سعيد صاحب تلمسان في السفارة عنه الى السلطان أبي الحسن وصلاح ما بينهما فسار لذلك ونقمه أبو ثابت وبنو عبد الواد ونكروه على سلطانهم وسرحوا صغير بن عامر في اتباعه فتقبض عليه وأودعوه المطبق ثم اشخصوه بعد حين الى الاندلس فاتصل بأبي الحجاج صاحب

غرناطة وولاه خطابته لما اشتهر به من اجادة الخطبة للملوك بزعمهم وألف السلطان أباسالم فى مثوى اغترابهما من غرناطة وشاركه عند أبى الحجاج فرعى السلطان وسائله وبوآته القديمة والحادثة الى مقامه عند أبيه فلما استوسق له ملك المغرب استخصه بولايته وألقى عليه محبته وعنايته وكان مؤامره ونجى خلوته والغالب على هواه فانصرفت اليه الوجوه وخضعت ووطئ عقبه الاشراف والوزراء وعطف على بابه القواد والامراء وصار زمام الدولة بيده وكان يتجافى عن ذلك أكثر أوقاته حذرا من سوء المغبة ويزجر من يتعرض له فى الشكاية ويوهم الى أصحاب المراتب والخطط بباب السلطان وهم يعلمون انه قد ضرب على أيديهم فنقموا ذلك وسخطوا الدولة من أجله ومرضت القلوب أهل الحل والعقد من تقدمه ونفس عليه الوزراء ما ثبت له عند السلطان من الحظ فتربصوا بالدولة وشمل هذا الداء الخاصة والعامة وكان عمر بن عبد الله بن على لما هلك أبوه الوزير عبد الله بن على فى جمادى سنة ستين عند استيلاء السلطان على ملكه تغلبت شفاه أهل الدولة على تراثه وكان مثريا فاستجار منهم بابن مرزوق وساهمه فى تراث أبيه بعد أن حملوا السلطان على النيل منه والاهانة له فأجاره منهم ورفع عند السلطان رتبته وحمله على الاصهار اليه فى أخته وقلده السلطان أمانة البلد الجديد دار ملكهم حتى عنت له الرحلة عنها وأصهر عمر الى وزير الدولة مسعود بن ماسى تسكينا لروعته واستخلاصا لمودته وسفر عن السلطان الى صاحب تلمسان فى شعبان من سنة اثنين وستين ونمى عنه أنه داخل صاحب تلمسان فى بعض المكر فهم بنكبته وقتله ودافع عنه ابن مرزوق وخلص من عقابه وطوى على البث وتصرف فى الدولة وتربص بالدولة واعيد الى مكانه من الامانة على دار الملك أول ذى القعدة مرجعه من تلمسان لما كان السلطان قد تحول عنها الى القصبة بفاس واختط ايوانا فخما لجلوسه بها لضيق قصوره بها فلما استولى عمر على دار الملك حدثته نفسه بالتوثب وسول له ذلك ما اطلع عليه من مرض القلوب والنكير على الدولة لمكان ابن مرزوق فداخل قائد الجند غرسية بن انطول واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة سنة اثنين وستين وخلصوا الى تاشفين الموسوس ابن السلطان أبى الحسن بمكانه من البلد الجديد فخلعوا عليه وألبسوه شارة الملك وقربوا اليه مركبه وأخرجوه الى أريكة السلطان فأقعدوه عليها وأكرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة له وجاهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى مودع المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حسبان وماج أهل البلد الجديد من الجند بعضهم فى بعض واختطفوا ما وصلوا اليه من العطاء وانتهبوا ما كان بالمخازن الخارجة من السلاح والعدة وأضرموا النار فى بيوتها استترا

على ما ضاع منها وأصبح السلطان بمكانه من القصبة فركب واجتمع اليه من حضر من الاولياء والقبائل وغدا على البلد الجديد وطاف بها وروم منها منفذا فاستصعب واضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها ونادى في الناس بالاجتماع اليه ونزل عند قائلة الهاجرة بفسطاطه فتسايل الناس عنه الى البلد الجديد فوجا بعد فوج بمرأى منه الى أن سار اليها أهل مجلسه وخاصته فطلب النجاء بنفسه وركب في لمة من الفرسان مع وزرائه مسعود بن رحو وسليمان بن داود ومقدم الموالي والجند ببابه سليمان بن نصار وأذن لابن مرزوق في الدخول الى داره ومضى على وجهه ولما غشيهم الليل انفضوا عنه ورجع الوزير الى دار الملك فتقبض عليهما عمر بن عبد الله ومساهمه غريسة بن أنطول واعتقلاهما متفرقين وأشخص على بن مهدى وبدر يجن في طلب السلطان فعثر عليه نائما في بعض المعاشر بوادي ورغة وقد نزع عنه لباسه اختفاء بشخصه وتوارى على العيون بمكانه فتقبض عليه وحمله على بغل وطير الخبر الى عمر بن عبد الله فأزعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن وردار وفتح الله بن عامر بن فتح الله وأمرهما بقتله وانفاذ رأسه فلقياه بخندق القصب ازاء كدية العرائس فأمر بعض جنود النصارى أن يتولى ذبحه وحمل رأسه في مخلاة فوضعه بين يدى الوزير والمشيخة واستقل عمر بالامر ونصب الموسوس تاشفين يموه به على الناس وذوات الامور الى غاياتها ولكل أجل كتاب

الخبر عن الفتك بابن أنطول قائد العسكر من النصارى ثم خروج يحيى بن رحو وبنى مرين عن الطاعة

لما تقبض عمر بن عبد الله على الوزير كان معتقل سليمان بن داود بدار غريسة قائد النصارى ومعتقل ابن ماسى بداره ضنا به عن الامتهان بمكان صهره ولما فيه من الاستظهار بعصابته من الابناء والاخوة والقرابة وكان غريسة بن أنطول صديقا لسليمان بن ونصار فلما رجع عن السلطان ليلة انفضاضهم نزل عليه وكان يعاقره الخمر فأتاه سحرا وتفاوضا في اعتقال عمر واقامة معتقله سليمان بن داود في الوزارة لما هو عليه من السن ورسوخ القدم في الامر ونمى الى عمر الخبر فارتاب وكان خلوا من العصابة ففزع الى قائد المركب السلطاني من الرجل الاندلسيين يومئذ ابراهيم البطروجي أمره وبايعه على الاستماتة دونه ثم استقل عصابتهم ففزع الى يحيى بن رحو شيخ بنى مرين وصاحب شوراهم فشكا اليه فأشكاه ووعده الفتك بابن أنطول وأصحابه وانبرم عقد ابن أنطول وسليمان ابن ونصار على شأنهم وغدوا الى القصر وداخل ابن أنطول طائفة من النصارى للاستظهار بهم ولما ائتمر بنو مرين بمجلس

السلطان على عادتهم و عمر بن عبد الله القائد بن أفطول بن يابى يحيى بن رحو وقد أحضر البطروجى رجل الاندلسيين فسأله تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى وضن به عن الاهانة حتى سأل مثلها من ابن ماسى صاحبه فأمر عمر بالقبض عليه فكشر فى وجوه الرجال واخترط سكينه للمدافعة فتواثبت بنو مرين وقتلوه طعنا واستلحموا من وجد بالدار من جند النصارى عند دخولهم وفرّوا الى معسكرهم ويعرف بالملاح جوار البلد الجديد وأرجف الغوغاء بالمدينة ان ابن أفطول غدر بالوزير فقتل جند النصارى حيث وجدوا من سكك المدينة وتزاحفوا الى الملاح لاستلحام من به من الجند وركب بنو مرين لحماية جندهم من معرّة الغوغاء وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وآنيتهم وأمتعتهم وقتل النصارى كثيرا من المجان كانوا يعاقرون الخمر بالملاح واستبد عمر بالدار واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل وبعث من قتله بمحبسه وحول سليمان بن داود ببعض الدور بدار الملك اعتقله بها واستولى على أمره ورجع فى الشورى الى يحيى بن رحو واعصوصب بنو مرين عليه واعتز على الامراء والدولة وكان عدو الخاصة السلطان أبى سالم حريصا على قتلهم وكان عمر يريد استبقاءهم لما أمله فى ابن ماسى فخشنت صدورهم عليه ودبروا فى شأنه وخاطبوا عامر ابن محمد فى اتصال اليد واقتسام ملك المغرب وبعث اليه بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم اعتقله عنده ولجّة لخلاصه من ربقة الحصار الذى هم به مشيخة بنى مرين وكان أبو الفضل هذا بالقصبة تحت الرقبة والارصاد فتفقد من مكانه وأغلظ المشيخة فى العتب لعمر فى ذلك فلم يستعتب ونبذ اليهم العهد وامتنع بالبلد الجديد ومنعهم من الدخول اليه فاعصوصبوا على كبيرهم يحيى بن رحو وعسكروا بباب الفتوح وجاءوا بعبد الحليم ابن السلطان أبى على وكان من خبره معه ما نذكره وأطلق عمر بن عبد الله مسعود بن ماسى من محبسه وسرحه الى مراكش وأوعده فى الاجلاب عليهم ان حاصروه كما نذكره ان شاء الله تعالى

• (الخبر عن وصول عبد الحليم بن السلطان من تلمسان وحصار البلد الجديد) •

كان السلطان أبو الحسن لما قتل أخاه السلطان أبا على وقضى الحق الذى له فى ذمته عمل بالحق الذى عليه فى ذمته ولده وحرمه فكفلهم وغذاهم بنعمته وساواهم بولده فى كافة شؤنهم وأنكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه عليا منهم المكنى بأبى سلوس ونزع عنه وهو بالقيروان أيام النكبة ولحق بالعرب وأجلب معهم على السلطان بالقيروان وتونس ثم انصرف من افريقية ولحق بتلمسان ونزل على سلطانها أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن فبوّأه كرامته ثم شرع فى الاجازة الى الاندلس وبعث فيه السلطان أبو عنان قبل فصوله

فاشخصوه اليه فاعتقله ثم أحضره ووبخه على مرتكبه مع السلطان أبي الحسن وجحده حقه ثم قتله لليلتين من شهور احدى وخمسين ولما هلك السلطان أبو الحسن ولحقت جملته من الخاصة والابناء بالسلطان أبي عنان وأشخص اخوته الى الاندلس وأشخص معهم ولد الامير أبي على هؤلاء عبد الحليم وعبد المؤمن والمنصور والناصر وسعيد ابن أخيهم زيان فاستقروا بالاندلس في جوار ابن الاحمر ثم طلب أبو عنان اشخاصهم بعد كما طلب اشخاص أخيه فأجارهم ابن الاحمر جميعا وامتنع من اسلامهم اليه وكان من المغاضبة لذلك ما قدمناه ولما اعتقل السلطان أبو سالم الابناء المرشحين وكان برندة كما قدمناه نزع منهم عبد الرحمن بن على بن أبي يفلوس الى غرناطة فلحق بأعماله وكان السلطان أبو سالم بمكانهم مستريبا بشأنهم حتى لقد قتل محمد بن أبي يفلوس بن أخته تاحضريت وهو في حجرها وحجره استرابه بما نمى عنه ولما أجاز أبو عبد الله المخلوع ابن أبي الحجاج الى المغرب ونزل عليه وصار الى ايالته ورأى ان قد ملك أمره في هؤلاء المرشحين بغرناطة وأرسل الرئيس محمد بن اسمعيل عند توثبه على الامر اء واستلحامه أبناء السلطان أبي الحجاج فراسله في اعتقالهم ثم فسد ما بين الرئيس والطاغية وأخذ منه كثيرا من حصون المسلمين وبعث الى السلطان أبي سالم في أن يخلي سبيل المخلوع اليه فامتنع وفاء للرئيس ثم دافع الطاغية عن ثغوره باسعاف طلبته فجهز المخلوع وملأ حقائبه صلة وأعطاه الآلة وأوعز الى أسطوله بسبتة فجهز وبعث علال بن محمد ثقة أبيه فأركبه الاسطول وركب معه الى الطاغية وخلص الخبر الى الرئيس بمكانه من ملك غرناطة وكان أبو حمو صاحب تلمسان يراسله في أولاد أبي على وأن يجيزهم اليه ليجدهم زبونا على السلطان أبي سالم فبادر لحينه وأطلقهم من مكان اعتقالهم وأركب عبد الحليم وعبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيهما على أبي يفلوس في الاسطول وأجازهم الى مرسى هنين بين يدى مهلك السلطان أبي سالم فنزلوا من صاحب تلمسان بأعز جوار ونصب عبد الحليم منهم لملك المغرب وكان محمد السبيع بن موسى بن ابراهيم نزع عن عمر ولحق بتلمسان فتوافى معهم وأخبرهم بمهلك السلطان وبايع له واغراه بالرحلة الى المغرب ثم تتابعت وفود بنى مرين بمثلها فسرحه أبو حمو وأعطاه الآلة واستوزر له محمد السبيع وارتحل معه يغذ السير ولقى في طريقه محمد بن زكراز من أولاد على من شيوخ بنى ونكاس أهل دبدو وثغر المغرب منذ دخول بنى مرين اليه فبايعه وحمل قومه على طاعته وأغذ السير وكان يحيى بن رحو والمشيخة لما نبذ عمر بن عبد الله اليهم العهد وعسكروا بباب الفتوح أوفدوا مشيخة منهم على تلمسان لاستقدام السلطان عبد الحليم فوافوه بتازى ورجعوا معه وتلقته جماعة بنى مرين بسبو ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع

محرّم من سنة ثلاث وستين واضطرب معسكرهم بكدية العرائس وغادوا البلد القتال وراوحوها سبعة أيام وتتابعت وفودهم والحشود تنسايل اليهم ثم ان عمر بن عبد الله برز من السبت القابل في مقدّمة السلطان أبي عمر بمن معه من جند المسلمين والنصارى رامحة وناشبة ووكل بالسلطان من جاء به في الساقة على التعبية المحكمة وناشبهم الحرب فدلفوا اليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الاسوار حتى فشت فيهم الجراحات ثم صمم نحوهم وانفرج القلب وانفضت الجموع وزحف السلطان في الساقة فانذعروا في الجهات وافترق بنو مرين الى مواطنهم ولحق يحيي بن رحو بمراكش مع مبارك بن ابراهيم شيخ الخلط ولحق عبد الحليم واخوته بتازى بعد أن شهد لهم أهل المقام بصدق الجلاد وحسن البلاء في ذلك المجال وصار عمر بن عبد الله قدوم محمد بن أبي عبد الرحمن كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن قدوم الامير محمد بن الامير عبد الرحمن)
(وبيعته بالبلد الجديد في كفالة عمر بن عبد الله)

لما نبذ بنو مرين عهدهم واعصوصبوا عليه ونكروا ما جاء به من البيعة لابي عمر مع فقده العقل الذي هو شرط الخلافة شرعا وعادة ونقموا عليه اتهم نفسه في نظره وفرغ الى التماس المرشحين فوقع نظره على حافد السلطان أبي الحسن محمد ابن الامير أبي عبد الله النازع لاول دولة السلطان أبي سالم من رندة الى الطاغية وكان قد نزل منه بخير مثوى فبعث اليه مولاه عتيقا الخصي ثم تلاه بعثمان بن الياسمين ثم تلاهما بالرئيس الابكم من بني الاحمر في كل ذلك يستحث قدومه وخاطب المخلوع ابن الاحمر وهو في جوار الطاغية كما قدمناه قريب عهد بجواره فخاطبه في استحثاثه واستخلاصه من يد الطاغية وكان المخلوع يرتاد لنفسه منزلا من ثغور المسلمين لما فسد بينه وبين الطاغية ورام النزوع عن ايالته فاشترط على الوزير عمر النزول له عن رندة فتقبل شرطه وبعث اليه الكتاب بالنزول عنها بعد أن وضع الملأ عليه خطوطهم من بني مرين والخاصة والشرفاء والفقهاء فسار ابن الاحمر الى الطاغية وساله تسريح محمد هذا الى ملكه وأن قبيله دعوه الى ذلك فسرّحه بعد أن شرط عليه وكتب الكتاب بقبوله وفصل من اشبيلية في شهر المحرّم فاتح ثلاث وستين ونزل بسبتة وبها سعيد بن عثمان من قرابة عمر بن عبد الله أرصده لقدومه فطير بالخبر اليه فخلع أبا عمر من الملك لعام من بيعته وأنزله بداره مع حرمه وبعث الى السلطان أبي زيان محمد بالبيعة والآلة والفساطيط ثم جهز عسكرا للقائه فتلقوه بطنجة وأغذ السير الى الحضرة فنزل منتصف شهر صفر بكدية العرائس واضطرب معسكره بها وتلقاه الوزير يومئذ وبايعه وأخرج فسطاطه فاضطرب به بمعسكره

وتلوم السلطان هنالك ثلاثا ثم دخل في الرابع الى قصره واقتعد أريكته وتوّدع ملكه وعمر مستبدّ عليه لا يكل اليه أمرا ولا نهيا واستطال عند ذلك المنازعون أولاد أبي علي كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن السلطان عبد الحليم وإخوته الى سجلماسة بعد الوقعة عليهم بمكناسة

لما سمع عبد الحليم بقدوم محمد بن أبي عبد الرحمن من سبتة الى فاس وهو بمكانه من تازى سرّح أخاه عبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيه الى اعتراضه فاتهوا الى مكناسة وخاموا عن لقائه فلما دخل الى البلد الجديد أجلبوا بالغارة على النواحي وكثر العيث وأجمع الوزير عمر على الخروج اليهم بالعساكر فبرز بالتعبية والآلة وبات بوادي النجا ثم أصبح على تعبيته وأغذ السير الى مكناسة فزحف اليه عبد المؤمن وابن أخيه عبد الرحمن في جموعهما فجاولهما القتال ساعة ثم صمم اليهم فدفعهم عن مكناسة وانكشفوا فلحقوا بأخيهم السلطان عبد الحليم بتازى ونزل الوزير عمر بساحة مكناسة وأوفد بالفتح على السلطان وكنت وافده اليه يومئذ فعمت البشرى واتصل السرور وتهنأ السلطان بملكه وتوّدع من يومئذ سلطانه ولما وصل عبد المؤمن الى أخيه عبد الحليم بتازى مفلولا انتقض معسكره ونزعوا عنه الى فاس وذهب لوجهه هو واخوته مع وزيرهم السبيع بن محمد ومن كان معهم من عرب المعقل فلحقوا بسجلماسة وكان أهلها قد دخلوا في بيعتهم ودانوا بطاعتهم فاستعزوا بها وجددوا رسم الملك والسلطان الى أن كان من خروجهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم عامر بن محمد ومسعود بن ماسي من مراكش وما كان من وزارة ابن ماسي واستبداد عامر بمراكش

كان السلطان أبو سالم لما استقل بملك المغرب استعمل على جباية المصامدة وولاية مراكش محمد بن أبي العلاء بن أبي طلحة من أبناء العمال وكان مطلعا بها وناقش الكبير سن ذوي عامر فأحفظه ذلك وربما كثرت سعاياته في عامر عند السلطان ولم يقبل ولما بلغ الى عامر مهلك السلطان أبي سالم وقيام عمر بالامر وكانت بينهما خلة بيت محمد ابن أبي العلاء فتقبض عليه وامتحنه وقتله واستقل بأمر مراكش وبعث اليه الوزير عمر بأبي الفضل بن السلطان أبي سالم يعتدّه لما يقع من حصار بني مرين اياه أن يجلب به عامر عليهم ويستنقضه كما ذكرناه ثم سرّح مسعود بن ماسي كما ذكرناه ولما أحاط بنو مرين بالبلد الجديد جمع عامر من اليه من الجند والحشود وزحف بأبي الفضل بن السلطان أبي سالم الى ونزل بوادي أم ربيع ولما انفض جمعهم من على

البلد الجديد لحق به يحيى بن رحو وكان لصديقا ملاطفا فتنكر له توقيه لعمر بن عبد الله وصاحبه مسعود وبعثه الى الجبل ولم يشهد الجمع فذهب مغاضبا ولحق بسجلماسة بالسلطان عبد الحليم وهلك فى بعض حروبه مع العرب ولما انفض عبد المؤمن وأجفل عبد الحليم من تازى ولحقوا بسجلماسة واستوسق الامر لعمر بن عبد الله وفرغ من شأن المنازعين ومضايقتهم له رجع الى ما كان يؤمله من الاستظهار على أمره بمسعود ابن ماسى واخوته وأقار به لمكان الصهر الذى بينهما فاستقدمه للوزارة مرضاة لبنى مرين لما كانوا عليه من استمالتهم بجميع المذاهب والاغضاء عما نالوه به من النكاية وكان عامر بن محمد مجمعا القدوم على السلطان فقدم فى صحابته ونزلا من الدولة بخير منزل وعقد السلطان لمسعود بن رحو على وزارته باشارة الوزير عمر فاضطلع بها ودفعه عمر اليها استمالة اليه وثقة بمكانه واستظهارا بعصابته وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب من لحم وأدم رفيع وجعل امارة مراكش لابى الفضل بن السلطان أبى سالم اسعافا بغرض عامر بن محمد فى ذلك وأصهر عامر اليهم فى بنت مولانا السلطان أبى يحيى المتوفى عنها السلطان أبو عنان فحملوا أولياءها على العقد عليها وانكفأ راجعا الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزا وثروة وتابعا لجمادى من سنة ثلاث وستين وصرف عمر عزيمته الى تشريد عبد الحليم وأخيه من سجلماسة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن زحف الوزير عمر بن عبد الله الى سجلماسة)

لما احتل عبد الحليم واخوته بسجلماسة اجتمع اليهم عرب المعقل كافة بحللهم واقتضوا خراج البلد فوزعوه فيهم واقتضوا على الطاعة رهنهم وأقطعهم جنات المختص بأمرها واعصوصبوا عليه واستحثه يحيى بن رحو ومن هنالك من مشيخة بنى مرين الى النهوض للمغرب فأجمع أمره على ذلك وتدبر الوزير عمر أمره وخشى أن يضطره حوره فأجمع اليه الحركة ونادى فى الناس بالعطاء والرحلة فاجتمعوا اليه وبث العطاء فيهم واعترض العساكر وأزاح العلل وارتحل من ظاهر فاس فى شعبان من سنة ثلاث وستين وارتحل معه ظهيره مسعود بن ماسى وبرز السلطان عبد الحليم الى لقائهم ولما تراءت الفيئات بتاغز وطت عند فرج الجبل المفضى من تلول المغرب الى الصحراء هموا باللقاء ثم تواقفوا أياما وتمشت بينهم رسالات العرب فى الصلح والتجافى لعبد الحليم عن سجلماسة تراث أبيه فعقد بينهما وافترقا ورجع كل واحد منهما الى عمله ومكانه من سلطانه ودخل عمر والوزير مسعود الى البلد الجديد فى رمضان من سنته وتلقاهما سلطانهما بأنواع المبرة والكرامة ونزع الوزير محمد بن السبيع عن السلطان عبد الحليم الى الوزير عمر وسلطانه فتقبل وحل محل التكرمة وارادفه للوزارة واستقر كل

بمكانه وتوادعوا أمرهم الى ما كان من خلع عبد المؤمن لاخيه عبد الحليم مما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن بيعة العرب لعبد المؤمن وخروج عبد الحليم الى المشرق)

لما رجع عبد الحليم بعد عقد السلم مع الوزير عمر الى سجلماسة واستقر بها وكان عرب المعقل من ذوى منصور فريقين الاحلاف وأولاد حسين وكانت سجلماسة وطنا للاحلاف وفى مجالاتهم منذ أول أمرهم ودخولهم المغرب وكان من أولاد حسين فى ممالاة الوزير عمر ماقدمناه فكانت صاغية السلطان عبد الحليم الى الاحلاف بسبب ذلك أكثر فأسف ذلك أولاد حسين على الاحلاف وتجددت لذلك الفتنة وتزاحفوا وأخرج السلطان عبد الحليم أخاه عبد المؤمن لرقع ما بينهما من الخرق ولأمته فلما قدم على أولاد حسين دعوه الى البيعة والقيام بأمره فأبى فأكرهوه عليها وبايعوه وزحفوا الى سجلماسة فى صفر من سنة أربع وستين وبرز عبد الحليم اليهم فى أوليائه من الاحلاف وتوافقوا مليا وعقلوا رواحلهم وانكشف الاحلاف وانهزموا وهلك يحيى بن رحو كبير المشيخة من بنى مرين يومئذ فى حربهم وتغلبوا على سجلماسة ودخل اليها عبد المؤمن وتخلى له أخوه عبد الحليم عن الامر وخرج الى المشرق لقضاء فرضه فودعه وزوده بما أراد وارتحل الى الحج وقطع المفازة الى بلد مالى من السودان وصحب منها ركاب الحج الى مصر ونزل على أميرها المتغلب على سلطانها يومئذ وهو يلبغا الخاصكى وأنهى خبره اليه وعرف بمكانه فاستبلغ فى تكريمه بما يناسب بيته وسلطانه وقضى حجه وانصرف الى المغرب فهلك بقرب الاسكندرية سنة ست وستين واستقل عبد المؤمن بأمر سجلماسة حتى كان من نهوض العسكر اليه ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن نهوض ابن ماسى بالعساكر الى سجلماسة واستيلائه عليها ولحاق عبد المؤمن بمراكش}

لما افترقت كلمة أولاد السلطان أبى عنان وخلع عبد المؤمن أخاه تطاول الوزير عمر الى التغلب عليهم ونزع اليه الاحلاف عدو أولاد حسين وشيعة عبد الحليم المخلوع فجهز العساكر وبث العطاء وأزاح العلل وسرح ظهيره مسعود بن ماسى الى سجلماسة فنهض اليها فى ربيع من سنة أربع وتلقاه الاحلاف بحللهم وناجعتهم وأغذ السير ونزع الكثير من أولاد حسين للوزير مسعود وبعث عامر بن محمد عن عبد المؤمن من سجلماسة فتركها ولحق بعامر فتقبض عليه واعتقله بداره من جبل هنتاتة ودخل الوزير مسعود الى سجلماسة واستولى عليها واقتلع منها جرثومة الشقاق بافتراق دعوة أولاد أبى على منها وكر راجعا الى المغرب لشهرين من حركته فاحتل بفاس الى

ان كان من خبر انتقاضه على عمر وفساد ذات بينهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن انتقاض عامر ثم انتقاض الوزير بن ماسي على اثره) *

لما استقل عامر بالناحية الغربية من جبال المصامدة ومراكش وما الى ذلك من الاعمال واستبد بها ونصب لامره أبا الفضل ابن السلطان أبي سالم واستوزر له واستكفا لامره وصارت كأنها دولة مستقلة فصرف اليه النازعون من بني مرين على الدولة وجوه مفرهم ولجؤا اليه فأجارهم عن الدولة واجتمع اليه منهم ملأ وأشاروا اليه باستقدام عبد المؤمن وانه أبلغ ترشيحا من أبي الفضل بنسبه وقيامه على أمره وصاغية بني مرين اليه فاستدعاه وأظهر لعمر أنه يروم بذلك مصلحته والمكر بعبد المؤمن ونما ذلك كله الى عمر فارتاب به ونزع اليه آخرا السبيع بن موسى بن ابراهيم الوزير كان لعبد الحليم فكشف القناع في بطانته وتجهيز العساكر اليه واستراب بأهل ولايته وعثر على كتاب من الوزير مسعود بن ماسي اليه يخالصه ويبذل له النصيحة فتقبض على حامله وأودعه السجن فتنكر مسعود وأغراه صحابته الملاشون له من بني مرين بالخروج ومنازعة عمر في الامر ووعدوه النصر منه فاضطرب معسكره بالزيتون من خارج فاس موريا بالنزهة ابان الربيع وزخرف الارض في شهر رجب من سنة خمس وبني أصحابه الفساطيط في معسكره حتى اذا استوفى جمعهم واعتزم على الخروج ارتحل مهاجرا بالخلاف وعسكر بوادي النجا بمن كان معه يعده الخروج معه من بني مرين ثم ارتحل الى مكناسة وكتب الى عبد الرحمن بن على بن يفلوس يستقدمه للبيعة   تادلا قد خرج بها بعد انصرافهم من سجلماسة وتخلف عن عبد المؤمن وبعث عامر اليهم بعثا فهزموه ثم لحق ببني ونكاسن فبعث اليه ابن ماسي وأصحابه فقدم عليهم وبايعوه وأخرج عمر سلطانه محمد بن أبي عبد الرحمن وعسكر بكدية العرائس وبث العطاء وأزاح العلل ثم ارتحل الى وادي النجا فبيته مسعود وقومه فثبت هو وعسكره في مراكزهم حتى انجاب الظلام وفروا أمامهم فاتبعوا آثارهم وانفض جمعهم وبدا لهم ما لم يحتسبوه من اصفاق الناس على السلطان ووزيره عمر واعتصامهم بطاعته فانذعروا ولحق مسعود بن ماسي بن رحو بتادلا ولحق الامير عبد الرحمن ببلاد بني ونكاسن ورجع عمر والسلطان الى مكانهما من الحضرة واستمال مشيخة بني مرين فرجعوا اليه وغفالهم عنها واستصلحهم وتمسك أبو بكر بن حمامة بدعوة عبد الرحمن بن أبي يفلوس وأقامهما في نواحيه وبايعه عليها موسى بن سيد الناس من بني .   أهل جبل دبروا من بني ونكاسن بما كان صهر اله وخالفه قومه الى الوزير عمر واعتدوه بالنهوض الى أبي بكر بن حمامة فنهض [illegible] على بلاده واقتحم حصنه انسكاوان وفرّ هو وصهره موسى

ونبذوا سلطانهم عبد الرحمن ونبذوا اليه عهده ورجعوا الى طاعة صاحب دس فدق هو بتلمسان ونزل على السلطان أبي حمو فاستبلغ في تكرمته ولحق وزيره مسعود بن ماسي بدبرو ونزل على أميره محمد بن زكراز صاحب ذلك الثغر وبعث الى الامير عبد الرحمن من تلمسان ليطارد بالفرصة ظنها في المغرب ينتهزها رأى عليه أبو حمو من ذلك فركب مطية الفرار ولحق بابن ماسي وأصحابه فنصبوه للامر وأجلبوا على تازى ونهض الوزير اليهم في العساكر واحتل بتازا وتعرضوا للقائه ففض جموعهم وردهم على أعقابهم الى جبل دبرو وسعى بينهم ونزمار بن عريف ولي الدولة في قبض عنانهم عن المنازعة والتجافي عن طلب الامر وأن يجيزوا الى الاندلس للجهاد فأجاز عبد الرحمن بن أبي يفلوس ووزيره ابن ماسي من غساسة فاتح سبع وستين وخلا الجو من اجلابهم وعنادهم ورجع الوزير الى فاس واحتشد الى مراكش كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض الوزير عمر وسلطانه الى مراكش)

لما فرغ عمر من شأن مسعود وعبد الرحمن بن أبي يفلوس صرف نظره الى ناحية مراكش وانتزى عامر بن محمد بها وأجمع أمره على الحركة اليه فأفاض العطاء ونادى بالسفر الى حرب عامر وأزاح العلل وارتحل اليه لرجب من سنة سبع وصعد عامر وسلطانه أبو الفضل الى الجبل فاعتصم به وأطلق عبد المؤمن من معتقله ونصب له الآلة وأجلسه على سرير حذاء سرير أبي الفضل يوهم انه قد بايع له وانه أحكم أمره فتحامى بذلك لبني مرين لما يعلم من صاغيتهم اليه وخشي مغبة ذلك فالان له القول ولاطفه في الخطاب وسعى بينهما في الصلح حسون بن علي الصبيحي فعقد له عمر من ذلك ما أرضاه وانقلب الى فاس ورجع عامر عبد المؤمن الى معتقله وأمر الاحوال على ما كانت من قبل الى أن بلغهم قتل الوزير لسلطانه كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبي عبد الرحمن}
{وبيعة عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن}

كان شأن هذا الوزير عمر في الاستبداد على سلطانه هذا عجبا حتى بلغ مبلغ الحجر من الصبيان وكان قد جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه وأهل قصره وكان السلطان كثيرا ما يتنفس الصعداء مع ندمائه ومن يختصه بذلك من حرمه الى أن حدثت نفسه باغتيال الوزير وأمر بذلك طائفة من العبيد كانوا يختصون به فنمي القول وأرسل به الى الوزير بعض الحرم كانت عينا له عليه فخشي على نفسه وكان من الاستبداد والدولة أن الحجاب ممنوع له عن خلوات السلطان وحرمه ومكاشفة رتبه فخلص اليه في حشمه

وهو بمعاقرته ما يفطر دهم عنه وتبادلهفا حتى فاض والقوم بحلة روض
الغزلان واستدعا الخاصة فأراهم مكانه وانه سقط عن دابته وهو ثمل فى تلك البئر وذلك
فى المحرم فاتح ثمان وستين لست سنين من خلافته واستدعى من حينئذ عبد العزيز بن
السلطان أبى الحسن وكان فى بعض الدور من القصبة بفاس تحت الرقباء والحراسة من
الوزير لما كان السلطان محمد يروم الفتك به غيرة منه على الملك لمكان ترشيحه فحضر بالقصر
وجلس على سرير الملك وفتحت الابواب لبنى مرين والخاصة والعامة فازدحموا على
تقبيل يده معطين الصفقة بطاعته وكمل أمره وبادر الوزير من حينه الى تجهيز العساكر
الى مراكش ونادى بالعطاء وفتح الديوان وكمل الاعراض وارتحل بسلطانه من فاس
فى شهر شعبان وأغذ السير الى مراكش ونازل عامر بن محمد بمعقله من جبل هنتاتة
ومعه الامير أبو الفضل ابن السلطان أبى سالم وعبد المؤمن ابن السلطان أبى على أطلقه
من الاعتقال أيضا وأجلسه موازى ابن عمه واتخذله الآلة يموه به فى شأنه الاول ثم سعى
بينه وبين عمر فى الصلح فانعقد بينهما وانكفأ راجعا بسلطانه الى فاس فى شهر شوال
فكان حتفه اثر ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره)

كان عمر قد عظم استبداده على السلطان عبد العزيز بحجره ومنعه من التصرف فى شئ
من أمره ومنع الناس من النهوض له فى شئ من أمورهم وكانت أمه حذرة عليه اشفاقا
وحبا وكان عمر لما ملك أمره واستبد عليه سما الى الاصهار اليهم فى بنت السلطان أبى
عنان واشترط لها زعموا تولية أخيها الامير ونما ذلك الى السلطان وان عمر مغتاله لامحالة
وقارن ذلك ان عمر أوعز الى السلطان بالتحول عن قصره الى القصبة فركب أسنة الغدر
لاضطراره واعتزم على الفتك به وأكمن بزوايا داره جماعة من الرجال وأعدهم
بالتوثب به ثم استدعاه الى بيته للمؤامرة معه ستته فدخل معه وأغلق الموالى من
الخصيان باب القصر من ورائه ثم أغلظ له السلطان بالقول وعتبه ودلف الرجال اليه من
زوايا الدار فتناولوه بالسيوف هبرا وصرخ بطانته بحيث أسمعهم فحملوا على الباب
وكسروا الثلاثة ألفوه مضرجا بدمائه فولوا الادبار وانفضوا من القصر وانذعروا
وخرج السلطان الى مجلسه فقعد أريكته واستدعى خاصته وعقد لعمر بن مسعود
ابن منديل بن حمامة من بنى مرين وشعيب بن ميمون بن وردان من الحشم ويحيى بن
ميمون بن المصمود من الموالى وكلت بيعته منتصف ذى القعدة سنة ثمان وستين
وتقبض على على بن الوزير عمر وأخيه وعمه وحاشيتهم وسربهم واعتقلهم حتى أتى القتل
عليهم لليال واستأصل المكان شأفتهم وسكن وأمن ورد النافرين بأمانه وبسط لهم بشره

ثم قبض لأيام على سليمان بن داود ومحمد السبيع وكانا فى مخالصة عمر بمكان فاعتقلهما استرابة بهما ولشئ نمى له عنهما وأودعهما السجن الى أن هلكا واعتقل معهما علال بن محمد والشريف أبا القاسم ريبة بهما بتهما ثم امتن عليهما بشفاعة ابن الخطيب وزير ابن الاحمر وأقصاه ثم أطلق عنانه فى الاستبداد وقبض أيدى الخاصة والبطانة عن التصرف فى شئ من سلطانه الا باذنه وعن أمره وهلك لاشهر من استبداد الوزير شعيب ابن ميمون ثم هلك يحيى بن ميمون على ما نذكره ان شاء الله تعالى.

(الخبر عن انتزاء أبى الفضل بن المولى أبى سالم ثم نهوض السلطان اليه ومهلكه)

لما قتل السلطان عبد العزيز بعمر بن عبد الله المتغلب عليه سولت لابى الفضل ابن السلطان أبى سالم نفسه مثلها فى عامر بن محمد لمكان استبداده عليه وأغراه بذلك البطانة وتوحش لها عامر فتمارض بداره واستأذنه فى الصعود الى معتصمه بالجبل ليمرضه هنالك أقاربه وحرمه وارتحل بجملته ويئس أبو الفضل من الاستمكان منه وأغراه حشمه بالراحة من عبد المؤمن وللبال من منصرف عامر ثمل أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمر بقتل عبد المؤمن بمكان معتقله من قصبة مراكش فجاء برأسه اليه وطار الخبر الى عامر فارتاع وحمد الله اذ خلص من غائلته وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز وأغراه بابى الفضل ورغبه فى ملك مراكش ووعده بالمظاهرة فأجمع السلطان أمره على النهوض الى مراكش ونادى فى الناس بالعطاء وقضى أسباب حركته وارتحل من فاس سنة تسع وستين واستبد أبو الفضل من بعد مهلك عبد المؤمن واستوزر طلحة النورى وجعل علامته لمحمد بن محمد بن منديل الكنانى وجعل شوراه لمبارك بن ابراهيم بن عطية الخلطى ثم أشخص طلحة النورى لسعاية الكنانى فقتله واعتمد منازلة عامر ولما فصل لذلك من مراكش جاءه الخبر بحركة السلطان عبد العزيز اليه فانفض معسكره ولحق بتادلا ليعتصم بها فى معقل بنى جابر وعاج السلطان بعساكره عن مراكش اليها فنازله وأخذ بمخنقه وقاتله ففل عسكره وداخل بعض بنى جابر فى الاخلال بمصافه يوم الحرب على مال يعطيه لهم ففعلوا وانهزمت عساكر أبى الفضل وجموعه وتقبض على أشياعه وسيق مبارك بن ابراهيم الى السلطان فاعتقله الى أن قتله مع عامر عند مهلكه كما نذكره وفر الكنانى الى حيث لم يعلم مسقطه ثم لحق بعامر بن محمد ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة من ورائهم وداخلهم أشياع السلطان من بنى جابر وبذلوا لهم المال الدثر فى اسلامه فأسلموه وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيرا وأحضره السلطان فوبخه وقرعه واعتقله بفسطاط جواره ثم غط من الليل وكان مهلكه فى رمضان من سنة تسع لثمان سنين من

امارته على مراكش وبعث السلطان الى عامر يختبر طاعته بذلك فأبى عليه وجاهر بالخلاف الى ان كان من شأنه ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نكبة الوزير يحيى بن ميمون بن مصمود ومقتله)

كان يحيى بن ميمون هذا من رجالات دولتهم وربي فى دولة السلطان أبى الحسن وكان عمه علال عدوّا له بعداوة أبيه ولما انتزى السلطان أبو عنان على ملك أبيه استخلص يحيى هذا سائر أيامه وهلك عمر يوم مهلكه كما ذكرناه واستعمل يحيى هذا ببجاية فلم يزل بها الى أن تقبض عليه الموحدون لما استخلصوا بجاية من يده وسار الى تونس واعتقل بها مدة ثم صرفوه الى المغرب أيام عمر فاختص به ولما عقد له السلطان عبد العزيز على وزارته وكان قوى الشكيمة شديد الحزم صعب العداوة مرهف الحد وكان عمه علال بعد أن أطلقه السلطان من الاعتقال نكبه عن اذنه وأقامه متصرفا بين يديه فألقى الى السلطان استبداد يحيى عليه وحذره من شأنه ورفع اليه انه يروم تحويل الدعوة لبعض القرابة من آل عبد الحق وانه داخل فى ذلك قواد الجند من النصارى وأصاب الوزير وجع قعد به عن مجلس السلطان فاختلف الناس الى زيارته وعكف ببابه قواد النصارى فاستريب بأمرهم وتيقن الامر بعكوفهم فأرسل السلطان من حشمه من تقبض عليه وأودعه السجن ثم جنب الى مصرعه من الغد وقتل قعصا بالرماح وقتل المتهمون من القرابة وقواد الجند واستلحموا جميعا وصاروا مثلا فى الآخرين والامر لله

(الخبر عن حركة السلطان الى عامر بن محمد ومنازلته بجبله ثم الظفر به)

لما فرغ السلطان من شأن أبى الفضل عقد على مراكش لعلى بن محمد بن اجانا من صنائع دولتهم وأوعز اليه بالتضييق على عامر والاخذ بمخنقه والجائه الى الطاعة وانقلب الى فاس واعتزم على الحركة الى تلمسان وبينما هو فى الاستنفار لذلك اذ جاءه الخبر بأن على بن اجانا نهض الى عامر وحاصره أياما وان عامرا زحف اليه ففض معسكره وتقبض على بن اجانا والكثير من العسكر فاعتقلهم فقام السلطان فى ركائبه وقعد وأجمع أمره على النهوض اليه بكافة بنى مرين وأهل المغرب فبعث فى الحشود وبث العطاء وعسكر بظاهر البلد حتى استوفى الغرض وعقد على وزارته لابى بكر بن الغازى بن يحيى بن الكاس لمكان فيه من مخايل الرياسة وارتفع محله وارتحل سنة سبعين فاحتل بمراكش ثم خرج الى منازلة الجبل ونازله وكان عامر بن محمد قد نصب لبعض الاعياص من آل عبد الحق من ولد أبى ثابت بن يعقوب اسمه تاشفين وتلحق به على بن عمر ويعلان من شيوخ بنى ورتاجن كبير بنى مرين وصاحب الشورى فيهم لعهده فاشتد

آزره به وتوافى به كثير من الجند النازعين عن السلطان رهبة من بأسه وسخطة لحاله أو رغبة فيما عند عامر فرجهم وأمسك الله يده عن العطاء فلم تبس بقطرة وطال ثوى السلطان بساحته وعلى حصاره ورتب المقاعد للمقاتلة وغاداه للقتال وراوحه يتغلب على حصونه شيأ فشيأ الى أن تعلق بأعلى جبل تامسكروط وكان لابى بكر بن غازى غناء مذكور ويئس أصحاب عامر وأشياعه من عطائه وفسد ما بينه وبين على بن عمر هذا فدس الى السلطان يطلب الامان وتوثق لنفسه ثم نزع اليه وداخله فارس بن عبد العزيز أخى عامر فى القيام بدعوة السلطان والخلاف على عمه لما كان به من ارهاف الحد وتفضيل ابنه أبى بكر عليه فبلغ خبره الى السلطان واقتضى له وثيقة من الامان والعهد بعث به اليه فثار بعمه واستدعى القبائل من الجبل فأجابوه واستحث السلطان للزحف اليهم فزحفت العساكر والجنود واستولت على معتصم الجبل ولما استيقن عامر ان قد أحيط به أوعز الى ابنه أن يلحق بالسلطان مموها بالنزوع فألقى بنفسه اليه وبذل له الامان وألحقه بجملته وانتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص الى السوس فرده الثلج وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام بردا وثلجا حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض وسد المسالك فاقتحمه عامر وهلك فيه بعض حرمه ونفق مركوبه وعاين الهلكة العاجلة فرجع مخفيا أثره الى غار أوى اليه مع أدلاء بذل لهم المال يسلكون به ظهر الجبل الى الصحراء بالسوس وأقاموا ينتظرون امساك الثلج وأوام وأغرى السلطان بالبحث عنه فدلهم عليه بعض البربر فعثروا عليه فسيق الى السلطان وأحضره بين يديه ووبخه فاعتذر وبخع بالطاعة ورغب فى الاقالة واعترف بالذنب فحمل الى مضرب بنى له بازاء فسطاط السلطان واعتقل هنالك وتقبض يومئذ على محمد الكتانى فاعتقل وانطلقت الايدى على معاقل عامر ودياره فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والاقوات ما لا عين رأت ولا خطر على قلب أحد منهم واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة احدى وسبعين لحول من يوم حصاره وعقد على هنتاتة لفارس بن عبد العزيز بن محمد ابن على وارتحل الى فاس واحتفل بها آخر رمضان ودخلها فى يوم مشهود برز فيه الناس وحمل عامر وسلطانه تاشفين على جملين وقد أفرغ عليهما الرث وعبثت بهما أيدى الاهانة فكان ذلك عبرة لمن رآه ولما قضى منسك الفطر أحضر عامر فقرعه بذنوبه وأوقفه على كتابه بخطه يخاطب فيه أبا حمو ويستحثه على السلطان فشهد عليه وأمر به السلطان فامتحن ولم يزل يجلد حتى انتثر لحمه وضرب بالعصى حتى ورمت أعضاؤه وهلك بين يدى الوزعة وأحضر الكتانى ففعل به مثله وجنب تاشفين سلطانه الى مصرعه فقتل

فصار الى رندة وبها بنو ... بن ابراهيم من شيعته بعد الاعتقال فلحق بهم ولحق أجل
كتاب وصار الى السلطان من المنازعين وفرغ لفرض تلمسان كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ارتجاع الجزيرة الخضراء)

قد تقدم تغلب الطاغية ابن الهنشة على الجزيرة سنة ثلاث وأربعين وانه نازل بعدها جبل الفتح سنة احدى وخمسين وهلك بالطاعون وهو محاصر له عندما استفحل أمره واشتدت شوكته وكفى الله شأنه وولي أمر الخلافة بعده ابنه بطرة وعدا على سائر اخوته وفر أخوه القمط بن حظية أبيه المسماة بلغتهم الريق همزة الى قمط برشلونة فاجاره وأنزله خير نزل ولحق به من الزعماء المريكس بن خالته وغيره من اقماطهم وبعث اليه بطرة ملك قشتالة في اسلام أخيه فأبى من اخفار جواره وحدثت بينهما لذلك الفتنة الطويلة افتتح بطرة فيها كثيرا من معاقل صاحب برشلونة وأوطأ عساكره نواحي أرضه وحاصر بلنسية قاعدة شرق الاندلس مرارا وأجلب عليها بعساكره وملأ البحر اليها بأساطيله الى أن ثقلت على النصرانية وطأته وساءت فيها ملكته فانتقضوا عليه ودعوا القمط أخاه فزحف الى قرطبة وثار على بطرة أهل اشبيلية وتبرؤا من صاغية النصارى اليه ففر عن ممالكه ولحق بملك الافرنج وراء جليقية في الجوف عنها وهو صاحب انكلطرة واسمه الفلس غالس ووفد عليه صريخا سنة سبع وستين فجمع قومه وخرج في صريخه الى أن استولى على ممالكه ورجع ملك الافرنج فعاد النصارى الى شأنهم مع بطرة وغلب القمط على سائر الممالك فتحيز بطرة الى ثغوره مما يلي بلاد المسلمين ونادى صريخا بابن الاحمر فانتهز فيها الفرصة ودخل بعساكر المسلمين فأثخن في أرض النصرانية وخرب معاقلهم ومدنهم مثل ابرة وجيان وغيرهما من امهات أمصارهم ثم رجع الى غرناطة ولم تزل الفتنة قائمة بين بطرة وأخيه القمط الى ان غلب عليه القمط وقتله وفي خلال هذه الفتن بقيت ثغورهم مما يلي أرض المسلمين عورة وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة التي قرب عهدهم بانتظامها في ملكة المسلمين وكان صاحب المغرب في شغل عن ذلك بما كان فيه من انتقاض أبي الفضل ابن أخيه وعامر بن محمد فراسل صاحب الاندلس أن يزحف اليه بعساكره على أن عليه عطاءهم وامداده بالمال والاساطيل على أن يكون مثوبة جهاده خالصة له فأجاب الى ذلك وبعث اليه أحمال المال وأوعز الى أساطيله بسبتة فعمرت وأقلعت من مراسي الجزيرة لحصارها وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين على أثرها بعد أن قسم فيهم العطاء وأزاح العلل واستعد الآلات للحصار فنازلها أياما قلائل ثم أيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم عن مدد ملوكهم والقوا باليد وسألوا النزول على حكم السلم

فأجابهم السلطان اليه ونزلوا عن البلد وأقيمت فيها شعائر الاسلام ومحي اسمه ومحيت منها كلمة الكفر وطواغيته وكتب الله أجرها لمن أخلص في معاملته وكان ذلك سنة سبعين وولي ابن الاحمر عليها من قبله ولم تزل لنظره الى أن تمحض النظر عن هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها فهدمت أعوام ثمانين وأصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس والبقاء لله

{ الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وعلى سائر بلادها وفرار أبي حمو عنها }

كانت عرب المعقل موطنين بصحراء المغرب من لدن السوس ودرعة وتافيلالت وملوية وبصا وبسكان بنو منصور منهم أولاد حسين والاحلاف مختصين بطاعة بني مرين في وطنهم وكانوا مغلوبين للدولة تحت قهر من كان سلطانها ولما ارتجع بنو عبد الواد ملكهم بتلمسان على يد أبي حمو وكان الاحلاف بالمغرب عاث هؤلاء المعقل وأكثروا في الوطن الفساد ولما استقالت الدولة من عثارها تحيزوا الى بني عبد الواد وأقطعوهم في أوطانهم واستقروا هنالك من لدن نزوع عبد الله بن مسلم العامل بدرعة الى أبي حمو ومنابذته له وفسد ما بين سلطان المغرب وأبي حمو من جراء ذلك ونهض أبو حمو سنة ست وستين الى المغرب وعاث في نواحي دبرو اثغر المغرب فنشأت لذلك نار العداوة بينه وبين صاحب الثغر محمد بن زكراز مكان داعية بعدو صاحب المغرب به على الايام ولما استبد السلطان عبد العزيز وهلك صاحبهم عبد الله بن مسلم وترددت الرسل بين أبي حمو وبين السلطان عبد العزيز كان فيما اشترط عليه التجافي عن قبول عرب المعقل عرب وطنه لما فيه من الاستكثار بهم عليه وأبي عليهم أبو حمو منها الاستظهار بهم على زغبة من أهل وطنه وغيرهم وكثر التلاحي في ذلك وأحفظ السلطان وهم بالنهوض اليه سنة سبعين وأقصر لما أخذ بحجزته من خلاف عامر وصاحب الثغر محمد بن زكراز أثناء ذلك يحرضه على الحركة الى أبي حمو ويرغبه في ملك تلمسان. ولما قضى السلطان حركة مراكش وفرغ من شأن عامر ورجع الى فاس ولحق بها أبو بكر بن عريف أمير سويد في قومه من بني مالك بجللهم وناجعتهم صريخا على أبي حمو لما نال منهم وتقبض على أخيهم محمد رؤساء بني مالك جزاء بما يعرف لهم ولسلفهم من ولاية صاحب المغرب ووفد عليه رسل أهل الجزائر ببيعتهم يستحثون السلطان لاستنقاذهم من لهوانه وأمر السلطان بذلك وليه وترمار ومحمد بن زكراز صاحب دبرو افزعوا اليه بالغناء في ذلك واعتزم على النهوض الى تلمسان وبعث الحاشدين الى مراكش للاحتشاد وتوافى الناس به على طبقاتهم أيام منى من سنة احدى وسبعين وأفاض العطاء وأزاح العلل ولما قضى

منسلخ الأضحى اعترض العساكر ورحل الى تلمسان واحتل بتازا وبلغ خبر نهوضه الى
أبى حمو فجمع من اليه من زناتة الشرق وبنى عامر من عرب المعقل وزغبة وتوافت
جموعه بساحة تلمسان واضطرب هنالك معسكره واعترض جنوده واعتزم على الزحف
للقاء بنى مرين ثقة بمكان المعقل وتحيز من كان معه من عرب المعقل الاحلاف وعبيد الله
الى السلطان عبد العزيز بمداخلة وليهم ونرمار واجتمعوا اليه وسرح معهم صنائعه
فارتحلوا بين يديه وسلكوا طريق الصحراء وبلغ خبر تحيزهم واقبالهم الى أبى
حمو فأجفل هو وجنوده وأشياعه من بنى عامر وسلكوا على البطحاء ثم ارتحلوا
عنها وعاجوا على منداس وخرجوا الى بلاد الديالم ثم لحقوا بوطن رياح فنزلوا على
أولاد سباع بن يحيى واحتل السلطان عبد العزيز بتازا وقدم بين يديه وزيره أبا
بكر بن غازى فدخل تلمسان وملكها ورحل السلطان على اثره واحتل بتلمسان يوم
عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين فدخلها فى يوم مشهود واستولى عليها وعقد لوزيره أبى
بكر بن غازى على العساكر من بنى مرين والجنود والعرب من المعقل وسويد وسرحه
فى اتباعه وجعل شواره الى وليه ونرمار وفوض اليه فى ذلك فارتحلوا من تلمسان آخر
المحرم وكنت وافدا على أبى حمو فلما أجفل عن تلمسان ودعته وانصرفت الى هنين
للاجازة الى الاندلس ووشى بعض المفسدين الى السلطان بأنى احتملت مالا للاندلس
فبعث جريدة من معسكره للقبض على ووافونى بوادى الزيتون قبل مدخلى الى تلمسان
فأحضرنى وسألنى وتبين كذب الواشى فأطلقنى وخلع على ولما ارتحل الوزير فى اتباع
أبى حمو استدعانى وأمرنى بالنهوض الى رياح والقيام فيهم بدعوته وطاعته وصرفهم
عن طاعة أبى حمو وصريخه فنهضت لذلك ولحقت بالوزير بالبطحاء وارتحلت معه الى
وادى ورك من بلاد العطاف فودعته وذهبت لوجهى وجمعت رياح على طاعة
السلطان ونكبت بهم عن طاعة أبى حمو فنكبوا عنها وخرج أبو زيان من محل نزوله
بحصين فلحق بأولاد محمد بن على بن سباع من الزواودة وارتحل أبو حمو من المسيلة فنزل
بالدوسن وتلوم بها وأوفدت من الزواودة على الوزير ونرمار فكانوا أدلاءهم فى النهوض
اليه ووافوه بمكانه من الدوسن فى معسكره من زناتة وحلل بنى عامر والوزير فى التعبية
وأمم زناتة والعرب من المعقل وزغبة ورياح محيطة به فأجهضوه عن ماله ومعسكره
فانتهب بأسره واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بدمائه الى مصاب وتلاحق به
ولده وقومه متفرقين على كل مفازة وتلوم الوزير بالدوسن أياما ووافاه بذلك ساق بنى
مرين وانقلب الى المغرب ومر على قصور بنى عامر بالصحراء فاستباحها بشرد هم عنها
الى قاصية القفر ومفازة العطش ولحق بتلمسان فى ربيع الثانى ووفدت أنا بالزواودة

على السلطان ورئيسهم أبو دينار بن على بن أحمد فبر السلطان مقدمه ورعى له سابقه عند اخيه وخلع عليه وحمله وخلع على الوفد كافة وانصرفوا الى مواطنهم وبعث السلطان عماله على الامصار وعقد لمنا ثته على النواحى وجهز الكتائب مع وزيره عمر ابن مسعود بن منديل بن حمامة لحصار حمزة بن على بن راشد من آل ثابت بن منديل كان ربى فى حجر الدولة ونشأ فى بحبوحة نعمتها وسخط حاله لديهم فنزع الى وطن سلفه من مغراوة ونزل بجبل بنى بو سعيد فاجاروه وبايعوه على الموت دونه وسرح السلطان وزيره الى الاخذ بمخنقهم فنزل عليهم وقاتلهم وامتنعوا فى رأس شاهقهم فأوطن الوزير بالخميس من وادى شلف وأجمر عليهم معتصمهم وتوافت لديه الامداد من تلمسان فجهزها كتائب وبوأهم المقاعد للحصار وأقام هنالك واستولى السلطان على سائر الوطن من الامصار والاعمال وعقد عليها واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه والله تعالى أعلم

(الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبى زيان الى تيطرا واجلاب العرب بأبى حمو على تلمسان الى أن غلبهم السلطان جميعا على الامر واستوسق له الملك)

لما خلص أبو حمو من وقعة الدوسن هو وأحياء بنى عامر أشياعه لحقوا بالصحراء وأبعدوا فيها عن قصورهم قبلة جبل راشد وجمع الوزير ونزمار بن عريف بأحياء العرب كافة من زغبة والمعقل وكان السلطان لما احتل بتلمسان طلب العرب منه اطلاق أيديهم على ما أقطعهم أبو حمو اياه من الوطن على الزبون والاعتزاز عليه فاستنكف من ذلك لعظم سلطانه واستبداد ملكه فسخطوا أحوالهم ورجوا أن يكون لأبى حمو ظهور ينالون به من ذلك لما أملوه فلما انهزم وقلت عساكره وظهر السلطان ظهورا لا كفاء له أجمع رحو بن منصور أمير الخراج من عبيد الله احدى بطون المعقل الخروج على السلطان ولما خرج العرب الى مشاتيهم لحق بأبى حمو وأحياء بنى عامر وكاثروهم وقادوهم الى العيث فى الاوطان فأجلبوا على ممالك السلطان ونازلوا وجدة فى رجب من سنة اثنتين وسبعين وصمدت نحوهم العساكر من تلمسان فأجفلوا وعاجوا الى البطحاء فاكتسحوا أوطانها ونهض اليهم الوزير فى العساكر ففروا أمامه واتبع آثارهم الى أن أصحروا خلال ذلك حمزة بن على بن راشد فبيت معسكر الوزير بمكانه من حصار شلف ففض جموعه ولحق منفلولا بالبطحاء وبلغ الخبر الى حصين وكانوا راهبين من السلطان لما اشتهر عنهم من الاجلاب على الدول والقيام بأمر الخوارج فلجأوا بأبى زيان الثائر كان عندهم من مكانه باحياء أولاد يحيى بن على بن سباع من الزواودة فلحق بهم وأجلبوا على ضواحى المدية ونازلوا عسكر السلطان

بها واضطرم المغرب الاوسط نارا واتصل ذلك به ولما كان سنة ثلاث وسبعين استمال السلطان رحو بن منصور عن أبي حمو وبذل له مالا وأقطعه الأحب من الضواحي وفعل ذلك بسائرهم وملأ صدورهم ترغيبا واعتزم على تجهيز العساكر مددهم لحسم أدواء الفساد واخراج الثوار من النواحي واتهم وزيره عمر بن مسعود بالمداهنة في أمر المغراوي فسرح من دولته من تقبض عليه وأشخصه الى حضرته مقيدا واعتقله بفاس وجهز عساكره واعترض جنوده وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي على حرب الثوار والخوارج فنهض من تلمسان في رجب سنة ثلاث وسبعين واعتصم حمزة على ابن راشد في معتصمه بجبل بني بو سعيد وألح عليه بالقتال فعضتهم الحرب بنابها وداخلهم الرعب وأوفدوا مشيختهم على الوزير بالطاعة ونبذ العهد الى حمزة فعقد لهم ما ابتغوه ولحق حمزة بأبي زيان بمكانه من حصين ثم ثنى عزمه عن ذلك ورجع الى ضواحي شلف وبيته بعض الحامية فثبتوا في مراكزهم وانفض جمعه وتقبض عليه وسيق الى الوزير فاعتقله وبعث الى السلطان في شأنه وعلق أشلاءهم بسور مليانة ثم زحف الى حصين فأجحرهم بمعقلهم بتيطرا واجتمعت اليه أحياء زغبة كافة فأحاط بهم من كل جانب وطاولهم الحصار وعاودوهم الحرب وخاطبني السلطان بمكاني من الزاب وأوعز الى انفير رياح كافة الى معسكر الوزير فاستنزلهم بأحيائهم وناجعتهم ونازلنا الجبل من ناحية الصحراء مما يلي ضواحي رياح وأصابهم الجهد وداخلهم الرعب وانفضوا من المعقل وانتهب ما فيه واقتضى رهن حصين على الطاعة وقرر عليهم الوضائع والمغارم فأعطوها عن يد وكان أبو حمو في خلال ذلك قد أجلب على تلمسان ينتهز الفرصة في انتباذ العسكر عن السلطان وكان وليه خالد بن عامر أمير بني عامر من زغبة مريض الطاعة لما اتهم أبو حمو به من ولاية رديفه عبد الله بن عسكر بن معروف دونه فأسخطه ذلك وداخل السلطان عبد العزيز في الانحراف اليه عن أبي حمو على مال حمله اليه فنزع عنه وجهز له السلطان عسكر الحرب أبي حمو في ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين من بني عامر وأولاد يغمور من المعقل وعقد عليهم لمحمد بن عثمان من قرابة أبي بكر بن غازي وتعرضوا اللقائهم فنفض جمعهم ومنحوا أكتافهم وأحيط بمعسكر أبي حمو وحلل العرب فاكتسح ما فيها واستولى بنو مرين على أمواله وحرمه وولده فاستاقوهم الى السلطان وأشخصهم الى فاس فأنزلهم بقصوره وتقبض على مولاه عطية بن موسى صاحب شلف فامتن عليه وأطلقه وبعث معه الادلاء الى تيكورارين من بلاد القبلة فنزلها وكان ذلك بين يدي فتح تيطرا بليال واستوت قدم السلطان في ملكه واستولى على المغرب الاوسط ودفع الثوار والخوارج عنه واستمال كافة العرب الى طاعته فأتوها

وراغبين راهبين ووفد عليه الوزير أبو بكر بن غازي من قاصية الشرق ومعه مشيخة العرب من كل حي من أحيائهم فوصلهم واحتفى بقدومهم وركب للقاء الوزير وطلب المشيخة في الرهن على الطاعة والاستعداد لتشريد أبي حمو من تيكورارين وأوسع حفايتهم وبرهم وانصرفوا الى مشاتيهم معتملين في أسباب الحركة الى تيكورارين الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم ابن الخطيب على السلطان بتلمسان نازعا اليه عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الاندلس

أصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة في الشمال من البسيط الذي فيه ساحتها المسمى بالمرج على وادي سنجيل ويقال شنيل المنحرف في ذلك البسيط من الجنوب الى الشمال كان له بها سلف معروفون في وزارتها وانتقل أبو عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الاحمر وملأ الدولة بمدائحه وانتشرت في الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه مرؤوسا بابي الحسن بن الجياب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عندما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه كما مر في أخبارهم فاستبد ابن الجياب برياسة الكتاب من يومئذ الى أن هلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة فولى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان في تولية العمال على يده بالمشارطات فجمع له بها أموالا وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد من قبله وسفر عنه الى السلطان أبي عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيا بأبيه السلطان أبي الحسن فجلى في اغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين عدا عليه بعض الزعانف يوم الفطر بالمسجد في سجوده للصلاة وطعنه فأثواه لوقته وتعاورت سيوف الموالي المعلوجي هذا القاتل فزقوه اشلاء وبويع ابنه محمد بالامر لوقته وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن

الخطيب رديفاله في أمره وتشاركا في الاستبداد معا فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا الى السلطان أبي عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها استأذنه في انشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر * علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته * ماليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجا * لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس * لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت حبلهم * ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم نفوسهم * فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم نازلهم محمد الرئيس ابن عم السلطان يشاركه في جده الرئيس أبي سعيد وتحين خروج السلطان الى منتزهه خارج الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء فأخرجه وبايع له وقام بأمره مستبدا عليه وأحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب باديا الى وادي آش وضبطها وبعث بالخبر الى السلطان أبي سالم اثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالاندلس كما مر وكان غالبا على هوى السلطان أبي سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادي آش يعده زبونا على أهل الاندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمعوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب أهل الاندلس في تسهيل طريقه من وادي آش اليه وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التلمساني وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب وحل معتقله فاطلق وصحب الشريف أبا القاسم الى وادي آش وسار في ركاب السلطان وقدموا على السلطان أبي سالم فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب في الموكب لتلقيه وأجلسه ازاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر يستصرخ السلطان لنصره فوعده وقد كان يوما مشهودا وقد مر ذكره ثم أكرم

ثواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين في ركابه تصرمه وأوفد معه ابن الخطيب في الجراية والاقطاع واستأذن السلطان في التجول الى جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها فأذن له وكتب الى العمال باتحافه فتبادروا في ذلك وحصل منه على حظ وعندما مر بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبي الحسن وأنشد قصيدته على روي الراء الموصولة يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بغرناطة، مطلعها

ان بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره
قسم زمانك عبرة أو عبرة * هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك الى أهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين كما مر في أخباره وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن علي فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان بقدمه ورده الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية في ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة وأجاز يحيى من هنالك الى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فصحب السلطان في مثوى اغترابه هنالك وتقلب في مذاهب خدمته وانحرفوا عن الطاغية بعد ما يئسوا من الفتح على يديه فتحولوا عنه الى ثغور بلاده وخاطبوا عمر بن عبد الله في أن يمكنهم من بعض الثغور القريبة التي أطاعتهم بالاندلس يرتقبون منها الفتح وخاطبني السلطان المخلوع في ذلك وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية متأكدة فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة اذ هي من تراث سلفه فقبل اشارتي في ذلك وتسورها السلطان المخلوع ونزل بها عثمان بن يحيى في جملته وهو مقدم في بطانته ثم غزوا منها مالقة فكانت ركابا للفتح وملكها السلطان واستولى بعدها على دار ملكها بغرناطة وعثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة عريق في المخالصة وله على السلطان دالة واستبداد على هواه فلما فصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده وأعاده السلطان الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته فأدركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان وأخذ في التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته في رمضان سنة أربع وستين وأودعهم المطبق ثم غرّبهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان وأخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته وانفرد ابن

الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صم السلطان عن قبولها ونما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده فى التقويض عنهم واستخدم للسلطان عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن ملك العدوة يومئذ فى القبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبى يفلوس بن السلطان أبى على كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة فى الاندلس لما أجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها لطلب الملك وأضرم بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بنى مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فأجازه ووزيره مسعود بن ماسى ونزلوا على السلطان على المخلوع أعوام سبع وستين فأكرم نزلهم وتوفى على بن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد قتله الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاض أمره منهم ووقف على مخاطبات ابن عبد الرحمن يسر بها بنى مرين وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبى يفلوس وابن ماسى فقبض عليهما وفى خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خيل أن السلطان مال الى قبولها وانهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان فى تفقد الثغور الغربية وسار اليها فى لمة من فرسانه ومعه ابنه على الذى كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز الى العدوة مال اليه اذن بين يديه فخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز قد أوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فأجاز الى سبتة وتلقاه بها بأنواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين بمقامته من تلمسان فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى الاندلس فى طلب أهله وولده فجاء بهم على أكمل الحالات من الامن والتكرمة ثم لغط المنافسون له فى شأنه وأغروا سلطانه بتتبع عثراته وأبدوا ما كان كامنا فى نفسه من سقطات دالته واحصاء عصابته وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها اليه ورفعت الى قاضى الحضرة الحسن بن الحسن فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضى أبو الحسن الى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصم لذلك وأنف لذمته أن تخفر ولجواره أن يردى وقال لهم هلا انتقمتم وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه

وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد مما كان في جوارى ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازى القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز وبيعة ابنه السعيد واستبداد أبي بكر بن غازى عليه ورجوع بني مرين الى المغرب}

كان السلطان منذ أول نشأته قد أزمنت به الحمى بما أصابه من مرض النحول ولاجل ذلك تجافى السلطان أبو سالم على احتماله مع الابناء الى رندة ولما شب أفاق من مرضه وصلح بدنه ثم عاوده وجعه في مثواه بتلمسان وتزايد نحوله ولما كمل الفتح واستفحل سلطانه واشتد به الوجع وصابر المرض وكتمه عن الناس خشية الارجاف واضطرب معسكره خارج تلمسان للحاق بالمغرب ولما كان ليلة الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين قضى متودعا بين أهله وولده ودس الحرم بالخبر الى الوزير فخرج على الناس وقد احتمل محمد السعيد ابن السلطان على كتفه فعزى الناس عن خليفتهم لسبع سنين من خلافته وألقى ابنه بين أيديهم فازدحموا عليه باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة وأخرجوه للمعسكر ثم أخرج الوزير شلو السلطان على أعواده وأنزله بفساطيطه وأيقظ الليل بحراسة المعسكر وأذن للناس بالرحيل فخرجوا أفواجا الى المحلة ثم ارتحلوا الثلاث وأغذوا السير الى المغرب واحتلوا بتازا ثم أغذوا السير الى فاس واحتل ابن السلطان بدار ملكه وجلس لبيعة العامة بقصره وتوافت وفود الامصار ببيعتهم على العادة واستبد عليه الوزير أبو بكر بن غازى وحجبه بقصره وحجره عن التصرف في شيء من سلطانه ولم يكن في سن التصرف واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بأمر المغرب ابراما ونقضا الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط)

لما فصل بنو مرين من تلمسان اثر مهلك السلطان عبد العزيز واحتلوا بتازا اجتمع المشيخة وعقدوا على تلمسان لابراهيم ابن السلطان أبي تاشفين كان ربي في كفالة دولتهم منذ مهلك أبيه فآثروه بذلك لخلوصته وبعثوه مع رحو بن منصور أمير عبيد الله من المعقل وسرحوا معهما من كان بالمغرب من مغراوة الى وطن ملكهم بشلف وعقدوا عليهم لعلي بن هرون بن منديل بن عبد الرحمن وانصرفوا الى بلادهم وكان

عطية بن موسى مولى أبي حمو وقد صار الى السلطان عبد العزيز وألحقه بجملته وبطانته فلما هلك السلطان خرج من القصر واختفى بالبلد حتى اذا فصل بنو مرين من معسكرهم ظاهر البلد خرج من مكان اختفائه وقام بدعوة مولاه أبي حمو واجتمع اليه شيعة من أهل البلد مع من تشاب اليه من الغوغاء وحملوا الخاصة على البيعة لابي حمو ووصلهم ابراهيم بن أبي تاشفين مع رحو بن منصور وقومه من عبيد الله فنبذوه وامتنعوا عليه فرجع عنهم الى المغرب وطير أولاد يغمور أولياء أبي حمو من عبيد الله بالخبر اليه وهو بمثواه من تيكورارين واتصل بابنه تاشفين وهو عند يحيى بن عامر فدخل الى تلمسان ومن معه من بني عبد الواد وتساقط اليه فلهم من كل جانب ووصل السلطان على اثرهم بعد اليأس منه فدخلها في جمادى من سنة أربع وسبعين واستقل بملكه وتقبض على بطانته الذين أسفوه في اغترابه ونمى له عنهم السعي عليه فقتلهم ورجع ملك بني عبد الواد وسلطانهم ونهض الى مغراوة أولياء بني مرين بمكانهم من شلف فغلبهم عليه بعد مطاولة وحروب سجال هلك فيها حمون بن هرون ومحي دعوة بني مرين من ضواحي المغرب الاوسط وأمصاره واستقل بالامر حسبما ذكرناه في أخباره واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فهم بالنهوض اليه ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بناحية بطوية فشغله شأنه عن ذلك

الخبر عن اجازة الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الى المغرب واجتماع بطوية اليه وقيامهم بشأنه

كان محمد المخلوع ابن الاحمر قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزى على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب واستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى ان نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق عند ملوكه وكان لابناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة على ولد عمهم السلطان أبي علي ويخشونهم على أمرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع في الدولة رتبته وأعلى منزلته وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه من الاعياص فكانت له آثار في الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره المطارد به مسعود بن ماسي وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل

السلطان عليهما الى أن سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فقدمه السلطان وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن الاحمر في أهله وولده فبعثهم اليه واستقر في جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان في ملك الاندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند مرجعه من تلمسان الى المغرب ونمي ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجي السبي وجواريه وأوفد بها رسله يطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالامر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان فلم يؤب واستنكف ذلك وأقبح الرد وانصرف رسله اليه وقد رهب سطوته فأطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوس وأركبه الاسطول وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماسي ونهض الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية في ذي القعدة من سنة أربع وسبعين ومعه وزيره مسعود ابن ماسي فاجتمع قبائل بطوية اليه وبايعوه على القيام بدعوته والموت دونه واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فعقد لابن عمه محمد بن عثمان على سبتة وبعثه لسد ثغورها لما يخشى عليها من ابن الاحمر ونهض من فاس بالآلة والعساكر ونازل عبد الرحمن ببطوية فقاتله أياما ثم رجع الى تازا ثم الى فاس ودخل الامير عبد الرحمن تازا واستولى عليها ودخل الوزير الى فاس وقعد بمجلس الفصل وهو يجمع العودة الى تازا لتشريد عدوه الى أن جاء الخبر ببيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن بيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم
واستقلاله بالملك وما كان خلال ذلك من الاحداث}

لما نزل محمد بن عثمان بالثغر من سبتة لسد فروجها ومدافعة ما يخشى من عادية ابن الاحمر عليها وكان قد طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان بالعتاب فاستعتب له وقبح ما جاء ابن عمه من الاستغلاظ له فوجد ابن الاحمر بذلك السبيل الى غرضه وداخله في البيعة للسلطان أبي سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الرقبة والحوطة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا يحوط سياجهم ويدافع عنهم ولا يتركهم فوضى هملا ويحبب بيعة الصبي الذي لم تنعقد بيعته شرعا واختص هذا السلطان من بين أولئك الابناء وفاء بحقوق أبيه ووعده بالمظاهرة على ذلك واشترط

عليه أن ينزلوا له عن الجبل اذا انعقد أمرهم ويشخصوا ابن الخطيب متى قدروا عليه ويبعثوا اليه بقية الابناء والقرابة فتقبل محمد بن عثمان شرطهم وكان سفيره فى ذلك أحمد المرغنى من طبقات كتاب الاشغال بسبتة كان السلطان أبو الحسن تزوج أمه ليلة اجازته من واقعة طريف وافتقاد حظاياه حتى لحق به الحرم من فاس فردها الى أهلها ونشأ المرغنى فى توهم هذه الكفالة فانتفخ نحره لذلك وبحسبها وصلة الى أبناء السلطان أبى الحسن وكان سفيرا بين محمد بن عثمان وابن الاحمر فأمل الرياسة فى هذه الدولة وركب محمد بن عثمان من سبتة الى طنجة وقصد مكان اعتقالهم واستدعى أبا العباس أحمد بن السلطان أبى سالم من مكانه مع الابناء فبايع له وحمل الناس على طاعته واستقدم أهل سبتة بكتاب للبيعة فقدموا وخاطب أهل الجبل فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان بالنزول عن جبل الفتح وخاطبوا أهله بالرجوع الى طاعته فارتحل من مالقة اليه ودخله واستولى عليه وعادت دعوة بنى مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبى العباس وأمده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على أمره وكان محمد بن عثمان عند فصوله من فاس وودعه الوزير ابن عمه فاوضه فى شأن السلطان وأن يقدم للناس اماما يرجعون اليه ويترك له أمرهم وآمره فى ذلك ولم يفترقا على مبرم من أمرهم فلما ارتكب هذا المركب وجاء بهذا الامر خاطب الوزير يموه عليه بأنه فعل بمقتضى المؤامرة وانه عن اذنه والله أعلم بما دار بينهما ولج الوزير فى تكذيبه والبراءة للناس مما رمى به ولاطفه فى نقض ذلك الامر ورد أبا العباس الى مكانه مع الابناء تحت الحوطة وأبى محمد بن عثمان من ذلك ودافعه باجتماع الناس عليه وانعقاد الامر وبينما الوزير يروم ذلك جاءه الخبر بأن محمد بن عثمان أشخص الابناء المعتقلين كلهم الى الاندلس وانهم حصلوا فى كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض عن ابن عمه وسلطانه ونهض الى تازا ليفرغ من عدوه اليهم فنازل الامير عبد الرحمن وأخذ بمخنقه واهتبل محمد بن عثمان الغرة فى ملك المغرب فوصله مدد السلطان ابن الاحمر وعسكره تحت رايته عقدها عليهم ليوسف بن سليمان بن عثمان بن أبى العلاء من مشيخة الغزاة المجاهدين وعسكرا آخر من رجل الاندلس الناشبة بسبعمائة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه السلطان أبى العباس أحمد ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتها وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس خالفوا اليها الوزير وانتهوا الى قصر بن عبد الحليم وبلغ الخبر الى الوزير بمكانه من حصار تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى

السلطان أبو العباس أحمد الى زرهون فصمد اليه الوزير بعساكره وصمم نحوه بمكانه من قنة الجبل فاختل مصافه وانهزمت ساقة العسكر من ورائه ورجع على عقبه فلولا وانتهب المعسكر ودخل الى البلد الجديد وجاءا بالعرب أولاد حسين أن يعسكروا له بالزيتون ظاهر فاس ويخرج بجموعه الى حللهم فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الاحلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان أبا العباس أحمد بجموعه العرب وزناتة وبعثوا الى ولى سلفهم ونزمار بن عريف بمكانه من قصر مراده الذى اختطه بملوية لفناءهم وأطلعوه على كامن اسرارهم فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادى النجا وحضر لعقدهم واتفاقهم وحلفهم على اتصال اليد على عدوهم ومنازلته بالبلد الجديد حتى يمكن الله منه وارتحلوا بجمعهم الى كدية العرائس فى ذى القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز اليهم الوزير بعساكره فدارت الحرب وحمى الوطيس واشتد القتال مليا ثم زحف اليه العسكران بساقتهما وآلتهما فاختل مصافه وانهزمت جيوشه وجموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غص الريق واضطرب السلطان أبو العباس معسكره من كدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال والارهاف ووصلهم مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الناشبة واحتكموا فى ضياع ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه أبا بكر فى النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لما كان الحصار قد اشتد ويئس من الصريخ وأعجزه المال فأجاب واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافى له عن أعمال مراكش وان يديلوه بها من سجلماسة فعقدوا له على كره وطووا على المكر وخرج الوزير أبو بكر للسلطان ابى العباس أحمد وبايعه واقتضى عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة فبذله ودخل السلطان أبو العباس أحمد الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها وارتحل معه على بن عمر بن ويعلان شيخ بنى مرين والوزير ابن ماسى ثم نزع عنه ابن ماسى الى فاس لعهد كان قد اقتضاه من السلطان أبى العباس وأجاز البحر الى الاندلس فاستقر بها فى ايالة ابن الاحمر واستقل السلطان أبو العباس ابن السلطان أبى سالم بملك المغرب ووزيره محمد بن عثمان وفوض اليه شؤنه وغلب على هواه وصار أمر الشورى الى سليمان بن داود وكان نزع اليه من البلد الجديد من جملة أبى بكر ابن غازى بعد أن كان أطلقه من محبسه واستخلصه وجعل اليه مرجع أمره فتركه أحوج ما كان اليه ولحق بالسلطان أبى العباس بمكانه من حصار البلد الجديد فلما

استوسق ملكه ألقى الوزير محمد بن عثمان مقاد الدولة له وصار اليه أمر الشورى ورياسة المشيخة واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وتأكدت المداخلة وجعلوا اليه المرجع فى نقضهم وابرامهم لمكان الابناء المرشحين من ابائهم ولما ارتحل الامير عبد الرحمن الى مراكش نبذوا اليه العهد وتعللوا عليه بأن العقد الاول له انما كان على ملك سلفه ومراكش انما ألجأهم الى العقد عليها الجاء واعتزموا على النهوض اليه ثم أقصروا وانعقدت بينهما السلم سنة ست وسبعين وجعلوا التخم بينهما أزمور وعقدوا على ثغرها لحسان الصبيحى فلم يزل عليها الى أن هلك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مقتل ابن الخطيب)

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين واستقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود رديف له وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عندما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمى اليه عنه انه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقى الوزير أبا بكر بن غازى بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار آوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس حتى أعاده الله الى ملكه فلما استقر له سلطانه أجاز اليه سليمان سفيرا عن عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده ابن الخطيب عن ذلك بأن تلك الرياسة انما هى لاعياص الملك من آل عبد الحق لانهم يعسوب زناتة فرجع آيسا وحقد ذلك لابن الخطيب ثم جاور الاندلس بمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات يتنفس كل منهما لصاحبه بما يحفظه لما كمن فى صدورهما وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب الى السلطان بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبى العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة وأهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له فى كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا ثم تل الى محبسه واشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود اليه لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا فى لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا فى

بمحبسه وأخرجوا شلوه من الغد فدفن في مقبرة باب المحروق ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره وأعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفى الله عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فيتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه (ومما قال في ذلك)

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وأنفاسنا سكنت دفعة * كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * غربن فناحت عليها البيوت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا * وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

(الخبر عن اجازة سليمان بن داود الى الاندلس ومقامه الى أن هلك بها)

كان سليمان بن داود هذا منذ عضته الخطوب واختلفت عليه النكبات يروم الفرار بنفسه الى الاندلس للمقامة مع غزاة المجاهدين من قومه ولما استقر السلطان ابن الاحمر بفاس عند خلعه ووفادته على السلطان أبي سالم سنة احدى وستين وداخله سليمان بن داود في تأميل الكون عنده فعاهده على ذلك وأن يقدمه على الغزاة المجاهدين من قومه ولما عاد الى ملكه وفد عليه سليمان بن داود بغرناطة في سبيل السفارة عن عمر بن عبد الله سنة ست وستين وأن يؤكد عقده من السلطان فحال دون ذلك ابن الخطيب ومارى السلطان عن ذلك بأن شياخة الغزاة مخصوصة بأعياص الملك من بني عبد الحق لمكان عصابتهم بالاندلس فأخفق أمل سليمان حينئذ وحقدها على ابن الخطيب ورجع الى مرسله ثم كانت نكبته أيام السلطان عبد العزيز فلم يخلص منها الا بعد مهلكه أطلقه أبو بكر بن غازي المستبد بالامر من بعده ليعضد بمكانه على شأنه فلما استبد الحصار على ابن غازي خرج عنه سليمان ولحق بالسلطان أبي العباس ابن المولى أبي سالم بمكانه من ظاهر البلد الجديد فكان ذلك من أسباب الفتح ولما دخل السلطان الى دار ملكه من البلد الجديد فاتح سنة ست وستين واستوسق أمره رفع مجلس سليمان وأحله محل الشورى واعتضد به وزيره محمد بن عثمان واستخلصه كما ذكرناه وكان يرجع الى رأيه

وهو فى خلال ذلك يحاول اللحاق بالاندلس فكان من أول عمله التقرب الى السلطان ابن الاحمر باغراء الوزير محمد بن عثمان بقتل ابن الوزير مسعود به فتم ذلك لاول الدولة وجرت الامور بعدها على الاعتمال فى مرضاته الى أن حاول السفارة اليه فى أغراض سلطانه سنة ثمان وستين فى صحابة ونرمار بن عريف فتلقاهما السلطان ابن الاحمر بما يليق به أمثالهما وعزة فى تكرمتهما وأما ونرمار فانقلب راجعا الاول تأدية الرسالة يتقضى من السلطان حظه بقواد أسطوله بتسهيل الاجازة اليه متى رامها وخرج يتصيد فلحق بموسى بمالقة ودفع أمر السلطان بخطه الى قائد الاسطول فاجازه الى سبتة ولحق بمكانه وأما سليمان فاعتزم على المقام عند ابن الاحمر وأقام هنالك خالصة ونجيا ومشاورا الى أن هلك سنة احدى وثمانين

الخبر عن شأن الوزير أبى بكر ابن غازى وما كان من تغريبه الى ميورقة ثم رجوعه وانتقاضه بعد ذلك

لما اشتد الحصار بالوزير أبى بكر بن غازى وفنيت أمواله وأموال السلطان وظن أنه أحيط به داخله الوزير محمد بن عثمان من مكانهم بحصاره فى النزول من البلد على الامان والابقاء فأجاب وخرج الى السلطان أبى العباس بن أبى سالم فعقد له أمانا بخطه وتحول الى داره بفاس وأسلم سلطانه المنصوب للامر قبله منه الوزير محمد بن عثمان واستبد فى الاحتياط عليه الى أن بعثه الى السلطان ابن الاحمر فكان فى جملة الابناء عنده ودخل السلطان أبو العباس الى دار ملكه واقتعد سريره ونفذت فى الممالك أوامره وأقام أبو بكر بن غازى على حاله بداره والخاصة يباكرونه والنفوس منطوية على تأميله فغص به أهل الدولة وترددت فيه السعاية وتقبض عليه السلطان وأشخصه الى غساسة وركب منها السفين الى ميورقة آخر ست وسبعين فأقام بها اشهرا ومخاطباته مترددة الى الوزير محمد بن عثمان ثم عطفته عليه رحم فأذن له فى القدوم الى المغرب والمقامة بغساسة فقدمها أوائل سنة سبع واستبد بامارتها وبدا له رأى فى تأميل الوثبة وظهر ما كان يخفيه لابن عمه من المنافسة فخاطب ابن الاحمر وراء البحر ولاطفه بالتحف والهدايا فكتب الى ابن عمه محمد بن عثمان يحضه على اعادته الى مكانه دفعا لغوائله فأبى من ذلك وداخله ونرمار بن عريف فى بعضها كذلك فلج فى الامتناع وحمل سلطانه على نبذ العهد لابى بكر بن غازى فتنكر له وأجمع المسير اليه بعساكر العرب فخرج من فاس سنة تسع وسبعين وبلغ الخبر الى أبى بكر بن غازى فاستجاش بالعرب وأحثهم للوصول فوصل اليه الاحلاف من المعقل وسرب فيهم أمواله وخرج من غساسة فألقى بينهم نفسه وعمد الى بعض الطارئين فنصبه للامر مشبها ببعض أبناء السلطان أبى الحسن

وزحف اليه السلطان حتى نزل بتازا فأجفلت أحياء العرب أمام العساكر من بنى مرين والجند ونجا ابن غازى معهم بدمائه ثم داخله ونزمار بن عريف فى الاذعان للسلطان عن شق الخلاف فأجاب ووصل به الى سدة الملك فبعث به السلطان محتاطا عليه الى فاس فاعتقل بها ونزلت مقدمات العساكر بوادى ملوية وداخل صاحب تلمسان منها رعب فأوفد على السلطان من قومه وكبار مجلسه ملاطفا ومداريا فتقبل منه وعقد السلم وأصدر به كتابه وعهده بخطه وانكفأ راجعا الى حضرته بعد أن بث العمال فى تلك النواحى على جبايتها فجمعوا له منها ما رضى ولما احتل بدار ملكه أنفذ أمره بقتل أبى بكر بن غازى فقتل بمحبسه طعنا بالرماح واستوسق للسلطان أمره وأحكم العقد مع الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن صاحب مراكش وترددت المهاداة بينهما بعض الى بعض والى صاحب الاندلس واليه منهما عامل المغرب وبعث بساطا وغبطا والحال متصلة على ذلك لهذا العهد آخر سنة احدى وثمانين أيام اشرافنا على هذا التأليف

الخبر عن انتقاض الصلح بين الامير عبد الرحمن صاحب مراكش والسلطان أبى العباس صاحب فاس واستيلاء عبد الرحمن على ازمور ومقتل عاملها حسون بن على

كان على بن عمر كبير بنى ورتاجن وشيخ بنى ويعلان منهم قد تحيز الى الامير عبد الرحمن منذ اجازته الى الاندلس واستيلائه على تازا ورجعه الى حصار البلد الجديد مع السلطان أبى العباس كما مر فوصل فى جملته الى مراكش وكان صاحب شواره وكبير دولته وكان ينقم على خالد بن ابراهيم الهربرجى شيخ جاجة من قبائل المصامدة ما بين مراكش وبلاد السوس وقد كان على بن عمر انتقض على ابن غازى الوزير المستبد بعد السلطان عبد العزيز ولحق بالسوس ومر بخالد بن ابراهيم هذا فاعترضه فى طريقه وأخذ الكثير من أثقاله ورواحله وخلص هو الى منجاته بالسوس وقد حقد ذلك لخالد ثم حث شيوخ المعقل عندما أجاز الامير عبد الرحمن من الاندلس الى نواحى تازا يروم اللحاق بهم فوفدوا عليه وسار معهم الى احيائهم وأقام معهم وهو فى طاعة الامير عبد الرحمن ودعوته الى أن اتصل به بين يدى حصاره البلد الجديد مع السلطان أبى العباس فلما فتح السلطان البلد الجديد أول سنة ست وسبعين واستولى على ملكهم بها وفصل عبد الرحمن الى مراكش كما كان الوفاق بينهم وسار على بن عمر فى جملة السلطان عبد الرحمن الى مراكش واستأذنه فى قتل خالد صاحبه فلم يأذن له فأحفظه ذلك وطوى عليه وبعد أيام صعد جبل وريكة فى غرض من أغراض الدولة وتقدم الى حافده عامر

بقتل خالد فقتله بظاهر مراكش جدّه علي بن عمر بوريكة فتلطف له الامير عبد الرحمن وراسله بالملاينة والاستعطاف ثم ركب اليه بنفسه واستصلحه ونزل به الى مراكش فأقام معه أياما ثم ارتاب ولحق بأزمور وعاملها يومئذ حسون بن علي الصبيحي فأغراه بالاجلاب على عمل مراكش وزحفوا جميعا الى عمل صنهاجة وسرّح الامير عبد الرحمن لمدافعتهم كبير دولته يومئذ وابن عمه عبد الكريم بن عيسى بن سليمان بن منصور ابن أبي مالك عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق فخرج في العساكر ومعه منصور مولى الامير عبد الرحمن فلقوا علي بن عمر فهزموه وأخذوا سواده ولجأ الى أزمور ثم وفد هو وحسون بن علي الى السلطان بفاس ووقعت أثناء ذلك المراسلة بين السلطانين وانعقد بينهما الصلح فأقام علي بن عمر بفاس ورجع حسون بن علي الى مكان عمله بأزمور ثم انتقض ما بين السلطانين ثانيا وكان عند الامير عبد الرحمن اخوان من ولد محمد بن يعقوب بن حسان الصبيحي وهما علي وأحمد جرثومتا بغي وفساد وعدا على كبيرهما علي ابن يعقوب بن علي بن حسان فقتله واستعدى أخوه موسى عليه السلطان فاعداه وأذن له في أن يثأر منه بأخيه فقتله فخرج لذلك أحمد أخو علي وهمّ بقتل موسى فاستجار بموسى بن يعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير بني ونكاسن وجمهور الامير عبد الرحمن وأقام أياما في جواره ثم هرب الى أزمور فلحقت نار الفتنة ونهض الامير عبد الرحمن الى أزمور فلم يطق حسان بن علي دفاعه فملكها عليه وقتله واستباحها وبلغ الخبر الى السلطان بفاس فنهض في عساكره وانتهى الى سلا ورجع الامير عبد الرحمن الى مراكش وسار السلطان في اتباعه حتى نزل بحصن أكليم من مراكش وأقام هنالك نحوا من ثلاثة أشهر والقتال يتردد بينهم ثم سعى بين السلطانين في الصلح فاصطلحوا على حدود العمالات أولا وانكفأ صاحب فاس الى عمله وبلده وبعث الحسين بن يحيى بن حسون الصنهاجي عاملا على الثغر بأزمور فأقام بها وكان أصله من صنهاجة أهل وطن أزمور وله سلف في خدمة بني مرين منذ أول دولتهم وكان أبو يحيى في دولة السلطان أبي الحسن عاملا في الجباية بأزمور وغيرها وهلك في خدمته بتونس أيام مقام السلطان بها وترك ولده يستعمل في مثل ذلك ونزع الحسن هذا منهم الى الجندية فلبس شارتها وتصرف في الولاية المناسبة لها واتصل بخدمة السلطان أبي العباس لاول بيعته بطنجة وكان يومئذ عاملا بالقصر الكبير فدخل في دعوته وصار في جملته وشهد معه الفتح واستعمله في خطط السنى حتى ولاه أزمور هذه الولاية فقام بها كما نذكره (وأما الصبيحيون) فالخبر عن أوليتهم ان جدهم حسان من قبيلة صبيح من أفاريق سويد جاء مع عبد الله بن كندوز الكمى من بني عبد الواد حين جاء من تونس وأوفد على السلطان

ابن عبد الحق ولقبه تيمارت وكان حسان من رعاء ابله فلما استقر عبد الله بن كندوز بناحية مراكش وأقطعه السلطان يعقوب في أعمالها وكان الظهر الذي يحمل عليه السلطان متفرقا في سائر بلاد المغرب فجمعه وجعله لنظر عبد الله بن كندوز فجمع له الرعاء وكبيرهم يومئذ حسان الصبيحي فكان يباشر السلطان في شأن ذلك الظهر ويطالعه في مهماته فحصلت له مداخلة أجلبت اليه الحظ حتى ارتفع وكبر ونشؤا في ظل الدولة وغيرها وتصرفوا في الولايات فيها وانفردوا بالشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد الى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات وكان لحسان من الولد علي ويعقوب وطلحة وغيرهم ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده وهم لهذا العهد متصرفون في الدولة على ما كان سلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواحل السلطان والظهر الذي يحمل من الابل ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة والله أعلم

{الانتقاض الثاني بين صاحب فاس وصاحب مراكش}
{ونهوض صاحب فاس اليه وحصاره ثم عودهما الى الصلح}

لما رجع السلطان الى فاس على ما استقر من الصلح طلب الامير عبد الرحمن أن يدخل عمالة صنهاجة ودكالة في أعماله وكتب السلطان الى الحسن بن يحيى عامل أزمور وتلك العمالة بأن يتوجه اليه ويسد المذاهب في ذلك دونه وكان الحسن بن يحيى مصطنعا على الدولة فلما وصل اليه داخله في الخلاف وان يملكه تلك العمالة فازداد الامير عبد الرحمن بذلك قوة على أمره وتعلل على صاحب فاس بأن يكون حدا بين الدولتين وادام ربيع واستمر صاحب فاس على الاباية من ذلك فنهض الامير عبد الرحمن من مراكش ودخل الحسن بن يحيى في طاعته فملكها وبعث مولاه منصورا في العساكر الى انفاء فاستولى عليها وصادر اعيانها وقاضيها وواليها وبلغ الخبر الى السلطان فنهض من فاس في عساكره وانتهى الى سلا فهرب منصور من انفاء وتركها ولحق بمولاه عبد الرحمن فأجفل من أزمور الى مراكش والسلطان في أثره حتى انتهى الى قنطرة الوادي على غلوة من البلد وأقام خمسة أشهر يحاصرها واتصل الخبر بالسلطان ابن الاحمر صاحب الاندلس فبعث خالصته الوزير أبا القاسم الحكيم الرندي ليعقد الصلح بينهما فعقده على أن يسترهن السلطان أولاد الامير عبد الرحمن من بني مرين وغيرهم نزعوا عنه وكان محمد بن يعقوب الصبيحي اتى في طريقه مولى الامير عبد الرحمن جاء به مكرها الى السلطان وكان من النازعين أيضا يعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير بني ونكاسن وأبو بكر بن رحو بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق ومحمد بن مسعود الادريسي وزيان بن عمر بن علي الوطاسي وغيرهم من المشاهير وقدموا على السلطان بسلا فأكرمهم

ورحل راجعا الى فاس والله أعلم

انتقاض علي بن زكريا شيخ الهساكرة على الامير عبد الرحمن وفتكه بمولاه منصور ومقتل الامير عبد الرحمن

لما رجع السلطان الى فاس وبدا من الخلل فى دولة الامير عبد الرحمن وانتقاض الناس عليه ما قدمناه نزع بده من التعويل على العساكر وشرع فى تحصين البلد وضرب الاسوار على القصبة وحفر الخنادق وتبين بذلك اختلال أمره وكان على بن زكريا شيخ هسكورة وكبير المصامدة وكان فى دعوته منذ دخل مراكش مختلا فى أمره مع صاحب فاس ومد اليه يدا من طاعته ثم انتقض على الامير عبد الرحمن ودخل فى دعوة السلطان وبعث اليه الامير عبد الرحمن مولاه منصورا يستألفه فأرصد اليه فى طريقه من حاشيته من قتله وبعث برأسه الى فاس فنهض السلطان فى عساكره الى مراكش واعتصم الامير عبد الرحمن بالقصبة وقد كان أفردها عن المدينة بالاسوار وخندق عليها فملك السلطان المدينة ورتب على القصبة المقاتلة من كل جهة ونصب الآلة وأدار عليها من جهة المدينة حائطا وأقام يحاصرها تسعة أشهر يغاديها القتال ويراوحها وكان أحمد بن محمد الصبيحى من الذين بوؤا المقاعد لقتالها فهم بالانتقاض وحدثته نفسه بغدرة السلطان والتوثب به وسعى بذلك الى السلطان فتقبض عليه وحبسه وبعث السلطان بالنفير الى أعماله فتوافت الامداد من كل ناحية وبعث اليه صاحب الاندلس مددا من العسكر فلما اشتد القتال والحصار بالامير عبد الرحمن ونفذت الاقوات وأيقن أصحابه بالهلكة وأهمتهم أنفسهم وهرب عنه وزيره محمد بن عمر شيخ الهساكرة والمصامدة لعهد السلطان أبى الحسن وابنه وقد مر ذكره فلما لحق هذا بالسلطان وعلم انه انما جاء مضطرا قبض عليه وحبسه ثم انفض الناس عن الامير عبد الرحمن ونزلوا من الاسوار ناجين الى السلطان وأصبح فى قصبته منفردا وقد بات ليلته يراوض ولديه على الاستماتة وهما أبو عامر وسليم وركب السلطان من الغد فى التعبية وجاء الى القصبة فاقتحمها بمقدمته ولقيهم الامير عبد الرحمن وولداه مباشرا الى الميدان بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها وولداه قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسى وطال ما كان زيان يتعرى بدى نعمهم ويجرذيله خيلاء فى جاههم فذهب مثلا فى كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة وكان ذلك خاتم جمادى الاخيرة سنة أربع وثمانين لعشر سنين من امارته على مراكش ثم رحل السلطان منقلبا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع النازعين عن ملكه والله أعلم

(اجلاب العرب على المغرب فى مغيب السلطان بغريه من ولد أبى على وأبى تاشفين بن أبى حمو صاحب تلمسان ومجىء أبى حمو على أثرهم)

كان أولاد حسين من عرب المعقل مخالفين على السلطان من قبل مسيره الى مراكش وكان شيخهم يوسف بن على بن غانم قد حدثت بينه وبين الوزير القائم على الدولة محمد بن عثمان منافرة وفتنة وبعث العساكر الى سجلماسة فخرب ما كان لهما من العقار والاملاك وأقام منتقضا بالقفر فلما حاصر السلطان الامير عبد الرحمن بمراكش وأخذ بمخنقه أرسل أبا العشائر ابن عمه منصور الى يوسف بن على وقومه ليجلبوا به على المغرب ويأخذوا بحجزة السلطان عن حصاره فسار لذلك ولما قدم على يوسف سار به الى تلمسان مستجيشا بالسلطان أبى حمو لذلك القصد لما كان بينه وبين الامير عبد الرحمن من العهد على ذلك فبعث أبو حمو معهم ابنه أبا تاشفين فى بعض عساكره وسار فى الباقين على أثرهم وسار أبو تاشفين وابو العشائر الى أحياء العرب فدخلوا الى أحواز مكناسة وعاثوا فيها وكان السلطان عند سفره الى مراكش استخلف على دار ملكه بفاس على بن مهدى العسكرى فى جماعة من الجند واستنجد بونزمار بن عريف شيخ سويد وولى الدولة المقيم بأحياء ملوية مخالفين عرب المعقل واستألف منهم العمارنة والمنبات وهم الاحلاف واجتمع مع على بن مهدى وساروا للمدافعة العدو بنواحى مكناسة فصدوهم عن مرامهم ومنعوهم من دخول البلاد فأقاموا متواقفين أياما وقصد أبو حمو فى عسكره مدينة تازى وحاصرها سبعا وخرب قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغ الخبر اليقين بفتح مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فأجفلوا من كل ناحية وخرج أولاد حسين وأبو العشائر وأبو تاشفين والعرب الاحلاف فى اتباعهم وأجفل أبو حمو عن تازى راجعا الى تلمسان ومر بقصر ونزمار فى نواحى بطوية المسمى بمرادة فهدمه ووصل السلطان الى فاس وقد تم له الظهور والفتح الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(نهوض السلطان الى تلمسان وفتحها وتخريبها)

كان السلطان لما بلغه ما فعل العرب وأبو حمو بالمغرب لم يشغله ذلك عن شأنه ونقم على أبى حمو ما أتاه من ذلك وانه نقض عهده من غير داع الى النقض فلما احتل بدار ملكه بفاس أراح أياما ثم أجمع النهوض الى تلمسان وخرج فى عساكره على عادتهم وانتهى الى تاوريرت وبلغ الخبر الى أبى حمو فاضطرب أمره واعتزم على الحصار وجمع أهل البلد عليه واستعد له ثم خرج فى بعض تلك الليالى بولده وأهله وخاصته وأصبح مخيما بالصفصف وانفض أهل البلد اليه بعضهم بعياله وولده مستمسكين به متفادين من معرة

هجوم العساكر فلم يرعه ذلك عن قصده وارتحل ذاهبا الى البطحاء ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فى بنى بوسعيد قريبا من شلف وأنزل أولاده الاصاغر وأهله بحصن تاجموعت وجاء السلطان الى تلمسان فملكها واستقر فيها أياما ثم هدم أسوارها وقصور الملك بها باغراء وليه ونزمار جزاء بما فعله أبو حمو فى تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ثم خرج من تلمسان فى اتباع أبى حمو ونزل على مرحلة منها وبلغه الخبر هنالك باجازة السلطان موسى ابن عمه أبى عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعا وأغذ السير الى المغرب كما نذكر ورجع أبو حمو الى تلمسان واستقر فى ملكه بها كما ذكرناه فى أخباره

(اجازة السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان من الاندلس الى المغرب واستيلاؤه على الملك وظفره بابن عمه السلطان أبى العباس وازعاجه الى الاندلس)

قد تقدم أن السلطان محمد بن الاحمر المخلوع كان له تحكم فى دولة السلطان أبى العباس بن أبى سالم صاحب المغرب بما كان من اشارته على محمد بن عثمان ببيعته وهو معتقل بطنجة ثم بما أمده من مدد العساكر والاموال حتى أمره واستولى على البلد الجديد كما قدمناه فى أول خبره ثم بما كان له من الزبون عليهم بالقرابة المرشحين الذين كانوا معتقلين بطنجة مع السلطان أبى العباس من أسباط السلطان أبى الحسن من ولد أبى عنان وأبى سالم والفضل وأبى عامر وأبى عبد الرحمن وغيرهم وكانوا متعاهدين فى معتقلهم ان من أتاح الله له الملك منهم يخرجهم من الاعتقال ويجيزهم الى الاندلس فلما بويع السلطان أبو العباس وفى لهم بهذا العهد وأجازهم الى الاندلس فنزلوا على السلطان ابن الاحمر أكرم نزل أنزلهم بقصور ملكه بالحمراء وقرب لهم المراكب وأفاض عليهم العطاء ووسع لهم الجرايات والارزاق وأقاموا هنالك فى ظل ظليل فكان لهم به وثوب على ملك المغرب وكان الوزير القائم بها محمد بن عثمان يقدر له قدر ذلك فيجرى فى اغراضه وقصوده ويحكمه فى الدولة ماشاء أن يحكمه حتى توجهت الوجوه الى ابن الاحمر وراء البحر من أشياخ بنى مرين والمغرب وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس ولما نهض السلطان الى تلمسان خاطبوه وأوصوه بالمغرب وترك محمد بن عثمان بدار الملك كاتبه محمد بن الحسن كان مصطنعا عنده من بقية شيع الموحدين ببجاية فاختصه ورقاه واستخلفه فى سفره هذا على دار الملك فلما انتهوا الى تلمسان وحصل لهم من الفتح ما حصل كتبوا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر مع شيطان من ذرية عبو بن قاسم المزوارى كان بدارهم وهو عبد الواحد بن محمد بن عبو كان يسمو بنفسه الى العظائم التى ليس لها بأهل ويتربص لذلك بالدولة وكان ابن الاحمر

مع كثرة تحكمه فيهم يتنحى لهم بعض الاوقات عما يأتونه من تقصير في شفاعة أو مخالفة في الامر لا يجدون عنها وليجة فيصطنع لهم ذلك فأقدم عليه عبد الواحد هذا بخبر الفتح وقص عليه القصص ودس له أن أهل الدولة مضطربون على سلطانهم ومستبدلون به لو وجدوا وبلغ من ذلك ما حمل وما لم يحمل وأشار له بجلاء المغرب من الحامية جملة وأن دار الملك ليس بها الا كاتب حضري لا يحسن المدافعة وهو أعرف به فانتهز الفرصة ابن الاحمر وجهز موسى ابن السلطان أبي عنان من الاسباط المقيمين عنده واستوزر له مسعود بن رحو بن ماسي من طبقات الوزراء من بني مرين ومن بني فودود من أحلافهم وله في ذلك سلف وقد كان بعثه من قبل وزيرا للامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن حين أجاز الى المغرب أيام استبداد أبي بكر بن غازي فلم يزل معه حتى كان حصار البلد الجديد واستيلاء السلطان أبي العباس عليها وذهب عبد الرحمن الى مراكش فاستأذنه مسعود في الانصراف الى الاندلس فأذن له ورجع عنه الى فاس ثم فارقها وأجاز الى الاندلس متودعا ومتوددا للكل ومعولا على ابن الاحمر فتلقاه بالقبول وأوسع له النزول والجراية وخلطه بنفسه وأحضره مع ندمائه ولم يزل كذلك الى أن جهزه وزيرا الى المغرب مع السلطان أبي عنان وبعث معهما عسكرا ثم ركب السفين الى سبتة وكانت بينه وبين شرفائها ورؤساء الشورى بها مداخلة فقاموا بدعوة السلطان موسى وأدخلوه وقبضوا على عاملها رحو بن الزعيم المكدولي وجاؤا به الى السلطان فملكها غرة صفر من سنة ست وثمانين وسلمها الى ابن الاحمر فدخلت في طاعته وسار هو الى فاس فوصلها الايام قريبة وأحاط بدار الملك واجتمع عليه الغوغاء ونزل الدهش بمحمد ابن الحسن فبادر بطاعته ودخل السلطان الى دار الملك وقبض عليه لوقته وذلك في عشر ربيع الاول من السنة وجاء الناس بطاعته من كل جانب وبلغ الخبر الى السلطان أبي العباس بمكانه من نواحي تلمسان بأن السلطان موسى قد نزل بسبتة فجهز علي بن منصور ترجمان الجند وجند النصارى ببابه مع طائفة منهم وبعثهم حامية لدار الملك فانتهوا الى تازا وبلغهم خبر فتحها فأقاموا هنالك وأغذ السلطان أبو العباس السير الى فاس فلقيهم خبر فتحها بتاوريرت فتقدم الى ملوية وتردد في رأيه بين المسير الى سجلماسة من المغرب أو قصد المغرب ثم استمر عزمه ونزل بتازا وأقام فيها أربعا وتقدم الى الركن وأهل دولته خلال ذلك يخوضون في الانتقاض عليه تسللا الى ابن عمه السلطان موسى المتولي على فاس ويوم أصبح من الركن أرجفوا به ثم انتقضوا عليه طوائف قاصدين فاس ورجع هو الى تازا بعد أن انتهب معسكره وأضرمت النار في خيامه وخزائنه ثم أصبح بتازا من ليلته فدخلها وعاملها يومئذ الخير من موالي

السلطان أبي الحسن وذهب محمد بن عثمان الى ولي الدولة ونزمار بن عريف وأمراء المغرب من المعقل ولما دخل السلطان أبو العباس الى تازا كتب الى ابن عمه السلطان موسى يذكره العهد بينهما وقد كان السلطان ابن الاحمر عهد اليه أن يبعث به اليه ان ظفر به فبادر السلطان موسى باستدعائه مع جماعة من وجوه بني عسكر أهل تلك الناحية وهم زكريا بن يحيى بن سليمان ومحمد بن سليمان بن داود بن اعراب ومعهم العباس بن عمر الوسناني فجاؤا به وأنزلوه بالزاوية بغدير الحمص بظاهر فاس فقيد هنالك ثم بعثه الى الاندلس موكلا به مع عمر بن رحو أخو الوزير مسعود بن ماسي واستصحب ابنه أبا فارس وترك سائرهم بفاس واجاز البحر من سبتة فأنزله السلطان ابن الاحمر بقلعة ملكه الحمراء وفك قيوده ووكل به ووسع له في الجراية فأقام هنالك محتاطا به الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(نكبة الوزير محمد بن عثمان ومقتله)

أصل هذا الوزير محمد بن الكاس احدى بطون بني ورتاجين وكان بنو عبد الحق عندما تأثلوا ملكهم بالمغرب يستعملونه منهم في الوزارة وربما وقعت بينهم هنالك وبين بني ادريس وبني عبد الله منافسة قتلوا فيها بعض بني الكاس منهم في دولة السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ثم استوزره السلطان أبو الحسن بعد مهلك وزيره يحيى بن طلحة ابن محلي بمكانه من حصار تلسان وقام بوزارته أياما وحضر معه وقعة طريف سنة احدى واربعين من هذه المائة واستشهد فيها ونشأ ابنه أبو بكر في ظل الدولة ممتعا بحسن الكفالة وسعة الرزق وكانت أمه أم ولد وخلفه عليها ابن عمه محمد بن عثمان هذا الوزير فنشأ أبو بكر في حجره وكان أعلى رتبة منه بأولية أبيه وسلفه حتى اذا بلغ أشده واستوى سمت به الحال وجال امصار الملوك في اختياره وترشيحه حتى استوزره السلطان عبد العزيز كما قلناه وقام بوزارته أحسن قيام وأصبح محمد بن عثمان هذا رديفه وهلك السلطان عبد العزيز فنصب أبو بكر ابنه السعيد للملك صبيا لم يثغر وكان من انتقاض أمره وحصاره بالبلد الجديد واستيلاء السلطان أبي العباس عليه ما قدمناه قام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس مستبدا عليه ودفع اليه أمور ملكه وشغل بلذاته فقام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس من أمور الدولة ما عاناه حتى كان من استيلاء السلطان موسى على دار ملكهم ما مر وانفض بنو مرين عنه للسلطان أبي العباس كما ذكرناه ورجع الى تازا فدخلها السلطان أبو العباس وفارقهم محمد بن عثمان الى ولي الدولة ونزمار بن عريف وهو مقيم بتازا وتذمم له فتجهم له ونزمار وأعرض عنه فسار معدا الى أحياء المنبات من عرب المعقل كانوا

هنالك قبلة تازا الذمة صحابة كانت بينه و بين شيخهم أحمد بن عبو فنزل عليه متذمماً به لخادعه و بعث بخبره الى السلطان فجهز اليه عسكرا مع المزوار عبد الواحد بن محمد بن عبو بن قاسم بن ورزوق بن بومريطت والحسن العوفي من الموالي فتبرأ منه العرب وأسلموه اليهم فجاؤا به وأشهروه يوم دخوله الى فاس واعتقل أياما وامتحن في سبيل المصادرة ثم استصفي ثم قتل ذبحا بمحبسه والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماسي اليه بالعساكر)

لما استقل السلطان موسى بملك المغرب وقام مسعود بن ماسي بوزارته مستبدا عليه وكان من تغريبهم السلطان أبا العباس الى الاندلس وقتلهم وزيره محمد بن عثمان وافتراق أشياع الوزير محمد بن عثمان وقرابته وبطانته فطلبوا بطن الارض ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فوجد هنالك الحسن بن الناصر ابن السلطان أبي علي قد لحق بها من مقره بالاندلس في سبيل طلب الملك فداخله ورأى في الرجوع به الى المغرب لطلب الامر هنالك فخرج به من تونس وقطع المفاوز والمشاق الى أن انتهى الى جبل غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه وتقلبه وأعلنوا بالقيام بدعوته واستوزر العباس بن المقداد وبلغ الخبر الى مسعود بن ماسي فجهز العساكر مع أخيه مهدي بن ماسي فحاصره بجبل الصفيحة أياما وامتنع عليهم فتجهز الوزير مسعود بن ماسي بالعساكر من دار الملك وسار لحصاره ثم رجع من طريقه لما بلغه من وفاة السلطان بعده والله أعلم

(وفاة السلطان موسى والبيعة للمنتصر ابن السلطان أبي العباس)

كان السلطان موسى لما استقل بملك المغرب استنكف من استبداد ابن ماسي عليه وداخل بطانته في الفتك به وأكثر ما كان يفاوض في ذلك كاتبه وخالصته محمد ابن كاتب أبيه وخالصته محمد بن أبي عمر وكان للسلطان موسى ندمان يطلعهم على الكثير من أموره منهم العباس بن عمر بن عثمان الوسناقي وكان الوزير مسعود بن ماسي قد خلف أبا عمر على أمه وربي في حجره فكان يدلي اليه بذلك وينهي اليه ما يدور في مجلس السلطان في شأنه فحصلت للوزير بذلك نفرة طلب لاجلها البعد عن السلطان وبادر للخروج لمدافعة الحسن القائم بغمارة واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن رحو بن ماسي فلما انتهى الى القصر الكبير لحقه الخبر بوفاة السلطان موسى وكانت وفاته في جمادى الاخرى طرقه المرض فهلك ليوم وليلة لثلاث سنين من خلافته وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه وبادر يعيش فنصب ابن عمه للملك وهو المنتصر ابن السلطان أبي

العباس وانكفا راجعا لوزير مسعود من القصر وقتل السبيع محمد بن موسى من طبقة الوزراء وقد مرّ ذكره وذكر قومه وكان اعتقله أيام السلطان موسى فقتله بعد وفاته واستمرت الدولة في استقلاله والله أعلم

(اجازة الواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن من الاندلس والبيعة له)

كان الوزير مسعود بن ماسي لما استوحش من السلطان موسى بعث ابنه يحيى وعبد الواحد المزوار الى السلطان ابن الاحمر يسأل منه اعادة السلطان أبي العباس الى ملكه فأخرجه ابن الاحمر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفتح يروم اجازته الى العدوة فلما توفي السلطان موسى بدا للوزير مسعود في أمره ودس للسلطان ابن الاحمر في رده وأن يبعث اليه بالواثق محمد بن أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن من القرابة المقيمين عنده ورآه أليق بالاستبداد والحجر فأسعفه ابن الاحمر في ذلك ورد السلطان أحمد الى مكانه بالحمراء وجاء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده وفي خلال ذلك وصل جماعة من أهل الدولة وانتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا بسبتة وأجازوا الى السلطان ابن الاحمر وهم يعيش ابن علي بن فارس وسيور بن يحيى بن عمر الونكاسني واحمد بن محمد الصبيحي فوفد اليهم الواثق ورجعوا به الى المغرب على أنهم في خدمة الوزير حتى اذا انتهوا الى جبل زرهون واعتصموا بجبلهم ولحق بهم من كان على مثل دينهم من الخلاف على ابن ماسي وصاروا معهم يدا مثل طلحة بن الزبير الورتاجني وسيور بن يحياتن بن عمر الونكاسني ومحمد التونسي من بني أبي الطلاق وفارح بن مهدي من معلوجي السلطان وأصله من موالي بني زيان ملوك تلمسان وكان أحمد بن محمد الصبيحي حين جاء مع الواثق قد استطال على أصحابه وأظهر الاستبداد بما كان من طائفة الجند المستخدمين فغص به أهل الدولة وتبرؤا منه للسلطان الواثق فأظهر لهم البراءة منه فوثبوا به وقتلوه عند خيمة السلطان وتولى كبر ذلك يعيش بن علي بن فارس الياباني كبير بني مرين فذهب مثلا في الغابرين ولم تبك عليه سماء ولا أرض وكان رزق بن يوفريطات من موالي بني علي بن زيان من شيوخ بني ونكاسن من أعيان الدولة ومقدمي الجند قد انتقض على الدولة أيام السلطان موسى ولحق بأحياء أولاد حسين من عرب المعقل المخالفين منذ أيام السلطان موسى ونزل على شيخهم يوسف بن علي بن غانم لذمة صحابة بينهما من جوارهم في المواطن وكان معه في ذلك محمد بن يوسف بن علال كان أبوه يوسف من صنائع السلطان أبي الحسن ونشأ في دولته استوحشا من الوزير فلحقا بالعرب فلما جاء هذا السلطان الواثق قدما عليه فلقيهما بالتكرمة وأحلهما في مقامهما من الدولة وخرج الوزير مسعود بن ماسي في العساكر ونزل قبالتهم بجبل مغيلة وقاتلهم هنالك أياما وداخل الذين مع

الواثق واستمالهم وبعث عسكرا الى مكناسة فحاصروها وكان بها يومئذ عبد الحق بن الحسن بن يوسف الورتاجني فاستنزله منها وملكها وترددت المراسلات بينه وبين الواثق وأصحابه على أن ينصبوه للامر ويبعث بالمنتصر المنصوب عنده الى أبيه السلطان أبي العباس بالاندلس وقبض على جماعة ممن كان مع الواثق مثل المزوار عبد الواحد وقتله وعلى فارح بن مهدي وحبسه وعلى الخير مولى الامير عبد الرحمن وامتحنه وعلى آخرين سواهم ثم قبض على جماعة من بطانة السلطان موسى كانوا ابدا خاضوا في القبض والفتك به فحبسهم وقتل بعضهم وعلى جند الاندلس الذين جاؤا مددا للواثق وعلى قوادهم من معلوجي ابن الاحمر فأودعهم السجن ثم تقبض على كاتب السلطان موسى بن أبي الفضل بن ابي عمر مرجعه من السفارة عن سلطانه الى الاندلس فاعتقله وصادره ثم خلى سبيله ثم بعث الى الحسن بن الناصر الناثر بجبل الصفيحة من غمارة مع ادريس بن موسى بن يوسف اليابابي فخادعه باستدعائه للملك والبيعة له فخدعه واستنزله وجاء به فاعتقله أياما ثم أجازه للاندلس واستقر الامر على ذلك والله أعلم

﴿الفتنة بين الوزير ابن ماسي وبين السلطان ابن الاحمر واجازة السلطان أبي العباس الى سبتة لطلب ملكه واستيلاؤه عليها﴾

لما بلغ الوزير ابن ماسي للواثق ورأى أنه قد استقل بالدولة ودفع عنها الشواغب وصرف نظره الى ما فرط من أعمال الدولة وافتتح أمره بسبتة وقد كان السلطان موسى لاول اجازته أعطاها لابن الاحمر كما مر فبعث اليه الآن الوزير ابن ماسي في ارتجاعها منه على سبيل الملاطفة فاستشاط لها ابن الاحمر ولج في الرد فنشأت الفتنة لذلك وجهز ابن ماسي العساكر لحصار سبتة مع العباس بن عمر بن عثمان الوسنافي ويحيى بن علال بن أسمعود والرئيس محمد بن أحمد الابكم من بني الاحمر ثم من بيت السلطان الشيخ فاتح امرهم وممهد دولتهم وراسل السلطان اشبيلية والجلالقة من بني أدفونش وراء البحر بأن يبعث اليهم ابن عم السلطان ابن الاحمر محمد بن اسمعيل مع الرئيس الابكم ليجلبا من ناحيته على الاندلس وجاءت عساكر الوزير الى سبتة فحاصروها ودخلوها عنوة واعتصم حامية الاندلس الذين كانوا بها بالقصبة واتصلت الحرب بين الفريقين وسط البلد وأوقد أهل القصبة النيران بالجبل علامة على أمرهم ليراها ابن الاحمر وكان مقيما بمالقة فبادر بتجهيز الاسطول مشحونا بالمقاتلة مددا لهم ثم استدعى السلطان أبو العباس من مكانه بالحمراء واركبه السفين الى القصبة في غرة صفر سنة تسع وثمانين وأشرف عليهم من الغد وناداهم من السور يدعوهم الى طاعته فلما رأوه اضطربوا وافترقوا وخرج اليهم فنهب سوادهم ودخلوا في طاعته متسايلين ورجع جمهور العسكر

ومقدّموهم الى طنجة واستولى السلطان على مدينة سبتة وبعث اليه ابن الاحمر بالنزول عنها وردّها اليه فاستقرّت في ملكه وكملت بها بيعته وكان يوليه أمر الاضياف الواردين والله تعالى أعلم

{مسير السلطان أبي العباس من سبتة لطلب ملكه بفاس ونهوض ابن ماسى لدفاعه ورجوعه منهزما}

ولما استولى السلطان أبو العباس على سبتة وتمّ له ملكها واعتزم على المسير لطلب ملكه بفاس وأغراه ابن الاحمر بذلك ووعده بالمدد لما كان من مداخلة ابن ماسى لجماعة من بطانته في أن يقتلوه ويملكوا الرئيس الابكم يقال انّ الذى داخله في ذلك من بطانة ابن الاحمر يوسف بن مسعود البلنسى ومحمد بن الوزير أبي القاسم بن الحكيم الرندى وشعر بهم السلطان ابن الاحمر وهو يومئذ على جبل الفتح يطالع أمور السلطان أبي العباس فقتلهم جميعا واخوانهم ويقال انّ ذلك كان بسعاية القائم على دولته مولاه خالد كان يغص بهم ويعاديهم فأخفى عليهم هذه وتمّت سعايته بهم فاستشاط ابن الاحمر غضبا على ابن ماسى وبعث الى السلطان أبي العباس يستنفره للرحلة الى طلب ملكه فاستخلف على سبتة رحو بن الزعيم المكرودى عاملها من قبل كما مرّ وسار الى طنجة وعاملها من قبل الواثق صالح بن رحو اليابانى ومعه بها الرئيس الابكم من قبل العساكر فحاصرها أياما وامتنعت عليه ثم رعنها الكتائب وسار عنها الى أصيلا فدخلت في دعوته وملكها ونهض الوزير من فاس في العساكر بعد أن استخلف أخاه يعيش على دار الملك وسار ولحقت مقدّمته بأصيلا ففارقها السلطان أبو العباس وصعد الى جبل الصفيحة فاعتصم به وجاء الوزير ابن ماسى فتقدّم الى حصاره بالجبل وجمع عليه رماة الرجل من الاندلسيين الذين كانوا بطنجة وأقام يحاصره بالصفيحة شهرين وكان يوسف بن على بن غانم شيخ أولاد حسين من عرب المعقل مخالفا على الوزير مسعود وداعية الى السلطان أبي العباس وشيعة له وكان يراسل ابن الاحمر في شأنه فلما سمع باستيلائه على سبتة واقباله الى فاس جمع أشياعه من العرب ودخل في طاعته الى بلاد المغرب ما بين فاس ومكناسة وشنّ الغارات على البسائط واكتسحها وأرجف الرعايا وأجفلوا الى الحصون وكان ونزمار بن عريف ولى الدولة شيعة للسلطان وكان يكاتبه وهو بالاندلس ويكاتب ابن الاحمر بشأنه فلما اشتدّ الحصار بالسلطان في الصفيحة بعث ابنه أبا فارس الى ونزمار بمكانه من نواحى تازا وبعث معه سيور بن يحيى بن عمر فقام ونزمار بدعوته وسار به الى مدينة تازا وعاملها سليمان العودودى من قرابة الوزير ابن ماسى فلما نزل بها أبو فارس ابن السلطان

در الى طاعته وأمكنه من البلد واستوزر سليمان هذا وسار الى صفروى ومعه وترمار للاجتماع بعرب المعقل وأسفهم الى حصار فاس وكان محمد بن الدمنة عاملا على ورغة فبعث اليه السلطان عسكرا مع العباس بن المقداد ابن أخت الوزير محمد بن عثمان فقتلوه وجاؤا برأسه ونجم الخلاف على يعيش بالبلد الجديد من كل جهة وطير الخبر بذلك كله الى أخيه بمكانه من حصار السلطان بالصفيحة فانفضت عنه العساكر وأجفل راجعا الى فاس وسار السلطان فى اتباعه ودخل فى طاعته عامل مكناسة وجاء الخبر موسى الامير عبد الرحمن واقيه يوسف بن على بن غانم ومن معه من احياء العرب وساروا جميعا الى فاس وكان أبو فارس ابن السلطان قد رحل من تازا الى صفروى واللقاء أبيه فاعترضه ابن ماسى فى العساكر رجاء أن يفله ولقيه ببنى بهلول فنزع أهل المعسكر الى أبى فارس ابن السلطان وهو بمكناسة فارتحل بهذا المسير الى فاس وسار ابنه أبو فارس لقائه على وادى النجا وصحبوا البلد الجديد فنزلوا عليه بجموعهم وقد اعتصم به الوزير فى أوليائه وبطانته ومعه يغمراسن بن محمد السالفى ومراهن بنى مرين الذين استرهنهم عند مسيره للقاء السلطان أصلا والله أعلم

(ظهور دعوة السلطان أبى العباس فى مراكش واستيلاء أوليائه عليها)

كان الوزير مسعود بن ماسى قد ولى على مراكش وأعمال المصامدة أخاه عمر بن رحو وكانت منتظمة فى طاعته فلما بلغ الخبر بوصول السلطان الى سبتة واستيلائه عليها قامت رؤس أوليائه الى اظهار دعوته بتلك النواحى فقام بدعوته بجبل الهساكرة على ابن زكريا وبعث الوزير مسعود من مكانه فى حصار السلطان بالصفيحة فى امداده بالعساكر من مراكش فزحف اليه مخلوف بن سليمان الوارتيى صاحب الاعمال ما بين مراكش والسوس وقعد الباقون عن نصره وتفرقوا وصعد أبو ثابت حافد على بن عمر الى جبل الهساكرة ومعه يوسف بن يعقوب بن على الصبيحى فاستمد على بن زكريا ورجع الى مراكش مجلبا على على بن رحو بها وكتب للسلطان بذلك وهو بمكناسة متوجها الى فاس فكتب اليه بأن يصل بعساكر مراكش لحصار دار الملك فجمع العساكر واستخلف على قصبة مراكش بعض بنى عمه ولحق بالسلطان وأقام معه فى حصار البلد الجديد والله أعلم

(ولاية المنتصر بن السلطان أبى على على مراكش واستقلاله بها)

كان السلطان أبو العباس حين ملك المغرب بعث ابنه المنتصر فى البحر الى سلا واستوزر له عبد الحق بن يوسف الورتاجنى وأقام ومربه رزوق بن توفر يطت راجعا من دكالة حين نزول السلطان على البلد الجديد فتلطف فى استدعائه ثم قبض عليه وبعث

بهلاية مقيدا فأودعه السجن وقتل بعد ذلك بمحبسه ثم بعث السلطان الى ابنه المنتصر بولاية مراكش وأن يصير اليها فلما وصل الى مراكش امتنع النائب بالقصبة فدس لعبد الحق وزير المنتصر أن لنائب قدهم بقتله وحينئذ يمكن المنتصر من القصبة فأجفل بالمنتصر وصعد الى جبل هنتاتة وطير بالخبر الى السلطان فتغير لابى ثابت وأمره أن يكاتب نائبه بتمكين ابنه من القصبة واستوزر له سعيد بن عبدون وبعثه بالكتاب وعزل عبد الحق عن وزارة ابنه واستدعاه لفاس فوصل سعيد بن عبدون الى مراكش ودفع الى النائب بالقصبة كتاب مستخلفه الى الامتثال وأمكنه من القصبة واعتزل عنها فدخلها وبعث عن المنتصر بن السلطان واستولوا عليها وقبضوا على نائب عامر الذى كان بها وعلى شيعته وبطانته وامتحنوهم واستصفوهم الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(حصار البلد الجديد وفتحها ونكبة الوزير ابن ماسى ومقتله)

لما نزل السلطان على البلد الجديد واجتمع اليه سائر قبيله وأوليائه وبطانته داخل الوزير مسعودا الحنق على بنى مرين لانتباذهم عنه فأمر بقتل أبنائهم الذين استرهنوهم على الوفاء له فلاطفه يغمراسن السالف فى المنع من ذلك فأقصر عنه وضيق السلطان مخنقه بالحصار ثلاثة أشهر حتى دعا الى النزول والطاعة فبعث اليه مولى الدولة ونزيا وبن عريف وخالصته محمد بن علال فعقدا لهم الامان لنفسه ولمن معه على أن يستمر على الوزارة ويبعث بسلطانه الواثق الى الاندلس واستحلفهم على ذلك وخرج معهم للسلطان فدخل السلطان البلد الجديد خامس رمضان سنة تسع وثمانين لثلاثة أعوام وأربعة أشهر من خلعه ولحين دخوله قبض على الواثق وبعث به معتقلا الى طنجة وقتل بها بعد ذلك ولما استولى على أمره قبض على الوزير ابن ماسى ليومين من دخوله واخوته وحاشيته وامتحنهم جميعا فهلكوا فى العذاب ثم سلط على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه ونقم عليه ما فعله فى دور بنى مرين النازعين الى السلطان فانه متى كان هرب عند أحد منهم يعمد الى بيوته فيهدمها فأمر السلطان بعقابه فى أطلالها فكان يؤتى به الى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطا الى أن قتله العذاب وتجاوز الحد ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك عند قطع الثانية فذهب مثلا فى الآخرين

(وزارة محمد بن علال)

كان أبوه يوسف بن علال من رؤساء الدولة وصنائع السلطان أبى الحسن وربى فى داره ولما تضخم أمره سما به الى ولاية الاعمال فولاه على درعة فانتزى وانتخب أولياء الدولة ثم ولاه السلطان أبو عنان أمر طنجة ومائدته وضيوفه واستكفى به فى ذلك

وولاه أخوه أبو سالم بعده كذلك ثم بعثه الى سجلماسة فعانى بها من أمور العرب مشقة وعزله عنها وهلك بفاس وكان له جماعة من الولد قد نشؤا فى ظل هذه النعمة وحدبت لنجابة محمد المذكور منهم فلما استولى السلطان أبو العباس استعمله فى أمور الضيوف والمائدة كما كانت لابيه ثم رقاه الى المخالصة وخلطه بنفسه فلما خلع السلطان واستولى الوزير ابن ماسى على المغرب وكانت بينه وبين أخيه يعيش بن ماسى احن قديمة فسكن لصولتهم حتى اذا اضطرمت نار الفتنة بالمغرب وأجلبت عرب المعقل الخلاف فاستوحش محمد هذا فلحق باحيائهم مع رزوق ابن توفر يطت كما مرذكره ونزل على يوسف بن على بن غانم شيخ أولاد حسين وأقام معه فى خلافه حتى اذا أجاز السلطان الواثق الى الاندلس ووصل مع أصحابه الى جبل رزهون وأظهروا الخلاف على ابن ماسى بدر محمد هذا ورزوق الى السلطان ودخلا فى طاعته متبرئين من النفاق الذى حملهم عليه عداوة الوزير مما كان الى أن انعقد الصلح بين الواثق وابن ماسى وساربه وأصحابه الى فاس وحصلوا فى قبضة ابن ماسى فعفالهم عما كان منهم واستعملهم فى عهود ولايتهم ثم جاء الخبر باجازة السلطان أبى العباس الى سبتة فاضطرب محمد بن يوسف وذكر مخالصة السلطان ومنافرة ابن ماسى فأجمع أمره ولحق بسبتة فتلقاه السلطان بالكرامة وسر بمقدمه ودفعه الى القيام بأمر دولته فلم يزل متصرفا بين يديه الى أن نزل الى البلد الجديد ولايام من حصارها خلع عليه الوزارة ودفعه اليها فقام بها أحسن قيام ثم كان الفتح وانتظم أمر الدولة ومحمد هذا يصرف الولاية على أحسن أحوالها الى ان كان مانذكره ان شاء الله تعالى

(ظهور محمد بن السلطان عبد الحليم بسجلماسة)

قد تقدم لنا ذكر السلطان عبد الحليم ابن السلطان أبى على وكان يدعى بحلى وكيف بايع له بنو مرين وأجلبوا به على عمر بن عبد الله سنة ثلاث وستين أيام مبعثه للسلطان أبى عمر ابن السلطان أبى الحسن وحاصروا معه البلد الجديد حتى خرج لدفاعهم وقاتلهم فانهزموا وافترقوا ولحق السلطان عبد الحليم بتازا وأخوه عبد المؤمن بمكناسة ومعه ابن أخيهما عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ثم بايع الوزير عمر بن عبد الله لمحمد بن أبى عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن واستبدل به من أبى عمر ولما كان بنو مرين يرونه بالجنون والوسوسة فاستدعى محمد بن أبى عبد الرحمن من مطرح اغترابه باشبيلية وبايعه وخرج فى العساكر لمدافعة عبد المؤمن وعبد الرحمن عن مكناسة فلقيهما وهزمهما ولحقا بالسلطان عبد الحليم بتازا وساروا جميعا الى سجلماسة فاستقروا فيها والسلطان عبد الحليم وقد تقدم خبر ذلك كله فى أماكنه ثم كان الخلاف بين عرب المعقل أولاد

حسين والاحلاف وخرج عبد المؤمن للاصلاح بينهم فبايع له أولاد حسين ونصبوه
كرها للملك وخرج السلطان عبد الحق اليهم في جموع الاحلاف فقاتلوه وهزموه
وقتلوا كثيرا وممن كان منهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى شيخ بني تيربيعن وكبير دولة
بني مرين أجلت المعركة عن قتله ودخل عبد المؤمن البلد منفردا بالملك وصرف
السلطان أخاه عبد الحليم الى المشرق لقضاء فرضه برغبته في ذلك فسار على طريق القفر
مسلك الحاج من التكرور الى أن وصل القاهرة والمستبد بها يومئذ يلبغا الخاصكي على
الاشرف شعبان بن حسين من أسباط الملك الناصر محمد بن قلاوون فأكرم وفادته ووسع
نزله وجرايته وأدر لحاشيته الارزاق ثم أعانه على طريقه للحج بالازواد والابنية والظهور
من الكراع والخف ولما انصرف من حجه لسفر المغرب وهلك بفروجة
سنة سبع وستين ورجع حاشيته الى المغرب بحرمه وولده وكان ترك محمدا هذا
رضيعا فشب متقلبا من الدولة من ملك الى آخر منتبذا عن قومه بغيرة السلطان أبي
الحسن من بني عمهم السلطان أبي علي وكان أكبر ما يكون مقامه عند أبي حمو سلطان
بني عبد الواد بتلمسان المايروم به من الاجلاب على المغرب ودفع عادية بني مرين عنه فلما
وقع بالمغرب من انتقاض عرب المعقل على الوزير مسعود بن ماسي سنة تسع وثمانين
واستمروا على الخلاف انتهز أبو حمو الفرصة وبعث محمد بن عبد الحليم هذا الى
المعقل ليجلب بهم على المغرب ويعزقوا من الملك ما قدروا عليه فلحق بأحيائهم ونزل على
الاحلاف الذين هم أمس رحما بسجلماسة وأقرب موطنا بها وكان الوزير ابن ماسي
قد ولى عليها من أقاربه علي بن ابراهيم بن عبو بن ماسي فلما ضيق عليه السلطان أبو
العباس وضيق مخنقه بالبلد الجديد دس الى الاحلاف والى قريبه علي بن ابراهيم أن
ينصب محمد بن السلطان عبد الحليم ويملكه سجلماسة ويجلب به على تخوم المغرب
ليأخذ بحجزة السلطان أبي العباس عنه وينفسوا من حصاره ففعلوا ذلك ودخل محمد
الى سجلماسة فملكها وقام علي بن ابراهيم بوزارته حتى اذا استولى السلطان أبو العباس
على البلد الجديد وقتل الوزير مسعود بن ماسي وباخوته وسائر قرابته اضطرب علي بن
ابراهيم وفسد ما بينه وبين سلطانه محمد فخرج عن سجلماسة ودعا الى أبي حمو سلطان
تلمسان كما كان ثم زاد هو ارتيابه فخرج عن سجلماسة وتركها ولحق بأحياء العرب
وسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه مأمنه ونزل على السلطان أبي حمو الى أن هلك
فسار الى تونس وحضر وفاة السلطان أبي العباس بها سنة تسع وتسعين ولحق محمد
ابن السلطان عبد الحليم بعد مهلك أبي حمو بتونس ثم ارتحل بعد وفاة السلطان ابي
العباس الى المشرق لحجة فرضه والله تعالى أعلم

(نكبة ابن أبي عمرو مهلكه وحركات ابن حسون)

لما استقل السلطان بملكه واقتعد سريره صرف نظره الى أوليائك الدولة ومن يرتاب منه وكان محمد بن أبي عمر قد تقدم ذكره وأوليته من جملة خواصه وأوليائه وندمائه وكان السلطان يقسم له من عنايته وجميل نظره ويرفعه عن نظرائه فلما ولي السلطان موسى ترغب اليه بوازع المخالصة لابيه من السلطان أبي عنان فقد كان أبوه أعز بطانته كامرّ فاستخلصه السلطان موسى للشورى ورفعه على منابر اهل الدولة وجعل اليه كتاب علامته على المراسم السلطانية كما كان لابيه وكان يناوضه في مهماته ويرجع اليه في أموره حتى غص به أهل الدولة وغاعد للوزير مسعود بن ماسي أنه يداخل السلطان في نكبته وربما سعى عند سلطانه في جماعة من بطانة السلطان أحمد فأتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجري بينهم وبينه في مجالسة المنادمة عند السلطان حقدها لهم فلما ظفر بالحظ من سلطانه سعى بهم فقتلهم وكان القاضي أبو اسحق البزناسني من بطانة السلطان أحمد وكان يحضر مع ندمائه فحقد له ابن أبي عامر وأغرى به سلطانه فضربه وأطافه وجاءهم بانشعاء غريبة في القبح وسفر عن سلطانه الى الاندلس وكان يحضر بمجالس السلطان أحمد ومكان اعتداله وربما يلقاه فلا يلم اليه ولا يجيبه ولا يوجب له حقا فأحفظ ذلك السلطان ولما فرغ من ابن ماسي قبض على ابن أبي عمر هذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك بالسياط وحمل الى داره وبينما أهله يحضرونه الى قبره واذا بالسلطان قد أمر بأن يسحب بنواحي البلد ابلاغا في التنكيل فحمل من نعشه وقد ربط حبل برجله وسحب في أنهار المدينة ثم ألقي في بعض المزابل ثم قبض على حركات ابن حسون وكان مجلبا في الفتنة وكان العرب المخالفون من المعقل لما أجاز السلطان الى سبتة وحركات هذا بتادلا راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاؤا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى استقام أمره وملك البلد الجديد فقبض عليه وامتحنه الى أن هلك والله وارث الارض ومن عليها

(خلاف علي بن زكريا بجبل الهساكرة ونكبته)

لما ملك السلطان البلد الجديد واستولى على ملكه وفد عليه علي بن زكريا شيخ هسكورة مستصفيا بما قدم من سوابقه وقد كان حضر معه حصار البلد الجديد واستدعاه فجاء بقومه وعساكر المصامدة على عادة الدولة في ذلك ثم وفد معه محمد بن ابراهيم المراري من شيوخ المصامدة وكانت له ذمة صهر مع الوزير محمد بن يوسف بن علال على أخته فولاه السلطان مكان علي بن زكريا فغضب لها راستشاط وبادر الى الانتقاض والخلاف ونصب بعض القرابة من بني عبد الحق فجهز اليه السلطان العساكر مع محمد بن

يوسف بن علال وصالح بن حمو اليابانى وأمر صاحب درعة وهو يومئذ عمر بن عبد المؤمن بن عمر أن ينهض اليه بعساكر درعة من جهة القبلة فساروا اليه وحاصروه فى جبله وحاولوه مرات ينهزم فى جميعها حتى غلبوه على جبله وسار الى ابراهيم بن عمران الصناكى المجاور له فى جبله فاستذم به وخشى ابراهيم معرة الخلاف والغلب ورغبه الوزير محمد بن يوسف بما بذل له فأمكنه منه وقبض على الوزير وجاء به الى فاس فأدخله فى يوم مشهود وشهره واعتقل فلم يزل فى الاعتقال الى أن هلك السلطان أبو العباس وارتاب به أهل الدولة بعده فقتلوه كما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿وفادة أبى تاشفين على السلطان أبى العباس صريخا على أبيه ومسيره بالعساكر ومقتل أبيه السلطان أبى حمو﴾

كان أبو تاشفين ابن السلطان أبى حمو قد وثب على أبيه آخر ثمان وثمانين بما اتهمه لغيره من اخوته واعتقله بوهران وخرج بالعساكر لطلب اخوته المنتصر وأبى زيان وعمر فامتنعوا عنه بحصن بجبل تيطرى فحاصرهم أياما ثم تذكر غائلة أبيه فبعث ابنه أبا زيان فى جماعة من بطانته منهم ابن الوزير عمران وعبد الله بن جابر الخراسانى فقتلوا بعض ولده بتلمسان ومضوا اليه وهو بمحبسه فى وهران فلما شعر بهم أشرف من الحصن ونادى فى أهل المدينة متذمما بهم فهرعوا اليه وتدلى اليهم فى عمامته وقد احتزم بها فأنزلوه وأحدقوا به وأجلسوه على سريره وتولى كبر ذلك خطيب البلد ابن حذورة ولحق أبو زيان بن أبى تاشفين ناجيا الى تلمسان واتبعه السلطان أبو حمو ففر منها الى أبيه ودخل أبو حمو تلمسان وهى طلل وأسوارها خراب فأقام فيها رسم دولته وبلغ الخبر الى أبى تاشفين فأجفل من تيطرى وأغذ السير فدخلها واعتصم أبوه بمئذنة المسجد فاستنزله منها وتجافى عن قتله ورغب اليه أبوه فى رحلة الشرق لقضاء فرضه فأسعفه وأركبه السفين مع بعض تجار النصارى الى الاسكندرية موكلا به فلما حاذى مرسى بجاية لاطف النصرانى فى تخلية سبيله فأسعفه وملك أمره وبعث الى صاحب الامر بجاية يستأذنه فى النزول فأذن له وسار منها الى الجزائر واستخدم العرب واستصعب عليه أمر تلمسان فخرج الى الصحراء وجاء الى تلمسان من جهة المغرب فهزم عساكر ابنه تاشفين وملكها وخرج أبو تاشفين هاربا منها فلحق بأحياء السويد فى مشاتيهم ودخل أبو حمو تلمسان فى رجب سنة تسع وسبعمائة وقد تقدم شرح هذه الاخبار مستوعبا ثم وفد أبو تاشفين مع محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبى العباس صريخا على أبيه ومؤملا الكرة بامداده فبعث له السلطان وأجمل عليه المواعد وقام أبو تاشفين فى انتظارها والوزير محمد ابن يوسف بن علال بعده ويمنيه ويحلف له على

الوفاء وبعث السلطان أبو حمو الى ابن الاحمر لما يعلم من استطالته على دولة بنى مرين كما يتوصل اليه فى أن يصدهم عن صريخ أبى تاشفين وامداده فجلا ابن الاحمر فى ذلك وجعلها من أهم حاجاته وخاطب السلطان أبا العباس فى أن يجيز اليه أبا تاشفين فتعلل عليه فى ذلك بأنه استجار بابنه أبى فارس واستذم به ولم يزل الوزير ابن علال يفتل لسلطانه ولابن الاحمر فى الذروة والغارب حتى تم أمره وأنجزله السلطان بالنظر وعده وبعث ابنه الامير أبا فارس والوزير ابن علال فى العساكر صريخا له وانتهوا الى تازا وبلغ الخبر الى أبى حمو فخرج من تلمسان فى عساكره واستألف أولياءه من عبيد الله ونزل بالغيران من وراء جبل بنى راشد المطل على تلمسان وأقام هنالك متحصنا بالجبل وجاءت العيون الى عساكر بنى مرين بتازا بمكانه هو واعرابه من الغيران فاجمعوا غزوه وسار الوزير ابن علال وأبو تاشفين وسلكوا القفر ودليلهم سليمان بن ناجى من الاحلاف حتى صبحوا أبا حمو ومن معه من أحياء الخراج فى مكانهم بالغيران فناولوهم ساعة ثم ولوا منهزمين وكبا بالسلطان أبى حمو فرسه فسقط وأدركه بعض أصحاب أبى تاشفين فقتلوه قعصا بالرماح وجاؤا برأسه الى ابنه أبى تاشفين والوزير ابن علال فبعثوا به الى السلطان وجىء بابنه عمير اسيرا فهم أخوه أبو تاشفين بقتله فمنعه بنو مرين أياما ثم أمكنوه منه فقتله ودخل تلمسان آخر احدى وتسعين وخيم الوزير وعساكر بنى مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب وأقام أبو تاشفين بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبى العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه وكان أبو حمو لما ملك تلمسان ولى ابنه أبا زيان على الجزائر فلما بلغه مقتل أبيه امتعض ولحق بأحياء حصين ناجيا وصريخا وجاءه وفد بنى عامر من زغبة يدعونه للملك فسار اليهم وقام بدعوته شيخهم المسعود بن صغير ونهضوا جميعا الى تلمسان فى رجب سنة ثنتين وتسعين فحاصرها أياما ثم سرب أبو تاشفين المال فى العرب فافترقوا عن أبى زيان وخرج اليه أبو تاشفين فهزمه فى شعبان من السنة ولحق بالصحراء واستألف أحياء المعقل وعاود حصار تلمسان فى شوال وبعث أبو تاشفين ابنه صريخا الى المغرب فجاء بمدد من العساكر ولما انتهى الى تاوريرت أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل الى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخا فتلقاه وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه وأقام هنالك الى مهلك أبى تاشفين والله أعلم

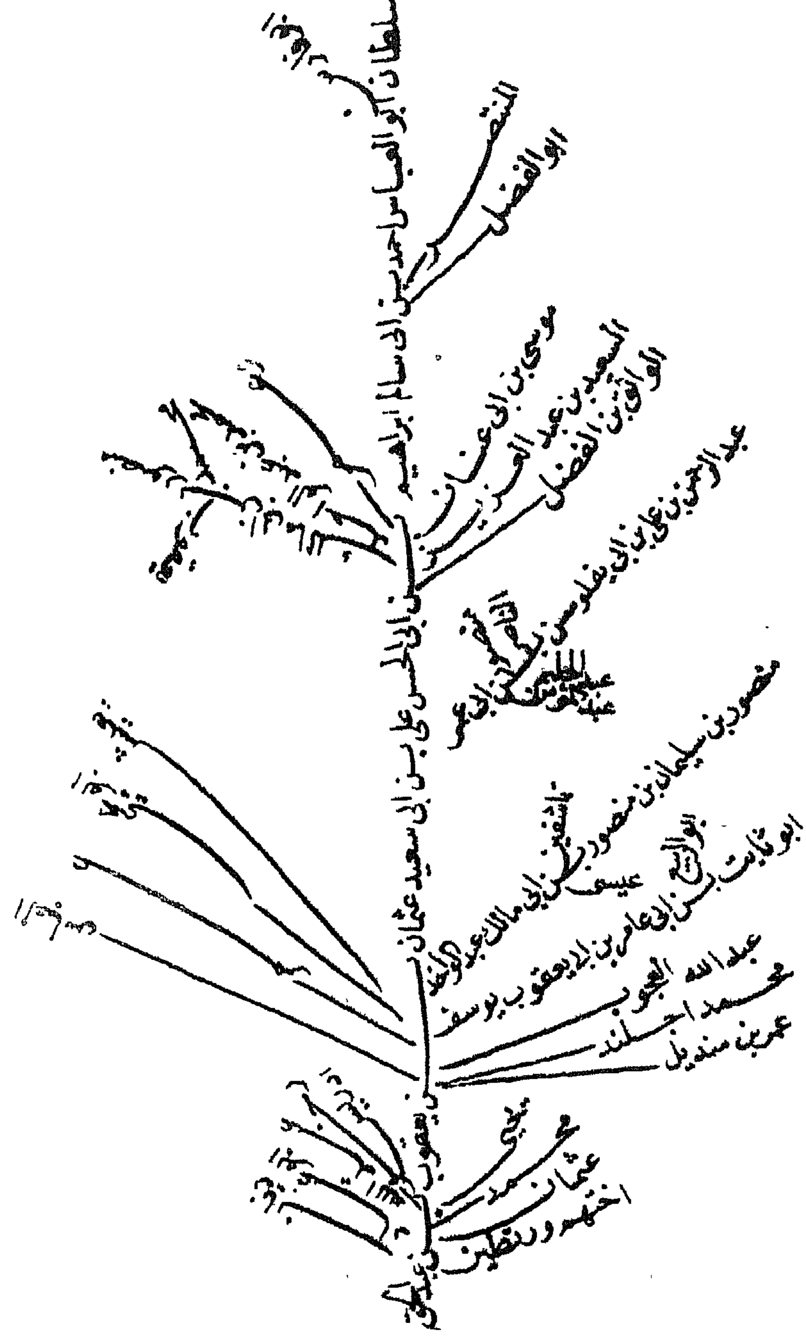
(وفاة أبى تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان)

لم يزل هذا الامير أبو تاشفين مملكا على تلمسان ومقيما فيها الدعوة صاحب المغرب أبى العباس ابن السلطان أبى سالم ومؤديا الضريبة التى فرضها عليه منذ ملك وأخوه الامير أبو زيان عند صاحب المغرب ينتظر وعده بالنصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبى تاشفين فى بعض النزغات الملوكية فأجاب داعى أبى زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة خمس وتسعين وانتهى الى تازا وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به ثم هلك منه فى رمضان من السنة وكان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم وكان   فولى بعده مكانه صبيا من أبنائه وأقام بكفالته وكان يوسف بن أبى حمو وهو ابن الزابية واليا على الجزائر من قبل أبى تاشفين فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب فدخل تلمسان وقتل أحمد بن العز والصبى المكفول ابن أخيه أبى تاشفين فلما بلغ الخبر الى السلطان أبى العباس صاحب المغرب خرج الى تازا وبعث من هنالك ابنه أبا فارس فى العساكر وردّ أبا زيان بن أبى حمو الى فاس ووليّ عهده وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان فملكها وأقام فيها دعوة أبيه وتقدم ووزيره صالح بن أبى حمو الى مليانة فملكها وما بعدها من الجزائر وتدلس الى حدود بجاية واعتصم يوسف بن الزابية بحصن تاجموت وأقام الوزير صالح يحاصره وانقرضت دعوة بنى عبد الواد من المغرب الاوسط والله غالب على أمره

وفاة أبى العباس صاحب المغرب واستيلاء أبى زيان بن أبى حمو على تلمسان والمغرب الاوسط

كان السلطان أبو العباس بن أبى سالم لما وصل الى تازا وبعث ابنه أبا فارس الى تلمسان فملكها وأقام هو بتازا يشارف أحوال ابنه ووزيره صالح الذى تقدم لفتح البلاد الشرقية وكان يوسف بن على بن غانم أمير أولاد حسين من المعقل قد حج سنة ثلاث وتسعين واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق وتقدمت الى السلطان فيه وأخبرته بمحله من قومه فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم يوسف بها على السلطان أبى العباس أعظم موقعها وجلس فى مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها وشرع فى المكافأة عليها بتخير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك ما رضيه واعتزم على انفاذها مع يوسف بن على حاملها الاول وانه يرسله من تازا أيام مقامته تلك فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه فى محرم سنة ست وتسعين واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فبايعوه بتازا وولوه مكانه ورجعوا به الى فاس وأطلقوا أبا زيان بن أبى حمو من الاعتقال وبعثوا به الى تلمسان أميرا عليها وقائما بدعوة السلطان أبى فارس فيها

فسار اليها وملكها وكان أخوه يوسف بن الزابية قد اتصل بأحياء بني عامر بن وملك
تلمسان والاجلاب عليها فبعث اليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك وبذل لهم عطاء جزيلا
على أن يبعثوا به اليه فأجابوه الى ذلك وأسلموه الى ثقات أبي زيان وساروا به فاعترضهم
بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى اخيه أبي زيان
فسكنت أحواله وذهبت الفتنة بذهابه واستقامت أمور دولته وهم على ذلك لهذا
العهد والله غالب على أمره وهو على كل شيء قدير


المنتصر
أبو الفضل
موسى بن أبي عنان
السعيد بن عبد العزيز
الواثق بن الفضل
عبد الرحمن بن علي بن أبي يفلوسن
منصور بن سليمان بن منصور
عيسى
عبد الله
العجوز
عمر بن منديل
يحيى
محمد
عثمان

(الخبر عن القرابة المرشحين من آل عبد الحق من الغزاة المجاهدين بالاندلس الذين قاسموا ابن الاحمر في ملكه وانفردوا برياسة جهاده)

كانت الجزيرة الاندلسية وراء البحر منذ انقراض أمر بني عبد المؤمن وقيام ابن الاحمر بأمرها قليلة الحامية ضعيفة الاحوال الا من يلهمه الله لعمل الجهاد من قبائل زناتة المؤملين كثرة الملك والمقتسمين ممالك المغرب وخصوصا بني مرين أهل المغرب الاقصى لاتصال عدوة الاندلس بسائطه ولتعدد الفرائض بحر الزقاق القريب العدوتين ومازال أهل الزقاق على قديم الزمان لاجل ذلك فرضة دون سواحل المغرب (ولما استولى) بنو مرين على ممالكه وضاقت أحوال المسلمين بالاندلس وأخذ بمخنقهم الطاغية حتى ألجأهم الى سيف البحر واستأثر بالقومرة وماوراءها واستأثر بنو القمص أهل برشلونة وقطلوسة بشرق الاندلس وانتشر في الاقطار ما كان من أمر قرطبة وأختها اشبيلية وبلنسية وامتعض لذلك المسلمون وتنافسوا في الجهاد وامداد الاندلس بأموالهم وأنفسهم وسابق الناس الى ذلك الامير أبو زكريا ابن أبي حفص بما كان صاحب الوقت والمؤمل للكرة فاستنفذ الكثير من أمواله ومقرباته في امدادهم بعد ان كانوا آثروا القيام بدعوته وأوفدوا عليه المشيخة ببيعتهم وكان ليعقوب بن عبد الحق أمل في الجهاد وحرص عليه فاعتزم في سلطان أخيه أبي يحيى على الاجازة لذلك فمنعه ضنة به عن الاغتراب عنه وأوعز الى صاحب سبتة يومئذ أبي علي بن خلاص بمنعه منها فوعر له السبيل وسد عليه المذاهب ولم ينشب يعقوب بن عبد الحق أن قام بسلطان المغرب بعد أخيه أبي يحيى وشانه وأهمه شأن ابن أخيه ادريس بن عبد الحق لما كان فيهم من الترشيح والمنافسة لبنيه واستأذنه عامر بن ادريس منهم في الجهاد بعد العدوة فاغتنمها منه وعقد له من مطوعة زناتة على ثلاثة آلاف أو يزيدون وأجاز معه رحو ابن عمه ابن عبد الله بن عبد الحق وفصلوا الى الاندلس سنة احدى وستين فحسنت آثارهم في الجهاد وكرمت مقاماتهم ثم رجع عامر ابن ادريس الى المغرب وكثرا انتقاض القرابة ونافسهم أقيال زناتة في مثلها فاجتمع أبناء الملوك بالمغرب الاوسط مثل عبد الملك يغمراسن بن زيان وعامر بن منديل بن عبد الرحمن وزيان بن محمد بن عبد القوي فتعاقدوا على الاجازة الى الاندلس الى الجهاد وأجازوا فيمن خف معهم من قومهم سنة ست وسبعين وستمائة فامتلأت الاندلس بأقيال زناتة وأعياص الملك منهم وكان فيمن أجاز من أعياصهم بنو عيسى بن يحيى بن وسناف بن عبو بن أبي بكر بن حمامة ومنهم سليمان وابراهيم وكانت لهما آثار في الجهاد ومقامات محمودة وكان موسى بن رحو لما نازله السلطان وبني أبيه عبد الله بن عبد الحق

بجهن علودان ونزلوا على عهده ولحق بتلمسان وكان بنو عبد الله بن عبد الحق وادريس ابن عبد الحق عصبة من بين سائرهم لان عبد الله وادريس شقيقين لسوط النساء بنت عبد الحق فاقتفى أبو يعقوب بن عبد الحق بن عبد الله محمد ابن عمه ادريس وخرج على السلطان بقصر كتامة سنة ثلاث وستين ثم استرضاه محمد واستنزله وبقى يعقوب بن عبد الله فى انتقاضه يتنقل فى الجهات الى أن قتله طلحة بن محلي من أولياء السلطان سنة ثلاث وستين بجهات سلا فهلك فى السلطان شأنه ولما كان من عهد السلطان لابنه أبي مالك ماقدمناه نفس عليه هؤلاء القرابة هذا الشأن فانتقضوا ولحق ابن ادريس بجبل علودان ولحق موسى بن رحو بن عبد الله بجبال غمارة ومعه أولاد عمه أبي عياد بن عبد الحق ونازلهم السلطان حتى نزلوا على عهده وأجازهم الى الاندلس سنة سبعين فأقاموا بها للجهاد سوقا ونافسهم أقيال زناتة فى مثلها بتلمسان وأجازها الى الاندلس سنة سبعين فولاه السلطان ابن الاحمر على جميع الغزاة المجاهدين هنالك لما كان كبيرهم ومحل سؤالهم ولم يلبث ان عاد الى المغرب فولى السلطان مكانه أخاه عبد الحق ثم رجع عنه مغاضبا الى تلمسان فولى مكانه على الغزاة المجاهدين ابراهيم بن عيسى بن يحيى بن وسناف الى أن كان مانذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن موسى بن رحو ناشئ هذه الرياسة بالاندلس وخبر
أخيه عبد الحق من بعده وابنه حمو بن عبد الحق بعدهما)

لما هلك السلطان الشيخ ابن الاحمر وولى ابنه السلطان الفقيه ووفد على السلطان يعقوب ابن عبد الحق صريخا للمسلمين فأجاز اليه أول اجازته سنة ثلاث وسبعين وأوقع بجموع النصرانية وقتل الزعيم دننه واستولى له الغلب على الاندلس وبدا لابن الاحمر فى أمره وخشي مغبته وتوقع أن يكون شأنه معه شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد وكان بالاندلس قرابته بنو شقيلولة قد قاسموه فى ممالكها وانفردوا بوادي آش ومالقة وقمارش حسبما ذكرناه فى أخباره مع السلطان وانتقض عليه أيضا من رؤساء الاندلس ابن عبد ربل وابن الدليل فكانوا يجلبون على بلاد المسلمين وكانوا قد استجدوا جيوش النصرانية ونازلوا غرناطة وعاثوا فى الجهات فلما استوت قدم السلطان يعقوب بن عبد الحق بالاندلس وصل هؤلاء الثوار به أيديهم فخشيهم ابن الاحمر جميعا على نفسه وقلب السلطان ليوسف ظهر المجن واستظهر عليه بالاعياص من قرابته وكان هؤلاء القرابة من أولاد رحو بن عبد الله بن عبد الحق وادريس بن عبد الحق وينسبون جميعا الى سوط النساء كما ذكرناه ومن أولاد أبي عياد بن عبد الحق لما أوجسوا الخيفة من السلطان واستشعروا النكير منه لحقوا بالاندلس تورية بالجهاد وانتبذوا عن الهول

فرارا من محله وقد كان السلطان أبو يوسف حين انتقضوا عليه أشخصهم الى الاندلس فاجتمع منهم عند ابن الاحمر عصابة من أولاد عبد الحق كما قلناه وأولاد دوسناف وأولاد برول وتاشفين بن معطى كبير بنى تيربيعن من بنى محمد وتبعهم أولاد محلى اخوال السلطان أبى يوسف وكان ابن الاحمر كثيرا ما يعقد لهم على الغزاة المجاهدين من زناتة لدار الحرب فعقد أولا لموسى بن رحو سنة ثلاث وسبعين ولاخيه عبد الحق بعد انصرافه الى المغرب ثم لابراهيم بن عيسى بعد انصرافهما معا كما قلناه ثم رجع فعقد لموسى بن رحو ثانية على أشياخه وأثبت له قدما فى الرياسة ليحسن به دفاع السلطان أبى يوسف عنهم ثم تداولت الامارة فيهم ما بينهم وبين عمر منهم وربما عقد قبل ذلك أزمان الفترة ليعلى بن أبى عياد بن عبد الحق فى بعض الغزوات ولتاشفين بن معطى فى أخرى سنة تسع وسبعين ومعه طلحة بن محلى فاعترضوا الطاغية دون حصر المسلمين وربما كان لهم الظهور ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أبى تاشفين وعقد ابن الاحمر فى بعض حروبه معه ليعلى بن أبى عياد على زناتة جميعا وحاشهم الى رايته فانفضت جموع أبى يوسف وظهروا عليه وتقبضوا فى المعركة على ابنه منديل واستاقوه أسيرا الى أن أطلقه السلطان ابن الاحمر فى سلم عقده بعد مهلكه مع أبيه يوسف بن يعقوب واستبد موسى بن رحو من بعدها بامارة الغزاة بالاندلس الى أن هلك فوليها من بعده أخوه عبد الحق الى أن هلك سنة تسع وسبعين وكان مظفر الراية على عدو المسلمين ولما هلك ولى من بعده ابنه حمو بن عبد الحق فكانت هذه الامارة متصلة فى بنى رحو الى أن انتقلت منهم الى اخوانهم من بنى أبى العلاء وغيرهم واندرج حمو فى جملة عثمان ابن أبى العلاء من بعد حسبما نذكر وأما ابراهيم بن عيسى الوسنافى فانه رجع الى المغرب ونزل على يوسف بن يعقوب وقتله بمكانه من حصار تلمسان بعد حين من الدهر وبعد أن كبر وعمى والله مالك الامور لا رب غيره وكان مهلك ابن أبى عياد سنة سبع وثمانين ومعطى بن أبى تاشفين سنة تسع وثمانين وطلحة بن محلى سنة ست وثمانين والله أعلم

(الخبر عن عبد الحق بن عثمان شيخ الغزاة بالاندلس)

كان عبد الحق هذا من أعياص الملك المرينى وهو من ولد محمد بن عبد الحق ثانى الامراء على بنى مرين بعد أبيهم عبد الحق وهلك أبوه عثمان بن محمد بالاندلس احدى أيام الجهاد سنة تسع وسبعين وربى عبد الحق هذا فى حجر السلطان يوسف بن يعقوب الى أن كان من أمر خروجه مع الوزير رحو بن يعقوب على السلطان أبى الربيع ما ذكرناه فى أخباره ولحق بتلمسان وأجاز منها الى الاندلس وسلطانها يومئذ أبو الجيوش ابن السلطان

الفقيه وشيخ زناتة حمو بن عبد الحق بن رحو وخاطبهم السلطان أبو سعيد ملك المغرب في اعتقاله فاجابوه وفر من محبسه ولحق بدار الحرب ولما انتقض أبو الوليد بن الرئيس أبي سعيد وبايع لنفسه بمالقة وزحف الى غرناطة فنازلها ووقعت الحرب بظاهرها بين الفريقين وأخذ في بعض حروبهم حمو بن عبد الحق أسيرا وسيق الى السلطان أبي الوليد وكان معه عمه أبو العباس بن رحو فأبى من اسار ابن أخيه وخلا عنه فرجع الى سلطانه فارتاب به لذلك وعقد على الغزاة مكانه لعبد الحق بن عثمان استدعاه من مكانه بدار الحرب ثم غلبهم أبو الوليد على غرناطة وتحول أبو الجيوش على وادي آش على سلم انعقد بينهم وسار معه عبد الحق بن عثمان على شأنه ثم وقعت بينه وبين أبي الجيوش مغاضبة لحق لاجلها بالطاغية وأجاز الى سبتة فاستظهر به أبو يحيى بن أبي طالب العزفي أيام حصار السلطان أبي سعيد اياه فكان له في حماية ثغره والدفاع عنه آثار مذكورة ثم عقد السلطان أبو سعيد السلم ليحيى العزفي وأفرج عنه فارتحل عبد الحق بن عثمان الى افريقية ونزل بجاية سنة تسع عشرة على أبي عبد الرحمن بن عمر صاحب السلطان أبي يحيى المستبد بالثغور الغربية فأكرم نزله وأوسع قراره وضرب له الفساطيط بالزينة من ساحة البلد استبلاغا في تكريمه وحمله وأصحابه على مائة وخمسين من الخيل ثم أقدمهم على السلطان بتونس فبر مقدمهم وخلط عبد الحق بنفسه وآثره بالخلة والصحابة وأجله بمكان الاستظهار به وبعصابته ولما عقد السلطان لمحمد بن سيد الناس على حجابته سنة سبع وعشرين واستقدمه لذلك من ثغر بجاية كما ذكرناه عظمت رياسته واستغلظ حجابه وحجب عبد الحق ذات يوم عن بابه فسخطها وذهب مغاضبا وداخل أبا فارس في الخروج على أخيه فأجابه وخرج به من تونس فكان من خبرهم ومقتل أبي فارس وخلوص عبد الحق الى تلمسان ونزوله على أبي تاشفين وغزوه الى افريقية مع عساكر بني عبد الواد سنة سبع وعشرين ما ذكرناه في أخبار الدولة الحفصية ثم لما رجع بنو عبد الواد الى تلمسان صمد مولانا السلطان أبو يحيى الى تونس في أخريات سنته وفر ابن أبي عمران السلطان المنصوب بتونس من بني أبي حفص الى أحياء العرب وتقبض على ابي وزيق ابن أخي عبد الحق بن عثمان في جملة من أصحابه فقتله قعصا بالرماح ورجع عبد الحق بن عثمان الى مكانه من تلمسان فأقام بمثواه عند أبي تاشفين متبوّئا من الكرامة والاعتزاز الى أن هلك بمهلك أبي تاشفين يوم اقتحم السلطان أبو الحسن تلمسان عليهم سنة سبع وثلاثين وقتلوا جميعا عند قصر الملك أبو تاشفين وابناه عثمان ومسعود وحاجبه موسى بن على ونزيله عبد الحق هذا وأبو ثابت ابن أخيه فقطعت رؤسهم وتركت اشلاؤهم بساحة القصر عبرة للمعتبرين حسبما ذكرناه في أخبار

أبي تاشفين والله أعلم

(الخبر عن عثمان بن أبي العلاء من أمراء الغزاة المجاهدين بالاندلس)

كان أولاد وسوط النساء من ولد عبد الحق أهل عصابة واعتزاز على قومهم وهم أولاد ادريس وعبد الله ابنيها الشقيقين كما ذكرناه وكان مهلك ادريس الاكبر يوم مهلك أبيه بتافر يطت ومهلك عبد الله قبله وخلف عبد الله ثلاثة من الولد شعب فيهم نسله رحو ويعقوب ورحو وادريس واستعمل أبو يحيى بن عبد الحق يعقوب منهم على سلا عند افتتاحه اياها سنة تسع وأربعين ثم انتزى بها بعد ذلك على عمه يعقوب سنة ثمان وخمسين وكان من شأن ثورة النصارى به ما ذكرناه واستخلصها يعقوب بن عبد الحق ولحق يعقوب بن عبد الله بعلودان من بلاد غمارة وامتنع بها وخرج على أثره ابنا عمه ادريس وهما عامر ومحمد وانتزوا بالقصر الكبير ولحق بهم كافة أولاد وسوط النساء وطالبهم السلطان فلحقوا بجبال غمارة ونازلهم ثم استنزلهم بعد ذلك على الامان وعقد لعامر على الغزو الى الاندلس سنة ستين كما ذكرناه وأجاز معه رحو بن عبد الله ورجع محمد بن عامر مرة الى تلمسان سنة ثمانين وأجاز منها الى الاندلس ثم خرجوا على السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة تسع وثمانين ومعهم ولد أبي عياد بن عبد الحق واعتصموا بعلودان واستنزلهم السلطان على اللحاق بتلمسان فلحقوا بها وأجاز أولاد وسوط النساء وأولاد أبي عياد كافة الى الاندلس واستقروا بها يومئذ ورجع عامر منهم ومحمد وكان من خبره ما نذكر وهلك يعقوب بن عبد الله سنة ثمان وستين في اغترابه بقفوله من رباط الفتح قتله طلحة بن محلي واستقر بنوه من أولاد وسوط النساء بالمغرب وكان ابنه أبو ثابت أميرا على بلاد السوس أيام السلطان يوسف بن يعقوب وأوقع بالركبة سنة تسع وتسعين ولم يزل بنوه بالمغرب من يومئذ وكان من اخوته أبي العلاء ورحو بن عبد الله بن عبد الحق تشعب نسله فيهما وأجاز رحو الى الاندلس مع عامر ومحمد ابن عمه ادريس ثم أجاز موسى ابنه سنة تسع وتسعين مع أولاد أبي عياد وأولاد وسوط النساء ثم رجع الى محله من الدولة وفر ثانيا سنة خمس وسبعين الى تلمسان وأجاز منها الى الاندلس واستقر بها وأجاز أولاد أبي العلاء سنة خمس وثمانين مع أولاد أبي يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان بن عبد الحق واستقروا بالاندلس وكانوا يرجعون في رياستهم لكبيرهم عبد الله بن أبي العلاء وعقد له ابن الاحمر على الغزاة من زناتة فيمن كان يعقد لهم من زناتة قبل استقرار المنصب الى أن هلك شهيدا في احدى غزوات سنة ثلاث وتسعين وعقد المخلوع ابن الاحمر لاخيه عثمان بن أبي العلاء على حامية مالقة وغربيها من الغزاة لنظر ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر ولما غدر الرئيس أبو سعيد بسبتة سنة خمس وتمتله

في مثلها الحيلة واضطرمت نار العداوة بينه وبين صاحب المغرب فنصبوا عثمان هذا
للامر وأجازوه الى غمارة فثاروا بها ودعا لنفسه وتغلب على أصيلا والعرائش وكان
ما ذكرناه الى أن غلبه أبو الربيع سنة ثمانين ورجع الى مكانه بالاندلس ولما اعتزم
أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد على الخروج على أبي الجيوش صاحب غرناطة داخل
في ذلك شيخ الغزاة بمالقة عثمان بن أبي العلاء فساعده عليه واعتقل أباه الرئيس
أبا سعيد وزحف الى غرناطة سنة أربع عشرة فلما استولى عليها عقد لعثمان هذا على
امارة الغزاة المجاهدين من زناتة وصرف عنها عثمان بن عبد الحق بن عثمان فلحق
بوادي اش مع أبي الجيوش وصار حمو بن عبد الحق بن رحو في جملته بعد ان
كان شيخا على الغزاة كما قلناه واستمرت أيام ولاية عثمان هذا وبعد فيها صيته وغص
صاحب المغرب أبو سعيد بمكانه ولما استصرخه المسلمون للجهاد سنة ثمان عشرة اعتذر
بمكان عثمان هذا واشترط عليهم القبض عليه حتى يرجع عنهم فلم يمكن ذلك ونازل
الطاغية غرناطة وحاصرها وكان لعثمان وبنيه في ذلك آثار مذكورة وأتاح الله
للمسلمين في النصرانية على يد عثمان هذا وبنيه ما لم يخطر على قلب أحد منهم فتأكد
اغتباط الدولة والمسلمين بمكانهم الى أن هلك أبو الوليد سنة خمس وعشرين وسبعمائة
باغتيال بعض الرؤساء من قرابته بعد اخلاء عثمان هذا زعموا في غدره ونصب للامر
ابنه محمد صبيا لم يبلغ الحلم وأقام بأمره وزيره محمد بن المحروق من صنائع دولتهم فاستبد
عليه وألقى زمام الدولة بيد عثمان في النقض والابرام فاعتزاءهم وقاسمهم في الامر
واستأثر في أعطيات الغزاة بكثير من أموال الجباية حتى خشي الوزير على الدولة
وأدار الرأي فى كبره على التغلب وفسد ما بينه وبين
الوزير ابن المحروق فانتقض عليه وخرج مغاضبا فاضطرب بساطه بمرج غرناطة
واعصوصب جماعة الغزاة من قبائل زناتة عليه واعتصم الوزير وأهل الدولة
بالحمراء وسعى الناس بينهما أياما وأدار الوزير الرأي في أن ينصب له كفوا من قرابته
يجاذبه الحبل ويشغله بشأنه عن الدولة فجاء بيحيى بن عمر بن رحو وكان في جملة عثمان
وأصهر اليه في ابنته وعقد له على الغزاة وتسايلوا اليه وبرز عثمان بعسكره في عشيره
وولده وأخذ معه السلم في أن يجيز الى المغرب وأوفد بطانته على السلطان أبي سعيد
سنة ثمان وعشرين وارتحل من ساحة غرناطة في ألف فارس من ذويه وأقاربه
وحشمه وقصد تدرش ليجعلها فرضة لمجازه حتى اذا حاذى تدرش وكان بينه وبين
رؤسائها مداخلة خرجوا اليه مؤدين حق مبرته فغدر بهم وأركب اليها فملكها
وضبطها وأنزل بها حرمه وأثقاله ودعا محمد بن الرئيس من شلوبانية كان منزلا بها لجفله

اليه ونسبه للامر وشن الغارات على غرناطة صباحا ومساء واضطرمت نار الفتنة واستركب يحيى بن رحو من قدر عليه من زناتة وطالب الحرب سنين حتى اذا قتل السلطان محمد بن الاحمر بوزيره ابن المحروق استدعى عثمان بن أبي العلاء وعقد له السلم على أن يجيز عمه الى المغرب ويلحق بغرناطة لشأنه من رياسة الغزاة فتم ذلك سنة تسع وعشرين ورجع الى مكانه من الدولة وهلك اثر ذلك لسبع وثلاثين سنة من امارته على الغزاة والبقاء لله وحده

(الخبر عن رياسة ابنه أبي ثابت من بعده ومصير أمرهم)

لما هلك شيخ الغزاة ويعسوب زناتة عثمان بن أبي العلاء قام بأمره وقومه ابنه أبو ثابت عامر وعقد السلطان أبو عبد الله بن أبي الوليد له على الغزاة المجاهدين كما كان أبوه فعظم شأنه قوة وشكيمة وكثرة عصابة ونفوذ رأي وبسالة وكان لقومه اعتزاز على الدولة بما ضربوا من عودها وكانوا أولي بأس وقوة فيها واستبداد عليها وكان السلطان محمد بن أبي الوليد مستنكفا عن الاستبداد عليه في القل والكثر فكان كثيرا ما يخرقهم بتسفيه آرائهم والتضييق عليهم في جاههم ولما وفد على السلطان أبي الحسن سنة ثنتين وثلاثين صريخا على الطاغية واستعدى ابنه الامير أبا مالك لمنازلة جبل الفتح اتهموه بمداخلة السلطان أبي الحسن في شأنهم فتنكروا وأجمعوا الفتك به وداخلوا في ذلك بعض صنائعه ممن كان متربصا بالدولة ولما افتتح الجبل وكان من شأنه ما قدمنا ذكره وزحف الطاغية فأناخ عليه وقصد ابن الاحمر الطاغية في بنيه راغبا أن يرجع الى الحصن فرجع وافترقت عساكر المسلمين ارتحل السلطان ابن الاحمر الى غرناطة سنة ثلاث وثلاثين وقد قعدوا له بمرصد من طريقه ونمى الخبر اليه فدعا بأسطوله لركوب البحر الى مالقة واستبق اليهم الخبر بذلك فتبادروا اليه ولقوه بطريقه من ساحل اصطبونة فلاحوه وعاتبوه في شأن صنيعته عاصم من معلوجيه وحاجبهم عنه فاعتوروا عاصما بالرماح فنكر ذلك عليهم فألحقوه به وخر صريعا عن مركوبه وبعثوا الى أخيه يوسف فأعطوه بيعتهم وصفقة أيمانهم ورجعوا به الى غرناطة وهو حذر منهم لفعلتهم التي فعلوا واستمرت الحال على ذلك ولما استكمل السلطان أبو الحسن فتح تلمسان وصرف عزائمه الى الجهاد داخل ابن الاحمر في ازاحتهم عن الاندلس مكان جهاده فصادف منه اسعافا وقبولا وتقبض على أبي ثابت واخوته ادريس ومنصور وسلطان وفر أخوهم سليمان فلحق بالطاغية وكان له يوم أثر في الايقاع بالمسلمين ولما تقبض ابن الاحمر على أبي ثابت واخوته أودعهم جميعا المطبق أياما ثم غرّبهم الى افريقية فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي يحيى وأوعز اليه السلطان أبو الحسن بالتوثق منهم

ان يتصلوا بنواحي المغرب ويخالفوه اليها أيام شغله بالجهاد في الاندلس فاعتقلهم وأوفد أبا محمد بن تافراكين الى سدة السلطان أبي الحسن اليه شفيعا فيهم فتقبل شفاعته وأحسن نزلهم وكرامتهم حتى اذا احتل بسبتة أيام حصار الجزيرة في سنة ثلاث وأربعين سخط بهم عنده فتقبض عليهم واعتقلهم بمكناسة ولما انتزى ابنه الامير أبو عنان على الامر وهزم منصورا ابن أخيه أبي مالك صاحب فاس ونازله بالبلد الجديد بعث فيهم الى مكناسة فأطلقهم من الاعتقال وأفاض فيهم الاحسان واستظهر على شأنه وأحل أبا ثابت محل الشورى من مجلسه وداخل ادريس أخاه في المكر بالبلد الجديد فنزع اليها ومكر بهم وثار عليهم الى أن نزلوا على حكم السلطان أبي عنان فعقد لابي ثابت على سبتة وبلاد الريف ليشارف منها الاندلس محل امارته وأطلق يده في المال والجيش وفصل لذلك فهلك بالطاعون يومئذ سنة تسع وأربعين بمعسكره ازاء معسكر السلطان من حصار البلد الجديد واستقر اخوانه في ايالة السلطان أبي عنان بالمغرب الاقصى الى أن كان من مفر أخيه ادريس وولايته على الغزاة بالاندلس ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن يحيى بن عمر بن رحو وامارته على الغزاة بالاندلس أولا وثانيا ومبدا ذلك وتصاريفه)

كان رحو بن عبد الله كبير ولد عبد الله بن عبد الحق وكان له بنون كثيرون وتشعب نسلهم منهم موسى وعبد الحق والعباس وعمر ومحمد وعلي ويوسف أجازوا كلهم الى الاندلس مع أولاد سوط النساء من تلمسان كما قدمناه وأقام عمر بعدهم بتلمسان مدة واتخذ بها الاهل والولد ثم لحقهم وولي موسى امارة الغزاة بعد ابراهيم بن عيسى الوسناني وبعده أخوه عبد الحق على الغزاة أقام بها مدة وأجاز الى سبتة مع الرئيس أبي سعيد وعثمان بن أبي العلاء سنة خمس وولي بعدها على الغزاة المجاهدين ثم رجع الى الاندلس ولم يلبث بها أن اجاز الى المغرب ونزل على السلطان أبي سعيد فأكرم نزله ثم رجع الى الاندلس ولما ولي امارة الغزاة عثمان بن أبي العلاء وكان بينهم من المنافسة ما يكون بين فحول الشول أشخص بني رحو جميعا الى افريقية فنزلوا على مولانا السلطان أبي يحيى خير نزل اصطناهم واستخلصهم واستظهر جمعهم في حروبه وهلك عمر بن رحو ببلاد الجريد وقبره ببشرى من نفزاوة معروف ونزع ابنه يحيى من بين اخوته عن مولانا السلطان أبي يحيى وصار في جملة ابن أبي عمران ثم لحق بزواوة وأقام في بني يراتن سنين ثم أجاز الى الاندلس واستقر بمكانه من قومه واصطفاه عثمان بن أبي العلاء وأصهر اليه بابنته وخلطه بنفسه ولما فسد ما بينه وبين ابن المحروق وزير السلطان بغرناطة سنة

سبع وعشرين ولحصر صبيحة الغزاة بعسكر من مرج غرناطة دس اليه يوسف
ابن المحروق بالحيى هذا وجاء الى مكان حمله لضبطه بذلك فأجاب ونزع عن عثمان
وقومه الى ابن المحروق وسلطانه وعقد له على الغزاة وتسايلوا اليه عن عثمان وانصرف
الى المدية وكان من شأنه ما قصصناه في أخباره وأقام يحيى بن عمر في رياسته الى أن هلك
ابن المحروق بنكبة سلطانه واستدعى عثمان بن أبي العلاء للرياسة فرجع اليها وصرف
يحيى بن عمر الى وادي آش وعقد له على الغزاة بها فأقام حينا ثم رجع الى مكانه بين
قومه واصطفاه عثمان بن أبي العلاء وابنه أبا ثابت لما كانت أمه بنت موسى بن رحو
فكان يتصرف لمنزلته فيه ثم هلك عثمان وكان ما قدمناه من شأن ولده وفتكهم
بالسلطان المخلوع وتقبض أخوهم أبو الحجاج عليهم وأشخصهم الى افريقية وقوض
مباني رياستهم وعقد على الغزاة مكانهم ليحيى بن عمر هذا فاضطلع بها أحسن اضطلاع
واستقرت حاله وحضر مشاهد أبي الحجاج مع السلطان أبي الحسن فظهرت كفايته وغناؤه
ولما هلك أبو الحجاج سنة خمس وخمسين طعينا بمصلى العيد في آخر سجدة من صلاته
بيد عبد من عبيد اصطبله مصاب في عقله أغرى زعموا به وقتل لحينه هبرا بالسيوف
وبويع لابنه محمد أخذ له البيعة على الناس يومئذ مولاه رضوان من معلوجيهم
حاجب أبيه وعمه وقام بأمره واستبد عليه وحجره فقاسمه يحيى بن عمر هذا في شأنه وشاركه
في أمره وشد أزر سلطانه حتى اذا ثار بالحمراء الرئيس ابن عمهم محمد بن اسمعيل بن
الرئيس أبي سعيد قائما بدعوة اسمعيل بن أبي الحجاج أخي السلطان محمد كان سا كنا
بالحمراء وتحينوا لذلك مغيب السلطان في متنزهه بروضة خارج الحمراء فتسوروا اليها
وكبسوها ليلا فقتلوا الحاجب المستبد رضوان وأجلس السلطان على سرير ملكه
ونادوا بالناس الى بيعته ولما أصبح غدا عليهم يحيى بن عمر بعد أن يئسوا منه وخشوا
غائلته فأتاهم ببيعته وأعطى عليها صفقته وانصرف الى منزله وبعد استيلائهم
استخلصوا ادريس بن عثمان بن أبي العلاء كان وصل اليهم من دار الحرب ببرشلونة
كما ذكرنا وولوه امارة الغزاة وائتمروا في التقبض على يحيى بن عمر ونذر بذلك فركب في
حاشيته يؤم دار الحرب من أرض الجلالقة واتبعه ادريس فيمن اليه من قومه فقاتلهم
صدر نهاره وفض جموعهم ثم خلص الى ثغور النصرانية ولحق منها بسدة ملك المغرب
اثر سلطانه المخلوع محمد بن أبي الحجاج وخلف ابنه أبا سعيد عثمان بدار الحرب ونزل
يومئذ على السلطان أبي سالم سنة احدى وستين فأكرم مثواه وأحله من مجلسه محل
الشورى والمؤامرة واستقر في جملته الى أن بعث ملك قشتالة في السلطان المخلوع
باشارة ابنه أبي سعيد وسعايته في ذلك ليجلب به على أهل الاندلس بما نقضوا من عهده

وجهزه السلطان أبو سالم سنة ثلاث وستين فصحبه يحيى بن عمر هذا ولقيهم ابنه أبو سعيد عثمان وقاموا بأمر سلطانهم واستولى على الاندلس وكان لهم آثار في ذلك ولما استولى على غرناطة سنة ثلاث وستين عقد ليحيى بن عمر على امارة الغزاة كما كان وأعلى يده واستخلص عثمان لشوراه وخلطه ببطانته ونافسه الوزير يومئذ محمد بن الخطيب فسعى فيهم وأغرى السلطان بهم فتقبض عليهم سنة أربع وستين وأودعهم المطبق ثم أشخص يحيى سنة ست وستين الى المشرق وركب السفن من المرية فنزل بالاسكندرية ورجع منها الى المغرب ونزل على عمر بن عبد الله أيام استبداده واستقر في كرامة وخير مقامة ولم يزل بالمغرب على أعز الاحوال الى أن هلك سنة ثنتين وثمانين ثم استخلص ابنه أبا سعيد عثمان من الاعتقال سنة تسع وستين الى افريقية ونزل ببجاية على مولانا السلطان أبي العباس حافد مولانا السلطان أبي يحيى واستقر في جملته وحضر معه فتح تونس وأبلى فيه وأقطع له السلطان وأسنى له الجراية وخلطه بنفسه واصطفاه لشوراه وخلته وهو لهذا العهد من عظماء مجلسه وظهرائه في مقامات حروبه واخوته بالاندلس على مراكز عزهم وفي ظلال عصبيتهم مع قومهم وقد ذهب مواجد السلطان بالاندلس عليهم وصار الى حبل رأيه منهم والله مالك الملك ومقلب القلوب لا رب غيره

* (الخبر عن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء وامارته بالاندلس ومصاير أمره) *

لما هلك أبو ثابت بن عثمان بن أبي العلاء سنة خمسين وسبعمائة واستقر اخوته في جملة السلطان أبي عنان ملك المغرب وأقطعهم وأسنى جراياتهم وكان في ادريس منهم بقية الترشيح يراه الناس به فلما نهض السلطان الى فتح قسنطينة سنة ثمان وخمسين توغل في ديار افريقية وخام قومه عن مواقفها تحيلوا عليه في الرجوع به عن قصده منها وأذنت المشيخة لمن معهم من قومهم في الانطلاق الى المغرب حتى خف المعسكر من أهله وتآمروا وازعموا في اغتيال السلطان والادالة منه بادريس هذا ونذر بذلك فكر راجعا كما ذكرناه في أخباره ولما أشيع ذلك ركب ادريس ظهر الغدر وفر من العسكر ليلا ولحق بتونس ونزل على القائم بالدولة يومئذ الحاجب أبي محمد بن تافراكين خير نزل وأبره وركب السفين من تونس الى العدوة فنزل على ابن القمص صاحب برشلونة في حشمه وذويه وأقام هنالك الى أن كان من مهلك رضوان الحاجب المستبد بالاندلس سنة ستين ما قدمناه فنزع الى منبته من غرناطة ونزل على اسمعيل ابن السلطان أبي الحجاج والقائم بدولته يومئذ الرئيس محمد ابن عمه اسمعيل بن محمد الرئيس أبي سعيد فقوه مبرة وتنكر عاورجوه بالادالة به من يحيى بن عمر أمير الغزاة يومئذ لما كانوا يتهمونه به من ممالأة المخلوع صاحب الامر عليهم ولما نزع يحيى بن عمر الى الطاغية ولحق بدار الحرب

سنة احدى وستين عقد والادريس بن عثمان هذا على الغزاة مكانه وولوه خطة أبيه وأخيه بدولتهم فاضطلع بها ومالأ الرئيس محمدا على قتل سلطانه اسمعيل بن الحجاج واستبد بالامر واثنتين من ولايته غلبه المخلوع أبو عبد الله على الامر وزحف اليه من رندة كان نزل بها بعد خروجه من دار الحرب مغاضبا للطاغية وأذن له وزير المغرب عمر بن عبد الله فى نزولها فانزلها ثم زحف الى الثائر بغرناطة على ملكهم الرئيس وحاشيته فأجفلوا ولحق الرئيس محمد بن ادريس هذا بقشتالة ونزلوا فى جملتهم وحاشيتهم على الطاغية فتقبض عليهم وقتل الرئيس محمد وحاشيته جزاء بما أتوه من غدر رضوان ثم غدر السلطان اسمعيل من بعده وأودع ادريس ومن معه من الغزاة السجن باشبيلية فلم يزل فى أسره الى أن تحيل فى الفرار بمداخلة مسلم من الاسرى أعدّ له فرسا ازاء معتقله ففك قيده ونقب البيت وامتطى فرسه ولحق بأرض المسلمين سنة ست وستين واتبعوه فأعجزهم وجاء الى السلطان أبى عبد الله محمد المخلوع فأكرم نزله وأحسن مبرّته ثم استأذنه فى اللحاق بالمغرب فأذن له وأجاز الى سبتة وبلغ شأنه الى صاحب الامر بالمغرب يومئذ عمر بن عبد الله فأوعز الى صاحب سبتة بالتقبض عليه لمكان ترشيحه وأودعه السجن بمكناسة ثم نقله السلطان عبد العزيز الى سجن الغدر بفاس ثم قتلوه خنقا سنة سبعين والله وارث الارض ومن عليها

* (الخبر عن امارة على بن بدر الدين على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره) *

قد ذكرنا ان موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق كان أجاز الى الاندلس مع محمد وعامر ابنى ادريس بن عبد الحق وقومهم أولاد سوط النساء سنة تسع وستين ثم رجع الى المغرب وفرّ الى تلمسان وأجاز منها الى الاندلس وولى امارة الغزاة بها الى أن هلك بعد أن أصهر اليه السلطان يوسف بن يعقوب فى ابنته فعقد له عليها وزفها اليه سنة تسع وسبعين مع وفد من قومها وكان لموسى بن رحو من الولد جماعة أكبرهم المحمدان جمال الدين وبدر الدين وضع عليهما هذين اللقبين على طريقة أهل المشرق الشريف المكى الوافد على المغرب اذ ذاك العهد من شرفاء مكة وكان هؤلاء الاعياص من ملوكهم واقيالهم يعظمون أهل البيت النبوى ويلتمسون الدعاء والبركة منهم فيما تيسر من أحوالهم فحمل موسى بن رحو ولديه هذين عند وضعهما الى الشريف يحنكهما ويدعو لهما فقال له الشريف خذ اليك جمال الدين وقال فى الآخر خذ اليك بدر الدين فاستحب موسى دعاءهما بهذين اللقبين تبركا بتسمية الشريف بهما فاشتهرا بهذين الاسمين ولما بلغا الاشد وشاركا أباهما فى حمل الرياسة وكان من مهلكه ما ذكرناه وانحرفت رياسة الغزاة عنهما الى عمهما عبد الحق وابنه فلحق جمال

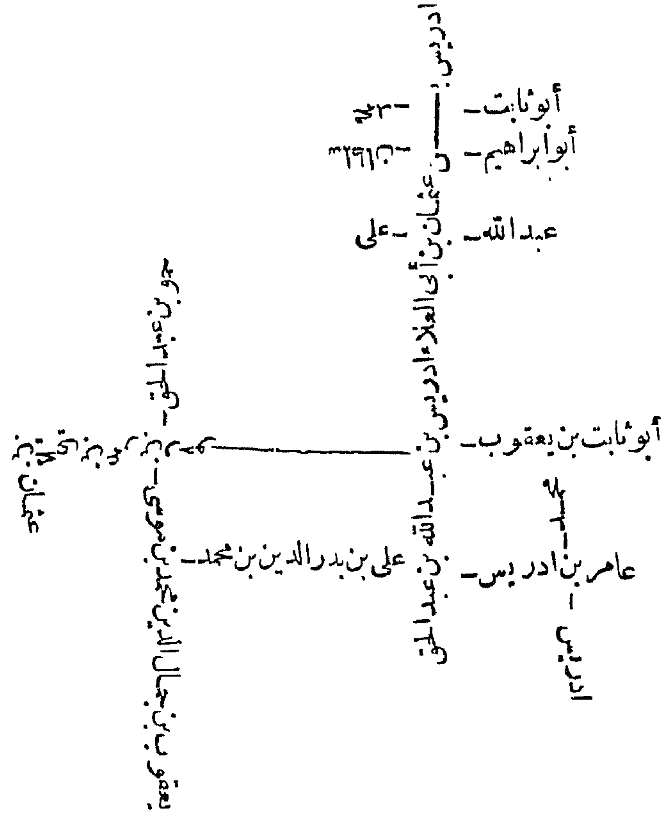
الدين منهما بالطاغية سنة ثلاث ثم أجاز البحر من قرطاجنة الى السلطان يوسف
ابن يعقوب من معسكره من حصار تلمسان واستقر في جملته حتى اذا هلك السلطان
تصدّى ابنه أبو سالم للقيام بأمره وكان مغلبا منغصا فلم يتم أمره وتناول الملك
أبو ثابت حافد السلطان واستولى عليه وفرّ أبو سالم عشيّ مهلكه ومعه من
القرابة جمال الدين هذا وأعمامه العباس وعيسى وعلي بنو رحو بن عبد الله فتقبض
عليهم في طريقهم بمديونة وسيقوا الى السلطان أبي ثابت فقتل عمه أبا سالم وجمال الدين
ابن موسى بن رحو وامتنّ على الباقين واستحياهم وانصرف السلطان بعدها الى
الاندلس فكانت له في الجهاد آثار كما ذكرناه قبل وأما بدر الدين فلم يزل بالاندلس مع
قومه ومحله من الرياسة والتجلة محله من النسب الى أن هلك فقام بأمره من بعده ابنه
علي بن بدر الدين مزاحما القوم في الرياسة مباهيا في الترشيح وكان كثيرا ما يعقد له لولد
بني الاحمر على الغزاة من زناتة المرابطين بالثغور فيما بعد عن الحضرة من قواعد
الاندلس مثل مالقة والمرية ووادي آش سبيل المرشحين من أهل بيته وكانت امارة
الغزاة بالاندلس مستأثرة بأمر السيف مقاسمة للسلطان أكثر الجباية في الاعطية
والارزاق لما كانت الحاجة اليهم في مدافعة العدو ومقارعة ملك المغرب الى ملك
الاندلس يغضون لهم عن استطالتهم عليهم لمكان حاجتهم الى دفاع العدوين حتى اذا
سكن ريح الطاغية بما كان من شغله بفتنة أهل دينه منذ منتصف هذه المائة وشغل
بنو مرين أيضا بعد مهلك السلطان أبي الحسن وتناسوا عهد الغلب على أقتالهم
وجيرانهم وتناسوا عهد ذلك أجمع فاعتزم صاحب الاندلس على محو هذه الخطة من دولته
وأغراه بذلك وزيره ابن الخطيب كما ذكرناه حرصا على خلاء الجو له فتقبض على يحيى
ابن عمر وبنيه سنة أربع وستين كما ذكرناه وعقد على الغزاة المجاهدين لابنه ولي عهده
الامير يوسف ومحا رسم الخطة لبني مرين بالجملة الى أن توهم فناء الحامية منهم بفناء
بيوت العصبية الكبرى فراجع رأيه في ذلك وكان علي بن بدر الدين خالصة له وكان مقدما
على الغزاة بوادي آش ولما لحق السلطان به ناجيا من النكبة ليلة مهلك رضوان
مانع دونه وظاهره على أمره حتى اذا ارتحل الى المغرب ارتحل معه ونزلوا جميعا على
السلطان أبي سالم سنة احدى وستين كما ذكرناه ولما رجع الى الاندلس رجع في جملته
فكان له بذلك عهد وذمة رعاهما السلطان له وكان يستخلصه ويناجيه فلما تفقد مكان
الامير على الغزاة ونظر من يليه عثر اختياره على هذا السابقته ووسائله وما تولاه من
نصحه ووقوفه عند حده فعقد له سنة سبع وستين على الغزاة كما كان أولوه فقام بها
واضطلع بأمورها واستمرت حاله الى أن هلك حتف أنفه سنة ثمان وستين وبقي وجه

ربك ذو الجلال والاكرام

{ الخبر عن امارة عبد الرحمن بن علي أبي يفلوسن ابن السلطان أبي علي على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره }

كان أولاد السلطان أبي علي قد أجازوا الى ان طلب الامر وكان من أمرهم ما شرحناه الى أن أجاز عبد الرحمن هذا مع وزيره المصادر به مسعود بن رحو بن ماسى سنة ست وستين من عساسة على سلم عقده لهم وزير المغرب المستبد بأمره يومئذ عمر بن عبد الله ونزل عبد الرحمن هذا بالمنكب وكان السلطان يومئذ معسكرا بها فتلقاه من البر بما يناسبه وأكرم مثواه وأسنى الجراية له ولوزيره ولحاشيته واستقروا في جملة الغزاة المجاهدين حتى اذا هلك على بن بدر الدين سنة ثمان وستين نظر السلطان فيمن يوليه أمرهم فعثر اختياره على عبد الرحمن هذا لما عرف به من البسالة والاقدام ولقرب الرشائح بينه وبين ملك المغرب يومئذ التي هي ملاك الترشيح لهذه الخطة بالاندلس كما قدمناه لما كانت رشائح ولد عبد الله بن عبد الحق قد بعدت باتصال الملك في عمود نسب صاحب المغرب دون نسبهم فآثره صاحب الاندلس بها وعقد له على الغزاة المجاهدين سنة ثمان وستين وأضفى عليه لبوس الكرامة والتجلة وأقعده بمجلس الموازرة كما كان الامراء قبله واتصل الخبر بسلطان المغرب يومئذ عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن فغص بمكانه وتوهم أن هذه الامارة زيادة في ترشيحه ووسيلة للملك وكانت لوزير الاندلس محمد بن الخطيب مداخلة مع صاحب المغرب بما أمل أن يجعله فئة لاعتصامه فأوعز اليه بالتحيل على افساد ما بينه وبين صاحب الاندلس فجهد في ذلك جهده ونسب عليه وعلى وزيره مسعود بن ماسى الى عظماء القبيل وبعض البطانة من أهل الدولة التعصب والدعوة الى الخروج على صاحب المغرب فأحضرهم السلطان ابن الاحمر وأعطاهم كتابهم فشهد عليهم وأمر بهم فاعتقلوا في المطبق سنة سبعين واسترضى صاحب المغرب بفعلته فيهم ونزع الوزير ابن الخطيب بعد ذلك الى السلطان عبد العزيز وتبين للسلطان مكره واحتياله عليه في شانهم ولما هلك عبد العزيز وأطلق الحق بين صاحب الاندلس وبين القائم بالدولة أبي بكر بن غازى وامتعض ابن الاحمر للمسلمين من الفوضى اطلق عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماسى من الاعتقال وجهزلهما الاسطول فأجازوا فيه الى المغرب ونزلوا بمرسى عساسة على بطوية داعيا لنفسه فقاموا بأمره وكان من شأنه مع الوزير أبي بكر بن غازى ما قصصناه واستقر آخرا بمراكش وتقاسم ممالك المغرب وأعماله مع السلطان أبي العباس احمد بن أبي سالم صاحب المغرب لهذا العهد وصار التخم بينهما وادى ملوية وقف كل واحد

منهما عندحدّه وأغفل صاحب الاندلس هذه الخطة من دولته ومحا رسمها من ملكه وصار أمر الغزاة المجاهدين اليه وباشر أحوالهم بنفسه وعمهم بنظره وخص القرابة المرشحين منهم بمزيد تكرمته وعنايته والامر على ذلك لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء لارب غيره ولا معبود سواه



(التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب)

أصل هذا البيت من اشبيلية انتقل عند الجلاء وغلب ملك الجلالقة ابن أدفونش عليها الى تونس فى اواسط المائة السابعة *(نسبه)* عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون هذا الاذكر من نسبى الى خلدون غير هذه العشرة ويغلب على الظن أنهم أكثر وانه سقط مثلهم عددا لان خلدون هذا هو الداخل الى الاندلس فان كان أوّل الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة فيكونون زهاء العشرين ثلاثة لكل مائة كما تقدم فى أوّل الكتاب الاوّل

ونسبنا في حضرموت من عرب اليمن الى وائل بن حجر من أقيال العرب معروف وله صحبة قال أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة هو وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل ابن النعمان بن ربيعة بن الحرث بن عوف بن عدي بن مالك بن شرحبيل بن الحرث ابن مالك بن مرة بن حمير بن زيد بن الحضرمي بن عمر بن عبد الله بن عوف بن جردم بن جرسم ابن عبد شمس بن زيد بن لؤي بن ثبت بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لؤي بن قحطان وابنه علقمة بن وائل وعبد الجبار بن علقمة بن وائل وذكره أبو عمر بن عبد البر في حرف الواو من الاستيعاب وأنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وأجلسه عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده الى يوم القيامة وبعث معاوية بن أبي سفيان الى قومه يعلمهم الاسلام والقرآن فكان له بذلك صحابة مع معاوية ووفد عليه لاول خلافته فأجازه فرد عليه جائزته ولم يقبلها ولما كانت وقعة حجر بن عدي بالكوفة اجتمع رؤس أهل اليمن فيهم وائل هذا فكانوا مع زياد بن أبي سفيان عليه حتى أوثقوه وجاؤا به الى معاوية فقتله كما هو معروف وقال ابن حزم ويذكر بنو خلدون الاشبيليون من ولده وجدهم الداخل من المشرق خالد المعروف بخلدون بن عثمان بن هانئ بن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحرث بن وائل بن حجر قال ابن حزم وأخوه محمد كان من عقبه أبو العاصي عمرو بن محمد بن خالد بن محمد بن خلدون وترك أبو العاصي محمدا وأحمد وعبد الله قال وأخوهم عثمان له عقب ومنهم الحكيم المشهور بالاندلس تلميذ مسلمة المجريطي وهو أبو مسلم عمر بن محمد بن تقي بن عبد الله بن أبي بكر بن خالد بن عثمان بن خلدون الداخل وابن عمه أحمد بن محمد بن عبد الله قال ولم يبق من ولد كريب الرئيس المذكور الا أبو الفضل بن محمد بن خلف بن أحمد بن عبد الله بن كريب انتهى كلام ابن حزم (سلفه بالاندلس) ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا الى الاندلس نزل بقرمونة في رهط من قومه حضرموت ونشأ بيت بنيه بها ثم انتقل الى اشبيلية وكانوا في جند اليمن وكان لكريب من عقبه وأخيه خالد الثورة المعروفة باشبيلية أيام الامير عبد الله المرواني ثار على أبي عبدة وملكها من يده أعواما ثم ثار عليه عبد الله بن حجاج باملاء الامير عبد الله وقتله وذلك في أواخر المائة الثالثة (وتلخيص الخبر عن ثورته) ما نقله ابن سعيد عن الحجاري وابن حيان وغيرهما وينقلونه عن ابن الاشعث مؤرخ اشبيلية أن الاندلس لما اضطرمت بالفتن أيام الامير عبد الله تطاول رؤساء اشبيلية الى الثورة والاستبداد وكان رؤساؤها المتطاولون الى ذلك في ثلاثة بيوت بيت أبي عبدة ويرئسهم يومئذ أمية بن عبد الغافر بن أبي عبدة وكان عبد الرحمن الداخل ولى اشبيلية وأعمالها أبا عبدة وكان حافده أمية من أعلام الدولة بقرطبة ويولونه الممالك الضخمة

وبيت بنى خلدون ورئيسهم كريب المذكور ويردفه خالد أخوه قال ابن حيان وبيت بنى خلدون الى الآن فى اشبيلية نهاية فى النباهة ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية ثم بيت بنى حجاج ورئيسهم يومئذ عبد الله قال ابن حيان هو من لخم وبيتهم الى الآن فى اشبيلية ثابت الاصل نابت الفرع موسوم بالرياسة السلطانية والعلمية فلما عظمت الفتنة بالاندلس أعوام الثمانين ومائتين وكان الامير عبد الله قد ولى على اشبيلية أمية بن عبد الغافر وبعث معه ابنه محمدا وجعله فى كفالته فاجتمع هؤلاء النفر وثاروا بمحمد ابن الامير عبد الله وبأمية صاحبهم وهو يمالئهم على ذلك ويكيد بابن الامير عبد الله وحاصروه حتى طلب منهم اللحاق بأبيه فأخرجوه واستبد أمية باشبيلية ودس على عبد الله بن حجاج من قتله وأقام أخاه ابراهيم مكانه وضبط اشبيلية واسترهن أولاد بنى خلدون وبنى حجاج ثم ثاروا به وهم بقتل أبنائهم فراجعوا طاعته وحلفوا له فأطلق أبناءهم فانتقض ثانية وحاربوه فاستمات وقتل حرمه وعقر خيوله وأحرق موجوده وقاتلهم حتى قتلوه مقبلا غير مدبر وعاثت العامة فى رأسه وكتبوا الى الامير عبد الله بأنه خلع فقتلوه فقبل منهم مداراة وبعث عليهم هشام بن عبد الرحمن من قرابته فاستبدوا عليه وفتكوا بابنه وتولى كبر ذلك كريب بن خلدون واستقل بامارتها وكان ابراهيم بن حجاج بعد ما قتل أخوه عبد الله على ما ذكره ابن سعيد عن الحجازى سمت نفسه الى التفرد فصاهر ابن حفصون أعظم ثوار الاندلس يومئذ وكان بمالقة وأعمالها الى رندة فكان له منه ردء ثم انصرف الى مداراة كريب بن خلدون وملابسته فردفه فى أمره وأشركه فى سلطانه وكان فى كريب تحامل على الرعية وتعصب فكان يتجهم لهم ويغلظ عليهم وابن حجاج يسلك بهم الرفق والتلطف فى الشفقة بهم عنده فانحرفوا عن كريب الى ابراهيم ثم دس الى الامير عبد الله يطلب منه الكتاب بولاية اشبيلية لتسكن اليه العامة فكتب اليه العهد بذلك وأطلع عليه عرفاء البلد مع ما أشربوا من حبه والنفرة عن كريب ثم أجمع الثورة وهاجت العامة بكريب فقتلوه وبعث برأسه الى الامير عبد الله واستقر بامارة اشبيلية قال ابن حيان وحصن مدينة قرمونة من أعظم معاقل الاندلس وجعلها مرتبطا لخيله وكان ينتقل بينها وبين اشبيلية واتخذ الجند ورتبهم طبقات وكان يصانع الامير عبد الله بالاموال والهدايا ويبعث اليه المدد فى الطوائف وكان مقصودا ممدحا قصده أهل البيوتات فوصلهم ومدحه الشعراء ومدحه أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد وقصده من بين سائر الثوار فعرف حقه وأعظم جائزته ولم يزل بيت بنى خلدون باشبيلية كما ذكره ابن حيان وابن حزم وغيرهما سائر أيام بنى أمية الى زمان الطوائف وأمحت عنهم الامارة بما ذهب لهم من الشوكة ولما غلب ابن عباد على

اشبيلية واستبدّ على أهلها استوزر من بني خلدون هؤلاء واستعملهم في رتب دولته وحضروا معه وقعة الجلالقة كانت لابن عباد وليوسف بن تاشفين على ملوك الجلالقة فاستشهد فيها طائفة من بني خلدون هؤلاء في الجولة مع ابن عباد فاستلحموا في ذلك الموقف بما كان الظهور للمسلمين ونصرهم الله على عدوّهم ثم تغلب يوسف بن تاشفين والمرابطون على الاندلس واضمحلت قبائل العرب وفنيت قبائلهم * (سلفه بافريقية) *

ولما استولى الموحدون على الاندلس وملكوها من يد المرابطين وكان ملوكهم عبد المؤمن وبنيه وكان الشيخ أبو حفص كبير هنتاتة زعيم دولتهم وولوه على اشبيلية وغرب الاندلس مرارا ثم ولوا ابنه عبد الواحد عليها في بعض أيامهم ثم ابنه أبا زكريا كذلك فكان لسلفنا باشبيلية اتصال بهم وأهدى بعض أجدادنا من قبل الامهات ويعرف بالمحتسب للامير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص أيام ولايته عليهم جارية من سبي الجلالقة اتخذها أم ولد وكان له منها ابنه أبو زكريا يحيى وليّ عهده الهالك في أيامه وأخواه عمر وأبو بكر وكانت تلقب أمّ الخلفاء ثم انتقل الامير أبو زكريا الى ولاية افريقية سنة عشرين وستمائة ودعا لنفسه بها وخلع دعوة بني عبد المؤمن سنة خمس وعشرين واستبدّ بافريقية وانتقضت دولة الموحدين بالاندلس وثار عليهم ابن هود ثم هلك واضطربت الاندلس وتكالبت الطاغية عليها وتردّد الغزو الى الفرنتيرة بسيط قرطبة واشبيلية الى جيان وثار ابن الاحمر من غرب الاندلس من حصن أرجونة يرجو التماسك بما بقي من الاندلس وفاوض أهل الشورى يومئذ باشبيلية وهم بنو الباجي وبنو الجد وبنو الوزير وبنو سيد الناس وبنو خلدون وداخلهم في الثورة على ابن هود وأن يتجافوا عن الطاغية عن الفرنتيرة ويتمسكوا بالجبال الساحلية وأمصارها المتوعرة من مالقة الى غرناطة الى المرية فلم يوافقوه على بلادهم وكان مقدّمهم أبو مروان الباجي فنابذهم ابن الاحمر وخلع طاعة الباجي وبايع مرّة لابن هود ومرّة لصاحب مراكش من بني عبد المؤمن ومرّة للامير أبي زكريا صاحب افريقية ونازل غرناطة واتخذها دار ملكه وبقيت الفرنتيرة وأمصارها ضاحية من ظل الملك فخشي بنو خلدون سوء العاقبة من الطاغية وارتحلوا من اشبيلية ونزلوا سبتة وأجلب الطاغية على تلك الثغور فملك قرطبة واشبيلية وقرمونة وجيان وما اليها في مدّة عشرين سنة ولما نزل بنو خلدون بسبتة أصهر اليهم العزفي بابنائه وبناته فاختلط بهم وكان له معهم صهر مذكور وكان جدّنا الحسن بن محمد وهو سبط ابن المحتسب قد أجاز فيمن أجاز اليهم فذكروا سوابق سلفه عند الامير أبي زكريا فقصده وقدم عليه فأكرم قدومه وارتحل الى المشرق فقضى فرضه ثم رجع ولحق بالامير أبي زكريا على بونة فأكرمه واستقرّ في ظل دولته ومرعى

نعمته وفرض له الارزاق وأقطع الاقطاع وهلك هنالك فدفن ببونة سنة سبع وأربعين
وولى ابنه المستنصر محمد فأجرى جدنا أبا بكر على ما كان لابيه ثم ضرب الدهر ضرباته
وهلك المستنصر سنة خمس وسبعين وولى ابنه يحيى وجاء أخوه الامير أبو اسحق من
الاندلس بعد أن كان فر اليها امام أخيه المستنصر فخلع يحيى واستقل هو بملك افريقية
ودفع جدنا أبا بكر محمدا على عمل الاشغال فى الدولة على سنن عظماء الدولة الموحدين فيها
قبله من الانفراد بولاية العمال وعزلهم وحسبانهم على الجباية فاضطلع بتلك الرتبة ثم
عقد السلطان أبو اسحق لابنه محمد وهو جدنا الاقرب على حجابة ولى عهده ابنه أبى
فارس أيام أن اقصاه الى بجاية ثم استعفى جدنا من ذلك فأعفاه ورجع الى الحضرة ولما
غلب الدعى بن أبى عمارة على ملكهم بتونس اعتقل جدنا أبا بكر محمدا وصادره على
الاموال ثم قتله خنقا فى محبسه وذهب ابنه محمد جدنا الاقرب مع السلطان أبى اسحق
وأبنائه الى بجاية فقبض عليه ابنه أبو فارس وخرج مع العساكر هو واخوته لمدافعة
الدعى بن أبى عمارة وهو يشبه بالفضل بن المخلوع حتى اذا استلحموا بمرماجنة خلص
جدنا محمد مع أبى حفص ابن الامير أبى زكريا من الملحمة ومعهما الفازازى وأبو الحسن
ابن سيد الناس فاستنكف من ايثار الفازازى ولما استولى أبو حفص على الامور رعى
له سابقته وأقطعه ونظمه فى جملة القواد ومراتب الحروب واستكفى به فى الكثير من
أمر ملكه ورشحه لحجابته من بعد الفازازى وهلك فكان من بعده حافد أخيه المستنصر
أبو عصيدة واصطفى لحجابته محمد بن ابراهيم الدباغ كاتب الفازازى وجعل محمد بن
خلدون رديفا له فى حجابته فكان كذلك الى أن هلك السلطان وجاءت دولة الامير خالد
فأبقاه على حاله من التجلة والكرامة ولم يستعمله ولا عقد له الى أن كانت دولة أبى يحيى
ابن اللحيانى فاصطنعه واستكفى به عندما تقبضت عروق التغلب من العرب ودفعه الى
حماية الجزيرة من دلاج احدى بطون سليم الموطنين بنواحيها فكانت له فى ذلك آثار
مذكورة ولما انقرضت دولة ابن اللحيانى خرج الى المشرق وقضى فرضه سنة ثمان عشرة
وأظهر التوبة والاقلاع وعاود الحج متنفلا سنة ثلاث وعشرين ولزم كسر بيته وأبقى
السلطان أبو يحيى عليه نعمته فى كثير مما كان بيده من الاقطاع والجراية ودعاه الى
حجابته مرارا فامتنع (أخبرنى) محمد بن منصور بن مزنى قال لما هلك الحاجب بن محمد
ابن عبد العزيز الكردى المعروف بالمزوار سنة سبع وعشرين وسبعمائة استدعى
السلطان جدك محمد بن خلدون وأراده على الحجابة وأن يفوض اليه أمره فأبى واستعفى
فأعفاه وآمره فيمن يوليه حجابته فأشار عليه بصاحب ثغر بجاية محمد بن أبى الحسن بن
سيد الناس لاستحقاقه ذلك بكفايته واضطلاعه ولقديم صحابة بين سلفهما بتونس

واشبيلية من قبل وقال له هو أقدر على ذلك بما هو عليه من الحاشية والدين فعمل السلطان على اشارته واستدعى ابن سيد الناس وولاه حجابته وكان السلطان أبو يحيى اذا خرج من تونس يستعمل جدنا محمدا عليها وتوفى بنظره الى أن هلك سنة سبع وثلاثين ونزع ابنه وهو والدى محمد بن أبى بكر عن طريقة السيف والخدمة الى طريقة العلم والرباط لما نشأ عليه فى حجر أبى عبد الله الزبيدى الشهير بالفقيه كان كبير تونس لعهده فى العلم والفتيا وانتحال طرق الولاية التى ورثها عن أبى حسين وعمه حسن الوليين الشهيرين وكان جدنا رحمه الله قد لازمه من يوم نزوعه عن طريقه وألزمه ابنه وهو والدى رحمه الله فقرأ وتفقه وكان مقدما فى صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه عهدى بأهل البلد يتحاكمون اليه فيه ويعرضون عليه وهلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة * (أما نشأتى) * فانى ولدت بتونس فى غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وربيت فى حجر والدى رحمه الله الى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الاستاذ أبى عبد الله محمد بن نزال الانصارى أصله من جالية الاندلس من أعمال بلنسية أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها وكان اماما فى القراآت وكان من أشهر شيوخه فى القراآت السبع أبو العباس أحمد بن البطوى ومشيخته فيها وأسانيده معروفة وبعد أن استظهرت القرآن العظيم عن حفظى قرأته عليه بالقراآت السبع المشهورة افرادا وجمعا فى احدى وعشرين ختمة ثم جمعتها فى ختمة واحدة أخرى ثم قرأت برواية يعقوب ختمة واحدة جمعا بين الروايتين عنه وعرضت عليه رحمه الله قصيدة الشاطبى اللامية فى القراآت والرائية فى الرسم وأخبرنى بهما عن الاستاذ أبى عبد الله البطوى وغيره من شيوخه وعرضت عليه كتاب التقصى لاحاديث الموطا لابن عبد البر حذا به حذو كتابه التمهيد على الموطا مقتصرا على الاحاديث فقط ودرست عليه كتبا جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الحاجب فى الفقه ولم أكملهما بالحفظ وفى خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدى وعلى أستاذى تونس منهم الشيخ أبو عبد الله محمد العربى الحصايرى وكان اماما فى النحو وله شرح مستوف على كتاب التسهيل ومنهم أبو عبد الله محمد الشواش الزرزالى ومنهم أبو العباس أحمد بن القصار كان ممتعا فى صناعة النحو وله شرح على قصيدة البردة المشهورة فى مدح الجناب النبوى وهو حى لهذا العهد بتونس ومنهم امام العربية والادب بتونس أبو عبد الله محمد بن بحر لازمت مجالسه وأفدت عليه وكان بحرا زاخرا فى علوم اللسان وأشار على بحفظ الشعر فحفظت كتب الاشعار الستة والحماسة للاعلم وشعر وطائفة من شعر المتنبى ومن أشعار كتاب الاغانى ولازمت أيضا مجالس امام المحدثين بتونس شمس

لدين أبي عبد الله محمد بن جابر صاحب الرحلتين وسمعت عليه كتاب مسلم بن الحجاج وسمعت عليه كتاب الموطا من أوله الى آخره وبعضا من الامهات الخمس وناولني كتبا كثيرة في العربية والفقه وأجازني اجازة عامة وأخبرني عن مشايخه المذكورين أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن الغماز الخزرجي وأخذت الفقه بتونس عن جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وأبو القاسم محمد القصير قرأت عليه كتاب التهذيب لابي سعيد البرادعي مختصر المدونة وكتاب المالكية وتفقهت عليه وكنت في خلال ذلك انتاب مجلس شيخنا الامام قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام مع أخي عمر رحمة الله عليهما وأفدت منه وسمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطا للامام مالك وكانت له طرق عالية عن أبي محمد بن هرون الطائي قبل اختلاطه الى غير هؤلاء من مشيخة تونس وكلهم سمعت عليه وكتب لي وأجازني ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف وكان قدم علينا في جملة السلطان أبي الحسن عندما ملك افريقية سنة ثمان وأربعين جماعة من أهل العلم كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه فمنهم شيخ الفتيا بالمغرب وامام مذهب مالك أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي فكنت انتاب مجلسه وأفدت عليه ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن وصاحب علامته التي توضع أسفل مكتوباته امام المحدثين أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي لازمته وأخذت عنه سماعا واجازة الامهات وكتاب الموطا والسير لابن اسحق وكتاب ابن الصلاح في الحديث وكتبا كثيرة شذت عن حفظي وكانت بضاعته في الحديث والفقه والعربية والادب والمعقول وسائر الفنون مضبوطة كلها مقابلة ولا يخلو ديوان منها عن ضبط بخط بعض شيوخه المعروفين في سنده الى مؤلفه حتى الفقه والعربية الغريبة الاسناد الى مؤلفها في هذه العصور ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي امام المغرب قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع الكبير بين القرا آت السبع من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح لم أكملها وسمعت عليه عدة كتب وأجازني بالاجازة العامة ومنهم شيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم الابلي أصله من تلمسان وبها نشأ وقرأ كتب التعليم وحذق فيه وعند الحصار الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة خرج منها وحج ولقي اعلام المشرق يومئذ فلم يأخذ عنهم لانه كان مختلطا بعارض عرض في عقله ثم رجع من المشرق وأفاق وقرأ المنطق والاصلين على الشيخ أبي موسى عيسى ابن الامام وكان قرأ بتونس مع أخيه أبي زيد عبد الرحمن على تلميذ أبي زيتون الشهير الذكر وجاآ الى تلمسان بعلم كثير من المنقول والمعقول فقرأ الابلي على أبي موسى منهما كما قلناه ثم خرج من تلمسان هاربا

الى المغرب لان سلطانها أبا حمو يومئذ من ولد يغمراسن بن زيان كان يكرهه على التصرف في أعماله وضبط الجباية بحسبانه ففر الى المغرب ولحق بمراكش ولازم العالم الشهير الذكر أبا العباس بن البناء فحصل عنه سائر العلوم العقلية وورث مقامه فيها ثم صعد الى جبل الهساكرة بعد وفاة الشيخ باستدعاء علي بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه فأفاده وبعد أعوام استنزله ملك المغرب السلطان أبو سعيد وأسكنه بالبلد الجديد معه ثم اختصه السلطان أبو الحسن ونظمه في جملة العلماء بمجلسه وهو في خلال ذلك يعلم العلوم العقلية ويبثها بين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصاره وألحق الاصاغر بالاكابر في تعليمه ولما قدم على تونس في جملة السلطان أبي الحسن لزمته وأخذت عنه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية وكان رحمه الله تعالى يشهد لي بالتبريز في ذلك ومن قدم في جملة السلطان أبي الحسن صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي كان يكتب عن السلطان ويلازم خدمة أبي محمد عبد الله رئيس الكتاب يومئذ وصاحب العلامة التي توضع عن السلطان أسفل المراسم والمخاطبات وبعضها يضعه السلطان بخطه وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب في براعة خطه وكثرة علمه وحسن سمته واجادته في فقه الوثائق والبلاغة في الترسيل عن السلطان وحوك الشعر والخطابة على المنابر لانه كان كثيرا ما يصلي بالسلطان فلما قدم علينا بتونس صحبته واغتبطت به وان لم أتخذه شيخا لمقاربة السن فقد أفدت منه كما أفدت منهم وقد مدحه صاحبنا أبو القاسم الرحوي شاعر تونس في قصيدة على روي النون يرغب منه أن يذكر لشيخه أبي محمد عبد المهيمن في ايصال مدحه للسلطان أبي الحسن في قصيدة على روي الباء وقد تقدم ذكرها في أخبار السلطان وذكر في مدح ابن رضوان أعلام العلماء القادمين مع السلطان وهي هذه

عرفت زماني حين أنكرت عرفاني * وأيقنت أن لا حظ في كف كيوان
وأن لا اختيار في اختيار مقوم * وان لا اقتراع بالقران لاقران
وان نظام الشكل أكمل نظمه * لاضعاف قاض في الدليل برجحان
وان افتقار المرء من فقراته * ومن نقله يغني اللبيب بأوزان

الى آخرها ثم يقول في ذكر العلماء القادمين

هم القوم كل القوم أما حلومهم * فأرسخ من طودي ثبير وثهلان
فلا طيش يعلوهم وأما علومهم * فأعلامها تهديك من غير نيران

ثم يقول في آخرها

وهامت على عبد المهيمن تونس * وقد ظفرت منه بوصل وقربان
وما علقت مني الضمائر غيره * وان هويت كلا بحب ابن رضوان

وكتب هذا الشاعر صاحبنا الرحوي يذكر عبد المهيمن بذلك

لهي النفس باكتساب وسعي * وهو العمر في انتهاب وفي
وأرى الناس بين ساع لرشد * يتوخى الهدى وساع لغي
وأرى العلم للبرية زينا * فتزيا منه بأحسن زي
وأرى الفضل قد تجمع كلا * في ابن عبد المهيمن الحضرمي

ثم يقول في آخرها

ينبغي القرب من مراقي الاماني * والترقي للجانب العلوي
فأنلها مراما مستسهلا * كل دان يسمى وكل قصي

ثم كانت واقعة العرب على السلطان بالقيروان فاتح تسع وأربعين فشغلوا عن ذلك ولم يظفر هذا الرحوي بطلبته ثم جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه وهلك عبد المهيمن فيمن هلك ودفن بمقبرة سلفنا بتونس لخلة كانت بينه وبين والدي رحمه الله أيام قدومهم علينا فلما كانت وقعة القيروان ثار أهل تونس بمن كان عندهم من أشياع السلطان أبي الحسن فاعتصموا بالقصبة دار الملك حيث كان ولد السلطان وأهله وانتقض عليه ابن تافراكين وخرج من القيروان الى العرب وهم يحاصرون السلطان وقد اجتمعوا على أبي دبوس وبايعوا له كما مر في أخبار السلطان فبعثوا ابن تافراكين الى تونس فحاصر القصبة وامتنعت عليه وكان عبد المهيمن يوم ثورة تونس وقد سمع الهيعة خرج من بيته الى دارنا فاختفى عند أبي رحمه الله وأقام مختفيا عندنا نحوا من ثلاثة أشهر ثم نجا السلطان من القيروان الى سوسة وركب البحر الى تونس وفر ابن تافراكين الى المشرق وخرج عبد المهيمن من الاختفاء وأعاده السلطان الى ما كان عليه من وظيفة الولاية والكتابة وكان كثيرا ما يخاطب والدي رحمه الله ويشكره على موالاته ومما كتب اليه وحفظته من خطه

محمد ذو المكارم قد ثناني * فعال شكره أبدا عناني
جزى الله ابن خلدون حياة * منعمة وخلدا في الجنان
فكم أولى ووالى من جميل * وبرا بالفعال وباللسان
وراعى الحضرمية في الذي قد * جنى من وده ورد الجنان
أبا بكر ثناؤك طول دهري * أردد باللسان وبالجنان
وعن علياك ما امتدت حياتي * أكافح بالحسام وباللسان

فنك أفدت خلالـت دهرى * أراى حبـــه آتى عنانى

وهؤلاء الاعـلام الذين ذكرهم الرحوى فى شعره هم سباق الحلبة فى مجلس السلطان أبى الحسن اصطفاهم لصحابته من أهل المغرب فأما ابنا الامام منهم فكانا اخوين من أهل برشك من أعمال تلمسان واسم أكبرهم أبو زيد عبد الرحمن والاصغر أبو موسى عيسى وكان أبوهما اماما ببعض مساجد برشك واتهمه المتغلب يومئذ على البلد زيرم بن حماد بأن عنده وديعة من المال لبعض أعدائه فطالبه بها ولاذ بالامتناع وبيته زيرم لينتزع المال من يده فدافعه وقتل وارتحل ابناه هذان الاخوان الى تونس فى آخر المائة السابعة وأخذا العلم بها عن تلميذ ابن زيتون وتفقها على أصحاب أبى عبد الله بن شعيب الدكالى وانقلبا الى المغرب بحظ وافر من العلم وأقاما بالجزائر يبثان العلم بها لامتناع برشك عليهما من أجل زيرم المتغلب عليها والسلطان أبو يعقوب يومئذ صاحب المغرب الاقصى من بنى مرين جاثم على تلمسان يحاصرها الحصار الطويل المشهور ويبث بها جيوشه فى نواحيها وغلب على الكثير من أعمالها وأمصارها وملك عمل مغراوة بشلف وحصر مليانة بعث اليها الحسن بن أبى الطلاق من بنى عسكر وعلى ابن محمد بن الخير من بنى ورتاجن ومعهما الضبط الجباية واستخلاص الاموال الكاتب منديل بن محمد الكنانى فارتحل هذان الاخوان من الجزائر وأخذا عليه فلما بعين منديل الكنانى فقربهما واصطفاهما واتخذهما التعليم ولده محمد فلما هلك يوسف بن يعقوب سلطان المغرب بمكانه من حصار تلمسان سنة خمس وسبعمائة على يد خصى من خصيانه طعنه فأشواه وهلك وأقام بالملك بعده حافده أبو ثابت بعد أمور ذكرناها فى أخباره ووقع بينه وبين صاحب تلمسان من بعده يومئذ أبى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن وأخيه أبى حمو العهد المتأكد على الافراج عن تلمسان ورد أعمالها عليه فوفى لهم بذلك وعاد الى المغرب وارتحل ابن أبى الطلاق من شلف والكنانى من مليانة راجعين الى المغرب ومروا بتلمسان فأوصى لهما أبو حمو وأثنى عليهما حلة بمقامهما فى العلم واغتبط بهما أبو حمو وبنى لهما المدرسة المعروفة بهما وأقاما عنده على مجرى أهل العلم وهلك أبو حمو وكانا كذلك مع ابنه أبى تاشفين الى أن زحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان وملكها عنوة سنة سبع وثلاثين وكانت لهما شهرة فى أقطار المغرب أسست لهما عقيدة صالحة فاستدعاهما لحين دخوله وأدنى مجلسهما وشاد بتكرمتهما ورفع جاههما على أهل طبقتهما وصار يجمل بهما مجلسه متى مر بتلمسان ووفدا عليه فى الاولى التى نفر فيها أعيان بلادهما ثم استنفرهما الى الغزو وحضرا معه واقعة طريف وعادا الى بلدهما وتوفى أبو زيد منهما اثر ذلك وبقى أخوه موسى متبوئا ما شاء من ظلال

تلك الكرامة ولما سار السلطان أبو الحسن الى افريقية سنة ثمان وأربعين كما مرّ في أخباره استصحب أبا موسى بن الامام معه مكرما موقرا عالي المحل قريب المجلس منه فلما استولى على افريقية سرحه الى بلده فأقام بها يسيرا وهلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وبقي أعقابهما بتلمسان دارجين في مسالك تلك الكرامة موقرين فيها طبقا على طبق الى هذا العهد وأما السطي واسمه محمد بن سليمان من قبيلة سطة من بطون أوربة بنواحي فاس فنزل أبوه سليمان مدينة فاس ونشأ محمد فيها وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن الصغير امام المالكية بالمغرب والطائر الذكر وقاضي الجماعة بفاس وتفقه وقرأ عليه وكان أحفظ الناس لمذهب مالك وأفقههم فيه وكان السلطان أبو الحسن لعظم همته وبعد شأوه في الفضل يتشوف الى تزيين مجلسه بالعلماء واختار منهم جماعة لصحابته ومجالسته كان منهم هذا الامام محمد بن سليمان وقدم علينا بتونس في جملته وشهدنا وفور فضله وكان في الفقه من بينهم لا يجارى حفظا وفهما عهدي به رحمه الله تعالى وأخي موسى يقرأ عليه كتاب التبصرة لابي الحسن اللخمي وهو يصححه عليه من املائه وحفظه في مجالس عديدة وكان هذا حاله في أكثر ما يعاني في جملة من الكتب وحضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان وخاص معه الى تونس وأقام بها نحوا من سنتين وانتقض المغرب على السلطان واستقل به ابنه أبو عنان ثم ركب السلطان أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين ومرّ بجاية فأدركه الغرق في سواحلها فغرقت أساطيله وغرق أهلها وأكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم ورمى به البحر ببعض الجزر هنالك حتى استنقذه منها بعض أساطيله ونجا الى الجزائر بعد أن تلف موجوده والكثير من عياله وأصحابه وكان من أمره ما مرّ في أخباره وأما الايلي واسمه محمد بن ابراهيم فنشؤه بتلمسان وأصله من جالية الاندلس من أهل ايلة من بلد الجوف منها أجاز بأبيه وعمه أحمد فاستخدمهم يغمراسن ابن زيان وولده في جندهم وأصهر ابراهيم منهما الى القاضي بتلمسان محمد بن غلبون في ابنته فولدت له محمدا هذا ونشأ بتلمسان في كفالة جده القاضي فنشأ له بذلك ميل الى انتحال العلم عن الجندية التي كانت منتحل أبيه وعمه فلما أيفع وأدرك سبق الى ذهنه محبة التعاليم فبرز بها واشتهر وعكف الناس عليه في تعلمها وهذا في سن البلوغ ثم أظل السلطان يوسف بن يعقوب وخيم عليها يحاصرها وسير العساكر الى الاعمال فافتتح أكثرها وكان ابراهيم الايلي قائدا بهنين مرسى تلمسان في ابة من العمل فلما ملكها يوسف بن يعقوب اعتقل من وجد بها من أشياع بني عبد الواد واعتقل ابراهيم الايلي وشاع الخبر في تلمسان بأن يوسف بن يعقوب يسترهن أبناءهم

ويطلقهم فتشوف ابنه محمد الى اللحاق بهم من أجل ذلك وأغراه أهله بالعزم عليه فتسور الاسوار وخرج الى أبيه فلم يجد خبر الاسترهان صحيحا واستخدمه يوسف ابن يعقوب قائدا الى الجند الاندلسيين بتاوريرت فكره المقام على ذلك ونزع عن طوره ولبس المسوح وسار قاصدا الى الحج وانتهى الى رباط العباد مختفيا في صحبة الفقراء فوجد هنالك رئيسا من أهل كربلا من بني الحسين جاء الى المغرب يروم اقامة دعوته فيه وكان مغفلا فلما رأى عساكر يوسف بن يعقوب وشدة غلبه أيس من مرامه ونزع عن ذلك واعتزم على الرجوع الى بلده فسار شيخنا محمد بن ابراهيم في جملته قال رحمه الله وبعد حين انكشف لي حاله وما جاء له واندرجت في جملته وأصحابه وتابعيه قال وكان يتلقاه في كل بلد من أصحابه وأشياعه وخدمه من يأتيه بالازواد والنفقات من بلده الى أن ركبنا البحر من تونس الى الاسكندرية قال واشتدت عليّ الغلمة في البحر واستحييت من كثرة الاغتسال لمكان هذا الرئيس فأشار عليّ بعض بطانته بشرب الكافور فاغترفت منه غرفة فشربتها فاختلطت وقدم الديار المصرية على تلك الحال وبها يومئذ تقي الدين بن دقيق العيد وابن الرفعة وصفي الدين الهندي والتبريزي وغيرهم من فرسان المعقول والمنقول فلم يكن قصاراه الا تمييز أشخاصهم اذا ذكرهم لنا لما كان به من الاختلاط ثم حج مع ذلك الرئيس وسار في جملته الى كربلا فبعث به من أصحابه من أوصله الى مأمنه ببلاد زواوة من أطراف المغرب وقال لي شيخنا رحمه الله كان معي دنانير كثيرة تزودتها من المغرب واستبطنتها في جبة كنت ألبسها فلما نزل بي ما نزل انتزعها مني حتى اذا بعث أصحابه يشيعوني الى المغرب دفعها اليهم حتى اذا أوصلوني الى المأمن أعطوني اياها وأشهدوا عليّ في كتاب حملوه معهم اليه كما أمرهم ثم قارن وصول شيخنا الى المغرب مهلك يوسف بن يعقوب وخلاص أهل تلمسان من الحصار فعاد الى تلمسان وقد أفاق من اختلاطه وانبعثت همته الى تعلم العلم وكان مائلا الى العقليات فقرأ المنطق على أبي موسى بن الامام وجملة من الاصلين وكان أبو حمو صاحب تلمسان قد استفحل ملكه وكان ضابطا للامور وبلغه عن شيخنا تقدمه في علم الحساب فدفعه الى ضبط أمواله ومشارفة أحواله وتفادى شيخنا من ذلك فأكرهه عليه فأعمل الحيلة في الخلاص منه ولحق بفاس أيام السلطان أبي الربيع وبعث فيه أبو حمو فاختفى بفاس للتعاليم من اليهودي خليفة المغيلي فاستوفى عليه فنونها وحذق وخرج متواريا من فاس فلحق بمراكش أيام عشر وسبعمائة ونزل على الامام أبي العباس ابن البناء شيخ المعقول والمنقول والمبرز في التصوف علما وحالا فلزمه وأخذ عنه وتضلع في علم المعقول والتعاليم والحكمة ثم استدعاه شيخ الهساكرة علي بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه

وكان في طاعة السلطان فدخل اليه شيخنا وأقام عنده مدة قرأ عليه فيها وحصل واجتمع طلبة العلم هنالك على الشيخ فكثرت افادته واستفادته وعلي ابن محمد في ذلك على محبته وتعظيمه وامتثال اشارته فغلب على هواه وعظمت رياسته في تلك القبائل ولما استنزل السلطان أبو سعيد علي بن تروميت من جبله نزل الشيخ معه وسكن بفاس وانثال عليه طلبة العلم من كل ناحية فانتشر علمه واشتهر ذكره فلما فتح السلطان أبو الحسن تلمسان ولقي أبا موسى ابن الامام ذكره له باطيب الذكر ووصفه بالتقدم في العلوم وكان السلطان معتنيا بجمع العلماء بمجلسه كما ذكرناه فاستدعاه من مكانه بفاس ونظمه في طبقة العلماء بمجلسه وعكف على التدريس والتعليم ولزم صحابة السلطان وحضر معه واقعة طريف وواقعة القيروان بافريقية وكانت قد حصلت بينه وبين والدي رحمه الله خلة كانت وسيلتي اليه في القراءة عليه فلزمت مجلسه وأخذت عنه العلوم العقلية بالتعاليم ثم قرأت المنطق والاصلين وعلوم الحكمة وعرض أثناء ذلك ركوب السلطان أساطيله من تونس الى المغرب وكان الشيخ في نزلنا وكفالتنا فأشرت عليه بالمقام وثبطناه عن السفر فقبل وأقام وطالبنا به السلطان أبو الحسن فأحسنا به العذر فتجافى عنه وكان من حديث غرقه في البحر ما قدمناه وأقام الشيخ بتونس ونحن وأهل بلدنا جميعا نتساجل في غشيان مجلسه والاخذ عنه فلما هلك السلطان أبو الحسن بجبل هنتاتة وفرغ ابنه أبو عنان من شواغله وملك تلمسان من بني عبد الواد كتب فيه يطلبه من صاحب تونس وسلطانها يومئذ أبو اسحق ابراهيم ابن يحيى في كفالة شيخ الموحدين بن تافراكين فأسلمه الى سفيره وركب معه البحر في أسطول أبي عنان الذي جاء فيه السفير ومر ببجاية ودخلها وأقام بها شهرا حتى قرأ عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه برغبتهم في ذلك منه ومن صاحب الاسطول ثم ارتحل ونزل بمرسى هنين وقدم على أبي عنان بتلمسان وأحله محل التكرمة ونظمه في طبقة أشياخه من العلماء وكان يقرأ عليه ويأخذ عنه الى أن هلك بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأخبرني رحمه الله أن مولده بتلمسان سنة احدى وثمانين وستمائة (وأما عبد المهيمن) كاتب السلطان أبي الحسن فأصله من سبتة وبيتهم بها قديم ويعرفون ببني عبد المهيمن وكان أبوه محمد قاضيا أيام بني العزفي ونشأ ابنه عبد المهيمن في كفالته وأخذ عن مشيختها واختص بالاستاذ أبي اسحق الغافقي ولما ملك عليهم الرئيس أبو سعيد صاحب الاندلس سبتة ونقل بني العزفي مع جملة أعيانها الى غرناطة ونقل معهم محمد بن عبد المهيمن استكمل قراءة العلم هنالك وقرأ على مشيختها ابن الزبير ونظرائه وتقدم في معرفة كتاب سيبويه وبرز في علو الاسناد وكثرة المشيخة

وكتب له أهل المغرب والاندلس واستكتبه رئيس الاندلس يومئذ الوزير أبو عبد الله ابن الحكيم الرندي المستبد على السلطان المخلوع ابن الاحمر فكتب عنه ونظمه في طبقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه مثل المحدث أبي عبد الله بن سيد الفهري وأبي العباس أحمد العزفي والعالم الصوفي المتجرد أبي عبد الله محمد بن خميس التلمساني وكانا الايجاريان في البلاغة والشعر الى غير هؤلاء ممن كان مختصا به وقد ذكرهم ابن الخطيب في تاريخ غرناطة فلما نكب الوزير ابن الحكيم وعادت سبتة الى طاعة بني مرين عاد عبد المهيمن اليها واستقر بها ثم ولي الامر أبو سعيد وغلب عليه ابنه أبو علي واستبد بحمل الدولة تشوف الى استدعاء الفضلاء وتجمل بمكانهم فاستقدم عبد المهيمن من سبتة واستكتبه سنة ثنتي عشرة ثم خالف على أبيه سنة أربع عشرة وامتنع بالبلد الجديد وخرج منها الى سجلماسة لصلح عقده مع أبيه فتمسك السلطان أبو سعيد بعبد المهيمن واتخذه كاتبا الى أن دفعه الى رياسة الكتاب ورسم علامته في الرسائل والاوامر فتقدم لذلك سنة ثمان عشرة ولم يزل عليها سائر أيام السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن وسار مع أبي الحسن الى افريقية وتخلف عن واقعة القيروان لما كان به من علة النقرس فلما كانت الهيعة بتونس ووصل خبر الواقعة وتحيز أولياء السلطان الى القصبة مع حرمه تسرب عبد المهيمن في المدينة منتبذا عنهم وتوارى في بيتنا خشية أن يصاب معهم بمكروه فلما انجلت تلك الغيابة ورجع السلطان من القيروان الى سوسة وركب منها البحر الى تونس أعرض عن عبد المهيمن لما سخط غيبته عن قومه بالقصبة وجعل العلامة لابي الفضل ابن الرئيس عبد الله بن أبي مدين وقد كانت من قبل مقصورة على هذا البيت وأقام عبد المهيمن عطلا من العمل شهرا ثم اعتبر السلطان ورضي عنه ورد اليه العلامة كما كان ثم توفي لايام قلائل بتونس بالطاعون الجارف سنة تسع وأربعين ومولده سنة خمس وسبعين من المائة قبلها وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به في تاريخ غرناطة فليطالع هنالك من أحب الوقوف عليه (وأما ابن رضوان) الذي ذكره الرحوي في قصيدته فهو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخاري أصله من الاندلس نشأ بمالقة وأخذ عن مشيختها وحذق في العربية والادب وتفنن في العلوم ونظم ونثر وكان مجيدا في الترسيل ومحسنا في كتابة الوثائق وارتحل بعد واقعة طريف ونزل سبتة ولقي بها السلطان أبا الحسن ومدحه وأجازه واختص بالقاضي ابراهيم بن يحيى وهو يومئذ قاضي العساكر وخطيب السلطان وكان يستنيبه في القضاء والخطابة ثم نظمه في جملة الكتاب بباب السلطان واختص بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب والاخذ عنه الى أن رحل السلطان الى افريقية وكانت واقعة القيروان وانحصر

بالقصبة بتونس مع من انحصر بها من أشياعه مع أهله وحرمه وكان السلطان قد خلف ابن رضوان فى بعض خدمته فجلا عند الحصار بها لما عرض لهم من المكاتبات وتولى كبر ذلك فقام فيه أحسن قيام الى أن وصل السلطان من القيروان فرعى له حق خدمته تأنيسا وقربا وكثرة استعمال الى أن رحل من تونس فى الاسطول الى المغرب سنة خمسين كما مر واستخلف بتونس ابنه أبا الفضل وخلف أبا القاسم بن رضوان كاتبا له فأقاما كذلك أياما ثم غلبهم على تونس سلطان الموحدين الفضل ابن السلطان أبى يحيى ونجا أبو الفضل الى أبيه ولم يطق ابن رضوان الرحلة معه فأقام بتونس حولا ثم ركب البحر الى الاندلس وأقام بالمرية مع جملة من هنالك من أشياع السلطان أبى الحسن كان فيهم عامر ابن محمد بن على شيخ هنتاتة كافلا لحرم السلطان أبى الحسن وابنه أركبهم السفين معه من تونس عندما ارتحل فخلص الى الاندلس ونزلوا بالمرية وأقاموا بها تحت جراية سلطان الاندلس فلحق بهم ابن رضوان وأقام معهم ودعاه أبو الحجاج سلطان الاندلس الى أن يستكتبه فامتنع ثم هلك السلطان أبو الحسن وارتحل مخلفه الذين كانوا بالمرية ووفدوا على السلطان أبى عنان ووفد معهم ابن رضوان فرعى له وسائله فى خدمة أبيه واستكتبه واختصه بشهود مجالسه مع طلبة العلم بحضرته وكان محمد بن أبى عمرو يومئذ رئيس الدولة ونجى الخلوة وصاحب العلامة وحسبان الجباية والعساكر قد غلب على هوى السلطان واختص به فاستخدم له ابن رضوان حتى علق منه بذمة وولاية وصحبة وانتظام فى السمر وغشيان المجالس الخاصة وهو مع ذلك يدنيه من السلطان وينفق سوقه عنده ويستكفى به فى مواقف خدمته اذا غاب عنها لما هو اهم فخلا بعين السلطان ونفقت عنده فضائله فلما سار أبو عمرو فى العساكر الى بجاية سنة أربع وخمسين انفرد ابن رضوان بعلامة الكتاب عن السلطان ثم رجع ابن أبى عمرو بالسلطان فأقصاه الى بجاية وولاه عليها وعلى سائر أعمالها وعلى الموحدين بقسنطينة وأفرد ابن رضوان بالكتابة وجعل اليه العلامة كما كانت لابن أبى عمرو فاستقل بها موفر الاقطاع والاسهام والجاه ثم سخطه آخر سبع وخمسين وجعل العلامة لمحمد بن أبى القاسم بن أبى مدين والانشاء والتوقيع لابى اسحق ابراهيم بن الحاج الغرناطى فلما كانت دولة السلطان أبى سالم جعل العلامة لعلى بن محمد بن مسعود صاحب ديوان العساكر والانشاء والتوقيع والسر لمؤلف الكتاب عبد الرحمن ابن خلدون ثم هلك أبو سالم سنة اثنتين وستين واستبد الوزير عمر بن عبد الله على من كفله من أبنائه فجعل العلامة لابن رضوان سائر أيامه وقتله عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن واستبد بملكه فلم يزل ابن رضوان على العلامة وهلك عبد العزيز وولى ابنه السعيد فى كفالة الوزير أبى بكر بن غازى بن الكاس

وابن رضوان على حاله ثم غلب السلطان أحمد على الملك وانتزعه من السعيد وأبى بكر بن غازى وقام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس مستبدا عليه والسلامة لابن رضوان كما كانت الى أن هلك بأزمور فى حركة السلطان أحمد الى مراكش لحصار عبد الرحمن بن ابى يفلوسن ابن السلطان أبى على * وكان فى جملة السلطان أبى الحسن جماعة كثيرة من فضلاء المغرب وأعيانه هلك كثير منهم فى الطاعون الجارف بتونس وغرق جماعة منهم فى أسطوله لما غرق وتخطت النكبة منهم آخرين الى أن استوفوا ما قدر من آجالهم (فمن حضر معه بافريقية) الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوى شيخ القراء بالمغرب أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس وروى عن الرحالة أبى عبد الله بن رشيد وكان اماما فى القراآت وصاحب ملكة فيها لا يجارى وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود وكان يصلى بالسلطان التراويح ويقرأ عليه بعض الاحيان حزبه (وممن حضر معه بافريقية الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكناسة مبرزا فى المعقول والمنقول وعارفا بالحديث وبرجاله واماما فى معرفة كتاب الموطا واقرائه أخذ العلوم عن مشيخة فاس ومكناسة ولقى شيخنا أبا عبد الله الابلى ولازمه وأخذ عنه العلوم العقلية فاستنفد بقية طلبه عليه فبرز آخرا واختاره السلطان لمجلسه واستدعاه ولم يزل معه الى أن هلك غريقا فى ذلك الاسطول (ومنهم القاضى أبو عبد الله) محمد بن عبد الله ابن عبد النور من أعمال ندرومة ونسبه فى صنهاجة كان مبرزا فى الفقه على مذهب الامام مالك بن أنس تفقه فيه على الاخوين أبى زيد وأبى موسى ابنى الامام وكان من جلة أصحابهما ولما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلة ابنى الامام واختصهما بالشورى فى بلدهما وكان يستكثر من أهل العلم فى دولته ويجرى لهم الارزاق ويعمر بهم مجلسه فطلب يومئذ من ابن الامام أن يختار له من أصحابه من ينظمه فى فقهاء المجلس فأشار عليه بابن عبد النور هذا فأدناه وقرب مجلسه وولاه قضاء عسكره ولم يزل فى جملته الى أن هلك بالطاعون بتونس سنة تسع وأربعين وكان قد خلف أخاه عليا رفيقه فى تدريس ابن الامام الا أنه أقصر باعا منه فى الفقه فلما خلع السلطان أبو عنان طاعة أبيه السلطان أبى الحسن ونهض الى فاس استنفره فى جملته وولاه قضاء مكناسة فلم يزل بها حتى تغلب عمر بن عبد الله على الدولة كما مر فنزع الى قضاء فرضه فسرحه فخرج حاجا سنة أربع وستين فلما قدم على مكة وكان به بقية مرض هلك فى طواف القدوم وأوصى أمير الحاج على ابنه محمد وأن يبلغ وصيته به للامير المتغلب على الديار المصرية يومئذ يبغا الخاصكى فأحسن خلافته فيه وولاه من وظائف الفقهاء ما سد به خلته وصان عن سؤال الناس وجهه وكان له عفا الله عنه كلف بعلم

الحكماء طالبا لمن غلط فى ذلك وأمثاله فلم يزل يعانى من ذلك ما يورّطه مع الناس فى دينه وعرضه الى أن دعته الضرورة للترحل عن مصر ولحق ببغداد وناله مثل ذلك فلحق بماردين واستقر عند صاحبها فأحسن جواره الى أن بلغنا بعد التسعين أنه هلك هنالك حتف أنفه والبقاء لله (ومنهم شيخ التعاليم) أبو عبد الله محمد بن النجار من أهل تلمسان أخذ العلم ببلده عن مشيختها وعن شيخنا الابلى وبرز عليه ثم ارتحل الى المغرب فلقى بسبتة امام التعاليم أبا عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطى فى الهيئة وأخذ بمراكش عن الامام أبى العباس ابن البناء وكان اماما فى علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها ورجع الى تلمسان بعلم كثير واستخلصته الدولة فلما هلك أبو تاشفين وملك السلطان أبو الحسن نظمه فى جملته وأجرى له رزقه فحضر معه بافريقية وهلك فى الطاعون (ومنهم) أبو العباس أحمد بن شعيب من أهل فاس برع فى الادب واللسان والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها ونظمه السلطان أبو سعيد فى جملة الكتاب وأجرى عليه رزق الاطباء لتقدمه فيه فكان كاتبه وطبيبه وكذا مع السلطان أبى الحسن بعده فحضر بافريقية وهلك بها فى ذلك الطاعون وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين وكانت له امامة فى نقد الشعر وبصر به وما حضرنى الآن من شعره الا قوله

دار الهوى نجد وساكنها * بدرأمان النفس من نجد
هل باكر الوسمىّ ساحتها * واستنّ فى قيعانها الجرد
أو بات معتلّ النسيم بها * مستشفيا بالبان والرند
يتلو أحاديث الذين هم * قصدى وان جاروا عن القصد
أيام سمر ظلالها وطنى * منها وزرق مياهها وردى
ومطارح النظرات فى رشا * أحوى المدامع أهيف القدّ
يرنو اليك بعين جارية * قتل المحبّ بها على عمد
حتى أجدّ بهم على عجل * ريب الخطوب وعاثر الجدّ
فقد وافا وأبيك بعدهم * عيشى شقى الاعلى الفقد
وغدوا دفينا قد تضمنه * بطن الثرى وقرارة اللحد
ومشرّدا من دون رؤيته * قذف النوى وتنوفة البعد
أجرى على العيش بعدهم * أنى جزعت جميعهم وحدى
لا تلحنى يا صاح فى شجن * أخفيت منه فوق ما أبدى
بالقرب لى سكن يؤرقنى * من ذكره سهد على سهد
فرخان قد تركا بمضيعة * رزئت عن الرفداء والرفد

(ومنهم) صاحبنا الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعباد ومتوارثين خدمة تربته من لدن جدّهم خادمه في حياته وكان جدّه الخامس أو السادس واسمه أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية بينهم ولما هلك دفنه يغمراسن بن زيان السلطان بتلمسان من بني عبد الواد في التربة بقصره ليدفن بازائه حتى قدر بوفاته ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرني سنة عشر وسبعمائة وارتحل مع أبيه الى المشرق سنة ثمان عشرة ومرّ بجاية فسمع بها على الشيخ أبي علي ناصر الدين ودخل المشرق وجاور أبوه بالحرمين الشريفين ورجع هو الى القاهرة وأقام بها وقرأ على برهان الدين الصفاقسي المالكي وأخيه وبرع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ثم رجع سنة ثلاث وثلاثين الى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن بمكانه من حصار تلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه ابن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره والثناء عليه فحلا بعينه واختصه وقربه وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين ابني الامام ويأخذ نفسه بلقاء الفضلاء والاكابر والاخذ عنهم والسلطان كل يوم يزيد ترقيه وحضر معه واقعة طريف التي كان فيها تمحيص المسلمين فكان يستعمله في السفارة عنه الى صاحب الاندلس ثم سفر عنه بعد أن ملك افريقية الى ابن ادفونش ملك قشتالة في تقرير الصلح واستنقاذ ابنه أبي عمر تاشفين كان أسر يوم طريف فغاب في تلك السفارة عن واقعة القيروان ورجع بتاشفين مع طائفة من زعماء النصرانية جاؤا في السفارة عن ملكهم ولقيهم خبر واقعة القيروان بقسنطينة من بلاد افريقية وبها عامل السلطان وحاميته فثار أهل قسنطينة بهم جميعا ونهبوهم وخطبوا للفضل ابن السلطان أبي يحيى وراجعوا دعوة الموحدين واستدعوه فجاء اليهم وملك البلد وانطلق ابن مرزوق عائدا الى المغرب مع جماعة من الاعيان والعمال والسفراء عن الملوك ووفد على السلطان أبي عنان مع أمة حظية أبي الحسن والدته كانت راحلة اليه فأدركها الخبر بقسنطينة وحضرت الهيعة ووثب ابنها أبو عنان على ملك أبيه واستيلائه على فاس فرجعت اليه وابن مرزوق في خدمتها ثم طلب اللحاق بتلمسان فسرّحوه اليها وأقام بالعباد مكان سلفه وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان قد بايع له قبيلة بني عبد الواد بعد واقعة القيروان بتونس وابن تافراكين يومئذ محاصر للقصبة كما مرّ في أخبارهم وانصرفوا الى تلمسان فوجدا بها أبا سعيد عثمان بن جرار قد استعمله عليها السلطان أبو عنان عند انتقاضه على أبيه ومسيره الى فاس وانتقض ابن جرار من بعده ودعا

لنفسه وصمد اليه عثمان بن عبد الرحمن ومعه أخوه أبو ثابت وقومهما فملكوا تلمسان
من يد ابن جرار وحبسوه ثم قتلوه واستبد أبو سعيد بملك تلمسان وأخوه أبو ثابت يردفه
وركب السلطان أبو الحسن البحر من تونس وغرق أسطوله ونجا هو الى الجزائر فاحتل
بها وأخذ في الحشد الى تلمسان فرأى أبو سعيد أن يكف غربه عنهم بمواصلة تقع بينهما
واختار لذلك الخطيب ابن مرزوق فاستدعاه وأسر اليه بما يلقيه عند السلطان أبي
الحسن وذهب لذلك على طريق الصحراء واطلع أبو ثابت وقومه على الخبر فنكروه على
أبي سعيد وعاتبوه فأنكر فبعثوا صغير بن عامر في اعتراض ابن مرزوق فجاء به وحبسوه
أياما ثم أجازوه البحر الى الاندلس فنزل على السلطان أبي الحجاج بغرناطة وله اليه وسيلة
منذ اجتماعه به بمجلس السلطان أبي الحسن بسبتة اثر واقعة طريف فرعى له أبو الحجاج
ذمة تلك المعرفة وأدناه واستعمله في الخطابة بجامعه بالحمراء فلم يزل خطيبه الى أن
استدعاه السلطان أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان
وأعمالها فقدم عليه ورعى وسائله ونظمه في أكابر أهل مجلسه وكان يقرأ الكتب بين
يديه في مجلسه العلمي ويدرس في نوبته مع من يدرس في مجلسه منهم ثم بعثه الى تونس عام
ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى فردت تلك الخطبة واختفت
بتونس ووشي الى السلطان أبي عنان أنه كان مطلعا على مكانها فسخطه لذلك ورجع
السلطان من قسنطينة فثار أهل تونس بمن كان بها من عماله وحاميته واستقدموا أبا
محمد بن تافراكين من المهدية فجاء وملك البلد وركب القوم الاسطول ونزلوا بمراسي
تلمسان وأوعز السلطان باعتقال ابن مرزوق وخرج لذلك يحيى بن شعيب من مقدمي
الحجاب ببابه فلقيه بتاسالت فقيده هنالك وجاء به فأحضره السلطان وقرعه ثم
حبسه مدة وأطلقه بين يدي مهلكه واضطربت الدولة بعد موت السلطان أبي عنان
وبايع بعض بني مرين لبعض الاعياص من بني يعقوب بن عبد الحق وحاصروا البلد
الجديد وبها ابنه السعيد ووزيره المستبد عليه الحسن بن عمر وكان السلطان أبو سالم
بالاندلس غربه اليها أخوه السلطان أبو عنان مع بني عمهم ولد السلطان أبي علي بعد وفاة
السلطان أبي الحسن وحصولهم جميعا في قبضته فلما توفي أراد أبو سالم النهوض لملكه
بالمغرب فمنعه رضوان القائم يومئذ بملك الاندلس مستبدا على ابن السلطان أبي الحجاج
فلحق هو باشبيلية من دار الحرب ونزل على بطرة ملكهم يومئذ فهيأ له السفن وأجازه
الى العدوة فنزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وقام بدعوته بنو مسير وبنو منير
أهل ذلك الجبل منهم ثم أمدوه واستولى على ملكه في خبر طويل ذكرناه في أخبار
دولته وكان ابن مرزوق يداخله وهو بالاندلس ويستخدم له ويناوضه في أموره وربما

كان بكتابه وهو يجيد الصفحة ويداخل زعماء قومه في الاخذ بدعوته فلما ملك
السلطان أبو سالم رعى له تلك الوسائل أجمع ورفعه على الناس وألقى عليه محبته وجعل
زمام الامور بيده فوطئ الناس عقبه وغشى أشراف الدولة بابه وصرفت الوجوه
اليه فرضت لذلك قلوب أهل الدولة ونقموه على السلطان وتربصوا به حتى وثب
عبد الله بن عمر بالبلد الجديد وافترق الناس على السلطان وقتله عمر بن عبد الله
آخر ثنتين وستين وحبس ابن مرزوق وأغرى به سلطانه الذى نصبه محمد بن أبى عبد
الرحمن بن أبى الحسن فامتحنه واستصفاه ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة
قتله فمنعه منهم ولحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان أبى اسحق
وصاحب دولته المستبد عليه أبى محمد بن تافراكين فأكرموا نزله وولوه الخطابة بجامع
الموحدين بتونس وأقام بها الى أن هلك السلطان أبو اسحق سنة سبعين وولى ابنه خالد
وزحف السلطان أبو العباس حافد السلطان أبى يحيى من مقره بقسنطينة الى تونس
فملكها وقتل خالدا سنة ثنتين وسبعين وكان ابن مرزوق يستريب منه لما كان يميل وهو
بفاس مع ابن عمه محمد صاحب بجاية ويؤثره عند السلطان أبى سالم عليه فعزله السلطان
أبو العباس عن الخطبة بتونس فوجم لها وأجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان
فركب السفن ونزل بالاسكندرية ثم رحل الى القاهرة ولقى أهل العلم وأمراء الدولة
ونفقت بضائعه عندهم وأوصلوه الى السلطان وهو يومئذ الاشرف فكان يحضر يومئذ
مجلسه وولاه الوظائف العلمية فكان ينتجع منها معاشه وكان الذى وصل حبله بالسلطان
أستاذداره محمد لقيه أول قدومه خلا بعينه واستظرف جملته فسعى له
وأنجح سعايته ولم يزل مقيما بالقاهرة موقر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا لقضاء
المالكية ملازما للتدريس فى وظائفه الى أن هلك سنة احدى وثمانين هكذا ذكر من
حضره من جملة السلطان أبى الحسن من أشياخنا وأصحابنا وليس موضوع الكتاب
الاطالة فلنقتصر على هذا القدر ونرجع الى ما كنا فيه من أخبار المؤلف

﴿ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها الى المغرب والكتابة على السلطان أبى عنان﴾

ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين
دروس العلم وحلقاته الى أن كان الطاعون الجارف وذهب الاعيان والصدور وجميع
المشيخة وهلك أبواى رحمهما الله ولزمت مجلس شيخنا أبى عبد الله الابلى وعكفت على
القراءة عليه ثلاث سنين الى أن بعض الشئ واستدعاه السلطان أبو عنان
فارتحل اليه واستدعانى أبو محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس الى كتابة

العلامة عن السلطان أبي اسحق مذ نهض اليه من قسنطينة صاحبها أبو زيد حافد السلطان أبي يحيى في عساكره ومعه العرب أولاد مهلهل الذين استنجدوه لذلك فخرج ابن تافراكين وسلطانه أبو اسحق مع العرب أولاد أبي الليل وبث العطاء في عسكره وعمر له المراتب والوظائف وتعلل عليه صاحب العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بالاستزادة من العطاء فعزله وأدالني منه فكتبت العلامة عن السلطان وهي الحمد لله والشكر لله بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم وخرجت معهم أول سنة ثلاث وخمسين وقد كنت منطويا على الرحلة من افريقية لما أصابني من الاستيحاش لذهاب أشياخي وعطلاني عن طلب العلم فلما رجع بنو مرين الى مراكزهم بالمغرب وانحسر تيارهم عن افريقية وأكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة وأشياخ فاعتزمت على اللحاق بهم وصدني عن ذلك أخي وكبيري محمد رحمه الله فلما دعيت الى هذه الوظيفة سارعت الى الاجابة لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب وكان كذلك فانا لما خرجنا من تونس نزلنا بلاد هوارة وزحفت العساكر بعضها الى بعض بفحص مرماجنة وانهزم صفنا ونجوت أنا الى أبة فأقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن الوشتاتي من كبراء المرابطين ثم تحولت الى سبتة ونزلت بها على محمد بن عبدون صاحبها فأقمت عنده ليالي حتى هيأ لي الطريق مع رفيق من المغرب وسافرت الى قفصة وأقمت بها أياما حتى قدم علينا بها الفقيه محمد ابن الرئيس منصور بن مزني وأخوه يوسف يومئذ صاحب الزاب وكان هو بتونس فلما حاصرها الامير أبو زيد خرج اليه فكان معه فلما بلغهم الخبر بأن السلطان أبا عنان ملك المغرب نهض الى تلمسان فملكها وقتل سلطانها عثمان بن عبد الرحمن وأخاه أبا ثابت وأنه انتهى الى المرية وملك بجاية من يد صاحبها الامير أبي عبد الله من حفدة السلطان أبي يحيى وراء له عندما أطل على بلده فسار اليه ونزل له عنها وصار في جملته وولى أبو عنان على بجاية عمر بن علي شيخ بني وطاس من بني الوزير شيوخهم فلما بلغهم هذا الخبر أجفل الامير عبد الرحمن من مكانه عن حصار تونس ومر بقفصة فدخل الينا محمد بن مزني ذاهبا الى الزاب فرافقته الى بسكرة ودخلت الى أخيه هنالك ونزل هو ببعض قرى الزاب تحت جراية أخيه الى أن انصرم الشتاء وكان أبو عنان لما ملك بجاية ولى عليها عمر ابن علي ابن الوزير من شيوخ بني وطاس فجاء فارح مولى الامير أبي عبد الله لنقل حرمه وولده فداخل بعض السفهاء من صنهاجة في قتل عمر بن علي فقتله في مجلسه ووثب هو على البلد وأرسل الى الامير أبي زيد يستدعيه من قسنطينة فتمشت رجالات البلد بينهم خشية من سطوة السلطان ثم ثاروا بفارح فقتلوه وأعادوا دعوة السلطان كما كانت وبعثوا عن عامل السلطان بتدلس يحياتن بن عمر بن

عبد المؤمن من شيوخ بني ونكاسن من بني مرين فملكوه قيادهم وبعثوا الى السلطان بطاعتهم فأخرج لوقته حاجبه محمد بن أبي عمرو واكتنف له الجند وصرف معه وجوه دولته وأعيان بطانته وارتحلت من بسكرة وافدا على السلطان أبي عنان بتلمسان فلقيت ابن أبي عمرو بالبطحاء وتلقاني من الكرامة بما لم أحتسبه وردني معه الى بجاية فشهدت الفتح وتسايلت وفود افريقية اليه فلما رجع الى السلطان وفدت معهم فنالني من كرامته واحسانه ما لم أحتسبه اذ كنت شابا لم يطر شاربي ثم انصرفت مع الوفود ورجع ابن أبي عمرو الى بجاية فأقمت عنده حتى انصرم الشتاء أواخر أربع وخمسين وعاد السلطان أبو عنان الى فاس وجمع أهل العلم للتحلق بمجلسه وجرى ذكري عنده وهو ينتقي طلبة العلم للمذاكرة في ذلك المجلس فأخبره الذين لقيتهم بتونس عني ووصفوني له فكتب الى الحاجب يستقدمني فقدمت عليه سنة خمس وخمسين ونظمني في أهل مجلسه العلمي وألزمني شهود الصلوات معه ثم استعملني في كتابته والتوقيع بين يديه على كره مني اذ كنت لم أعهد مثله لسلفي وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الاندلس الوافدين في غرض السفارة وحصلت من الافادة منهم على البغية وكان في جملته يومئذ الاستاذ أبو عبد الله محمد بن الصفار من أهل مراكش امام القراآت لوقته أخذ عن مشيخة المغرب وكبيرهم شيخ المحدثين الرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري سيد أهل المغرب وكان يعارض السلطان القرآن برواياته السبع الى أن توفي (ومنهم) قاضي الجماعة بفاس أبو عبد الله محمد المقري صاحبنا من أهل تلمسان أخذ العلم بها عن أبي عبد الله محمد السلوي وردعليها من المغرب خلوا من المعارف ثم دعته همته الى التحلي بالعلم فعكف في بيته على مدارسة القرآن فحفظه وقرأه بالسبع ثم عكف على كتاب التسهيل في العربية فحفظه ثم على مختصر ابن الحاجب في الفقه والاصول فحفظهما ثم لزم الفقيه عمران المشدالي من تلميذ أبي علي ناصر الدين وتفقه عليه وبرز في العلوم الى حيث لم تلحق غايته وبنى السلطان أبو تاشفين مدرسة بتلمسان فقدمه للتدريس بها يضاهي به أولاد الامام وتفقه عليه بتلمسان جماعة كان من أوفرهم سهما في العلوم أبو عبد الله المقري هذا ولما جاء شيخنا أبو عبد الله الابلي الى تلمسان عند استيلاء السلطان أبي الحسن عليها وكان أبو عبد الله السلوي قد قتل يوم فتح تلمسان قتله بعض أشياع السلطان لذنب أسلفه في خدمة أخيه أبي علي بسجلماسة قبل انتحاله العلم كان السلطان توعده عليه فقتل بباب المدرسة فلزم أبو عبد الله المقري بعده مجلس شيخنا الابلي ومجالس بني الامام واستبحر في العلم ولما انتقض السلطان أبو عنان سنة تسع وأربعين وخلع أباه نديه

الى كتب البيعة فكتبها وقرأها على الناس فى يوم مشهود وارتحل مع السلطان الى فاس فلما ملكها عزل قاضيها الشيخ المعمر أبا عبد الله بن عبد الرزاق وولاه مكانه فلم يزل قاضيا بها الى أن أسخطه لبعض النزعات الملوكية فعزله وأدال منه بالفقيه أبى عبد الله الفشتالى آخر سنة ست وخمسين ثم بعثه فى سفارة الى الاندلس فامتنع من الرجوع وقام السلطان لها فى ركابه ونقم على صاحب الاندلس تمسكه به وبعث اليه فيه يستقدمه فلاذ ابن الاحمر بالشفاعة فيه واقتضى له كتاب أمان بخط السلطان أبى عنان وأوفده فى جماعة من شيوخ العلم بغرناطة القاطنين بها منهم شيخنا أبو القاسم الشريف السبتى شيخ الدنيا جلالة وعلما ووقارا ورياسة وامام اللسان فصاحة وبيانا وتقدما فى نظمه ونثره وترسلاته وشيخنا الآخر أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلقينى من أهل المرية شيخ المحدثين والفقهاء والادباء والصوفية والخطباء بالاندلس وسيد أهل العلم باطلاق المتفنن فى أساليب المعارف وآداب الصحابة للملوك فمن دونهم فوفدوا به على السلطان شفيعين على عظيم تشوّفه للقائهما فقبلت الشفاعة وانجحت الوسيلة حضرت بمجلس السلطان يوم وفادتهما سنة سبع وخمسين وكان يوما مشهودا واستقر القاضى المغربى فى مكانه بباب السلطان عطلا من الولاية والجراية وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان وقعت بينه وبين أقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضى الفشتالى فتقدم السلطان الى بعض أكابر الوزعة ببابه أن يسحبه الى مجلس القاضى حتى ينفذ فيه حكمه فكان الناس يعدونها محنة ثم ولاه السلطان بعد ذلك قضاء العساكر فى دولته عند ما ارتحل الى قسنطينة فلما افتتحها وعاد الى دار ملكه بفاس آخر ثمان وخمسين اعتل القاضى المغربى فى طريقه وهلك عند قدومه بفاس *(ومنهم صاحبنا)* الامام العالم القدوة فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والاصول أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسنى ويعرف بالعلوى نسبة الى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين فكان أهل بلده لا يدافعون فى نسبهم وربما يغمس فيه بعض الفجرة ممن لا يروعه دينه ولا معرفته بالانساب بعض من اللغو لا يلتفت اليه نشأ هذا الرجل بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها واختص بأولاد الامام وتفقه عليهما فى الفقه والاصول والكلام ثم لزم شيخنا أبا عبد الله الابلى وتضلع من معارفه فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه ثم ارتحل الى تونس فى بعض مذاهبه سنة أربعين ولقى شيخنا القاضى أبا عبد الله بن عبد السلام وحضر مجلسه وأفاد منه واستعظم رتبته فى العلم وكان ابن عبد السلام يصغى اليه ويؤثر محله ويعرف حقه حتى لقد زعموا أنه كان يخلو به فى بيته فيقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الاشارات (١) لابن سينا لما كان هو أحكم ذلك

الكتاب على شيخنا الابلي وقرأ عليه كثيرا من كتاب الشفاء لابن سينا ومن تلاخيص كتب أرسطو ومن الحساب والهندسة والفرائض علاوة على ما كان يحمله من الفقه والعربية وسائر علوم الشريعة وكانت له في كتب الخلافيات يد طولى وقدم عالية فعرف له ابن عبد السلام ذلك كله وأوجب حقه وانقلب الى تلمسان وانتصب لتدريس العلم وبثه فملأ المغرب معارف وتلميذا الى أن اضطرب المغرب بعد واقعة القيروان ثم هلك السلطان أبو الحسن وزحف أبو عنان الى تلمسان فملكها سنة ثلاث وخمسين فاستخلص الشريف أبا عبد الله واختاره لمجلسه العلمي مع من اختاره من المشيخة وزحف به الى فاس فتبرم الشريف من الاغتراب وردد الشكوى وعرف السلطان ذلك وارتاب به ثم بلغه أثناء ذلك ان عثمان بن عبد الرحمن سلطان تلمسان أوصاه على ولده وأودع له مالا عند بعض الاعيان من أهل تلمسان وان الشريف مطلع على ذلك فانتزع الوديعة وسخط الشريف بذلك ونكبه وأقام في اعتقاله أشهرا ثم أطلقه أول ست وخمسين وأقصاه ثم أعتبه بعد فتح قسنطينة وأعاده الى مجلسه الى أن هلك السلطان آخر تسع وخمسين وملك أبو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من يد بني مرين واستدعى الشريف من فاس فسرحه القائم بالامر يومئذ الوزير عمر بن عبد الله فانطلق الى تلمسان وأطلقه أبو حمو براحته وأصهر له في ابنته فزوجها اياه وبنى له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه وأقام الشريف يدرس العلم الى أن هلك سنة احدى وسبعين وأخبرني رحمه الله أن مولده سنة عشر * (ومنهم صاحبنا) * الكاتب القاضي أبو القاسم محمد بن يحيى البرجي من برجة الاندلس كان كاتب السلطان أبي عنان وصاحب الانشاء والسر في دولته وكان مختصا به وأثيرا لديه وأصله من برجة الاندلس نشأ بها واجتهد في العلم والتحصيل وقرأ وسمع وتفقه على مشيخة الاندلس واستبحر في الادب وبرز في النظم والنثر وكان لا يجارى في كرم الطباع وحسن المعاشرة ولين الجانب وبذل البشر والمعروف وارتحل الى بجاية في عشر الاربعين وسبعمائة وبها الامير أبو زكريا ابن السلطان أبي يحيى منفردا بملكها على حين أقفر من رسم الكتابة والبلاغة فبادرت أهل الدولة الى اصطفائه وايثاره بخطة الانشاء والكتاب عن السلطان الى أن هلك الامير أبو زكريا ونصب ابنه محمد مكانه فكتب عنه على رسمه ثم هلك السلطان أبو يحيى وزحف السلطان أبو الحسن الى افريقية واستولى على بجاية ونقل الامير محمدا بأهله وحاشيته الى تلمسان كما تقدم في أخباره فنزل أبو القاسم البرجي تلمسان وأقام بها واتصل خبره بأبي عنان ابن السلطان أبي الحسن وهو يومئذ أميرها ولقيه فوقع من قلبه بمكان الى أن كانت واقعة القيروان وخلع أبو عنان واستبد

بالامر فاستكتبه وحمله الى المغرب ولم يسم به الى العلامة لانه آثر بها محمد بن أبى عمر بما كان أبوه يعلمه القرآن وربى محمد بداره فولاه العلامة والبرجى مرادف له فى رياسته الى أن انقرضوا جميعا وهلك السلطان أبو عنان واستولى أخوه أبو سالم على ملك المغرب وغلب ابن مرزوق على هواه كما قدمناه فنقل البرجى من الكتابة واستعمله فى قضاء العساكر فلم يزل على القضاء الى أن هلك سنة وثمانين وأخبرنى رحمه الله أن مولده سنة عشر *(ومنهم شيخنا المعمر الرحالة)* أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق شيخ وقته جلالة وتربية وعلما وخبرة بأهل بلده وعظمة فيهم نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها وارتحل الى تونس فلقى القاضى أبا اسحق بن عبد الرفيع والقاضى أبا عبد الله النفزاوى وأهل طبقتهما وأخذ عنهم وتفقه عليهم ورجع الى المغرب ولازم سنن الاكابر والمشايخ الى أن ولاه السلطان أبو الحسن القضاء بمدينة فاس فأقام على ذلك الى أن جاء السلطان أبو عنان من تلمسان بعد واقعة القيروان وخلعه فعزله بالفقيه أبى عبد الله المغربى وأقام عطلا فى بيته ولما جمع السلطان مشيخة العلم للتحليق بمجلسه والافادة منهم واستدعى شيخنا أبا عبد الله بن عبد الرزاق فكان يأخذ عنه الحديث ويقرأ عليه القرآن برواياته فى مجلس خاص الى أن هلك رحمه الله بين يدى مهلك السلطان أبى عنان الى آخرين وآخرين من أهل المغرب والاندلس كلهم لقيت وذاكرت وأفدت منه وأجازنى بالاجازة العامة

(حديث النكبة من السلطان أبى عنان)

كان اتصالى بالسلطان أبى عنان آخر سنة ست وخمسين وقربنى وادنانى واستعملنى فى كتابته واختصنى بمجالسه للمناظرة والتوقيع عنه فكثر المنافسون وارتفعت السعايات حتى قويت عنده بعد أن كان لا يغير عن صفائه ثم اعتل السلطان آخر سبع وخمسين وكان قد حصلت بينى وبين الامير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة أحكمها ما كان لسلفى فى دولتهم وغفلت عن التحفظ من مثل ذلك من غيرة السلطان فما هو الا أن شغل بوجعه حتى نمى اليه بعض العداة أن صاحب بجاية معتمل فى الفرار ليسترجع بلده وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن على فانبعث السلطان لذلك وبادر بالقبض عليه وكان فيما نمى اليه أنى داخلته فى ذلك فقبض على وامتحننى وحبسنى ثم أطلق الامير محمدا ومازلت أنا فى اعتقاله الى أن هلك وخاطبته بين يدى مهلكه بقصيدة

على أى حال لليالى اعاتب * وأى صروف للزمان أغالب
كفى حزنا أنى على القرب نازح * وأنى على دعوى شهودى غائب
وأنى على حكم الحوادث نازل * تسالمنى طورا وطورا تحارب

(ومنها فى التشوق)

سلوتهم الا ادكارا معاهد * لها فى الليالى الغابرات غرائب
وان نسيم الريح منهم يسوقنى * اليهم وتصبينى البروق اللواعب

وهى طويلة نحو مائتى بيت ذهبت عن حفظى فكان لها منه موقع وهش لها وكان بتلمسان فوعد بالافراج عنى عند حلوله بفاس ولخمس ليال من حلوله طرقه الوجع وهلك لخمس عشرة ليلة فى رابع وعشرين من ذى الحجة خاتم تسع وخمسين وبادر القائم بالدولة الوزير الحسن بن عمر الى اطلاق جماعة من المعتقلين كنت فيهم فخلع علىّ وحملنى وأعادنى الى ما كنت عليه وطلبت منه الانصراف الى بلادى فأبى علىّ وعاملنى بوجوه كرامته ومذاهب احسانه الى أن اضطرب أمره وانتقض عليه بنو مرين وكان ما قدمناه فى أخبارهم

(الكتابة عن السلطان أبى سالم فى السرّ والانشاء)

ولما أجاز السلطان أبو سالم من الاندلس لطلب ملكه ونزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وكان الخطيب ابن مرزوق بفاس فبث دعوته سرّا واستعان بى على أمره بما كان بينى وبين أشياخ بنى مرين من المحبة والائتلاف فحملت الكثير منهم على ذلك وأجابونى اليه وأنا يومئذ أكتب عن القائم بأمر بنى مرين منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق وقد نصبوه للملك وحاصروا الوزير حسن بن عمر وسلطانه السعيد بن أبى عنان بالبلد الجديد فقصدنى ابن مرزوق فى ذلك وأوصل الىّ كتاب السلطان أبى سالم بالحضّ على ذلك واجمال الوعد فيه وألقى علىّ حملته فنهضت به وتقدمت الى شيوخ بنى مرين وأمراء الدولة بالتعريض على ذلك حتى أجابوا وبعث ابن مرزوق الى الحسن بن عمر يدعوه الى طاعة السلطان أبى سالم وقد ضجر من الحصار فبادر الى الاجابة واتفق رأى بنى مرين على الانفضاض عن منصور بن سليمان والدخول الى البلد الجديد فلما تم عقدهم على ذلك نزعت الى السلطان أبى سالم فى طائفة من وجوه أهل الدولة كان منهم محمد بن عثمان بن الكاس المستبدّ بعد ذلك بملك المغرب على سلطانه وكان ذلك النزوع مبدأ حظه وخطة سعادته بسعايتى له عند السلطان فلما قدمت على السلطان بالصفيحة بما عندى من أخبار الدولة وما أجمعوا عليه من خلع منصور بن سليمان وبالموعد الذى ضربوه لذلك واستحثثته فارتحل ولقينا البشير باجفال منصور بن سليمان وفراره الى نواحى باديس ودخول بنى مرين الى البلد الجديد واظهار الحسن بن عمر دعوة السلطان أبى سالم ثم لقيتنا بالقصر الكبير قبائل السلطان وعساكره على راياتهم ووزير منصور بن سليمان مسعود بن رحو بن ماسى

فلقاه السلطان الكرامة كما يجب واستوزره عوضا من الحسن بن يوسف بن على بن محمد الورتاجنى السابق الى وزارته لقيه بسبتة وقد غربه منصور بن سليمان الى الاندلس فاستوزره واستكفاه ولما اجتمعت العساكر عنده بالقصر صمد الى فاس ولقيه الحسن بن عمر بظاهرها فأعطاه طاعته ودخل الى دار ملكه وانا فى ركابه لخمس عشرة ليلة من نزوعى اليه منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة فرعى لى السابقة واستعملنى فى كتابة سره والترسيل عنه والانشاء لمخاطباته وكان أكثرها يصدر عنى بالكلام المرسل بدون أن يشاركنى أحد ممن ينتحل الكتابة فى الاسجاع لضعف انتحالها وخفاء المعانى منها على أكثر الناس بخلاف غير المرسل فانفردت به يومئذ وكان مستغربا عندهم بين أهل هذه الصناعة ثم أخذت نفسى بالشعر وانثال على منه بحور توسطت بين الاجادة والقصور وكان مما أنشدته اياه ليلة المولد النبوى من سنة ثلاث وستين

أسرفن فى هجرى وفى تعذيبى * وأطلن موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين موقف ساعة * لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وقد غدا * قلبى رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعى سافح * فشرقت بعدهم بماء غروب
يا ناقعا بالعتب غلة شوقهم * رحماك فى عذلى وفى تأنيبى
يستعذب الصب الملام واننى * ماء الملام لدى غير شروب
ما هاجنى طرب ولا اعتاد الجوى * لولا تذكر منزل وحبيب
أصبو الى اطلال كانت مطلعا * للبدر منهم أو كناس ربيب
عبثت بها ايدى البلى وترددت * فى عطفها للدهر أى خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها * ليجدها وصفى وحسن نسيبى
واذا الديار تعرضت لمتيم * هزته ذكراها الى التشبيب
ايه على الصبر الجميل فانه * ألوى بدين فؤادى المنهوب
لم أنسها والدهر يثنى صرفه * ويغض طرفى حاسد ورقيب
والدار مونقة بما لبست من ا * لأيام تجلوها بكل قشيب
يا سائق الاظعان يعتسف الفلا * ويواصل الاسآد بالتأويب
متهافتا عن رحل كل مذلل * نشوان من أين ومس لغوب
تتجاذب النفحات فضل ردائه * فى ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظما الصبابة صحبه * نهلوا بمورد دمعه المسكوب
ان تعترض مسراهم سدف الدجى * صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

في كل شعب منية من دونها * هجر الاماني أو لقاء شعوب
هـ لا عطفت صدورهن الى التى * فيها الغانية أعين وقلوب
فتؤم من أكناف يثرب مأمنا * يكفيك ما تخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة * تتلو من الآثار كل غريب
سر عجيب ليس يحجبه الثرى * ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه وسلم والاطناب في مدحه

انى دعوتك واثقا باجابتى * يا خير مدعو وخير مجيب
قصرت في مدحى فان يك طيبا * فبما لذكرك من أريج الطيب
ماذا عسى يبغى المطيل وقد حوى * في مدحك القرآن كل مطيب
يا هل تبلغنى الليالى زورة * تدنى الى الفوز بالمرغوب
أمحو خطيآتى باخلاصى بها * وأحط أوزارى واصر ذنوبى
في فتية هجروا المنى وتعودوا * انضاء كل نجيبة ونجيب
يطوى صحائف ليلهم فوق الفلا * ما شئت من خبب ومن تقريب
ان رنم الحادى بذكرك رددوا * أنفاس مشتاق اليك طروب
أو غرد الركب الخلى بطيبة * حنوا لمغناها حنين النيب
ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم * ارث الخلافة في بنى يعقوب
الطاعنون الخيل وهى عوابس * يغشى مثار النقع كل سبيب
والواهبون المقربات صوافنا * من كل خوار العنان لعوب
والمانعون الجار حتى عرضه * في منتدى الاعداء غير معيب
تخشى بوادرهم ويرجى حلمهم * والعز شيمة مرتجى ومهيب

ومنها في ذكر اجازته البحر واستيلائه على ملكه

سائل بنى طامى العباب وقد سرى * تزجيه ريح العزم ذات هبوب
تهديه شهب أسنة وعزائم * يصدعن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلل الظلام بسعيه * وسطا الهدى بفريقه المغلوب
أبنى الاولى شادوا الخلافة بالتقى * واستأثروا بتاجها المغصوب
جمعوا لحفظ الدين أى مناقب * كرموا بها في مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا أو تالدا * فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبة أو رغبة لك في العلا * تقتاد بالترغيب والترهيب
لا زلت مسرورا بأشرف دولة * يبدو الهدى من أفقها المرغوب

ومن قصيدة مخاطبة بها عندما وصول هدية ملك السودان اليه وفيها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة

قدحت يد الاشواق من زندي * وهفت بقلبي زفرة الوجد
ونبذت سلواني على ثقة * بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولرب وصل كنت آمله * فاعتضت منه مؤلم الصد
لا عهد عند الصبر أطلبه * ان الغرام أضاع من عهدي
يلحى العذول فما أعنفه * وأقول ضل فأبتغي رشدي
وأعارض النفحات أسألها * برد الجوى فتزيد في الوقد
يهدي الغرام الى مسالكها * لتعللي بضعيف ما تهدي
ياسائق الاظعان معتسفا * طي الفلاة لطية الوجد
أرح الركاب ففي الصبا نبأ * يغني عن المستنة الجرد
وسل الربوع برامة خبرا * عن ساكني نجد وعن نجد
مالي يلام على الهوى خلقي * وهي التي تأبى سوى الحمد
لأبيت الا الرشد وقد وضحت * بالمستعين معالم الرشد
نم الخليفة في هدى وتقى *
نجل السراة الغر شأنهم * كسب العلا بمواهب الوجد

ومنها في ذكر خلوصي اليه وما ارتكبته فيه

لله مني اذ تأوبني * ذكراه وهو بشاهق فرد
شهم يفل بواترا قضبا * وجموع أقيال أولي ايد
أوريت زند العزم في طلبي * وقضيت حق المجد من قصدي
ووردت عن ظمأ مناهله * فرويت من عز ومن رفد
هي جنة المأوى لمن كلفت * آماله بمطالب المجد
لو لم أغل بريح كوثرها * ماقلت هذي جنة الخلد
من مبلغ قومي ودونهم * قذف النوى وتنوفة البعد
اني أنفت على رجائهم * وملكت عز جميعهم وحدي
ورقيقة الاعطاف حالية * موشية بوشائع البرد
وحشية الانساب ما أنست * في موحش البيداء بالقرد
تسمو بجيد بالغ صعدا * شرف الصروح بغير ما جهد
طالت رؤس الشامخات به * وربما قصرت عن الوهد

قطعت اليك تنائفا وصلت * آسادها بالقهد والوخد
تحدى على استصغا ثم اذللا * وتبيت طوع القن والقد
لسعودك اللاتى ضمن لها * طول الحياة بعيشة رغد
جاءتك فى وفد الاحابش لا * يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك انضاء تقلبهم * أيدى السرى بالغور والنجد
يثنون بالحسنى التى سبقت * من غير انكار ولا جحد
ويرون لحظك من وفادتهم * فخرا على الاتراك والهند
يامستعينا جل فى شرف * عن رتبة المنصور والمهدى
جازاك ربك عن خليقته * خير الجزاء فنعم من يسدى
وبقيت للدنيا وساكنها * فى عزة أبدا وفى سعد

وأنشدته فى سائر أيامه غيرهاتين القصيدتين كثيرا لم يحضرنى الآن شئ منه ثم غلب ابن مرزوق على هواه وأفرد بمخالصته وكبح الشكائم عن قربه فانقبضت وقصرت الخطو مع البقاء على ما كنت فيه من كتابة سره وانشاء مخاطباته ومراسمه ثم ولانى آخر الدولة خطة المظالم فوفيتها حقها ودفعت للكثير مما أرجو ثوابه ولم يزل ابن مرزوق آخذا فى سعايته بى وبامثالى من أهل الدولة غيرة ومنافسة الى أن انتقض الامر على السلطان بسببه وثار الوزير عمر بن عبد الله بدار الملك فصار اليه الناس ونبذوا السلطان وبيعته وكان فى ذلك هلاكه على ماذكرناه فى أخبارهم ولما قام الوزير عمر بالامر أقرنى على ما كنت عليه ووفر أقطاعى وزاد فى جرايتى وكنت أسمو بطغيان الشباب الى أرفع مما كنت فيه وأدل فى ذلك بسابق مودة معه منذ أيام السلطان أبى عنان وصحابة استحكم عقدها بينى وبين الامير أبى عبد الله صاحب بجاية فكان ثالث آثافينا ومصقل فكاهتنا واشتدت غيرة السلطان كما مر وسطا بنا وتغافل عن عمر بن عبد الله لمكان أبيه من ثغر بجاية ثم حلانى الادلال عليه أيام سلطانه وما ارتكبه فى حقى من القصور بى عما أسمو اليه الى أن هجرته وقعدت عن دار السلطان مغاضبا له فتنكر لى وأقطعنى جانبا من الاعراض فطلبت الرحلة الى بلدى بافريقية وكان بنو عبد الواد قد راجعوا ملكهم بتلمسان والمغرب الاوسط فمنعنى من ذلك أن يغتبط أبو حمو صاحب تلمسان بمكانى فأقيم عنده وألح فى المنع من ذلك وأبيت أنا الا الرحلة واستجرت فى ذلك برديفه وصهره الوزير مسعود بن رحو بن ماسى ودخلت عليه يوم الفطر سنة ثلاث وستين فأنشدته

هنيأ الصوم لاعداه قبول * وبشرى لعيد أنت فيه منيل
وهنأتنا من عزة وسعادة * تتابع أعوام بها وفصول

سقى الله دهرا أنت انسان عينه * ولا مس ربعا فى حماك محول
فعصرك مابين الليالى مواسم * لها غرر وضاحة وحجول
وجانبك المأمول للجود مشرع * يحوم عليه عالم وجهول
عساك وان ضن الزمان منولى * فرسم الامانى من سواك محيل
أجرنى فليس الدهر لى بمسالم * اذا لم يكن لى فى ذراك مقيل
وأوليتنى الحسنى بما أنا آمل * فمثلك يولى راجيا وينيل
ووالله مارمت الترحل عن قلى * ولا سخطة للعيش فهو جزيل
ولا رغبة عن هذه الدار انها * لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عنا حبائب * شجاهن خطب والفراق طويل
يهيج بهن الوجد انى نازح * وان فؤادى حيث هن حلول
عزيز عليهن الذى قد لقيته * وان اغترابى فى البلاد يطول
توارت بانى البقاع كأننى * تخطفت أو غالت ركابى غول
ذكرتك يامغنى الاحبة والهوى * فطارت لقلبى أنة وعويل
وحييت عن شوق رباك كأنما * يمثل لى نؤيها وطلول
أأحبابنا والعهد بينى وبينكم * كريم وما عهد الكريم يحول
اذا أنا لم ترض الحمول مدامعى * فلا قربتنى للقاء حمول
إلام مقامى حيث لم ترد العلا * مرادى ولم تعط القياد ذلول
ويذهب بى مابين يأس ومطمع * زمان بنيل المعلوات بخيل
تعللنى منه أمان خوادع * ويؤنسنى منه أمان مطول
أما للبيالى لاترد خطوبها * ففى كبدى من وقعهن فلول
يروعنى عن صرفها كل حادث * تكاد له صم البلاد تزول
أدارى على رغم العداة بريبة * يصانع واش جوفها وعذول
وأغدو بأشجانى عليلا كأنما * تجود بنفسى زفرة وغليل
وانى وان أصبحت فى دار غربة * تحيل الليالى سلوتى وتديل
وصدتنى الايام عن خير منزل * عهدت به أن لايضام نزيل
لاعلم أن الخير فاش مكثر * وان هان أنصار وبان خليل

فأعانى الوزير مسعود عليه حتى أذن لى فى الانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان فى أى مذهب أردت فاخترت الاندلس وصرفت ولدى وأمهم الى أخوالهم أولاد القائد محمد بن الحكيم بقسنطينة فاتح أربع وستين وجعلت أنا طريقى على الاندلس وكان

سلطانها أبو عبد الله المخلوع وحين وفد على السلطان أبي سالم بفاس وأقام عنده حصلت لي معه سابقة وصلة خدمة من جهة الوزير أبي عبد الله بن الخطيب لما كان بيني وبينه من الصحابة فكنت أقوم بخدمته وأعمل في قضاء حاجاته في الدولة ولما أجاز باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه حين فسد ما بين الطاغية وبين الرئيس المتوثب عليه بالاندلس من قرابته خلفته فيما ترك من عياله وولده بفاس خير خلف في قضاء حاجاتهم وادرار ارزاقهم من المتولين لها والاستخدام لهم ثم فسد ما بين الطاغية وبينه قبل ظفره بملكه برجوعه عما اشترط له من التجافي عن حصون المسلمين التي تملكها بالاجلاب ففارقه الى بلاد المسلمين باستجة وكتب الى عمر بن عبد الله يطلب مصرا من أمصار الاندلس الغربية التي كانت ركابا للملوك المغرب في جهادهم وخاطبني أنا في ذلك فكنت له نعم الوسيلة عند عمر حتى تم قصده من ذلك وتجافى له عن رندة وأعمالها فنزلها وتملكها وكانت دار هجرته وركاب فتحه وملك منها الاندلس أواسط ثلاث وستين واستوحشت أنا من عمر اثر ذلك كما مر وارتحلت اليه معولا على سوابقي عنده فقرب في المكافاة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الرحلة الى الاندلس)

ولما أجمعت الرحلة الى الاندلس بعثت بأهلي وولدي الى أخوالهم بقسنطينة وكتبت لهم الى صاحبها السلطان أبي العباس من حفدة السلطان أبي يحيى وأني أمر على الاندلس وأجيز عليه من هنالك وسرت الى سبتة فرضة المجاز وكبيرها يومئذ أبو العباس أحمد بن الشريف الحسني ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب انتقل سلفه الى سبتة من صقلية وأكرمهم بنو العزفي أولا وصاهروهم ثم عظم صيتهم في البلد فتنكروا لهم وغربهم يحيى العزفي آخرهم الى الجزيرة فاعترضهم مراكب النصارى في الزقاق فأسروهم وانتدب السلطان أبو سعيد الى فديتهم رعاية لشرفهم فبعث الى النصارى في ذلك فأجابوه وفادى هذا الرجل وأباه على ثلاثة آلاف دينار ورجعوا الى سبتة وانقرض بنو العزفي ودولتهم وهلك والد الشريف وصدر هو الى رياسة الشورى لما كانت واقعة القيروان وخلع أبو عنان أباه واستولى على المغرب وكان بسبتة عبد الله ابن علي الوزير واليا من قبل السلطان أبي الحسن فتمسك بدعوته ومال أهل البلد الى السلطان أبي عنان وأمكنوه من بلدهم فولى عليها من عظماء دولته سعيد بن موسى العجيسي كان كافل تربيته في صغره وأفرد هذا الشريف برياسة الشورى في سبتة فلم يكن يقطع أمرا دونه ووفد على السلطان بعض الايام فلقاه من المبرة بما لا يشاركه فيه أحد من وفود الملوك والعظماء ولم يزل على ذلك سائر أيام السلطان

وبعد وفاته وكان معظما وقور المجلس هش اللقاء كريم الوفادة متحليا بالعلم والادب منتحلا للشعر غاية فى الكرم وحسن العهد وسداجة النفس ولما مررت به سنة أربع وستين أنزلنى بيته ازاء المسجد الجامع ورأيت منه مالا يقدر مثله من الملوك وأركبنى الحراقة ليلة سفرى يباشر دحرجتها الى الماء بيده اغرابا فى الفضل والمساهمة وحططت بجبل الفتح وهو يومئذ لصاحب المغرب ثم خرجت منه الى غرناطة وكتبت للسلطان ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب بشانى وابت بقرب غرناطة على بريد منها القينى كتاب ابن الخطيب يهنئنى بالقدوم ويؤنسنى ونصه

حللت حلول الغيث فى البلد المحل * على الطائر الميمون والرحب والسهل

يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه * من الشيخ والطفل المعصب والكهل

لقد نشأت عندى للقياك غبطة * تنسى اغتباطى بالشبيبة والاهل

وودى لايحتاج فيه لشاهد * وتقريرى المعلوم ضرب من الجهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الاحياء لميته (١) ونور ضربت الامثال بمشكاته وزيته لو خيرت أيها المحب الحبيب الذى زيارته الامنية السنية والعارفة الوارفة واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماؤه ويرف نماؤه ويغازل عيون الكواكب فضلا عن الكواعب اشارة وايماء بحيث لا آلو فى حظ يلم بساحتى لمته أو يقدح ذباله فى ظلمته أو يقدم حواريه فى ملته من الاحابش وأمته وزمانه روح وراح ومغدى فى النعيم ومراح وخصب صراح ورنى وجراح وانتخاب واقتراح وصدر مابه الا انشراح ومسرات يردفها افراح وبين قدومك خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن محكما فى نسك الجنيد أو فتك الحسن ممتعا بظرف المعارف مالئا ألف الصيارف ماحيا بأنوار البراهين شبه الزخارف لما اخترت الشباب وان شاقنى زمنه وأعيانى ثمنه وأجرت سحاب دمعى دمنه فالحمد لله الذى رفأ حنوه اغترابى وملكنى أزمة آرابى وغبطنى بمالى وترابى ومألف اترابى وقد أغصنى بلذيذ شرابى ووقع على سطوره المعتبرة اضرابى وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية وملتقى للسعود غير البطية وتهنى الآمال الوثيرة الوطية فما شئت من نفوس عاطشة الى ريك متجملة بزيك عاقلة خطى سمهريك ومولى مكارمه مشيدة لامثالك ومضان منالك وسيصدق الخبر ماهنالك ويسع فضل مجدك فى التخلف عن الاصحار لا بل اللقاء من وراء البحار والسلام ثم أصبحت من الغد قادما على البلد وذلك ثامن ربيع الاول عام أربعة وستين وقد اهتز السلطان لقدومى وهيأ لى المنزل من قصوره بفرشه وماعونه وأركب خاصته للقائى تحفيا وبرا ومجازاة بالحسنى ثم دخلت

عليه فقابلني بما يناسب ذلك وخلع وانصرفت وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعني الى مكان نزلي ثم نظمني في علية أهل مجلسه واختصني بالنجاء في خلوته والمراكبة في ركوبه والمواكلة والمفاكهة في خلوات أنسه وأقمت عنده وسفرت عنه سنة خمس وستين الى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطرة بن الهنشة بن ادفونش لاتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة من ثياب الحرير والجياد والمقربات بمراكب الذهب الثقيلة فلقيت الطاغية باشبيلية وعاينت آثار سلفي بها وعاملني من الكرامة بما لا مزيد عليه وأظهر الاغتباط بمكاني وعلم أولية سلفنا باشبيلية وأثنى علي عنده طبيبه ابراهيم ابن زرور اليهودي المقدم في الطب والنجامة وكان لقيني بمجلس السلطان أبي عنان وقد استدعاه يستطبه وهو يومئذ بدار ابن الاحمر بالاندلس ثم نزع بعد مهلك رضوان بن القائم بدولتهم الى الطاغية فأقام عنده ونظمه في أطبائه فلما قدمت أنا عليه أثنى علي عنده فطلب الطاغية حينئذ المقام عنده وان يرد علي تراث سلفي باشبيلية وكان بيد زعماء دولته فتفاديت من ذلك بما قبله ولم يزل على اغتباطه الى أن انصرفت عنه فزودني وحملني واختصني ببغلة فارهة بمركب ثقيل ولجام ذهبيين أهديتهما الى السلطان فأقطعني قرية البيرة من أراضي السقي بمرج غرناطة وكتب لي بها منشورا كان نصه

ثم حضرت ليلة المولد النبوي لخامسة وكان يحتفل في الصنيع فيها والدعوة وانشاد الشعر اقتداء بملوك المغرب فأنشدته ليلتئذ

حيّ المعاهد كانت قبل تحييني * بواكف الدمع يرويها وتظميني

انّ الاولى نزحت داري ودارهم * تحملوا القلب في آثارهم دوني

وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم * فيهم وأسأل رسما لا يناجيني

أمثل الربع من شوقي فألثمه * وكيف والفكر يدنيه ويقصيني

وينهب الوجد مني كل لؤلؤة * مازال قلبي عليها غير مأمون

سقت جفوني مغاني الربع بعدهم * بالدمع وقف على اطلالها الجون

قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل * لو أنّ قلبي الى السلوان يدعوني

أحبابنا والعهد والوصل مذكر * وهل نسيمه منكم تحييني
مالي وللطيف لا يعتاد زائره * وللنسيم عليلا لا يداويني
يا أهل نجد وما نجد وساكنها * حسنا سوى جنة الفردوس والعين
أعنوكم انني ما مر ذكركم * ثنيت نفسي كأن الراح يحييني
أصبو الى البرق من أنحاء أرضكم * شوقا ولولاكم ما كان يصبيني
يا نازحا والمنى تدنيه من خلدي * حتى لأحسبه قربا يناجيني
أسلى هواك فؤادي عن سواك وما * سواك يوما بحال عنك يسليني
ترى الليالي أنستك ادكاري يا * من لم تكن ذكره الايام تنسيني

ومنها في وصف الايوان الذي بناه لجلوسه بين قصوره

يا مصنعا شدت منه للسعود حمى * لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطرف ملتبسا * فيما رمى منك من شكل وتلوين
بعدا لايوان كسرى ان قصرك السامي لأعظم من تلك الاواوين
ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا * أشهى الى القلب من أبواب جيرون

ومنها في التعريض عنصرفي من العدوة

من مبلغ عني الصحب الألى نزلوا * ودي وضاع حماهم اذ أضاعوني
اني أويت من العليا الى حرم * كادت مغانيه بالبشرى تحييني
وانني ظاعن لم ألق بعدكم * دهرا أشاكي ولا خلا يشاكيني
لا كالتي أخفرت عهدي ليالي اذ * أقلب الطرف بين الخوف والهون
سقيا ورعيا لأيامي التي ظفرت * يداي منها بحظ غير مغبون
أرتاد منها مليا لا يماطلني * وعدا وأرجو كريما لا يعنيني
وهاك منها قواف طيها حكم * مثل الازاهر في طي الرياحين
تلوح ان جليت درا وان تليت * تثني عليك بأنفاس البساتين
عانيت فيها بجهدي كل شاردة * لولا سعودك ما كانت تواتيني
يمانع الفكر عنها ما تقسمه * من كل حزن بطي الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لي شواردها * فرضت منها بتحبير وتزيين
بقيت دهرك في أمن وفي دعة * ودام ملكك في نصر وتمكين

وأنشدته سنة خمس وستين في اعذار ولده والصنيع الذي احتفل لهم فيه ودعا اليه الخلفاء من نواحي الاندلس ولم يحضرني منها الا ما أذكره

ضحا الشوق لولا عبرة ونحيب * وذكرى تجد الوجد حين تثوب

وقلب أبى الا الوفاء بعهده * وان نزحت دار وبان حبيب
ولله منى بعد حادثة النوى * فؤاد لتذكير العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال اذا سرى * وتذكى حشاه نفحة وهبوب
خليلى لاتستعديا قد دعا الاسى * فانى لما يدعو الاسى لمجيب
ألما على الاطلال نقض حقوقها * من الدمع فياض الشؤن سكوب
ولاتعذلانى فى البكاء فانها * حشاشة نفسى فى الدموع تذوب

ومنها فى تقدم ولده للاعذار من غير نكول

فيم منه الطفل لاامتقاعس * ولانكس عند اللقاء هيوب
وراح كما راح الحسام من الوغى * تروق حلاه والفرند خضيب
شواهد تهدى منك شمائل * وخلق بصفوف المجد منك مشوب

ومنها فى الثناء على ولديه

هما النيران الطالعان على الهدى * بآيات فتح شأنهن عجيب
شهابان فى الهيجا نعامان فى الثرى * نسيم المعالى منهما وتصوب
يدان لبسط المكرمات نماهما * الى المجد فياض اليدين وهوب

وأنشدته ليلة المولد الكريم من هذه السنة

أيا الطيف أن يعتاد الا توهما * فمن لى بأن ألقى الخيال المسلما
وقد كنت أستهديه لو كان نافعى * واستمطر الاجفان لو تمطر الظما
ولكن خيال كاذب وطماعة * تعلل قلبا بالامانى متيما
أيا صاحبى نجواى والحب لوعة * يبيح بشكواها الضمير المكتما
خذ الفؤادى العهد من نفس الصبا * وطى النقا والبان من أجرع الحمى
الا صنع الشوق الذى هو صانع * صحى مقيم أقسم الشوق أوسما
وانى ليدعونى السلو تعللا * وتنهانى الاشجان أن أتقدما
لمن دمن أقفرن الاهواتف * تردد فى اطلالها لهن الترنما
عرفت بها اسما الهوى وتنكرت * فعجت على آياتها متوسما
وذو الشوق يعتاد الربوع دوارسا * ويعرف آثار الديار توهما
تؤرق بى والليل بينى وبينه * وميض بأطراف الثنايا تضرما
أجد لى العهد القديم كأنه * أشار بتذكار العهود فأفهما
عجبت لمرتاع الجوانح خافق * بكيت له خلف الدجا وتبسما
وبت أروّيه كؤس مدامعى * وبات يعاطينى الحديث عن الحمى

وصافحته عن رسم دار بذى الغضى * لبست بها ثوب الشبيبة معلما
لمهدى بها تدنى الظباء أوانسا * وتطلع فى آفاقها الغيد أنجما
أحن اليها حيث سارت الهوى * وأنجد رحلى فى البلاد وأتهما

ولما استقر القرار واطمانت الدار وكان من السلطان الاغتباط والاستبشار وكثر الحنين الى الاهل والتذكار أمر لاستقدام أهلى من مطرح اغترابهم من قسنطينة بعث اليهم من جاءبهم الى تلمسان وأمر قائد الاسطول بالمرية فسار فى اجازتهم فى أسطوله واحتلوا بالمرية واستأذنت السلطان فى تلقيهم وقدمت بهم على الحضرة بعد أن هيأت لهم المنزل والبستان ودمنة الفلح وسائر ضروريات المعاش وكتبت الى الوزير ابن الخطيب عندما قاربت الحضرة وقد كتبت اليه أستأذنه فى القدوم وما اعتمده فى أحواله سيدى قدمت بالطير الميامين وعلى البلد الامين واستضفت الرفاء الى البنين ومتعت بطول السنين وصلتنى البراءة المعربة عن كتب اللقاء ودنو المزار وذهاب البعد وقرب الديار واستفهم سيدى عما عندى فى القدوم على المخدوم واحب أن يتقدمنى سيدى الى الباب الكريم فى الوقت الذى يجد المجلس الجمهورى لم يقض حجه ولم يصحن بهجه ويصل أهل بعده الى المحل الذى هيأته السعادة لاستقرارهم واختاره اليمن قبل اختيارهم والسلام ثم لم ينشب الاعداء وأهل السعايات أن حملوا الوزير ابن الخطيب من ملابستى للسلطان واشتماله على وحركوا له جواد الغيرة فتنكر وشممت منه رائحة الانقباض مع استبداده بالدولة وتحكمه فى سائر أحوالها وجاءتنى كتب السلطان أبى عبد الله صاحب بجاية بأنه استولى عليها فى رمضان سنة خمس وستين واستدعانى اليه فاستأذنت السلطان ابن الاحمر فى الارتحال اليه وعميت عليه شأن ابن الخطيب ابقاء للمودة فارتمض لذلك ولم يسعه الا الاسعاف فودع وزود وكتب لى مرسوما بالتشييع من املاء الوزير ابن الخطيب نصه هذا ظهير كريم تضمن تشييعا وترفيعا واكراما واعظاما وكان لعمل الصنيع ختاما وعلى الذى أحسن تماما وأشاديه للمعتمد الذى راق قساما وتوفر اقساما وأعلق بالقبول أن نوى بعد القوى رجوعا وآثر على الظعن المزمع مقاما أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه الامير أبو عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر أيد الله أمره وأعز نصره وأعلى ذكره للولى الجليس الحظى المكين المقرب الاود الاثير الفقيه الجليل الصدر الاوحد الرئيس العالم الفاضل الكامل الموقع الامين الاظهر الارضى الاخلص الاصفى أبى زيد عبد الرحمن ابن الشيخ الجليل الحسيب الاصيل المرفع المعظم الصدر الاوحد الاسمى الافضل الموقر المبرور أبى يحيى ابن الشيخ

الجليل الكبير الرفيع الماجد القائد الحظي المعظم الموقر المبرور المرحوم أبي عبد الله ابن خلدون وصله الله أسباب السعادة وبلغه من فضله أقصى الارادة أعلن بما عنده أيده الله من الاعتقاد الجميل في جانبه المرفع وان كان غنيا عن الاعلان وأعرب عن معرفة مقداره في الحسبان العلماء الرؤساء الاعيان وأشاد باتصال رضاه عن مقاصده البرة وشيمه الحسان من لدن وفد على بابه وفادة العز الراسخ البنيان وأقام المقام الذي عين له رفعة المكان واجلال الشان الى أن عزم على قصد وطنه أبلغه الله في ظل الامن والامان وكفالة الرحمن بعد الاغتباط المربي على الخبر بالعيان والتمسك بجواره بجهد الامكان ثم قبول عذره بما جبلت الانفس عليه من الحنين الى المعاهد والاوطان بعد أن لم يدخر عنه كرامة رفيعة ولم يحجب عنه وجه صنيعة فولاه القيادة والسيادة وأجله جليسا معتمدا بالاستشارة ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضنانة بفراقه ويجمع له بر الوجاهة من جميع آفاقه ويجعله بيده رتيمة خنصر ووثيقة سامع أو مبصر فهما لوى الى هذه البلاد بعد قضاء وطره وتملية من نهمة سفره أو نزع به حسن العهد وحنين الود فصدر العناية به مشروح وباب الرضا والقبول مفتوح وما عهده من الحظوة والبر ممنوح فما كانت القصد في مثله من امجاد الاولياء التحول ولا الاعتقاد الكريم التبدل ولا الزمن الاخير ان ينسخ الاول على هذا فليطو ضميره وليرد ما شاء غديره ومن وقف عليه من القواد والاشياخ والخدام برا وبحرا على اختلاف الخطط والرتب وتباين الاحوال والنسب أن يعرفوا حق هذا الاعتقاد في كل ما يحتاج اليه من تشييع ونزول واعانة وقبول واعتناء موصول الى أن يكمل الغرض ويؤدى من امتثال هذا الامر الواجب المفترض بحول الله وقوته وكتب في التاسع عشر من جمادى الاولى عام ست وستين وسبعمائة وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان ونصها صح هذا

(الرحلة من الاندلس الى بجاية وولاية الحجابة بها على الاستبداد)

كانت بجاية ثغر الافريقية في دولة بني أبي حفص من الموحدين ولما صار أمرهم للسلطان أبي يحيى منهم واستقل بملك افريقية ولى في ثغر بجاية ابنه الامير أبو زكريا وفي ثغر قسنطينة ابنه الامير أبو عبد الله وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط ينازعونه في أعماله ويجهزون الكتائب على بجاية ويجلبون على قسنطينة الى أن تمسك السلطان أبو بكر بذمة من السلطان أبي الحسن ملك المغرب الاوسط والاقصى من بني مرين وله الشفوف على سائر ملوكهم وزحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان فأخذ بمخنقها سنتين أو أزيد وملكها عنوة وقتل سلطانها أبا تاشفين وذلك سنة سبع وثلاثين وخف ما كان على الموحدين من أمر بني عبد الواد واستقامت دولتهم ثم هلك

أبو عبد الله ابن السلطان أبي يحيى بقسنطينة سنة أربعين وخلف سبعة من الاولاد كبيرهم أبو زيد عبد الرحمن ثم أبو العباس أحمد فولى الامير أبو زيد مكان أبيه في كفالة نبيل مولاهم ثم توفي الامير أبو زكريا ببجاية سنة ست وأربعين وخلف ثلاثة من الاولاد كبيرهم أبو عبد الله محمد وبعث السلطان أبو بكر ابنه الامير أبا حفص عليها فمال أهل بجاية الى الامير أبي عبد الله بن زكريا وانحرفوا عن الامير عمر وأخرجوه وبادر السلطان فرقع هذا الخرق بولاية أبي عبد الله عليهم كما طلبوه ثم توفي السلطان أبو بكر منتصف سبع وأربعين وزحف ابو الحسن الى افريقية فملكها ونقل الامراء من بجاية وقسنطينة الى المغرب وأقطع لهم هنالك الى أن كانت حادثة القيروان وخلع السلطان أبو عنان أباه وارتحل من تلمسان الى فاس فنقل معه هؤلاء الامراء أهل بجاية وقسنطينة وخلطهم بنفسه وبالغ في تكرمتهم ثم صرفهم الى ثغورهم الامير أبا عبد الله أولا واخوته من تلمسان وأبا زيد واخوته من فاس ليستبدوا بثغورهم ويخذلوا الناس عن السلطان أبي الحسن فوصلوا الى بلادهم وملكوها بعد أن كان الفضل ابن السلطان أبي بكر قد استولى عليهما من يد بني مرين فانتزعوها منه واستقر أبو عبد الله ببجاية حتى اذا هلك السلطان أبو الحسن بجبال المصامدة وزحف أبو عنان الى تلمسان سنة ثلاث وخمسين فهزم ملوكها من بني عبد الواد وأبادهم ونزل المرية وأطل على بجاية وبادر الامير أبو عبد الله للقائه وشكا اليه ما يلقاه من زبون الجند والعرب وقلة الجباية وخرج له عن ثغر بجاية فملكها وأنزل عماله بها ونقل الامير أبا عبد الله معه الى المغرب فلم يزل عنده في كفاية وكرامة ولما قدمت على السلطان أبي عنان سنة خمس وخمسين واستخلصني منه نبضت عروق السابق بين سلفي وسلف الامير أبي عبد الله واستدعاني لصحابته فأسرعت وكان السلطان أبو عنان شديد الغيرة من مثل ذلك ثم كثر المنافسون ورفعوا الى السلطان وقد طرقه مرض أرجف له الناس فرفعوا له أن الامير أبا عبد الله اعتزم على الفرار الى بجاية واني عاقدته على ذلك على أن يوليني حجابته فانبعث له السلطان وسطا بنا واعتقلني نحوا من سنتين الى أن هلك وجاء السلطان أبو سالم واستولى على المغرب ووليت كتابة سره ثم نهض الى تلمسان وملكها من بني عبد الواد وأخرج منها أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن ثم اعتزم على الرجوع الى فاس وولى على تلمسان أبا زيان محمد بن أبي سعيد عثمان ابن السلطان أبي تاشفين وأمده بالاموال والعساكر من أهل وطنه ليدافع أبا حمو عن تلمسان ويكون خالصة له وكان الامير أبو عبد الله صاحب بجاية كما ذكرناه والامير أبو العباس صاحب قسنطينة بعد ان كان بنو مرين حاصروا أخاه أبا زيد بقسنطينة

أعواما ثم خرج لبعض مذاهبه الى بونة وترك أخاه أبا العباس بها فخلعه واستبد بالامر وخرج الى العساكر المجمرة عليها من بني مرين فهزمهم وأثخن فيهم ونهض السلطان اليه من فاس سنة ثمان وخمسين فتبرأ منه أهل البلد وأسلموه فبعثه الى سبتة في البحر واعتقله بها حتى اذا ملك السلطان أبو سالم سبتة عند اجازته من الاندلس سنة ستين أطلقه من الاعتقال وصحبه الى دار ملكه ووعده برد بلده عليه فلما ولي أبو زيان على تلمسان أشار عليه خاصته ونصحاؤه بأن يبعث هؤلاء الموحدين الى ثغورهم فبعث أبا عبد الله الى بجاية وقد كان ملكها عمه أبو اسحق صاحب تلمسان ومكفول بن تافراكين من يد بني مرين وبعث أبا العباس الى قسنطينة وبها زعيم من زعماء بني مرين وكتب اليه السلطان أبو سالم أن يفرج له عنها فملكها لوقته وسار الامير أبو عبد الله الى بجاية فطال اجلابه عليها ومعاودته حصارها وألح أهلها في الامتناع منه مع السلطان أبي اسحق وقد كان لي المقام المحمود في بعث هؤلاء الامراء الى بلادهم وتوليت كبر ذلك مع خاصة السلطان أبي سالم وكتاب أهل مجلسه حتى تم القصد من ذلك وكتب لي الامير أبو عبد الله بخطه عهدا بولاية الحجابة متى حصل على سلطانه ومعنى الحجابة في دولنا بالمغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته لا يشاركه في ذلك أحد وكان لي أخ صغير اسمه يحيى أصغر مني فبعثه مع الامير أبي عبد الله حافظا للرسم ورجعت مع السلطان الى فاس ثم كان ما قدمته من انصرافي الى الاندلس والمقام بها الى أن تنكر الوزير ابن الخطيب وأظلم الجو بيني وبينه وبينما نحن في ذلك وصل الخبر باستيلاء الامير أبي عبد الله على بجاية من يد عمه في رمضان سنة خمس وستين وكتب لي الامير أبو عبد الله يستقدمني فاعتزمت على ذلك ونكر السلطان أبو عبد الله بن الاحمر ذلك مني لا لظنه سوى ذلك اذ لم يطلع على ما كان بيني وبين الوزير ابن الخطيب فأمضيت العزم ووقع منه الاسعاف والبر والالطاف وركبت البحر من مرسى المرية منتصف ست وستين ونزلت بجاية لخامسة من الاقلاع فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدومي وأركب للقائي وتهافت أهل البلد علي من كل أوب يمسحون أعطافي ويقبلون يدي وكان يوما مشهودا ثم وصلت الى السلطان فحيا وفدى وخلع وحمل وأصبحت من الغد وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابي واستقللت بحمل ملكه واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتدبير سلطانه وقدمني للخطابة بجامع القصبة لا انفك عن ذلك ووجدت بينه وبين ابن عمه السلطان أبي العباس صاحب قسنطينة فتنة أحدثتها المشاحة في حدود الاعمال من الرعايا والعمال وشبت نار هذه الفتنة بعرب أوطانهم من الزواودة من رياح تنفيقا لسوق الزبون يميرون به أموالهم فكانوا في أهم شقة بجمع بعضهم

لبعض فالتقوا سنة ست وستين بفرجيوة وانفض العرب عنهما وكان يعقوب بن علي
مع السلطان أبي العباس فانهزم السلطان أبو عبد الله ورجع الى بجاية مفلولا بعد ان
كنت جمعت له أموالا كثيرة أنفق جميعها في العرب ولما رجع وأعوزته النفقة
خرجت بنفسي الى قبائل البربر بالجبال الممتنعين من المغارم منذ سنين فدخلت بلادهم
واستبحت حماهم وأخذت رهنهم على الطاعة حتى استوفيت منهم الجباية وكان لنا
في ذلك مدد واعانة ثم بعث صاحب تلمسان الى السلطان يطلب منه الصهر فأسعفه
بذلك ليصل يده به على ابن عمه وزوجه ابنته ثم نهض السلطان أبو العباس سنة سبع
وستين وهو يعني أوطان بجاية وكاتب أهل البلد وكانوا وجلين من السلطان أبي عبد الله
لما كان يرهف الحد لهم ويشتد وطأته عليهم فأجابوه الى الانحراف عنه وخرج الشيخ
أبو عبد الله يروم مدافعته ونزل جبل ايزو معتصما به فبيته السلطان أبو العباس
في عساكره وجموع الاعراب من أولاد محمد من رياح بمكانه ذلك باغراء ابن صخر وقبائل
سدويكش وكبسه في مخيمه وركض هاربا فأدركه وقتله وسار الى البلد بمواعدة أهله
وجاءني الخبر بذلك وانا مقيم بقصبة السلطان بقصوره وطلب مني جماعة من أهل البلد
القيام بالامر والبيعة لبعض أبناء السلطان فتفاديت من ذلك وخرجت الى السلطان
أبي العباس فأكرمني وحباني وأمكنته من بلده وأجرى أحوالها كلها على معهودها
وكثرت السعاية عنده في والتحذير من مكاني وشعرت بذلك فطلبت الاذن في الانصراف
بعهد كان منه في ذلك فأذن لي بعدما أبى وخرجت الى العرب ونزلت على يعقوب بن علي
ثم بدا له الشأن في أمري وقبض على أخي واعتقله ببونة وكبس بيوتنا فظن بها ذخيرة
وأموالا فأخفق ظنه ثم ارتحلت من أحياء يعقوب بن علي وقصدت بسكرة لصحابة بيني
وبين شيخها أحمد بن يوسف بن مزني وبين أبيه فأكرم وبر وساهم في الحادث بماله
وجاهه والله أعلم

(مشايعة أبي حمو صاحب تلمسان)

كان السلطان أبو حمو قد انتصر ما بينه وبين السلطان أبي عبد الله صاحب بجاية بالصهر
في ابنته وكانت عنده بتلمسان فلما بلغه مقتل أبيها واستيلاء السلطان أبي العباس ابن
عمه صاحب قسنطينة على بجاية أظهر الامتعاض لذلك وكان أهل بجاية قد توجسوا
الخيفة من سلطانهم بارهاف حده وشدة بطشه وسطوته فانحرفوا عنه باطنا وكاتبوا
ابن عمه بقسنطينة كما ذكرناه ودسوا للسلطان أبي حمو بمثلها يرجون الخلاص من
صاحبهم بأحدهما فلما استولى السلطان أبو العباس وقتل ابن عمه رأوا ان جرحهم قد
اندمل وحاجتهم قد قضيت فاعصوصبوا عليه وأظهر السلطان أبو حمو الامتعاض

للواقعة يسر منها حسوا فى ارتقاء و يجعله ذريعة للاستيلاء على بجاية لما كان يرى نفسه كفأها بعدده وعديده وما سلف من قومه فى حصارها فسار من تلمسان يجرّ الشوك والمدر حتى خيم بالرشة من ساحتها ومعه أحياء زغبة بجموعهم وظعائنهم من لدن تلمسان الى بلاد حصين من بنى عامر و بنى يعقوب وسويد والديالم والعطاف وحصين وانحجر أبو العباس بالبلد فى شرذمة من الجند أعجله السلطان أبو حمو عن استكمال الحشد ودافع أهل البلد أحسن الدفاع و بعث السلطان أبو العباس عن أبى زيان بن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو من قسنطينة كان معتقلا بها وأمر مولاه وقائد عسكره بشيرا أن يخرج معه فى العساكر وساروا حتى نزلوا بنى عبد الجبار قبالة معسكر أبى حمو وكانت رجالات زغبة قد وجموا من السلطان وأبلغهم النذير أن ملك بجاية اعتقلهم بها فراسلوا أبا زيان وركبوا اليه واعتقدوا معه وخرج رجل البلد بعض الايام من أعلى الحصن ودفعوا شرذمة كانت مجمرة بازائهم فاقتلعوا أخبيتهم وأسهلوا من تلك العقبة الى بسيط الرشة وعاينهم العرب بأقصى مكانهم من العسكر فاجفلوا وتتابع الناس فى الانجفال حتى افردوا السلطان فى مخيمه فحمل رواحله وسار وغصت الطرق بزحامهم وتراكم بعضهم على بعض فهلك منهم عوالم وأخذهم سكان الجبال من البربر بالنهب من كل ناحية وقد غشيهم الليل فتركوا أزوادهم ورحالهم وخلص السلطان ومن خلص منهم بعد غصّ الريق وأصبحوا على منجاة وقذفت بهم الطرق من كل ناحية الى تلمسان وكان السلطان أبو حمو قد بلغه خبر خروجى من بجاية وما أحدثه السلطان بعدى فى أهلى ومخلفى فكتب الىّ يستقدمنى قبل هذه الواقعة وكانت الامور قد اشتبهت فتفاديت بالاعذار وأقمت باحياء يعقوب بن على ثم ارتحلت الى بسكرة فأقمت بها عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزنى فلما وصل السلطان أبو حمو الى تلمسان وقد جزع للواقعة أخذ فى استئلاف قبائل رياح ليجلب بهم مع عساكره على أوطان بجاية وخاطبنى فى ذلك لقرب عهدى باستتباعهم وملك زمامهم ورأى أن يعوّل علىّ فى ذلك واستدعانى لحجابته وعلامته وكتب بخطه مدرجة فى الكتاب نصها الحمد لله على ما أنعم والشكر لله على ما وهب ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون حفظه الله انك تصل الى مقامنا الكريم بما خصصنا كم به من الرتبة المنيعة والمنزلة المنيفة وهو قلم خلافتنا والانتظام فى سلك أوليائنا وقد أعلمنا كم بذلك وكتب بخط يده عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وخار له و بعده بخط الكاتب ما نصه بتاريخ السابع عشر من شهر رجب الفرد من عام تسع وستين وسبعمائة عرفنا الله خيره ونص الكتاب الذى هذه مدرجته وهو بخط الكاتب أكرمكم الله يا فقيه أبا زيد

و والى رعايتكم انا قد ثبت عندنا وصح لدينا ما انطويتم عليه من المحبة فى مقامنا والانقطاع الى جنابنا والتشيع قديما وحديثا لنا مع مانعلمه من محاسن اشتملت عليها أوصافكم ومعارف فقتم فيها نظراءكم ورسوخ القدم فى الفنون العلمية والآداب العرفية وكانت خطة الحجابة ببابنا العلى أسماه الله الى درجات أمثالكم وأرفع الخطط لنظرائكم قربا منا واختصاصا بمقامنا واطلاعا على خفايا أسرارنا آثرناكم بها ايثارا وقدمنا كم لها اصطفاء واختيارا فاعملوا على الوصول الى بابنا العلى أسماه الله لما لكم فيه من التنويه والقدر النبيه حاجبا العلى بابنا ومستودعا لاسرارنا وصاحبا الكريم علامتنا الى ماشاكل ذلك من الانعام العميم والخير الجسيم والاعتناء والتكريم لايشارككم مشارك فى ذلك ولا يزاحمكم أحد وان وجد من أمثالكم فأعلموه وعولوا عليه والله تعالى يتولاكم و يصل سراءكم ويوالى احتفاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتأدت الىّ هذه الكتب السلطانية على يد سفير من وزرائه جاء الى أشياخ الزواودة فى هذا الغرض فقمت له فى ذلك أحسن قيام وشايعته أحسن مشايعة وحملتهم على اجابة داعى السلطان والبدار الى خدمته وانحرف كبراؤهم عن السلطان أبى العباس الى خدمته والاعتمال فى مذاهبه واستقام غرضه من ذلك وكان أخى يحيى قد خلص من اعتقاله وقدم علىّ ببسكرة فبعثته الى السلطان أبى حمو كالنائب عنّى فى الوظيفة متفاديا عن تجشم أهوالها عما كنت نزعت عن غواية الرتب وطال على اغفال العلم فاعرضت عن الخوض فى أحوال الملوك و بعثت الهمة على المطالعة والتدريس فوصل اليه الاخ فاستكفى به ذلك ودفعه اليه ووصلنى مع هذه الكتب السلطانية كتاب رسالة من الوزير أبى عبد الله ابن الخطيب من غرناطة يتشوّق الىّ وتأدّى الى تلمسان على يد سفراء السلطان ابن الاحمر فبعث الىّ من هنالك ونصه

بنفسى ومانفسى علىّ رخيصة * فيسنزانى عنها المكاس بأثمان
حبيب نأى عنى وصمّ لأنّتى * وراش سهام البين عمدا فاصمانى
وقد كان همّ الشيب لا كان كافيا * فقد آدنى لما ترحل همان
شرعت له من دمع عينىّ موردا * فكدر شربى بالفراق وأظمانى
وأرعيته من حسن عهدى جمية * فأجدب آمالى وأوحش ازمانى
حلفت على ماعنده لى من رضا * قياسا بما عندى فأحنث أيمانى
وانى على مانالنى منه من قلا * لأشتاق من لقياه نغبة ظمآن
سألت جنونى فيه تقريب عرسه * فقست بجن الشوق جن سليمان
اذا ما دعا داع من القوم باسمه * وثبت وما استثبت شيمة هيمان

وتالله ما أصغيت فيه لعاذل * فعاصيته حتى اعترى وقطعته
ولا استشعرت نفسي برحمة عابد * تظل يوماً مثله عبد رحمن
ولا شعرت من قبله بتشوق * يظل يوماً مثله عبد رحمن

أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج وأما الصبر فسل به أية درج بعد أن تجاوز اللوا والمنعرج لكن الشدة تعشق الفرج والمؤمن ينشق من روح الله الأرج وإني بالصبر على إبر الزبر لا بل الضرب الهبر ومطاولة اليوم والشهر تحت حكم القهر ومن لي أن تساو سلو القصر عن إنسانها المبصر أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد وفي الجسد مضغة يصلح إذا صلحت فكيف حاله إن رحلت عنه أو نزحت وإذا كان الفراق هو الحمام الأول فعلام المعول أعيت مراوضة الفراق على الراق وكادت لوعة الاشتياق أن تفضي إلى السياق

تركتموني بعد تشييعكم * أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرع سني ندماً تارة * وأستميح الدمع أحيانا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخالية وجددت رسوم الأسى بمباكرة الرسوم البالية أسائل نوى النوى عن أهليه وهيام المرقد المهجور عن مصطليه وثناء الأثافي المثلثة من منازل الموحدين وأحار بين تلك الأطلال حيرة الملحدين لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين كلفت لعمر الله بسائل عن جفوني المؤرقة وناشد عن شعوب المجتمعة المتفرقة تطعن عن ملال لا متبرماً بترحال وكدر الوصل بعد صفائه وضرح النصل بعد عهد وفائه

أقل اشتياقاً أيها القلب إنما * رأيتك تصفي الود من ليس جازيا

فها أنا أبكي عليه بدم أساله وأندب في ربع الفراق أساله وأشكو إلى الله حال قلب صدعه وأودعه من الوجد ما أودعه لما خدعه ثم قلاه وودعه وأنشق رياه أنف ارتياح قد جدعه

خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

فلولا عسى الرجاء ولعله لا بل شفاعة المحل الذي حله لنشرت ألوية العتب وبثثت كتائبها كمناً في شعاب الكتب تهز من الألفات رماحاً هز الأسنة وتوتر من النونات أمثال القسي المرنة وتقود من مجموع الطرس والنقس بلقاً تردي في الأعنة ولكنه أوى إلى الحرم الأمين وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة الفوار عن الشمال واليمين حرم الخلال المرينية والظلال اليزنية والهمم السنية والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنية حيث الرفد الممنوح والطير الميامن يزجر لها السنوح

والمثوى المنعالية مهما تقارع الكرام على التحف حتى تجرى البلقاء جهد الجموح

فسبكأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

ومن حل بتلك المثابة فقد احماأنجنبه وقصد بالمنوفية (وقصد القائل)

فرحفه لقد اتدبت لوصفه * بالفضل لولاأنّ حسداده

بلدة متى أذكره هيج لوعتى * واذاقدحت الزندطار شراره

اللهم غفرا وأين قراره الفضل من مثوى الالف الجميل ومكذبة الخيل وأين ثانية هجر من منتبرى من أحد وفجر

من أنكر غيث مسودة * فى الارض سنوءة يخلفها

فبنان بنى مزن مزن * تنهل بلطف مصرفها

مزن مذ حل بيسكرة * يوما نطقت بعصفها

سكرت حتى بعبارتها * وبعناها وبأحرفها

وشكرت الدنيا متى عرفت * مزن فيها بعترفها

بل نقول لا محل للولد لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد لقد حل بينك عرى الجلد وخلد الشوق بعدك يا ابن خلدون فى الصميم من الخلد فيالله زمانا شغفت فى قربك زماناته واجتليت فى ذروة مجدك جماته ويامن لشوق لم يقض من طول خلتك لباناته وأهلا بروض أضلت شباب معارفك باته فحمائمه بعدك تندب فساعدها الجندب ونواسمه ترق فتتعاشى وعشبانه تتهافت وتتلاشى وأدواحه فى ارتباك وحمائمه فى مأتم ذى اشتباك كان لم تكن قرهالات قبابه ولم يكن أنسك شارع بابه الى صفوة الضرب ولبابه ولم يسبح انسان عينك فى ماء شبابه فلهفا عليك من درة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق غراب بينها فى ربوع الهوى ونطق بالزجر فما نطق عن الهوى وباى شئ يعتاض منك أيتها الرياض بعد أن طما نهرك الفياض وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء والحرب المهموء من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل وشاركك فى الامر الناقة والجمل واستأثر جهمه ببدر النادى لما كمل فشرع الشراع فراع وواصل الاسراع فكأنما هو تمساح

ضايق الاحباب فى البرهة واختطفهم من الشط نزهة العين وعين النزهة ولجج بها والعيون تنظر والصبر عن الاتباع يحظر فلم يقدر الا على الاسف والتماح الاثر المنتسف والرجوع على العيبة من الخيبة ووقر العبرة من الحسرة انما نشكو الى الله البث والحزن وبستمطر منه المزن وبسيف الرجاء نصول اذا

شرعت لليأس أسنة ونصول

ما أقدر الله أن يدني على شحط * من داره الحزن ممن داره صول

فان كان كلام الفراق رغيبا لما نويب مغيبا وحالت الوقت الهنى تشغيبا فلعل الملتقى يكون قريبا وحديثه يروى صحيحا غريبا ايه سيدى كيف حال تلك الشمايل المزهرة الخمايل والشيم الهامية الديم هل عريبا الهامن راعت بالبعد باله واخمدت بعاصف البين ذباله أوترى لموقد شأنها سكب لا يفتر وشوق يبت حبال المشوق ويبتر وضنى تقصر عن حلله الفائقة صنعاء وتستر والامر أعظم والله يستر وما الذى يصيرك صبر من بلفح السموم يضيرك بعد أن أضرمت وأشعلت وأوقدت وجعلت وفعلت فعلتك التى فعلت ان تترفق بذماء أوترد بنغبة ماء رماق ظماء وتعاهد المعاهد بتحية عليها شذا انفاسك أوتنظر اليسا من البعد بمقلة حوراء من بياض قرطاسك وسواد انفاسك فربما قنعت الانفس المحبة بخيال يزور وتعللت بنوال منذور ورضيت لما لم تصد العنقاء بزرزور

يا من ترحل والرياح لاجله * تشتاق ان يعبق شذا رياها

تحيا النفوس اذا بعثت تحية * واذا قرأت ترى ومن أحياها

ولئن أحييت بها فيما سلف نفوسنا تفديك والله الى الخير يهديك فنحن نقول معشر موديك ثن ولا تجعلها بيضة الديك وعذرا فانى لم أجترئ على خطابك بالفقرة الفقيرة وأدللت لدى محرابك برفع العقيرة عن نشاط بعث مرسومه ولا اغتباط بالادب الابسياسة تسوسه أوفى على الفترة ناموسه وانما هو نفاق نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وان تعلل به مخارق فثم قياس فارق والذى هيأ هذا القدر وسببه وسهل المكروه الى منه وحببه ما اقتضاه الصنو يحيى أمد الله حياته وحرس من الحوادث جهاته من خطاب ارتشف لهذه القريحة العديمة بلالتها بعد أن رنى غلالتها ورسخ الى الصهر الحضرمى سلالتها فلم يسع الا اسعافه بما أعافه فأمليت مجيبا ما لا يعد فى يوم الرهان نجيبا وأسمعته وجيبا لما ساجلت بهذه الترهات سحرا عجيبا حتى اذا ألف القلم العريان فسحه وجمح برذون الغزارة فلم أطق كبحه لم أفق من غمرة غلوه وموقف شلوه الا وقد تحيز الى فئتك معترا بل معترا واستقبلها ضاحكا مفترا وهش لها برا وان كان من الخجل مصفرا وليس بأول من هجر فى التماس الوصل ممن هجر أو بعث التمر الى هجر وأى نسب بينى اليوم وبين زخرف الكلام واجالة جياد الاقلام فى محاورة الاعلام بعد أن حال الجريض دون القريض وشغل المريض عن التعريض وغلب الشوق الكسل

ونشرت الشعرات البيض كأنها الاسل تروع برقط الحيات سرب الحياة وتطرق بذوات الغرر والشباب عند البيات والشيب الموت العاجل والمعتبر الاجل واذا اشتغل الشيخ بغير معاده حكم في الظاهر بابعاده وأسره [illegible] عاده فأغض أبقاك الله وأسمح لمن قصر عن المطمح وبالعين الكليلة فالمح واغتنم لباس ثوب الثواب واشف بعض الجوى بالجواب تولاك الله فيما استضفت وملكت ولا بعدت ولا هلكت وكان لك أية سلكت ووسمك من السعادة بأوضح السمات وأتاح لقاءك من قبل الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدي وساكن خلدي بل أخي وان اتقيت عتبه وسيدي ورحمة الله وبركاته من محبه المشتاق اليه محمد بن عبد الله ابن الخطيب في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام سبعين وسبعمائة وكان تقدم منه قبل هذه الرسالة كتاب آخر الى بعث به الى تلمسان فتأخر وصوله حتى بعث به أخي يحي عند وفادته على السلطان ونص الكتاب ياسيدي اجلالا واعتدادا وأخي ودا واعتقادا ومحل ولدي شفقة حلت مني فؤادا طال على انقطاع أنبائك واختفاء أخبارك فرجوت أن أبلغ المنية بهذا المكتوب اليك وتخترق الموانع دونك وان كنت في موالاتك كالعاطش الذي لا يروى والآكل الذي لا يشبع شأن من تجاوز الحدود الطبيعية والعوائد المألوفة فانا بعد انهاء التحية المطلولة الروض بماء الدموع وتقرير الشوق القديم اللزيم وشكوى البعاد الاليم والابتهال في اتاحة القرب قبل الفوت من الله ميسر العسير ومقرب البعيد أسأل عن احوالك سؤال أبعد الناس مجالا في مجال الخلوص لديك واستقرارك بسكرة على الغبطة بك بالليجا الى تلك الرياسة الزكية الكريمة الاب الشهيرة الفضل المعروفة القدر على البعد حرسها الله ملجأ للفضلاء ومخيما لرجال العلياء ومهبا لطيب الثناء بحوله وقوته وقاربت كل ساح السلامة فاحمدوا الله على الخلاص وقاربوا في معاملة الآمال وضنوا بتلك الذات الفاضلة عن المشاق واجلوا بها عن المتالف فطلوب الحريص على الدنيا خسيس والموانع الحافة جمة والحاصل حسرة وما قل سعى يحمد حالة العاقبة والعاقل لا يستنكحه الاستغراق فيما آخره الموت انما ينال منه الضروري ومثلك لا يعجزه مع الناس العافية اضعاف ما يرجى به العمر من المأكل والمشرب وحسبنا الله وان تشوفت لحال المحب تلك السيادة للبرة والبنوة البرة فالحال حال من جعل الزمام بيد القدر والسير في مهيع الغفلة والسبح في تيار الشواغل ومن وراء الامور غيب محجوب وأجل مكتوب يؤمل فيه عادة الستر من الله الا أن الضجر الذي تعلمونه حفظه الناس لما عجزت الحيلة وأعوز الناصر وسدت المذاهب والشأن اليوم شأن الناس فيما

. ربه من الاعتدال وفيما يرجع الى السلطان تولاه الله على اضعاف ما باشر سيدى
من الاغياء فى البر، ووصل بسبب الالتحام والاشتمال مع الاقبال وما يسعه متعود
الظهور والحمد لله وفيما يرجع الى الاحباب والاولاد فعلى ما علمت الآن الشوق
يغامر القلوب وتصور اللقاء مما يزهد فى الوطن وحاضر النعم سنى الله ذلك على أفضل
حال ويسره قبل الارتحال من دار المحال وفيما يرجع الى الوطن فأحوال النائم خصبا
وهدنة وظهورا على العدو وحسبك بافتتاح حصن آش وبرغة القاطعة بين بلاد
الاسلام ووبرة والعارين وبيعة وحصن السهلة فى عام ثم دخول بلد اطريرة بنت
اشبيلية عنوة والاستيلاء على ما ينا هز خمسة آلاف من السبى من فتح دار الملك وبلدة
قرطبة ومدينة جيان عنوة فى اليوم الاغر المحجل وقتل المقاتلة وسبى الذرية وتعفية
الآثار حتى لا يلم بها العمران ثم افتتاح مدينة رندة التى تلف جيان فى ملاءة تهادار التجر
والرفاهية والبنات الحافلة والنعم الثرة نسأل الله جل وعلا أن يصل عوائد نصره ولا
يقطع عناسيب رحمته وأن ينفع بما أعان عليه من السعى فى ذلك والاعانة عليه ولم يتزيد
من الحوادث الا ما علمتم من أخذ الله لقسيب السوء وخبث الارض المسلوب من أثر
الخير عمر بن عبد الله وتحكم شر الميتة فى نفسه واتيان النكال على حاشيته والاستئصال
على نفيسه والاضطراب مستول على الوطن بعده الا أن القرب على علاته لا يرجحه غيره
والاندلس اليوم شيخ غزاتها عبد الرحمن بن على بن السلطان أبى على بعد وفاة الشيخ أبى
الحسن على بن بدر الدين رحمه الله وقد استقر بها بعد انصراف سيدى الامير المذكور
والوزير مسعود بن رحو وعمر بن عثمان بن سليمان والسلطان ملك النصارى بطرة قد
عاد الى ملكه باشبيلية وأخوه مجلب عليه بقشتالة وقرطبة مخالفة عليه قائمة بطائفة
من كبار النصارى الخائفين على أنفسهم داعين لاخيه والمسلمون قد اغتنموا هبوب هذه
الريح وخرق الله لهم عوائد فى باب الظهور والخير لم تكن تخطر فى الآمال وقد تلقب
السلطان أيده الله بعقب هذه المكنفات بالغنى بالله وصدرت عنه مخاطبات بجمل
الفتوح ومفصلها يعظم الحرص على ايصالها الى تلك الفضائل لو أمكن وأما ما يرجع
الى ما يتشوف اليه ذلك الكمال من شغل الوقت فصدرت تقاييد وتفاصيل يقال فيها بعد
ما اعملت تلك السيادة بالانصراف يا ابراهيم ولا ابراهيم اليوم منها أن كتابا رفع الى
السلطان فى المحبة من تصنيف ابن أبى حجلة من المشارقة فعارضته وجعلت الموضوع
أشرف وهو محبة الله فجاء كتابا ادعى الاصحاب غرابته وقد وجه الى الشرق وصحبته
كتاب غرناطة وغيره من تأليفى وتعرف تحبيسه بخانقاه سعيد السعداء من مصر واثنال
الناس عليه وهو فى لطافة الاعراض متكلف اغراض المشارقة من ملمه

ملكت لمصر في الهوى من بلد * يهديه هواؤها الى استنشاقه
من يشكر دعوني فقل عني له * تكتني امرأة العزيز من عشاقه

والله يرزق الاعانة في انتساخه وتوجيهه وصدر عني جزء سميته الغيرة على أهل الحيرة وجزء سميته حمد الجمهور على السنن المشهور والاكباب على اختصار كتاب الجوهري وردعه الى مقدار الخمس مع حفظ ترتيبه المهمل والله المعين على مشغلة تقطع بها هذه البرهة القريبة البداءة من التتمة ولا حول ولا قوة الا بالله والمطلوب المثابرة على تعريف يصل من تلك السيادة والبنوة اذ لا يتعذر وجود قافل من حج أو لاحق بتلمسان يبعثها السيد الشريف منها فالنفس شديدة التعطش والقلوب قد بلغت من الشوق والاستطلاع الحناجر والله أسأل أن يصون في البعد وديعتي منك لديه ويلبسك العافية ويخلصك واياي من الورطة ويحملنا أجمعين على الجادة ويختم لنا بالسعادة والسلام الكريم عودا على بدء ورحمة الله وبركاته من المحب المشوق الذاكر الداعي ابن الخطيب في الثاني من جمادى الاولى من عام تسعة وستين وسبعمائة انتهى (فأجبته) ونص الجواب سيدي مجدا وعلوا واحدي ذخرا مرجوا ومحل والدي برا وحنوا مازال الشوق مذ نأت بي وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي أنباءك ويخيل الي من أيدي الرياح تناول رسائلك حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع وعهد غير مضاع وودّ ذي أجناس وأنواع فنشر بقلبي ميت السلو وحشر أنواع المسرات وقدح للقائك زناد الامل والله أسأل الاستمتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك ويسنى أماني وأمانيك وحييته تحية الهائم لموقع الغمائم والمدلج للصباح المتبلج وأملى على معترج الاولياء خصوصا فيك من اطمئنان الحال وحسن القرار وذهاب الهواجس وسكون النفرة وعموما في الدولة من رسوخ القدم وهبوب ريح النصر والظهور على عدو الله باسترجاع الحصون التي استنقذوها في اعتلال الدولة وتخريب المعاقل التي هي قواعد النصرانية غريبة لا تثبت الا في الحلم وآية من آيات الله وان خبأة هذا الفتح في طي العصور السالفة الى هذه المدة الكريمة لدليل على عناية الله بتلك الذات الشريفة حيث أظهر على يدها خوارق العادة وما تجدد آخر الايام من معجزات الملة وكمل فيها والحمد لله تحسين التدبير ويمن النقيبة من حميد الاثر وخالد الذكر طراز في حلة الخلافة النصرية وتاج في مفرق الوزارة كتبه الله لك فيما يرضاه الله من عباده ووقفت عليه الاشراف من أهل هذا المصر المحروس وأذعته في الملا سرورا بعز الاسلام واظهارا للنعمة واستطرادا لذكر الدولة المولوية بما تستحقه من طيب الثناء والتماس الدعاء والتحديث بنعمتها والاشادة بفضلها على الدول السالفة

والخالفة وتقدمها فانشرحت الصدور رحبا وامتلأت القلوب اجلالا وتعظيما وحسنت الآثار اعتقادا ودعاء وكان كتاب سيدى لشرف تلك الدولة عنوانا ولما عساه يستعجم من نعتى فى مناقبها ترجمانا زاده الله من فضله وأمتع المسلمين بسكون الغريب من الشوق المزعج والحيرة التى تكاد تذهب بالنفس أسفا لتجافى عزمها عن الامن والتقويض عن دار العزيز المولى المنعم والسيد الكريم والبلد الطيب والاخوان البررة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان تشوفت السيادة الكريمة الى الحال فعلى ما علمتم سير امع الامل ومغالبة للايام على الحظ واقطاعا للغفلة جانب العمر

هل نافعى والجد فى صبب * مدى مع الآمال فى صعد

رجع الله بنا اليه ولعل فى عظمتكم النافعة شفاء من هذا الداء العياء ان شاء الله وان لطف الله مصاحب من هذه الرياسة المزنية وحسبك بها عليه عصمة وافية صرفت وجه القصد الى ذخيرتى التى كنت أعتدها منهم كما علمتم حين تفاقم الخطب وتلون الدهر والافلات من مظان النكبة وقد رنقت حولها بعد ما جرته الحادثة بهلك السلطان المرحوم على يد ابن عمه قريعه فى الملك وقسيمه فى النسب والتياث الجاه وتغير السلطان واعتقال الاخ المخالف واليأس منه لولا تكييف الله فى نجاته والعيث بعده فى المنزل والولد واغتصاب الضياع المقتناة من بقايا ما متعت به الدولة النصرية أبقاها الله من النعمة فآوى الى الوكر وساهم فى الحادث وأشرك فى الجاه والمال وأعان على نوائب الدهر وطلب الوتر حين رأى الدهر قلانى وأمل الملوك استخلاصى وتجاوزوا فى اتحافى والله المخلص من عقال الآمال والمرشد الى نبذ هذه الحظوظ المورطة وأنبأنى سيدى بما صدر عنه من التصانيف الغريبة فى هذه الفتوحات الجليلة وبودى لو وقع الاتحاف بها أو ببعضها فلقد عاودنى الندم على ما فرطت وأما أخبار هذا القطر فلا زيادة على ما علمتم من استقرار السلطان أبى اسحق ابن السلطان أبى يحيى بتونس مستبدا بأمره بالحضرة بعد مهلك شيخ الموحدين أبى محمد بن تافراكين القائم بأمره رحمة الله عليه مضايقا فى جبايته الوطن وأحكامه بالعرب المستظهرين بدعوته مصانعا لهم بوفرة على أمان الرعايا والسابلة لو أمكن حسن السياسة جهد الوقت ومن انتظام بجاية محل دولتنا فى أمر صاحب قسنطينة وبونة خلافا كما علمتم محملا الدولة بصرامته وقوة شكيمته فوق طوقها من الاستبداد والضرب على أيدى المستقلين من الاعراب منتقض الطاعة أكثر أوقاته لذلك الاما شمل البلاد من تغلب الغرة ونقص الارض من الاطراف والوسط وخمود ذبال الدول فى كل جهة وكل بداية الى تمام وأما أخبار المغرب

الاقصى والادنى فلديكم طلعه   وأمّا المشرق فأخبر الحاج هذه السنة من اختلاله
وانتقاض سلطانه وانتزاء الجفاة على كرسيه وفساد المصانع والسقايات المعدّة لوفد الله
وحاج بيته ما يسخن العين ويطيل البث حتى زعموا أنّ الهيعة اتصلت بالقاهرة أياما
وكثر الهرج فى أزقتها وأسواقها لما وقع بين سندمر المتغلب بعد يلبغا الخاصكى وبين
سلطانه ظاهر القلعة من الجولة التى كانت دائرتها عليه أجلت عن زهاء الخمسمائة قتلى
من حاشيته وموالى يلبغا وتقبض على الباقين فأودع منهم السجون وطلب الكثير وقتل
سندمر فى محبسه وألقى زمام الدولة بيد كبير من موالى السلطان فقام بها مستبدا
وقادها مستقلا وبيد الله تصاريف الامور ومظاهر الغيوب جلّ وعلا   ورغبتى من
سيدى أبقاه الله أن لا يغب خطابه عنى متى أمكن أن يصل منه الجهة وأن يقبل عنى
أقدام تلك الذات المولوية ويعرفه بما عندى من التشيع لسلطانه   والشكر لنعمته
وأن ينوب عنى لحاشيته وأهل اختصاصه التحية المختلسة من أنفاس الرياض كبيرهم
وصغيرهم وقد تأدّى منى الى حضرته الكريمة خطاب على يد الحاج نافع سلمه الله تناوله
من الاخ يحيى عند لقائه اياه بتلمسان بحضرة السلطان أبى حمو أيده الله   فربما يصل
وسيدى يوضح من ثنائى ودعائى ما عجز عنه الكتاب والله يبقيكم ذخرا للمسلمين وملاذا
للآملين بفضله والسلام الكريم عليكم   وعلى من لاذ بكم من السادة الاولاد
المناجيب والاهل والحاشية والاصحاب من المحب فيكم المعتد بكم شيعة فضلكم ابن
خلدون ورحمة الله وبركاته عنوانه سيدى وعمادى ورب الصنائع والايادى
والفضائل الكريمة الخواتم والمبادى   امام الائمة علم الائمة تاج الملة فخر العلماء
عماد الاسلام   مصطفى الملوك الكرام كافل الامامة تاج الدول أثير الله   ولى أمير
المؤمنين الغنىّ بالله أيده الله   الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب أبقاه الله   وتولى عن
المسلمين جزاه (وكتب) الىّ من غرناطة يا سيدى ووليى وأخى ومحل ولدى كان الله لكم
حيث كنتم ولا أعدمكم لطفه وعنايته لو كان مستقركم بحيث يتأتى اليه ترديد رسول
وانفاذ متطوع أو توجيه نائب لرجحت على نفسى باللائمة فى اغفال حقكم ولكن العذر
ما علمتم واحمدوا الله على الاستقرار فى كنف ذلك الفاضل الذى وسعكم كنفه وشملكم
فضله   شكر الله حسبه الذى لم يخلف وشهده التى لم تكذب وانى اغتنمت سفر هذا الشيخ
وافد الحرمين بجموع الفتوح فى ايصال كتابى هذا ويودّى لو وقفتم على ما لديه من
البضاعة التى أنتم رأسها وصدرها فيكون لكم فى ذلك بعض أنس وربما أدّى ذلك
فى بعضه مما لم يختم عليه وظواهر الامور تجل عليه فى تعريفكم بها   وأما البواطن فما
لا تتأتى كثرة وجماعة   أحصى ما أظن تشوفكم اليه حالى فاعلموا انى قد بلغ بى

الملل الربى واستولى على سوء المزاج المنحرف وتوالت الامراض وأعوز الشفاء لبقاء السبب والعجز عن دفعه وهى هذه المداخلة جعل الله عاقبتها الى خير ولم أترك وجها من وجوه الحيلة الا بذلته فما أغنى عنى شيأ ولولا أنى بعد كم شغلت الفكر بهذا التأليف مع الزهد وبعد العهد وعدم الالماع بمطالعة الكتب لم تمش من طريق فساد الفكر الى هذا الحد وآخر ما صدر عنى كتاش سميته باستنزال اللطف الموجود فى أسر الوجود أمليته فى هذه الايام التى أقيم فيها رسم النيابة عن السلطان فى سفره الى الجهاد بودّى لو وقفتم عليه وعلى كتابى فى المحبة وعسى الله أن ييسر ذلك ومع هذا كله والله ما قصرت فى الحرص على ايصال مكتوب اليكم اما من جهة أخيكم أو من جهة السيد الشريف أبى عبد الله حتى من المغرب اذا سمعت الركب متوجها منه فلا أدرى هل بلغكم شئ من ذلك أم لا والاحوال كلها على ما تركتموها عليه وأحبابكم بخير على ما علمتم من الشوق والتشوّف والارتماض على مفارقتكم ولا حول ولا قوة الا بالله والله يحفظكم ويتولى أموركم والسلام عليكم ورحمة الله من المحب الواحش ابن الخطيب فى ربيع الثانى من عام احدى وسبعين وسبعمائة وباطنه مدرجة نصها سيدى رضى الله عنكم استقر بتلمسان فى سبيل تقلب ومسارعة مزاج تعرفونه صاحبنا المقدم فى الطب أبو عبد الله الشقورى فاذا اتصل بكم فأعينوه على ما يقف عليه اختياره وهذا لا يحتاج معه الى مثلكم عنوانه سيدى ومحل أخى الفقيه الجليل الصدر الكبير المعظم الرئيس الحاجب العالم الفاضل الوزير ابن خلدون وصل الله سعده وحرس مجده بمنه وانما طولت بذكر هذه المخاطبات وان كانت فيما يظهر خارجة عن غرض الكتاب لان فيها كثيرا من أخبارى وشرح حالى فيستوفى ذلك منها ما يتشوّف اليه من المطالعين للكتاب ثم ان السلطان أبا حمو لم يزل معتملا فى الاجلاب على بجاية واستئلاف قبائل رياح لذلك ومعولا على مشايعتى فيه ووصل يده مع ذلك بالسلطان أبى اسحق ابن السلطان أبى بكر صاحب تونس من بنى أبى حفص لما كان بينه وبين أخيه صاحب بجاية وقسنطينة من العداوة التى تقتضيها مقاسمة النسب والملك فكان يوفد رسله عليه فى كل وقت ويمرّون بى وأنا ببسكرة فأكد الوصلة بمخاطبة كل منهما وكان أبو زيان ابن عم السلطان أبى حمو بعد اجفاله عن بجاية واختلال معسكره قد سار فى أثره الى تلمسان وأجلب على نواحيها فلم يظفر بشئ وعاد الى حصين فأقام بينهم واشتملوا عليه ونجم النفاق فى سائر أعمال المغرب الاوسط ولم يزل يستألفهم حتى اجتمع له الكثير منهم فخرج فى عساكره منتصف تسع وستين الى حصين وأبى زيان واعتصموا بجبل تيطرى وبعث الىّ فى استنفار الزواودة لاخذ بحجزتهم من جهة الصحراء وكتب يستدعى

أشياخهم يعقوب بن علي كبير أولاد محمد وعثمان بن يوسف كبير أولاد سباع بن يحيى وكتب الى ابن مزني قصيدة وطلبهم بامدادهم في ذلك فأمدّهم وسرنا مغربين اليه حتى نزلنا القطفا بتل تيطري وقد أحاط السلطان به من جهة التل على أنه اذا فرغ من شأنهم سار معنا الى بجاية وبلغ الخبر الى صاحب بجاية أبي العباس فعسكر بمن استألف من بقايا قبائل رياح وعسكر بطرف ثنية القطفا المفضية الى المسيلة وبينما نحن على ذلك اجتمع المخالفون من زغبة وهم خالد بن عامر كبير بني عامر وأولاد عريف كبراء سويد ونهضوا الينا بمكاننا من القطفا فأجفلت أحياء الزواودة وتأخرنا الى المسيلة ثم الى الزاب وسارت زغبة الى تيطري واجتمعوا مع أبي زيان وحصين وهجموا على معسكر أبي حمو ففلوه ورجع منهزما الى تلمسان ولم يزل من بعد على استئلاف زغبة ورياح يؤمّل الظفر بوطنه وابن عمه والكرّة على بجاية عاما فعاما وأنا على حالي في مشايعته وايلاف ما بينه وبين الزواودة والسلطان أبي اسحق صاحب تونس وابنه خالد من بعده ثم دخلت زغبة في طاعته واجتمعوا على خدمته ونهض من تلمسان لشفاء نفسه من حصين وبجاية وذلك في أخريات احدى وسبعين فوفدت عليه بطائفة من الزواودة أولاد عثمان بن يوسف بن سليمان لنشارف أحواله ونطالعه بما يرسم له في خدمته فلقيناه بالبطحاء وضرب لنا موعدا بالجزائر انصرف به العرب الى أهليهم وتخلفت بعدهم لقضاء بعض الاغراض واللحاق بهم وصليت به عيد الفطر على البطحاء وخطبت به وأنشدته عند انصرافه من المصلى تهنئة بالعيد وغرضه

هذي الديار فحيهن صباحا * وقف المطايا بينهن طلاحا
لا تسأل الاطلال ان لم تروها * عبرات عينك واكفا ممتاحا
فلقد أخذن على جفونك موثقا * أن لا يرين مع البعاد شحاحا
ايه على الحي الجميع وربما * طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا
ومنازل للظاعنين استعجمت * حزنا وكانت بالسرور فصاحا

وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها الا هذا وبينما نحن في ذلك اذ بلغ الخبر بأن السلطان عبد العزيز صاحب المغرب الاقصى من بني مرين قد استولى على جبل عامر بن محمد الهنتاني بمراكش وكان أخذ بمخنقه منذ حول وساقه الى فاس فقتله بالعذاب وأنه عازم على النهوض الى تلمسان لما سلف من السلطان أبي حمو أثناء حصار السلطان عبد العزيز لعامر في جبله من الاجلاب على ثغور المغرب ولحين وصول هذا الخبر أضرب السلطان أبو حمو على ذلك الذي كان فيه وكرّ راجعا الى تلمسان وأخذ في أسباب الخروج الى الصحراء مع شيعة بني عامر من أحياء زغبة فاستألف وجمع وسدّد الرجال

وقضى عيد الاضحى وطلبت منه الاذن فى الانصراف الى الاندلس لتعذر الوجهة الى بلاد رياح وقد أظلم الجو بالفتنة وانقطعت السبل فأذن لى وحملنى رسالة الى السلطان ابن الاحمر وانصرفت الى المرسى بهنين وجاءه الخبر بنزول صاحب المغرب تازا فى عساكره فأجفل بعد ى من تلمسان ذاهبا الى الصحراء على طريق البطحاء وتعذر على ركوب البحر من هنين فأقصرت وتأدى الخبر الى السلطان عبد العزيز بأنى مقيم بهنين وأن معى وديعة احملها الى صاحب الاندلس تخيل ذلك بعض الغواة وكتب به الى السلطان عبد العزيز فأنفذ من وقته سرية من تازا وتعرضنى لاسترجاع تلك الوديعة واستمروا الى تلمسان ووافتنى السرية بهنين وكشفوا الخبر فلم يقفوا على صحته وحملونى الى السلطان فلقيته قريبا من تلمسان واستكشفنى عن ذلك الخبر فأعلمته بنفيه وعنفنى على مفارقة دارهم فاعتذرت له لما كان من عمر بن عبد الله المستبد عليهم وشهد لى كبير مجلسه وولى أبيه وابن وليه ونرمار بن عريف ووزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة واحتفت الالطاف وسألنى فى ذلك المجلس عن أمر بجاية وأفهمنى أنه يروم تملكها فهونت عليه السبيل فى ذلك فسر به وأقمت تلك الليلة فى الاعتقال ثم أطلقنى من الغد فعمدت الى رباط الشيخ الولى أبى مدين ونزلت بجواره مؤثرا التخلى والانقطاع للعلم لو تركت له

(مشايعة السلطان عبد العزيز صاحب المغرب على بنى عبد الواد)

ولما دخل السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستولى عليها وبلغ خبره الى أبى حمو وهو بالبطحاء فأجفل من هنالك وخرج فى قومه وشيعته من بنى عامر ذاهبا الى بلاد رياح فسرح السلطان وزيره أبا بكر بن غازى فى العساكر لاتباعه وجمع عليه أحياء زغبة والمعقل باستئلاف وليه ونرمار وتدبيره ثم أعمل السلطان نظره ورأى أن يقدمنى أمامه الى بلاد رياح لاوطئ أمره وأحملهم على مناصرته وشفاء نفسه من عدوه بما كان السلطان أيس من استتباع رياح وتصريفهم فيما يريده من مذاهب الطاعة فاستدعانى من خلوتى بالعبادة عند رباط الولى أبى مدين وأنا قد أخذت فى تدريس العلم واعتزمت على الانقطاع فآنسنى وقربنى ودعانى لما ذهب اليه من ذلك فلم يسعنى الا اجابته وخلع على وحملنى وكتب الى شيوخ الزواودة بامتثال أمرى وما ألقيه اليهم من أوامره وكتب الى يعقوب بن على وابن مزنى بمساعدتى على ذلك وأن يحاولوا على استخلاص أبى حمو من بين أحياء بنى عامر ويحولوه الى حى يعقوب بن على فودعته وانصرفت فى عاشوراء سنة ثنتين وسبعين فلحقت الوزير فى عساكره وأحياء العرب من المعقل وزغبة على البطحاء ولقيته ودفعت اليه كتاب السلطان وتقدمت أمامه وشيعنى ونرمار

يومئذ وأوصانى بأخيه محمد وقد كان أبو حمو قبض عليه عندما أحس منهم بالخلاف وأنهم يرومون الرحلة الى المغرب وأخرجه معه من تلمسان مقيدا واحتمله فى معسكره فأكد على وترمار فى المحاولة على استخلاصه بما أمكن وبعث معى ابن أخيه عيسى فى جماعة من سويد يبدرونى وتقدم الى أحياء حصين وأخبرهم فرج بن عيسى بوصية عمه وترمار اليهم فنبذوا الى أبى زيان عهده وبعثوا معه من أوصله الى بلاد رياح ونزل على أولاد يحيى بن على بن سباع وتوغلوا به فى القفر واستمريت ذاهبا الى بلاد رياح فلما انتهيت الى المسيلة ألفيت السلطان أبا حمو وأحياء رياح معسكرين قريبا منها فى وطن أولاد سباع بن يحيى من الزواودة وقد تسايلوا اليه وبذل فيهم العطاء ليجتمعوا اليه فلما سمعوا بمكانى من المسيلة جاؤا الى فحملتهم على طاعة السلطان عبد العزيز وأوفدت أعيانهم وأشياخهم على الوزير أبى بكر بن غازى فلقوه ببلاد الديالم عند نهر واصل فأتوه طاعتهم ودعوه الى دخول بلادهم فى اتباع عدوه ونهض معهم وتقدمت أنا من المسيلة الى بسكرة فلقيت بها يعقوب بن على واتفق هو وابن مزنى على طاعة السلطان وبعث ابنه محمدا للقاء أبى حمو وأمر بنى عامر خالد بن عامر يدعوهم الى نزول وطنه والبعد به عن بلاد السلطان عبد العزيز فوجده متدليا من المسيلة الى الصحراء ولقيه على الدوسن وبات ليلته يعرض عليهم التحول من وطن أولاد بنى سباع الى وطنهم بشرقى الزاب وأصبح يومه كذلك فاراعهم آخر النهار الا انتشار العجاج خارجا اليهم من أفواه الثنية فركبوا يستشرفون واذا بهم وادى الخيل طالعة من الثنية وعساكر بنى مرين والمعقل وزغبة منثالة أمام الوزير أبى بكر بن غازى قد دل بهم الطريق وفد أولاد سباع الذين بعثهم من المسيلة فلما أشرفوا على المخيم أغاروا عليه مع غروب الشمس فأجفل بنو عامر وانتهب مخيم السلطان أبى حمو ورحاله وأمواله ونجا بنفسه تحت الليل وتمزق شمل ولده وحرمه حتى خلصوا اليه بعد أيام واجتمعوا بقصور مصاف من بلاد الصحراء وامتلأت أيدى العساكر والعرب من نهابهم وانطلق محمد بن عريف فى تلك الهيعة أطلقه الموكلون به وجاء الى الوزير وأخيه وترمار وتلقوه بما يجب له وأقام الوزير أبو بكر بن غازى بالدوسن أياما أراح فيها وبعث اليه ابن مزنى بطاعته وأرغدله من الزاد والعلوفة وارتحل راجعا الى المغرب وتخلفت بعده أياما عند أهلى ببسكرة ثم ارتحلت الى السلطان فى وفد عظيم من الزواودة يقدمهم أبو دينار أخو يعقوب بن على وجماعة من أعيانهم فسابقنا الوزير الى تلمسان وقدمنا على السلطان فوسعنا من حبائه وتكرمته ونزله ما بعد العهد بمثله ثم جاء من بعدنا الوزير أبو بكر بن غازى على الصحراء بعد أن مر بقصور بنى عامر هنالك فخربها وكان يوم قدومه

على السلطان يوما مشهودا واذن بعدها لوفود الزواودة فى الانصراف الى بلادهم وقد
كان ينتظر بهم قدوم الوزير ووليه ونزمار بن عريف فوفدوا وبالغ فى الاحسان
وانصرفوا الى بلادهم ثم أعمل نظره فى اخراج أبى زيان من بين أحياء الزواودة لما
خشى من رجوعه الى حصين فأمرنى فى ذلك وأطلقنى اليهم فى محاولة انصرافه عنهم
فانطلقت لذلك وكان أحياء حصين قد توجسوا الخيفة من السلطان وتنكروا له
وانصرفوا الى أهليهم بعد صدرهم من غزاتهم مع الوزير وبادروا باستدعاء أبى زيان
من مكانه عند أولاد يحيى بن على وأنزلوه بينهم واشتملوا عليه وعادوا الى الخلاف الذى
كانوا عليه أيام أبى حمو واشتعل المغرب الاوسط نارا ونجم صبى من بيت الملك فى مغراوة
وهو حمزة بن على بن راشد فر من معسكر الوزير ابن غازى أيام مقامه عليها فاستولى على
شلف وبلاد قومه وبعث السلطان وزيره عمر بن مسعود فى العساكر لمنازلته وأعيا
داؤه وانقطعت أنا ببسكرة وحال ذلك ما بينى وبين السلطان الا بالكتاب والرسالة
وبلغنى فى تلك الايام وأنا ببسكرة مفر الوزير ابن الخطيب من الاندلس حين توجس
الخيفة من سلطانه بما كان له من الاستبداد عليه وكثرة السعاية من البطانة فيه فأعمل
الرحلة الى الثغور الغربية لمطالعتها باذن سلطانه فلما حاذى جبل الفتح قبل الفرضة
دخل الى الجبل وبيده عهد السلطان عبد العزيز الى القائد بقبوله وأجازه البحر من
حينه الى سبتة وسار الى السلطان بتلمسان وقدم عليه بها فى يوم مشهود وتلقاه السلطان
من الحظوة والتقريب وادرار النعم بما لا يعهد مثله وكتب الى من تلمسان يعرفنى بخبره
ويلم ببعض العتاب على ما بلغه من حديثى الاول بالاندلس ولم يحضرنى الآن كتابه
فكان جوابى عنه ما نصه الحمد لله ولا قوة الا بالله ولا راد لما قضى الله ياسيدى ونعم
الذخر الابدى والعروة الوثقى التى أعلقتها يدى أسلم عليك سلام القدوم على المخدوم
والخضوع للملك المتبوع لا بل أحييكم تحية المشوق للمعشوق والمدلج للصباح
المتبلج وأقرر ما أنتم أعلم بصحيح عقدى فيه من حبى لكم ومعرفتى بمقداركم وذهابى
الى أبعد الغايات فى تعظيمكم والثناء عليكم والاشادة فى الآفاق بمناقبكم ديدنا
معروفا وسجية راسخة يعلم الله وكفى بالله شهيدا وهذا كافى علمكم أسنى ما اختلف أولا
ولا آخرا ولا شاهدا ولا غائبا وأنتم أعلم بما تعنى نفسى وأكبر شهادة فى خفايا ضميرى
ولو كنت ذلك فقد سلف من حقوقكم وجميل أخذكم واجتلاب الحظ لو هيأه القدر
لمساعيكم وايثارى بالمكان من سلطانكم ودولتكم ما يستلين معاطف القلوب ويستل
سخائم الهواجس فأنا أحاشيكم من استشعار نبوة أو اخفار وطن ولو تعلق معلق
ساق حر زرزور فحاش لله أن يقدح فى الخلوص لكم أو يرجح سوابكم انما هى خبيئة

الفؤاد الى الحشر واللقاء والله وجميع ما يقسم به ما اطلع على مستكنه من غير صديق
وصديقكم الملابس كان لى ولكم الحكيم الفاضل أبى عبد الله الشقورى أعزه الله
نفثة مصدور ومباثة خلوص اذ أنا أعلم الناس بمكانه منكم وقد علم ما كان منى حين
مفارقة تلمسان واضمحلال أمره من اجماع الامر على الرحلة اليكم والخفوق الى
حاضرة البحر للاجازة الى عدوتكم تعرضت فيهم للتهم ووقفت بمجال الظنون حتى
تورطت فى الهلكة ولولا حسن رأيه فى وثبات بصيرته لكنت فى الهالكين الاولين كل
ذلك شوقا الى لقائكم وتمثلا لانسكم فلا تظنوا بى الظنون ولا تصدقوا التوهمات
فانا من قد علمتم صداقة وسذاجة وخلوصا واتفاق ظاهر وباطن أثبت الناس عهدا
وأحفظهم غيبا وأعرفهم بوزان الاخوان ومزايا الفضلاء ولامر ما تأخر كتابى من
تلمسان فانى كنت استشعر ممن استضافنى ريبا بخطاب سواه خصوصا جهتكم لقديم ما بين
الدولتين من الاتحاد والمظاهرة واتصال اليد مع ان الرسول تردد الى وأعلمنى اهتمامكم
واهتمام السلطان تولاه الله باستكشاف ما أبهم من حالى فلم أترك شيأ مما أعلم تشوقكم
اليه الا وكشفت له قناعه وآمنته على ابلاغه ولم أزل بعد ايناس المولى الخليفة لدمائى
وجذبه بضبعى ساجحا فى تيار الشواغل كما علمت القاطعة حتى عن الفكر وسقطت الى
محل مجد خدمتى من هذه القاصية أخبار خلوصكم الى المغرب قبل فصول راحلتى الى
الحضرة غير خلية ولا ملتئمة ولم يتعين ملقى العصا ولا مستقر النوى فأرجأت الخطاب الى
استجلائها وأفدت من كتابكم العزيز الجارى على سنن الفضل ومذاهب المجد ما كيفه
القدر من بديع الحال لديكم وعجيب تأتى أملكم الشارد فيه كما كنا نستبعده عند
المفاوضة فحمدت الله لكم على الخلاص من ورطة الدول على أحسن الوجوه وأجمل
المخارج الحميدة العواقب فى الدنيا والدين العائدة بحسن المآل فى المخلف من أهل
وولد ومتاع وأثر بعد أن رضتم جموح الايام وتوقلتم قلل العز وقدتم الدنيا بحذافيرها
وأخذتم بآفاق السماء على أهلها وهنيأ فقد نالت نفسكم التواقة أبعد أمانيها ثم
تاقت الى ما عند الله وأشهد لما ألهمتم للاعراض عن الدنيا ونزع اليد من حطامها عند
الاصحاب والاقبال ونهى الآمال الا جذبا وعناية من الله وحبا واذا أراد الله أمرا
يسر أسبابه واتصل بى ما كان من تحفى السيادة المولوية بكم واهتزاز الدولة لقدومكم
وشمل هذه الخلافة أيدها الله من ينابر على المفاخر ويثأر بالاخبار وليت ذلك عند
اقبالكم على الحظ وأنسكم باجتلاء الآمال حتى يحسن المتاع ويتجمل السرير
الملوكى بمكانكم فالظن ان هذا الباعث الذى هزم الآمال ونبذ الحظوظ
المفارق العزيز سوممكم الله حتى يأخذ بيدكم الى فضاء المجاهدة ويستوى بكم على جدد

الرياضة والله يهدي للتي هي أقوم وكانى بالاقدام نقلت والبصائر بالهام الحق صقلت
والمقامات خلفت بعد ان استقبلت والعرفان شيمة أنواره وبوارقه والوصول
انكشفت حقائقه لما ارتفعت عوائقه وأما حالى والظن بكم الاهتمام بها والبحث عنها
فغير خفية بالباب المولوى أعلاه الله ومظهرها فى طاعته ومصدرها عن أمره
وتصاريفها فى خدمته وازعم أنى فى المقام المحمود فى التشيع والانحياش واستمالة
الكافة الى المناصحة ومخالصة القلوب للولاية وما تشوفه مجدكم ويتطلع اليه فضلكم
وأما اهتمامكم فى خاصتها من النفس والولد فهينة خبره مؤدى كاتبى اليكم ناشئ تأدبى
وثمرة تربيتى فسهلوا له الاذن وألينوا له جانب النجوى حتى يؤدى ما عندكم وما عندى
وخذوه بأعقاب الاحاديث ان يقف عند مباديها وائتمنوه على ما تحدثون فليس بضنين
على السر وتشوقى بما يرجع به اليكم سيدى وصديقى وصديقكم المقرب فى الجد والفضل
المساهم فى الشدائد كبير المغرب وظهير الدولة أبو يحيى بن أبى مدين كان الله له فى شأن
الولد والمخلف تشوق الصديق لكم الضنين على الايام بقلامة الظفر من ذات يديكم
فأطلعوه طلع ذلك ولا يهمكم بالفراق الواقع حس فالسلطان كبير والاثر جميل والعدو
الساعى قليل حقير والنية صالحة والعمل خالص ومن كان لله كان الله له واستطلاع
الرياسة المرتبة الكافلة كافأ الله يده البيضاء عنى وعنكم من أحوالكم
استطلاع من يسترجح وزانكم ويشكر الزمان على ولايته بمثلكم وقد قررت من علو
مناقبكم وبعد شأوكم وغريب منحاكم ما شهدت به آثاركم الشائعة الخالدة فى الرياسة
المتأدية على ألسنة الصادر والوارد من الكافة من حمل الدولة واستقامة السياسة
ووقفته على سلامكم وهو يراجعكم بالتحية ويساهمكم بالدعاء وسلامى على سيدى
وفلذة كبدى ومحل ولدى الفقيه الزكى الصدر أبى الحسن نجلكم أعزه الله وقد وقع
منى موقع البشرى حلوله من الدولة بالمكان العزيز والرتبة النابهة والله يلحفكم جميعا
رداء العافية والستر ويهدلكم محل الغبطة والامن ويحفظ عليكم ما أسبغ من نعمته
ويجريكم على عوائد لطفه وعنايته والسلام الكريم يخصكم من المحب الشاكر الداعى
الشائق شيعة فضلكم عبد الرحمن ابن خلدون ورحمة الله وبركاته فى يوم الفطر عام اثنين
وسبعين وسبعمائة وكان بعث الى مع كتابه نسخة كتابه الى سلطانه ابن الاحمر صاحب
الاندلس عندما دخل جبل الفتح وصار الى ايالة بنى مرين فخاطبه من هنالك بهذا الكتاب
فرأيت أن أثبته هنا وان لم يكن من غرض التأليف لغرابته ونهايته فى الجودة وأن مثله
لا يهمل من مثل هذا الكتاب مع ما فيه من زيادة الاطلاع على أخبار الدول فى تفاصيل
احوالها ونص الكتاب

بأوانٍ بهن سكان يا كبابكي * هذي ركاب السرى بلا شك
فمن ظهور الركاب معملة * الى بطون الربى الى الفلك
تصدّع الشمل مثل ما انحدرت * الى صبوب جواهر السلك
من النوى قبل لم أزل حذرا * هذا النوى جل مالك الملك

مولاى كان الله لكم وتولى أمركم أسلم عليكم سلام الوداع وأدعو الله في تيسر اللقاء والاجتماع من بعد التفرق والانصداع وأقرر لديكم ان الانسان أسير الاقدار مسلوب الاختيار متقلب في حكم الخواطر والافكار وأن لا بد لكل أول من آخر وأن التفرق لازم كل اثنين بموت أو حياة ولم يكن منه بد كان خير أنواعه الواقعة بين الاحباب ما وقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشرور ويعلم مولاى حال عبده منذ وصل اليكم من المغرب بولدكم ومقامه لديكم بحال قلق ولولا تعليلكم ووعدكم وارتقاب اللطائف في تقليب قلبكم وقطع نواحل الايام حريصا على استكمال سنكم ونهوض ولدكم واضطلاعكم بأمركم وتمكن هدنة وطنكم وما تحمل في ذلك من ترك غرضه لغرضكم وما استقر بيده من عهودكم وأن العبد الآن تسبب لكم في الهدنة من بعد الظهور والعز ونجح السعي وتأتى لسنين كثيرة الصلح ومن بعد أن لم يبق لكم بالاندلس مشغب من القرابة وتحرك لمطالعة الثغور الغربية وقرب من فرضة المجاز واتصال الارض ببلاد المشرق لطرقته الافكار وزعزعت صبره رياح الخواطر وتذكر اشراف العمر على التمام وعواقب الاستغراق وسيرة الفضلاء عند شمول البياض فغلبته حال شديدة هزمت التعشق بالشمل الجميع والوطن المليح والجاه الكبير والسلطان القليل النظير وعمل بمقتضى قوله موتوا قبل أن تموتوا فان صحت الحال المرجوة من امداد الله تنقلت الاقدام الى امام وقوى التعلق بعروة الله الوثقى وان وقع العجز أو افتضح العزم فالله يعاملنا بلطفه وهذا المرتكب مرام صعب لكن سهله على أمور منها ان الانصراف لما لم يكن منه بد لم يتعين على غير هذه الصورة اذ كان عندكم من باب المحال ومنها ان مولاى لو سمح لى بغرض الانصراف لم تكن لى قدرة على موقف وداعه لا والله ولكان الموت أسبق الى وكفى بهذه الوسيلة الحسنة التى يعرفها وسيلة ومنها حرصى على أن يظهر صدق دعواى فيما كنت أهتف به وأظن انى لا أصدق ومنها اغتنام المفارقة في زمن الامان والهدنة الطويلة والاستغناء اذا كان الانصراف المفروض ضروريا قبيحا في غير هذه الحال ومنها وهو أقوى الاعذار أنى مهما لم أطق تمام هذا الامر أو ضاق ذرعى به لعجز أو مرض أو خوف طريق أو نفاد زاد أو شوق غالب رجعت رجوع الاب الشفيق الى الولد البر الرضى اذ لم أخلف ورائى

مانعا من الرجوع من قول قبيح ولا فعل بل خلفت الوسائل المرعية والآثار الخالدة والسيرة الجميلة وانصرفت بقصد شريف فقت به أشياخي وكبار وطني وأهل طوري وتركتكم على أتم ما أرضاه مثنيا عليكم داعيا لكم وان فسح الله في الامد وقضى الحاجة فأملي العودة الى وادي وتربتي وان قطع الاجل فأرجو ان أكون ممن وقع أجره على الله فان كان تصرفي صوابا وجاريا على السداد فلا يلام من أصاب وان كان عن حمق وفساد عقل فلا يلام من اختل عقله وفسد مزاجه بل يعذر و يشفق عليه و يرحم وان لم يعط مولاي أمري حقه من العدل وجليت الذنوب ونشرت بعدي العيوب فخفاؤه وتناصفه ينكر ذلك و يستحضر الحساب من التربية والتعليم وخدمة السلف وتخليد الآثار وتسمية الولد وتقريب السلطان والارشاد الى الاعمال الصالحة والمداخلة والملابسة لم يتخلل ذلك قط خيانة في مال ولا سر ولا غش في تدبير ولا تعلق به عار ولا كدره نقص ولا حمل عليه خوف منكم ولا طمع فيما بيدكم وان لم تكن هذه دواعي الرعي والوصلة والابقاء ففيم تكون بين بني آدم وأنا قد رحلت فلا أوصيكم بمال فهو عندي أهون متروك ولا بولد فهم رجالكم وخدامكم ومن يحرص مثلكم على الاستكثار منهم ولا بعيال فهي من مزيات بيتكم وخواص داركم انما أوصيكم بتقوى الله والعمل لغد وقبض عنان اللهو في موطن الجد والحياء من الله الذي محص وأقال وأعاد النعمة بعد زوالها لينظر كيف تعملون وأطلب منكم عوض ما زفرته عليكم من زاد طريق ومكافأة واعانة زادا سهلا عليكم وهو أن تقولوا لي غفر الله لك ما ضيعت من حق خطأ أو عمدا واذا فعلتم ذلك فقد رضيت واعلموا أيضا على جهة النصيحة ان ابن الخطيب مشهور في كل قطر وعند كل ملك واعتقاده وبره والسؤال عنه وذكره بالجميل والاذن في زيارته حنانة منكم وسعة درع ودها فانما كان ابن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت ثم أقشعت وتركت الازاهر تفوح والمحاسن تلوح ومثاله معكم مثل المرضعة أرضعت السياسة والتدبير الميمون ثم رقدتكم في مهد الصلح والامان وغطتكم بقناع العافية وانصرفت الى الحمام تغسل اللبن والوضر وتعود فان وجدت الرضيع قد خسن أو قد انتبه فلم تتركه الا في حد الانفطام ونختم هذه العزارة بالحلف الاكيد أني ما تركت لكم وجه نصيحة في دين ولا في دنيا الا وقد وفيت لكم ولا فارقتكم الا عن عجز ومن ظن خلاف هذا فقد ظلمني وظلمكم والله يرشدكم و يتولى أمركم ويعول خاطركم في ركوب البحر انتهت نسخة الكتاب وفي طيها هذه الابيات

صاب مزن الدموع من جفن صبك * عندما استروح الصبا من مهبك
كيف يسلو يا جنتي عنك وقد * كان قبل الوجود جن بحبك

نحن فى كربة كأنه قبل انتهاء الـ * روح من أنسك الشهى وقربك
أيها الشيخ المنشيع هواه * اسلى سواه الا الى يتدربك
أو لعله يرى الرضى فابعثت بعا * ذمت والفضل والرضى من دابك
واذا ما ادعيت كربا فقدى * أين كربى ووحشتى من كربك
ولدى فى ذراك وكرى فى دو * حك الحدى وتربتى فى تربك
يازمانا أغرى الفراق بشملى * ليتنى أهتدى أخذت بحربك
أركبتنى صروفك الصعب حتى * جئت بالبين وهو أصعب صعبك

وكتب آخر النسخة بخطه يخاطبنى هذا ما تيسر والله ولى الخيرة لى ولكم من هذا الخياط الذى لانسبة بينه وبين أولى الكمال ردنا الله اليه وأخلص توكلنا عليه وصرف الرغبة على ما لديه وفى طى النسخة مدرجة نصها رضى الله عن سيادتكم أو نسكم عاصدوه فى أثناء هذا الواقع مما استحضره الولد فى الوقت وهو يسلم عليكم بما يجب لكم وقد حصل من حظوة هذا المقام الكريم على حظ وافر وأجزل احسانه ونوه بجرايته وأثبت الفرسان خلفه والحمد لله ثم اتصل مقامى ببسكرة والمغرب الاوسط مضطرب بالفتنة المانعة من الاتصال بالسلطان عبد العزيز وحمزة بن راشد ببلاد مغراوة والوزير عمر بن مسعود فى العساكر يحاصره بحصن تاجموت وأبو زيان العبد الوادى ببلاد حصين وهم مشتملون عليه وقائمون بدعوته ثم سخط السلطان وزيره عمر بن مسعود ونكر منه تقصيره فى حمزة وأصحابه فاستدعاه الى تلمسان وقبض عليه وبعث به الى فاس معتقلا فحبس هنالك وجهز العساكر مع الوزير ابن غازى فنهض اليه وحاصره ففر من الحصن ولحق بمليانة مجتازا عليها فأنذر به عاملها فتقبض عليه وسيق الى الوزير فى جماعة من أصحابه فضرب أعناقهم وصلبهم عظة ومزدجرا لاهل الفتنة ثم أوعز السلطان بالمسير الى حصين وأبى زيان فسار فى العساكر واستنفر أحياء العرب من زغبة فأوعبهم ونهض الى حصين فامتنعوا بجبل تيطرى ونزل الوزير بعساكره ومن معه من أحياء زغبة على جبل تيطرى من جهة التل فأخذ بمخنقهم وكاتب السلطان أشياخ الزواودة من رياح بالمسير الى حصار تيطرى من جهة القبلة وكاتب أحمد بن مزنى صاحب بسكرة بامدادهم باعطياتهم وكتب الى يأمرنى بالمسير بهم لذلك فاجتمعوا على وسرت بهم أول سنة أربع وسبعين حتى نزلنا بالقطفا فى جماعة منهم على الوزير بمكانه من حصار تيطرى فخذلهم حدود الخدمة وشارطهم على الجزاء ورجعت الى أحيائهم بالقطفا فاشتدوا فى حصار الجبل وألجؤهم بسوامهم وظهرهم الى قنته فهلك لهم الخف والحافر وضاق ذرعهم بالحصار من كل جانب وراسل بعضهم فى الطاعة خفية

فارتاب بعضهم من بعض وانفضوا الليلة من الجبل وأبو زيان معهم ذاهبين الى الصحراء واستولى الوزير على الجبل بما فيه من مخلفهم ولما بلغوا المأمن من القفر نبذوا الى أبي زيان عهده فلحق بجبال غمرة ووفد أعيانهم على السلطان عبد العزيز بتلمسان وفاؤا الى طاعته فتقبل طاعتهم وأعادهم الى أوطانهم وتقدم الوزير عن أمر السلطان بالمسير مع أولاد يحيى بن علي بن سباع للقبض على أبي زيان في جبل غمرة وفاء بحق الطاعة لان غمرة من رعاياهم فضينا لذلك فلم نجده عندهم وأخبرونا انه ارتحل عنهم الى بلد واركلا من مدن الصحراء فنزل على صاحبها أبي بكر بن سليمان فانصرفنا من هنالك ومضى أولاد يحيى بن علي الى أحيائهم ورجعت أنا الى أهلي ببسكرة وخاطبت السلطان بما وقع في ذلك وأقمت منتظرا أوامره حتى جاءني استدعاؤه الى حضرته فرحلت اليه

(العودة الى المغرب الاقصى)

ولما كنت في الاعمال في مشايعة السلطان عبد العزيز ملك المغرب كما ذكرت تفاصيله وأنا مقيم ببسكرة في جوار صاحبها أحمد بن يوسف بن مزني وهو صاحب زمام رياح وأكثر عطائهم من السلطان مفروض عليه في جباية الزاب وهم يرجعون اليه في الكثير من أمورهم فلم أشعر الا وقد حدثت المنافسة منه في استتباع العرب ووغر صدره وصدق في ظنونه وتوهماته وطاوع الوشاة فيما يوردون على سمعه من التقول والاختلاف وجاش صدره بذلك فكتب الى ونزمار بن عريف ولي السلطان وصاحب شوراه ينفس الصعداء من ذلك فأنهاه الى السلطان فاستدعاني لوقته وارتحلت من بسكرة بالاهل والولد في يوم المولد الكريم سنة أربع وسبعين متوجها الى السلطان وكان قد طرقه المرض فما هو الا أن وصلت مليانة من أعمال المغرب الاوسط لقيني هنالك خبر وفاته وأن ابنه أبا بكر السعيد نصب بعده للامر في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي وانه ارتحل الى المغرب الاقصى مغذا السير الى فاس وكان على مليانة يومئذ علي بن حسون بن أبي علي الهساطي من قواد السلطان وموالي بيته فارتحلت معه الى أحياء العطاف ونزلنا على أولاد يعقوب بن موسى من أمرائهم وبذرقني بعضهم الى حلة أولاد عريف أمراء سويد ثم لحق بنا بعد أيام علي بن حسون في عساكره وارتحلنا جميعا الى المغرب على طريق الصحراء وكان أبو حمو قد رجع بعد مهلك السلطان من مكان انتباذه بالقفر في تيكورارين الى تلمسان فاستولى عليها وعلى سائر أعماله وأوعز الى بني يغمور من شيوخ عبيد الله في المعقل أن يعترضونا بحدود بلادهم من رأس العين مخرج وادي صا فاعترضونا هنالك فنجا من نجا منا على خيولهم الى جبل دبدو وانتهبوا جميع ما كان معنا وأرجلوا الكثير من الفرسان وكنت فيهم وبقيت يومئذ

فى قفرها ضاحيا عاريا الى أن وصلت الى العمران ولحقت بأصحابى بجبل دبدو ووقع فى خلال ذلك من الالطاف ما لا يعبر عنه ولا يسع الوفاء بشكره ثم سرنا الى فاس ووفدت على الوزير أبى بكر وابن عمه محمد بن عثمان بفاس فى جمادى من السنة وكان لى معه قديم صحبة واختصاص منذ نزع معى الى السلطان أبى سالم بجبل الصفيحة عند اجازته من الاندلس لطلب ملكه كما مر فى غير موضع من الكتاب فلقينى من بر الوزير وكرامته وتوفير جرايته واقطاعه فوق ما احتسب وأقمت بمكانى من دولتهم أثير المحل ثابت الرتبة عظيم الجاه منوه المجلس عند السلطان ثم انصرم فصل الشتاء وحدث بين الوزير أبى بكر بن غازى وبين السلطان ابن الاحمر منافرة بسبب ابن الخطيب وما دعا اليه ابن الاحمر من ابعاده عنهم وأنف الوزير من ذلك فأظلم الجو بينهما وأخذ الوزير فى تجهيز بعض القرابة من بنى الاحمر ليشغله به ونزع ابن الاحمر الى اطلاق عبد الرحمن بن أبى يفلوسن من ولد السلطان أبى على والوزير مسعود بن رحو بن ماسى كان حبسهما أيام السلطان عبد العزيز وأشار بذلك ابن الخطيب حين كان فى وزارتهما بالاندلس فأطلقهما الآن وبعثهما لطلب الملك بالمغرب وأجازهما فى الاسطول الى سواحل غساسة فنزلوا بها ولحقوا بقبائل بطوية هنالك فاشتملوا عليهم وقاموا بدعوة الامير عبد الرحمن ونهض ابن الاحمر من غرناطة فى عساكر الاندلس فنزل على جبل الفتح فحاصره وبلغت الاخبار بذلك الى الوزير أبى بكر بن غازى القائم بدعوة بنى مرين فوجه لحينه ابن عمه محمد بن عثمان بن الكاس الى سبتة لامداد الحامية الذين لهم بالجبل ونهض هو فى العساكر الى بطوية لقتال الامير عبد الرحمن فوجده قد ملك تازا فأقام عليها يحاصره وكان السلطان عبد العزيز قد جمع شبابا من بنى أبيه المرشحين فحبسهم بطنجة فلما وافى محمد بن الكاس سبتة وقعت المراسلة بينه وبين ابن الاحمر وعتب كل منهما صاحبه على ما كان منه واشتد عذل ابن الاحمر على اخلائهم الكرسى من كفئه ونصبهم السعيد بن عبد العزيز صبيا لم يثغر فاستعتب له محمد واستقال من ذلك فحمله ابن الاحمر على أن يبايع لاحد الابناء المحبوسين بطنجة وقد كان الوزير أبو بكر أوصاه أيضا بانه ان تضايق عليه الامر من الامير عبد الرحمن يفرج عنه بالبيعة لاحد أولئك الابناء وكان محمد بن الكاس قد استوزره السلطان أبو سالم لابنه أحمد أيام ملكه فبادر من وقته الى طنجة وأخرج السلطان أحمد بن السلطان أبى سالم من محبسه وبايع له وسار به الى سبتة وكتب لابن الاحمر يعرفه بذلك ويطلب منه المدد على أن ينزل له عن جبل الفتح فأمده بما شاء من المال والعسكر واستولى على جبل الفتح وشحنه بحاميته وكان أحمد بن السلطان أبى سالم قد تعاهد مع بنى أبيه فى محبسهم على أن من

صار اليه الثلث منهم وجيز الباقين الى الاندلس فلما لم يتح له ذهب الى الوفاء لهم بعهدهم وأجازهم جميعا فنزلوا على السلطان ابن الاحمر فأكرم نزلهم ووفر جراياتهم وبلغ الخبر بذلك كله الى الوزير أبي بكر بمكانه من حصار الامير عبد الرحمن فأخذه المقيم المقعد من فعلة ابن عمه وكر راجعا الى دار الملك وعسكر بكدية العرائس من فاس وتهدد ابن عمه محمد بن عثمان فاعتذر بانه امتثل وصيته فاستشاط وتهدده واتسع الخرق بينهما وارتحل محمد بن عثمان بسلطانه ومدده من عسكر الاندلس الى أن احتل بجبل زرهون المطل على مكناسة فعسكر به واشتملوا عليه وزحف اليهم الوزير أبو بكر وصعد الجبل فقاتلوه وهزموه ورجع الى مكانه بظاهر دار الملك وكان السلطان ابن الاحمر قد أوصى محمد بن عثمان بالاستعانة بالامير عبد الرحمن والاعتضاد به ومساهمته في جانب من أعمال المغرب يستبد به لنفسه فراسله محمد بن عثمان في ذلك واستدعاه واستمده وكان ونزمار بن عريف ولي سلفهم قد أظلم الجو بينه وبين الوزير أبي بكر لانه سأله وهو يومئذ بتازا في الصلح مع الامير عبد الرحمن فامتنع واتهمه بمداخلته والميل له فاعتزم على القبض عليه ودس اليه بعض عيونه فركب الليل ولحق بأحياء الاحلاف من المعقل وكانوا شيعة للامير عبد الرحمن ومعهم علي بن عمر الويغلاني كبير بني ورتاجن كان انتقض على الوزير ابن غازي ولحق بالسوس ثم خاض القفر الى هؤلاء الاحلاف فنزل بينهم مقيما الدعوة الامير عبد الرحمن فجاءهم ونزمار مفلتا من حبالة الوزير أبي بكر وحرضهم على ما هم فيه ثم بلغهم خبر السلطان أحمد بن أبي سالم ووزيره محمد بن عثمان وجاءهم وافد الامير عبد الرحمن يستدعيهم وخرج من تازا فلقيهم ونزل بين أحيائهم ورحلوا جميعا الى امداد السلطان أبي العباس حتى انتهوا الى صفروي ثم اجتمعوا جميعا على وادي النجا وتعاقدوا على شأنهم وأصبحوا غدا على التعبية كل من ناحيته وركب الوزير أبو بكر لقتالهم فلم يطق وولى منهزما فانحجر بالبلد الجديد وخيم القوم بكدية العرائس محاصرين له وذلك أيام عيد الفطر من سنة خمس وسبعين فحاصروها ثلاثة أشهر وأخذوا بمخنقها الى ان جهد الحصار الوزير ومن معه فأذعن للصلح على خلع الصبي المنصوب السعيد ابن السلطان عبد العزيز وخروجه الى السلطان أبي العباس ابن عمه والبيعة له وكان السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن قد تعاهدوا عند الاجتماع بوادي النجا على التعاون والتناصر على أن الملك للسلطان أبي العباس بسائر أعمال المغرب وان للامير عبد الرحمن بلد سجلماسة ودرعة والاعمال التي كانت لجده السلطان أبي علي أخي السلطان أبي الحسن ثم بدا للامير عبد الرحمن في ذلك أيام الحصار واشتط بطلب مراكش وأعمالها فأغضوا له في ذلك وشارطوه على ذلك حتى يتم لهم الفتح فلما

انعقد ما بين السلطان أبي العباس والوزير أبي بكر وخرج اليه من البلد الجديد وخلع سلطانه الصبي المنصوب ودخل السلطان أبو العباس الى دار الملك ثالث ست وسبعين وارتحل الامير عبد الرحمن يغذ السير الى مراكش وبدا للسلطان أبي العباس ووزيره محمد بن عثمان في شأنه فسرحوا العساكر في اتباعه وانتهوا خلفه الى وادي بهت فواقفوه ساعة من نهار ثم أحجموا عنه وولوا على راياتهم وساروه الى مراكش ورجع عنه وزيره مسعود بن ماسي بعد ان طلب منه الاجازة الى الاندلس يتودع بها فسرحه لذلك وسار الى مراكش فملكها وأما أنا فكنت مقيما بفاس في ظل الدولة وعنايتها منذ قدمت على الوزير سنة أربع وسبعين كما مر عاكفا على قراءة العلم وتدريسه فلما جاء السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن وعسكروا بكدية العرائس وخرج أهل الدولة اليهم من الفقهاء والكتاب والجند وأذن للناس جميعا في مباكرة أبواب السلطانين من غير نكير في ذلك فكنت أباكرهما معا وكان بيني وبين الوزير محمد بن عثمان ما مر ذكره قبل هذا فكان يظهر لي رعاية ذلك ويكثر من المواعيد وكان الامير عبد الرحمن يميل الي ويستدعيني أكثر أوقاته ويشاورني في أحواله فغص بذلك الوزير محمد بن عثمان وأغرى سلطانه فتقبض علي وسمع الامير عبد الرحمن بذلك وعلم اني انما أتيت من جراه فحلف ليقوضن خيامه وبعث وزيره مسعود بن ماسي لذلك فأطلقني من الغد ثم كان افتراقهما الثالثة ودخل الامير أبو العباس دار الملك وسار الامير عبد الرحمن الى مراكش وكنت أنا يومئذ مستوحشا فصحبت الامير عبد الرحمن معتزما على الاجازة الى الاندلس من ساحل آسفي معولا في ذلك على صحابة الوزير مسعود بن ماسي لهواي فيه فلما رجع مسعود ثنى عزمي في ذلك ولحقنا ونزمار بن عريف بمكانه من نواحي كرسيف لتقدمه وسيلة الى السلطان أبي العباس صاحب فاس في الجواز الى الاندلس ووافينا عنده داعي السلطان فصحبناه الى فاس واستأذنه في شأني فأذن لي بعد مطاولة وعلى كره من الوزير محمد بن عثمان ابن داود بن اعراب ورجال الدولة وكان الاخ يحيى لما رحل السلطان أبو حمو من تلمسان رجع عنه من بلاد زغبة الى السلطان عبد العزيز فاستقر في خدمته وبعده في خدمة ابنه السعيد المنصوب بمكانه ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد استأذن الاخ في اللحاق بتلمسان فأذن له وقدم على السلطان أبي حمو فأعاده لكتابة سره كما كان أول أمره وأذن لي أنا بعده فانطلقت الى الاندلس بقصد القرار والدعة الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الاجازة الثانية الى الاندلس ثم الى تلمسان واللحاق }
{ بأحياء العرب والمقامة عند أولاد عريف }

ولما كان ما قصصته من تنكّر السلطان أبي العباس صاحب فاس والذهاب مع الأمير
عبد الرحمن ثم الرجوع عنه الى ونزمار بن عريف طلبا للوسيلة في انصرافي الى الاندلس
بقصد الفرار والعكوف على قراءة العلم فتمّ ذلك ووقع الاسعاف به بعد الامتناع
وأجزت الى الاندلس في ربيع سنة ست وسبعين ولقيني السلطان بالكرامة وأحسن
النزل على عادته وكنت لقيت بجبل الفتح كاتب السلطان ابن الاحمر من بعد ابن
الخطيب الفقيه أبا عبد الله بن زمرك ذاهبا الى فاس في غرض التهنئة وأجاز الى سبتة
في أسطوله وأوصيته باجازة أهلي وولدي الى غرناطة فلما وصل الى فاس وتحدث مع أهل
في اجازتهم تنكّروا لذلك وساءهم استقراري بالاندلس واتهموا أني ربما أحمل السلطان
ابن الاحمر على الميل الى الامير عبد الرحمن الذي اتهموني بملابسته ومنعوا أهلي من
اللحاق بي وخاطبوا ابن الاحمر في أن يرجعني اليهم فأبى من ذلك فطلبوا منه أن
يجيزني الى عدوة تلمسان وكان مسعود بن ماسي قد أذنوا له في اللحاق بالاندلس فحملوه
مشافهة السلطان بذلك وأبدوا له أني كنت ساعيا في خلاص ابن الخطيب وكانوا
قد اعتقلوه لأول استيلائهم على البلد الجديد وظفرهم به وبعث اليه ابن الخطيب
مستصرخا به ومتوسلا فخاطبت في شأنه أهل الدولة وعوّلت فيه منهم على ونزمار وابن
ماسي فلم تنجح تلك السعاية وقتل ابن الخطيب بمحبسه فلما قدم ابن ماسي على السلطان
ابن الاحمر وقد أغروه بي ألقى الى السلطان ما كان مني في شأن ابن الخطيب فاستوحش
من ذلك وأسعفهم باجازتي الى العدوة ونزلت بهنين والجو بيني وبين السلطان أبي حمو
مظلم بما كان مني في اجلاب العرب عليه بالزاب كما مرّ فأوعز بمقامي بهنين ثم وفد عليه
محمد بن عريف فعذله في شأني فبعث عني الى تلمسان واستقررت بها بالعباد ولحق بي أهلي
وولدي من فاس وأقاموا معي وذلك في عيد الفطر سنة ست وسبعين وأخذت في بث
العلم وعرض للسلطان أبي حمو رأي في الزواودة وحاجة الى استئلافهم فاستدعاني
وكلفني السفارة اليهم في هذا الغرض فاستوحشت منه ونكرته على نفسي لما آثرته من
التخلي والانقطاع وأجبته الى ذلك ظاهرا وخرجت مسافرا من تلمسان حتى انتهيت
الى البطحاء فعدلت ذات اليمين الى منداس ولحقت بأحياء أولاد عريف قبلة جبل
كزول فلقوني بالتحف والكرامة وأقمت بينهم أياما حتى بعثوا عن أهلي وولدي بتلمسان
وأحسنوا العذر الى السلطان عني في العجز عن قضاء خدمته وأنزلوني بأهلي في قلعة
أولاد سلامة من بلاد بني توجين التي صارت لهم باقطاع السلطان فأقمت بها أربعة
أعوام متخليا عن الشواغل وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها وأكملت
المقدمة على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت اليه في تلك الخلوة فسالت فيها شآبيب

الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها وتألفت نتائجها وكانت من بعد ذلك الفيئة الى تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الفيئة الى السلطان أبي العباس بتونس)

ولما نزلت بقلعة ابن سلامة من أحياء أولاد عريف وسكنت بقصر أبي بكر بن عريف الذي اختطه بها وكان من أحفل المساكن وأوفقها ثم طال مقامي هنالك وأنا مستوحش من دولة المغرب وتلمسان وعاكف على تأليف هذا الكتاب وقد فرغت من مقدمته الى أخبار العرب والبربر وزناتة وتشوقت الى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد الا بالامصار بعد ان أمليت الكثير من حفظي وأردت التنقيح والتصحيح ثم طرقني مرض أربى على الثنية لولا ما تدارك من لطف الله فحدث عندي ميل الى مراجعة السلطان أبي العباس والرحلة الى تونس حيث قرار آبائي ومساكنهم وآثارهم وقبورهم فبادرت الى خطاب السلطان بالفيئة الى طاعته والمراجعة فما كان غير بعيد واذا بخطابه وعهوده بالاذن والاستحثاث للقدوم فكان الخفوق للرحلة فظعنت عن أولاد عريف مع عرب الاخضر من بادية رياح كانوا هنالك ينتجعون الميرة بمنداس وارتحلنا في رجب سنة ثمانين وسلكنا القفر الى الدوسن من أطراف الزاب ثم صعدت الى التل مع حاشية يعقوب بن علي وجدتهم بفرفار الضيعة التي اختطها بالزاب فرحلت معهم الى أن نزلنا عليه بضاحية قسنطينة ومعه صاحبها الامير ابراهيم ابن السلطان أبي العباس بخيمه ومعسكره فحضرت عنده وقسم لي من بره وكرامته فوق الرضا وأذن لي في الدخول الى قسنطينة واقامة أهلي في كفالة احسانه ريثما أصل الى حضرة أبيه وبعث يعقوب بن علي معي ابن أخيه أبي دينار في جماعة من قومه وسرت الى السلطان أبي العباس وهو يومئذ قد خرج من تونس في العساكر الى بلاد الجريد لاستنزال شيوخها عن كراسي الفتنة التي كانوا عليها فوافيته بظاهر سوسة فحيا وفادتي وبر مقدمي وبالغ في تأنيسي وشاورني في مهمات أموره ثم ردني الى تونس وأوعز الى نائبه بها مولاه فارح بتهيئة المنزل والكفالة من الجراية والعلوفة وجزيل الاحسان فرحت الى تونس في شعبان من السنة وآويت الى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمته وبعثت الى الاهل والولد وجمعت شملهم في مرعى تلك النعمة وألقيت عصا التسيار وطالت غيبة السلطان الى أن افتتح أمصار الجريد وذهب فلهم في النواحي ولحق زعيمهم يحيى بن يملول ونزل على صهره ابن مزني وقسم السلطان بلاد الجريد بين ولده فأنزل ابنه محمدا المنتصر بتوزر وجعل نفطة ونفزاوة من أعماله وأنزل ابنه أبا بكر بقفصة وعاد الى تونس مظفرا مزهرا فأقبل علي واستدناني لمجالسته والنجاء

فى خلوته فنمى بطانته من ذلك وأفاضوا فى السعايات عند السلطان فلم تنجح وكانوا يكثرون على امام الجامع وشيخ الفتيا محمد بن عرفة وكان فى قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا فى المربى بمجالسة الشيوخ فكثيرا ما كان يظهر شفوفى عليه وان كان أسن منى فاسودت تلك النكتة فى قلبه ولم تفارقه ولما قدمت تونس انثال على طلبة العلم من أصحابه وسواهم يطلبون الافادة والاشتغال وأسعفتهم بذلك فعظم عليه وكان يسر التنفير الى الكثير منهم فلم يقبلوا واشتدت غيرته ووافق ذلك اجتماع البطانة اليه فاتفقوا على شأنهم فى التأنيب والسعاية بى والسلطان خلال ذلك معرض عنهم وقد كلفنى بالاكباب على تأليف هذا الكتاب لتشوقه الى المعارف والاخبار واقتناء الفضائل فأكملت منه أخبار البربر وزناتة وكتبت من اخبار الدولتين وما قبل الاسلام ما وصل الى منها وأكملت منها نسخة رفعتها الى خزانته وكان مما يغرون به السلطان قعودى عن امتداحه فانى كنت قد أهملت الشعر وانتحاله جملة وتفرغت للعلم فقط فكانوا يقولون له انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه للملوك قبلك وتنميت ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب وتوجته باسمه أنشدته فى ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه وأذكر سيره وفتوحاته واعتذر عن انتحال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب اليه فقلت

هل غير بابك للغريب مؤمل * أوعن جنابك للأمانى معدل
هى همة بعثت اليك على النوى * عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوأ الدنيا ومنتجع المنى * والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة * تعنو لها زهر النجوم وتحفل
حيث الخيام البيض ترفع للقرى * قد فاح فى أرجائهن المندل
حيث الحمى للعز فى ساحاته * ظل أفاءته الوشيج الذبل
حيث الرماح يكاد يورق عودها * مما تعل من الدماء وتنهل
حيث الجياد أملهن شجعان الوغى * مما أطالوا فى المغار وأوغلوا
حيث الوجوه الغر قنعها الحيا * والبشر فى صفحاتها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الألى * عز الجوار لديهم والمنزل
من شيعة المهدى بل من شيعة التوحيد جاء به الكتاب مفصل
نصروا على التقوى مبالغ عزمهم * لله ما شادوا بذاك واثلوا
بل شيعة الرحمن ألقى حبهم * فى خلقه فسموا بذاك وفضلوا
قوم أبو حفص أب لهم وما * أدراك والفاروق جد أول

نسب كما اطردت أنابيب القنا * وأتى على تقويمهن معدل
سام على هام الزمان كأنه * للفخر تاج بالبدور مكلل
فضل الانام حديثهم وقديمهم * ولأنت ان نسبوا أعز وأفضل
وبنوا على قلل النجوم وطدوا * وبناؤك العالي أشد وأطول
ولقد أقول لخائض بحر الفلا * والليل مد ذو الجوانب اليل
ماض على غول الدجا لا يتقي * منها وذا بله ذبال مشعل
متقلب فوق الرماح كأنه * طيف بأطراف المهاد موكل
يبغي منال الفوز من طرق الغنى * ويرود مخصبها الذي لا يجهل
أرح الركاب فقد ظفرت بواهب * يعطي عطاء المنعمين فيجزل
لله من خلق كريم في الندى * كالروض حياه ندى مخضوضل
هذا أمير المؤمنين امامنا * في الدين والدنيا اليه الموئل
هذا أبو العباس خير خليفة * شهدت له الشيم التي لا تجهل
مستنصر بالله في قهر العدا * وعلى اعانة ربه متوكل
سبق الملوك الى العلا متمهلا * لله منك السابق المتمهل
فلأنت أعلى المالكين وان غدوا * يتسابقون الى العلا وأكمل
قايس قديما منهم بقديمكم * فالامر فيه واضح لا يجهل
دانوا لقومكم بأقوم طاعة * هي عروة الدين التي لا تفصل
سائل تلمسانا بها وزناتة * ومرين قبلهم كما قد ينقل
واسأل بأندلس مدائن ملكها * تخبرك حين استأنسوا واستأهلوا
واسأل بذا مراكشا وقصورها * فلقد تجيب رسومها من يسأل
يا أيها الملك الوفي باذا الذي * ملأ القلوب وفوق ما يتمثل
لله منك مؤيد عزماته * تمضي كما يمضي القضاء المرسل
عميت الزمان بحيث أعظم حتفه * فافترّ عنه وهو أحلك أعضل
والشمل من أبنائه متصدع * وعلا خلافتهم مضاع مهمل
والخلق قد صرفوا اليك قلوبهم * ويرجون اصلاح الحال منك تأملا
فجليته لما انتدبت لامره * بالبأس والعزم الذي لا يجهل
ذللت منه جامحا لا ينثني * سهلت وعرا كاد لا يتسهل
وأمنت من سوس العتاة وذدتهم * عن ذلك الحرم الذي قد حللوا
كانت لصولة صولة ولقومه * يعدو ذويب بها ويسطو المعقل

ومهلهل تسدي وتلحم في التي * ما أحكموها فهي بعد مهلهل

والمراد بصولة هنا صولة بن خالد بن حمزة أولاد أبي الليل وذويب هو ابن عمه أحمد بن حمزة والمهلهل فريق من العرب من احلافهم ومهلهل هم بنو مهلهل بن قاسم انظارهم وأقتالهم ثم رجع الى وصف العرب

عجب الانام لشأنهم بادون قد * قذفت بهم المطي الذلل
رفعوا القباب على العماد وعندها لجرد السلاهب والرماح العسل
في كل طامي الرب منعقد الحصا * تهدى لجته الظماء فتنهل
حتى شرابهم السراب وزادهم * ريح يروح به الكمي ومنصل
حتى حلول بالعراء ودونهم * قذف النوى ان يظعنوا أو يقبلوا
كانوا يروعون الملوك بما بدوا * وغدت ترفه بالنعيم وتخضل
فبدوت لا تلوي على دعة ولا * تأوي الى ظل القصور وتهزل
طورا يصافحك الهجير وتارة * فيه بخفاق البنود تظلل
واذا تعاطى الضمر في يوم الوغى * كأس النجيع فبالصهيل تعلل
محشوشنا في العز معتلاله * في مثل هذا يحسن المستعمل
تفري حشى البيداء لا يسري بها * وكف ولا يهدي اليها جحفل
وتجر اذيال الكتائب فوقها * تختال في اسمر الطوال وترفل
ترميهم منها بكل مدجج * شاكي السلاح اذا استعار الاعزل
وبكل أسمر غصنه متأود * وبكل أبيض شطه متهدل
حتى تفرق ذلك الجمع الألى * عصفت بهم ريح الجلاء فزلزلوا
ثم استملتهم بنعمتك التي * خضعوا لعزك بعدها وتذللوا
ونزعت من أهل الجريد غواية * وقطعت من أسبابها ما أوصلوا
ونظمت من أمصاره وثغوره * للملك عقدا بالفتوح يفصل
فسددت مطلع النفاق وأنت لا * تنبو ظباك ولا العزيمة تنكل
بشكيمة مرهوبة وسياسة * تجري كما يجري فرات سلسل
عذب الزمان لها ولذ مذاقه * من بعد ما قد مر منه الحنظل
فضوى الانام لعز أروع مالك * سهل الخليقة ماجد متفضل
وتطابقت فيه القلوب على الرضا * سيان منها الطفل والمتكهل
يا مالكا وسع الزمان وأهله * عدلا وأمنا فوق ما قد أملوا
فالارض لا يخشى بها غول ولا * يعدو بساحتها الهزبر المشبل

والسرب يجتابون كل تنوفة * سرب القطا ما راعهن الأجدل
سبحان من بعلاك قد أحيا المنا * وأعاد حلى الجيد وهو معطل
فكأنما الدنيا عروس تجتلى * فتميس فى حلل الجمال وترفل
وكأن مطبقة البلاد بعدله * عادت فسيحا ليس فيها مجهل
وكأن أنوار الكواكب ضوعفت * من نور غرته التى هى أجمل
وكأنما رفع الحجاب لناظرى * فرأى الحقيقة فى الذى يتخيل

ومنها فى العذر عن مدحه

مولاى غاضت فكرتى وتبلدت * منى الطباع فكل شئ مشكل
تسمو الى درك الحقائق همتى * فأصد عن ادراكهن وأعزل
وأجد ليلى فى امتراء قريحتى * فتعود غورا بعدما تسترسل
فأبيت يختلج الكلام بخاطرى * والنظم يشرد والقوافى تجفل
واذا امتريت العفو منه جاهدا * عاب الجهابذ صنعه واسترذلوا
من بعد حول انتقيه ولم يكن * فى الشعر لى قول يعاب ويهمل
فأصونه عن أهله متواريا * أن لا يضمهم وشعرى محفل
وهى البضاعة فى القبول نفاقها * سيان فيه الفحل والمتطفل
وبنات فكرى ان أتتك كليلة * زهراء تخطر فى القصور وتخطل
فلها الفخار اذا منحت قبولها * وأنا على ذلك البليغ المقول

ومنها فى ذكر الكتاب المؤلف بخزانته

واليك من سير الزمان وأهله * عبرا يدين بفضلها من يعدل
صحفا تترجم عن أحاديث الأولى * درجوا فتجمل عنهم وتفصل
تبدى التبابع والعمالق سرها * وثمود قبلهم وعاد الأول
والقائمون بملة الاسلام من * مضر وبربرهم اذا ما حصلوا
لخصت كتب الأولين بجمعها * وأتيت أولها بما قد أغفلوا
وألنت حوشى الكلام كأنما * سرد اللغات بها لنطقى ذللوا
وجعلته لسوار ملكك مفخرا * يبهى الندى به ويزهو المحفل
والله ما أسرفت فيما قلته * شيأ ولا الاسراف منى يجمل
ولأنت أرسخ فى المعالى رتبة * من أن يموه عنده متطفل
فلك الكل فضيلة وحقيقة * الناس تعرف فضلها ان بدلوا
والحق عندك فى الامور مقدم * أبدا فماذا يدعيه المبطل

والله أعطاك التي لا فوقها * فاحكم بما ترضى فأنت الأعدل

أبقاك ربك للعباد تربهم * فالله يخلقهم ورعيك يكفل

وكنت لما انصرفت من معسكره على سوسة الى تونس بلغني وأنا مقيم بها أنه أصابه في طريقه مرض وعقبه برء فخاطبته بهذه القصيدة

ضحكت وجوه الدهر بعد عبوس * وتخللتنا رحمة من بوس

وتوضحت غرر البشائر بعدما انبهمت * فأطلعها حداة العيس

صدعوا بها ليل الهموم كأنما * صدعوا الظلام بجذوة المقبوس

فكأنهم جنات عدن في الورى * نشرت لها الآمال من مرموس

قرت عيون الخلق منها بالتي * شربوا النعيم لها بغير كؤوس

يتمايلون من المسرة والرضا * ويقابلون أهلة بشموس

من راكب وافى يحيي راكبا * وجليس أنس قاده لجليس

ومشفع لله يؤنس عنده * أثر الهدى في المعهد المأنوس

يعتد منها رحمة قدسية * فيبوء للرحمن بالتقديس

طبية بإخلاص الدعاء وأنه * يشفي من الداء العيا والبوس

والمعني به امام الجامع الاعظم جامع الزيتونة بتونس

يا ابن الخلافة والذين بنورهم * نهجت سبيل الحق بعد دروس

والناصر الدين القويم بعزمه * طردت امامتها بغير عكوس

هجر المنا فيها ولذات المنا * في لذة التهجير والتغليس

حاط الرياضة بالسياسة فانطوت * منه لأكرم مالك وسيوس

أسد يحامي عن حمى أشباله * حتى ضووا منه لأمنع خيس

فسما بموشي البطاح وقد غدت * تختال زهوا في ثياب عروس

والماثلات من الحنايا جثما * بالبيد من طسم وفل جديس

وخز البلى منها الغوارب والذرى * فلفتن حذرا بالعيون الشوس

لبقاك حرز للأنام وعصمة * وحياة أرواح لنا ونفوس

ولأنت كافل ديننا بحماية * لولاك ضيع عهدها وتنوسي

الله أعطاك التي لا فوقها * وحباك حظا ليس بالمركوس

تعنوا الوجوه إليك قبل وجوهنا * سيان من رأس ومن مرؤوس

فإذا أقمت فإن رعبك راحل * يحمى على الأعداء كل وطيس

وإذا رحلت فللسعادة آية * تقتادها في موكب وخميس

وإذا الادلة فى الكمال تطابقت * جاءت بمسموع لها ومقيس
فاتم بملكك دولة عادية * تشفى الاعادى بالعذاب البئيس
واليكها منى على خجل بها * عذراء قد حليت بكل نفيس
عذرا فقد طمس الشباب ونوره * وأضاء صبح الشيب عند طموس
لولا عنايتك التى أوليتنى * ما كنت أعنى بعدها بطروس
والله ما أبقت ممارسة النوى * منى سوى رسم أمر دريس
أخنى الزمان على فى الادب الذى * دارسته بمجامع ودروس
فسطا على فرعى وروع مأمنى * واجتث من دوح النشاط غروسى
ورضاك رحمتى التى أعتدها * تحيى منا نفسى وتذهب بوسى

ثم كثرت سعاية البطانة بكل نوع من أنواع السعايات وابن عرفة يزيد فى اغرائهم متى اجتمعوا اليه الى أن أغروا السلطان بسفرى معه ولقنوا النائب بتونس القائد فارح من موالى السلطان أن يتفادى من مقامى معه خشية على أمره منى بزعمه وتواطؤا على أن يشهد ابن عرفة بذلك للسلطان حتى شهد به فى غيبة منى ونكر السلطان عليهم ذلك ثم بعث الى وأمرنى بالسفر معه فسارعت الى الامتثال وقد شق ذلك على الا أنى لم أجد محيصا فخرجت معه وانتهيت الى تبسة وسط وطن تلول افريقية وكان منحدرا فى عسكره وتوابعه من العرب الى توزر لان ابن يملول أجلب عليها سنة ثلاث وثمانين واسترجعها من يد ابنه فسار السلطان اليه وشرده عنها وأعاد اليها ابنه وأولياءه ولما نهض من تبسة رجعنى الى تونس فأقمت بضيعة الرياحين من نواحيها الضم زراعتى بها الى أن قفل السلطان ظافرا منصورا فصحبته الى تونس ولما كان شهر شعبان من سنة أربع وثمانين أجمع السلطان الحركة الى الزاب بما كان صاحبه ابن مزنى قد آوى ابن يملول اليه ومهد له فى جواره فخشيت أن يعود فى شأنى ما كان فى السنة قبلها وكان بالمرسى سفينة لتجار الاسكندرية قد شحنها التجار بأمتعتهم وعروضهم وهى مقلعة الى الاسكندرية فتطارحت على السلطان وتوسلت اليه فى تخلية سبيلى لقضاء فرضى فأذن لى فى ذلك وخرجت الى المرسى والناس متسايلون على أثرى من أعيان الدولة والبلد وطلبة العلم فودعتهم وركبت البحر منتصف شعبان من السنة وقوضت عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه وتفرغت لتجديد ما كان عندى من آثار العلم والله ولى الامور سبحانه

* (الرحلة الى المشرق وولاية القضاء بمصر) *

ولما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين اقمنا فى البحر نحوا من

أربعين ليلة ثم وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على التخت واقتعاد كرسي الملك دون أهله بني قلاوون وكنا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه لذلك وتمهيده له وأقمت بالاسكندرية شهرا لتهيئة أسباب الحج ولم يقدر عامئذ فانتقلت الى القاهرة أول ذي القعدة فرأيت حاضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر وايوان الاسلام وكرسي الملك تلوح القصور والاواوين في جوه وتزهر الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه وتضيء البدور والكواكب من علمائه قد مثل بشاطئ النيل نهر ومدفع مياه السماء يسقيه العلل والنهل سيحه ويجبي اليهم الثمرات والخيرات ثجه ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم وما زلنا نحدث بهذا البلد وبعد مداه في العمران واتساع الاحوال ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم في الحديث عنه سألت صاحبنا كبير الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقري فقلت له كيف هذه القاهرة فقال من لم يرها لم يعرف عز الاسلام وسألت شيخنا أبا العباس بن ادريس كبير العلماء ببجاية مثل ذلك فقال كأنما انطلق أهله من الحساب يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب وحضر صاحبنا قاضي العسكر بفاس الفقيه الكاتب أبو القاسم البرجي بمجلس السلطان أبي عنان منصرفه من السفارة عنه الى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية الى الضريح الكريم سنة ست وخمسين فسألته عن القاهرة فقال أقول في العبارة عنها على سبيل الاختصار ان الذي يتخيله الانسان فانما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس الا القاهرة فانها أوسع من كل ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون لذلك ولما دخلتها أقمت أياما وانثال علي طلبة العلم بها يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ولم يوسعوني عذرا فجلست للتدريس بالجامع الازهر منها ثم كان الاتصال بالسلطان فأبر مقامي وآنس الغربة ووفر الجراية من صدقاته شأنه مع أهل العلم وانتظرت لحاق أهلي وولدي من تونس وقد صدهم السلطان هنالك عن السفر اغتباطا بعودي اليه فطلبت من السلطان صاحب مصر الشفاعة اليه لتخلية سبيلهم فخاطبه في ذلك ثم هلك بعض المدرسين بمدرسة القمحية بمصر من وقف صلاح الدين بن أيوب فولاني تدريسها مكانه وبينا أنا في ذلك اذ سخط السلطان قاضي المالكية في دولته لبعض النزعات فعزله وهو رابع أربعة بعدد المذاهب يدعى كل منهم قاضي القضاة تمييزا عن الحكام بالنيابة عنهم لاتساع خطة هذا المصر وما يرتفع من الخصومات في جوانبه وكبير جماعتهم قاضي الشافعية لعموم ولايته في الاعمال شرقا وغربا وبالصعيد والفيوم واستقلاله بالنظر في أموال

الباب والوظائف [illegible] فقال بأن مباشرة السلطان قديما بالولاية انما كانت تكرمة له
فلما عزل هذا القاضي المالكي سنة ست وثمانين اختصني السلطان بهذه الولاية تأهيلا
لمكاني وتنويها بذكري وشافهته بالتفادي من ذلك فأبى الا امضاءه وخلع علي بايوانه
وبعث من كبار الخاصة من أقعدني بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحية بين القصرين
فقمت بما دفع الي من ذلك المقام المحمود ووفيت جهدي بما أمنني عليه من أحكام الله
لا تأخذني في الله لومة ولا يرغبني عنه جاه ولا سطوة مسويا بين الخصمين آخذا لحق
الضعيف من الحكمين معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين جانحا الى التثبت
في سماع البينات والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات فقد كان البر منهم مختلطا
بالفاجر والطيب ملتبسا بالخبيث والحكام ممسكون عن انتقادهم متجاوزون عما يظهر
عليهم من هناتهم لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة فان غالبهم مختلطون بالامراء
معلمون للقرآن وأئمة في الصلوات يلبسون عليهم بالعدالة فيظنون بهم الخير ويقسمون
الحظ من الجاه في تزكيتهم عند القضاة والتوسل لهم فأعضل داؤهم وفشت المفاسد
بالتزوير والتدليس بين الناس منهم ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب
ومؤلم النكال وتأدى لعلمي الجرح في طائفة منهم فمنعتهم من تحمل الشهادة وكان منهم
كتاب الدواوين للقضاة والتوقيع في مجالسهم وقد دربوا على املاء الدعاوى وتسجيل
الحكومات واستخدموا للامراء فيما يعرض لهم من العقود باحكام كتابتها وتوثيق
شروطها فصار لهم بذلك شفوف على أهل طبقتهم وتمويه على القضاة بجاههم يدرعون به
مما يتوقعونه من مغبتهم لتعرضهم لذلك بفعلاتهم وقد يسلط بعض منهم قلمه على العقود
المحكمة فيوجد السبيل الى حلها بوجه فقهي أو كتابي ويبادر الى ذلك متى ما دعا
اليه داعي جاه أو منحة وخصوصا التي جاوزت حدود النهاية في هذا المصر بكثرة
عوالمه فأصبحت خافية الشهرة مجهولة الاعيان عرضة للبطلان باختلاف المذاهب
المنصوبة للاحكام بالبلد فمن اختار فيها بيعا أو تمليكا شارطوه وأجابوه مفتاتين فيه على
الحكام الذين ضربوا فيه سد الحظر والمنع حماية عن التلاعب وفشا من ذلك الضرر
في الاوقاف وطرق الغرر في العقود والاملاك فعاملت الله في حسم ذلك بما آسفهم
علي وأحقدهم ثم التفت الى أهل الفتيا بالمذهب وكان الحكام منهم على جانب الحيرة
لكثرة معارضتهم وتلقينهم الخصوم وفتياهم بعد نفوذ الحكم واذا فيهم أصاغر
فبيناهم يتشبثون بأذيال الطلب والعدالة ولا يكادون اذا بهم طفروا الى مراتب
الفتيا والتدريس فاقتعدوها وتناولوها بالجزاف وأجازوها من غير مرتب ولا مستند
للاهلية ولا مرشح اذ الكثرة فيهم بالغة ومن كثرة الساكن مشتقة وقلم الفتيا في هذا

المصر طلق وعنانها مرسل يتجاذب كل الخصوم منها رسنا ويتناول من حافته شقا يروم به الفلج على خصمه ويستظهر به لإرغامه فيعطيه المفتي من ذلك ملء رضاه وكفاء أمنيته متتبعا إياه في شغب الخلاف فتتعارض الفتاوى وتتناقض ويعظم الشغب ان وقعت بعد نفوذ الحكم والخلاف في المذاهب كثير والانصاف متعذر وأهلية المفتي وشهرة الافتاء عندنا فلا يكاد هذا المدى ينحسم ولا الشغب ينقطع فصدعت في ذلك بالحق وكبحت أعنة أهل الهوى والجهل ورددتهم على أعقابهم وكان فيهم ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوذون وهنالك ولا ينتمون الى شيخ معروف مشهود ولا يعرف لهم كتاب في فن اتخذوا الناس هزوا وعقدوا المجالس مثلبة للاعراض ومأبنة للحرم فأرغمهم ذلك مني وملأهم حسدا وحقدا علي وخلوا الى أهل جلدتهم من سكان الزوايا المنتحلين للعبادة يشترون بها الجاه ويجيرون به على الله وربما اضطر أهل الحقوق الى تحكيمهم فيحكمون بما يلقي الشيطان على ألسنتهم يترخصون به الاصلاح لا يزعهم الدين عن التعرض لاحكام الله بالجهل فقطعت الحبل في أيديهم وأمضيت حكم الله فيمن أجاروه فلم يغنوا عن الله شيئا وأصبحت زواياهم مهجورة وبئرهم التي يمتاحون منها معطلة وانطلقوا يراطنون السفهاء من النيل في عرضي وسوء الاحدوثة عني بمختلق الافك وقول الزور يبثونه في الناس ويدسون الى السلطان التظلم مني فلا يصغي اليهم وأنا في ذلك محتسب على الله ما منيت به في هذا الامر ومعرض فيه عن الجاهلين وماض على سبيل سوي من الصرامة وقوة الشكيمة وتحري المعدلة وخلاص الحقوق والتنكب عن خطة الباطل متى دعيت اليها وصلابة العود عن الجاه والاعراض متى غمزني لامسها ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة فنكروه مني ودعوني الى متابعتهم فيما يصطلحون عليه من مرضاة الاكابر ومراعاة الاعيان والقضاء للجاه بالصور الظاهرة أو دفع الخصوم اذا تعذرت بناء على أن الحاكم لا يتعين عليه الحكم مع وجود غيره وهم يعلمون أن قد تمالؤوا عليه وليت شعري ما عذرهم في الصور الظاهرة اذا علموا خلافها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من قضيت له من حق أخيه شيئا فانما أقضي له من النار فأبيت من ذلك كله الا اعطاء العهدة حقها والوفاء لها ولمن قلدنيها فأصبح الجميع علي ألبا ولمن ينادي بالتأفف مني عونا وفي النكير على أمة وأسمعوا الشهود الممنوعين أن قد قضيت فيهم بغير وجه لاعتمادي على علمي في الجرح وهي قضية اجماع وانطلقت الالسن وارتفع الصخب وأرادني بعض على الحكم بغرضهم فتوقفت وأغروا بي الخصوم فتنادوا بالتظلم عند السلطان وجمع القضاة وأهل الفتيا في مجلس حفل للنظر في ذلك فخلصت تلك

الحكومة من الباطل خلوص الابريز وتبين أمرهم للسلطان وامضيت فيها حكم الله تعالى ارغاما لهم فغدوا على حرد قادرين ودسوا لاولياء السلطان وعظماء الدولة يقبحون لهم اهمال جاههم ورد شفاعاتهم مموهين بأن الحامل على ذلك جهل المصطلح وينفقون هذا الباطل بعظائم ينسبونها الى تبعث الحليم وتغرى الرشيد يستثيرون حفائظهم علي ويشربونهم البغضاء الي والله مجازيهم وسائلهم فكثر الشغب علي من كل جانب وأظلم الجو بيني وبين أهل الدولة ووافق ذلك مصابي بالاهل والولد وصلوا من المغرب في السفين فأصابها قاصف من الريح فغرقت وذهب الموجود والسكن والمولود فعظم المصاب والجزع ورجح الزهد واعتزمت على الخروج عن المنصب فلم يوافقني عليه النصيح ممن استشرته خشية من نكير السلطان وسخطه فتوقفت بين الورد والصدر على صراط الرجاء والياس وعن قريب تداركني اللطف الرباني وشملتني نعمة السلطان أيده الله في النظر بعين الرحمة وتخلية سبيلي من هذه العهدة التي لم أطق حملها ولا عرفت كما زعموا مصطلحها فردها الى صاحبها الاول وأنشطني من عقالها فانطلقت حميد الاثر مشيعا من الكافة بالاسف والدعاء وحميد الثناء تلحظني العيون بالرحمة وتتناجى الآمال في بالعودة ورتعت فيما كنت راتعا فيه قبل من مراعي نعمته وظل رضاه وعنايته بالعافية التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه عاكفا على تدريس علم أو قراءة كتاب أو اعمال قلم في تدوين أو تأليف مؤملا من الله قطع صبابة العمر في العبادة ومحو عوائق السعادة بفضل الله ونعمته

(السفر لقضاء الحج)

ثم مكثت بعد العزل ثلاث سنين واعتزمت على قضاء الفريضة فودعت السلطان والامراء وزودوا وأعانوا فوق الكفاية وخرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين الى مرسى الطور بالجانب الغربي من بحر السويس وركبت البحر من هنالك عاشر الفطر ووصلنا الى الينبع لشهر فوافينا المحمل ورافقتهم من هنالك الى مكة ودخلتها ثاني ذي الحجة فقضيت الفريضة في هذه السنة ثم عدت الى الينبع فأقمت بها خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر ثم سافرنا الى أن قاربنا مرسى الطور فاعترضتنا الرياح فما وسعنا الا قطع البحر الى جانبه الشرقي ونزلنا بساحل القصير ثم بذرقنا ثم سرنا مع اعراب تلك الناحية الى مدينة قوص قاعدة الصعيد فأرحنا بها أياما ثم ركبنا في بحر النيل الى مصر فوصلنا اليها لشهر من سفرنا ودخلتها في جمادى سنة تسعين وقضيت حق السلطان في لقائه واعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له فتقبل ذلك بقبول حسن وأقمت فيما عهدت من رعايته وظل احسانه وكنت لما نزلت بالينبع لقيت بها

الفقيه الأديب المتفنن أبا القاسم بن محمد بن شيخ الجماعة وفارس الادباء ومنفق سوق البلاغة أبى اسحق ابراهيم الساحلى المعروف جده بالطوطى وقدموا حاجا وفى صحبته كتاب ورسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم كاتب سر السلطان ابن الاحمر صاحب غرناطة الحظى لديه أبى عبد الله بن زمرك خاطبنى فيه بنظم ونثر تشوق ويذكر بعهود الصحبة نصه

سلوا البارق النجدى على علم نجد * تبسم فاستبكى جفونى من الوجد

أجاد ربوعى باللوى درك اللوى * وسح به صوب الغمائم من بعد

ويازاجر الاظعان وهى ضوامر * دعوها تردهيما عطاشا على نجد

ولا تنشقوا الانفاس منها مع الصبا * فان زفير الشوق من مثلها يعدى

براها الهوى برى القداح وخطها * حزونا على صفح من القفر ممتد

عجبت لها أنى تجاذبنى الهوى * وماشوقها شوقى ولا وجدها وجدى

لئن شاقها بين العذيب وبارق * مياه بفىء الظل للبان والرند

فماشاقنى الابدور خدورها * وقد لحن يوم النفر فى قضب ملد

فكم فى قباب الحى من شمس كلة * وفى فلك الازرار من قمر سعد

وكم صارم قد سل من لحظ أحور * وكم ذابل قد هز من ناعم القد

خذوا الحذر من سكان رامة انها * ضعيفات كسر اللحظ تفتك بالاسد

سهام جفون من قسى حواجب * يصاب بها قلب البرىء على عمد

وروض جمال ضاع عرف نسيمه * وماضاع غير الورد فى صفحة الخد

ونرجس لحظ أرسل الدمع لؤلؤا * فوشى بماء الورد روضا من الورد

وكم غصن قد عانق الغصن مثله * وكل على كل من الشوق يستعدى

قبيح وداع قد جلا لعيوننا * محاسن من روض الجمال بلا عد

رعى الله ليلى لوعلمت طريقها * فرشت لاخفاف المطى بها خدى

وماشاقنى والطيف يرهب أدمعى * ويسبح فى بحر من الليل مزبد

وقد سل خفاق الذوائب بارق * كما سل لماع الصقال من الغمد

وهزت محلاه يد الشوق فى الدجا * فحل الذى أبرمت للصبر من عقد

وأقلق خفاق الجوانح نسمة * تنم مع الاصباح خافقة البرد

وهب عليل لفطى بروده * أحاديث أهداها الى الغور من نجد

سوى صادح فى الايك لم يدر ما الهوى * ولكن دعا منى الشجون على وعد

فهل عند ليلى نعم الله ليلها * بأن جفونى ماتمل من السهد

وليلة اذ وافى الحجيج الى منى * وفت لى المنى منها بما شئت من قصد
تقضيت منها فوق ما أحسب المنى * برد عفاف صانه الله من برد
وليس سوى لحظ خفى نجيلة * وشكوى كما ارفض الجمان من العقد
غفرت الدهر بعدها كل ما جنى * سوى ما جنى وفد المشيب على فودى
عرفت بهذا الشيب فضل شبيبتى * ومازال فضل الضد يعرف بالضد
ومن نال فى ليل الشباب ضلالة * سيوقظه صبح المشيب الى الرشد
أما والهوى ما حدت عن سنن الهدى * ولا جرت فى طرق الصبابة عن قصد
تجاوزت حد العاشقين الأولى مضوا * وأقفر ربع القلب الا من الوجد
اليك أبا زيد شكاة رفعتها * وما أنت من عمرو لدى ولا زيد
بعيشك خبرنى ومازلت مفضلا * أعندك من شوق كمثل الذى عندى
فكم ثار بى شوق اليك مبرح * فظلت يد الاشواق تقدح من زندى
وصفق حتى الريح فى لمم الربى * وأشفق حتى الطفل فى كبد المهد
يقابلنى منك الصباح بوجنة * حكى شفقا فيه الحياء الذى تبدى
وتوهمنى الشمس المنيرة غرة * بوجهك صان الله وجهك عن رد
محياك أجلى فى العيون من الضحى * وذكرك أحلى فى الشفاه من الشهد
وما أنت الا الشمس فى علو أفقها * تفيدك من قرب وتلحظ من بعد
وفى غمة من لا ترى الشمس عينه * وما نفع نور الشمس فى الاعين الرمد
من القوم صانوا المجد صون عيونهم * كما قد أباحوا المال ينهب للرفد
اذا ازدحموا يوما على الماء اسوة * فما ازدحموا الا على مورد المجد
ومهما أغاروا منجدين صريخهم * يشبون نار الحرب فى الغور والنجد
ولم يقتنوا بعد الثناء ذخيرة * سوى الصارم المصقول والصافن النهد
وما اقتسم الانفال الا ممدح * ملاها باعراف المطهمة الجرد
أتنسى ولا تنسى ليالينا التى * خلسنا بها العينين من جنة الخلد
ركبنا الى اللذات فى طلق الصبا * مطايا الليالى وادعين الى حد
فان لم ندر فيها الكؤس فاننا * وردنا بها للأنس مستعذب الورد
لقيتك فى غرب وأنت رئيسه * وبابك للاعلام مجتمع الوفد
فآنست حتى ما شكوت بغربة * وواليت حتى لم أجد مضض الفقد
وعدت لقطرى شاكرا ما بلوته * من الخلق المحمود والحسب العد
الى أن أجزت البحر يا بحر نحونا * وزرت مزار الغيث فى عقب الجهد

أأنعم النعمى على حال ناقة * وأشهى من الوصل الهنيّ على صدّ
ولو ساء أن قوّضت رحلك بالنوى * وعوّضت منها بالزميل وبالوخد
لقد سرّني ان لحت في أفق العلا * على الطائر الميمون والطالع السعد
طلعت بأفق الشرق نجم هداية * فتنتجع الانوار فيه على وعد
بينا عن تسري المطي سراهم * عليها سهام قد رمت هدف القصد
الى بيته كعبا زر ومعاهدا * بانقيها جبريل عن مكرم العهد
لأنت لنا مهما دجا ليل مشكل * قدحت به للنور وارية الزند
وحيث استقلت في ركاب لطيبة * فأنت محيي النفس في القرب والبعد
والى باب الملك حيث عهدتني * مذيل ظلال العلياء مستحصف العقد
أجهز بالانشاء كل كتيبة * من الكتب والكتاب في عرضها بعدي
ثاوي من المولى الامام محمد * يظل على نهر المسرة مقتد
اذا فاض من يمناه بحر سماحة * وعمّ به الطوفان في النجد والوهد
ركبنا الى الاحسان في سفن الرجا * بحور عطاء ليس تزجر عن مد
فمن مبلغ الانصار عني ألوكة * مغلغلة في الصدق معجزة الوعد
بآية ما أعطى الخليفة ربه * مفاتيح فتح ساقها سائق السعد
ودونك من روض المحامد نفحة * تفوق اذا استنشق الندى من الند
ثناء يقول المسك ان ذاع عرفه * أيالك من ند أيالك من ند
وما الماء في جو السحاب مروقا * بأطهر ذاتا منك في كنف المهد
فكيف وقد حلتك أسراؤها الجلا * وباهت بك الاعلام بالعلم الفرد
وما الطل في ثغر من الزهر باسم * بأصفى وأذكى من ثنائي ومن ودي
ولا البدر معصوما بتاج غمامه * بأبهر من ودي وأسير من حمدي
بقيت ابن خلدون امام هداية * ولا زلت من دنياك في جنة الخلد

ووصلها بقوله سيدي شيخ الاعلام كنز رؤساء الاسلام مشرّف حملة السيوف والاقلام جمال الخواص والظهراء أثير الدول خالصة الملوك مجتبى الخلفاء سرّ العلاء أوحد الفضلاء قدوة العلماء حجة البلغاء أبقاكم الله ببقاء جميلا يعقد لواء الفخر ويعلي منار الفضل ويرفع عماد المجد ويوضح معالم السيادة ويرسل أشعة السعادة ويفيض أنوار الهداية ويطلق ألسنة المحامد وينير أفق المعارف ويعذب مورد العناية [illegible] النهاية ولا نهاية بأي العبارات أقابلك وقدرك أعلى ومطلع فضلك أوضح وأجلى ان قلت قصية كسرى في الثناء وتبع فأنت لا يتفق ولا يتبع تلك قصية عمياء

لاتبين ولاتبين وزمزمة نافرها اللسان العربى المبين وهذه جهالة جهلاء لا ينطبق على حروفها الاستعلاء قد محارسومها الخفاء وعلى آثار دمنتها العفاء وان كانت التهيتان طالما أوجف بهما الركاب وقعقع البريد ولكن أين يقعان مما أريد تحية الاسلام أصل فى الفخر نسبا وأوصل بالشرع سببا فالاولى أن نحييك بما حيا الله فى كتابه رسله وأنبياءه وحيت به ملائكته فى جواره أولياءه فأقول السلام عليكم يرسل من رحمة الله غماما ويفتق من الطروس عن أزهار المحامد كماما ويستصحب من البركات مايكون على التى هى أحسن من ذلك مقاما وأجدد السؤال عن الحال الحالية بالعلم والدين المستمدة من أنوارها سرج المهتدين زادها الله صلاحا وعرفها نجاحا يتبع فلاحا وأقرر ماعندى من تعظيم ارتقى كل آونة شرفه واعتقاد جميل يرفع عن وجه البدر كلفه وثناء أنشر بيدك البيضاء صحفه وعلى ذلك أيها السيد المالك فقد تشعبت على فى مخاطبتك المسالك ان أخذت فى تقرير فضلك العميم ونسبك الصميم فوالله ماأدرى بأى عبارة لفخرك تدفع الظلم وفى أى بحر من ثنائك يسبح القلم الامر جلل والشمس تكبر على حلى وحلل وان أخذت فى شكاة الفراق والاستعداء على الاشواق وأسلة اليراع تخضب مفارق الطروس بصبيغ الحبر المراق وغيرك من تركض فى مخاطبته جياد اليراع فى مجال الرقاع مستولية على أمد الابداع والاختراع فانما هو بث يبكى وفراق يشكى فيعلم الله مرضى عن أن أشافه من أنبائك ثغور البروق البواسم وأن أحملك الرسائل حتى مع سفراء النواسم وأن اجتلى غرر ذلك الجبين فى محيا الشارق ولمح البارق ولقد وجهت اليك جملة من الكتب والقصائد ولا كالقصيدة الفريدة فى تأبين الجواهر اللائى استأثر بهن البحر قدس الله أرواحهم وأعظم الله أجرك فيهم فانها أنافت على مائة وخمسين بيتا ولا أدرى هل بلغكم ذلك أم غاله الضياع وعذر وصوله بعد المسافة والذى يطرق فى سوء الظن بذلك ماصدر فى مقابلته منكم فانى على علم من كرم قصدكم ومن حين استغربنا كم بذلك الافق الشرقى لم يصلنى منكم كتاب مع على بضياع اثنين منهما بهذا الافق الغربى اه وفى الكتاب اشارة الى أنه بعث قصيدة فى مدح الملك الظاهر صاحب مصر ويطلب منى رفعها الى السلطان وعرضها عليه بحسب الامكان وهى على روى الهمزة ومطلعها

أمدامع منهلة أم لؤلؤ * لما استهل العارض المتلالئ

وبعث فى طى الكتاب واعتذر بأنه استناب فى نسخها فكتبت همزة رويها ألفا قال وحقها أن تكتب بالواو لانها تبدل بالواو وتسهل بين الهمزة والواو وحرف الاطلاق يسوقها واوا وهذا مقتضى الصناعة وان قال بعض الشيوخ تكتب ألفا على كل حال

على لغة من لا يسهل لكنه ليس بشيء وأذن لى فى نسخ القصيدة المذكورة بالخط المشرقى
لتسهل قراءتها عليهم ففعلت ذلك ورفعت النسخة والاصل للسلطان وقرأها
كاتب سره ولم يرجع الىّ منها شيء ولم أستجد أن أنسخها قبل رفعها الى السلطان
فضاعت من يدى وكان فى الكتاب فصل عرفنى فيه بشأن الوزير مسعود بن رحو
المستبد بأمر المغرب لذلك العهد وما جاء به من الانتقاض عليهم والكفران لصنيعهم
يقول فيه كان مسعود بن رحو الذى أقام بالاندلس عشرين عاما يتبنك النعيم
ويقود الدنيا ويتخير العيش والجاه قد أجيز صحبة ولد عثمان كما عرفتم من نسخة كتب
انشائه بجبل الفتح لاهل الحضرة فاستولى على المملكة وحصل على الدنيا وانفرد
برياسة دار المغرب لضعف السلطان رحمه الله ولم يكن الا ان كفرت الحقوق وحنظلت
نخلته العقوق وشف على سواد جلدته سواد العقوق وداخل من سبتة فانتقضت
طاعة أهلها وظنوا أن القصبة لا تثبت لهم وكان قائدها الشيخ الابه قليل الانصار وجلىّ
القتال وحمش الحرب أبو زكريا بن شعيب فثبت للصدمة وثور للاندلس فبادره المدد
من الجبل ومن مالقة وتوالت الامداد وخاف أهل البلد ورجع شرفاؤه ودخلوا القصبة
واستغاث أهل البلد بمن جاورهم وجاءهم المدد أيضا ثم دخل الصالحون فى رغبة هذا
المقام ورفع القتال وفى أثناء ذلك غدروا ثانية فاستدعى الحال اجازة السلطان المخلوع
أبى العباس لتبادر القصبة به ويتوجه منها الى المغرب لرغبة بنى مرين وغيرهم فيه وهو
ولد السلطان المرحوم أبى سالم الذى قلدكم رياسة داره وأوجب لكم المزية على أوليائه
وأنصاره وبعده فصل آخر يطلب فيه كتبا من مصر يقول فيه والمرغوب من سيدى
أن يبعث لى ما أمكن من كلام فضلاء الوقت وأشياخهم على الفاتحة اذ لا يمكن بعث
تفسير كامل لانى أثبت فى تفسيرها ما أرجو به النفع عند الله وقد علمتم أن عندى
التفسير الذى أوصله عثمان التجانى من تأليف الطيبى والسفر الاول من تفسير أبى
حيان وملخص اعرابه وكتاب المغنى لابن هشام وسمعت عن براءة تفسير اللامام بهاء الدين
ابن عقيل ووصلت الىّ براءة من كلام الاسرى رضى الله عن جميعهم ولكنى
لم أصل الا للبسملة وذكر أبو حيان فى صدر تفسيره أن شيخه سليمان النقيب أو أبا
سليمان لا أدرى الآن صنف كتابا فى البيان فى سفرين جعله مقدمة لكتاب تفسيره الكبير
فان أمكن سيدى توجيهه لا بأس انتهى وفى الكتاب فصول أخرى فى اغراض متعددة
لا حاجة الى ذكرها ههنا ثم ختم الكتاب بالسلام وكتب اسمه محمد بن يوسف بن زمرك
وتاريخه العشرون من محرّم سنة تسع وثمانين (وكتب الىّ) قاضى الجماعة
بغرناطة أبو الحسن على بن الحسن البنى الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا

محمد رسول الله يا سيدي وواحدي ودا وحبا ونجي الروح بعدا وقربا أبقاكم الله وثوب سيادتكم سابغ وقرسعادتكم كلما أفلت الاقمار بازغ أسلم باثر سلامي عليكم وأقرر بعض ما لدي من الاشواق اليكم من حضرة غرناطة مهدها الله عن ذكر لكم يتضوع طيبه وشكر لا يذوي وان طال الزمان رطيبه قد كان بلغ ما جرى من تأخيركم عن الولاية التي تقلدتم أمرها وتحملتم مرها فتمثلت بما قاله شيخنا أبو الحسن بن الجياب عند انفصال صاحبه الشريف أبي القاسم عن خطة القضاء

لا مرحبا بالناس أنفارك * اذ جهلت رفعة مقدارك
لو أنها قد أوتيت رشدها * ما برحت تعشو الى نارك

ثم تعرفت كيفية انفصالكم وانه كان عن رغبة من السلطان المؤيد هنالكم فرددت وقد توهمت مشاهدتكم هذه الابيات

لك الله يا بدر السماحة والبشر * لقد حزت في الاحكام منزلة الفخر
ولكنك استعفيت عنها تورعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدري
جريت على نهج السلامة في الذي * تخيرته للنشر منك وللحشر
وحق بأن العلم ولاك خطة * من العز لا تنفك عنها مدى العمر
تزيد على مر الجديدين جدة * وتسري النجوم الزاهرة ولا تسري
ومن لاحظ الاحوال وازن بينها * وكم لذوي الدنيا الدنية من خطر
وأسنى لانواع الولايات نابذا * فغير نكير أن يواجه بالنكر
فيهنيك يهنيك الذي أنت أهله * من الزهد فيها والتوقي من الوزر
ولا تكترث من حاسديك فانهم * حصا والحصا لا يرتقي مرتقى الدر
ومن عامل الاقوام بالله مخلصا * له فيهم نال الجزيل من الاجر
بقيت لرفع المجد تحمي ذماره * وخار لك الرحمن في كل ما يجري

ايه سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم أطنبتم في كتابكم في الثناء على السلطان الذي أنعم بالاعفاء والمساعدة على الانفصال عن خطة القضاء واستوهبتم الدعاء له من الاولياء ولله دركم في التنبيه على الارشاد الى ذلكم فالدعاء له من الواجب الذي فيه استقامة الامور وصلاح الخاصة والجمهور وعند ذلك ارتفعت أصوات العلماء والصلحاء بهذا القطر له ولكم بجميل الدعاء أجاب الله فيكم أحسنه وأجمله وبلغ كل واحد منكم ما قصده وأمله وأنتم أيضا من أهل العلم والجلالة والفضل والاصالة وقد بلغتم بهذه البلاد الغاية من التنويه والحظ الشريف النبيه لكن أراد الله سبحانه أن يكون لمحاسنكم في تلك البلاد العظيمة ظهور وتحدث بعد الامور أمور وبكل

اعتبار فالزمان بكم حيث كنتم مباه والمحاسد مجموعة لكم جمع شتاه ولما وقف على مكتوبكم مولانا السلطان أبو عبد الله أدال الله الثناء على مقاصدكم وتحقق جميل ودادكم وصحيح اعتقادكم وعمر مجلسه يومئذ بالثناء عليكم والشكر لما لديكم ثم ختم الكتاب بالسلام من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن مؤرخا بصفر سنة تسعين وفي طيه مدرجة بخطه وقد قصر فيها عن الاجادة نصها سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم وأظفركم بمناكم أعتذر لكم من الكتاب المدرج به هذا غير خطي فاني في ذلك الوقت بحال مرض من عيني ولكم العافية الوافية فيسعني سمحكم وربما كان لديكم تشوق بما نزل في هذه المدة بالمغرب من الهرج أماطه الله وآمن بلاد المسلمين والموجب أن الحصة الموجهة في خدمة أميرهم الواثق ظهر له ولوزيره ومن ساعده على رأيه امساكها رهينة وجعلهم في القيود الى أن يقع الخروج لهم على مدينة سبتة وكان القائد على هذه الحصة العلج المدعو المهند وصاحبه الفتى المدعو نصر الله وكثر التردد في القضية الى أن أبرز القدر توجيه السلطان أبي العباس تولاه الله صحبة فرج بن رضوان بحصة ثانية وكان ما كان حسبما تلقيته من الركبان هذا ما وسع الوقت من الكلام ثم ختم الكتاب وانما كتبت هذه الاخبار وان كانت خارجة عن غرض هذا الكتاب المؤلف لان فيها تحقيقا لهذه الواقعات وهي مذكورة في أماكنها فربما يحتاج الناظر الى تحقيقها من هذا الموضع وبعد قضاء الفريضة رجعت الى القاهرة محفوفا بستر الله ولطفه ولقيت السلطان فتلقاني أيده الله بعهود مبرته وعنايته ولحقت السلطان النكبة التي محصه الله فيها وأقاله وجعل الى الخير فيها عاقبته ومآله ثم أعاده الى كرسيه للنظر في مصالح عباده وطوقه القلادة التي ألبسه كما كانت فأعاد لي ما كان أجراه من نعمته ولزمت كسر البيت ممتعا بالعافية لابسا برد العزلة عاكفا على قراءة العلم وتدريسه لهذا العهد فاتح سبع وتسعين والله يعرفنا عوارف لطفه ويمد علينا ظل ستره ويختم لنا بصالح الاعمال وهذا آخر ما انتهيت اليه وقد نجز الغرض مما أردت ايراده في هذا الكتاب والله الموفق برحمته للصواب والهادي الى حسن المآب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله والاصحاب والحمد لله رب العالمين

{ يقول المتوكل على من وصف نعمه بالاسباغ الفقير الى الله تعالى }
{ محمد الصباغ مصحح دار الطباعة الخديوية ببولاق مصر المعزية }

تبارك الذي كمل النوع الانساني وجمع له ما تفرق في العالم من المعاني وحلاه بتقسيمه

الى عرب وعجم وبربر وجعل فى خلال ذلك العبر انتظر وقصابه هذا لخبر تذكر ثم
بذلك المؤرخ ديوان المبتدا والخبر واستدل على أنه سبحانه المتصف بصفات الكمال
الواجب له صفات الجلال وصلى الله وسلم على النبى الاعظم الذى قص علينا من
الاخبار أنفسها ومن الآثار البديعة أحسنها وعلى آله الذين اتبعوا أثره وصحبه
الذين أرخوا سيره (وبعد) فقد أتم الله نعمه وجوده وكرمه بطبع هذا
الكتاب العجيب المشتمل على كل خبر غريب الموسوم بكتاب العبر وديوان المبتدا
والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر وهو
اسم طابق مسماه ولفظ تحقق معناه فلقد بين الخبايا ودل على الآيات البينات
وأخبر عما كان حتى كأنه حاضر العيان وحكى من السير ما فيه معتبر وأشار
باخبار الملوك الى حسن السياسة والى تعلم كيفية الفراسة اشتهر فضله ولم يوجد له
نظير تفجرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحاره وانسجمت
بالخير أمطاره وغنت أطياره وتفتحت أزهاره وطابت ثماره ولقد كان عز حتى
لا يسمع الا اسمه وأشبه طلل مية رسمه فأحيا مواته لطف الطبع وأقام أوده حسن
الوضع حتى عم عرف طيبه الصغير والكبير ووصلت اليه يد الغنى والفقير وهو من الحسنات
التى أشرق شمسها على صفحات الطروس وتزينت بحلاها النفوس فى ظل صاحب
السعادة وحليف المجد والسيادة من جبلت على حبه القلوب فرفعت أكف
السؤال من علام الغيوب أن يديم له النصر والتعزيز خديو مصر العزيز بن العزيز
ابن العزيز سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على
لازالت الدنيا مشرقة بكوكب سعده حاملة رايات مجده ناطقة بالثناء على أشباله
الكرام غرة جبين الليالى والايام ثم ان هذا الطبع الظريف والوضع اللطيف
بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة ذات الشهرة الباهرة والمحاسن الزاهرة
التى أنقذت الكتب من أسر التحريف وأطلقتها عن قيد التصحيف فلبست ثوب
الفخار وتوجت تاج الاعتبار يسر برؤيتها الناظر وينشرح بها الخاطر مشمولة
بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى تدبير نضارها من لا تزال عليه
أخلاقه بالالطاف تثنى حضرة حسين بك حسنى لازال موفقا للخيرات مسديا لانواع
المبرات ثم ان التصحيح بعد التنقيح ماعدا بعض الجزء السادس والثانى بمعرفة
العبد الفانى الفقير الى الله محمد الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم اسباغ ولما أسفر بدر
تمامه وفاح مسك ختامه أرخه الاستاذ فريد الزمان ونادرة الاوان من ألقت اليه
البلاغة مقاليدها وملكته الفضائل طارفها وتليدها الذى اشتهر فضله فى الامصار

السيد عبد الهادى نجا الابيارى فقال أحسن مقال

زها ابن خلدون وتم طبعا * وراق حسنا ثم فاق جمعا
كأنه روض أغن أزهرت * أفنانه بكل فن وضعا
أبناء أبناء الزمان فيه * تروق جمعا وتشوق سمعا
نديم أنس متحف بكل ما * ينعش أرواح النديم نفعا
يسر بالذى يسر كل من * حدث بحسن الحديث وفعا
يهديه من طرائف الاخبار ما * يلهيه عما يشتهيه طبعا
ألفاظه تطرب كل سامع * كأنها صوت الحمام سجعا
تلعب بالعقل كأنها الصبا * تلعب بالاغصان حين تسعى
فاعكف عليه غير ناظر الى * سواه اذ هو الاجل قطعا
من منة الله على الانام أن * كثر بالطبع فجل وقعا
وأنشد الحال مؤرخا له * زها ابن خلدون وتم طبعا

٨٢ ٤٤٦ ٦٩٠ ٥٣ ١٣

سنة ١٣٨٤

وكان فصال طبعه وتمام وضعه آخر ربيع
الثانى من العام المشار اليه فى الابيات من
هجرته عليه أفضل صلوات وأزكى
تحيات وعلى أصحابه وآله
وكل ناسج على
منواله
تم

(فهرسة الجزء السابع من تاريخ الامام ابن خلدون)

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه